الفصول المائة في حياة أبي الائمة أميرالمؤمنين

علي بن أبي طالب

في فضائله ومناقبه

في الحكومة حتى الشهادة مع تكملة و خاتمة

سيد أصغر ناظم زاده قمي

"المجلد ٢"

المقدمة

دور عليّ عند وفاة رسول اللّٰه وتجهيزه

تاريخ مولد النبيّ ووفاته

خلاصة من ذكر مدّة حياة النبي

حزن النبيّ عند نزول آية: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّـهُم مَيِّتُونَ"

نظرة إجماليّة في دور عليّ عند وفاة رسول اللّٰه

أعطى النبيّ الودائع لعليّ أمام المهاجرين والأنصار

أوصاه رسول اللّٰه: "لا تفارقني حتّى تواريني في رمسي"

بيان آخر في واقعة رحلة النبيّ وحضور عليّ عنده

علي يُبلّغ النّاس أمر النبيّ

تعليم رسول اللّٰه عليّاً ألف ألف باب من العلم

دخول ملك الموت بيت رسول اللّٰه بإذن عليّ

إعانة الملائكة عليّاً على تغسيل رسول اللّٰه

كلامه في رثاء النبيّ

علي يكفّن جسده المطهّر

علي أوّل من صلّى على النبيّ وحدة، ثمّ صلّى النّاس عليه

مكان قبره وكيفيّة قبره

دفن عليّ جسده المطهّر في القبر

يوم الشورى و احتجاجه بتجهيز النبيّ

علي خليفة رسول اللّٰه و وليّه و وصيّه و وارثه

اعتقادنا واعتقاد أهل السنّة في أمر الخلافة والوصاية بعد رسول اللّٰه

قول ابن أبي الحديد في خلافة عليّ

استخلاف عليّ

استخلافه في قصّة انقضاض الكوكب في داره

مناجاة النبيّ إيّاه، وإخباره بما هو كائن إلى يوم القيامة

سلام الخضر على عليّ بخليفة رسول اللّٰه

قوله: "من أحبّ أن يركب سفينة النجاة بعدي فليقتدِ بعليّ"

ينادي رسول اللّٰه في ليلة المعراج بأنّ عليّاً وصيّه

قوله: أمرني ربّي أن أُقيم لكم عليّاً علماً وإماماً وخليفة

فرح جبرئيل بوصاية عليّ بن أبي طالب

نداء رسول اللّٰه في مسجد قبا أنّ عليّاً هو أخي ووصيّي

سؤال سلمان مَن وصيّ رسول اللّٰه؟

احتجاجه في الشورى

إليك نبذة من الأخبار الأُخر

فيما قيل من الشعر في أنّه وصيّ رسول اللّٰه

النتيجة المستفادة من الأخبار

من ألقابه أمير المؤمنين

نظرة في تسمية عليّ بأمير المؤمنين

نبذة من الأخبار في أنّ عليّاً سمّي بأمير المؤمنين في عهد رسول اللّٰه

تسليم تسعة رهط على عليّ بإمرة المؤمنين

تسميته بأمير المؤمنين في ليلة المعراج

سمّاه اللّٰه تعالى بأمير المؤمنين قبل خلقة آدم

وجه تسميته بأمير المؤمنين

لا يجوز أن يلقّب غيره بأمير المؤمنين

حقّ عليّ على الأُمّة حقّ الوالد على ولده

كلمة في تسمية الرسول وعليّ أبوا هذه الأُمّة

نبذة من الأخيار في هذا المقام

علي كنّاه رسول اللّٰه بأبي تراب

نظرة في تكنية عليّ بأبي تراب وفضائل أُخر

يعيّره أعداؤه بكنية أبي تراب وهي أحبّ أسمائه إليه

بعض ما روي في وجه تسميته بأبي تراب

مكرمة حول الحديث

ألفاظ الحديث

قد وردت في غزوة العشيرة

قد وردت في يوم المؤاخاة

قد وردت في نخل المدينة

قد وردت في مسجد النبيّ

طرق الحديث

علي و ردّ الشمس

كلمة في حديث ردّ الشمس لعليّ

سند الحديث

لفظ الحديث

حديث عن أسماء بنت عميس

عن أبي هريرة

عن جمع من الصحابة

عن الحسن بن عليّ

عن الأئمّة المعصومين

احتجاج الامام يوم الشورى بردّ الشمس

ردّ الشمس لعليّ بعد وفاة رسول اللّٰه

فيما قيل من الشعر في ردّ الشمس

ايراد ابن حزم الأندلسي على ردّ الشمس و جوابه

ما يمكن أن يورد على الحديث وجوابه

علي وارث علم النبيّين والمرسلين

كلمة في أنّ عليّاً وارث علم النبيّين

اليك نص الاحاديث

علي بلغ من العلم الدرجة القُصوى

نظرة في علمه

كلمات العلماء في هذا الباب

نبذة من الأخبار في هذا المقام

علي أعلم الصحابة

حول فضيلة العلم والعالم

قول الحسن البصري: عليّ أعلم المسلمين علماً

قول العقّاد المصري في أعلميّة عليّ

اعتراف عمر بأعلميّة عليّ

اعتراف أبي أُمامة الباهلي بأعلميّة عليّ

افتراء موهوم

الاخبار المأثورة عن الصحابة

قول عليّ: "سلوني قبل أن تفقدوني"

نظرة حول الحديث

نبذة من الأخبار المأثورة في هذا المجال

ما ورد في أنّه أجاب السائلين بما ينبغي أن يُجيبهم

علي و نماذج من سعة علمه

تمهيد

علمه في تفسير "وَفَاكِهَةً وَأَبّاً"

تفسير الكلالة

علمه و جوابه في سؤال بعض أحبار اليهود

جوابه عن المسافة بين المشرق و المغرب

اجوبة حذيفة لعمر بن الخطّاب وغضب عمر وتوضيح عليّ

حكمه في حليّ الكعبة

حكمه بجزء مال الميّت بإخراج سُبعه

حكمه بسهم مال الميّت بإخراج ثُمنه

حكمه بعبد قديم في ملك الميّت

قوله في ردّ قول عمر: إنّ الحجر الأسود لا ينفع ولا يضرّ

حكمه لزوج أُمّ الغلام بالإمساك

حكمه بحرمة امرأة رجل بعد وفاة غيره

علي أحبّ النّاس إلى رسول اللّٰه

نظرة في الحديث

نبذة من الأخبار في المقام

محبّ عليّ محبّ اللّٰه ورسوله، ومبغضه مبغض اللّٰه ورسوله

تمهيد

نبذة من الأخبار المأثورة عن رسول اللّٰه في هذا الباب

حكاية عبداللّٰه بن عبّاس وسعيد بن جبير

حبّ عليّ إيمان و بغضه كفر و نفاق

نظرة حول حديث: "لا يبغضك إلا منافق"

الاخبار المأثورة عن رسول اللّٰه في هذا الباب

ما رواه عليّ في هذا المقام عن رسول اللّٰه

لا يبغض عليّاً إلا من شارك إبليس أباه في أُمّه

قوله: "امتحنوا أولادكم بحبّ عليّ"

ايراد ابن تيميّة وجوابه

حبّ عليّ سعادة، وبغضه شقاء

نظرة في الحديث

محبّ عليّ لا يُعذّب بالنّار

نبذة من الأخبار

حديث في آثار حبّ آل محمّد

معرفة آل محمّد براءة من النّار

حديث مَن أحبّ عليّاً فهو من رفقائه في الجنّة

ما ورد في الشقاء والويل لمن أبغض عليّاً

حديث 'من أحبّ أهل البيت كان مع رسول اللّٰه في درجته'

حديث 'مَن يريد حياة رسول اللّٰه فليوال عليّ بن أبي طالب'

حديث 'مبغض عليّ لا يقبل منه صلاة ولا صوم'

حديث "لا يزال قدم عبد يوم القيامة حتّى يسئل عن ولاية عليّ'

حديث 'عدم جواز أحد على الصراط إلا بولاء عليّ'

حديث "السعادة والهداية في حبّ عليّ وولايته'

حديث 'ولاية عليّ الركوب على سفينة النجاة'

حديث 'ولايته عبادة وجنّة'

حديث 'حبّ عليّ يأكل الذنب'

حديث "لو أنّ أهل الأرض يحبّون عليّاً لما خلق اللّٰه ناراً'

حديث "أوّل مَن يدخل الجنّة محبّ عليّ'

علي و شيعته هم الفائزون

نظرة في الحديث

نبذة من الأخبار في أنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون

و إليك أخبار في مَن أحبّ عليّاً أُعطي خصالاً وفضائل

علي ليلة المعراج

تمهيد

المعراج حقيقة إسلاميّة ثابتة

متى كان المعراج؟

ما هو الهدف من المعراج؟

جملة ممّا وردت في ليلة المعراج وعظمة عليّ

ذكر ولاية عليّ و انّه حجة اللّٰه

حضوره المثالي في جنب رسول اللّٰه

مكتوب على باب الجنّة عليّ وليّ اللّه

اسمه مقرون باسم رسول اللّه في مواطن أربعة

اهتمام الأنبياء بعليّ عند العرش وأبواب السماء

قم بقعة شيعة عليّ في ليلة المعراج

اسم عليّ مكتوب على أبواب الجنّة

علي يوم القيامة

كلمة مختصرة حول أوضاع الروح الإنسانيّة في القيامة

جملة من أخبار الباب

جلال عليّ يوم القيامة

في كسوته يوم القيامة

في لوائه ونوره يوم القيامة وحمايته لأوليائه

منزله في القيامة مقابل منزل رسول اللّه

في مركبه يوم القيامة

في حمله مفاتيح الجنّة

علي ميزان الأعمال

نظرة في لفظ الميزان و كيفية وزن الاعمال فى القيامة

كلمة الفيض الكاشاني

في معنى كون عليّ ميزان الأعمال

جملة من الأخبار في معنى الميزان

علي قسيم الجنّة و النّار

نظرة حول الحديث

وإليك بعض الأخبار الّتي توضّح ما قلنا

كلمة من ابن أبي الحديد في الحديث وتوضيحنا

نبذة من الأخبار في المقام

احتجاج عليّ يوم الشورى بهذ الفضيلة

ذكر عليّ و النظر إليه عبادة

في معنى الذِّكر

نبذة من أخبار الذِّكر

في معنى النظر في قوله: "النظر إلى وجه عليّ عبادة"

نبذة من أخبار النظر

علي و المسابقة إلى الهجرة

في مفهوم الهجرة

كلمة حول هجرة أمير المؤمنين

بيان قوله عليه السلام: "سبقت إلى الإيمان والهجرة"

هجرته إلى الطائف مع رسول اللَّه

هجرته إلى المدينة ولحاقه برسول اللَّه

علي و الجهاد

الجهاد في الإسلام

فضيلة الجهاد

الآيات

الأخبار

كلمة في جهاد عليّ

تحقيق في جهاده

كان جهاده خالصاً لوجه اللَّه

كلمة حول قوله: "إنّ أكرم الموت القتل"

في الآيات الّتي نزلت في فضل جهاد عليّ

وهنا أحاديث حول الآيات نذكرها تتميماً للفائدة

احتجاج المأمون على فضله بجهاده

علي و اشتياقه إلى الشهادة

كلمة حول فضيلة الشهادة

الآيات

الحديث

كلمة في اشتياق عليّ إلى الشهادة

نبذة من الأخبار الواردة في شهادته

بشارة رسول اللّٰه إيّاه بشهادته

قوله: "قاتلُ عليّ يهودي"

عيادته إيّاه فقال له: "لا تموت إلا مقتولاً"

قوله لعليّ: "أنت تُقتل على سنّتي"

قوله له: "قاتلك أشقى الأوّلين والآخرين"

تقبيل النبيّ إيّاه وقوله: "بأبي الوحيد الشهيد"

خطبته المعروفة بالشعبانيّة، وإخباره عن شهادة عليّ

بكاء رأس اليهود عند سماعه خبر شهادته، وإسلامه

بيعة ابن ملجم وتأكيده في ميثاقه

علي و الشجاعة

في مفهوم الشجاعة والجبن والتهوّر

كلمة في شجاعة مولانا الإمام عليّ

قول اكثر الشارح المعتزلي في شجاعته

ان شجاعته آية من آيات اللّٰه

قوله: "إنّ أكرم الموت القتل..."

جملة من الأخبار الواردة في شجاعته

مثل من شجاعته في الغزوات والحروب

علي في القوّة و الأيد

حسبك في ذلك قلعه باب خيبر

قول من الفخر الرازي في قوّته

قول ابن أبي الحديد في قوّته

كان ذا قوّة وأيد منذ صغره

علي في قوّة إيمانه و ترك المداهنة في دين اللّٰه

كلمة في قوّة إيمانه

قول رسول اللّٰه في قوّة إيمانه وتنمّره في ذات اللّٰه

قوله: "إنّ عليّاً أخشن في سبيل اللّٰه"

شدّته مع مرسلة كتاب ابن أبي بلتعة إلى كفّار مكّة

شدّته مع أُخته في فتح مكّة

اقامته الحدّ على إبن عمر

اقامة الحدّ في حكومة عثمان

اذا رأى جوازاً لترك الحدّ تركه ولا يخاف لومة لائم

اقامة الحدّ، وقوله: "لَستُ أملك العفو"

اقامته الحدّ على شاعره النجاشي

ردّه هديّة الأشعث لأنّها رشوة

علي والإخلاص في العمل

حول مفهومي الرياء والإخلاص

نبذة ممّا برز من إخلاص عليّ في العمل

علي و العبادة

كلمة في عبادته

نبذة ممّا ورد في عبادته وما قيل فيها

حكاية حبّة العرني عن عبادة عليّ في آخر الليل

صوته الحزين في مغيلات النخل

علي و الخشوع في صلاته

في لفظ الخشوع، والخشوع في الصلاة

امّا خشوع عليّ في الصلاة

في أخبار الباب

علي و الزهد في الدنيا

كلمة في مفهوم الزهد و ترغيب الاسلام فيه

نظرة في زهد عليّ

ما قاله رسول اللَّه في زهده

ما قاله الأئمّة المعصومون في زهده

ما قاله الاصحاب و غيره في زهده

تكملة

من أخبار زهده

عتق ألف مملوك من كدّ يده

اكله من لبن حازر ورغيف من شعير

جلوسه على حصير رثّ

حكاية الأحنف عند معاوية عن إفطاره

اعطاء الكبد المشوي إلى الفقير

موارد أُخر

منها في ملبسه ونعله

علي يأمر عمّاله وأصحابه بالزهد

مفهوم الزهد عند عليّ

قصة عاصم بن زياد و أخوه

علي و الصبر

كلمة في معنى الصبر

مراتب الصبر

صبر عليّ في القرآن

تاكيد رسول اللَّه على عليّ بالصبر

صبره على جراحاته في الجهاد

صبره على مصائب الدنيا

صبره على الفقر

احتجاجه يوم الشورى بالصبر على ضياع حقّه

توصية عليّ المصاب بالصبر

علي و الحلم

في مفهوم الحلم وبعض ما ورد في أهمّيته

الحلم من شروط قبول العبادة وكمالها

ان لم تكن حليماً فتحلّم

كلمة في حلم أمير المؤمنين

بعض الوقائع الّتي تدلّ على حلمه

قصة المرأة الّتي لجأت إلى أمير المؤمنين

قصة جارية تبكي

تاخيرُ قتل عمرو بن عبد ودّ لمّا تفل في وجهه

توصيته لقنبر بالحلم

علي و السخاء و الجود

حول مفهومي البخل والسخاء

نظرة في سخاء عليّ وجوده

بعض ما ورد من سخائه وجوده

قوله للفقير: 'اكتب على الارض حاجتك'

اعطي فقيرا ثلاثة آلاف درهم

الذهب و الفضة عنده سواء

جميع ما غرس من النخل و ... أوقفه في سبيل الله

يعطي سيفه في الحرب الي مشرك حين يسأله اياه

انفاقه ثلاثمائة دينار في ثلاث ليال و نزول الآيأ "و رجال لا تلهيهم" في شأنه

اعطي سهمه من الحلل الي الفقير، و قول رسول الله في ذلك

خبر الناقة

علي و الانفاق

في أهمّية الإنفاق وفضله

كلمة في إنفاق عليّ

ممّا نزل في إنفاقه من القرآن الكريم

نبذة ممّا ظهر من إنفاقه

علي و التواضع

في مفهوم التواضع ومدحه و كذا الكبر و آفاته

التواضع ضد الكبر

نبذة ممّا ظهر في تواضع عليّ

علي و الضيافة

حول فضيلة الضيافة

نبذة من سيرة عليّ في الضيافة

في شروط الضيافة في كلام عليّ

علي و رعاية حق الضيف

علي و حضوره عند المحتضر

كلمة حول حضور الأئمّة عند المحتضر

بعض كلمات علمائنا حول حضور عليّ والأئمّة عند المحتضر

نبذة من الأخبار في هذا المقام

قصة الحارث الهمداني

قصة دعبل الخزاعي

قصة الحميري

قصة شطيطة في عصر موسى بن جعفر

عيادة عليّ بن موسى عن المحتضر

ندامة خطّاب الجهني عند الاحتضار

اشكالان على حضورهم عند المحتضر وجوابهما

نماذج من حضور الأئمّة عند المحتضرين

قضية من آية اللّٰه الگلبايگاني

قضايا من آية اللّٰه الاراكي

قضية من العالم السيّد محمّد باقر الموسوي

في الحكومة حتّى الشهادة و خاتمة

علي و الإمامة و الحكومة

ما معنى الإمامة؟

وعرّفت الإمامة اصطلاحاً بوجوه عدّة

مقام الإمامة أعظم المقامات الإلهيّة

الامامة عند فِرق المسلمين

وظائف الإمام

سوال وجواب

كلمة في إثبات إمامة عليّ بن أبي طالب

الآيات القرآنية

آية الولاية

آية التطهير

آية أطيعوا اللّٰه

النصّ الصريح المتواتر

حديث الغدير

حديث المنزلة

حديث الثقلين

حديث السفينة

انّه أفضل النّاس بعد رسول اللّٰه

انّه أعلمُ الصحابة

انّه أزهد النّاس بعد النبيّ

انّه صاحب سائر الكمالات

انّه معصوم و ما يدل على عصمته

آية الابتلاء

آية التطهير

انّ الإمامة استمرار للرسالة

الاخبار الواردة في هذا المجال

نبذة من أخبار الباب

علي قعيد بيته "٢٥" عاماً و مشربه فى الحكومة

سياسة عليّ و جودة رأيه

في معنى السياسة

سياسة عليّ ورأيه لحساب الدين و بقاء الإسلام

سياسته وتدبيره على وفق الكتاب والسنّة

سياسته ورأيه مثل سياسة رسول اللّه ورأيه

كلام نقيب البصرة في مساواته والرسول في كثير من الفضائل

في الفرق بين سياسة عليّ وسياسة معاوية وأتباعه

موارد ممّا طعن على سياسة عليّ والجواب عنها

نبذة ممّا كان من جودة رأيه وسياسته

علي و العدل

علي وجوهرة العدالة

ما هي العدالة الّتي ذاب فيها أميرالمؤمنين وملأت وجوده وكيانه

العدل أفضل وأشرف من الجود والإحسان في منظار عليّ

علي مصداق بارز لآية: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"

ما قاله النبيّ في عدل عليّ

قيام أُسس حكومة عليّ على العدل

كان عليّ رفض قبول الخلافة لأنّه يعلم أنّ ذلك المجتمع لا يتحمّل عدالته

شهد بعدالته العدوّ والصديق

صور من عدله على مدى حكومته

مصادرة الأموال الموهوبة بغير حقّ

في تقسيم بيت المال لا يميّز احداً على أحد

اطفاء السراج لأنّ زيته من بيت المال

عدله في تقسيم بيت المال سبّب فرار أصحابه إلى معاوية

امره عمّاله برعاية حقوق بيت المال

تاكيده فى الصدقات على رعاية حقّ الرعيّة

نبذة من خطابه إلى عمّاله، وعتابه لهم بما بدر منهم

امثله ممّا كان من عدله في أقاربه

توبيخه أبا رافع لإعارته بنته عقد لؤلؤ من بيت المال

صورة اخرى

توبيخه بعض عمّاله من أقربائه

تهديده عقيل أخيه

قصة أُخرى مع أخيه عقيل

وصيّة عليّ بقاتله

خلاصة من شرح حال عقيل وقصّته مع معاوية

اما القصة الحديدة المحماة

خاتمة

علي و المساواة أمام القانون

الفرق بين القانون الإسلامي وغيره

نماذج من مساواته أمام القانون

قصة درعه الّذي كان عند النصراني

قصة النجاشي وشرب الخمر

اقاد عليّ قنبراً حينما تجاوز عن حدّ اللّه تعالى

سيرة عليّ في بيت المال

كلمة حول سيرته في بيت المال

صور من سيرته في حفظ بيت المال

خطبة له في أوّل مبايعة النّاس له

اذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلا قسّمه

عليه خَلَقٌ قطيفة في فصل شتاء

بيعه سيفه ليشتري إزاراً منه

قسّم رغيفاً سبعَ كسر بين المستحقّين

اطعام الأحسن لغيره وأكل الأدون

سيرته في الصفراء والبيضاء

سيرة عليّ مع معارضيه في الحكومة

كلمة في سيرته مع معارضيه في الحكومة

ما قيل في سيرته مع معارضيه في الحكومة

قال ابن أبي الحديد في شرحه

و قال العلامة أبو منصور التيمي البغدادي

وقال القاضي أبو يوسف في كتاب "الخراج"

وقال البيهقي في "السنن الكبرى"

وقال الطبري بإسناده عن محمّد بن راشد، عن أبيه

وقال جورج جرداق

موارد ما ظهر من سيرته مع مخالفيه

سيرته مع من محاربيه يوم الجمل

رواية البيهقي عن جويريه

قول القاضي أبي يوسف

قول ابن أبي الحديد

سيرته مع أسرى يوم الجمل

سيرته مع عائشة يوم الجمل

يشتري جملاً لعائشة لتخرج من البصرة إلى مكّة

تجهيز عليّ عائشة من البصرة

ندامة عائشة بعد مراجعتها عن البصرة

كلامه بالبصرة حين ظهر على القوم

سيرته في صفّين بعد غلبته على الماء مع معاوية وأصحابه

سيرته مع أُسارى صفّين

رواية الدولابي عن يزيد بن بلال

رواية البيهقي عن أبي فاختة

سيرته مع الخوارج

مداراته الخوارج حينما اجتمعوا في الكوفة

صورة اخرى

علي وابن الكوّاء

سماحته ومداراته لهم لمّا واقفهم بالنهروان

سيرة عليّ مع أهل الذمّة

سيرته مع أهل الذمّة بميزان الحقّ والعدل

نبذة ممّا ظهر من سيرته مع أهل الذمّة

حزنه في ظلم جيش معاوية على ذمّيّة

مصاحبته رجلاً ذمّياً

الانفاق على ذمّي عاجزٍ من بيت المال

تقاضيه مع يهودي عند القاضي

صورة اخرى

رسالة توبيخ منه

سيرة عليّ مع الغلاة

سبب نشأة الغلاة

بدء ظهور الغلاة

ما فعله بأهل الغلوّ

ما جرى على عبداللّٰه بن سبأ ونهاية أمر الغلاة

سيرة عليّ مع المخالفين من عمّاله و ولاته

كلمة في سيرة عليّ مع المخالفين من عمّاله

كان عليّ يأمر عمّاله بالرأفة ويحذّرهم من الخيانة

نبذة يسيرة من سيرته مع عمّاله

توبيخ عثمان بن حنيف

قصة سودة بنت عمارة

اخذه الهدية من عامله وجعلها في بيت المال

عزله أبا الأسود عن القضاء

عزل ابن هرمة عن شغله

سيرة عليّ مع التجّار و أصحاب الحرف

نبذة من الأخبار الواردة في مدح التجارة

عهده إلى مالك الأشتر في أمر التجّار وأصحاب الحرف

نظرة في عهده إلى الأشتر النخعي

مراقبته السوق ونصيحة الباعة برعاية الموازين الشرعيّة

سيرة عليّ في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

كلمة في أهمّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الآيات

الاخبار المأثورة في الباب

نماذج ممّا برز من صور أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

ما رواه مطرف عن علي

انه يمشي في الأسواق و يضرب بها المطفف

علي يأتي في السوق و يأمر التجار بالتقوي و ترك الحلف في المعاملة

يضرب بياع الجري و غيره

يودب من زاحمه في الوضوء مخافة التلف و الغرامة

مراقبته المعلمين و الصبيان

طرد القاص عن المسجد

تاديب العابث بعورته و تزويجه من بيت المال

تاديب النصراني الذي أسلم ونهيه عن أكل لحم الخنزير

توصية ولاته برعاية الحقوق و ترك الأحتكار

احراق بيادر المحتكر لتنبيه الآخرين

لطم عين من ينظر الي النساء في البيت

علي و إعانة المظلوم و إغاثة الملهوف

كلمة في سيرته في إعانة المظلوم وإغاثة الملهوف

موارد ممّا ظهر من إعانة المظلوم وإغاثة الملهوف

اعانته المرأة الّتي اشتكت زوجها

علي وقصّة قربة الماء

وفود سودة بنت عمارة الهمدانيّة على معاوية

علي و المروءة و العفو في حكومته

في مفهومي الانتقام والعفو

كلمة في عفو عليّ ومروءته مع أعدائه

صور يسيرة من عفوه ومروءته

رجل اتّهم عليّا بالكفر وعفا عنه

عفوه العامّ عن أعدائه في حرب الجمل

عفوه عن المحاربين ومنهم مروان بن الحكم

من وصاياه لأُمراء الجنود في صفّين بالمروءة

القتال على ماء الفرات، وعند غلبته لم يمنع أعداءه الماء

مروءته مع ابن ملجم اللعين لمّا ضربه

تذييل وتكميل

علي و منصب القضاء

كلمة حول علمه بالقضاء

ما ورد عن النبيّ أنّه أقضى الأُمّة

ما ورد عن عمر بن الخطّاب على أنّه أقضى الأُمّة

ما ورد عن الأصحاب بأنّه أقضى أهل المدينة

ما ورد عن أبي عبداللّٰه الصادق على أنّه أقضى الأُمّة

نبذة ممّا ورد من الأخبار أنّ رسول اللّٰه يعلّمه القضاء

كان قضاؤه مؤيّداً من رسول اللّٰه

ما يستفاد من البحث

موقف عليّ من القضاة

الحاجة إلى القضاء

نظرة في روايات القضاء الّتي يرغّب فيه أو تحذّر منه

امّا ما ورد من الترغيب في أمر القضاء

امّا ما ورد من التحذير و المنع عن قبول القضاء

في الجمع بين الطائفتين من الروايات ونتيجة البحث

كان عليّ يؤكّد على القضاة في أمر تطبيق الحقّ في قضائهم

عهده إلى مالك الأشتر النخعي

القاضي في نظر الإمام عليّ

واجب رئيس القضاء تجاه القضاة في عهده

نبذة ممّا برز من سيرته اتجاه القضاة

نبذة من قضائه في حياة رسول اللّٰه

قضاؤه بين رسول اللّٰه والأعرابي المدّعي طلب ثمن ناقة

امره رسول اللّٰه بالقضاء في بهيمة قتلت بهيمة أُخرى

اعجاب النبيّ بقضاء عليّ

قضاء في اليمن وقول الرسول فيه: "الحكم حكمه"

قضاؤه في عهد أبي بكر

قضاؤه في عهد عمر بن الخطّاب

نبذة من مراجعات عمر لعليّ في القضاء

قضاؤه في تفريق الشهود

في امرأة معتوهة زنت

في امرأة زنت مع غلام صغير

في رجل زنى وهو غائب عن أهله

في امرأة تعترف بالزنى خوفاً

في امرأة زنت وهي حبلى

في امرأة على شاب من الأنصار

في امرأة زنت وهي مضطرّة

في قضاؤه في خمسة نفر في قصّة واحدة وأحكام خمسة

في جاريتين تنازعتا في ابن وبنت

في رجل أقطع اليد والرجل وقد سرق

في رجل أسود وامرأة سوداء وولدهما أحمر

في أمانة رجلين عند امرأة

في إنكار امرأة ولدها الّذي ولدت

في امرأتين تتنازعان طفلاً

في إلحاق الولد بالرجل رغم ولادته لستّة أشهر

في قصّة قدامة بن مظعون وإجراء الحدّ عليه

صورة أُخرى في قصّة قدامة

قصة تجسّس عمر بن الخطّاب على امرأة ورجل

قضاؤه في عهد عثمان

حكمه في مكاتبة زانية

حكمه في امرأة مطلّقة مدّعية لميراث زوجها

احتجاجه على منكر عذاب القبر، وقول عثمان

قضاؤه في امرأة ولدت لستّة أشهر

قضاؤه في زمان حكومته

قضاؤه في الجرح والقتل حال السكر

قضائه في قصّة الأرغفة قضاء رياضي

قضاؤه في مسألة رياضيّة أُخرى

قضاؤه بما قضاه داود النبيّ في جماعة اتّهموا بقتل رفيقهم

صورة اخرى

قضاؤه بما أنزل اللّٰه تعالى في رجل زان

قضاؤه بما أنزل اللّٰه في امرأة زانية

توضيح

الرفق في محلّه

اقادة قنبر لتجاوزه عن حدّ اللّٰه

علي و معجزاته و الإخبار بالمغيّبات

نظرة في المعجزة والكرامة

نبذة ممّا ظهر من معجزاته كراماته

اخباره عن أمر الخوارج بالنهروان

اخباره عن حكومة الحجّاج بن يوسف الثقفي

اخباره عن مجي ء ألف رجل يبايعونه على الموت بذي قار

اخباره عن امرأة بأنّها شبيهة الرجال والنساء

اخباره عن أرض كربلاء حين مرّ بها

اخباره عن عدم نصرة البراء بن عازب الحسين

اخباره عن سنان قاتل الحسين

اخباره عن ابن حمار "جماز" حامل راية ابن زياد لقتال الحسين

اخباره عن شهادة عليّ بن موسى الرضا بالسمّ

اخباره عن الضربة الّتي يُضرب بها في رأسه فتخضب لحيته

اخباره عن قصّة شهادته

اخباره عن صلب ميثم التمّار

اخباره عن قتل كميل بن زياد

اخباره عن صلب رشيد الهجري

اخباره عن قتل قنبر

اخباره عن صلب مزرّع بن عبداللّٰه

نبذة من معجزاته و كراماته

كشف الماء في مسيره إلى صفّين

صيرورة أنس أعمى بدعائه

صيرورة زيد بن أرقم أعمى بدعائه

صيرورة العيزار أعمى بدعائه

ابراؤه لليد المقطوعة بدعائه

الرحى تطحن في بيته وليس معها أحد

علي و مظلوميّته

لا مظلوم كعليّ

المنافقون يصبّون ما أضمروه من الضغائن أيّام النبيّ على عليّ

لفظة أوّل مظلوم في زيارته

علي يُطلع رأسه في البئر ليبثّ شكواه

في تفصيل مظلوميّته

مظلومية علي بعد رحلة رسول الله و ما جري عليه

حديث السقيفة

اختلف الناقلون في كيفية حاله بعد رحلة رسول الله

مظلوميّته في تحمّل مصائب فاطمة

احراق باب فاطمة و ضربها بالسوط

شهادة فاطمة ودفنها ليلاً

مظلوميّته في الشورى و شكوته عنها

اجمال من قصّة الشورى

ما يطعن به على عمر في تضييع حقّ عليّ

مظلوميّته في حرب صفّين وقصّة التحكيم

قتال أصحابه مع معسكر معاويه خصوصاً مالك الأشتر

مشاورة معاوية مع عمرو بن العاص ورفع المصاحف

بداية الخلاف في جيش عليّ

معاودة الاشعث الخلاف

علي يُطلع جيشه على حيلة معاوية وعمرو، ولكنّه يُهدّد بالقتل

مظلوميّته في انتخاب أبي موسى الأشعري للتحكيم

مظلوميّته في حيلة عمرو على أبي موسى في اجتماع الحكمين

خطبة الإمام عليّ بعد التحكيم

مظلوميّته في تثاقل أصحابه وخطبته في ذلك

مظلوميّته في دخول غارات معاوية على بلاد الاسلام

مظلوميّته بعد شهادته

في تسخير معاوية العملاء وشراء الذمم

جملة من الوضّاعين وأخبارهم

ما رواه أبو هريرة

رواية عمرو بن العاص

رواية عروة بن الزبير

رواية سمرة بن جُندب

مظلوميّته في لعنه في عصر الأمويّين

علّة منع عمر بن العزيز عن سبّ الإمام عليّ

مظوميّته في وصيّته بإخفاءه قبره

علي شهيد المحراب

كلمة في تاريخ شهداته وعمره المبارك

مداراته ابن ملجم قبل اغتياله

ما جاء في سبب قتله ومؤامرة الخوارج في مكّه

قصد البرك معاوية

قصد عمرو بن بكر، عمرو بن العاص

قصد ابن ملجم عليّاً والتواطؤ بينه وبين قطام

ما جرى لأميرالمؤمنين في ليلة التاسع عشر

مجي ء عليّ إلى المسجد وما جرى بينه وبين ابن ملجم

قوله لمّا ضُرِبَ: "فُزتُ وَربِّ الكعبة"

تعقيب وتكميل

ابن ملجم بين يدي أمير المؤمنين ورفقه

ما حدث حين حمله إلى منزله ورفقه باللعين

ما جرى بينه وبين أصحابه وأولاده في مرضه الّذي قبض فيه

ما جرى بينه وبين الأصبغ بن نباتة

ما جرى بينه وبين حبيب بن عمرو

ما جرى بينه وبين ابنه الحسن

وصيّته بعد ما جرى بينه وبين الطبيب المعالج

في تغسيله و تكفينه

في تجهيزه والصلاة عليه و دفنه خفاءً

قول صعصعة بن صوحان على قبره

اشعار سودة في رثاء مولاها عليّ

في الآية الّتي ظهرت صباح شهادة عليّ

في كيفيّة قتل ابن ملجم لعنه اللّٰه

في كيفيّة قتل قطام ووردان وشبيب الّذين ساعدوا ابن ملجم في جريمته

خطبة ريحانة الرسول صلى الله عليه و آله الحسن بن عليّ عليه السلام بعد شهادة أبيه

في فضل زيارته

مختصر زيارته

تكملة

اولاده

مدخل

ذكر أولاده

الصفوة من أصحابه الكرام

كلمة في سيرة أصحابه

ضرار يصف عليّاًعند معاوية

الطرمّاح بن عديّ الطائي عند معاوية وله لسان طلق

معاوية يستميل أبا أُمامة الباهلي بالإكرام ليردّه عن محبّة عليّ

معاوية يستميل ابا الأسود الدؤلي

عشرة من أصحابه بين يدي معاوية

ذكر فضائل ميثم التمّار ومقتله

في بعض كراماة ميثم و اخباره بالمغيبات

ذكر فضائل كميل بن زياد النخعي

مقتله بيد الحجاج

ذكر فضائل رشيد الهجري

رشيد بين يدى زياد

ذكر فضائل قنبر مولى عليّ

قنبر بين يدي الحجّاج

ذكر بعض ما جرى بين عقيل ومعاوية

وفود دارميّة الحجونيّة على معاوية

وفود سودة بنت عمارة على معاوية

الخاتمة

الاجل

الاخوّة

الادب

الامل

الامانة

الايمان

البخل

البر

البغي

الجدل

الجزع

الجهاد

الحرص

الحسد

الاحسان

الحقد

الحقّ

الحكمة

الحلم

الحياء

الاخلاق

الخير

الاستخارة

الدعاء

الدنيا

الدين

الذمّ

الراي

الرزق

الرضا

الرفق

الراحة

الزمان

الزهد

السخاء

السر

السفر

السلامة

الشر

الشقاء

الشكر

المشاورة

الشيب

الصبر

الصدقة

الصديق

الصلف

الصلاة

الصمت

الطمع

الظلم

الاعتبار

العتاب

العجلة

العدل

العدوان

الاعتذار

المعروف

المعصية

العافية

العقل

الغشّ

الغضب

غضّ الطرف

الاستغفار

الغنى

الغيبة

الفضل

الفقر

الاقتصاد

القصاص

القلب

الكبر

الكذب

الكرم

المكروه

الكسل

اللجاج

الالحاح

اللهو

المروءة

الملق

الموت

المال

الندامة

النميمة

الثقة

المودّة

الوسط

التواضع

الموعظة

التقى

التواني

الهدية

الهداية

الهوى

الهيبة

الياس

اليمين

اليوم

المقدمة

إنّ الكلام عن فضائل ومناقب بحر العلوم، وباب مدينة العلم، باب دار الحكمة، وميزان الأعمال، وقسيم الجنّة والنّار، والسابق إلى الإسلام والهجرة والجهاد، والكتابة عنه عليه السلام يعدّ عملاً من الأعمال الصعبة، فلا شيء يسعف القلم كي يكتب عن شخصٍ ردّت إليه الشمس، وحبّه حبّ اللّه ورسوله، وبغضه بغض اللّه ورسوله، ولا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.. ويكلّ اللسان عن تعداد مناقبه.

فعليّ عليه السلام أخو الرسول صلى الله عليه و آله ووصيّهُ وخليفتهُ، وزوج البتول، وأبو السبطين - سيّدي شباب أهل الجنّة - وأخو جعفر الطيّار، وأبو الأئمّة الهداة، وما لا يُعدّ ولا يُحصى من الفضائل والمناقب.

كتاب فضل ترا آب بحر كافى نيست*** كه تر كنم سر انگشت صفحه بشمارم

عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "لو أنّ الغياض [الغياض جمع غيضة: مجتمع الشجر في مغيض الماء. وفي بعض الروايات بلفظ "الرياض" بدل "الغياض"، الرياض جمع الروضة، ا ي أرض مخضرّة بأنواع النبات] أقلام، والبحر مدادٌ، والجنّ حسّاب، والإنس كُتّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام". [المناقب للخوارزمي: ٣٢، فرائد السمطين ١:١٦، كشف الغمّة - باب المناقب ١:١٤٨، البحار ٣٨:١٩٧، أمالي الصدوق - المجلس الثامن والعشرون: ح ٩].

وفي "كفاية الطالب" لأخطب خوارزم وغيره عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّه تبارك وتعالى جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثرة [في نسخة الأمالي: "ولا يحصى عددها غيره"].

فمن ذكر فضيلة من فضائله مُقرّاً بها، غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر اللّه له الذنوب الّتي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر اللّه له الذنوب الّتي اكتسبها بالنظر".

ثمّ قال: "النظر إلى وجه "أمير المؤمنين" [في نسخة الأمالي هكذا].

عليّ بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل اللّه إيمان عبد إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه". [المناقب للخوارزمي: ٣٢، كشف الغمّة ١:١٤٨، وأمالي الصدوق - المجلس الثامن والعشرون: ح ٩].

ونحن بمصداق "ما لا يُدرك كلّه لا يترك كلّه"، و"الميسور لا يسقط بالمعسور".. نقدّم لكم - أعزّائي القرّاء - غَرفة من المحيط المتلاطم الأمواج، وقطرة من البحر الّذي ليس له ساحل، وقد تناولنا البحث في فصولٍ

من هذا المجلّد - والّذي يعدّ غيضاً من فيض - في الروايات المختلفة من فضائله عليه السلام، مستندين في ذلك على ما جاء في كتب الإخوة أهل السنّة المعتبرة، وكتب علماء الشيعة الإماميّة.

ونودّ اطلاعكم في هذه المقدّمة بأنّنا سنتعرّض إلى شرح الحديث في أثناء فصول هذا الجزء إن شاء اللّه، ونذكّر بأنّ سائر اجزاء الكتاب تحتوي على فضائله ومناقبه عليه السلام. وإليكم نبذة يسيرة من الأخبار الواردة في مناقبه وفضائله عليه السلام.

١- فروى الخوارزمي عن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، لو أنّ عبداً عَبَد اللّه عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّه، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه ثُمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها'. [المناقب للخوارزمي: ٦٩].

٢- وفي "عبقات الأنوار" بالإسناد، عن أبي أُمامة الباهلي، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللّه خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقني وعليّاً من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغُصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أنّ عبداً عَبَد اللّه بين الصفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ لم يدرك محبّتنا، أكبّه اللّه على منخريه في النّار، ثمّ تلا 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى". [عبقات الأنوار ٨:١٤٦].

٣- وفيه أيضاً بالإسناد عن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدي اللّه تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللّه تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل اللّه تعالى ينقله من صلب إلى صلب، حتّى أقرّه في صلب عبدالمطّلب، فقسّمه نصفين؛ قسماً في صلب عبداللّه، وقسماً في صلب أبي طالب، فعليّ منّي وأنا منه، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، فمن أحبّه فبحبّي أُحبّه، ومن أبغضه فببغضي أُبغضه'. [المصدر المتقدّم: ١٠٧، والأخبار بهذا المضمون متواترة، فراجع عبقات الأنوار: ج٨].

٤- و عن موفّق بن أحمد من أعيان علماء العامّة بسنده عن عثمان، قال: قال عمر بن الخطّاب: إنّ اللّه تعالى خلق ملائكة من نور وجه عليّ بن أبي طالب. [غاية المرام: ٦، الباب١، ح ١٧، من المقصد الأوّل].

٥- و عن الصدوق رحمه الله بسنده عن سعيد بن جبير، قال: أتيت عبداللّه بن عبّاس فقلت له: يابن عمّ رسول اللّه، إنّي جئتك أسألك عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام واختلاف النّاس فيه. فقال ابن عبّاس:

يابن جبير، جئتني تسألني عن خير خلق اللّٰه من الأُمّة بعد محمّد نبيّ اللّٰه، جئتني تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وهي ليلة القربى. يابن جبير، جئتني تسألني عن وصيّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ووزيره، وخليفته، وصاحب حوضه ولوائه وشفاعته. والّذي نفس ابن عبّاس بيده، لو كانت بحار الدنيا مداداً، والأشجار أقلاماً، وأهلها كُتّاباً، فكتبوا مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفضائله من يوم خلق اللّٰه عزّ وجلّ الدنيا إلى أن يُفنيها، ما بلغوا مِعشار ما آتاه اللّٰه تبارك وتعالى. [أمالي الصدوق - المجلس الثاني والثمانون: ح ١٥].

٦- و روى ابن الصبّاغ المالكي عن كتاب المناقب لأبي المؤيّد، عن أبي بردة، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - ونحن جلوس ذات يوم -: 'والّذي نفسي بيده، لا يزال قدم عن قدم يوم القيامة حتّى يَسأل اللّٰه تعالى الرجل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله ممّ كسبه وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت'.

فقال عمر: ما آية حبّكم؟ فوضع يده على رأس عليّ وهو جالس على جانبه فقال: 'آيته حبّ هذا من بعدي'. [الفصول المهمّة: ١٢٥].

٧- و في فرائد السمطين بسنده، قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عمّار، طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي طاعة اللّٰه'. [فرائد السمطين ١:١٧٨، ح ١٤١].

٨- في صحيح الترمذي عن المُساور الحِميري، عن اُمِّهِ، قالت: دخلتُ على اُمّ سلمة فسمعتُها تقول: كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'لا يحبّ عليّاً منافقٌ، ولا يُبغِضهُ مؤمنٌ'. [صحيح الترمذي ٥:٤٠٠، ح ٣٧٣٨].

٩- وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخُدري، قال: إنّا كُنّا لنعرِفُ المنافقين - نحن معشر الأنصار - ببغضُهم عليّ بن أبي طالب. [المصدر المتقدّم: ٤٠٠، ح ٣٧٣٧].

١٠- وفيه أيضاً عن البراء بن عازب، قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'أنت منّي، وأنا منك'. [المصدر المتقدّم: ٣٩٩، ح ٣٧٣٦].

١١- وفيه أيضاً عن اُمّ عطيّة، قالت: بعث النبيّ صلى الله عليه و آله جيشاً فيهم عليّ عليه السلام، قالت: فسمعتُ النبيّ صلى الله عليه و آله وهو رافعٌ يديه يقول: 'اللّهمّ لا تُمتني حتّى تُرِيَني عليّاً'. [المصدر المتقدّم: ٤١٢، ح ٣٧٥٨].

١٢- وفيه أيضاً عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبيّ صلى الله عليه و آله طيرٌ فقال: 'اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير'، فجاء عليّ فأكل معه. [المصدر المتقدّم: ٤٠١، ح٣٧٤٢، ونحوه في إرشاد المفيد ١:٣٨].

١٣- و عن شيخ المفيد عن عبدالله بن مسعود، قال: استدعى رسول الله صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام فخلا به، فلمّا خرج إلينا سألناه ما الّذي عهد إليك؟ فقال: 'علّمني ألف باب من العلم، فتح لي من كلّ باب ألف باب'. [إرشاد المفيد ١:٣٢].

١٤- و روى ابن الصبّاغ المالكي عن "معالم العترة النبويّة" عن فاطمة عليهاالسلام، قالت: 'خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و آله عشيّة عرفة، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ باهى بكم وغفر لكم عامّة، ولعليّ خاصّة، وإنّي رسول الله غير محاب لقرابتي، إنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته'.

وروى ابن الصبّاغ أيضاً عن الطبراني في "مجمعه" عن فاطمة الزهراء عليهاالسلام الحديث المتقدّم، وزاد فيه: 'إنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد مماته'.

١٥- وفي صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، لولاك لما عُرف المؤمنون بعدي'. [صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٢٤٦، ح ١٥٧، طبع مدرسة الإمام المهدي "عج"].

١٦- وفيها أيضاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّك قسيم النّار والجنّة، وإنّك تَقرَعُ بابَ الجنّة فَتَدخُلها بلا حساب'. [المصدر المتقدّم: ١١١، ح ٧٥].

١٧- و عن الصدوق عليهاالسلام بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري، أنّه قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّ في عليّ خصالاً لو كانت واحدة منها في جميع النّاس لاكتفوا بها فضلاً'.

قوله صلى الله عليه و آله: 'مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ منّي كهارون من موسى'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ منّي، وأنا منه'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ منّي كنفسي، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'حربُ عليّ حربُ الله، وسلمُ عليّ سلم الله'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'وليُّ عليٍّ وليّ الله، وعدوُّ عليٍّ عدوّ الله'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ حجّة الله، وخليفته على عباده'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'حبُّ عليّ إيمان، وبُغضُه كفر'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'حزبُ عليّ حزبُ اللّه، وحزبُ أعدائه حزبُ الشيطان'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ معه، لا يفترقان حتّى يَرِدا علَيّ الحوض'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ قسيم الجنّة والنّار'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'من فارق عليّاً فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق اللّه عزّ وجلّ'.

وقوله صلى الله عليه و آله: 'شيعة عليّ هم الفائزون يوم القيامة'. [أمالي الصدوق - المجلس العشرون: ح ١].

وغير ذلك من الأخبار في فضائله ومناقبه، والّتي ستأتي في فصول هذا الكتاب.

دور عليّ عند وفاة رسول اللّه و تجهيزه

قال عليّ عليه السلام: 'ولقد قُبِضَ رسولُ اللّه صلى الله عليه و آله وإنّ رأسَه لَعَلى صَدري، ولقد سالتْ نَفْسُهُ في كَفّي، فأمرَرْتُها على وَجهي، ولقد وُلّيتُ غُسلَهُ صلى الله عليه و آله والملائكةُ أعواني'. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧

تاريخ مولد النبيّ ووفاته

إنّ تاريخ ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله ووفاته من المواضيع الّتي لا يمكن الإجابة عنها بشكل صريح وقاطع؛ إذ أنّ هناك اختلافاً بين علماء الفريقين في التحديد، فالمشهور بين علماء الشيعة والمعمول به في عصرنا الحاضر أنّه صلى الله عليه و آله وُلد في "١٧" ربيع الأوّل من عام الفيل، وتوفّي في "٢٨" صفر للسنة الحادية عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستّين سنة.

والمشهور بين علماء أهل السنّة أنّ ولادته صلى الله عليه و آله في "١٢" ربيع الأوّل من عام الفيل، ووفاته في "١٢" ربيع الأوّل، وكان عمره الشريف "٦٣" سنة، وقد طابق الشيخ الكليني رحمه الله أهل السنّة حينما ذهبوا إليه، حيث قال: وُلد النبيّ صلى الله عليه و آله لاثنتي عشر ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، ورُوي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، إلى أن قال: ثمّ قبض لاثنتي عشر ليلة مضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين، وهو ابن ثلاث وستّين سنة. [أُصول الكافي ١: ٤٣٩].

وقال المجلسي رحمه الله في شرحه لكلام المحدث المحقق الكليني رحمه الله: إعلم أنّه اتّفقت الإماميّة، إلا من شذّ منهم، على أنّ ولادته صلى الله عليه و آله كانت في سابع عشر شهر ربيع الأوّل، وذهب أكثر المخالفين إلى أنّها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني إمّا اختياراً أو تقيّة، والأخير أظهر - إلى أن قال: - وأمّا ما ذكره الكليني من يوم وفاته صلى الله عليه و آله فقد بناه على ما هو المشهور بين المخالفين أيضاً، والمشهور بيننا ما ذكره الشيخ في "التهذيب" وغيره في كتبهم أنّه صلى الله عليه و آله قُبض مسموماً يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة، والأصوب أنّ وفاته صلى الله عليه و آله كانت سنة إحدى عشرة من الهجرة، ليتمّ عشر سنين منها، كما ذكره المسعودي وغيره. [مرآة العقول ٥:١٧٠ و ١٧٤].

وقال صاحب "كشف الغمّة": وروى الجمهور موت النبيّ صلى الله عليه و آله في الاثنين ثاني عشر ربيع الأوّل، قالوا: ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين.. ودفن يوم الأربعاء. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٦].

خلاصة من ذكر مدّة حياة النبي

قال المحقّق الإربلي عاش رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كما ذكرنا ثلاثاً وستّين سنة، منها مع أبيه سنتان وأربعة أشهر، ومع جدّه عبدالمطّلب ثماني سنين، ثمّ كفله عمّه أبو طالب بعد وفاة عبدالمطّلب، فكان يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه أيّام حياته، وقيل: إنّ أباه مات وهو حمل، وقيل: مات وعمره سبعة أشهر، وماتت أُمّه وعمره ستّ سنين.

ثمّ قال: وروى مسلم في صحيحه أنّه صلى الله عليه و آله قال: "استأذنت ربّي في زيارة قبر أُمّي، فأذن لي، فزوروا القبور تذكّركم الموت".

وقال: وتزوّج صلى الله عليه و آله خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفّي عمّه أبو طالب وعمره ستّ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوماً، وتوفّيت خديجة عليها السلام بعده بثلاثة أيّام فسمّى صلى الله عليه و آله ذلك العام عام الحزن - إلى أن قال: - وأقام بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام، وقيل ستّة أيّام، ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأوّل، وبقي بها عشر سنين، ثمّ قُبض لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة. [انظر كشف الغمّة - باب المناقب ٢١ - ٢٠ :١].

حزن النبيّ عند نزول آية: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ"

عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزل قوله تعالى: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ"[الزمر: ٣٠].

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "ليتني أعلم متى يكون ذلك؟"، فنزلت سورة النصر، فكان يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزولها، فيقول: "سبحان اللّٰه وبحمده، أستغفر اللّٰه وأتوب إليه". فقيل له في ذلك، فقال: "أما أنّ نفسي نُعيت إليَّ"، ثمّ بكى بكاءً شديداً، فقيل: يا رسول اللّٰه، أوَتبكي من الموت وقد غفر اللّٰه لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! قال: "فأين هول المطلع؟ وأين ضيقة القبر وظلمة اللحد؟ وأين القيامة والأهوال؟!"، فعاش بعد نزول هذه السورة عاماً. [المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٣٤].

نظرة إجماليّة في دور عليّ عند وفاة رسول اللّٰه

لقد تربّى عليّ عليه السلام في حجر نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله منذ ولادته، وكان أوّل مَن آمن به من الذكور، وأوّل من صلّى جماعة خلف رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مع خديجة.

لقد كان عليّ عليه السلام ناصراً ومعيناً لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في جميع المصاعب الّتي اعترضته صلى الله عليه و آله، فقد بات على فراش رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة؛ ليبقى النبيّ صلى الله عليه و آله سالماً، وينجو من القتل، وكان ينصر الإسلام والمسلمين في جميع الغزوات، وكان فيها - إلا غزوة تبوك - جنباً إلى جنب مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ولم يبتعد عن الرسول في أمر قطّ، بل كان ملازماً له ملازمة الظلّ إلى آخر لحظات حياته المباركة، حيث قُبض رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ورأسه في حجر عليّ عليه السلام، حيث علّمه في تلك اللحظات العلوم الكثيرة، ولم يكن أحد يدرك عظمة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلا عليّ عليه السلام.

عليّ عليه السلام هو الّذي أدّى أمانات رسول اللّٰه، وهو وصيّه، وبأمر النبيّ صلى الله عليه و آله تولّى عليّ عليه السلام تغسيل النبيّ صلى الله عليه و آله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ولا شكّ أنّ الحالات الّتي عاشها النبيّ صلى الله عليه و آله مع عليّ آخر لحظات عمره الشريف تكشف عن مدى القرب والاتّصال بين رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام، وتفهمنا جيّداً أنّ عليّاً عليه السلام هو المؤهّل الوحيد لخلافة النبيّ صلى الله عليه و آله وليس ثمّة إنسان آخر.

لقد أودع النبيّ صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام أسرار النبوّة [انظر الكافي ١:٢٩٢، كتاب الحجّة - باب النصّ على أمير المؤمنين، ح ٢].

وأوكل إليه أمر تجهيزه، لعلمه وثقته بأنّ عليّاً عليه السلام سينفّذ أوامره، ولا يحيد عنها قيد أنملة، ولم يكن مطمئنّ لغيره هذا الاطمئنان، أفلا يكفي هذا دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً على خلافة عليّ عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه و آله ؟ وبالرغم من أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يصرّ على تبيان خلافة عليّ عليه السلام، وأنّه الوصيّ من بعده حتّى في آخر لحظات حياته، مضافاً إلى التأكيدات السابقة، إلا أنّ هذا الإيداع والتوكيل بحدّ ذاته، ومن دون الصراحة في اللفظ يدلّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يعتبر عليّاً وصيّه وخليفته دون سائر الخلفاء، خاصّة إذا لاحظنا الحديث القائل: "إنّ الإمام لا يغسّله إلا إمام" [المصدر المتقدّم: ٣٨٤، باب إنّ الإمام لا يغسّله إلا إمام من الأئمّة عليهم السلام]. فإنّه صريح في الدلالة على هذه الحقيقة.

ولقد أشار إلى هذه المنقبة الجميلة المختصّة به المفيدة لمزيد اختصاصه برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وقربه منه في خطبة له: "ولقد قُبض رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وإنّ رأسَهُ لَعلى صدري، ولقد سالتْ نفسُه في كفّي، فأمْرَرْتُها على وجهي، ولقد وَليتُ غُسلَهُ صلى الله عليه و آله والملائكة أعواني".

ثمّ استدلّ بذلك على أنّه أحقّ وأوْلى بالخلافة، والقيام مقامه، وأنّه على الحقّ دون غيره قوله عليه السلام: "فَوَالّذي لا إله إلا هو، إنّي لعلى جادّةِ الحقّ، وإنّهم لعلى مزلّةِ الباطل، أقول ما تَسْمَعُون، وأسْتَغْفِرُ اللّٰه لِي ولكم". [نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧].

أعطى النبيّ الودائع لعليّ أمام المهاجرين والأنصار

في البحار: عن إبراهيم بن إسحاق الأزدي، عن أبيه، قال: أتيت الأعمش سليمان بن مهران أسأله عن وصيّة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقال: ائت محمّد بن عبداللّٰه فاسأله، قال: فأتيته فحدّثني عن زيد بن عليّ عليه السلام، قال: لمّا حضرت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الوفاة ورأسه في حجر عليّ عليه السلام والبيت غاصّ بمن فيه من المهاجرين والأنصار، والعبّاس قاعد قدّامه، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "يا عبّاس، أتقبل وصيّتي، وتقضي ديني، وتنجز موعدي؟". فقال: إنّي امرؤ كبير السنّ، كثير العيال، لا مال لي، فأعادها عليه ثلاثاً، كلّ ذلك يردّها عليه، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "سأعطيها رجلاً يأخذها بحقّها لا يقول مثل ما تقول". ثمّ قال: "يا عليّ، أتقبل وصيّتي، وتقضي ديني،

وتنجز موعدي؟". قال: فخنقته العبرة، ولم يستطع أن يجيبه، ولقد رأى رأس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يذهب ويجيئ في حجره، ثمّ أعاد عليه فقال له عليّ عليه السلام: "نعم، بأبي أنت وأُمّي، يا رسول اللَّه". فقال: "يا بلال، ائت بدرع رسول اللَّه"، فأتى بها. ثمّ قال: "يا بلال، ائت برايـة رسول اللَّه"، فأتى بها. ثمّ قال: "يا بلال، ائت ببغلة رسول اللَّه بسرجها ولجامها"، فأتى بها. ثمّ قال: "يا عليّ، قم فاقبض هذا بشهادة مَن في البيت من المهاجرين والأنصار، كي لا يُنازِعُك فيه أحد من بعدي". قال: فقام عليّ عليه السلام حتّى استودع جميع ذلك في منزله، ثمّ رجع. [البحار ٢٢:٤٥٩].

اوصاه رسول اللَّه: "لا تفارقني حتّى تواريني في رمسي"

وفي المناقب: عن أحمد في مسنده، عن ابن عبّاس: لمّا مرض رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مرضه الّذي مات فيه قال: "ادعوا لي عليّاً". قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر؟ قالت حفصة: ندعو لك عمر؟ قالت أُمّ الفضل: ندعو لك العبّاس؟ فلمّا اجتمعوا رفع رأسه، فلم يرَ عليّاً عليه السلام فسكت، فقال عمر: قوموا عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. [المناقب لابن شهرآشوب ١:٢٣٦].

وفيه أيضاً: ومن طريق أهل البيت: "أنّ عائشة دعت أباها فأعرض عنه، ودعت حفصة أباها فأعرض عنه، ودعت أُمّ سلمة عليّاً فناجاه طويلاً، ثمّ أُغمي عليه، فجاء الحسين والحسين يصيحان ويبكيان حتّى وقعا على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأراد عليّ عليه السلام أن ينحّيهما عنه، فأفاق رسول اللَّه، ثمّ قال: "يا عليّ، دعهما أشمّهما ويشمّاني، وأتزوّد منهما ويتزوّدان منّي". ثمّ جذب عليّاً عليه السلام تحت ثوبه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه، فلمّا حضره الموت قال له: "ضع رأسي - يا عليّ - في حجرك، فقد جاء أمر اللَّه، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيديك، وامسح بها وجهك، ثمّ وجّهني القبلة، وتولّ أمري، وصلّ عليّ أوّل النّاس، ولا تفارقني حتّى تواريني في رمسي، واستعن باللَّه عزّ وجلّ".

وأخذ عليّ عليه السلام برأسه فوضعه في حجره وأُغمي عليه، فبكت فاطمة، فأومأ إليها بالدنوّ منه، فأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها "القصّة"، ثمّ قضى ومدّ أمير المؤمنين يده اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثمّ وجّهه ومدّ عليه إزاره، واستقبل بالنظر في أمره". [المصدر المتقدّم، والبحار ٢٢:٥٢١].

وعن ابن سعد بسنده عن الشعبي، قال: توفِّي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورأسه في حجر عليّ عليه السلام، وغسّله عليّ عليه السلام والفضل محتضنه، وأُسامة يناول الفضل الماء'. [الطبقات الكبرى ٢:٢٦٣].

بيان آخر في واقعة رحلة النبيّ وحضور عليّ عنده

ذكر الشيخ المفيد رحمه الله في فصل من كتابه "الإرشاد" ما أكّد لعليّ من الفضل وتخصّصه منه بجليل رتبته في حجّة الوداع وغير ذلك إلى أن قال: فأفاق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إفاقةً فافتقد عليّاً عليه السلام، فقال - وأزواجه حوله -: 'ادعوا لي أخي وصاحبي'، وعاوده الضعف، فأُصمِتَ، فقالت عائشة: ادعوا له أبا بكر، فَدُعِيَ فدخل عليه فَقعد عند رأسه فلما فتح عينه نظر إليه و أعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر، وقال: لو كان له إليَّ حاجةً لأفضى بها إليَّ. فلمّا خرج أعاد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله القول ثانية وقال: 'ادعوا لي أخي وصاحبي'. فقالت حفصة: ادعوا له عمر. فدعي، فلمّا حضر رآه النبيّ صلى الله عليه و آله فأعرض عنه، فانصرف.

ثمّ قال: 'ادعوا لي أخي وصاحبي'، فقالت أمّ سلمة "رضي اللَّه عنها": ادعوا له عليّاً عليه السلام، فإنّه لا يريد غيره، فَدُعِيَ أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا دنا منه أومأ إليه، فأكبّ عليه، فناجاه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله طويلاً، ثمّ قام فجلس ناحيةً حتّى أَغفي رسولُ اللَّه صلى الله عليه و آله. فقال له النّاس: ما الّذي أوعز إليك، يا أبا الحسن؟ فقال: 'علّمني ألف باب، فتح لي كلّ باب ألف باب، ووصّاني بما أنا قائم به إن شاء اللَّه'.

ثمّ ثَقُل صلى الله عليه و آله وحضره الموت وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده، فلمّا قَرُبَ خروج نفسه، قال له: 'ضع رأسي - يا عليّ - في حجرك، فقد جاء أمر اللَّه عزّ وجلّ، فإذا فاضت نفسي فَتَناوَلها بيدك، وامسح بها وَجهَك، ثمّ وجّهني إلى القبلة، وتولّ أمرى، وصلّ علَيّ أوّل النّاس، ولا تُفارقني حتّى تُوارِيَني في رمسي، واستعن باللَّه تعالى'.

فأخذ عليّ عليه السلام رأسَهُ فَوَضَعه في حِجره، فَأُغمِيَ عليه، فأكبَّتْ فاطمة عليهاالسلام تنظر في وجهه وتَندُبه وتَبكي، وتقول:

'وأبيض يُستَسْقَى الغَمامُ بوجهه*** ثِمالُ اليَتامى عِصمةٌ للأرامِلِ'

ففتح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عينيه وقال بصوت ضئيل: "يا بُنيّة، هذا قول عمّكِ أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: "وَمَا مُحمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ". فبكت طويلاً، فأوما إليها بالدنوّ منه، فدنت منه، فأسرّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها.

ثمّ قضى صلى الله عليه و آله ويدُ أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه صلى الله عليه و آله فيها، فرفعها إلى وجهة فَمَسَحَهُ بها، ثمّ وجّهه، وغمّضه، ومَدَّ عليه إزارَه، واشتغلَ بالنظر في أمره.

فجاءت الرواية أنّه قيل لفاطمة عليهاالسلام: ما الّذي أسرّ إليك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسرّى عنك به ما كنت عليه من الحزن والقلق بوفاته؟ قالت: "إنّه أخبرني أنّني أوّل أهل بيته لحوقاً به، وأنّه لن تطول المدّة بي بعده حتّى أُدركه، فسُرِّيَ ذلك عنّي.

ولمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام غسله صلى الله عليه و آله استدعى الفضل بن العبّاس، فأمره أن يُناوله الماء لغَسله بعد أن عَصَبَ عينيه، ثمّ شَقَّ قميصَه من قِبَلِ جَيبه حتّى بلغ به إلى سُرَّتِه، وتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، والفضل يعاطيه الماء ويُعينه عليه، فلمّا فَرَغَ مِن غَسله وتجهيزه تقدّم فَصَلّى عليه وحدَه، لم يَشركه معه أحدٌ في الصلاة عليه.

وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يُؤُمُّمهم في الصلاة عليه وأين يُدفَن؟ فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم: "إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إمامُنا حَيّاً وميتاً، فيدخل إليه فوجٌ فوجٌ منكم فيُصلُّون عليه بغير إمام وينصرفون، وإنّ اللَّه لم يَقبِض نبيّاً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإنّي دافنه في حجرته الّتي قُبِض فيها"، فسلّم القوم لذلك ورضوا به.

ولمّا صلّى المسلمون عليه، أنفذ العبّاسَ بن عبدالمطّلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجرّاح، وكان يَحفِر لأهل مكّة ويُضَرَّح [الضريح: الشنّ في وسط القبر واللحد في الجانب].

وكان ذلك عادة أهل مكّة، وأنفذ إلى زيد بن سهل، وكان يَحفِر لأهل المدينة ويَلحَد، فاستدعاهما، وقال: اللّهمّ خِر لنبيّك، فوجد أبو طلحة زيد بن سهل، وقيل له: احتفر لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فحفر له لحداً، ودخل أميرُ المؤمنين عليه السلام والعبّاس بن عبدالمطّلب والفضلُ بن العبّاس وأُسامةُ بن زيد ليتولّوا دفن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فنادت الأنصار من وراء البيت: يا عليّ، إنّا نُذكِّرك اللَّه وحقّنا اليوم من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يذهب، أدخل منّا رجلاً يكون لنا به حظّ من مُواراة رسول اللَّه

صلى الله عليه و آله. فقال عليه السلام: "ليدخل أوس بن خَوْليّ"، وكان بدريّاً فاضلاً من بني عوف من الخزرج.

فلمّا دخل قال له عليّ عليه السلام: "انزل القبر"، فنزل، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على يديه ودلاه في حفرته، فلمّا حصل في الأرض قال له: "اخرج"، فخرج ونزل عليّ عليه السلام القبر، فكشف به عن وجه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه، ثمّ وضع عليه اللّبن، وهال عليه التراب.

وكان ذلك في يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر، سنة إحدى عشرة من هجرته، وهو ابن ثلاث وستّين سنة.

ولم يحضر دفن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أكثرُ النّاس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاةُ عليه لذلك، إلى آخر الحديث. [إرشاد المفيد ١:١٨٩، ونحوه في الطبقات الكبرى ٢:٢٩١].

علي يُبلّغ النّاس أمر النبيّ

أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قبل وفاته بايام أمر عليّاً عليه السلام ان ينادي فى الناس بما هو لازم لهم رعايته.

ففي "البحار": عن السيّد ابن طاووس، عن الحسين بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام: "أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أمرني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أن اخرج فأُنادي في النّاس: ألا مَن ظلم أجيراً أجرُه فعليه لعنة اللّٰه، ألا مَن توالى غَير مُواليه فعليه لعنة اللّٰه، ألا ومَن سبّ أبويه فعليه لعنة اللّٰه.

قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "فخرجت فناديت في النّاس كما أمرني النبيّ صلى الله عليه و آله، فقال لي عمر بن الخطّاب: هل لما ناديت به من تفسير؟ فقلت: اللّٰه ورسوله أعلم.

قال: فقام عمر وجماعة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله فدخلوا عليه، فقال عمر: يا رسول اللّٰه، هل لما نادى عليّ من تفسير؟

قال: نعم، أمرته أن يُنادي: ألا مَن ظلم أجيراً أجرُه فعليه لعنة اللّٰه، واللّٰه يقول: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" [سورة الشورى: ٢٣].

فمن ظلمنا فعليه لعنة اللَّه. وأمرته أن ينادي من توالى غير مُواليه فعليه لعنةُ اللَّه، واللَّه يقول: 'النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ' [سورة الأحزاب: ٦].

ومن كنت مولاه فعليّ مولاه، فمن توالى غير عليّ فعليه لعنة اللَّه. وأمرته أن ينادي: مَن سبَّ أبويه فعليه لعنة اللَّه، وأنا أُشهد اللَّه وأُشهدكم أنّي وعليّاً أبوا المؤمنين، فَمَن سَبَّ أحدنا فعليه لعنة اللَّه.

فلمّا خرجوا قال عمر: يا أصحاب محمّد، ما آكد النبيّ لعليّ في الولاية في غدير خم ولا في غيره أشدّ من تأكيده في يومنا هذا.

قال خبّاب بن الأرت: كان هذا الحديث قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله بتسعة عشر يوماً'. [البحار ٢٢:٤٨٩].

تعليم رسول اللَّه عليّاً ألف ألف باب من العلم

في "الخصال": عن أُمّ سلمة زوجة النبيّ، قالت: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مرضه الّذي توفّي فيه: 'ادعوا لي خليلي'، فأرسلت عائشة إلى أبيها، فلمّا جاء غطّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وجهه، وقال: 'ادعوا لي خليلي'، فرجع أبو بكر. وبعثت حفصة إلى أبيها، فلمّا جاء غطّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وجهه، وقال: 'ادعوا لي خليلي'، فرجع عمر. وأرسلت فاطمة عليهاالسلام إلى عليّ عليه السلام، فلمّا جاء قام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فدخل، ثمّ جلّل عليّاً عليه السلام بثوبه، قال عليّ عليه السلام: 'فحدّثني بألف حديث، يفتح كلّ حديث ألف حديث، حتّى عرقتُ وعرق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسال علَيّ عرقه، وسال عليه عرقي'. [الخصال للصدوق ٢:٦٤٢، البحار ٢٢:٤٦٠].

وفيه أيضاً عن الأصبغ بن نباته، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: سمعته يقول: 'إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علّمني ألف باب من الحلال والحرام، وما كان إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب "فذلك ألف ألف باب" حتّى علمت علم المنايا والبلايا، وفصل الخطاب'. [المصادر المتقدّمة، وانظر: أُصول الكافي ١:٢٩٧].

دخول ملك الموت بيت رسول اللَّه بإذن عليّ

في "كشف الغمّة": عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'لمّا حضرت النبيّ صلى الله عليه و آله الوفاة استأذن عليه رجل، فخرج إليه عليّ عليه السلام فقال: ما حاجتك؟ قال: أُريد الدخول على رسول اللَّه صلى الله عليه

و آله. فقال عليّ عليه السلام: لست تصل إليه، فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنّه لا بدّ من الدخول عليه، فدخل عليّ عليه السلام فاستأذن النبيّ صلى الله عليه و آله، فأذن له، فدخل، فجلس عند رأس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: يا نبيّ اللَّه، إنّي رسول اللَّه إليك'. قال: وأيّ رسل اللَّه أنت؟ قال: أنا ملك الموت، أرسلني إليك نخيّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا.

فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: فأمهلني حتّى ينزل جبرئيل فاستشيره، ونزل جبرئيل، فقال: يا رسول اللَّه، الآخرة خير لك من الأُولى، ولسوف يعطيك ربّك فترضى، لقاءُ اللَّه خير لك. فقال صلى الله عليه و آله: لقاء ربّي خير لي، فامض لما أُمرت به. فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتّى أعرج إلى السماء وأهبط. قال ملك الموت: لقد صارت نفسه في موضع لا أقدر على تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: يا محمّد، هذا آخر هبوطي إلى الدنيا، إنّما كنت أنت حاجتي فيها'. [كشف الغمّة ١:٢٥].

وقد ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى حديث الموت ببيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، واستأذن منه صلى الله عليه و آله أن أقبض نفسه الشريفة، فأذن صلى الله عليه و آله لأن يقبض روحه، فراجعه بتفصيله. [الطبقات الكبرى ٢:٢٥٨].

اعانة الملائكة عليّاً على تغسيل رسول اللَّه

١- في "البحار" عن كتاب "الطرف" للسيّد عليّ بن طاووس، وكتاب "إيضاح الأنوار": بإسنادهما إلى كتاب "الوصيّة" لعيسى الضرير، عن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: 'قال لي أبي: قال عليّ عليه السلام: لمّا قرأت صحيفة وصيّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فإذا فيها: يا عليّ، غسّلني ولا يغسّلني غيرك.

قال: فقلت لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: بأبي أنت وأُمّي، أنا أقوى على غسلك وحدي؟ قال: بذا أمرني جبرئيل، وبذلك أمره اللَّه تبارك وتعالى.

قال: فقلت له: فإن لم أقوَ على غسلك وحدي فاستعن بغيري يكون معي؟ فقال جبرئيل: يا محمّد، قل لعليّ عليه السلام: إنّ ربّك يأمرك أن تغسّل ابن عمّك، فإنّها السنّة، لا يغسّل الأنبياء غير الأوصياء، وإنّما يُغسّل نبيّ وصيّه من بعده، وهي من حجج اللَّه لمحمّد على أُمّته فيها أجمعوا عليه من قطيعة ما أمرهم به، واعلم - يا عليّ - أنّ لك على غسلي أعواناً، نِعم الأعوان والإخوان. قال عليّ عليه السلام: فقلت: يا رسول اللَّه، مَن هم، بأبي أنت وأُمّي؟

فقال: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب الدنيا أعوان لك. [لا يخفى أنّه لا تهافت بين هذه الأخبار وما دلّ على حضور الفضل بن عبّاس وغيره للتجهيز؛ لأنّ الملائكة أعوان لعليّ عليه السلام في تجهيزه صلى الله عليه و آله في المقام المعنوي، ولتقوية روحه عليه السلام بخلاف ابن عبّاس وغيره، فإنّهم يعينوه على حسب الظاهر، واللَّه العالم].

قال عليّ عليه السلام: فخررت للَّه ساجداً، وقلت: الحمد للَّه الّذي جعل لي إخواناً وأعواناً هم أُمناء اللَّه.

ثمّ قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أمسك هذه الصحيفة الّتي كتبها القوم وشرطوا فيها الشروط على قطيعتك، وذهاب حقّك، وما قد أزمعوا عليه من الظلم تكون عندك لتوافيني بها غداً وتحاجّهم بها.

فقال عليّ عليه السلام: غسلت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنا وحدي، وهو في قميصه، فذهبت أنزع عنه القميص، فقال جبرئيل: يا عليّ، لا تجرّد أخاك من قميصه، فإنّ اللَّه لم يجرّده، وتأيّد في الغسل، فأنا أُشاركك في ابن عمّك بأمر اللَّه، فغسّلته بالروح والريحان والرحمة والملائكة الكرام الأبرار الأخيار، تبشّرني [في نسخة: 'تشير لي'].

وتمسك وأُكلّم ساعة بعد ساعة، ولا أُقلّب منه إلا قلّب لي، فلمّا فرغت من غسله وكفنه وضعته على سريره وخرجت كما أُمرتُ، فاجتمع له من الملائكة ما سدّ الخافقين، فصلّى عليه ربّه والملائكة الكرام المقرّبون، وحملة عرشه الكريم، وما سبّح للَّه ربّ العالمين، وأنفذت جميع ما أُمرت.

ثمّ واريته في قبره، فسمعت صارخاً يصرخ من خلفي: يا آل تيم، ويا آل عدي، ويا آل أُميّة، أنتم أئمّة تدعون إلى النّار، ويوم القيامة لا تنصرون، اصبروا آل محمّد تؤجروا، ولا تجزعوا فتوزروا 'مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ'. [سورة الشورى: ٢٠].

[البحار ٢٢:٥٤٦].

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي أنّه قال: فأتيت عليّاً عليه السلام وهو يغسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وقد كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أوصى عليّاً عليه السلام أن لا يلي غسله غيره، فقال: 'يا رسول اللَّه، من يعينني على ذلك؟'. فقال صلى الله عليه و آله: 'جبرئيل'، فكان عليّ عليه السلام لا يريد عضواً إلا قُلِّبَ له.

ثمّ قال سلمان: فلمّا غسله وحنّطه وكفّنه أدخلني وأدخل أبا ذرّ والمقداد وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فتقدّم عليّ عليه السلام وصّفنا خلفه، وصلّى عليه، وعائشة في الحجرة لا تعلم، قد أخذ اللّٰه ببصرها.

ثمّ أدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار، فكانوا يدخلون ويدعون ويخرجون حتّى لم يبق أحد شهد من المهاجرين والأنصار إلا صلّى عليه. [كتاب سليم بن قيس: ٢٩، ط. مؤسّسة البعثة، والبحار ٢٢:٥٠٦].

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى بسنده عن يزيد بن بلال، قال: قال عليّ عليه السلام: 'أوصى النبيّ صلى الله عليه و آله ألا يغسله أحدٌ غيري، فإنّه لا يرى أحدٌ عورتي إلا طُمِسَت عيناه'. قال عليّ عليه السلام: 'فكان الفضل وأسامة يناولاني الماءَ من وراء الستر وهما معصوبان العين'. قال عليّ عليه السلام: 'فما تناولتُ عضواً إلا كأنّما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً، حتّى فرغت من غسله'. [الطبقات الكبرى ٢:٢٧٨].

وفي "المناقب" عن "حلية الأولياء" و "تاريخ الطبري": أنّ عليّ بن أبي طالب كان يغسل النبيّ صلى الله عليه و آله، والفضل يصبّ الماء عليه، وجبرئيل يعينهما، وكان عليّ عليه السلام يقول: 'ما أطيبك حيّاً وميّتاً'. [المناقب لابن شهرآشوب ١:٢٣٨، والبحار ٢٢:٥٢٣].

كلامه في رثاء النبيّ

في "أمالي المفيد" بسنده عن عبداللّٰه بن عبّاس، قال: لمّا توفّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله تولّى غسله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والعبّاس معه والفضل بن العبّاس، فلمّا فرغ عليّ عليه السلام من غسله كشف الإزار عن وجهه، ثمّ قال: 'بأبي أنت وأُمّي، طبت حيّاً وطبت ميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوّة والإنباء، خصصت حتّى صرت مسلّياً عمّن سواك [خصصت، أي في المصيبة، أي اختصّت وامتازت في الشدّة بين المصائب، حتّى صار تذكّرها مسلياً عمّا سواها، وعمّت مصيبتك الأنام، بحيث لا يختصّ بها أحدٌ دون غيره].

وعممت حتّى صار النّاس فيك سواء، ولولا أنّك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون. بأبي أنت وأُمّي، اذكرنا عند ربّك، واجعلنا من همّك'، ثمّ أكبّ عليه فقبّل وجهه، ومدّ الإزار عليه. [أمالي المفيد رحمه الله: ١٠٢، المجلس الثاني عشر، ح ٤].

وفي الطبقات الكبرى بسنده عن عبدالله بن الحارث: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا قُبضَ النبيّ صلى الله عليه و آله قام فأرتَجَ البابَ، قال: فجاء العبّاس معه بنو عبدالمطّلب فقاموا على الباب، وجعل عليّ عليه السلام يقول: 'بأبي أنت وأُمّي، طبت حيّاً وميّتاً'. قال: وسقطت ريحٌ طيّبة لم يجدوا مثلها قطُّ، إلى آخر الحديث. [الطبقات الكبرى ٢:٢٨٠. وروى سعيد بن المسيّب نحوه. المصدر: ٢٨١، وانظر البداية والنهاية ٥:٢٢٨].

علي يكفّن جسده المطهّر

في "البحار" عن "فقه الرضا عليه السلام": روي أنّ عليّاً عليه السلام غسّل النبيّ صلى الله عليه و آله في قميص وكفّنه في ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين، وثوب حبرة يمنيّة، ولحّد له أبو طلحة، ثمّ خرج أبو طلحة ودخل عليّ القبر فبسط يده، فوضع النبيّ صلى الله عليه و آله فأدخله اللحد.

وقال: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا أن غسل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وفرغ من غسله، نظر في عينيه فرأى فيهما شيئاً، فانكبّ عليه، فأدخل لسانه فمسح ما كان فيهما، فقال: 'بأبي وأُمّي - يا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليك - طبت حيّاً وطبت ميّتاً'، قاله العالم عليه السلام، الحديث. [البحار ٢٢:٥١٦].

وروى ابن سعد في الطبقات، وابن كثير في نهايته أكثر من عشرة أحاديث عن عائشة: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كفّن في ثلاثة أثواب [الطبقات الكبرى ٢٨٧ - ٢:٢٨٤، والبداية و النهاية لابن كثير ٢٣١ - ٥: ٢٣٠].

ولكن لم يذكر في هذه الأحاديث المتواترة من كفّنه صلى الله عليه و آله، ونقول: وهل كفّنه غير عليّ عليه السلام؟

علي أوّل من صلّى على النبيّ وحدة، ثمّ صلّى النّاس عليه

عن المفيد في "الإرشاد": فلمّا فرغ عليّ عليه السلام من غسله صلى الله عليه و آله وتجهيزه تقدّم فصلّى عليه وحده، لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمّهم في الصلاة عليه، وأين يدفن؟ فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم: 'إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إمامُنا حيّاً وميّتاً، فيدخل عليه فوجٌ فوجٌ منكم فَيُصلّون عليه بغير إمام وينصرفون، وإنّ اللّٰه تعالى لم يقبض نبيّاً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإنّي دافنه في حُجرته الّتي قُبِضَ فيها'، فسلّم القوم لذلك

ورضوا به - إلى أن قال: - ولم يحضر دفن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أكثر النّاس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك. [إرشاد المفيد ١٨٩ - ١٨٧ :١، وانظر ينابيع المودّة للقندوزي: ٢٦٥].

وفي "المناقب": وقال أبو جعفر عليه السلام: 'قال النّاس: كيف الصلاة عليه؟ فقال عليّ عليه السلام: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إمام حيّاً وميّتاً، فدخل عليه عشرة عشرة فصلّوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلاثاء حتّى الصباح ويوم الثلاثاء حتّى صلّى عليه الأقرباء والخواصّ، ولم يحضر أهل السقيفة، وكان عليّ عليه السلام أنفذ إليهم بُريدة، وإنّما تمّت بيعتهم بعد دفنه. [المناقب لابن شهرآشوب ٢٣٩:١].

وفي "الكافي": وقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول في صحّته وسلامته: إنّما أُنزلت هذه الآية علَيّ في الصلاة بعد قبض اللّٰه لي: 'إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً'. [أُصول الكافي ٤٥١:١، و كذا المصدر المتقدّم، والآية من سورة الأحزاب: ٥٦].

وروى ابن سعد بسنده عن عليّ عليه السلام، قال: لمّا وُضِع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على السرير، قال عليّ عليه السلام: 'ألا يقوم عليه أحدٌ لعلّه يؤمّ، هو إمامكم حيّاً وميّتاً، فكان يدخل النّاس رسلاً رسلاً فيصلّون عليه صفّاً صفّاً ليس لهم إمام ويكبّرون، وعليّ عليه السلام قائم بحيال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: سلام عليك أيّها النبيّ ورحمة اللّٰه وبركاته...آخر الحديث'. [الطبقات الكبرى ٢٩١:٢].

مكان قبره وكيفيّة قبره

في "أُصول الكافي": بسنده عن عقبة بن بشير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، ادفنّي في هذا المكان، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورشّ عليه من الماء'. [أُصول الكافي ٤٥٠:١].

وفيه أيضاً: عن الحلبي، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: 'أتى العبّاس أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا عليّ، إنّ النّاس قد اجتمعوا أن يدفنوا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في بقيع المصلّى، وأن يؤمّهم رجلٌ منهم، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى النّاس فقال: يا أيّها النّاس، إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إمامٌ [وفي نسخة: 'إمامنا'].

حيّاً وميّتاً. وقال: إنّي أُدفن في البقعة الّتي أقبض فيها، ثمّ قام على الباب فصلّى عليه، ثمّ أمر النّاس عشرة عشرة يصلّون عليه ثمّ يخرجون'. [المصدر السابق: ٤٥١].

دفن عليّ جسده المطهّر في القبر

في "الطبقات الكبرى" بسنده عن عامر، قال: دخل قبر النبيّ صلى الله عليه و آله عليّ والفضل وأُسامة. [الطبقات الكبرى ٢:٣٠٠].

وروى بسنده عن يونس بن عبيد، عن عكرمة، وأيضاً عن ابن شهاب وأيضاً عن حارث التيمي، وأيضاً عن ابن عبّاس و... نحوه. [المصدر المتقدّم: ٣٠١].

وذكر المفيد رحمه الله أنّه لمّا صلّى المسلمون عليه صلى الله عليه و آله وتهيّأ القبر له، دخل أمير المؤمنين عليه السلام، والعبّاس بن عبدالمطّلب، والفضل بن العبّاس، وأُسامة بن زيد، ليتولّوا دفن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فنادت الأنصار من وراء البيت: يا عليّ، إنّا نذكّرك اللَّه وحقّنا اليوم من رسول اللَّه أن يذهب، أدخل منّا رجلاً يكون لنا به حظٌّ من مواراة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: "ليدخل أوس بن خوليّ"، وكان بدريّاً فاضلاً من بني عوف من الخزرج.

فلمّا دخل قال له عليّ عليه السلام: "انزل القبر"، فنزل ووضع أمير المؤمنين رسول اللَّه "صلوات اللَّه عليهما" على يديه ودلاه في حفرته، فلمّا حصل في الأرض قال له: "اخرج"، فخرج. ونزل عليّ عليه السلام القبر، فكشف عن وجه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه، ثمّ وضع عليه اللَّبن وأهال عليه التراب.

وكان ذلك في يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من هجرته، وهو ابن ثلاث وستّين سنة.

ثمّ قال: ولم يحضر دفن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أكثر النّاس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك [قد مرّ كلام المفيد الى هنا في عنوان: "بيان آخر في واقعة رحلة النبي صلى الله عليه و آله" في هذا الفصل].

وأصبحت فاطمة عليهاالسلام تنادي: "واسُوءَ صباحاه". فسمعها أبو بكر فقال لها: إنّ صباحك لصباح سوء؟!! إلى آخره. [إرشاد المفيد ١:١٨٨].

يوم الشورى و احتجاجه بتجهيز النبيّ

في "البحار" عن أبي ذرّ، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى: "هل فيكم أحدٌ غسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مع الملائكة المقرّبين بالروح والريحان، فقلّبه لي الملائكة وأنا أسمع قولهم، وهم يقولون: استروا عورة نبيّكم ستركم اللَّه، غيري؟"، قالوا: لا. قال: "فهل فيكم من كفّن رسول اللَّه صلى الله

عليه و آله ووضعه في حفرته، غيري؟"، قالوا: لا. قال: "فهل فيكم أحد بعث اللَّه عزّ وجلّ إليه بالتعزية حيث قُبض رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وفاطمة عليهاالسلام تبكيه؛ إذ سمعنا حسّاً على الباب، وقائلاً يقول نسمع صوته ولا نرى شخصه وهو يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللَّه وبركاته، ربّكم يقرئكم السلام، ويقول لكم: إنّ في اللَّه خَلَفاً من كلّ مصيبة، وعزاءً من كلّ هالك، ودركاً من كلّ فوت، فتعزّوا بعزاء اللَّه، واعلموا أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، أنا في البيت وفاطمة والحسن والحسين أربعة لا خامس لنا إلا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مسجّى بيننا، غيري؟"، قالوا: لا.

ثمّ قال: "فهل فيكم أحد أعطاه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حنوطاً من حنوط الجنّة، فقال: أقسم هذا أثلاثاً؛ ثلثاً حنّطني به، وثلثاً لابنتي، وثلثاً لك غيري؟"، قالوا: لا، الخبر. [البحار ٢٢:٥٤٣].

علي خليفة رسول اللَّه و وليّه و وصيّه و وارثه

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "إنّ لكلّ نبيّ وصيّاً ووارثاً، وإنّ عليّاً عليه السلام وصيّي ووارثي".

وقال ايضاً صلى الله عليه و آله: "أنا خاتم الأنبياء، وأنت - يا عليّ - خاتم الأوصياء إلى يوم الدين".

ينابيع المودّة للقندوزي: ٧٩، تاريخ دمشق - ترجمة الإمام

عليّ عليه السلام ٣:٥، ح ١٠٢١، فرائد السمطين ١:١٤٧، ح ١١٠

اعتقادنا واعتقاد أهل السنّة في أمر الخلافة والوصاية بعد رسول اللَّه

يعتقد اخواننا أهل السنّة أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يوص ولم يستخلف، بل فوّض الأمر إلى النّاس أنفسهم، ولذا أنّ النّاس بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله اجتمعوا في السقيفة وبعد تنازع المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة ومحاجّتهم ابتدر خمسة منهم، وهم: عمر بن الخطّاب، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأُسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي خديجة، فبايعوا أبا بكر، فانعقدت له الإمامة بذلك، ثمّ بايعه آخرون وهم يسمّون هذه البيعة بالشورى.

وفي صحيح مسلم، عن ابن عمر: أنّ أباه قال قبل وفاته: إنّي لئن لا استخلف فإنّ رسول اللَّه لم يستخلف، وإن استخلف فإنّ أبا بكر قد استخلف. [صحيح مسلم ٣:١٤٥٥ - كتاب الإمارة، ح ١٢].

ولكنّا - نحن الإماميّة - نعتقد أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله استخلف عليّاً عليه السلام وجعله وصيّه ووزيره ووارثه وحجّة اللَّه على خلقه بعده، وهذا التنصيب والجعل لم يكن مرّة واحدة، بل كان مرّات كثيرة

من بدءِ الرسالة وعلى مدى دعوته إلى حين وفاته صلى الله عليه و آله، والروايات في هذا الباب مستفيضة متواترة، وتؤيّد هذه الأخبار بقرائن قطعيّة، ومعضدة بشواهد كثيرة مقطوعة الصدور عن النبيّ صلى الله عليه و آله.

وممّا يؤيّد هذه الأخبار أنّ بدء دعوة الرسول صلى الله عليه و آله كان مقروناً بتعيين الوصيّ والخليفة له، وهو ما حدث في يوم الدار - يوم الإنذار و يوم العشيرة [على ما صرّح به القرآن: 'و انذر عشيرتك الأقربين'].

حين دعاهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلم يجبه أحد منهم مع تكرار الدعوة عليهم، إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه أجابه في كلّ مرّة، فأمّره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليهم، وقال: 'هذا وليّي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا'.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. [راجع: تاريخ الطبري ٢:٢١٧، الكامل في التاريخ ٦٤ - ٦٢ :٢، السيرة الحلبيّة ١:٤٦١، معالم التنزيل للبغوي ٤:٢٧٨، شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢١٠، كنز العمّال ١٣:١٣١ ح ٣٦٤٦٩].

ويؤيّد هذه الأخبار أيضاً ما ورد في قصّة الغدير وما بها من الشواهد الكثيرة على أنّ اللَّه تبارك وتعالى قد أعلمه بدنوّ أجله صلى الله عليه و آله، وأنّه لا بدّ له من أن يجدّد على أُمّته عهد وصيّه وخليفته، وأنزل عليه: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ' [سورة المائدة: ٦٧].

وقد امتثل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ما أمره اللَّه تعالى، فنصب عليّاً عليه السلام خليفة له ووصيّاً ووارثاً. [ذكرنا هذا الحديث مع ما معه من البحث المستوفي في فصل "عليّ عليه السلام يوم الغدير"، ولا نكرّره هنا لكفاية البحث هناك، فلاحظ].

وممّا يؤيّد هذه الأخبار حديث الطير، وحديث الراية، وحديث المنزلة، و آية الولاية، وغير ذلك ممّا ذكرناه في فصول مستقلّة، فراجع كتابنا ينطق بالحقّ على خلافته عليه السلام لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ووصايته، وإنّه وارثه وحجّة اللَّه على خلقه.

قول ابن أبي الحديد في خلافة عليّ

وقبل الورود في نقل الأحاديث في هذا المقام، نشير إلى ما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "ألا أُدلّكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا، ا نّ وليّكم اللّٰه، وإنّ إمامكم عليّ بن أبي طالب، فناصحوه وصدّقوه، فإنّ جبرئيل أخبرني بذلك".

قال ابن أبي الحديد عقيب هذا الحديث: هذا نصّ صريح في الإمامة، فما الّذي تصنع المعتزلة بذلك؟

قال هو في جوابه: قلت: يجوز أن يُريد أنّه عليه السلام إمامهم في الفتاوى والأحكام الشرعيّة لا في الخلافة، انتهى كلامه. [شرح ابن أبي الحديد ٣:٩٨].

أقول: بعد اعترافه بأنّ الحديث نصّ صريح في الإمامة، فكيف يتمحّل التأويل؟! مع أنّ تأويله هذا هو عين المراد من الإمام؛ إذ الإمام هو المرجع الديني والسياسي معاً، لا المرجع الديني فقط، فقوله: إنّ عليّاً عليه السلام هو الإمام في الفتاوى فقط، واضح البطلان، وينافي قوله صلى الله عليه و آله مخاطباً لعليّ عليه السلام: "لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوّة، فإن لا تكن نبيّاً فإنّك وصيّ نبيٍّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء، وإمام الأتقياء" [المصدر المتقدّم ١٣:٢١٠].

فهذا التعبير عامّ شامل لجميع مناصب النبوّة للإمام عليّ عليه السلام، إلا النبوّة المستثناة في الحديث. [سيأتيك توضيح أكثر وببيان آخر في فصل "عليّ عليه السلام والإمامة والحكومة"].

إليك مّا نصّ عليه نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله على خلافة عليّ عليه السلام ووصايته:

استخلاف عليّ

قال ابن أبي الحديد في شرحه: وأمّا خبر الوزارة، فقد ذكره الطبري في تأريخه، عن عبداللّٰه بن عبّاس، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: "لمّا نزلت هذه الآية "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" [سورة الشعراء: ٢١٤].

على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله دعاني، فقال: "يا عليّ، إنّ اللّٰه أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعلمت أنّي متى أُنادهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُ حتّى جائني جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد، إنّك إن لم تفعل ما أُمِرتَ به يُعذِّبك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجل شاةٍ، واملأ لنا عُسّاً من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبدالمطّلب حتّى أُكلّمهم، وأُبلِّغهم ما أُمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعا بالطعام الّذي صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بضعة من اللحم فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي

الصحفة، ثمّ قال: كلوا باسم اللَّه، فأكلوا حتّى ما لهم إلى شيء من حاجة. أيم اللَّه الّذي نفس عليّ بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم، ثمّ قال: اسق القوم يا عليّ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعاً، وأيم اللَّه إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلمّا أراد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يكلّمهم بَدَره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لَشدَّ ما سحَرَكم صاحبُكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

فقال من الغد: يا عليّ، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعد لنا اليوم مثل ما صنعت بالأمس، ثمّ اجمعهم لي. ففعلت ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس...، ثمّ تكلّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: يا بني عبدالمطّلب، إنّي واللَّه ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللَّه أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يوازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا - وإنّي لأحدَثهم سنّاً وأرمصُهم [الرمص في العين كالعمص: كناية عن صغر سنّه].

عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمَشُهم [حمش الساقين: دقيقهما].

ساقاً -: أنا يا رسول اللَّه أكون وزيرك عليه، فأعاد القول، فأمسكوا وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي، ثمّ قال لهم: هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع'. [شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠. وقد ذكرنا شرح الحديث في فصل "عليّ عليه السلام يوم الإنذار" في المجلّد الأوّل، فراجعه].

استخلافه في قصّة انقضاض الكوكب في داره

١- روى ابن المغازلي الشافعي: بسنده عن ثابت، عن أنس، قال: انقضّ كوكبٌ على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'انظروا إلى هذا الكوكب، فَمَنِ انقضّ في داره فهو الخليفة من بعدي'. فنظروا فإذا هو قد انقضّ في منزل عليّ عليه السلام، فأنزل اللَّه تعالى: 'وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى'. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٦٦، ح ٣١٣، والآيات ٤ - ١ من سورة النجم].

٢- وعنه أيضاً: بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: كنت جالساً مع فتيةٍ من بني هاشم عند النبيّ صلى الله عليه و آله إذ انقضّ كوكبٌ، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'مَن انقضّ هذا النجم في

منزله فهو الوصيّ من بعدي'. فقام فتيةٌ من بني هاشم، فنظروا فإذا الكوكب قد انقضّ في منزل عليّ عليه السلام، قالوا: يا رسول اللّٰه، قد غَوِيَتَ في حُبّ عليّ، فأنزل اللّٰه تعالى: 'وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى' إلى قوله: 'وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى'. [المصدر المتقدّم: ٣١٠، ح ٣٥٣].

٣- وأخرج العلامة الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه بإسناده إلى جابر بن عبداللّٰه الأنصاري أنّه قال: اجتمع أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليلة في العام الّذي فتح مكّة وقالوا: يا رسول اللّٰه، من شأن الأنبياء إذا استقام أمرهم أن يوصوا إلى وصيّ أو مَن يقوم مقامه بعده، ويأمره بأمره، ويسير في الأُمّة بسيرته؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'قد وعدني ربّي بذلك أن يبيّن لي ربّي عزّ وجلّ مَن يختاره للأُمّة بعدي، ومَن هو الخليفة على الأُمّة بأنّه ينزل من السماء ليعلموا أنّه الوصيّ بعدي'.

قال: فلمّا صلّى بهم صلاة العشاء الآخرة في تلك الساعة ونظروا النّاس السماء لينظروا ما يكون، وكانت ليلة مظلمة لا قمر فيها، وإذا بضوء عظيم قد أضاء المشرق والمغرب، وقد نزل نجمٌ من السماء إلى الأرض، وجعل يدور على الدور حتّى وقف على حجرة عليّ بن أبي طالب، وله شعاع هائل، وقد أظلّ شعاعه الدور، وقد فزع النّاس وصار على الحجرة. قال: فجعل النّاس يكبّرون ويهلّلون، وقالوا: يا رسول اللّٰه، نجمٌ قد نزل من السماء على ذروة حجرة عليّ بن أبي طالب، قال: 'هو واللّٰه الإمام من بعدي، والوصيّ القائم بأمري، فأطيعوه ولا تخالفوه، وقدّموه ولا تتقدّموه، فهو خليفة اللّٰه في أرضه من بعدي'. قال: فخرج النّاس من عند رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال واحد من المنافقين: ما نقول فيما يقول في ابن عمّه إلا بالهوى، وقد ركبته الغواية فيه حتّى لو تمكّن أن يجعله نبيّاً لفعل. قال: فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد، ربّك يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ 'بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى'. [إحقاق الحقّ: ٨٤، نقلاً عن درّ بحر المناقب: ١٩، مخطوط، و ص٣٥٣ نقلاً عن ميزان الاعتدال ١:٣٣٦ وغيره].

مناجاة النبيّ إيّاه، وإخباره بما هو كائن إلى يوم القيامة

أخرج جمع من العامّة منهم الخوارزمي، عن عليّ بن محمّد بن المنكدر، عن أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه و آله - وكانت من ألطف نسائه، وأشدّهنّ له حبّاً - قال: وكان لها مولى يحضنها [في نسخة: 'يحصنها' بالصاد].

وربّاها، وكان لا يصلّي صلاةً إلا سبّ عليّاً عليه السلام وشتمه، فقالت له: يا أبتاه، ما حملك على سبّ عليّ؟ قال: لأنّه قتل عثمان وشرك في دمه!! قالت له: لولا أنّك مولاي وربيّتني وأنّك عندي بمنزلة والدي

ما حدّثتك بسرّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ولكن اجلس حتّى أحدّثك عن عليّ وما رأيته في حقّه. قالت: قد أقبل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - وكان يومي، وإنّما نصيبي "منه" في تسعة أيّام يوماً واحداً - فدخل وهو متخلّل أصابعه في أصابع عليّ، واضعاً يده عليه، فقال: يا أُمّ سلمة، اخرجي عن البيت واخليه لنا'، فخرجت، فأقبلا يتناجيان وأنا أسمع الكلام، ولا أدري ما يقولان حتّى إذا قلت: قد انتصف النهار، فأقبلت فقلت: السلام عليك يا رسول اللّٰه، ألج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: لا تلجي وارجعي مكانك'.

ثمّ تناجيا طويلاً حتّى قام عمود الظهر، فقلت: ذهب يومي وشغله عليّ، فأقبلت أمشي حتّى وقفت على الباب فقلت: السلام عليكم، ألج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'لا تلجي'، فرجعت فجلست حتّى إذا قلت: قد زالت الشمس الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، ولم أرَ قطّ يوماً أطول منه، فأقبلت أمشي حتّى وقفت "على الباب" وقلت: السلام عليكم، ألج؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'نعم'، فدخلت وعليّ واضع يده على ركبة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قد أدنى فاه من أُذن النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: 'نعم'، فدخلت وفم النبيّ صلى الله عليه و آله على أُذن عليّ يتسارّان، وعليّ معرض وجهه حتّى دخلت. فخرج، فأخذني النبيّ صلى الله عليه و آله في حجره، فأصاب منّي ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار، ثمّ قال: 'يا أُمّ سلمة، لا تلوميني، فإنّ جبرئيل أتاني من اللّٰه بما هو كائن بعدي، وأمرني أن أُوصي به عليّاً من بعدي، وكنت بين جبرئيل وبين عليّ، جبرئيل عن يميني وعليّ عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر عليّاً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني، إنّ اللّٰه عزّ وجلّ اختار من كلّ أُمّة نبيّاً، ولكلّ نبيّ وصيّاً، فأنا نبيّ هذه الأُمّة، وعليّ وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي من بعدي'.

فهذا ما شهدت من عليّ الآن. يا أبتاه، فسبّه أو دعه، فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار يقول: اللّهمّ اغفر لي من أمر عليّ عليه السلام، فإنّ وليّي وليّ عليّ، وعدوّي عدوّ عليّ، فتاب المولى توبة نصوحاً، وأقبل فيما بقي من دهره يدعو اللّٰه تعالى أن يغفر له. [المناقب للخوارزمي: ١٤٧، وفرائد السمطين ١: ٢٧٠، باب ٥٢ ح ٢٢٢].

سلام الخضر على عليّ بخليفة رسول اللّٰه

في "عيون أخبار الرضا عليه السلام" بسنده عن عليّ عليه السلام قال: 'بينا أنا أمشي مع النبيّ صلى الله عليه و آله في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طوال، كثّ اللحيّة، بعيد ما بين المنكبين، فسلّم على

النبيّ صلى الله عليه و آله ورحّب به، ثمّ التفت إليَّ، فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة اللَّه وبركاته، أليس كذلك هو يا رسول اللَّه؟ فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: بلى. ثمّ مضى، فقلت: يا رسول اللَّه، ما هذا الّذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد للَّه، إنّ اللَّه عزّ وجلّ قال في كتابه: 'إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً' [سورة البقرة: ٣٠].

والخليفة المجعول فيها آدم، وقال عزّ وجلّ: 'يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ' [سورة ص: ٢٦].

فهو الثاني، وقال عزّ وجلّ حكاية عن موسى عليه السلام حين قال لهارون: 'اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ' [سورة الأعراف: ١٤٢].

فهو هارون إذ استخلفه موسى عليه السلام في قومه فهو الثالث؛ وقال عزّ وجلّ: 'وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ' [سورة التوبة: ٣].

فكنت أنت المبلّغ عن اللَّه عزّ وجلّ وعن رسوله وأنت وصيّي ووزيري وقاضي ديني والمؤدّي عنّي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلّم عليك الشيخ، أوَلا تدري مَن هو؟ قلت: لا. قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم'. [عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:٩، ح ٢٣، والعوالم: ٣٠٩، والبحار ٣٦:٤١٧].

قوله: 'من أحبّ أن يركب سفينة النجاة بعدي فليقتدِ بعليّ'

في "فرائد السمطين" بسنده عن الحسين بن خالد [وفي نسخة: 'عن الحسن بن خالد'].

عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، قال: 'قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مَن أحبّ أن يستمسك بديني، ويركب سفينة النجاة بعدي، فليقتد بعليّ بن أبي طالب، وليعاد عدوّه، وليوال وليّه، فإنّه وصيّي وخليفتي على أُمّتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كلّ مسلم وأمير كلّ مؤمن بعدي، قوله قولي، وأمره أمري، ونهيه نهي، وتابعه تابعي، وناصره ناصري، وخاذله خاذلي.

ثمّ قال: مَن فارق عليّاً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف عليّاً حرّم اللَّه عليه الجنّة وجعل مأواه النّار، ومن خذل عليّاً خذله اللَّه يوم يعرض عليه، ومن نصر عليّاً نصره اللَّه يوم يلقاه ولقّنه حجّته عند المسألة.

ثمّ قال: والحسن والحسين إماما أُمّتي بعد أبيهما، وسيّدا شباب أهل الجنّة، وأُمّهما سيّدة نساء العالمين، وأبوهما سيّد الوصيّين، ومن ولد الحسين تسعة أئمّة تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم

معصيتي، إلى اللّه أشكو المنكرين لفضلهم، والمضيّعين لحرمتهم بعدي، وكفى باللّه وليّاً وناصراً لعترتي وأئمّة أُمّتي، ومنتقماً من الجاحدين حقّهم "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ". [فرائد السمطين ١: ٥٤، ح ١٩، والآية ٢٢٧ من سورة الشعراء].

ينادي رسول اللّه في ليلة المعراج بأنّ عليّاً وصيّه

عن محمّد بن إبراهيم النعماني: بسنده عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، عن سالم بن عبداللّه بن عمر، عن أبيه عبداللّه بن عمر بن الخطّاب، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّه عزّ وجلّ أوحى إليَّ ليلة أُسري بي: يا محمّد، مَن خلّفتَ في الأرض في أُمّتك؟ - وهو أعلم بذلك -. قلتُ: يا ربّ أخي. قال: يا محمّد، عليّ بن أبي طالب؟ قلتُ: نعم، يا ربّ. قال: يا محمّد، إنّي اطّلعتُ إلى الأرض اطلاعةً فَاخترتُك منها فلا أذكر حتّى تُذكر معي، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمّ إنّي اطّلعتُ إلى الأرض اطلاعةً أُخرى فاخترتُ منها عليّ بن أبي طالب، فجعلتُه وصيّكَ، فأنتَ سيّد الأنبياء، وعليّ سيّد الأوصياء، ثمّ شققتُ له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ. يا محمّد، إنّي خلقتُ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من نور واحد، ثمّ عرضت ولايتهم على الملائكة، فمَن قبلها كان من المقرّبين، ومن جحدها كان من الكافرين. يا محمّد، لو أنّ عبداً من عبادي عبدني حتّى ينقطع، ثمّ لقيني جاحداً لوِلايتهم أدخلتُه ناري. ثمّ قال: يا محمّد، أتحبّ أن تراهم؟ فقلت: نعم. فقال: تقدّم أمامك، فتقدّمتُ فإذا عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والحجّة القائم، كأنّه الكوكب الدريّ في وسطهم. فقلت: يا ربّ، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمّة، وهذا القائم محلّلُ حلالي، ومحرّمُ حرامي، وينتقم من أعدائي. يا محمّد، أحببه، فإنّي أُحبّه، وأُحبُّ مَن يحبّه". [الغيبة للنعماني: ٩٣، الباب الرابع، ح ٢٤].

قوله: أمرني ربّي أن أُقيم لكم عليّاً علماً وإماماً وخليفة

روى الصدوق بسنده عن عبداللّه بن عبّاس، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "معاشر النّاس، من أحسن من اللّه قيلاً، وأصدق من اللّه حديثاً، إنّ ربّكم جلّ جلاله أمرني أن أُقيم لكم عليّاً علماً وإماماً وخليفة ووصيّاً، وأن اتّخذه أخاً ووزيراً. معاشر النّاس، إنّ عليّاً باب الهدى بعدي، والدّاعي إلى ربّي، وهو صالح المؤمنين، ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً، وقال: إنّني من المسلمين.

معاشر النّاس، إنّ عليّاً منّي، ولده ولدي، وهو زوج حبيبتي، أمره أمري، ونهيه نهيي. معاشر النّاس، عليكم بطاعته، واجتناب معصيته، فإنّ طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي. معاشر النّاس، إنّ عليّاً صدّيق هذه الأُمّة وفاروقها ومحدّثها...'.

إلى أن قال: 'معاشر النّاس، إنّه محنة الورى، والحجّة العظمى، والآية الكبرى، وإمام أهل الدنيا، والعروة الوثقى. معاشر النّاس، إنّ عليّاً قسيم النّار، لا يدخل النّار وليٌّ له، ولا ينجو منها عدوّ له، إنّه قسيم الجنّة لا يدخلها عدوّ له، ولا يزحزح عنها وليّ له.

معاشر النّاس، قد نصحت لكم، وبلّغتكم رسالة ربّي، ولكن لا تحبّون الناصحين، أقول قولي هذا واستغفر اللّه لي ولكم'. [أمالي الصدوق - المجلس الثامن: ح ٤].

فرح جبرئيل بوصاية عليّ بن أبي طالب

روى الخوارزمي بسنده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "نزل جبرئيل صبيحة يوم فرحاً مسروراً مستبشراً، فقلت: حبيبي، ما لي أراك فرحاً مستبشراً؟ فقال: يا محمّد، وكيف لا أكون فرحاً مستبشراً وقد قرّت عيني بما أكرم اللّه أخاك ووصيّك وإمام أُمّتك عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقلت: وبم أكرم اللّه أخي وإمام أُمّتي؟ قال: باهى "اللّه سبحانه وتعالى" بعبادته البارحة ملائكته وحملة عرشه، وقال: ملائكتي، انظروا إلى حجّتي في أرضي على عبادي بعد نبيّي، فقد عفّر خدّه في التراب تواضعاً لعظمتي، أُشهدكم أنّه إمام خلقي ومولى بريّتي'. [المناقب للخوارزمي، ينابيع المودّة ١:٧٧، الباب ١٥، غاية المرام: ٢٩، الباب ١٠ من المقصد الأوّل ح ٤، إحقاق الحقّ ٤:٩٣].

نداء رسول اللّه في مسجد قبا أنّ عليّاً هو أخي ووصيّي

روى الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: 'دخلت على رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو في قبا وعنده نفر من أصحابه، فلمّا بصر بي تهلّل وجهه وتبسّم حتّى نظرت إلى بياض أسنانه تبرق، ثمّ قال: إليّ يا عليّ، إليَّ يا عليّ، فما زال يدنيني حتّى ألصق فخذي بفخذه، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: معاشر أصحابي، أقبلت إليكم الرحمة، بإقبال عليّ أخي إليكم. معاشر أصحابي، إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ، روحه من روحي، وطينته من طينتي، وهو أخي ووصيّي وخليفتي على أُمّتي في

حياتي وبعد موتي، مَن أطاعه أطاعني، ومن وافقه وافقني، ومَن خالفه خالفني'. [أمالي الصدوق - المجلس التاسع: ح ١٠].

سؤال سلمان مَن وصيّ رسول اللَّه؟

روى الصدوق أيضاً بسنده عن سلمان الفارسي، قال: سألت رسول اللَّه: مَن وصيّك من أُمّتك، فإنّه لم يبعث نبيّ إلا كان له وصيّ من أُمّته؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'لم يُبيّن لي بعد'، فمكثت ما شاء أن أمكث، ثمّ دخلت المسجد فناداني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: 'يا سلمان، سألتني عن وصيّي من أُمّتي، فهلْ تَدري مَن كان وصيّ موسى من أُمّته؟'. فقلت: كان وصيّه يوشع بن نون فتاه. قال: 'فهل تدري لِمَ كان أوصى إليه؟'. فقلتُ: اللَّهُ ورسولُه أعلم. قال: 'أوصى إليه لأنّه كان أعلم أُمّته بعدَه، ووصيّي وأعلمُ أُمّتي بعدي عليّ بن أبي طالب'. [المصدر المتقدّم - المجلس الرابع: ح ١].

وفي "ينابيع المودّة": عن مسند أحمد بن حنبل، بسنده عن أنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: سل النبيّ صلى الله عليه و آله عن وَصيّهُ؟ فقال له سلمان: يا رسول اللَّه، مَن وصيّك؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'يا سلمان، مَن وصيُّ موسى؟'. فقال: يوشع بن نون. قال: رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'وصيّي ووارثي يقضي ديني، وينجز موعدي، عليّ بن أبي طالب'. [غاية المرام: ١٥٢، الباب ٢٢ من المقصد الأوّل، ح ١].

وروى ابن شهرآشوب بالإسناد عن أنس وسلمان، كليهما عن النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا سلمان، سألتني من وصيّي من أُمّتي، فهل تدري لمن كان أوصى إليه موسى؟'. قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: 'أوصى إلى يوشع لأنّه كان أعلم أُمّته، ووصيّي وأعلم أُمّتي بعدي عليّ بن أبي طالب'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٤٧، والبحار ١:٣٨].

احتجاجه في الشورى

في "غاية المرام": عن الطبري، بإسناده عن أبي الطفيل أنّه قال عليه السلام لأصحاب الشورى: 'أُناشدكم اللَّه، هل تعلمون أنّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وصيّاً غيري؟'. قالوا: اللّهمّ لا. [غاية المرام: ٦٨، الباب ٢٢، المقصد الأوّل، ح ٦٩].

اليك نبذة من الأخبار الأُخر

وقد ورد من طرق العامّة "٧٠" حديثاً، ومن الخاصّة "١١٠" حديثاً على ما رواه المحدّث البحراني رحمه الله في غاية المرام على أنّ عليّاً عليه السلام خليفة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ووصيّه ووارثه، ونذكر فيما يلي بعضها من هذا الكتاب ومن غيره لتتميم الفائدة.

١ - روى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن مطر بن أبي مطر، عن أنس، قال: كنت عند النبيّ صلى الله عليه و آله فرآى عليّاً مقبلاً فقال: "أنا وهذا حجّة على اُمّتي يوم القيامة". [المناقب لابن المغازلي: ٤٥، ح ٦٧].

٢ - وروى البحراني عن الصدوق بسنده عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّ عليّاً وصيّي وخليفتي، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين ابنتي، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ولداي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن ناوأهم فقد ناوأني، ومن جفاهم فقد جفاني، ومَن برّهم فقد برّني، وصلَ اللّٰهُ من وصلهم، وقطع من قطعهم، ونصر من أعانهم، وخذل من خذلهم. اللّهمّ مَن كان له من أنبيائك ثقل وأهل بيت، فعليّ وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي، فَأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً". [غاية المرام: ٧٢، الباب ١٥ من المقصد الأوّل، ح ٣].

٣ - وعن ابن عساكر الشافعي: عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ عليّاً وصيّي ووارثي". [تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ٣:٥، ح ١٠٢٢].

٤ - وروى المجلسي عن أبي ذرّ، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لا تضادّوا بعليّ أحداً فتكفروا، ولا تفضّلوا عليه أحداً فترتدّوا". [البحار ٣٨:١٤].

٥ - وعن الجويني بسنده عن سعيد بن جبير، عن عبداللّٰه بن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج اللّٰه على الخلق بعدي الاثنى عشر أوّلهم أخي وآخرهم ولدي". قيل: يا رسول اللّٰه، ومَن أخوك؟ قال صلى الله عليه و آله: "عليّ بن أبي طالب". قيل: فمَن ولدك؟ قال صلى الله عليه و آله: "المهديّ الّذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والّذي بعثني بالحقّ بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل اللّٰه ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي، ينزل روح اللّٰه عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب". [غاية المرام: ٢٨، الباب ١٠ من المقصد الأوّل، ح ٨].

٦ - وروى الكليني بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: سمعته يقول: "لمّا أن قضى محمّدٌ نبوّته، واستكمل أيّامه أوحى اللّٰه تعالى إليه: أنّ يا محمّد، قد قضيتَ نبوّتك واستكملت أيّامك، فاجعل العلم الّذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوّة في أهل بيتك عند عليّ بن أبي طالب، فإنّي لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة من العقب من ذرّيّتك كما لم أقطعها من ذرّيّات الأنبياء". [الكافي ١:٢٩٢، كتاب الحجّة - باب النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، الديث ٢].

فيما قيل من الشعر في أنّه وصيّ رسول اللّٰه

أفرد ابن أبي الحديد لذلك فصلاً بعنوان: ما ورد في وصاية عليّ من الشعر، ذكر فيه أربع وعشرين قصيدة شعريّة كلّها تنتمي إلى جيل الصحابة، ممّا يدلّ على عمق وجود هذه اللفظة في التاريخ الإسلامي، ثمّ قال ابن أبي الحديد بعد إيرادها: والأشعار الّتي تتضمّن هذه اللفظة كثيرة جدّاً، ولكنّا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل في هذين الحربين - أراد الجمل وصفّين - فأمّا ما عداهما فإنّه يجلّ عن الحصر، ويعظم عن الإحصاء والعدّ، ولولا خوف الملالة والإضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة، انتهى.

ومن جملة الأشعار الّتي أوردها في هذا المقام قول عبداللّٰه بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب:

ومنّا عليّ ذاك صاحب خيبر*** وصاحب بدرٍ يوم سالت كتائبه

وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه*** فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال عبدالرحمن بن الحنبل [في المصدر: 'بن جعيل'، راجع: الإصابة ٤:١٥٥].

وهو صحابي استشهد في صفّين:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظةٍ*** على الدين معروف العفاف موفّقا

عليّاً وصيّ المصطفى وابن عمّه*** وأوّل من صلّى أخا الدين والتُّقى

وقال أبو الهيثم بن التيهان، وكان بدرياً:

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا*** نحن الّذين شعارنا الأنصارُ

إنّ الوصيّ إمامنا ووليّنا*** بَرَح الخفاءُ وباحتِ الأسرارُ

وقال حُجر بن عدي الكندي، وهو صحابي:

يا ربّنا سلّم لنا عليّاً*** سلّم لنا المبارك المضيّا

المؤمن الموحّد التقيا*** لا خطل الرأي ولا غويّا

بل هادياً موفّقاً مهدياً*** واحفظه ربّي واحفظ النبيّا

فيه فقد كان له وليّاً*** ثمّ ارتضاه بعده وصيّا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وكان بدريّاً:

فادْعُها تستجب فليس من الخز*** رج والأوس يا عليّ جبانُ

يا وصيّ النبيّ قد أجْلَتِ الحر*** ب الأعادي وسارت الأضغانُ [راجع: شرح ابن أبي الحديد ١:١٤٣].

وقال عقبة بن أبي لهب يخاطب عائشة:

أعايش خلّى عن عليّ وعتبة*** بما ليس فيه إنّما أنت والده

وصيّ رسول اللّٰه من دون أهله*** فأنت على ما كان مِن ذاك شاهده

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٥٠].

وأنشأ الحميري:

وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه*** وأوّل من صلّى لذي العزّة العالي

وناصره في كلّ يوم كريهة*** إذا كان يوم ذو هرير وزلزالِ

[المصدر المتقدّم].

وأنشأ جرير بن عبداللّٰه البجلي:

عليّ وصيّ له بعده*** خليفتنا القائم المنتقم

له الفضل والسبق والمكرمات*** وبيت النبوّة والمدعم

[المصدر المتقدّم: ٥١].

النتيجة المستفادة من الأخبار

قد ظهر من أخبار هذا الباب أنّه عليه السلام وصيّ النبيّ صلى الله عليه و آله، وسيّد الأوصياء، وأكثرها مصرّحة بأنّ المراد بالوصاية الخلافة العظمى، وسائرها تدلّ على مزية توجب تقديمه على غيره؛ إذ تبيّن أنّه خير البشر، وهو مخصّص بالرسول صلى الله عليه و آله بالإجماع، فبقي غيره من سائر الخلق داخلاً تحت البشر، فيثبت فضله عليهم، وهذه درجة أرفع من الخلافة والإمامة.

وتبيّن من سائر الأخبار أنّه أفضل من جميع الصحابة وجميع الأُمّة، والعقل الصحيح يمنع تقديم غير الأفضل على الأفضل، وأكثر الأخبار الواردة في الباب مشتملة على ما يدلّ على الإمامة بعضها تصريحاً وبعضها تلويحاً، والخوض فيها يوجب طول الكلام. [اقتباس عن البحار ٣٧:٢٠].

من ألقابه أمير المؤمنين

عن بريدة، قال: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أمرهم أن يسلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المومنين، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول اللّٰه، أمِن اللّٰه أم من رسوله؟ فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "بل من اللّٰه ورسوله". البحار ٣٧:٣٠٤

نظرة في تسمية عليّ بأمير المؤمنين

اعلم أنّ هناك روايات وأخبار كثيرة عن النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام بلغت حدّ التواتر المعنويّ على أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد سمّي بأمير المؤمنين في عهد النبيّ صلى الله عليه و آله، بل يفهم من بعضها أنّه سمّي بذلك اللقب قبل خلق آدم من قِبل اللَّه تعالى.

وقد روي في "غاية المرام" في هذا المعنى اثنتين وأربعين حديثاً من طريق العامّة، وثمانية وثلاثين حديثاً من طريق الخاصّة. وعلى هذا فإنّ تسميته عليه السلام بذلك لم تُستحدث له أيّام خلافته، ولا كانت من شخص الرسول صلى الله عليه و آله؛ لأنّه عليه السلام صهره وابن عمّه، بل إنّ هذا اللقب كان من عند اللَّه تعالى، وقد أبلغه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ويعدّ من فضائله عليه السلام ومناقبه.

ومن تلك الأخبار - كما سيأتي بعضها إن شاء اللَّه - يظهر ضعف إيراد ابن أبي الحديد المعتزلي "شارح نهج البلاغة" حيث قال: وتزعم الشيعة أنّه خوطب في حياة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بأمير المؤمنين، خاطبه بذلك جملة من المهاجرين والأنصار، ولم يثبت ذلك في أخبار المحدثين.

وضعفه ظاهر ممّا سيأتي في الأخبار من أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خاطبه بأمير المؤمنين، ويستفاد من بعضها أنّه من الألقاب المخصوصة به عليه السلام، ولا يجوز أن يلقّب به غيره. وعلى هذا فلا يسمّى أبا بكر بأمير المؤمنين قطّ، وأمّا عمر فبعد سنوات من خلافته سمّي بذلك كما يشهد بذلك ما ورد في السيرة والتاريخ، فنذكر ما يدلّ على ذلك فيما يلي:

روى الحاكم النيشابوري من طريق ابن شهاب: إنّ عمر بن عبدالعزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة: لأيّ شيء كان يُكتب من خليفة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في عهد أبي بكر، ثمّ كان عمر يكتب من خليفة أبي بكر، فمن أوّل من كتب من أمير المؤمنين؟

فقال: حدّثني الشفّاء [الشفاء: هي جدّة أبي بكر بن سليمان].

وكانت من المهاجرات الأُول: أنّ عمر بن الخطّاب كتب إلى عامل العراق بأن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث عامل العراق بلبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم، فلمّا قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثمّ دخلا المسجد، فإذا هما بعمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا - يا عمرو - على أمير المؤمنين. فقال عمرو "بن العاص": أنتما واللَّه أصبتما اسمه، هو الأمير، ونحن المؤمنون، فوثب عمرو فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يابن العاص، ربّي علم لتخرجنّ ممّا قلت. قال: إنّ لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء

المسجد، ثمّ دخلا علَيّ، فقالا لي: استأذن لنا يا عمرو على أمير المؤمنين، فهما واللَّه أصابا اسمك، نحن المؤمنون وأنت أميرنا، قال: فمضى به الكتاب من يومئذٍ. [الغدير ٨:٨٦].

وروى الطبري عن أُمّ عمرو بنت حسّان الكوفيّة عن أبيها، قالت: لمّا ولي عمر، قيل: يا خليفة خليفة رسول اللَّه، فقال عمر: هذا أمر يطول، كلّما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة رسول اللَّه، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمّي أمير المؤمنين. [تاريخ الطبري ٣:٢٧٧].

وفي "الغدير" عن ابن خلدون في "مقدّمة تاريخه" ص٢٢٧: اتّفق أن دعا بعض الصحابة عمر: يا أمير المؤمنين، فاستحسنه النّاس واستصوبوه ودعوه به، فقال: إنّ أوّل من دعا بذلك عبداللَّه بن جحش، وقيل عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيل: بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر، ويقول: أين أمير المؤمنين، فسمعها أصحابه فاستحسنوه وقالوا: أصبت واللَّه اسمه، إنّه واللَّه أمير المؤمنين حقّاً، فدعوه بذلك، وذهب لقباً له في النّاس، وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها أحدٌ سواهم، إلا سائر دولة بني أُميّة. [الغدير ٨:٨٦ و ٨٧].

قال العلامة الأميني: فصريح هذه النقول أنّ عمر نفسه ما كانت له سابقة علم بهذا اللقب لا عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا عن غيره؛ ولذلك استغربه وقال: ربّي يعلم لتخرجنّ ممّا قلت، ولا كان عمرو بن العاص يعلم ذلك، ولذلك نسب الإصابة بالتسمية إلى الرجلين ونحت لها من عنده ما يبرّرها، ولا كانت عند الرجلين - اللذين صحّ كما مرّ أنّهما هما اللذان سمّياه - أثارة من علم بما جاء به ابن كثير، وإنّما هو شيء جرى على لسانهما، وصريح رواية الطبري أنّ عمر هو الّذي رأى هذه التسمية، وابن خلدون لم يذكر قولاً: بأنّ الرسول صلى الله عليه و آله هو الّذي سمّاه. [المصدر المتقدّم].

والّذي سمّاه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمير المؤمنين هو مولانا عليّ عليه السلام، وبما أنّه أمير المؤمنين فيجب على المؤمنين الطاعة لأوامره، والزجر عن نواهيه، فلا يجوز لغيره أن يأمره أبداً، ومن ذلك يظهر أنّ الخلافة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مختصّة به.

وقبل نقل الروايات الواردة في المقام نشير إلى توضيح منّا في لفظة الأمير:

قال العلامة المجلسي: الميرة - بالكسر -: جلب الطعام. يقال: مار عياله يمير ميراً، وأمارهم وامتار لهم، ويرد عليه أنّ الأمير فعيل من الأمر لا من الأجوف، ويمكن التفصّي عنه [تفصّى عن الأمر: تخلّص، وتفصّاه: تقصّاه].

بوجوه:

الأوّل: أن يكون على القلب، وفيه بعد من وجوه لا تخفى.

الثاني: أن يكون "أمير" فعلاً مضارعاً على صيغة المتكلّم، ويكون عليه السلام قد قال ذلك ثمّ اشتهر به كما في تأبّط شرّاً.

الثالث: أن يكون المعنى أنّ أُمراء الدنيا إنّما يسمّون بالأمير لكونهم متكفّلين لميرة الخلق، وما يحتاجون إليه في معاشهم بزعمهم، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فإمارته لأمر أعظم من ذلك؛ لأنّه يميرهم ما هو سبب لحياتهم الأبديّة وقوّتهم الروحانيّة، وإن شارك سائر الأُمراء في الميرة الجسمانيّة، وهذا أظهر الوجوه. [البحار ٣٧:٢٩٣].

نبذة من الأخبار في أنّ عليّاً سمّي بأمير المؤمنين في عهد رسول اللّٰه

١- روى الكليني بسنده عن زيد بن الجهم الهلالي، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: سمعته يقول: "لمّا نزلت ولاية عليّ بن أبي طالب، وكان من قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، فكان ممّا أكّد اللّٰه عليهما في ذلك اليوم يا زيد، قول رسول اللّٰه لهما "أبوبكر وعمر": قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين؟ فقالا: أمِن اللّٰه أو من رسول اللّٰه يا رسول اللّٰه؟ فقال لهما رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: من اللّٰه ومن رسوله، فأنزل اللّٰه عزّ وجلّ: 'وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ'، يعني به قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لهما، وقولهما: أمِن اللّٰه أو من رسوله: 'وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ' أنمّة هي أزكى من أنمّتكم. قال: قلت جعلت فداك، أنمّة؟ قال: إي واللّٰه أنمّة. قلت: فإنّا نقرء أربى؟ فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها 'إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ "يعني بعليّ عليه السلام" وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَعْمَلُونَ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا "يعني بعد مقالة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في عليّ" وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ "يعني به عليّاً عليه السلام" وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ". [أُصول الكافي ١:٢٩٢، باب النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، ح ١].

٢- و روى المفيد بسنده عن بريدة بن الحُصَيب الأسلمي، قال: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أمرني وأنا سابع سبعة فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير، فقال صلى الله عليه و آله: 'سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين'، فسلّمنا عليه بذلك، ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حيٌّ بين أظهرنا. [الإرشاد ١:٤٨].

٣- و روى المجلسي عن "أمالي الشيخ": عن عمرو بن الحُصَيب أخي بريدة بن الحُصَيب، قال: بينا أنا وأخي بريدة عند النبيّ صلى الله عليه و آله إذ دخل أبو بكر فسلّم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال له: 'انطلق فسلّم على أمير المؤمنين'، فقال: يا رسول اللَّه، ومن أمير المؤمنين؟ قال صلى الله عليه و آله: 'عليّ بن أبي طالب'، قال: عن أمر اللَّه، وأمر رسوله؟ قال صلى الله عليه و آله: 'نعم'، ثمّ دخل عمر فسلّم، فقال: 'انطلق فسلّم على أمير المؤمنين'، فقال: يا رسول اللَّه، ومن أمير المؤمنين؟ قال صلى الله عليه و آله: 'عليّ بن أبي طالب'، قال: عن أمر اللَّه، وأمر رسوله؟ قال صلى الله عليه و آله: 'نعم'. [البحار ٣٧:٢٩١].

٤- وفي "غاية المرام" عن "فرائد السمطين": بإسناده عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لأمّ سلمة: 'هذا عليّ بن أبي طالب، لحمه لحمي، ودمُه دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي. يا أمّ سلمة، هذا عليّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، ووصيّي، وعيبة علمي، وبابي الّذي أُوتى منه. أخي في الدنيا والآخرة، ومعي في السنام الأعلى، يقتل القاسطين والناكثين والمارقين'. [غاية المرام: ١٧، الباب ٨ من المقصد الأوّل، ح ٦. ونحوه في الإرشاد ١:٤٧].

٥- وروى المجلسي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا أنس، اسكب لي وضوءً'، ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: 'يا أنس، أوّل مَن يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين'. قال أنس: قلت: اللّهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته؛ إذ جاء عليّ عليه السلام فقال: 'مَن هذا يا أنس؟'. فقلت: عليّ، فقام صلى الله عليه و آله مستبشراً فاعتنقه، ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق عليّ بيده، فقال عليّ عليه السلام: 'صنعتَ شيئاً ما صنعت بي قبل؟'. قال صلى الله عليه و آله: 'وما يمنعني وأنت تؤدّي عنّي، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي'. [البحار ٣٧:٣٠٠، ونحوه في الإرشاد ١:٤٦].

٦- وفي "البحار" عن "أمالي الصدوق": بإسناده عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو على المنبر يقول - وقد بلغه عن أُناس من قريش إنكار تسميته لعليّ عليه السلام أمير المؤمنين - فقال: معاشر النّاس، إنّ اللَّه عزّ وجلّ بعثني إليكم رسولاً، وأمرني أن استخلف عليكم عليّاً أميراً، ألا فمن كنت نبيّه فإنّ عليّاً أميره، تأميرٌ أمّره اللَّه عزّ وجلّ عليكم، وأمرني أن أُعلمكم ذلك لتسمعوا له وتطيعوا، إذا أمركم بأمر تأتمرون، وإذا نهاكم عن أمر تنتهون، ألا فلا يأتمرنّ أحد منكم على عليّ في حياتي ولا بعد وفاتي؛ فإنّ اللَّه تبارك وتعالى أمّره عليكم وسمّاه أمير المؤمنين، ولم يسمّ أحداً من قبله بهذا الاسم، وقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم في عليّ، فمن أطاعني فيه فقد أطاع اللَّه، ومن عصاني فيه فقد عصى اللَّه عزّ

وجلّ، ولا حجّة له عند اللّه، وكان مصيره إلى "النّار وإلى" ما قال اللّه عزّ وجلّ في كتابه: 'وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خَالِداً فِيهَا'. [سورة النساء: ١٤]. [البحار ٣٧:٢٩٤].

٧- وروى المجلسي عن "كشف اليقين": عن بريدة، قال: أمرنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن نسلّم على عليّ عليه السلام بيننا بأمير المؤمنين. وكذا فسّروا كلّ ما في القرآن: 'يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا' أنّ عليّاً أميرها. [المصدر المتقدّم: ٣٠٠].

٨- وفي "المناقب" بسنده عن الثمالي، عن الصادق عليه السلام: 'أنّ بريدة كان غائباً بالشام، فقدم وقد بايع النّاس أبا بكر، فأتاه في مجلسه، فقال: يا أبا بكر، هل نسيت تسليمنا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين وواجبة من اللّه ورسوله؟

قال: يا بريدة، إنّك غبت وشهدنا، وأنّ اللّه يحدث الأمر بعد الأمر، ولم يكن اللّه تعالى يجمع لأهل هذا البيت النبوّة والملك! [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٥٣].

٩- وفيه أيضاً عن أبي بريدة ومعه عمران بن حصين في جواب أبا بكر بآية من القرآن، وقال: 'أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً'، فقد جمع اللّه لهم النبوّة والملك، فغضب عمر، وما زلنا نعرف في وجهه الغضب حتّى مات. [انظر المصدر المتقدّم: ٥٤].

تسليم تسعة رهط على عليّ بإمرة المؤمنين

روى المفيد بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: 'إنّ اللّه جلّ جلاله بعث جبرئيل عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه و آله أن يشهد لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بالولاية في حياته، ويسمّيه بإمرة المؤمنين قبل وفاته، فدعا نبيّ اللّه صلى الله عليه و آله تسعة رهط [الرهط: عشيرة الرجل وأهله، ومن الرجال ما دون العشرة].

فقال: إنّما دعوتكم لتكونوا شهداء اللّه في الأرض أقمتم أم كتمتم. ثمّ قال: يا أبا بكر، قم فسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين. فقال: أعن أمر اللّه ورسوله؟ قال: نعم، فقام فسلّم عليه بإمرة المؤمنين. ثمّ قال: قم - يا عمر - فسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقال: أعن أمر اللّه ورسوله نُسَمّيه أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فقام فسلّم عليه.

ثمّ قال للمقداد بن الأسود الكندي: قم فسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقام فسلّم، ولم يقل مثل ما قال الرجلان من قبله. ثمّ قال لأبي ذرّ الغفاري: قم فسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقام فسلّم عليه. ثمّ قال

لحذيفة اليماني: قم فسلّم على أمير المؤمنين، فقام فسلّم عليه، ثمّ قال لعمّار بن ياسر: قم فسلم على أمير المؤمنين، فقام فسلّم عليه، ثمّ قال لعبد اللّٰه بن مسعود: قم فسلّم على عليّ بإمرة المؤمنين، فقام فسلّم عليه، ثمّ قال لبريدة: قم فسلّم على أمير المؤمنين - وكان بريد أصغر القوم سنّاً - فقام فسلّم [قد سقط من الحديث ذكر تسليم تاسعهم، وهو سلمان الفارسي على ما قال بعض الأعلام].

فقال رسول اللّٰه: إنّما دعوتكم لهذا الأمر لتكونوا شهداء اللّٰه أقمتم أم تركتم'. [أمالي المفيد: ١٨، المجلس الثاني، ح ٧].

تسميته بأمير المؤمنين في ليلة المعراج

روى الكليني بسنده عن عليّ بن أبي حمزة، قال: سأل أبو بصير أبا عبداللّٰه عليه السلام وأنا حاضر، فقال: جعلت فداك، كم عرج برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ؟ فقال: 'مرّتين فأوقفه جبرئيل موقفاً، فقال له: مكانك يا محمّد، فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قطُّ ولا نبيٌّ. إنّ ربّك يصلّي، فقال: يا جبرئيل وكيف يصلّي؟ قال: يقول: سُبّوحٌ قُدُّوسٌ، أنا ربّ الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللّهمّ عفوك عفوك، إلى أن قال: فقال اللّٰه تبارك وتعالى: يا محمّد، قال: لبّيك ربّي، قال: من لأمّتك من بعدك؟ قال: اللّٰه أعلم، قال: عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين'، قال: ثمّ قال أبو عبداللّٰه عليه السلام لأبي بصير: 'يا أبا محمّد، واللّٰه ما جاءت ولاية عليّ عليه السلام من الأرض، ولكن جاءت من السماء مشافهة'. [أُصول الكافي ١:٤٤٢، باب مولد النبيّ صلى الله عليه و آله، ح ١٣].

وفي "غاية المرام" عن ابن شهرآشوب في "المناقب"، قال: سئل الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: 'فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ'؟ [سورة يونس: ٩٤].

فقال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: لمّا أُسري بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام، وجمع النبيّين والصدّيقين والشهداء والملائكة، ثمّ تقدّمتُ وصلّيتُ بهم، فلمّا انصرفت قال لي جبرئيل: قل لهم: بمَ تشهدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّك رسول اللّٰه، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين'. [غاية المرام: ٢٦، الباب ٩ من المقصد الأوّل، ح ٣٠].

سمّاه اللّٰه تعالى بأمير المؤمنين قبل خلقة آدم

١- روى ابن شهرآشوب، عن جابر الجعفي، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: "لو علم النّاس متى سُمِّي أمير المؤمنين ما أنكروا ولايته"، قلت: رحمك اللّٰه، ومتى سمّي؟ قال: "إنّ ربّك عزّ وجلّ حين أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيّاتهم وأشهدهم على أنفسهم، قال: ألست بربّكم، وأنّ محمّداً رسولي، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين". [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٥٥].

٢- وفي "البحار" عن "كشف اليقين": بإسناده عن ابن عبّاس، قال: كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في صحن الدار، فإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فدخل عليّ عليه السلام، فقال: "كيف أصبح رسول اللّٰه؟". فقال: "بخير".

قال له دحية: إنّي لأُحبُّك، وإنّ لك مدحة أزفّها إليك [أزفّها إليك: أهديها إليك].

أنت أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين. أنت سيّد ولد آدم ما خلا النبيّين والمرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفّ أنت وشيعتك مع محمّد صلى الله عليه و آله وحزبه إلى الجنان زفّاً زفّاً، قد أفلح من تولاك، وخسر من تخلاك، مُحبُّو محمّدٍ مُحبّوك، ومُبغضو محمّدٍ مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمّد. ادن منّي يا صفوة اللّٰه، فأخذ رأس النبيّ صلى الله عليه و آله فوضعه في حجره، فقال صلى الله عليه و آله: "ما هذه الهمهمة؟"، فأخبره، الحديث. قال صلى الله عليه و آله: "لم يكن دحية الكلبي، كان جبرئيل، سمّاك باسم سمّاك اللّٰه به، وهو الّذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين". [البحار ٣٧:٢٩٥].

٣- وفيه أيضاً: عن عبداللّٰه بن أسعد بن زرارة، عن أبيه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أُوحي إليَّ في عليّ أنّه أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين". [المصدر المتقدّم: ٢٩٩].

٤- وروى القندوزي الحنفي، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لو يعلم النّاس متى سُمّي عليٌّ أمير المؤمنين لما أنكروا فضائله. سُمّي بذلك وآدم بين الروح والجسد، وحين قال اللّٰه تعالى: "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"؟ فقالوا: بلى، فقال اللّٰه تعالى: أنا ربّكم، ومحمّد نبيّكم، وعليٌّ أميركم". [ينابيع المودّة: ٢٣٨].

٥- وفي "تفسير العيّاشي": عن جابر، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى سمّي أميرُ المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: قال: "واللّٰه نزلت هذه الآية على محمّد صلى الله عليه و آله "وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" [سورة الأعراف: ١٧٢].

وأنّ محمّداً رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله "نبيّكم"، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، فسمّاه اللّٰه واللّٰه أمير المؤمنين". [تفسير العيّاشي ٢:٤١، والبحار ٩:٢٥٦، وتفسير البرهان ٢:٥٠، وإثبات الهداة ٣:٥٤٥، الطبعة القديمة].

٦- وفيه أيضاً: عن جابر، قال لي أبو جعفر عليه السلام: 'يا جابر، لو يعلم الجهّال متى سمّي أمير المؤمنين عليّ لم ينكروا حقّه'. قال: قلت: جعلت فداك، متى سمّي؟ فقال لي: 'قوله: 'وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ' إلى قوله: 'أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ'، وأنّ محمّداً رسول اللّٰه، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين'.

قال: ثمّ قال لي: يا جابر، هكذا واللّٰه جاء بها محمّد صلى الله عليه و آله'. [المصدر المتقدّم، وقوله: 'هكذا واللّٰه جاء بها محمّد صلى الله عليه و آله' يريد تأويلاً وتفسيراً لا وحياً لاعتقادنا بسلامة القرآن من جميع أنواع التحريف].

وجه تسميته بأمير المؤمنين

في "البحار" عن "علل الشرائع" و"معاني الأخبار": عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك، لِمَ سُمِّي أميرُ المؤمنين عليه السلام أمير المؤمنين؟ قال: 'لأنّه يميرهم العلم، أمَا سمعت كتاب اللّٰه عزّ وجلّ: 'وَنَميرُ أَهْلَنَا'. [سورة يوسف: ٦٥].

[البحار ٣٧:٢٩٣].

وفيه أيضاً عن "علل الشرائع": عن الثمالي، قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهماالسلام: يابن رسول اللّٰه، لِمَ سمّي عليٌّ أمير المؤمنين، وهو اسم ما سُمّي به أحدٌ قبله، ولا يحلّ لأحد بعده؟ قال: 'لأنّه ميرة العلم، يمتار منه ولا يمتار من أحد غيره' الحديث. [المصدر المتقدّم: ٢٩٤].

وفيه أيضاً عن "بصائر الدرجات": عن عبد المؤمن، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: لِمَ سُمّي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ فقال لي: 'لأنّ ميرة المؤمنين منه، هو كان يميرهم العلم'. [المصدر المتقدّم: ٢٩٥].

لا يجوز أن يلقّب غيره بأمير المؤمنين

في "تفسير العيّاشي": عن محمّد بن إسماعيل الرازي، عن رجل سمّاه، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: دخل رجل على أبي عبداللّٰه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقام عليه السلام على قدميه فقال: 'مه، هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام، اللّٰه سمّاه به، ولم يسمّ به أحدٌ غيره' الحديث. [تفسير العيّاشي ١:٢٧٦].

وفي "البحار" عن "أمالي الشيخ": عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'لمّا أُسري بي إلى السماء كنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى،

فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى، ثمّ قال: يا محمّد، اقرأ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام أميرالمؤمنين، فما سمّيت به أحداً قبله، ولا أُسمّي بهذا أحداً بعده'. [البحار ٣٧:٢٩٠].

حقّ عليّ على الأُمّة حقّ الوالد على ولده

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حقّ عليّ عليه السلام على المسلمين حقّ الوالد على ولده'.

ينابيع المودّة للحافظ القندوزي الحنفي ١:١٢٣

كلمة في تسمية الرسول وعليّ أبوا هذه الأُمّة

لا شكّ أنّ للإنسان حياة بدنيّة بالروح الحيوانيّة وحياة أبديّة بالإيمان والعلم والكمالات الروحانيّة الّتي هي موجبة لفوزه بالسعادات الأبديّة وبالكمالات الإنسانيّة، وقدوصف اللّٰه تعالى الكفّار في مواضع من كتابه بأنّهم أموات غير أحياء [منها قوله تعالى: 'إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى' سورة النمل: ٨٠].

ووصف أموات كلّ المؤمنين بالحياة، كما قال اللّٰه تعالى: 'وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً' [سورة آل عمران: ١٦٩].

وقال: 'فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً' [سورة النحل: ٩٧].

وغير ذلك من الآيات وكذا الأخبار.

وحقّ الوالدين في النسب إنّما يجب لمدخليّتهما في الحياة الأُولى الفانية لتربية الإنسان فيما يقوّي ويؤيّد تلك الحياة، وحقّ النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام إنّما يجب من الجهتين معاً:

أمّا الأُولى، فلكونهم علّة غائيّة لإيجاد جميع الخلائق وبهم يبقون، وبهم يرزقون، وبهم يمطرون، وبهم يدفع اللّٰه العذاب، وبهم يسبّب اللّٰه الأسباب. [كما ورد في زيارة الجامعة: 'بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ، وَيَكْشِفُ الضُّرَّ' إلى آخرها].

وأمّا الثانية، الّتي هي الحياة العظمى فبهدايتهم اهتدوا، ومن أنوارهم اقتبسوا، وبينابيع علمهم أحياهم اللّٰه حياة طيّبة، لا تزول عنهم أبد الآبدين، فثبت أنّهم الآباء الحقيقيّون روحيّاً، فوجب على الخلق رعاية حقوقهم، والاحتراز عن عقوقهم صلوات اللّٰه عليهم أجمعين. [راجع: البحار ٣٦:١٣].

وقال الراغب في "المفردات": الأب: الوالد، ويسمّى كلّ من كان سبباً في إيجاد الشي ء أو إصلاحه، أو ظهوره أباً، ولذلك يسمّى النبيّ صلى الله عليه و آله أبا المؤمنين. قال اللّٰه تعالى: 'النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ' [سورة الأحزاب: ٦].

وفي بعض القراءات: وهو أب لهم.

ويتّضح من بعض الأخبار أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام أعظم حقّاً من حقّ الوالد على الأولاد، وهو أمر واضح على الأُمّة؛ لأنّهما أنقذا الأُمّة من الضلالة والجهالة وهدياهم إلى صراط المستقيم.

وفي "المناقب": عن النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة، ولحقّنا عليهم أعظم من حقّ أبوي ولادتهم، فإنّا ننقذهم إن أطاعونا من النّار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبوديّة بخيار الأحرار'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:١٠٥].

وفي "المفردات": روي أنّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: 'أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة'، وإلى هذا أشار بقوله: 'كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي' إلى أن قال: وسمّي معلّم الإنسان أباه، وقد حمل قوله تعالى: 'وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ' على ذلك، أي علماءنا الّذين ربّونا بالعلم، إلى آخره. [المفردات: ٧].

فملخّص الكلام: أنّ حقّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام على المسلمين أعظم من حقّ الوالد على الأولاد؛ لأنّهما "صلّى اللّٰه عليهما وآلهما" مع الإيثار بأنفسهما أنقذا الأُمّة من الضلالة والجهالة 'وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ' [سورة الأعراف: ١٥٧].

وأنقذاهم من النّار، وهداياهم إلى صراط الحقّ، الصراط المستقيم 'وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ' [سورة الأنعام: ١٥٣].

ورفعا المسلمين من عبودية النفس والأوثان إلى عبادة الرحمن، فصاروا خير أحرار، فأيّ حقٍّ أعظم من هذا؟

نبذة من الأخبار في هذا المقام

فقد وردت في المقام الروايات الدالّةعلى أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام أبوا هذه الأُمّة، ونذكر نبذة منها.

١- عن الإمام العسكري عليه السلام: في ذيل قوله تعالى: 'وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً' [سورة البقرة: ٨٣].

قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أفضل والديكم، وأحقّهما لشكركم محمّد وعليّ'.

ثمّ قال عليه السلام: وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'أنا وعليّ بن أبي طالب أبوا هذه الأُمّة، ولحقّنا عليهم أعظم من حقّ أبوي ولادتهم، فإنّا ننقذهم إن أطاعونا من النّار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبوديّة بخيار الأحرار'.

وقالت فاطمة عليهاالسلام: 'أبوا هذه الأُمّة محمّد وعليّ، يقيمان أودهم [الأود: العوج].

وينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما'.

وقال الحسن بن عليّ عليهماالسلام: 'محمّد وعليّ أبوا هذه الأُمّة، فطوبى لمن كان بحقّهما عارفاً، ولهما في كلّ أحواله مطيعاً، يجعله اللَّه من أفضل سكّان جنانه، ويسعده بكراماته ورضوانه'.

وقال الحسين بن عليّ عليهماالسلام: 'من عرف حقّ أبويه الأفضلين محمّد وعليّ وأطاعهما حقّ الطاعة قيل له: تبحبح [تبحبح: تمكّن في المقام].

في أي الجنان شئت'.

وقال عليّ بن الحسين عليهماالسلام: 'إن كان الأبوان إنّما عظم حقّهما على أولادهما لإحسانهما إليهم، فإحسان محمّد وعليّ إلى هذه الأُمّة أجلّ وأعظم، فهما بأن يكونا أبويهم أحقّ'.

وقال محمّد بن عليّ عليهماالسلام: 'من أراد أن يعلم كيف قدره عند اللَّه فلينظر كيف قدر أبويه الأفضل عنده: محمّد وعليّ'.

وقال جعفر بن محمّد عليهماالسلام: 'مَن رعى حقّ أبويه الأفضلين محمّد وعليّ لم يضرّه ما أضاع من حقّ أبوي نفسه وسائر عباد اللَّه، فإنّهما عليهماالسلام يرضيانهم بسعيهما'.

وقال موسى بن جعفر عليهماالسلام: 'لعظم ثواب الصلاة على قدر تعظيم المصلّى على أبوابهم الأفضلين محمّد'.

وقال عليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام: 'أما يكره أحدكم أن ينفي عن أبيه وأُمّه الّذين ولداه؟'، قالوا: بلى واللَّه، قال: 'فليجتهد أن لا ينفي عن أبيه وأُمّة اللذين هما أبواه أفضل من أبوي نفسه'.

وقال محمّد بن عليّ عليهماالسلام إذ قال رجل بحضرته: إنّي لأُحبّ محمّداً وعليّاً عليهماالسلام حتّى لو قطّعت إرباً إرباً [الإرب: العضو].

أو قرّضتُ [وقرض الشي ء: قطعه].

لم أزل عنه. قال محمّد بن عليّ عليهماالسلام: 'لا جرم أنّ محمّداً وعليّاً يعطيانك من أنفسهما ما تعطيهما أنت من نفسك، إنّهما ليستدعيان لك في يوم فصل القضاء ما لا يفي ما بذلته لهما بجزء من مائة ألف ألف جزء من ذلك'.

وقال عليّ بن محمّد عليهماالسلام: 'مَن لم يكن والدا دينه محمّد وعليّ أكرم عليه من والدي نسبه، فليس من اللَّه في حلّ ولا حرام ولا بقليل ولا كثير'.

ثمّ قال الحسن بن عليّ العسكري عليهماالسلام: 'مَن آثر طاعة أبوي دينه: محمّد وعليّ على طاعة أبوي نسبه قال اللّٰه عزّ وجلّ: لأُوثرنّك كما آثرتني، ولأُشرّفنّك بحضرة أبوي دينك كما شرّفتَ نفسك بإيثار حبّهما على حبّ أبوي نسبك.

ثمّ قال الإمام عليه السلام في ختام الحديث: وأمّا قوله عزّ وجلّ: 'وَذِي الْقُرْبى' فهم من قراباتك من أبيك وأُمّك، قيل لك: اعرف حقّهم، كما أخذ به العهد على بني إسرائيل، وأخذ عليكم معاشر أُمّة محمّد بمعرفة حقّ قرابات محمّد الّذين هم الأئمّة بعده، ومن يليهم من بعد من خيار أهل دينهم'. [التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٣٢٩، والبحار ٣٦:٨].

٢- وفي "تفسير القمّي": 'قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً' [سورة الأنعام: ١٥١].

قال: 'الوالدين رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام'. [تفسير القمّي ١:٢٢٠].

وفي "البحار" عن "كنز جامع الفوائد": عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: 'وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ' [سورة العنكبوت: ٨، سورة لقمان: ١٤، سورة الأحقاف: ١٥].

رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام. [البحار ٣٦:١٣].

٣- و في "تفسير فرات": عن جعفر بن محمّد الفزاري بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبداللّٰه عليه السلام يقول: 'إنّ المؤمن إذا مات رأى رسول اللّٰه وعليّاً عليهماالسلام يحضرانه، وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أنا أحد الوالدين وعليّ الآخر'.

قال: قلت: وأيّ موضع ذلك من كتاب اللّٰه؟ قال: قوله: 'اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً'. [البحار ٣٦:١٣، والآية من سورة النساء: ٣٦].

٤- و في "معاني الأخبار": عن أنس بن مالك، قال: كنت عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الشهر الّذي أُصيب فيه - وهو شهر رمضان - فدعا ابنه الحسن عليه السلام، ثمّ قال: 'يا أبا محمّد، اعل المنبر فاحمد اللّٰه كثيراً واثن عليه، واذكر جدّك رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بأحسن الذِّكر، وقل: لعن اللّٰه ولداً عقّ أبويه، لعن اللّٰه ولداً عقّ أبويه، لعن اللّٰه ولداً عقّ أبويه، لعن اللّٰه عبداً أبق عن مواليه [كذا في البحار، وفي أصل المصدر: 'من مواليه'].

لعن اللّٰه غنماً ضلّت عن الراعي، وانزل'.

فلمّا فرغ من خطبته ونزل اجتمع النّاس إليه فقالوا: يابن أمير المؤمنين، وابن بنت رسول اللّٰه نبّئنا؟ فقال: 'الجواب على أمير المؤمنين عليه السلام'. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'إنّي كنت مع النبيّ في صلاة صلاها، فضرب بيده اليمنى إلى يدي اليمني فاجتذبها، فضمّها إلى صدره ضمّاً شديداً، ثمّ قال: يا عليّ، فقلت: لبّيك يا رسول اللّٰه، قال: أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة، فلعن اللّٰه من عقّنا، قل: آمين، قلت: آمين، ثمّ قال: أنا وأنت موليا هذه الأُمّة، فلعن اللّٰه من أبق عنّا، قل: آمين، قلت: آمين، ثمّ قال: أنا وأنت راعيا هذه الأُمّة، فلعن اللّٰه من ضلّ عنّا، قل: آمين، قلت: آمين'.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: 'وسمعت قائلين يقولان معي: آمين، فقلت: يا رسول اللّٰه، من القائلان معي آمين؟ قال صلى الله عليه و آله: جبرئيل وميكائيل عليهماالسلام'. [المصدر المتقدّم].

٥- و في "ينابيع المودة" عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللّٰه قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة عليّ بعدي، ونهاكم عن معصيته، وهو وصيّي، ووارثي، وهو منّي وأنا منه، حبّه إيمان، وبغضه كفر، محبّه محبّي، ومبغضه مبغضي، وهو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كلّ مسلم ومسلمة، وأنا وهو أبوا هذه الأُمّة'. [ينابيع المودّة ١:١٢٣، وروى الكراجكي في كنز الفوائد ٢:١٣، طبع دار الذخائر، نحوه].

٦- وفي "المناقب لابن المغازلي"، قال: رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حقّ عليّ عليه السلام على المسلمين كحقّ الوالد على ولده'. [المناقب لابن المغازلي: ٤٧، ح ٧٠].

٧- وفي "فرائد السمطين" عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حقّ عليّ بن أبي طالب على هذه الأُمّة كحقّ الوالد على الولد'. [فرائد السمطين ١:٢٩٦، ح ٢٣٥].

٨- وفيه أيضاً: عن أبي أيّوب الأنصاري، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'حقّ عليّ عليه السلام على كلّ مسلمٍ حقّ الوالد على ولده'. [المصدر المتقدّم: ح ٢٣٤].

علي كنّاه رسول اللّٰه بأبي تراب

جاء رجل إلى سهل بن سعد، فقال: هذا فلان يذكر عليّاً عليه السلام عند المنبر. فقال: ما يقول؟ قال: يقول: أبو تراب، ويلعن أبا تراب، فغضب سهل، وقال: واللّٰه ما كنّاه به إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وما كان اسم أحبّ إليه منه. تذكرة الخواص: ١٦

نظرة في تكنية عليّ بأبي تراب وفضائل أُخر

هذه التكنية وقعت لأمير المؤمنين عليه السلام مراراً لا مرّة واحدة، كما احتمل البعض أنّها كانت في غزوة العشيرة فقط، وهذا الاحتمال ضعيف، بل يستفاد من الأخبار عن الفريقين بوقوع هذه التكنية مكرّراً عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله:

١ - وقعت هذه التكنية في غزوة العشيرة الّتي كانت في جمادى الأُولى أو الثانية أو فيهما في السنة الثانية من الهجرة، حين وجد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام وعمّاراً نائمين في دقعاء [الدقعاء: التراب اللّيّن].

من التراب، فأيقظهما وحرّك عليّاً عليه السلام، فقال نبيّ الإسلام: "قم - يا أبا تراب - ألا أُخبرك بأشقى النّاس رجلين: أحيمر [احيمر: لقب قدّار بن سالف عاقر ناقة صالح].

ثمود عاقر الناقة، والّذي يضربك على هذه" يعني قرنه "فيخضب هذه منها" يعني لحيته. [مستدرك الحاكم ٣:١٥١، المناقب لابن شهر آشوب ١١١: ٣].

٢ - وجاءت هذه التكنية في يوم التآخي، حيث لم يوآخ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بينه وبين أحد، فخرج عليّ عليه السلام مغضباً حتّى أتى كثيباً من رمل فنام عليه، فأتاه النبيّ صلى الله عليه و آله فقال له: "قم يا أبا تراب، وجعل ينفض التراب عن ظهره وبردته ويقول: قم يا أبا تراب، أنت أخي وأنا أخوك". [راجع: فرائد السمطين ١:١١٧].

٣ - ووقعت هذه التكنية في قضيّة خروجه عن بيته واضطجاعه في المسجد، فجاء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله واستفسر من فاطمة عليهاالسلام حال ابن عمّه عليه السلام قالت: "هو مضطجع في المسجد"، فجاء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يمسح التراب عن ظهره ويقول: "اجلس أبا تراب". [راجع ما سيأتي من الأحاديث].

وغير ذلك كما سيتّضح لك من الأخبار الآتية.

يعيّره أعداؤه بكنية أبي تراب وهي أحبّ أسمائه إليه

لا يخفى أنّ أعداءه من بني أُميّة وأتباعهم لا يطلقون عليه غير أبي تراب، وكأنّهم يُعيّرونه عليه السلام بها، فدعوا خطباءهم إلى أن يسبّوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له، مع أنّها موضع فخرٍ واعتزازٍ، كما أنّهم كانوا لا يطلقون على شيعته وأتباعه إلا الترابي والترابيّة حتّى صار لقباً لهم. قال الكميت:

وقالوا ترابيٌّ هواه ودينه*** بذلك أُدعى بينهم وأُلقّب

[أعيان الشيعة ١:٣٢٥]

وقال الحاكم أبو عبداللّٰه النيشابوري: كان بنو أُميّة تنقص عليّاً عليه السلام بهذا الاسم الّذي سمّاه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ويلعنوه على المنبر بعد الخطبة مدّة ولايتهم، وكانوا يستهزئون به، وإنّما استهزؤوا بالذي سمّاه به، وقد قال اللّٰه تعالى: "قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ" الآية. [راجع الغدير ٦:٣٣٧، والآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة].

وقال سبط ابن الجوزي: والّذي ذكره الحاكم صحيح، فإنّهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم، عن سعد بن أبي وقّاص، أنّه دخل على معاوية، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ الحديث. [تذكرة الخواصّ: ١٦].

قال ابن أبي الحديد - في شرحه - ما ملخّصه: هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الغالب عليه من كنيته عليه السلام أبو الحسن، وكان ابنه الحسن يدعوه في حياة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أبا الحسين، ويدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن، ويدعوان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أباهما، فلمّا توفّي النبيّ صلى الله عليه و آله دعواه بأبيهما.

وكنّاه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أبا تراب، وجده نائماً في تراب، قد سقط عنه رداؤه، وأصاب التراب جسده، فجاء حتّى جلس عند رأسه وأيقظه، وجعل يمسح التراب عن ظهره، ويقول له: "اجلس إنّما أنت أبو تراب"، فكانت من أحبّ كناه إليه عليه السلام، وكان يفرح إذا دُعي بها، وكانت تُرَغِّب بنو أُميّة خطباءهم أن يسبّوه بها على المنابر، وجعلوها نقيصة له عليه السلام ووصمة عليه [الوصمة: العيب والعار].

فكأنّما كسوه بها الحُلى والحُلل كما قال الحسن البصري. [شرح ابن أبي الحديد ١:١١].

قال ابن الجوزي: واستمرّ الحال إلى زمن عمر بن عبدالعزيز، فجعل مكان ذلك السبّ "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ" الآية، فلمّا ولّى بعده يزيد بن عبدالملك لم يتعرّض لسبّه، فقيل له في ذلك؟ فقال: ما لنا ولهذا، واستمرّ الحال. وقيل: إنّ الوليد بن يزيد أعاد السبّ. وقيل: إنّ بعض بني أُميّة كان يقول: اللّهمّ صلِّ على معاوية وحده، لقد لقينا من عليّ جهده. [تذكرة الخواصّ: ١٧].

بعض ما روي في وجه تسميته بأبي تراب

عن سليمان بن مهران، عن عباية بن ربعي، قال: قلت لعبد اللّٰه بن عبّاس: لِمَ كنّى رسول اللّٰه عليّاً أبا تراب؟ قال: لأنّه صاحب الأرض، وحجّة اللّٰه على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها، وقد سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "إنّه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدّ اللّٰه تعالى لشيعة عليّ من الثواب

والزُّلفى والكرامة، يقول: |يا ليتني كنتُ ترابيّاً، أي: يا ليتني من شيعة عليّ عليه السلام؛ وذلك قول اللّه تعالى عزّ وجلّ: 'وَيَقُولُ الْكَافِرُ| يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً'. [سورة النبأ: ٤٠].

[البحار ٣٥:٥١، وراجع المناقب لابن شهرآشوب ٣:١١١].

قال المجلسي في بيان الحديث بقوله: يمكن أن يكون ذكر الآية لبيان وجه آخر لتسميته عليه السلام بأبي تراب؛ لأنّ شيعته لكثرة تذلّلهم له وانقيادهم لأوامره سمّوا تراباً كما في الآية الكريمة؛ ولكونه عليه السلام صاحبهم وقائدهم ومالك أُمورهم سمّي أبا تراب إلى آخر كلامه. [البحار ٣٥:٥١].

وفي "المناقب" لابن شهرآشوب، قال: رأيت في كتاب "الردّ على أهل التبديل": أنّ في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام: 'يا ليتني كنت تراباً' يعني من أصحاب عليّ عليه السلام.

وقال أيضاً: ورأيت في كتاب "ما نزل في أعداء آل محمّد" في قوله تعالى: 'وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ' [سورة الفرقان: ٢٧].

رجل من بني عدي، ويعذّبه عليّ، فيعضّ على يديه ويقول العاضّ وهو رجل من بني تيم: يا ليتني كنت تراباً، أي شيعيّاً. [المناقب ٣:١١٠].

أنا وجميع من فوق التراب*** فدىً لِتراب نعل أبي ترابِ

إمام مدحه ذكري ودأبي*** وقلبي نحوه ما عشت صابِ

[المصدر المتقدّم: ١١٢]

مكرمة حول الحديث

روى العلامة الأميني، عن الشيخ علاء الدين السكتواري في "محاضرة الأوائل": أوّل من كنّي بأبي تراب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كنّاه به رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين وجده راقداً وعلى جنبه التراب، فقال له ملاطفاً: "قم، يا أبرا تراب"، فكان أحبّ ألقابه، وكان بعد ذلك له كرامة ببركة النفس المحمّدي، كان التراب يحدّثه بما يجري عليه إلى يوم القيامة وبما جرى، فافهم سرّاً جليّاً. [الغدير ٦:٣٣٧].

الفاظ الحديث

مرّ في أوّل الفصل أنّ الأحاديث الواردة في تسميته عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأبي تراب وقعت متعدّدة وفي موارد مختلفة:

قد وردت في غزوة العشيرة

روى ابن شهرآشوب، عن الطبري وابن إسحاق وابن مردويه أنّه قال: خرجنا مع النبيّ صلى الله عليه و آله في غزوة العشيرة، فلمّا نزلنا منزلاً نمنا، فما نبّهنا إلا كلام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'يا أبا تراب - لمّا رآه ساجداً معفّراً وجهه في التراب - أتعلم من أشقى النّاس؟ أشقى الناس اثنان: أحيمر ثمود الّذي عقر الناقة، وأشقاها الّذي يخضب هذه - ووضع يده على لحيته'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:١١١].

وروى ابن المغازلي الشافعي والحاكم النيشابوري هذا الحديث بسندهما عن عمّار بن ياسر هكذا، قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العُشيرة [في المستدرك: 'ذي العشيرة'].

فلمّا نزلها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأقام بها، إذ هناك ناس من مُدلّج يعملون في عين لهم في نخيل، فقال عليّ عليه السلام: 'يا أبا اليقظان، هل لك في أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟'. قال: قلت: إن شئت. قال: فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثمّ غَشِيَنا النوم، فانطلقتُ أنا وعليّ عليه السلام حتّى اضطجعنا في صور [صور النخل: صغار].

من النخل وفي دقعائها، فواللّٰه ما أهَبّنا إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يُحرِّكنا برِجله، وقد تَتَرّبنا من تلك الدقعاء الّتي نُمنا فيها، فيومئذٍ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'ما لك يا أبا تراب - لما يرى عليه من التراب، ثمّ قال: - ألا أُحدّثكم بأشقى النّاس رجلين؟' قلنا: بلى، يا رسول اللّٰه. قال: 'أحيمر ثمود الّذي عَقر الناقة، والّذي يَضرِبُك يا عليّ على هذه - ووضع يده على قرنه - حتّى تَبتَلَّ مه هذه - وأخذ بلحيته'. [المناقب لابن المغازلي الشافعي ٨:٥، مستدرك الحاكم ٣:١٥١، وراجع مسند أحمد بن حنبل ٤:٢٦٣، البداية والنهاية لابن كثير ٣:٢٤٧، تاريخ الطبري ٢:٢٦١، وغير ذلك].

قد وردت في يوم المؤاخاة

روى الموفّق بن أحمد الخوارزمي وابن الصبّاغ المالكي وغيرها بإسنادهم عن ابن عبّاس، قال: لمّا آخى النبيّ صلى الله عليه و آله بين أصحابه وبين المهاجرين والأنصار، فلم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب وبين أحد منهم، خرج عليّ عليه السلام مغضباً حتّى أتى جدولاً من الأرض فتوسّد ذراعه، وسفت عليه الريح، فطلبه النبيّ صلى الله عليه و آله حتّى وجده فوكزه برِجله، فقال له: 'قم، فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضِبتَ عَلَيّ حين آخيتُ بين المهاجرين والأنصار، ولم أُؤاخ بينك وبين أحد منهم؟! أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس بعدي نبي؟! ألا مَن أحبّك حُفَّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك

أماته اللّٰه ميتةً جاهليّة، وحوسب بعمله في الإسلام'. [المناقب للخوارزمي: ٣٩، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٨، الغدير ٦:٣٣٤].

و روى الجويني وابن عساكر الشافعي، بإسنادهما عن حفص بن جميع، قال: حدّثني سمّاك بن حرب، قال: قلت لجابر: إنّ هؤلاء القوم يَدعونني إلى شتم عليّ عليه السلام!! قال: وما عسيت أن تشتمه به؟ قال: أكنّيه بأبي تراب.

قال: [فواللّٰه ما كانت لعليّ عليه السلام كنية أحبّ إليه من أبي تراب]، [ما بين القوسين قد سقط من فرائد السمطين، وموجود في تاريخ دمشق].

إنّ النبيّ آخرى بين النّاس ولم يؤاخِ بينه وبين أحد، فخرج مغضباً حتّى أتى كثيباً من رمل فنام عليه، فأتاه النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: 'قم يا أبا تراب'، وجعل ينفض التراب عن ظهره وبردته، ويقول: 'قم يا أبا تراب، أغضبت أن آخيتُ بين النّاس ولم أُوآخ بينك وين أحد؟'. قال: 'نعم'. قال: 'أنت أخي، وأنا أخوك'. [فرائد السمطين ١:١١٧، تاريخ دمشق -ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ١:٢٣، ح ٣٣].

قد وردت في نخل المدينة

روى المجلسي عن ابن عمر، قال: بينا أنا مع النبيّ صلى الله عليه و آله في نخل المدينة وهو يطلب عليّاً عليه السلام إذ انتهى إلى حائط، فاطّلع فيه فنظر إلى عليّ عليه السلام وهو يعمل في الأرض وقد اغبارّ، فقال: 'ما ألوم النّاس "في" أن يكنّوك أبا تراب'، فلقد رأيت عليّاً تمعّر "احمرّ" وجهه، وتغيّر لونه، واشتدّ ذلك عليه، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: ألا أُرضيك يا عليّ؟'. قال: 'نعم، يا رسول اللّٰه'، فأخذ بيده، فقال: 'أنت أخي ووزيري وخليفتي بعدي في أهلي، تقضي ديني، وتبرئ ذِمّتي، مَن أحبّك في حياة منّي فقد قُضي له بالجنّة، ومن أحبّك في حياة منك بعدي ختم اللّٰه له بالأمن والإيمان، ومن أحبّك بعدي ولم يرك ختم اللّٰه له بالأمن والإيمان، وآمنه يوم الفزع الأكبر، ومن مات وهو يُبغضك يا عليّ مات ميتة الجاهلية، يحاسبه اللّٰه عزّ وجلّ بها "بما" عمل في الإسلام'. [البحار ٣٥:٥٠].

وفي "الغدير" عن "الجامع الكبير" للسيوطي كما في ترتيبه المجلد ٦، وأبو يعلى في مسنده بإسناده عن عليّ عليه السلام، قال: 'طلبني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فوجدني في جدول نائماً، فقال: ما ألوم النّاس يسمّونك أبا تراب، فرآني كأنّي وجدت في نفسي من ذلك، فقال: قم، واللّٰه لأرضِيَنَّك، أنت أخي وأبو وُلدي، تقاتل عن سنّتي، وتبرئ ذمّتي، مَن مات في عهدي فهو كبرّ اللّٰه، ومن مات في عهدك فقد قضى نحبه، ومن

مات يحبّك بعد موتك ختم اللّٰه له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية، وحوسب بما عمل في الإسلام'. [الغدير ٦:٣٣٥].

قد وردت في مسجد النبيّ

روى ابن المغازلي بإسناده عن سهل بن سعد، قال: جاء النبيّ صلى الله عليه و آله إلى فاطمة عليهاالسلام، فقال لها: 'أين بعلك وابن عمّك؟'، قال: فقالت: 'يا رسول اللّٰه، وقع بيني وبينه كلام فخرج مغاضباً'، فقال لإنسان: 'ابْغِ عليّاً؟'، قال: هو ذلك في المسجد، قال: فأتاه النبيّ صلى الله عليه و آله والريح تَسفي عليه التراب، فقال: 'قم أبا تراب'.

قال سهل بن سعد: فواللّٰه إن كانت لأحَبَّ الأسماء إلى عليّ عليه السلام. [المناقب لابن المغازلي ٩:٦].

وفي خبر آخر: قال سهل: فما كان اسم أحبَّ إلى عليّ عليه السلام من أن يُدعى به من أبي تراب. [المصدر المتقدّم: ح ٧].

وفي "الاستيعاب" عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، قال: قيل لسهل بن سعد: إنّ أمير المدينة يريد أن يبعث إليك لتسبّ عليّاً عليه السلام عند المنبر؟ قال: كيف أقول؟ قال: تقول: أبا تراب؟ فقال: واللّٰه ما سمّاه بذلك إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله. قال: قلت: وكيف ذلك، يا أبا العبّاس؟ قال: دخل عليّ عليه السلام على فاطمة عليهاالسلام ثمّ خرج من عندها فاضطجع في صحن المسجد، فدخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على فاطمة عليهاالسلام فقال: 'أين ابن عمّك؟'.

قالت: 'هو ذاك مضطجع في المسجد'، قال: فجاءه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، ويقول: 'اجلس أبا تراب؟'، فواللّٰه ما سمّاه به إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله واللّٰه ما كان اسم أحبّ إليه منه. [الاستيعاب لابن عبدالبر المالكي بهامش الإصابة ٣:٥٤].

و روى الموفّق بن أحمد الخوارزمي بإسناده عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّاً عليه السلام، قال: فأبى سهل فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن اللّٰه أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعليّ اسمٌ أحبُّ إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به. فقال أخبرنا عن قصّته لِمَ سمّي أبا تراب؟ فقال: جاء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى بيت فاطمة عليهاالسلام فلم يجد عليّاً في البيت... فقال لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول اللّٰه، هو في المسجد،

فجاء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه فأصابه تراب، فجعل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يمسحه عنه ويقول: 'قم يا أباتراب، قم يا أبا تراب'. [مناقب الخوارزمي: ٣٨].

وروي في مسند الصحابة نحوه، وقال سهل في ذيله: واللّٰه، ما كان له اسم أحبّ إليه منه، ما سمّاه إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله. [مسند الصحابة ٣٨:١٨٦].

طرق الحديث

ولكي يطمئنّ القارئ العزيز إلى صحّة سند هذا الحديث وتواتره، نطلعه على المصادر الّتي ذكرها العلامة الأميني رحمه الله، "في الغدير"، حيث قال: هذا الحديث صحيح السند، وممّا استدركه الحاكم النيشابوري، وصحّه الهيثمي، وأخرجه إمام الحنابلة في مسنده "٤:٢٦٣"، وابن كثير في تاريخ "٣:٢٤٧"، والطبري في التاريخ "٢:٢٦١"، وابن هشام في السيرة النبويّة "٢:٢٣٦"، والهيثمي في المجمع "٩:١٣٦"، وقال: رواه أحمد والطبراني والبزّاز ورجال الجميع موثّقون، والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه "٦:٣٩٩"، نقلاً عن ابن عساكر وابن النجّار، والعيني في "عمدة القارئ" ٧:٦٣٠، ويده القارئ من المتسالم عليه في طبقات ابن سعد "٥٠٩"، وعيون الأثر لابن سيّد النّاس "١:٢٢٦"، والامتاع للمقريزي "٥٥"، والسيرة الحلبيّة "٢:١٤٢"، وتاريخ الخميس "٢:٣٦٤" وغيرها. [الغدير ٦:٣٣٦].

علي و ردّ الشمس

عن أبي رافع، قال: رقد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على فخذ عليّ عليه السلام وحضرت صلاةُ العصر، ولم يكن عليٌّ عليه السلام صلّى، وكره أن يوقظ النبيّ صلى الله عليه و آله حتّى غابت الشمس، فلمّا استيقظ، قال: 'ما صلّيتَ أبا الحسن العصر؟'، قال: 'لا، يا رسول اللّٰه'. فدعا النبيّ صلى الله عليه و آله فردّت الشمس على عليّ عليه السلام كما غابت حتّى رجعت لصلاة العصر في الوقت، فقام عليّ عليه السلام فصلّى العصر، فلمّا قضى صلاة العصر غابت الشمس، فإذا النجوم مشتبكة. المناقب لابن المغازلي الشافعي ٩٨:١٤١

كلمة في حديث ردّ الشمس لعليّ

قال الكازروني في حوادث سنة سبع: طلعت الشمس بعد ما غربت لعليّ عليه السلام. [البحار ٢١: ٤٢].

وقال المفيد: وممّا أظهره اللّٰه تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار، ورواه علماء السير والآثار، ونظمت فيه الشعراء والأشعار، رجوع الشمس له مرّتين: في حياة النبيّ صلى الله عليه و آله مرّة، وبعد وفاته أُخرى.

وكان من حيث رجوعها عليه في المرّة الأُولى، ما روته أسماء بنت عُميس، وأُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه و آله، وجابر بن عبداللّٰه الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وجماعة من الصحابة: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان ذات يوم في منزله وعليّ عليه السلام بين يديه، إذ جاءه جبرئيل عليه السلام يناجيه عن اللّٰه سبحانه، فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يرفع رأسه عنه حتّى غربت الشمس، فاضطرّ أمير المؤمنين لذلك إلى صلاة العصر، فصلّى أمير المؤمنين عليه السلام جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماءً، فلمّا أفاق صلى الله عليه و آله من غشيته، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: "أفاتتك صلاة العصر؟". قال: "لم أستطع أن أُصلّيها قائماً لمكانك يا رسول اللّٰه، والحال الّتي كنتَ عليها في استماع الوحي". فقال له صلى الله عليه و آله: "أدع اللّٰه حتّى يردّ عليك الشمس لتصلّيها قائماً في وقتها كما فاتتك، فإنّ اللّٰه تعالى يجيبك لطاعتك للّٰه ولرسوله".

فسأل أمير المؤمنين عليه السلام اللّٰه في ردّ الشمس: فردّت عليه حتّى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلّى أمير المؤمنين عليه السلام صلاة العصر في وقتها ثمّ غربت.

فقالت أسماء: أم واللّٰه لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار في الخشبة.

وكان رجوعها عليه بعد النبيّ صلى الله عليه و آله: أنّه لمّا أراد أن يَعبُر الفرات ببابل، اشتغل كثيرٌ من أصحابه بتعبير دوابِّهم و رِحالهم، و صلّى عليه السلام بنفسِه في طائفةٍ معه العصر، فلم يفرغ النّاسُ من عبورِهم حتى غَربت الشّمس، ففاتت الصّلاة كثيراً منهم، و فات الجمهور فضلُ الاجتماع معه، فتكلّموا في ذلك. فلمّا سمعَ كلامَهم فيه سألَ اللّٰه تعالى ردَّ الشَّمسِ عليه، ليجتمع "لتجمع" كافّة أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابَه اللّٰه تعالى إلى ردِّها عليه، فكانت في الأُفق على الحال الّتي تكونُ عليها وقت العصر، فلمّا سلّمَ بالقوم غابت فسُمِعَ لها وَ جِيبٌ [الوجيب: صوت السقوط. انظر "مجمع البحرين - وجب - ١٨٠: ٢"].

شديدٌ هالَ النّاسَ ذلك، و أكثروا من التسبيحِ و التهليل و الاستغفار و الحمد للّٰه على نعمتِه الّتي ظهرتْ فيهم.

و سارَ خبرُ ذلك في الآفاق و انتشرَ ذِكرُه في النّاسِ، و في ذلك يَقولُ السيِّدُ بنُ محمّدٍ الحميري رحمه الله:

رُدّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَمَّا فاتَهُ*** وَقْتُ الصَّلاةِ وَقَد دَنَتْ لِلْمَغْرِبِ

حَتَّى تَبَلَّجَ نُوْرُهَا في وَقْتِهَا*** لِلْعَصْرِ ثُمَّ هَوَتْ هَوىَّ الكَوكَبِ

وَ عَلَيْهِ قَدْ رُدَّتْ بَبَابِلَ مَرَّةً*** أُخْرى وَ مَا رُدَّتْ لِخَلْقٍ مُعْرِبِ

إلا لِيُوشَعَ أَوْلَهُ مِنْ بَعْدِهِ*** و لِرَدِّهَا تَأوِيْلُ أَمْرٍ مُعْجِبِ

سند الحديث

روى الحديث عن أسماء بنت عُميس ثلاثة وثلاثون من أعاظم محدّثي العامّة في كتبهم وكثير من محدّثي الإماميّة، وروي أيضاً عن الحسن بن عليّ، والحسين بن عليّ، وجعفر الصادق عليهم السلام، وجمع من الصحابة مثل أبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأُمّ سلمة زوجة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وجابر بن عبداللّه الأنصاري وغيرهم، وإن كانت ألفاظ الأحاديث مختلفة.

ويؤيّد صحّة الحديث وشهرته أنّه قد أفرده جماعة من الحفّاظ بالتأليف، منهم: ابن مردويه، والحافظ الحسكاني، وأبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي، وأبو الحسن شاذان الفضلي، والحافظ السيوطي، وأبو بكر الورّاق، وأبوعبداللّه الجعل البصري، والخطيب الخوارزمي، وغيرهم كثير. [راجع: هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٨٣، والغدير ١٤٠ - ٣:١٢٧].

وقال العلامة الأميني عليهاالسلام: صنّف السيوطي في هذا الحديث رسالة مستقلّة سمّاها: كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس، وقال: إنّه سبق بمثله لأبي الحسن الفضلي، أورد طرقه بأسانيد كثيرة، وصحّحه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله. [الغدير ٣:١٣٦].

لفظ الحديث

نذكر هنا نبذة من الأخبار في المقام رعاية للاختصار:

حديث عن أسماء بنت عميس

١- روى الكليني بسنده عن عمّار بن موسى، قال: دخلت أنا وأبو عبداللّه عليه السلام مسجد الفضيخ، فقال: "يا عمّار، ترى هذه الوهدة؟" [الوهدة: الأرض المنخفضة، والهوة من الأرض].

قلت: نعم. قال: "كانت امرأة جعفر [امرأة جعفر يعني بها أسماء بنت عميس، وقوله خلّف عليها: يعني كان عليّ عليه السلام قائماً في الزوجيّة مقام جعفر].

الّتي خلّف عليها أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة في هذا الموضع ومعها ابناها من جعفر فبكت، فقال لها ابناها: ما يبكيك يا أمة؟ قالت: بكيت لأمير المؤمنين عليه السلام، فقالا له: تبكين لأمير المؤمنين ولا تبكين لأبينا؟ قالت: ليس هذا هكذا، ولكن ذكرتُ حديثاً حَدَّثَني به أمير المؤمنين في هذا الموضع فأبكاني، قالا: وما هو؟ قالت: كنت أنا وأمير المؤمنين في هذا المسجد فقال لي: ترين هذه الوهدة؟ قلت: نعم. قال: كنت أنا ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قاعدين فيها إذ وضع رأسه في حجري ثمّ خفق [خفق: نام وغطّ، أي نخر في نومه].

حتّى غطّ صلى الله عليه و آله وحضرت صلاة العصر، فكرهت أن أُحرّك رأسه عن فخذي فأكون قد آذيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، حتّى ذهب الوقت وفاتت، فانتبه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقال: يا عليّ، صلّيت؟ قلت: لا، قال: ولِمَ ذلك؟ قلت: كرهت أن أُوذيك، قال: فقام واستقبل القبلة ومدّ يديه كلتيهما، وقال: اللّهمّ ردّ الشمس إلى وقتها حتّى يصلّي عليّ؟ فرجعت الشمس إلى وقت الصلاة حتّى صلّيتُ العصر، ثمّ انقضّت انقضاض الكوكب". [الكافي ٤:٥٦١، باب إتيان المشاهد وقبور الشهداء، ح ٧، والبحار ١٠٠:٢١٧].

٢- و روى ابن المغازلي الشافعي: عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عُميس، قالت: كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوحى إليه ورأسه في حجر عليّ فلم يُصَلِّ العصر حتّى غربت الشمس، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "صلّيت يا عليّ؟"، قال: "لا". فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إنّ عليّاً كان على طاعتك وطاعة رسولك، فاردُد عليه الشمس"، فرأيتها غربت، ثمّ رأيتها طلعت بعد ما غَرَبَت. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٩٦، ح ١٤٠، وتأريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٨٣، ح ٨٠٧، مع اختلاف يسير في لفظه].

٣- و روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن عروة بن عبداللّٰه بن قشير، قال: دخلت على فاطمة بنت عليّ فرأيت في عنقها خرزة، ورأيت في يديها مسكتين غليظتين، وهي عجوز كبيرة، فقلت لها: ما هذا؟ فقالت: إنّه يكره للمرأة أن تتشبّه بالرجال.

ثمّ حدّثتني أنّ أسماء بنت عميس حدّثتها أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام دفع إلى نبيّ اللّٰه صلى الله عليه و آله وقد أوحى إليه، فجلّله بثوبه فلم يزل كذلك حتّى أدبرت الشمس - تقول: غابت أو كادت أن تغيب - ثمّ

إنّ نبيّ اللّٰه صلى الله عليه و آله سرّي عنه، فقال: 'أصلّيت يا عليّ؟'. قال: 'لا'، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'اللّهمّ رّد على عليّ الشمس'. "قالت أسماء": فرجعت الشمس حتّى بلغت نصف المسجد. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٩٢، ح ٨٠٨].

٤- و روى محبّ الدين الطبري عن أسماء بنت عميس، قالت: كان رأس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في حجر عليّ عليه السلام فكره أن يتحرّك حتّى غابت الشمس، فلم يصلّ العصر، ففزع النبيّ صلى الله عليه و آله وذكر له عليّ عليه السلام أنّه لم يصلّ العصر، فدعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله اللّٰه عزّ وجلّ أنْ يردّ الشمس عليه، فأقبلت الشمس لها خوار حتّى ارتفعت قدر ما كانت في وقت العصر، قال: فصلّى ثمّ رجعت. [الرياض النضرة ٤:١٢٥].

٥- و في "البحار" روي المجلسي عن الطحاوي في "مشكل الآثار" عن أسماء بنت عميس من طريقين: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يوحى إليه ورأسه في حجر عليّ عليه السلام فلم يصلّ العصر حتّى غربتالشمس، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أصلّيت يا عليّ؟'، قال: 'لا'، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'اللّهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس'. قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثمّ رأيتها طلعت بعد ما غربت. [البحار ٢١:٤٢].

قال الكازروني: وهذا حديث ثابت، رواته ثقات. [المصدر المتقدّم: ٤٣].

وحكى الطحاوي أنّ أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنّه من علامات النبوّة. [المصدر المتقدّم].

قال أبو الحسن شاذان الفضلي في الحديث السابع من "رسالة ردّ الشمس" عن عبداللّٰه بن الحسن، عن اُمّه فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عميس، قالت: اشتغل عليّ مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في قسمة الغنائم يوم خيبر حتّى غابت الشمس. فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، صلّيت العصر؟'، قال: 'لا، يا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وجلس في المسجد فتكلّم بكلمتين أو ثلاث كأنّها من كلام الحبش، فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر، فقام عليّ عليه السلام فتوضّأ وصلّى العصر. ثمّ تكلّم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بمثل ما تكلّم به قبل ذلك، فرجعت الشمس إلى مغربها، فسمعت لها صريراً كالمنشار في الخشبة. [هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٨٧، و نحوه في كفاية الطالب: ٢٨٥].

عن أبي هريرة

وقال السيوطي في "الخصائص الكبرى": عن أبي هريرة، قال: نام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ورأسه في حجر عليّ عليه السلام ولم يكن صلّى العصر حتّى غربت الشمس، فلمّا قام النبيّ صلى الله عليه و آله دعا له فردّت عليه الشمس حتّى صلّى، ثمّ غابت ثانية. [الخصائص الكبرى ٢:١٣٧].

عن جمع من الصحابة

١- وقال القندوزي في "ينابيع المودّة": أنّ أُمّ سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبداللّٰه وأبا سعيد الخدري وغيرهم من جماعة الصحابة، قالوا: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كان في منزله تغشّاه الوحي توسّد فخذ عليّ عليه السلام، فلم يرفع رأسه حتّى غابت الشمس وصلّى عليّ العصر بالإيماء، فلمّا أفاق صلى الله عليه و آله قال: "اللّهمّ أردد الشمس لعليّ"، فردّت عليه الشمس حتّى صارت في السماء وقت العصر، فصلّى عليّ عليه السلام العصر، ثمّ غربت. فأنشأ حسّان بن ثابت:

يا قوم من مثل عليّ وقد*** رُدّت عليه الشمس من غائب

أخو رسول اللّٰه وصهره*** والأخ لا يعدل لصحاب

[ينابيع المودّة ١:١٣٨].

٢- روى العلامة الشيخ عبيداللّٰه الحنفي الأمرتسري عن أسماء بنت عميس و أُمّ سلمة وجابر بن عبداللّٰه الأنصاري، وابن سعيد الخدري والحسين بن عليّ عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان ذات يوم في منزله وعليّ عليه السلام بين يديه؛ إذ جاء جبرئيل يناجيه عن اللّٰه عزّ وجلّ، فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ عليّ عليه السلام ولم يرفع [رأسه] حتّى غابت الشمس، فصلّى العصر جالساً إيماء، فلمّا أفاق قال لعليّ عليه السلام: "فاتتك العصر؟". قال: "صلّيتها قاعداً إيماءً". فقال: "ادع اللّٰه يردّ عليك الشمس حتّى تصلّيها قائماً في وقتها، فإنّه يجيبك لطاعتك للّٰه ولرسوله"، فسأل اللّٰه في ردّها عليه حتّى صارت في موضعها من السماء وقت العصر، فصلاها ثمّ غربت، واللّٰه لقد سمعنا بها عند غروبها كصرير المنشار. [أرجح المطالب: ٦٨٦، نقلاً عن الإحقاق ٥:٥٣٦].

عن الحسن بن عليّ

روى محبّ الدين الطبري عن الحسن بن عليّ عليهماالسلام، قال: "كان رأس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في حجر عليّ عليه السلام وهو يوحى إليه، فلمّا سرّي عنه، قال: يا عليّ، صلّيت العصر؟ قال: لا، قال: اللّهمّ إنّك تعلم إن كان في حاجتك وحاجة نبيّك فرُدّ عليه الشمس، فردّها عليه فصلّى وغابت الشمس". [الرياض النضرة ٤:١٢٥].

ورواه ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان" عن الحسن بن عليّ عليه السلام بعينه. [لسان الميزان ١:٤٧، حرف الألف].

عن الأئمّة المعصومين

وفي تفسير العيّاشي: عن عبداللّٰه بن سنان، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: "دخل عليٌّ عليه السلام على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في مرضه وقد أُغمي عليه ورأسه في حجر جبرئيل، وجبرئيل في صورة دحية الكلبي، فلمّا دخل عليّ عليه السلام قال له جبرئيل: دونك رأس ابن عمّك، فأنت أحقّ به منّي؛ لأنّ اللّٰه يقول في كتابه: "وأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ". [سورة الأنفال: ٧٥].

فجلس عليّ عليه السلام، وأخذ رأس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فوضعه في حجره، فلم يزل رأس رسول اللّٰه في حجره حتّى غابت الشمس، وإنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أفاق فرفع رأسه فنظر إلى عليّ عليه السلام، فقال: يا عليّ، أين جبرئيل؟ فقال: يا رسول اللّٰه، ما رأيت إلا دحية الكلبي، دفع إليَّ رأسك، قال: يا عليّ، دونك رأس ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي؛ لأنّ اللّٰه يقول في كتابه: "وأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ"، فجلست وأخذت رأسك، فلم تزل في حجري حتّى غابت الشمس، فقال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أفصلّيت العصر؟

فقال: لا. قال: فما منعك أن تصلّي؟ فقال: قد أُغمي عليك، وكان رأسك في حجري، فكرهت أن أشقّ عليك، يا رسول اللّٰه، وكرهت أن أقوم وأُصلّي وأضع رأسك، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إنّ عليّاً كان في طاعتك وطاعة رسولك حتّى فاتته صلاة العصر، اللّهمّ فردّ عليه الشمس حتّى يصلّي في وقتها. قال: فطلعت الشمس فصارت في وقت العصر بيضاء نقيّة، ونظر إليها أهل المدينة، وإنّ عليّاً عليه السلام قام وصلّى، فلمّا انصرف غابت الشمس وصلّوا المغرب". [تفسير العيّاشي ٢:٧٠، والبحار ٤١:١٧٢].

وغير ذلك من الأخبار الواردة في هذا المقام. وقد اكتفينا بذلك رعاية للاختصار.

احتجاج الامام يوم الشورى بردّ الشمس

قال أبو الحسن شاذان الفضلي في الحديث الثاني عشر من "رسالة ردّ الشمس": عن علقمة، عن أبي ذرّ، قال: قال عليّ يوم الشورى: "أُنشدكم باللّه، هل فيكم من ردّت له الشمس غيري حين نام رسول اللّه صلى الله عليه و آله وجعل رأسه في حجري حتّى غابت الشمس فانتبه، فقال: يا عليّ، صلّيت العصر؟ قلت: اللّهمّ لا. فقال: اللّهمّ أرددها عليه، فإنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك؟". [راجع: هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٣٠٤].

ردّ الشمس لعليّ بعد وفاة رسول اللّه

فقد مرّ أوّل الفصل أنّ الشمس رجعت على عليّ عليه السلام أيضاً مرة ثانية بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله، وإليك بعض ما ورد من الأحاديث في المقام:

روى المجلسي عن جويرية بن مسهر وأبو رافع والحسين بن عليّ عليه السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا عبر الفرات ببابل صلّى بنفسه في طائفة معه العصر، ثمّ لم يفرغ النّاس من عبورهم حتّى غربت الشمس وفات صلاة العصر الجمهور، فتكلّموا في ذلك، فسأل اللّه تعالى ردّ الشمس عليه فردّها عليه، فكانت في الأُفق، فلمّا سلّم القوم غابت فسُمع لها وجيب شديد هال النّاس ذلك، وأكثروا التهليل والتسبيح والتكبير ومسجد الشمس بالصاعديّة من أرض بابل شائع ذائع. [البحار ٤١:١٧٤].

وفي "إشاد المفيد" روى الحديث بعينه بلا إسناد إلى الراوي. [إرشاد المفيد ١:٣٣].

وروي نحو ذلك خبر عن الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه الحسين عليهم السلام، وفي "ينابيع المودّة للقندوزي: ١٣٨ "، وكذا في "بحر المناقب المخطوط لابن حسنويه الحنفي: [إحقاق الحقّ ٥:١٣٧ و ١٣٨].

وروى نصر بن مزاحم المنقري عن عبدالخير [هو عبد خير بن يزيد الهمداني، أبو عمارة الكوفي، أدرك الجاهليّة وأدرك زمن النبيّ صلى الله عليه و آله ولم يسمع منه].

قال: كنت مع عليّ أسير في أرض بابل، قال: وحضرت الصلاة، صلاة العصر، قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيَحَ [أفيح: من الفيح، وهو الخصب والسعة، وفي الأصل ح: "أقبح"].

من الآخر، قال: حتّى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. قال: فنزل عليّ عليه السلام ونزلت معه، قال: فدعا اللّه فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، قال: فصلّينا العصر، ثمّ غابت إلى آخره. [كتاب صفّين: ١٣٦].

فيما قيل من الشعر في ردّ الشمس

قال السيّد ابن محمّد الحميري:

رُدَّت عليه الشمسُ لمّا فاتَه*** وقتُ الصلاةِ وقد دَنَتْ لِلمغرب

حَتَّى تَبلَّجَ نُورُها في وقتِها*** للعصر ثُمّ هَوَتْ هَويَّ الكوكب

وعليه قد رُدَّت ببابلَ مَرَّةً*** أُخرى وما ردّت لخلق معرب

[إرشاد المفيد ١:٣٤٧].

وأنشأ حسّان بن ثابت:

يا قوم من مثل عليّ وقد*** رُدّت عليه الشمس من غائب

أخو رسول اللّه وصهره*** والأخُ لا يَعدل بالصاحب

[ينابيع المودّة ١:١٣٧].

وأنشأ أبو عبداللّه الحسين بن عبيداللّه بن هبة اللّه القزويني مرتجلاً على المنبر ببغداد:

لا تعجلي يا شمس حتّى ينتهي*** مدحي لفضل المرتضى ولنجله

يثنى عنانك إن غربت ثناؤه*** أنسيت يوماً قد رُددت لأجله

[الغدير ٣:١٣١، عن القزويني الحنفي الواعظ].

وقال الصنوبري في قصيدة:

ردّت له الشمس في أفلاكها فقضى*** صلاته غير ما ساه ولا وانِ

أليس من حلّ منه في أُخوّته*** محلّ هارون من موسى بن عمرانِ

[هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٣٠٥].

قال عليّ بن محمّد بن جعفر الحماني:

ابن الّذي ردّت عليه الشم*** -س في يوم الحجابِ

وابن القسيم النّار في*** يوم المواقف والحسابِ

[المصدر المتقدّم].

ايراد ابن حزم الأندلسي على ردّ الشمس و جوابه

قال ابن حزم الأندلسي في كتاب "الفصل في الملل والنحل": إنّ الروافض يقولون: إنّ الشمس ردّت على الإمام عليّ بن أبي طالب مرّتين، فقوم هذا أقلّ مراتبهم في الكذب، أيستشنع منهم كذب يأتون به، وكلّ من لم يزجره عن الكذب ديانة أو نزاهة نفسٍ أمكنه أن يكذب ما شاء. [الفصل في الملل والنحل ٢:٧٨].

وقال العلامة الأميني رحمه الله في ردّه ما ملخّصه:

ربّما يحسب ابن حزم أنّ القول بردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام من خاصّة الشيعة فقط حتّى ينكره، ويقول: إنّه قول زور، مع أنّه لا يدري، بل يدري ولكن يتجاهل، أنّ الحديث ثابت بالسنّة. فأدب الشيعة مانع أن يتقابل له بالمثل فيما قال من مثال صفاقة الوجه وصلابة الخدّ وعدم الحياء والجرأة على الكذب؟!

فنقول:

إنّ حديث ردّ الشمس أخرجه جمع من الحفّاظ الأثبات بأسانيد جمّة، صحّح جمعٌ من مهرة الفنّ بعضها، وحكم آخرون بحسن آخر، وشدّد جمع منهم النكير على من غمز فيه وضعّفه وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأمويّة الخبيثة، أعني: ابن حزم، وابن الجوزي، وابن تيميّة، وابن كثير، وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المآثر النبويّة والمكرمة العلويّة الثابتة فأفردوها بالتأليف وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها.

ثمّ ذكر العلامة الأميني كثيراً من علماء العامّة الّذين أفردوا الحديث بالتأليف، وقد بلغوا اثنين وأربعين رجلاً، وذكر أسماء مصنّفاتهم. [راجع الغدير ٣:١٢٦].

ثمّ قال: فبهذه كلّها نعرف قيمة ابن حزم وقيمة كتابه. ونحن لا يسعنا إيقاف القارئ على كلّ ما في "الفصل" من الطامّات ولا على شطرٍ مهمٍّ منه؛ إذ جميع أجزائه ولا سيّما الجزء الرابع مشحونٌ بالتهكّم والتقوّل والتحريف والتدجيل والإفك والزور، وهناك مذاهب مختلفة لا وجود لها إلا في عالم خيال مؤلّفه. [المصدر المتقدّم: ١٤١].

ما يمكن أن يورد على الحديث وجوابه

الأوّل: إن قال قائل: إنّ هذا يقتضي أن يكون عليّ عليه السلام عاصياً بترك الصلاة؛ لأنّه فات الصلاة العصر منه، وهو حرام؟

أقول في الجواب:

أوّلاً: يمكن أن يكون لعلمه عليه السلام برجوع الشمس له، فيأتي صلاته في وقته.

وثانياً: أنّه عليه السلام صلّى إيماءً حذراً من إيذاء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، كما أشار في بعض الأخبار إلى أنّه عليه السلام صلّى صلاة العصر إيماءً.

ثالثاً: يمكن أن يكون المراد بذهاب الوقت ذهاب وقت الفضيلة، وكذا المراد بفوت الصلاة، فوت فضلها، وفائدة ردّها ليدرك عليه السلام فضيلة الصلاة في أوّل وقتها، ويكون ذلك دلالة على سموّ محلّه وجلالة قدره في خرق العادة من أجله.

والعمدة في الجواب أنّه عليه السلام مع وجود الرسول الإسلام لا يبقى مجالاً لهذا الإشكال؛ إذ لو كان تركه عليه السلام لصلاة العصر على الفرض فعلى النبيّ صلى الله عليه و آله أن يعترض عليه عليه السلام مع أنّه صلى الله عليه و آله لم يعترض عليه فيدلّ على صحّة عمله عليه السلام.

الثاني: من الإيرادات: إذا كان النبيّ صلى الله عليه و آله هو الداعي بردّ الشمس لعليّ عليه السلام، فالعادة إنّما أُخرقت للنبيّ صلى الله عليه و آله لا لعليّ، فليس هذه فضيلة ولا منقبة لعليّ عليه السلام، بل للرسول صلى الله عليه و آله ؟

أقول في الجواب:

أوّلاً: في بعض الأخبار الّتي مرّت أنّ الداعي هو عليّ عليه السلام بأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

وثانياً: لو سلّمنا أنّ الداعي إنّما هو النبيّ صلى الله عليه و آله، لكن دعاءه صلى الله عليه و آله بردّ الشمس كان لأجل عليّ عليه السلام ليدرك ما فاته من إتيان الصلاة في وقتها، أو في وقت فضيلتها، فشرف انخراق العادة والفضيلة ينقسم بينهما، أعني النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام، ولا يكون عليّ عليه السلام محروماً من هذه الفضيلة.

الثالث: من الايرادات ما قيل، وهو العمدة: كيف يصحّ ردّ الشمس وأصحاب الهيئة والفلك يقولون ذلك محال، لا تناله قدرة، ولو فرضنا جواز ردّها على مذاهب أهل الإسلام، أليس لو ردّت الشمس من وقت الغروب إلى وقت الزوال لكان يجب أن يعلم أهل الشرق والغرب بذلك؛ لأنّها تبطئ بالطلوع على بعض أهل البلاد فيطول ليلهم على وجه خارق للعادة، وتمتدّ من نهار قوم آخرين ما لم يكن ممتدّاً. ولا يمكن أن يخفى على أهل البلاد غروبها، ثمّ عودها طالعة بعد الغروب. وكانت الأخبار تنتشر بذلك وتؤرّخ هذه الحادثة العظيمة في التواريخ وتكون أبهر وأعظم من طوفان نوح؟

أقول في الجواب:

أوّلاً: قد دلّت الأدلّة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم وغيرها، غير محرّك بنفسه، وأنّ اللّٰه تعالى هو المحرّك له والمصرّف باختياره، والّذي فطرهنّ يقدر أن يردّها لحظة لمصلحة يراها وليس هنا موضع ذكر أدلّتها وحججها.

وثانياً: قوله: "لكان يجب أن يعلم أهل المشرق والمغرب" غير واجب؛ لأنّا لا نقول: بأنّ الشمس ردّت من وقت الغروب إلى وقت الزوال أو ما يقاربه، بل نقول: إنّ وقت فضيلة صلاة العصر بعد مضي زمان إتيان صلاة الظهر من دون فصل زائد، ففوات هذا الوقت يتحقّق بمضيّ زمان قليل ولو بمقدار أداء ركعة واحدة، وردّ الشمس بهذا المقدار لدرك الفضيلة ممّا يمكن خفاؤه على من حضر الحال، فضلاً عن غيرهم.

أمّا قياس ردّ الشمس إلى طوفان نوح، فلا بدّ أن يؤرّخ في التاريخ، فهو باطل في وجوه:

أوّلاً: اختلاف الأُفق يقتضي وقوع ردّ الشمس في المدينة ورؤيته من قبل أهل المدينة فقط، لا سائر البلاد، بخلاف طوفان نوح فإنّه واقع في جميع بلاد تلك الأعصار.

وثانياً: آثار الطوفان باقية، كانهدام البنايات، وبقاء أمتعة النّاس وغيرها، بخلاف ردّ الشمس حيث لم يبق أثر منها.

و ثالثاً: لو كان ذلك العصر - عصر النبيّ صلى اللّٰه عليه و آله - كعصرنا هذا مع وجود الساعات وعوامل النجوم والرصد وغيرها لانتشر الخبر وأُرّخ في التاريخ والكتب، فظهر ممّا ذكرنا جواب هذا الإيراد برمّته. [أخذنا الإيرادات مع جوابها من البحار ٤١:١٨٥، عن السيّد المرتضى رحمه اللّٰه، فراجعه].

علي وارث علم النبيّين والمرسلين

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "إنّ اللّٰه جمع لمحمّد صلى اللّٰه عليه و آله... علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين...".

أُصول الكافي ١:٢٢٢، الحديث ٦.

كلمة في أنّ عليّاً وارث علم النبيّين

كان لعليّ عليه السلام مراتب من العلم والفضل لا يحتملها بعد النبيّ صلى اللّٰه عليه و آله غيره أبداً، فهو وارث علم جميع الأنبياء والمرسلين من الأوّلين والآخرين، من آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وهلمّ جرّاً إلى النبيّ الأعظم الخاتم "صلوات اللّٰه عليهم أجمعين".

وعليّ عليه السلام عالم بجميع العلوم والفنون، فليس علمه منحصراً في مورد خاصّ دون مورد، ونحن لا نستطيع أن نعرف علمه ومدى إيمانه باللّٰه تعالى، بل المطّلع على علمه وفضائله اللّٰه تعالى ورسوله.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، لا يعرف اللَّه إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا اللَّه وأنت، ولا يعرفك إلا اللَّه وأنا'.

وعلمه إفاضة من اللَّه تعالى، فهو ينهل العلم من معين النبوّة لا بالاكتساب والتحصيل. قال عمّار: لمّا حضر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الوفاة دعا بعليّ عليه السلام فسارّه طويلاً، ثمّ قال: 'يا عليّ، أنت وصيّي ووارثي، قد أعطاك اللَّه علمي وفهمي' الحديث. [البحار ٣٦:٣٢٨].

اليك نص الاحاديث

فقد وردت روايات كثيرة من طرق العامّة و الخاصة عن النبي صلى الله عليه و آله الدالّة على غزارة علم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام و احاطته بعلوم الانبياء بحيث تبلغ حد التواتر، فنذكر هنا جماً منها:

١- في "الكافي": عن عليّ بن النعمان رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: 'يمصّون الثماد [المصّ: الشرب بالجذب. والثمد: الماء القليل، كأنّه عليه السلام أراد أن يبيّن أنّ العلم الّذي أعطاه اللَّه نبيّه صلى الله عليه و آله ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام هو اليوم عنده، وهو نهر عظيم يجري اليوم من بين أيديهم، ويمصّون الثماد كناية عن الاجتهادات والأهواء وتقليد الأبالسة في الآراء].

ويَدَعُون النهر العظيم'.

قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: 'رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والعلم الّذي أعطاه اللَّه، إنّ اللَّه عزّ وجلّ جمع لمحمّد صلى الله عليه و آله سنن النبيّين من آدم وهلمّ جرّاً إلى محمّد صلى الله عليه و آله'.

قيل له: وما تلك السنن؟ قال: 'علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صيّر ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام'.

فقال له رجلٌ: يابن رسول اللَّه، فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيّين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: 'اسمعوا ما يقول؟ إنّ اللَّه يفتح مسامع من يشاء، إنّي حدّثته أنّ اللَّه جمع لمحمّد صلى الله عليه و آله علم النبيّين، وأنّه جمع ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيّين؟'. [أُصول الكافي ١:٢٢٢].

٢- وفيه أيضاً: عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إنّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبة اللَّه بن آدم، وما من نبيّ مضى إلا وله وصيّ، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ، منهم خمسة أُولوا العزم: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد

عليهم السلام، وإنّ عليّ بن أبي طالب كان هبة اللّٰه لمحمّد، وورث علم الأوصياء وعلم مَن كان قبله، أما إنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين.

على قائمة العرش مكتوب: حمزة أسد اللّٰه ورسوله وسيّد الشهداء، وفي ذؤابة [ذوابة العرش: أعلاه].

العرش عليّ أمير المؤمنين، فهذه حجّتنا على من أنكر حقّنا وجحد ميراثنا، وما منعنا من الكلام وأمامنا اليقين، فأيّ حجّة تكون أبلغ من هذا". [أُصول الكافي ٢:٢٢٤].

٣- وفي "المناقب" عن حنش الكناني أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: "واللّٰه، لقد علمت بتبليغ الرسالات، وتصديق العدات، وتمام الكلمات". وقوله: "إنّ بني جنبي لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة"، وقوله: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً". [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٨، والبحار ٤٠:١٥٣].

فكيف نتمكّن نحن ذوي العلم المحدود من الإحاطة ببحر العلوم وخازن معرفة اللّٰه ووارث علم الأنبياء من آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه و آله، أعني "عليّ بن أبي طالب عليه السلام"؟!

٤- و روى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "من أراد أن ينظر إلى آدم، وفقه نوح فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب". [المناقب لابن المغازلي: ٢١٢، ح ٢٥٦].

٥- وفي البحار: عن سماعة، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "إنّ اللّٰه علّم رسوله الحلال والحرام والتأويل، فعلّم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله علمه كلّه عليّاً عليه السلام". [البحار ٤٠:٢٠٨].

وقد روى هذا الحديث جمع من الرواة منهم: حمّاد بن عثمان، وحمران بن أعين، وأبو بصير. [راجع المصدر المتقدّم].

٦- وفيه أيضاً: عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "إنّ اللّٰه تعالى علّم رسوله القرآن وعلّمه أشياء سوى ذلك، فما علّم اللّٰه رسوله فقد علّم رسوله عليّاً". [البحار ٤٠:٢٠٩].

٧- وفيه أيضاً: عن حمران بن أعين، قال: قلت لأبي عبداللّٰه عليه السلام: جعلتُ فداك، بلغني أنّ اللّٰه تعالى قد ناجى عليّاً عليه السلام؟ قال: "أجل، قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبرئيل، وقال: إنّ اللّٰه علّم رسوله الحلال والحرام والتأويل، فعلّم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً كلّه". [المصدر المتقدّم بعينه].

٨- وفيه أيضاً: عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "نزل جبرئيل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه و آله برمّانتين من الجنّة، فلقيه عليّ عليه السلام فقال له: ما هاتان الرمّانتان اللتان في يدك؟

قال: أمّا هذه فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وأمّا هذه فالعلم، ثمّ فلقها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأعطاه نصفها وأخذ نصفها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: أمّا أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه'. قال: 'فلم يعلّم اللَّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حرفاً ممّا علّمه اللَّه تعالى إلا علّمه عليّاً'. [المصدر المتقدّم].

٩- وفيه أيضاً: عن عبدالحميد بن أبي الديلم:، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: 'إنّ اللَّه تبارك وتعالى أوحى إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، فاجعل الاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوّة عند عليّ بن أبى طالب، فإنّي لا أترك الأرض إلا ولى فيها عالم تعرف به طاعتي، وتعرف "به" ولايتي، ويكون حجّة بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر، فأوصى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوّة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام'. [المصدر المتقدّم: ٢١٦].

١٠- وفيه أيضاً: عن عبداللَّه بن الوليد السمّان، قال: قال الباقر عليه السلام: 'يا عبداللَّه، ما تقول في عليّ وعيسى وموسى عليهم السلام؟'.

قلت: وما عسى أن أقول فيهم. فقال: 'واللَّه عليّ عليه السلام أعلم منهما'.

ثمّ قال: 'ألستم تقولون: إنّ لعليّ عليه السلام ما لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله من العلم؟'. قلنا: نعم، والنّاس ينكرون. قال: 'فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى: 'وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شيء '. [سورة الأعراف: ١٤٥، وفي المصدر بعد ذلك زيادة وهي: فاعلمنا أنّه لم يكتب له الشي ء كلّه، وقال لعيسى عليه السلام: 'وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ'، فاعلمنا إلى آخره].

فاعلم أنّه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال لمحمّد صلى الله عليه و آله: 'وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هؤُلاَءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شيء '. [سورة النحل: ٨٩].

وقال: فاسأل عن قوله تعالى: 'قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ'. [سورة الرعد: ٤٣].

ثمّ قال: 'واللَّه إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وأخيرنا بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله'. [البحار ٤٠: ٢١٢].

١١- وفيه أيضاً: عن الثعلبي في تفسيره، بإسناده عن ابن عبّاس، وروي عن عبداللَّه بن عطاء، عن أبي ج عفر عليه السلام أنّه قيل لهما: زعموا أنّ الّذين عنده علم الكتاب عبداللَّه بن سلام، قال: 'ذاك عليّ بن أبي طالب عليه السلام'. [المصدر المتقدّم: ١٤٦].

١٢- وروى ابن عساكر الشافعي، بإسناده عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'عليّ عيبة علمي'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٨٢، ح ١٠٠١].

١٣- وروى هو أيضاً عن معاوية بن أبي سفيان، قال: 'كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يغرّ عليّاً بالعلم غرّاً'. [المصدر المتقدّم: ح ١٠٠٢].

١٤- وروى الصدوق بسنده عن أصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - قال: 'يا أيّها النّاس، إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أسرَّ إليَّ ألف حديث، في كلّ حديث ألف باب، لكلّ باب ألف مفتاح' إلى آخره. [الخصال ٢:٦٤٤، والبحار ٤٠:١٢٧].

١٥- وفيه أيضاً: عن محمّد بن الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله علّم عليّاً عليه السلام ألف حرف، كلّ حرف يفتح ألف حرف، والألف حرف كلّ حرف منها يفتح ألف حرف'. [المصدر المتقدّم: ٦٤٨، والبحار ٤٠:١٣٢].

١٦- وفيه أيضاً: عن عبداللّٰه بن ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهم السلام: 'أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله حدّث عليّاً عليه السلام ألف كلمة، كلّ كلمة يفتح ألف كلمة، فما يدري النّاس ما حدّثه'. [المصدر المتقدّم: ٦٥٠، والبحار ٤٠:١٣٣].

١٧- وفي "تاريخ دمشق":عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهور وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنده منه علم الظاهر والباطن. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٥، ح ١٠٤٨].

١٨- وفيه أيضاً: عن عائشة، قالت: عليّ بن أبي طالب أعلمكم بالسنّة. [المصدر المتقدّم: ٤٨، ح ١٠٧٩].

١٩- وفيه أيضاً: عن عبدالملك بن أبي سليمان، قال: قلت للعطاء بن أبي رباح: أكان في أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله أعلم من عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: لا واللّٰه ما أعلمه. [المصدر المتقدّم: ٥٣، ح ١٠٨٩].

٢٠- وفيه أيضاً: عن أبي بكر محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: 'كنت إذا سألته - يعني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - أجابني وإن سكتُّ ابتدأني، وما نزلت عليه آيةٌ إلا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا اللّٰه لي أن لا أنسى شيئاً علّمني إيّاه، فما نسيت من حرام ولا حلال، وأمر ونهي، وطاعة ومعصية، ولقد وضع يده على صدري وقال: اللّهمّ املأ قلبه علماً وفهماً

وحكماً ونوراً. ثمّ قال لي: أخبرني ربّي عزّ وجلّ أنّه قد استجاب لي فيك'. [المصدر المتقدّم: ٤٨٥، ح ١٠٠٤].

٢١- روى الكليني، بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: 'لمّا أن قضى محمّد صلى الله عليه و آله نبوّته واستكمل أيّامه أوحى اللّٰه تعالى إليه: أن - يا محمّد - قد قضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، فاجعل العلم الّذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة في أهل بيتك، عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة من العقب من ذرّيّتك، كما لم أقطعها من ذرّيّات الأنبياء'. [أُصول الكافي ١:٢٩٢، باب النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، ح ٢].

قال العلامة المجلسي رحمه الله في بيان الحديث: فالمراد بالعلم، العلوم الّتي أوحى اللّٰه إليه صلى الله عليه و آله وبالإيمان التصديق بها مع الانقياد المقرون بالإيقان، أو العلوم المتعلّقة بأُصول الدين فيكون تعميماً بعد التخصيص.

والمراد بالاسم الأكبر إمّا الاسم الأعظم، أو القرآن التامّ الّذي عندهم، أو هو مع سائر كتب الأنبياء، فالمراد بالاسم صاحب الاسم، أو هو بمعنى العلامة.

والمراد بالميراث العلم ما في الجفر الأبيض من كتب الأنبياء السابقين، فيكون على بعض الوجوه المتقدّمة تأكيداً، أو كتب العلماء السابقين سوى الكتب المنزلة. وقيل: الإضافة لاميّة، والمراد به الخلافة الكبرى، وقيل: المراد به التخلّق بأخلاق اللّٰه أي ما أورثه العلم.

والمراد بآثار علم النبوّة جميع علم النبيّ صلى الله عليه و آله تأكيداً، أو كتب الأنبياء تأكيداً، أو تأسيساً، أو آثار الأنبياء - سوى العلم - من السلاح والعصا وغيرهما، وقيل: هي علم الشرائع والأحكام. [مرآة العقول ٣:٢٦٩].

روى الكليني أيضاً: بسنده عن يونس بن رباط، قال: دخلت أنا وكامل التمّار على أبي عبداللّٰه عليه السلام، فقال له كامل: جعلت فداك، حديث رواه فلان؟ فقال: 'اذكره'. فقال: حدّثني أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله حدّث عليّاً عليه السلام بألف باب يوم توفّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، كلّ باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب؟ فقال عليه السلام: 'لقد كان ذلك'. قلت: جعلت فداك، فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم؟ فقال عليه السلام: 'يا كامل، باب أو بابان'. فقلت: جعلت فداك، فما يرون من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان؟

قال: فقال عليه السلام: 'وما عسيتم أن تروا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معطوفة'. [أُصول الكافي ١:٢٩٧، من ذاك الباب، ح٩].

٢٢- روى الكليني أيضاً: بسنده عن بشير الدهّان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله في مرضه الّذي توفّي فيه: 'ادعوا لي خليلي، فأرسلتا إلى أبويهما، فلمّا نظر إليهما رسول اللّه أعرض عنهما. ثمّ قال: ادعوا لي خليلي، فأرسل إلى عليّ عليه السلام، فلمّا نظر إليه أكبّ عليه يحدّثه، فلمّا خرج لقياه فقالا له: ما حدّثك خليلك؟ فقال: حدّثني ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب'. [المصدر المتقدّم: ٢٩٦، من ذاك الباب، ح٤].

٢٣- وفي "البحار": عن أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه و آله، قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله في مرضه الّذي توفّي فيه: 'ادعوا لي خليلي'، فأرسلت عائشة إلى أبيها، فلمّا جاء غطّى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وجهه، وقال: 'ادعوا لي خليلي'، فرجع متحيّراً، وأرسلت حفصة إلى أبيها، فلمّا جاءه غطّى وجهه، وقال: 'ادعوا لي خليلي'، فرجع متحيّراً. وأرسلت فاطمة "سلام اللّه عليها" إلى عليّ عليه السلام فلمّا أن جاء قام رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ثمّ جلّل عليّاً عليه السلام بثوبه، فقال عليّ عليه السلام: 'حدّثني ألف حديث، كلّ حديث يفتح ألف باب، حتّى عرق رسول اللّه صلى الله عليه و آله فسال عرقه علَيّ وسال عرقي عليه'. [البحار ٤٠:٢١٥].

٢٤- وفيه أيضاً: عن إسماعيل بن عبداللّه بن جعفر، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام، قال: 'أوصاني النبيّ صلى الله عليه و آله إذا أنا متُّ فغسّلني بستّ قرب من بئر غرس [بئر غرس بالمدينة، كان النبيّ صلى الله عليه و آله يستطيب ماءها، وأوصى أن يغسّل منها].

فإذا فرغتَ من غسلي فأدرجني في أكفاني، ثمّ ضع فاك على فمي، قال عليه السلام: ففعلت وأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة'. [البحار ٤٠:٢١٣].

٢٥- وفي "تاريخ دمشق": عن عبداللّه بن عمرو، أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال في مرضه: 'ادعوا لي أخي'، فدعي له عثمان، فأعرض عنه.

ثمّ قال: 'ادعوا لي أخي'، فدعي له عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فستره بثوب وانكبّ عليه، فلمّا خرج من عنده قيل له: ما قال النبيّ صلى الله عليه و آله ؟ قال: 'علّمني ألف باب، يفتح كلّ باب ألف باب'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٨٤].

وما ورد في هذا الباب كثير، ذكرنا بعضه في فصل: "عليّ عليه السلام وحديث: 'أنا مدينة العلم وعليّ بابها'"، وفصل: "نماذج من سعة علمه عليه السلام"، وفصل: "عليّ بلغ من العلم الدرجة القصوى"، وفصل: "عليّ عليه السلام 'وسلوني قبل أن تفقدوني'، كما سيأتي، فراجعها.

علي بلغ من العلم الدرجة القُصوى

عن مسروق: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة عليّ بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبداللّٰه بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، وهو لم يسألهما.

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ٣:٥١، ح ١٠٨٦

نظرة في علمه

كان عليّ عليه السلام عالماً من العِلم، وينبوعاً للحكمة والمعرفة، ويكفينا دلالة على سعة علم عليّ عليه السلام أن نلقي نظرة على قطرة من محيط علمه المترامي أودعها في "نهج البلاغة"، فنهل منها كلّ عالم، وارتوى منها كلّ طالب علم، وبهذه النظرة سوف نقف على مدى سعة علمه، وعمق فكره.

إنّ من مفاخر عليّ أنّه كان تلميذ مدرسة الوحي والرسالة، وتربّى في أحضان النبيّ صلى الله عليه و آله، فَغَذّى النبيّ - وهو محيط العلوم والفضائل - عليّاً من علمه، وأفاض على روحه وقلبه من حكمته حتّى قال: 'أنا مدينة العلم وعليّ بابها'، وقال: 'أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها'. [وقد ذكرنا مصادر متعدّدة في فصول علمه عليه السلام].

وفي لحظات عمره الأخيرة أودع عليّاً أسراراً عظيمة قال عنها عليّ عليه السلام: 'حدّثني ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب'. [المصدر المتقدّم].

لقد ترامت أطراف بحر علم عليّ، وتلاطمت أمواجه، وامتلأ بعلوم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الفيّاضة، واطّلع على الأسرار العلميّة، حتّى قال: 'سلوني عن طرق السماوات، فإنّي أعرف بها من طرق الأرض'.

لم يكن عليّ عليه السلام عالماً بالعلوم الإسلاميّة وحسب، بل كان عارفاً بعلوم الأديان السابقة وأحكامها حتّى أنّه كان قادراً على أن يحكم بين أهل كلّ ملّة بأحكامهم. يقول عليه السلام: 'فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما واللّٰه لو ثنيت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوارتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينادي كلّ كتاب بأنّ عليّاً حكم بحكم اللّٰه فيّ'. [سيأتيك سنده آخر الفصل].

وقد بحث عليّ وتكلّم على مدى حياته في أسرار القرآن والعلوم الإسلاميّة المختلفة والمسائل الفلسفيّة والكلاميّة المعقّدة، وأجاب الإجابة الصحيحة على أسئلة العلماء المعقّدة الصعبة، ولم يكن غيره يقوى على هذه الإجابة، ولولاه لبقيت تلك المسائل ألغازاً لا تحلّ، وأُموراً مبهمة غامضة يحير فيها البشر طوال التاريخ. وجملة القول فإنّ عليّاً عليه السلام كان كتاب اللّه المتحرّك، والقرآن الناطق، والقلب الملي ء، وينابيع العلوم القرآنيّة وعلوم النبيّ، والمفيض على العلماء وطلاب العلم مسائل الإسلام وأحكامه بجوانبها المتعدّدة، والقلم والبيان عاجزان عن ذكر أسراره وعلومه.

كلمات العلماء في هذا الباب

ونشير هنا إلى جانب من الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام، وأقوال علماء الشيعة والسنّة في هذا الباب، وقبل ذكر تلك الروايات نذكر قول بعض المخالفين في علمه عليه السلام.

كلمة من المخالفين في علمه عليه السلام:

منها: عن ابن أبي الحديد المعتزلي، أنّه قال: وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يكمن جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه استولى بنو أُميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذِكراً، حظروا أن يسمّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسُموّاً، وكان كالمسك، كلّما ستر انتشر عرفه، وكلّما كتم تضوَّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوءِ النهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

ثمّ قال: وما أقول في رجل تُعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو عليه السلام رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عُذرها، وسابق مضمارها، ومُجلّي حَلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد ذكر أقسام العلوم، وذكر في كلّ قسم منها أنّ عليّاً عليه السلام رئيسه، وأنّ ذلك العلم ينتهي إليه، فقال ما ملخّصه:

وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام، والأشعريّة ينتهون بالتالي إلى أُستاذ المعتزلة ومُعلّمهم، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا الإماميّة والزيديّة فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، فرجع إليه الفقهاء الأربعة، واستفادوا من علمه عليه السلام، وأمّا رجوع فقهاء الشيعة كلّهم إليه عليه السلام ظاهر، وأمّا فقهاء الصحابة فعمر بن الخطّاب وابن عبّاس أخذا فقههما عن عليّ عليه السلام.

أمّا ابن عبّاس فظاهر، وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل الّتي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرّة: لولا عليّ لهلك عمر، وقوله أيضاً: لا بقيتُ لِمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه عليه السلام. وقد روت العامّة والخاصّة قوله صلى الله عليه و آله: "أقضاكم عليّ"، والقضاء هو الفقه، فهو إذن أفقههم.

ثمّ قال ابن أبى الحديد: ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أُخذ ومنه فرّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمتَ صحّة ذلك؛ لأنّ أكثره عنه عليه السلام وعن عبدالله بن عبّاس، وقد علم النّاس حال عبدالله بن عبّاس في ملازمته له عليه السلام وانقطاعه إليه، وأنّه تلميذه وخرّيجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال "ابن عبّاس": كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. [فقد ورد في الحديث في تفسير النقّاش: قال ابن عبّاس: عليّ عليه السلام علم علماً علّمه رسول الله صلى الله عليه و آله، ورسول الله صلى الله عليه و آله علّمه الله، فعلم النبيّ صلى الله عليه و آله من علم الله، وعلم عليّ عليه السلام من علم النبيّ صلى الله عليه و آله، وعلمي من علم عليّ عليه السلام، وما علمي وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله في علم عليّ عليه السلام إلا كقطرة في سبعة أبحرٍ. البحار ٤٠:١٤٧، والفتوحات الإسلاميّة: ج٢، نقلاً عن الغدير ٢:٤٤].

ومن العلوم: علم الطريقة والحقيقة، وقد عرفت أنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام ينتهون وعنده يقفون، وقد صرّح بذلك الشبلي والجُنيد وسرى "بن المغلّس السقطي" وأبو يزيد البسطامي و...

ومن العلوم: علم النحو والعربيّة، وقد علم النّاس كافّة أنّه هو الّذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعَه وأُصوله، من جملتها: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ، ومن جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الاعراب إلى الرفع والنصب والجرّ والجزم، وهذا يكاد يُلحق

بالمعجزات؛ لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط، انتهى. [شرح ابن أبي الحديد ٢٠ - ١٦ :١].

منها: ما نقله المفيد عن أبي الزعراء، عن عبداللّٰه بن مسعود أنّه قال: علماء الأرض ثلاثة: عالمٌ بالشام، وعالمٌ بالحجاز، وعالمٌ بالعراق، أمّا عالمُ الشام فأبو الدرداء، وأمّا عالمُ الحجاز فهو عليّ عليه السلام، وأمّا عالمُ العراق فأخ لكم بالكوفة، وعالم الشام وعالم العراق محتاجان إلى عالم الحجاز "يعني عليّاً عليه السلام"، وعالم الحجاز لا يحتاج إليهما. [البحار ٤٠:١١٨].

منها: عن "تاريخ دمشق": بسنده عن مسروق، قال: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعالم الكوفة عبداللّٰه بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، وهو لم يسألهما. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٥١، ح ١٠٨٦].

منها: ما رواه البحار عن أحمد بن حنبل أنّه قال: ما جاء من أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من الفضائل ما جاء لعليّ عليه السلام. [البحار ١٤٧: ٤٠].

نبذة من الأخبار في هذا المقام

منها: ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه و آله في علم عليّ عليه السلام:

روى ابن عساكر الشافعي: بسنده عن أبي صالح، عن عليّ عليه السلام، قال: 'قلت: يا رسول اللّٰه، أوصني؟ قال: قل: ربّي اللّٰه ثمّ استقم. قال عليه السلام: قلت: ربّي اللّٰه وما توفيقي إلا باللّٰه، قال صلى الله عليه و آله: هنيئاً لك العلم أبا حسن، فقد شربتَ العلم شرباً، ثاقبته ثقباً'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٩٨، ح ١٠١٩].

و روى ابن عساكر أيضاً: بسنده عن ابن عبّاس، قال: كنا نتحدّث أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله: عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعدها إلى غيره. [المصدر المتقدّم: ٤٩٩، ح ١٠٢٠].

وعن أنس بن مالك، قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: 'أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه بعدي'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٨٨، ح ١٠٠٩].

وعن حذيفة بن اليمان، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'جعلتك علماً فيما بيني وبين أُمّتي، فمن لم يتّبعك فقد كفر'. [المصدر المتقدّم: ٤٨٩، ح ١٠١٠].

منها: قوله عليه السلام: 'عندي علم المنايا و...':

وروى سلمان: عن عليّ عليه السلام أنّه قال: 'عندي علم المنايا، والبلايا، والوصايا، والأنساب، وفصل الخطاب، ومولد الإسلام، ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر، ودولة الدول، فسلوني عمّا يكون إلى يوم القيامة، وعمّا كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يعبد اللّٰه'. [عليّ من المهد إلى اللحد: ١٥١].

و روى ابن المغازلي الشافعي وابن عساكر وغيرهما: بسندهم عن علقمة، عن عبداللّٰه "بن مسعود"، قال: كنت عند النبيّ صلى الله عليه و آله فسئل عن عليّ عليه السلام، فقال: 'قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء، والنّاس جزءً واحداً'. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٨٧، ح ٣٢٨، وتاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٨٢، ح ١٠٠٠، وفرائد السمطين ١:٩٤].

و روى الحسكاني عن عامر، عن ابن عبّاس، قال: 'العلم عشرة أجزاء، أُعطي عليّ بن أبي طالب عليه السلام منها تسعة، والجزء العاشر بين جميع النّاس، وهو بذلك الجزء أعلم منهم'. [شواهد التنزيل ١:٨٤، ح ١٢٣، وروى القندوزي عن ابن عبّاس في ينابيع المودّة: ٢٥٤، مثله].

وفي "البحار": عن الضحّاك، عن ابن عبّاس، قال: أُعطي عليّ بن أبي طالب عليه السلام تسعة أعشار العلم، وإنّه لأعلمهم بالعُشر الباقي'. [البحار ٤٠:١٤٧].

وفي "تاريخ دمشق": بإسناده عن ابن عبّاس، قال: قسّم علم النّاس خمسة أجزاء، فكان لعليّ منها أربعة أجزاء، ولسائر النّاس جزء، وشاركهم عليّ عليه السلام في الجزء، فكان أعلم به منهم. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٤٥، ح ١٠٧٤].

منها: ما ورد عن عليّ عليه السلام: 'لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و...':

روى ابن شهرآشوب: عن ابن أبي البختري، عن ستّة طرق، وابن المفضّل من عشرة طرق، وإبراهيم الثقفي من أربعة عشر طريق، منهم: عدي بن حاتم، والأصبغ بن نباتة، وعلقمة بن قيس، ويحيى بن أُمّ الطويل، و...: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار - وأشار إلى صدره كيف مُلئ علماً لو وجد له طالباً -: 'سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سَفَط [سفط - محرّكة -: أي وعاء].

العلم، هذا لعاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، هذا ما زقّني به رسول اللّٰه زقّاً، فاسألوني، فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما واللّٰه لو ثنيت لي الوسادة ثمّ أُجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينادي كلّ كتاب بأنّ عليّاً حكم بحكم اللّٰه فيَّ'. وفي رواية: 'حتّى ينطق اللّٰه التوراة والإنجيل'. وفي ثالثة: 'حتّى يزهر كلّ كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربِّ، إنّ عليّاً قضى بقضائك' الحديث. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٨].

وغير ذلك من الأخبار الدالّة على أنّ علمه عليه السلام بلغ الغاية القصوى.

ومنها: حديث المناجاة الّذي تقدّم عن أُمّ سلمة "رضي اللّٰه عنها" في فصل: "عليّ عليه السلام وصيّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وخليفته ووارثه".

علي أعلم الصحابة

قال ابن عبّاس حبر الأُمّة رضى الله عنه: علمُ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من علمِ اللّٰه تعالى، وعلمُ عليّ عليه السلام من علمِ النبيّ صلى الله عليه و آله، وعلمي من علم عليّ عليه السلام، وما علمي وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله في علم عليّ عليه السلام إلا كقطرة في سبعة أبحر.

بحار الأنوار ٤٠:١٤٧، الفتوحات الإسلاميّة ٢:٣٣٧

و الغدير ٢:٤٥، و ٣:٩٩

حول فضيلة العلم والعالم

لا شكّ أنّ العلم فضيلة وكمال يعترف البشر بشرفه، وتفضيل العالم على الجاهل فطري حتّى فُضّل مداد العلماء على دماء الشهداء، والإسلام ينادي بقيمة العلم وكرامته وشرّف العالم بعبارات مختلفة منها:

١- 'هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ'. [سورة الزمر: ٩].

٢- وقوله تعالى: 'يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ'. [سورة المجادلة: ١١].

٣- وقوله تعالى: 'قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ'. [سورة الأنعام: ٥].

٤- وقول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'طلب العلم فريضة على كلّ مسلم'. [أُصول الكافي ١:٣٠].

وغير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة في حثّ المسلمين على طلب العلم؛ ولذلك كان صحابة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يتعلّمون في مركز الوحي والنبوّة، وكانوا حماة الدين وعلماء عارفين بالعلوم الإسلاميّة، ولكن كان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مراتب من الفضل والعلم بالقرآن وأحكام الإسلام لم تكن بعد النبيّ صلى الله عليه و آله لغيره أبداً، كما اعترف بذلك الموافق والمخالف، و اليك بعض أقوالهم:

قول الحسن البصري: عليّ أعلم المسلمين علماً

في "البحار" عن "أمالي الصدوق": بإسناده عن الحسن البصري: أنّه بلغه أنّ زاعماً يزعم أنّه ينتقص عليّاً عليه السلام، فقام في أصحابه يوماً، فقال: لقد هممت أن أغلق بابي ثمّ لا أخرج من بيتي حتّى يأتيني أجلي،

بلغني أنّ زاعماً منكم يزعم أنّي انتقص خير النّاس بعد نبيّنا صلى الله عليه و آله، وأنيسه وجليسه، والمفرّج للكرب عنه عند الزلازل، والقاتل للأقران يوم التنازل [يوم الحرب والقتال].

لقد فارقكم رجل قرأ القرآن فوقّره، وأخذ العلم فوفّره، وحاز البأس فاستعمله في طاعة ربّه، صابراً على مضض [المضض: وجع المصيبة].

الحرب، شاكراً عند اللأواء [اللأواء: الشدّة والمحنة].

والكرب، فعمل بكتاب ربّه، ونصح لنبيّه وابن عمّه وأخيه، آخاه دون أصحابه، وجعل عنده سرّه، وجاهد عنه صغيراً، وقاتل معه كبيراً، يقتل الأقران، وينازل الفرسان دون دين اللّه، حتّى وضعت الحرب أوزارها، متمسّكاً بعهد نبيّه، لا يصدّه صادٌّ، ولا يمالي عليه مضادٌّ، ثمّ مضى النبيّ صلى الله عليه و آله وهو عنه راضٍ. أعلم المسلمين علماً، وأفهمهم فهماً، وأقدمهم في الإسلام، لا نظير له في مناقبه، ولا شبيه له في ضرائبه [جمع الضريبة: موقع السيف ونحوه في الجسد].

فظلفت نفسه عن الشهوات، وعمل للّه في الغفلات، الحديث. [البحار ٤٠:١١٧].

قول العقّاد المصري في أعلميّة عليّ

قال في أعلميّة عليّ عليه السلام: وأحسن الإسلام علماً وفقهاً كما أحسنه عبادة وعملاً، فكانت فتاواه مرجعاً للخلفاء والصحابة في عهود أبي بكر وعمر وعثمان، ونَدُرتْ مسألة من مسائل الشريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به أو تنهض له الحجّة بين أفضل الآراء، إلا أنّ المزية الّتي امتاز بها عليّ عليه السلام بين فقهاء الإسلام في عصره، أنّه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمّل، ولم يقصره على العبادة وإجراء الأحكام، فإذا عرف في عصره أُناس فقهوا في الدين ليصحّحوا عباداته ويستنبطوا منه أقضيته وأحكامه، فقد امتاز عليّ عليه السلام بالفقه الّذي يُراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة، وأمعن فيه ليغوص في أعماقه على الحقيقة العلميّة أو الحقيقة الفلسفيّة، كما نسمّيها في هذه الأيّام، ويصحّ أن يقال: إنّ عليّاً عليه السلام أبو علم الكلام في الإسلام - إلى أن قال: - وقيل لابن عبّاس: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.[عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ٤٧].

اعتراف عمر بأعلميّة عليّ

روى الجويني: بسنده عن عبداللّه بن أحمد بن عامر، عن أبيه، قال: قال عليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، قال: 'حمل رجل إلى عمر، وقالوا له: قد سألناه وقلنا له:

كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أُحبّ الفتنة، وأكره الحقّ، وأصدّق اليهود والنصارى، وآمن بما لم أره، وأقرّ بما لم يخلق.

فأرسل إلى عليّ عليه السلام "فأتاه"، فقال: 'صدق "في قوله يحب الفتنة يعني الاموال و البنون". قال اللَّه تعالى: 'أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ' [سورة الأنفال: ٢٨، وسورة التغابن: ١٥].

ويكره الحقّ يعني الموت. قال اللَّه تعالى: 'وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ' [سورة ق: ١٩].

ويصدّق اليهود والنصارى. قال اللَّه تعالى: 'وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شيء وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شيء ' [سورة البقرة: ١١٣].

ويؤمن بما لم يره، يعني اللَّه عزّ وجلّ، ويقرّ بما لم يخلق يعني الساعة'.

قال عمر: لولا عليّ لهلك عمر'. [فرائد السمطين ١:٣٣٧، ح٢٥٩].

وعن أبي الطفيل، قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات، وشهدت عمر حين بويع، وعليّ عليه السلام جالس ناحية؛ إذ أقبل غلام يهودي - عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون - حتّى قام على رأس عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم هذه الأُمّة بكتابهم وأمر نبيّهم؟ قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال له الغلام: إيّاك أعني، وأعاد عليه القول، فقال له عمر: ما ذاك؟ قال: إنّي جئتك مرتاداً لنفسي، شاكّاً في ديني.

فقال: دونك هذا الشاب. قال: ومَن هذا الشاب؟ قال: هذا عليّ بن أبي طالب، ابن عمّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وهو أبو الحسن والحسين، وزوج فاطمة بنت رسول اللَّه عليهم السلام.

فأقبل اليهودي على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: أكذلك أنت؟ قال: 'نعم'. قال: فإنّي أُريد أن أسالك عن ثلاث وثلاث وواحدة. قال: فتبسّم عليّ عليه السلام وقال: 'يا هاروني، ما منعك أن تقول: سبعاً؟'. قال: أسألك عن ثلاث، فإن علمتهنّ سألت عمّا بعدهنّ، وإن لم تعلمهنّ علمت أنّه ليس فيكم علم. قال عليّ عليه السلام: 'ألا فإنّي أسألك بالذي تعبد، لنن أنا أجبتك في كلّ ما تريد لتدعنّ دينك ولتدخلنّ في ديني؟'. قال: ما جئت إلا لذلك. قال: 'فاسأل؟'.

قال: فأخبرني عن أوّل قطرة وقعت على وجه الأرض أيّ عين هي؟ وأوّل شيء اهتزّ على وجه الأرض أيّ شيء هو؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: 'فأخبرني عن الثلاث الأُخر'. قال: أخبرني عن محمّد صلى الله عليه و آله كم بعده من إمام عدل؟ وفي أيّ جنّة يكون؟ ومن يساكنه معه في جنّته؟

فقال: 'يا هاروني، إنّ لمحمّد صلى الله عليه و آله من الخلفاء اثني عشر إماماً عادلاً لا يضرّهم من خذلهم، ولا يستوحشون لخلاف من خالفهم، وإنّهم أرسى في الدين من الجبال الرواسي في الأرض، ويسكن محمّد صلى الله عليه و آله في جنّته مع أُولئك الاثني عشر إماماً العدل'. قال: صدقت، واللّه الّذي لا إله إلا هو، إنّي لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده وأملاه موسى عمّي عليهماالسلام.

قال: 'فأخبرني عن الواحدة'. قال: أخبرني عن وصيّ محمّد صلى الله عليه و آله كم يعيش بعده؟ وهل يموت أو يُقتل؟

قال: 'يا هاروني، يعيش بعده ثلاثين سنة لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً، ثمّ يضرب ضربة هاهنا - يعني قرنه - فتخضب هذه من هذا'.

قال: فصاح الهاروني وقطع تسبيحه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وحده لا شريك له. [فرائد السمطين ١: ٣٥٤، ح٢٨٠].

و الاخبار في اعتراف عمر بن خطاب باعلمية عليّ عليه السلام كثيرة، فسنذكرها عاجلاً.

اعتراف أبي أُمامة الباهلي بأعلميّة عليّ

روى المفيد في أماليه عن شهر بن حوشب، قال: سمعت أبا أُمامة الباهلي يقول: واللّه لا يمنعني مكان معاوية أن أقول الحقّ في عليّ عليه السلام، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ أفضلكم، وفي الدين أفقهكم، وبسنّتي أبصركم، ولكتاب اللّه أقرؤكم، اللّهمّ إنّي أُحبّ عليّاً فأحبّه، اللّهمّ إنّي أُحبّ عليّاً فأحبّه'. [أمالي المفيد: ٩٠].

افتراء موهوم

قال ابن حزم الأندلسي في كتاب "الملل والنحل": كذب مَن قال بأنّ عليّاً كان أكثر الصحابة علماً، ثمّ بسط القول في تقرير أعلميّة أبي بكر وتقدّمه على عليّ عليه السلام في العلم ببيانات تافهة - إلى أن قال: - علم كُلّ ذي حظّ من العلم أنّ الّذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ منه.

وقال في تقدّم عمر على عليّ عليه السلام في العلم: علم كلُّ ذي حسّ علماً ضروريّاً أنّ الّذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ من العلم - إلى أن قال: - فبطل قول هذه الوقّاح الجهّال، فإن عاندنا معاندٌ في هذا الباب جاهلٌ أو قليل الحياء لاح كذبه وجهله، فإنّا غير متّهمين على حطّ أحد من الصحابة عن مرتبته. [الملل والنحل ٤: ١٣٦، نقلاً عن الغدير ٣: ٩٥].

الجواب:

قال العلامة الأميني رحمه الله في دفعه: أنا لست ا دري أأضحك من هذا الرجل جاهلاً؟! أم أبكي عليه مغفّلاً؟! أم أسخر منه معتوهاً؟ فإنّ ممّا لا يدور في أي خلد، الشكّ في أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يربو بعلمه على جميع الصحابة، وكانوا يرجعون إليه في القضايا والمشكلات، ولا يرجع إلى أحد منهم في شيء ، وإنّ أوّل مَن اعترف له بالأعلميّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله بقوله لفاطمة: "أما ترضين إنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً". [مستدرك الحاكم ٤، كنز العمّال ١٣:٦].

وقوله صلى الله عليه و آله لها: "زوّجتك خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً". [أخرجه الخطيب في المتّفق والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٣٩٨:٦].

وقوله صلى الله عليه و آله: لها: "إنّه لأوّل أصحابي إسلاماً - أو: أقدم أُمّتي سلماً - وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً". [مسند أحمد ٢٦:٥، والاستيعاب ٣٦:٣ و..].

وقوله صلى الله عليه و آله: "أعلم أُمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب". [الخوارزمي في المناقب: ٤٩، مقتل الحسين عليه السلام ٤٣:١ و..].

وقوله صلى الله عليه و آله: "عليّ وعاء علمي، ووصيّي، وبابي الّذي أُوتى منه". [شمس الأخبار: ٣٩. كفاية الكنجي: ٧٠ و ٩٣].

وقوله صلى الله عليه و آله: "عليّ باب علمي، ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي". [الديلمي عن أبي ذرّ كما في كنز العمّال ١٥٦:٦].

وقوله صلى الله عليه و آله: "عليّ خازن علمي". [شرح ابن أبي الحديد ٤٤٨:٢].

وقوله صلى الله عليه و آله: "عليّ عيبة علمي". [شرح ابن أبي الحديد ٤٤٨:٢، والجامع الصغير للسيوطي وغيره].

وقوله صلى الله عليه و آله: "أقضى أُمّتي عليّ". [مصابيح البغوي ٢٧٧:٢، والرياض النضرة ١٩٨:٢، وغيره].

وغير ذلك من الأخبار النبوية الّتي رواها صاحب الغدير من طرق العامّة، فمن شاء فليراجعها. [الغدير ٩٨:٣].

الاخبار المأثورة عن الصحابة

فقد ذكر العلامة الأميني رحمه الله مضافاً إلى ما مرّ منّا في الفصل كثير من الأخبار المأثورة عن الصحابة في أنّ عليّاً عليه السلام أعلم الصحابة، ونشير إليها بلا ذكر مصادرها:

١- قالت عائشة: عليّ أعلم النّاس بالسنّة.

٢- وقال عمر: عليّ أقضانا.

٣- وقال عمر أيضاً: أقضانا عليّ.

٤- ولعمر كلمات مشهورة تعرب عن غاية احتياجه في العلم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، منها قوله غير مرّه: لولا عليّ لهلك عمر.

وقوله أيضاً: اللّهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب "حيّاً".

وقوله ثالثة: لا أبقاني اللّه بأرض لست فيها أبا الحسن.

وقوله رابعة: لا أبقاني اللّه بعدك يا عليّ.

وقوله خامسة: أعوذ باللّه من معضلة ولا أبو حسن لها.

وقوله سادسة: أعوذ باللّه أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

وقوله سابعة: أعوذ باللّه أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن.

وقوله ثامنة: اللّهمّ لا تنزل بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي.

وقوله تاسعة: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

وقوله عاشرة: لا أبقاني اللّه إلى أن أُدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن.

٥- وقول سعيد بن المسيّب: كان عمر يتعوّذ باللّه من معضلة ليس لها أبو الحسن.

٦- وقال معاوية: كان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذه منه "يعني من عليّ".

٧- ولمّا بلغ معاوية قتل الإمام، قال: لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب.

٨- قال الإمام الحسن عليه السلام في خطبة له: "لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون بعلم".

٩- وقال ابن عبّاس: واللّه، لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم اللّه لقد شارككم في العُشر العاشر.

وقوله مرّة أُخرى: ما علمي وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله في علم عليّ عليه السلام، إلا كقطرة في سبعة أبحر.

وقوله ثالثة: العلم ستّة أسداس، لعليّ من ذلك خمسة أسداس، وللنّاس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتّى لهو أعلم به منّا.

١٠- وقال ابن مسعود: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي عليّ تسعة أجزاء، والنّاس جزءاً، وعليّ أعلمهم بالواحد منها.

وقوله ثانية: أعلم أهل المدينة بالفرائض عليّ بن أبي طالب.

وقوله ثالثة: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ.

وقوله رابعة: أفرض أهل المدينة وأقضاها عليّ.

وقوله خامسة: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنده منه الظاهر والباطن.

١١- قال هشام بن عتيبة في عليّ عليه السلام: هو أوّل مَن صلّى مع رسول اللّه، وأفقهه في دين اللّه وأولاه برسول اللّه.

١٢- وسئل عطاء: أكان في أصحاب محمّد أحد أعلم من عليّ؟ قال: لا واللّه ما أعلمه.

١٣- وقال عديّ بن حاتم في خطبة له: واللّه، لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة إنّه - يعني عليّاً - لأعلم النّاس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنّه لأخو نبيّ اللّه، والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنّه لأظهر النّاس زهداً، وأنهكهم عبادة، ولئن كان إلى العقول والنحائز [النحائز: جمع النحيزة: الطبيعة].

إنّه لأشدّ النّاس عقلاً وأكرمهم نحيزة.

١٤- وقال عبداللّه بن حجل في خطبة له خطاباً لعليّ عليه السلام: أنت أعلمنا بربّنا، وأقربنا بنبيّنا، وخيرنا في ديننا.

١٥- وقال أبو سعيد الخدري: أقضاهم عليّ. [الروايات المأثورة كلّها منقولة من كتب العامّة، وقد ذكرت مظانّها في الغدير ٣:٩٥].

ثمّ قال العلامة الأميني رحمه الله: وقد امتدح جمع من الصحابة أمير المؤمنين عليه السلام في شعرهم بالأعلميّة، كحسّان بن ثابت، والفضل بن العبّاس، وتبعهم في ذلك أُمّة كبيرة من شعراء القرون الأُولى لا نطيل بذكرهم المقام، والأُمّة بعد أُولئك كلّها مجمعةٌ على تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على غيره

بالعلم؛ إذ هو الّذي ورث علم النبيّ صلى الله عليه و آله، وقد ثبت عنه بعدّة طرق قوله صلى الله عليه و آله: إنّه وصيّه ووارثه، وفيه قال عليّ عليه السلام: 'وما أرث منك يا نبيّ اللّه؟'، قال: 'ما ورث الأنبياء من قبلي'، قال: 'وما ورث الأنبياء من قبلك؟'، قال: 'كتاب اللّه، وسنّة نبيّهم'.

ثمّ ساق الكلام - إلى أن قال: -: فلينظر الرجل الآن إلى مَن يوجّه قوارصه وقذائفه، وما حكم من يقول ذلك، ومن المفضّلين النبيُّ الأعظم؟ وأمّا حكم من يقع في الصحابة وفيمن يقع فيه الإمام السبط الحسن وعائشة وعمر بن الخطّاب وحبر الأُمّة ابن عبّاس ونظراؤهم، فالمرجع فيه زملاء الرجل وعلماء مذهبه. [الغدير ١٠١ - ٣:٩٥].

قول عليّ: 'سلوني قبل أن تفقدوني'

قال عمير بن عبداللّه: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة، فقال: 'أيّها النّاس، سلوني قبل أن تفقدوني، فبين الجنبين منّي عِلمٌ جمٌّ'.

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ٣:٢٤، ح ١٠٤٦

نظرة حول الحديث

إن نظرنا إلى علم مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وجدنا ينبوعاً وموروداً لا ينضب، فهو الّذي يقول على ملأ من النّاس: 'سَلُوني قَبلَ أن تَفقِدُوني'، ومَن ذا الّذي يجترئ من النّاس أن يقول هذا الكلام على المنبر في أُلوف من الخلق؟ وما يؤمنه أن يسأله سائل عن مسألة لا يكون عنده جوابها فيخجله فيها؟ لا يجترئ على هذه الدعوى إلا من يثق بنفسه بأنّ عنده جواب كلّ ما يُسئل عنه، ولديه إحاطة وإلمام بكلّ أطراف العلم وجوانبه.

فهل المسألة مختصّة بعلم من العلوم، أو ناحية من النواحي حتّى يجرؤ أحد على الكلام دون أن يكون مؤيّداً بتأييد إلهي، وواثقاً من نفسه كلّ الوثوق بأنّه لا يغيب عنه جواب مسألة، مهما دقّت وأشكلت؟ إنّ هذا المقام يقصر العقل عن الإحاطة به.

يُسئل وهو على المنبر عن المسافة فيما بين المشرق والمغرب، فيجيب بأنّه مسيرة يوم للشمس، وهو جواب مقنع أحسن ما يجاب به هذا السؤال.

ويُسئل عن المسافة بين السماء والأرض، فأجاب عليه السلام قائلاً: 'دعوة مستجابة'. [أقول: هذا الجواب هو عين الواقع؛ لعدم تناهي الأبعاد بصورة ظاهريّة بين السماء والأرض، وأنّ اللّه تعالى لا يخلو منه مكان

وزمان، والمقصود الدعاء في جواب عليّ عليه السلام، الدعوة المستجابة إذ تسري في هذه الأجواء الّتي لا تتناهى إذا استجيبت ورفعت إلى السماء، ولم تمنع عن الصعود في العوالم اللانهائيّة].

وسئل عمّا بين الحقّ والباطل فيقول: مسافة أربع أصابع، الحقّ أن تقول: رأيت بعيني، والباطل أن تقول: سمعت بأُذُني.

ويسئل عن رجلين مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة، فجلس معهما ثالث وأكلوا الأرغفة الثمانية، وطرح إليهما الثالث ثمانية دراهم، وغير ذلك من قضاياه، وهي أدلّ على أنّه مؤيّد من عند اللّٰه تعالى، وأنّه كان واثقاً من نفسه كلّ الوثوق بأنّه لا يغيب عنه جواب مسألة، فيقول: 'سلوني قبل أن تفقدوني'.

وفي "شرح ابن أبي الحديد" في ذيل الخطبة الثانية والتسعين، قال عليه السلام: 'فَاسأَلُوني قَبلَ أنْ تَفْقِدُوني، فَوَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لا تَسْأَلُونَني عَنْ شيء فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السّاعَةِ وَلا عَنْ فِئَةٍ تهدي مائةً وَتُضِلُّ مائةً إِلا أَنْبَأْتُكُمْ بِناعِقِها وَقائِدِها وَسائِقِها، ومُناخِ رِكابِها، وَمَحَطّ رِحالِها، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِها قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنهمُ مَوْتاً'، قال: روى ابن عبدالبرّ في "الاستيعاب" عن جماعة من الرواة والمحدّثين، قالوا: لم يقل أحد من الصحابة 'سلوني' إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام... إلى آخره. [شرح ابن أبي الحديد ٧:٤٦].

قال العلامة الخوئي رحمه الله في شرحه على نهج البلاغة: إنّ أمره للمخاطبين بالمسألة في كلّ موقف ومكان وكلّ وقت وزمان مع عدم تقييد المسؤل عنه بشي ء مخصوص، يدلّ على غزارة علمه، وأنّه البحر الّذي لا يساحل، والحبر الّذي لا يطاول، وأنّه عالم بجميع العلوم، وفارس ميدانها، وسابق حلباتها، وحائز قصبات رهانها، ومبيّن غوامضها، وصاحب بيانها، والفارس المتقدّم عند إحجام فرسانها، وتأخّر أقرآنها وأنّه فيها كلّها قد بلغ الغاية القصوى، وفضل فيها جميع الورى، فاسمع به وأبصر، فلا تسمع بمثله غيره ولا ترى، واهتدِ إلى اعتقاد ذلك بناره فما كلّ نار أضرمت نار قرى، ولنِعم ما قيل:

قال أسألوني قبل فقدي وذا*** إبانة عن علمه الباهر

لو شئت أخبرت عمّا قد مضى*** وما بقى في الزمن الغابر

ويكفي في إيضاح ذلك قوله: 'علّمني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من العلم ألف باب، فانفتح لى من كلّ باب ألف باب'.

فإذا كان المعلّم المؤدّب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو أكمل العالمين، وأعلاهم في درجات العرفان واليقين، والتلميذ المتعلّم أمير المؤمنين عليه السلام، وهو في الفطنة والذكاء أفضل البارعين، فيحقّ له أن

يبلغ أقصى غايات الكمال، وينال نهايات معارج العلم والمعرفة، ويتمكّن من قول: 'سلوني قبل أن تفقدوني' إلى آخره. [شرح نهج البلاغة للخوئي ١١:١٧٢].

نبذة من الأخبار المأثورة في هذا المجال

ولنذكر هنا بعض ما ورد من الأخبار في هذا الباب توضيحاً للبحث وتتميماً للفائدة:

روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن ابن الطبّال، قال: سمعت محمّد بن فضيل يقول: سمعت ابن شبرمة يقول: ما كان أحدٌ على المنبر يقول: سلوني عمّا بين اللوحين إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٤، ح ١٠٤٤].

وعنه أيضاً: عن سعيد بن المسيّب، قال: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: 'سلوني' إلا عليّ عليه السلام. [المصدر المتقدّم: ح ١٠٤٥].

وعنه أيضاً: عن خالد بن عَرعَرة، قال: أتيتُ الرُّحبة فإذا أنا بنفرٍ جلوس، قريب من ثلاثين أو أربعين رجلاً، فقعدت فيهم، فخرج علينا عليّ عليه السلام، فما رأيته أنكر أحداً من القوم غيري، فقال: 'ألا رجل يسألني فينتفع وينفع نفسه'. [ولعلّ الصواب: 'ألا رجلٌ يسألني فينتفع به غيره وينفع نفسه' المصدر المتقدّم: ح ١٠٤٦].

و روى الشيخ المفيد: عن سعد الكناني، عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معمّماً بعمامة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لابساً بردته، فصعد المنبر، فحمد اللّٰه وأثنى عليه ووعظ وأنذر ثمّ جلس متمكّناً وشبّك بين أصابعه ووضعها أسفل سُرّته، ثمّ قال:

'يا معشر النّاس، سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنّ عندي علمُ الأوّلين والآخرين، أما واللّٰه لو ثُنيت لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينهي كلّ كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربّ إنّ عليّاً قضى بقضائك. واللّٰه إنّي لأعلم بالقرآن وتأويله من كلّ مدّعٍ علمه، ولولا آية في كتاب اللّٰه تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة'.

ثمّ قال: 'سلوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصّها من عامّها، ومحكمها من متشابهها، ومكّيها من مدنيّها، واللّٰه، ما من فئة تضلّ أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة'. [الإرشاد للمفيد ١:٣٣].

وروى ابن حجر العسقلاني، قال: كان عليّ عليه السلام يقول: 'سلوني، سلوني وسلوني عن كتاب اللّه، فواللّه ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلتْ بليلٍ أو نهار'. [الإصابة بهامشه الاستيعاب ٢:٥٠٣].

روى ابن عبدالبرّ المالكي عن معمر، عن وهب بن عبداللّه، عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليّاً عليه السلام يخطب وهو يقول: 'سلوني، فواللّه لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب اللّه، فواللّه ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهارٍ، أم في سهل أم في جبل'. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤٢].

وروى الجويني عن أبي سعيد: أنّ عليّاً عليه السلام صعد على منبر الكوفة وعليه مدرعة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو متقلّد بسيفه ومتعمّم بعمامته صلى الله عليه و آله، فلجس على المنبر وكشف عن بطنه. فقال: 'سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّما بين الجوانح منّي علمٌ جمٌّ، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله، هذا ما زقّني رسول اللّه صلى الله عليه و آله زقّاً زقّاً، فواللّه لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم حتّى ينطق اللّه التوراة والإنجيل فيقولان: صدق عليّ قد أفتاكم بما أنزل فيّ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون'. [فرائد السمطين ١:٣٤٠، ح ٢٦٣، والغدير ٦:١٩٢].

و رواه أيضاً بسنده عن زاذان، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: 'والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لو كسرت لي الوسادة فجلست عليه لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم. والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما من رجلٍ من قريش جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف "له" آية تسوقه إلى جنّة أو تقوده إلى نار، فقام رجل، فقال: ما آيتك يا أمير المؤمنين الّتي نزلت فيك؟ قال: 'أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ' [سورة هود: ١٧].

فرسول اللّه صلى الله عليه و آله على بيّنة من ربّه، وأنا الشاهد منه أتلوه'، أي أتّبعه. [فرائد السمطين ١:٣٨٣، ح ٢٦١].

روى صاحب كتاب الامام عليّ عليه السلام عن محمّد بن طلحة الشافعي في "مطالب السؤول": قال عليّ عليه السلام مرّة: 'سلوني عن طرق السماوات، فإنّي أعرف بها من طرق الأرض'.

وقال مرّة: "لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير 'بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ'".

وقال مرّة: "لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، واللّه ما من آية أُنزلت في برٍّ أو بحرٍ أو سهلٍ ولا جبلٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا ليلٍ ولا نهارٍ إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أيّ شيء نزلت'. [كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب: ٢٧٤].

ما ورد في أنّه أجاب السائلين بما ينبغي أن يُجيبهم

ورد في كتب الحديث والتاريخ أنّه عليه السلام حينما قال عليه السلام هذا الكلام: 'سلوني قبل أن تفقدوني' سأل منه السائلون وأجابهم عليه السلام بما هو حقيق في محلّه، ونشير هنا إلى بعض إجاباته عليه السلام.

منها: رواية العلامة التستري عن محمّد بن يوسف بن محمّد البلخي الشافعي في كتابه "التلخيص": وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال في مجلسه العامّ: 'سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن علم السماء فإنّي أعلمها زقاقاً زقاقاً، وملكاً ملكاً'.

فقال رجل من الحاضرين: حيث ادّعيت ذلك يابن أبي طالب، أين جبرئيل هذه الساعة؟ فغطس قليلاً وتفكّر في الأسرار، ثمّ رفع رأسه قائلاً: 'إنّي طفت السماوات السبع فلم أجد جبرئيل، وأظنّه أنت أيّها السائل'.

فقال السائل: بخ بخ، من مثلك يابن أبي طالب وربّك يباهي بك الملائكة؟ [الإحقاق ٧:٦٢١].

منها: رواية العلامة الاميني في "الغدير" عن أبي إسحاق الثعلبي في كتابه العرائس في قصّة طويلة: لمّا ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود، فقالوا: يا عمر، أنتَ وليّ الأمر بعد محمّد صلى الله عليه و آله، وصاحبه، وإنّا نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أنّ الإسلام حقّ، وأنّ محمّداً كان نبيّاً، وإن لم تخبرنا به علمنا أنّ الإسلام باطل، وأنّ محمّداً لم يكن نبيّاً. فقال: سلوا عمّا بدا لكم.

قالوا: أخبرنا عن أقفال السموات، ما هي؟ وأخبرنا عن مفاتيح السماوات ما هي؟ و أخبرنا عن قبر سائر بصاحبه، ما هو؟ وأخبرنا عمّن أنذر قومه، لا هو من الجنّ ولا هو من الإنس؟ وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض لم يُخلقوا في الأرحام؟ وأخبرنا ما يقول الدرّاج في صياحه؟ وما يقول الديك في صراخه؟ وما يقول الفرس في صهيله؟ وما يقول الضفدع في نقيقه؟ وما يقول الحمار في نهيقه؟ وما يقول القنبر في صفيره؟

قال: فنكس عمر رأسه في الأرض، ثمّ قال: لا عيب بعمر إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وأن يسأل عمّا لا يعلم. فوثبت اليهود، وقالوا: نشهد أنّ محمّداً لم يكن نبيّاً، وأنّ الإسلام باطل.

فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود: قفوا قليلاً، ثمّ توجّه نحو عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى دخل عليه فقال: يا أبا الحسن، أغث الإسلام، فقال عليه السلام: 'ما ذاك؟'، فأخبره الخبر، فأقبل يرفل في بردة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا نظر إليه عمر، وثب قائماً فاعتنقه، وقال: يا أبا الحسن، أنت لكلّ معضلة وشدّة تدعى، فدعا عليّ عليه السلام اليهود فقال: 'سلوا عمّا بدا لكم، فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله علّمني ألف باب من العلم، فتشعّب لي من كلّ باب ألف باب'، فسألوه عنها.

فقال عليّ عليه السلام: 'إنّ لي عليكم شريطة إذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم'، فقالوا: نعم.

فقال: 'سلوا عن خصلة خصلة؟'، قالوا: أخبرنا عن أقفال السموات، ما هي؟ قال: أقفال السموات الشرك باللّٰه؛ لأنّ العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل'.

قالوا: فاخبرنا عن مفاتيح السموات، ما هي؟ قال: 'شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ'، فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون: صدق الفتى.

قالوا: فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟ فقال: 'ذلك الحوت الّذي التقم يونس بن متي، فسار به في البحار السبع'.

فقالوا: أخبرنا عمّن أنذر قومه، لا هو من الجنّ ولا هو من الإنس؟ قال: 'هي نملة سليمان بن داود، قالت: 'يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ'. [سورة النمل: ١٨].

قالوا: فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يُخلقوا في الأرحام؟ قال: 'ذلكم: آدم، وحوّاء، وناقة صالح، وكبش إبراهيم، وعصى موسى'.

قالوا: فأخبرنا ما يقول الدرّاج في صياحه؟ قال: 'يقول: الرّحمن على العرش استوى'.

قالوا: فأخبرنا ما يقول الديك في صراخه؟ قال: 'يقول: اذكروا اللّٰه يا غافلين'.

قالوا: أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله؟ قال: 'يقول: إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين إلى الجهاد: اللّهمّ انصر عبادك المؤمنين على الكافرين'.

قالوا: فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه؟ قال: 'يقول: لعن اللّٰه العشّار، وينهق في أعين الشياطين'.

قالوا: فأخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه؟ قال: 'يقول: سبحان ربّي المعبود المسبّح لي جج البحار'.

قالوا: فأخبرنا ما يقول القنبر في صفيره؟ قال: 'يقول اللّهمّ العن مبغضي محمّدٍ وآل محمّد'.

وكان اليهود ثلاثة نفر، قال اثنان منهم: نشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً رسولُ اللّٰه، ووثب الحبر الثالث فقال: يا عليّ، لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والتصديق، وقد بقيت خصلة واحدة أسألك عنها. فقال: 'سل عمّا بدا لك'، فقال: أخبرني عن قوم في أوّل الزمان ماتوا ثلاثمائة وتسع سنين، ثمّ أحياهم اللّٰه، فما كان من قصّتهم؟ قال عليّ عليه السلام: 'يا يهودي، هؤلاء أصحاب | الكهف|، وقد أنزل اللّٰه على نبيّنا قرآناً فيه قصّتهم، وإن شئت قرأتُ عليك قصّتهم'.

فقال اليهودي: ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم، إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم، واسم كهفهم، وقصّتهم من أوّلها إلى آخرها، فاحتبى عليّ ببردة رسول اللّٰه، ثمّ حدّثه عليه السلام بقصّة أصحاب الكهف من أوّلها إيل آخرها مع ذكر أسمائهم وأسماء آبائهم واسم مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم.

ثمّ توجّه عليّ عليه السلام إلى اليهودي، فقال: 'سألتك باللّٰه - يا يهودي - أوافق هذا ما في توراتكم؟'. فقال اليهودي: ما زدتَ حرفاً ولا نقصتَ حرفاً - يا أبا الحسن - لا تسمّني يهوديّاً، أشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ، وإنّك أعلم هذه الأُمّة. [الغدير ٦:١٤٨].

منها: عن الجويني: بسنده عن وهب بن عبداللّٰه، عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليّاً عليه السلام وهو يخطب ويقول: 'سلوني، فواللّٰه، لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدّثتُكم به! وسلوني عن كتاب اللّٰه عزّ وجلّ، ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم في جبل'.

قال أبو الطفيل: فقال ابن الكوّاء - وأنا بينه وبين عليّ عليه السلام، وهو خلفي -: فما 'وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً فَالْحامِلَاتِ وِقْراً فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً'؟ [سورة الذاريات: ٤ - ١].

فقال: 'ويلك سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً، سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك'.

قال: فواللّٰه، إنّ هذا ليعنيني، قال: 'الذاريات ذروا: الرياح، والحاملات وقراً: السحاب، والجاريات يسراً: السنن، والمقسّمات أمراً: الملائكة'.

قال: أفرأيت السواد الّذي في القمر، ما هو؟ قال: 'أعمى سأل عن عمياء، أما سمعت اللّٰه عزّ وجلّ يقول: 'وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ' الآية [سورة الإسراء: ١٢].

فذلك محوه، والسواد الّذي فيه'.

قال: أفرأيت ذا القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟ قال: 'ولا واحداً منهما، ولكنّه كان عبداً صالحاً أحبّ اللّٰه فأحبّه اللّٰه، وناصح اللّٰه فناصحه اللّٰه، دعا قومه إلى الهُدى فضربوه على قرنه، فمكث ما شاء اللّٰه، ثمّ دعاهم إلى الهُدى فضربوه على قرنه الآخر، ولم يكن له قرنان كقرن الثور'.

قال: أفرأيت هذا القوس، ما هو؟ قال: 'علامة كانت بين نوح النبيّ وبين ربّه أمان من الغرق'.

قال: أفرأيت البيت المعمور، ما هو؟ قال: 'ذاك الضراح فوق سبع سموات تحت العرش، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة'.

قال: فمن 'الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ'؟ [سورة إبراهيم: ٢٨].

قال: 'الأفجران من قريش: بنو أُميّة وبنو مخزوم، وقد كفيتهم يوم بدر'.

قال: فمن "الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً"؟ [سورة الكهف: ١٠٤].

قال: 'كان أهل حروراء'. [فرائد السمطين ١: ٣٩٤، ح ٣٣١، وأهل حروراء: خوارج النهروان].

منها: عن "أمالي الشيخ الصدوق": بسنده عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب النّاس، وهو يقول: 'سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله، لا تسألوني عن شيء يكون إلا نبّأتكم به'، فقام إليه سعد بن أبي وقّاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال له: 'أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه و آله أنّك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني'، وعمر بن سعد يومئذٍ يدرج بين يديه. [أمالي الصدوق - المجلس الثامن والعشرون: ح ١].

منها: عن العلامة الخوئي في شرحه لنهج البلاغة، بعد الخطبة الثانية والتسعين، قال: اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة ملتقطة من خطبة طويلة، ثمّ نقل الخطبة وروايات في ذيلها، ونحن نذكر محلّ الشاهد من الخطبة مع نقل ما جاء في ذيلها:

قال عليّ عليه السلام: 'سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عمّا شئتم، سلوني قبل أن تفقدوني، إنّي ميّت أو مقتول بلى قتل، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم - وضرب بيده إلى لحيته - والّذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلا نبّأتكم بناعقها وسائقها'. فقام إليه رجلٌ فقال: حدّثنا - يا أمير المؤمنين - عن البلاء. قال عليه السلام: 'إنّكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سئل مسؤول فليثبت، ألا وإنّ من ورائكم أموراً أتتكم جللاً [الجلل - بالضمّ -: جمع جليّ، وهو الأمر العظيم].

مزوجاً [كذا، والظاهر الصحيح بالمهملة "مروجاً" من راجت الريح: اختلطت ولا يدرى من أين تجيئ، ويمكن تصحيحه بجعله من زاج بينهم يزوج زوجاً: إذا أفسد بينهم وحرش].

و بلاءً مكلحاً [كلح كلوحاً: تكشّر في عبوس، ودهر كالح: شديد].

والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إن لو فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأُمور وحقائق البلاء، لقد أطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلصت حربكم، وشمّرت عن ساق، وكانت الدنيا بلاءً عليكم وعلى أهل بيتي حتّى يفتح الله لبقيّة الأبرار، فانصروا أقواماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين تُنصروا وتؤجروا، ولا تسبقوهم فتصرعكم البليّة'.

فقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، حدّثنا عن الفتن.

قال: "إنّ الفتنة إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت أسفرت، يشبهن مقبلات، ويعرفن مدبرات. إنّ الفتن تحوم كالرياح يصبن بلداً ويخطين أُخرى، ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُميّة، إنّها فتنة عمياء مظلمة مطينة [طان" الرجل البيت والسطح بطينه: طلاه بالطين، وطيّنه بالتثقيل: مبالغة وتكثير، والمطينة فاعل منه].

عمّت فتنتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى يملأ الأرض عدواناً وبدعاً، وإنّ أوّل من يضع جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها اللّه ربّ العالمين.

وأيمُ اللّه لتجدنّ بني أُميّة أرباب سوء لكم بعدي، كالناب الضروس تعضّ بفيها، وتخبط بيديها، وتضرب برجليها، وتمنع درّها، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا في مصركم إلا تابعاً لهم أو غير ضارّ، ولا يزال بلاؤُهم بكم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربّه، إذا رآه أطاعه، وإذا توارى عنه شتمه.

وأيمُ اللّه، لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم اللّه شرّ يوم لهم، ألا إنّ من بعدي جُمّاع [جُمّاع النّاس: أخلاطهم من قبائل شتّى، ومن كلّ شيء مجتمع أصله، وكلّ ما تجمّع وانضمّ بعضه إلى بعض].

شتّى، ألا إنّ قبلتكم واحدة، وحجّكم واحد، وعمرتكم واحدة، والقلوب مختلفة"، ثمّ أدخل أصابعه بعضها في بعض، فقام رجل فقال: ما هذا، يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: "هذا هكذا يقتل هذا هذا، ويقتل هذا هذا قطعاً جاهليّة ليس فيها هدى ولا علم يرى. نحن أهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة".

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما نصنع في ذلك الزمان؟ قال عليه السلام: "انظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لبدوا فالبدوا [لبد بالمكان: أقام ولزق].

وإن استصرخوكم فانصروهم توجروا، ولا تسبقوهم فتصرعكم البليّة".

فقام رجل آخر، فقال: ثمّ ما يكون بعد هذا، يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: "ثمّ إنّ اللّه يفرّج الفتن برجل منّا أهل البيت، كتفريج الأديم، بأبي ابن خيرة [هذه إشارة إلى إمام الزمان الغائب المنتظر "عج"].

الإماء، يسومهم خسفاً، ويسقيهم بكأس مصبّرة، ولا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً [هرج النّاس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل].

يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر، ودّت قريش عند ذلك بالدنيا وما فيها لو يروني مقاماً واحداً قدر حلب شاة أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الّذي يردّ عليهم حتّى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، فيغريه اللّه ببني اُميّة فجعلهم 'مَّلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً'. [سورة الأحزاب: ٦٠ و ٦١].

[شرح الخوئي لنهج البلاغة ٧:٩٣].

منها: ما في "صحيفة الإمام الرضا عليه السلام": بإسناده، قال: 'حدّثني أبي، عن الحسين بن عليّ عليهماالسلام: أنّ يهوديّاً سأل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: أخبرني عمّا ليس للّه، وعمّا ليس عند اللّه، وعمّا لا يعلمه اللّه تعالى؟ فقال عليّ عليه السلام: 'أما ما لا يعلمه اللّه فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزيراً ابن اللّهِ، واللّه لا يعلم أنّ له ولداً، وأمّا ما ليس عند اللّه، فليس عند اللّه ظلم العباد، وأمّا ما ليس للّه فليس للّه شريك'.

قال اليهودي: فأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أنّ محمّداً رسول اللّه. [صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٢٥٩، طبع مدرسة الإمام المهدي "عج"].

منها: رواية الصدوق عن سعد بن طريف الكناني، عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا جلس عليّ عليه السلام في الخلافة وبايعه النّاس، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، لا بساً بردة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، متنعّلاً نعل رسول اللّه صلى الله عليه و آله، متقلّداً سيف رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فصعد المنبر، فجلس عليه السلام متحنّكاً، ثمّ شبّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال: 'يا معشر النّاس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سَفَط [السَّفَط: الوعاء].

العلم، هذا لعاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله، هذا ما زقّني رسول اللّه صلى الله عليه و آله زقّاً زقّاً، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين. أما واللّه لو ثنيت لي وسادةٌ، فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، حتّى تنطق التوراة فتقول: صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيَّ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق الإنجيل فيقول: صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيَّ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم، حتّى ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيَّ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل فيه؟

ولولا آية في كتاب اللّه لأخبرتكم بما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: 'يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ'. [سورة الرعد: ٣٩].

ثمّ قال عليه السلام: 'سلوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أُنزلت أو في نهار أُنزلت، مكّيّها ومدنيّها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، تأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتُكُم'.

فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب [ذرب اللسان: أي فيه حدّة].

اللسان، بليغاً في الخطب، شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربّك؟ قال: 'ويلك - يا ذعلب - لم أكن بالذي أعبد ربّاً لم أره'، قال: فكيف رأيته، صفه لنا؟ قال: 'ويلك، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك - يا ذعلب - إنّ ربّي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة، ولا بالسكون ولا بقيام قيام انتصاب، ولا بجيئة ولا ذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف بالطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظيم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة.

مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمحسّة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيء ولا يقال: شيء فوقه. أمام كلّ شيء فلا يقال: له أمام، داخل في الأشياء، لا كشي ء في شيء داخل، وخارج منها لا كشي ء من شيء خارج'.

فخرّ ذعلب مغشيّاً عليه، ثمّ قال: تاللّه، ما سمعت بمثل هذا الجواب، واللّه لا عُدتُ إلى مثلها.

ثمّ قال عليه السلام: 'سلوني قبل أن تفقدوني'. فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبيّ؟

قال: 'بلى يا أشعث، قد أنزل اللّه عليهم كتاباً، وبعث إليهم نبيّاً، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه، فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيّها الملك، دنّستَ علينا ديننا وأهلكته، فاخرج نطهّرك ونقيم عليك الحدّ، فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبت وإلا فشأنكم. فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أنّ اللّه لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوّاء؟ قالوا: صدقت أيّها الملك. قال: أفليس قد زوّج بنيه بناته، وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدين، فتعاقدوا على ذلك، فمحا اللّه ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النّار بلا حساب، والمنافقون أشدّ حالاً منهم'.

فقال الأشعث: واللّه، ما سمعت مثل هذا الجواب، واللّه لا عُدْتُ إلى مثلها أبداً.

ثمّ قال: 'سلوني قبل أن تفقدوني'، فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكّئاً على عصاه، فلم يزل يتخطّى الناس حتّى دنا منه، فقال: يا أمير المؤمنين، دلّني على عمل إذا أنا عملته نجّاني اللّٰه من النّار؟

فقال له: 'اسمع - يا هذا - ثمّ افهم، ثمّ استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغنيّ لا يبخل بماله على أهل دين اللّٰه، وبفقير صابر، فإذا كتم العالم علمَه، وبخل الغنيّ، ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون باللّٰه أنّ الدار قد رجعت إلى بدئها'، أي إلى الكفر بعد الإيمان.

'أيّها السائل، فلا تغترنّ بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتّى، إنّما النّاس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر. فأمّا الزاهد: فلا يفرح بشي ء من الدنيا أتاه، ولا يحزن منها على شيء منها فاته. وأمّا الصابر: فيتمنّاها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها. وأمّا الراغب: فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرام'.

قال: يا أمير المؤمنين، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟

قال: 'ينظر إلى ما أوجب اللّٰه عليه من حقّ فيتولاه، وينظر إلى ما خالفه فيتبرّأ منه، وإن كان حبيباً قريباً'.

قال: صدقت واللّٰه يا أمير المؤمنين، ثمّ غاب الرجل، فلم نره، وطلبه النّاس فلم يجدوه، فتبسّم عليّ عليه السلام على المنبر، ثمّ قال: 'ما لكم؟ هذا أخي الخضر' إلى آخر الحديث. [أمالي الصدوق - المجلس ٥٥: ح ١].

علي و نماذج من سعة علمه

قال عمر بن الخطّاب: أعوذ باللّٰه من معضلة لا عليّ لها.

فرائد السمطين ١:٣٤٨، الرقم ٢٧٢

تمهيد

لقد مرّت فصول عديدة تتحدّث عن علم عليّ عليه السلام كفصل "عليّ باب مدينة العلم" و"عليّ وارث علم النبيّين" و "عليّ أعلم الصحابة" و "عليّ بلغ من العلم الدرجة القصوى" و "سلوني قبل أن تفقدوني"، وكما سيأتي في فصل "عليّ وقضاياه في مدى عمره الشريف" الّتي كان يُظهر فيها عليّ عليه السلام بعضاً من علمه، ولكن كلّما زدنا في فيض علمه فهو قليل، ومَثله مَثلُ قطرة في محيط لجيّ، والقلم يقف عاجزاً إزاء علم عليّ عليه السلام، وإنّنا من باب 'ما لا يدرك جُلّه لا يُترك كلّه' نذكر لكم فصلاً آخر يمثّل نماذج من

سعة علمه عليه السلام لنكون قد أدّينا بعضاً من الواجب بحقّ باب مدينة علم رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعيبة علمه وحكمته:

علمه في تفسير "وَفَاكِهَةً وَأَبّاً"

في إرشاد المفيد: ورووا أنّ أبا بكر سئل عن قوله تعالى: "وَفَاكِهَةً وَأَبّاً" [سورة عبس: ٣١].

فلم يعرف معنى الأبّ من القرآن، فقال: أيّ سماء تظلّني، أم أيّ أرض تقلّني، أم كيف أصنع إن قلتُ في كتاب اللّه تعالى بما لا أعلم؟ أمّا الفاكهة فنعرفها، وأمّا الأبّ فاللّه أعلم به.

فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام مقاله في ذلك، فقال: "سبحان اللّه، أما علم أنّ الأبّ هو الكلاء و المرعى، وأنّ قوله تعالى: "وَفَاكِهَةً وَأَبّاً" اعتداد من اللّه تعالى بإنعامه على خلقه بما غذّاهم به، وخلقه لهم ولأنعامهم ممّا تحيا به أنفسهم، وتقوم به أجسادهم". [إرشاد المفيد ١:٢٠٠].

تفسير الكلالة

وفي الارشاد أيضاً: وسئل أبو بكر عن الكلالة؟ فقال: أقول فيها برأي، فإن أصبتُ فمن اللّه، وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: "ما أغناه عن الرأي في هذا المكان، أما علم أنّ الكلالة هم الإخوة والأخوات من قِبل الأب والأمّ، ومن قِبل الأب على انفراده، ومن قِبل الأمّ أيضاً على حدتها؟ قال اللّه تعالى: "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ" [سورة النساء: ١٧٦].

وقال عزّ قائلاً: "وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِيْ الثُّلُثِ". [سورة النساء: ١٢].

[إرشاد المفيد ١:٢٠٠].

علمه و جوابه في سؤال بعض أحبار اليهود

في الارشاد أيضاً أنّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر، فقال: أنت خليفة نبيّ هذه الأُمّة؟ فقال له: نعم. قال: فإنّا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أُممهم، فخبّرني عن اللّه تعالى أين هو، أفي السماء أم في الأرض؟ فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش. فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه؟ وأراه على هذا

القول في مكان دون مكان؟ فقال أبوبكر: هذا كلام الزنادقة أغرب عنّي وإلا قتلتك، فولّى الحبر متعجّباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: "يا يهوديّ، قد عرفتُ ما سألتَ عنه وما أُجبتَ به، وإنّانقول: إنّ اللّٰه عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء منها من تدبيره، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدّق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟". فقال اليهودي: نعم. قال: "ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له موسى: من أين أقبلت؟ قال: من عند اللّٰه عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك من المغرب، فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند اللّٰه، و جاءه ملك آخر، فقال: قد جئتك من السماء السابعة من عند اللّٰه تعالى، وجاءه ملك آخر فقال: قد جئتُك من الأرض السابعة السفلى من عند اللّٰه عزّ اسمه، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان؟".

فقال اليهودي: أشهد أنّ هذا هو الحقّ، وأنّك أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه. [المصدر المتقدّم: ٢٠١].

جوابه عن المسافة بين المشرق و المغرب

وقد سئل عن المسافة ما بين المشرق والمغرب؟ فقال عليه السلام: "مسيرة يوم للشمس". [نهج البلاغة الحكمة: ٢٨٦].

قال الشارح الخوئي رحمه الله في توضيحها: الأوزان والمقاييس أُمور وضعيّة وليست أُموراً واقعيّة، والغرض منها تقريب الأشياء إلى الذهن من جهة الكمّ أو الكيف، مثلاً: إذا قيل: بين هذا البلد وذاك البلد فرسخان، فلا يفيد هذا التقدير إلا ما وضعه الواضع من الاصطلاح في معنى الفرسخ، وأنّه ثلاثة أميال، والميل كذا وكذا إلى أن يصل إلى أصغر حجم محسوس، كالشعيرة أو حجم الشعر مثلاً.

ومن هنا قالوا: إنّ المسافة اعتبرت من مدّ البصر، فجعل مدّ البصر ميلاً وأخذ منه الذراع والباع وغيره، واعتبر عليه الفرسخ وما زاد، فإذا توجّه إلى مسافات بعيدة لا يحيط بها نطاق المقاييس المعمولة، فلا بدّ من وضع مقياس مناسب لها، وقد تعلّق سؤال السائل بمسافة ما بين المشرق والمغرب، وهذا السؤال مبهم من وجهين:

١ - أنّ المشرق والمغرب ليسا نقطتين معيّنتين، بل في كلّ أفق لكلّ يوم مشرق ومغرب، ولكلّ مكان مشارق ومغارب، فلا يمكن التعبير عمّا بينهما بأيّ مقياس متعارف للتحديد، مثل كذا وكذا فرسخ مثلاً.

٢ - أنّ المشرق والمغرب تارة يعتبر نقطتين من كرة الأرض، وأُخرى نقطتين متقابلتين من الجوّ المقارب لها، وأُخرى نقطتين متقابلتين من مكان الشمس عند طلوعها ومكانها عند غروبها، ولهما اعتبارات أُخر بهذا النظر غير محصورة، فلا يمكن التعبير عمّا بينهما بمقياس عرفي مصطلح.

والحقّ في الجواب ما أفاده عليه السلام من أنّ المسافة بينهما مسيرة يوم للشمس، فهو مقياس صحيح اعتبره وابتكره لقياس هذه المسافة، ولم يعبّر عليه السلام إقناعاً كما ذكره ابن ميثم، ولا عدولاً عمّا أراده السائل حذراً من المستمعين، كما ذكره الشارح المعتزلي، فتدبّر. [شرح نهج البلاغة للخوئي رحمه الله ٢١:٣٨٦].

اجوبة حذيفة لعمر بن الخطّاب وغضب عمر وتوضيح عليّ

روى الحافظ الكنجي بسنده عن حذيفة بن اليمان: أنّه لقي عمر بن الخطّاب، فقال له عمر: كيف أصبحت يابن اليمان؟

فقال: كيف تريدني أصبح؟ أصبحتُ والله أكره الحقّ، وأُحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وأحفظ غير المخلوق، وأُصلّي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء، فغضب عمر لقوله، وانصرف من فوره وقد أعجله أمرٌ، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينا هو في الطريق إذ مرّ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فرأى الغضب في وجهه، فقال: ما أغضبك يا عمر؟

فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ أكره الحقّ. فقال عليه السلام: 'صدق، يكره الموت وهو حقّ'. فقال: يقول: وأُحبُّ الفتنة. قال عليه السلام: 'صدق، يحبّ المال والولد، وقد قال الله تعالى: "أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ"'. فقال: يا عليّ، يقول: وأشهد بما لم أره؟ فقال: 'صدق، يشهد لله بالوحدانيّة، والموت، والبعث، والقيامة، والجنّة، والنّار، والصراط، ولم يرَ ذلك كلّه'.

فقال: يا عليّ، وقد قال: إنّني أحفظ غير المخلوق. قال: 'صدق، ويحفظ كتاب الله تعالى - القرآن - وهو غير مخلوق'. قال: ويقول: أُصلّي على غير وضوء. فقال: 'صدق، يصلّي على ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه و آله على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة'.

فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك. فقال: 'وما هو؟'. قال: إنّ لي في الأرض ما ليس لله في السماء. قال: 'صدق، له زوجة وولد، وتعالى الله عن الزوجة والولد'.

فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطّاب لولا عليّ بن أبي طالب. [الكفاية للحافظ الكنجي: ٢١٨، ونحوه في الفصول المهمّة: ٣٥].

حكمه في حليّ الكعبة

روى الزمخشري في "ربيع الأبرار": قيل لعمر: لو أخذت حُليّ الكعبة فجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟! فهمّ بذلك، فسأل عليّاً عليه السلام فقال: 'إنّ القرآن أُنزل على النبيّ صلى الله عليه و آله والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفي ء فقسّمه على مستحقّيه، والخمس فوضعه اللّٰه حيث وضعه، والصدقات فجعلها اللّٰه حيث جعلها، وكانت حليّ الكعبة فيها يومئذٍ فتركها اللّٰه على حالها، ولم يتركها نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه اللّٰه ورسوله'.

فقال له عمر: 'لولاك لا فتضحنا'، وتركه. [ربيع الأبرار ٤:٤٦].

حكمه بجزء مال الميّت بإخراج سُبعه

في "إرشاد المفيد": رووا أنّ رجلاً حضرته الوفاة فوصّى بجزء من ماله ولم يُعيّنه، فاختلف الورّاث في ذلك بعده، وترافعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقضى عليهم بإخراج السبع من ماله، وتلا قوله تعالى: 'لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ'. [سورة الحجر: ٤٤].

[إرشاد المفيد ١:٢٢١].

حكمه بسهم مال الميّت بإخراج ثُمنه

وفي الارشاد أيضاً: وقضى عليه السلام في رجل وصّى عند الموت بسهم من ماله ولم يبيّنه، فلمّا مضى اختلف الورثة في معناه، فقضى عليهم بإخراج الثُّمن من ماله، وتلا قوله تعالى: 'إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ' [سورة التوبة: ٦٠].

وهم ثمانية أصناف، لكلّ صنف منهم سهم من الصدقات. [المصدر المتقدّم].

حكمه بعبد قديم في ملك الميّت

وفي الارشاد: وقضى عليه السلام في رجل وصّى، فقال: اعتقوا عنّي كلّ عبد قديم في ملكي، فلمّا مات لم يعرف الوصيّ ما يصنع، فسأله عن ذلك، فقال عليه السلام: 'يعتق عنه كلّ عبد مَلَكه ستّة أشهر'، وتلا قوله جلّ اسمه: 'وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ' [سورة يس: ٣٩].

وقد ثبت أنّ العرجون إنّما ينتهي إلى الشبه بالهلال في تقويسه بعد ستّة أشهر من أخذ الثمرة منه. [المصدر المتقدّم].

قوله في ردّ قول عمر: إنّ الحجر الأسود لا ينفع ولا يضرّ

روى ابن عساكر الشافعي، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنا حجّاجاً مع عمر بن الخطّاب، فلمّا دخل الطواف استلم الحجر وقبّله، وقال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقبّلك ما قبّلتك.

قال أبو سعيد: ثمّ مضى في الطواف، فقال له عليّ بن أبي طالب: 'يا أمير المؤمنين، إنّه ليضرّ وينفع'. فقال له عمر: بِمَ قلتَ ذلك؟ قال: 'بكتاب اللّٰه'. قال: وأين ذلك من كتاب اللّٰه؟ قال عليه السلام: 'قول اللّٰه عزّ وجلّ: 'وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى' [سورة الأعراف: ١٧٢].

قال عليه السلام: 'لمّا خلق اللّٰه آدم عليه السلام مسح منكبه فخرجت ذرّيّته مثل الذرّ فعرّفهم بنفسه أنّه الربّ وأنّهم العبيد، وأقرّوا بذلك على أنفسهم، وأخذ ميثاقهم بذلك وكتبه في رقٍّ أبيض'.

قال: 'وكان هذا الركن الأسود يومئذٍ له لسانان وشفتان وعينان، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه فألقمه ذلك الرقّ، وجعله في موضعه، وقال له: تشهد لمن وافاك بالموافاة إلى يوم القيامة'.

قال أبو سعيد: فقال له عمر بن الخطّاب: لا بقيتُ في قوم لستَ فيهم أبا حسن، أو قال: لا عشتُ في قوم لستَ فيهم أبا حسن. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٤٠، ح ١٠٧٣].

حكمه لزوج أُمّ الغلام بالإمساك

روى الجويني بسنده عن ابن عبّاس، قال: كنّا في جنازة، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام لزوج أُمّ الغلام: 'امسك عن امرأتك'. فقال عمر: ولِمَ يمسك عن امرأته؟ اخرج عن ما جئت به.

قال: 'نعم يا أمير المؤمنين، يريد أن يستبرئ رحمها لا يلقي فيها شيئاً فيستوجب به الميراث من أخيه ولا ميراث له'.

فقال عمر: أعوذ باللّه من معضلة لا عليّ لها. [فرائد السمطين ١:٣٤٨، ح٢٧٢].

حكمه بحرمة امرأة رجل بعد وفاة غيره

في "البحار": عن عمر بن داود، عن الصادق عليه السلام، قال: 'إنّ عقبة بن أبي عقبة مات فحضر جنازته عليّ عليه السلام وجماعة من أصحابه وفيهم عمر، فقال عليّ عليه السلام لرجل كان حاضراً: 'إنّ عقبة لمّا توفّي حرمت امرأتك، فاحذر أن تقربها'.

فقال عمر: كلّ قضاياك - يا أبا الحسن - عجيب [كذا في المستدرك، ولكنّ الصحيح: 'عجيبة'].

وهذه من أعجبها، يموت الإنسان فتحرم على آخر امرأته؟!

فقال عليه السلام: 'نعم، إنّ هذا عبد كان لعقبة، تزوّج امرأة حرّة، وهي اليوم ترث بعض ميراث عقبة، فقد صار بعض زوجها رقّاً لها، وبُضع المرأة حرام على عبدها حتّى تعتقه ويتزوّجها'

فقال عمر: لمثل هذا نسألك عمّا اختلفنا فيه. [بحار الأنوار ٤٠:٢٢٥].

علي أحبّ النّاس إلى رسول اللّه

قالت عائشة: ما خلق اللّه خلقاً كان أحبّ إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله من عليّ عليه السلام.

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٦٢، ح ٦٤٠

نظرة في الحديث

يستفاد من مجموع الأخبار والآثار أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد أشار في مواضع متعدّدة ومواطن مختلفة، في الحرب والسلم، في الحضر والسفر، إلى أنّ عليّاً عليه السلام كان أحبّ النّاس إليه، ولا يكون هذا الإشعار لمحبّة نفسانيّة أو لقربه إليه لأنّه صهره وابن عمّه؛ لأنّه صلى الله عليه و آله 'وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى'، بل أراد من خلال إظهار محبّته له لفت أنظار النّاس إليه، وليفهم النّاس ويعلموا أنّ عليّاً عليه السلام هو أقرب النّاس إليه قرباً معنوياً ومؤثّراً في هداية النّاس. قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'أنا المنذر وعليّ الهادي' [ينابيع المودّة: ١٧٩].

فعليّ عليه السلام أحقّ بمقام الوصاية والولاية من غيره، ولاطّلاع القارئ المحترم على هذا الحبّ الشديد نشير إلى بعض ما ورد في هذا المقام.

نبذة من الأخبار في المقام

١- عن إبن المغازلي بإسناده عن إياس بن سلمة، عن أبيه - في حديث طويل في خيبر - قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'لأُعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ اللّٰه ورسوله، ويحبّه اللّٰه ورسوله'، فجئت بعليّ عليه السلام أقوده وهو أرمد حتّى أتيت به النبيّ صلى الله عليه و آله فبصق في عينيه فبرأ، ثمّ أعطاه الراية. [المناقب لابن المغازلي: ١٧٦، ح ٢١٣. وراجع فصل "عليٌّ في غزوة خيبر" للاطّلاع على مزيد من الأحاديث بهذا المضمون].

٢- و عن ابن عساكر الشافعي: بإسناده عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: كان أحبّ النساء لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فاطمة، ومن الرجال عليّ عليه السلام. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٦٣، ح ٦٤١].

ورواه الترمذي عن إبراهيم بن سعيد بعين ما تقدّم. [سنن الترمذي ٥:٦٥٥، ح ٣٨٦٨].

و عنه أيضاً: عن جميع [جميع هو ابن عمير التيمي].

عن عائشة، قال: دخلت عليها مع أُمّي وأنا غلام، فذكرت لها عليّاً، فقالت عائشة: ما رأيت رجلاً كان أحبّ إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله منه، ولا امرأة أحبّ إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من امرأته. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٦٥، ح ٦٤٦].

٣- و عنه أيضاً: بسنده عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أمرني اللّٰه تعالى بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم، إنّك يا عليّ منهم، إنّك يا عليّ منهم، إنّك يا عليّ منهم'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٧٢، ح ٦٥٨].

٤- و عنه أيضاً: عن عبداللّٰه بن العبّاس، قال: كنت أنا وأبي العبّاس بن عبدالمطّلب جالسَين عند رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إذ دخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسلّم فردّ عليه، وبشّ به - يعني سُرّ به - وقام إليه فاعتنقه، وقبّل بين عينيه، وأجلسه عن يمينه، فقال العبّاس: يا رسول اللّٰه، أتحبّ هذا؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عمّ رسول اللّٰه، واللّٰه للّٰه أشدّ حبّاً له منّي، إنّ اللّٰه جعل ذرّيّة كلّ نبيّ في صلبه، وجعل ذرّيّتي في صلب هذا'. [المصدر المتقدّم: ١٥٩، ح ٦٤٣].

٥- وعنه أيضاً: بسنده عن عمير بن جميع، قال: دخلت مع أُمّي على عائشة، فسألت أُمّي عنها، قالت: أخبريني كيف كان حبّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام؟ فقالت عائشة: كان أحبّ الرجال إلى رسول اللّٰه، لقد رأيته وقد أدخله تحت ثوبه، وفاطمة وحسناً وحسيناً، ثمّ قال: 'اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي،

اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً". قالت: فذهبت لأُدخل رأسي فدفعني، فقلت: يا رسول اللَّه، أوَلستُ من أهلك؟ قال صلى الله عليه و آله: "إنّك على خير، إنّك على خير". [المصدر المتقدّم: ١٦٣، ح ٦٢٢].

٦- و عن إبن عبد ربّه قال: لمّا مات الحسن بن عليّ عليهماالسلام حجّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقيل له: إنّ هاهنا سعد بن أبي وقّاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية "ابن أبي سفيان" عن لعنه عليه السلام، حتّى مات سعد، فلمّا مات لعنه على المنبر وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه عليه السلام على المنابر ففعلوا!

فكتبت أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه و آله إلى معاوية: إنّكم تلعنون اللَّه ورسوله عن منابركم، وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه! وأنا أشهد أنّ اللَّه أحبّه ورسوله، فلم يلتفت معاوية إلى كلامها. [العقد الفريد ٤:٣٦٦].

٧- و عن ابن عساكر الشافعي بسنده عن معاوية بن ثعلبة، قال: أتى رجل أبا ذرّ وهو جالس في مسجد النبيّ صلى الله عليه و آله، فقال: يا أبا ذرّ، ألا تخبرني بأحبّ النّاس إليك، فإنّي أعرف أنّ أحبّهم إليك أحبّهم إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

قال: إي وربّ الكعبة، إنّ أحبّهم إليَّ أحبّهم إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وهو ذاك الشيخ، وأشار إلى عليّ عليه السلام وهو يصلّي أمامه. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٧٠، ح ٦٥٥].

٨- و عنه أيضاً: بسنده عن ابن أخي زيد بن أرقم، قال: دخلت على أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه و آله، فقالت: ممّن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قالت: من الّذين يسبّ فيهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. قلت: لا واللَّه - يا أمة - ما سمعت أحداً يسبّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

قالت: بلى واللَّه إنّهم يقولون: فعل اللَّه بعليّ ومن يحبّه! وقد كان واللَّه رسول اللَّه يحبّه. [المصدر المتقدّم: ١٧١، ح ٦٥٦].

وفي خبر آخر... قالت: بلى أليس يلعنون عليّاً، ويلعنونَ مَن يحبّه؟ وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يحبّه. [المصدر المتقدّم: ١٧٢، ح ٦٥٧].

٩- عنه أيضاً عن أبي عبداللَّه الجدلي، قال: دخلت على أُمّ سلمة، فقالت: يا أبا عبداللَّه، أيسبّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيكم وأنتم أحياء؟ قال: قلت: سبحان اللَّه وأنّى يكون هذا؟ قالت: أليس يسبّ عليّ ومَن يحبّه؟ قلت: بلى. قالت: أليس كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يحبّه. [المصدر المتقدّم: ١٨٢، ح ٦٥٩].

لقد كان هدف معاوية من كلّ ما مرّ سلب الحبّ الّذي ثبت في قلوب المؤمنين - حبّ أمير المؤمنين عليه السلام - ومحاولة إثبات قربه وحبّه هو في القلوب، لكنّ القلوب المؤمنة الّتي تربّت على حبّ عليّ عليه السلام أبت أن تنصاع لحيل معاوية، فبقيت على العهد جيلاً بعد جيل، وبقي حبّ عليّ عليه السلام وموالاة أهل بيته - رغم كلّ محاولات الطمس والتغيير والتحريف - شامخاً على طول التاريخ، وما كان ذلك من الأعداء إلا كغمامة صيف لا تلبث أن تنجلي لتظهر الشمس - شمس الحقيقة - وتبقى القلوب متعطّشة لحبّهم عليهم السلام، فالشمس لا تُحجب بغربال. قال تعالى: "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ". [سورة الرعد: ١٧].

محبّ عليّ محبّ اللّٰه ورسوله، ومبغضه مبغض اللّٰه ورسوله

عن ابن عبّاس: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله نظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: "أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، ومَن أحبّك فقد أحبّني، ومن أبغضك فقد أبغضني، وبغضك بغض اللّٰه، فالويل كلّ الويل لمن أبغضك".

الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٨

تمهيد

كان عليّ عليه السلام خير المؤمنين بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقد كان قلبه عامراً بأكمل الإيمان، وليس فيه ذرّة واحدة من هوى النفس، فهو الصراط المستقيم، وهو سبيل اللّٰه، وهو ميزان الأعمال، وهو مع الحقّ والحقّ معه، وإنّما تتجلّى الصفات الثبوتيّة للحقّ فيه عليه السلام، فهو العدل الإلهي، ورحمة اللّٰه وقدرته، وهو رمز للرأفة والعطف والصبر الإلهي، ومظهر من مظاهرها.

عليّ نفس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وعيبة علمه، وأخوه، وخليفته، ووصيّه، وكلّ مَن أحبّه ووالاه فقد أحبّ اللّٰه ورسوله والمؤمنين ووالاهم، وكلّ من أبغضه وعصاه فقد أبغض اللّٰه ورسوله والمؤمنين، فمحبّه محبّ للّٰه ورسوله، ومبغضه مبغض للّٰه ورسوله.

نبذة من الأخبار المأثورة عن رسول اللّٰه في هذا الباب

١- روى القندوزي الحنفي بسنده عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّٰه تعالى عهد إليّ في عليّ عهداً، أنّ عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة الّتي

ألزمتها المتّقين، مَن أحبّه أحبّني، ومَن أبغضه أبغضني، فبشّره. فجاء عليّ فبشّرته بذلك، فقال: يا رسول اللَّه، أنا عبد اللَّه، فإن يُعذّبني فبذنبي، وإن يتمّ الّذي بشّرني به فاللَّه أوْلى بي'.

قال صلى الله عليه و آله: 'قلت: اللّهمّ أجل قلبه، واجعله ربيع الإيمان'.

فقال اللَّه تبارك وتعالى: قد فعلتُ به ذلك، ثمّ قال تعالى: إنّي مستخصّه بالبلاء، فقلت: 'يا ربّ، إنّه أخي ووصيّي'، فقال تعالى: إنّه شيء قد سبق فيه قضائي، إنّه مبتلى. [ينابيع المودّة: ١٣٤، ونحوه في فرائد السمطين ١:١٥١، ح ١١٤، ونزهة المجالس ٢:٢٠٨].

٢- و روى الجويني بسنده عن علقمة، عن عبداللَّه، قال: خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من بيت زينب بنت جحش، وأتى بيت أُمّ سلمة - وكان يومها من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله - فلم يلبث أن جاء عليّ عليه السلام ودقّ الباب دقّاً خفيفاً، فأثبت [وفي نسخة: 'فانتبه النبيّ للدقّ'].

النبيّ صلى الله عليه و آله الدقّ وأنكرته أُمّ سلمة، فقال لها النبيّ صلى الله عليه و آله: 'قومي وافتحي له الباب' - إلى أن قال: - ففتحتُ الباب، فأخذ بعضادتي الباب حتّى إذا لم يسمع حسيساً ولا حركة، وصرت في خدري استأذن فدخل، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا أُمّ سلمة، أتعرفينه؟' قلت: نعم - يا رسول اللَّه - هذا عليّ بن أبي طالب.

قال: 'صدقت، هو سيّد أُحبّه، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، فاسمعي وأشهدي، وهو قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي، فاسمعي وأشهدي، وهو قاضي عداتي، فاسمعي وأشهدي، وهو واللَّه محيي سنّتي، فاسمعي وأشهدي، لو أنّ عبداً عبد اللَّه ألف عام وألف عام وألف عام، بين الركن والمقام، ثمّ لقى اللَّه عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي أكبّه اللَّه على منخريه يوم القيامة في نار جهنّم'. [فرائد السمطين ١:٣٣١، ح ٢٥٧].

٣- وفي "البحار": عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: 'قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ما من مؤمن إلا وقد خلص ودّي ا لى قلبه، وما خلص ودّي إلى قلب أحد إلا وقد خلص ودّ عليّ عليه السلام إلى قلبه، كذب يا عليّ مَن زعم أنّه يحبّني ويبغضك.

قال: فقال رجلان من المنافقين: لقد فتن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بهذا الغلام! فأنزل اللَّه تبارك وتعالى: 'فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ' [سورة القلم: ٥ و ٦].

'وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ' [سورة القلم: ٩ و ١٠].

قال: 'نزلت فيهما إلى آخر الآية'. [البحار ٣٩:٢٥٤].

٤- و روى الجويني بسنده عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن أحبّني فليُحبّ عليّ بن أبي طالب، ومن أبغض عليّ بن أبي طالب فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض اللّٰه، ومَن أبغض اللّٰه فقد أدخله النّار'. [فرائد السمطين ١:١٣٢، ح ٩٤].

٥- و عنه أيضاً: بسنده عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، مَن زعم أنّه يحبّني وهو يبغضك فهو كذّاب'. [المصدر المتقدّم: ١٣٤، ح ٩٤].

٦- و روى ابن المغازلي الشافعي عن سلمان، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'يا عليّ، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي'. [المناقب لابن المغازلي: ١٩٦، ح ٢٣٣].

٧- و روى عبدالبرّ المالكي قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومَن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومَن آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّٰه'. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٧].

٨- و روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن أُمّ سلمة، قالت: أشهد إنّي سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'مَن أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومَن أحبّني فقد أحبّ اللّٰه، ومَن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومَن أبغضني فقد أبغض اللّٰه'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٩٠، ح ٦٧٣].

٩- و عنه أيضاً: بإسناده عن جابر، قال: دخل علينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ونحن في المسجد وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'ألستم زعمتم أنّكم تحبّوني؟'، قالوا: بلى يا رسول اللّٰه، قال: 'كذبَ مَن زعم أنّه يحبّني ويبغض هذا' يعني عليّاً عليه السلام. [المصدر المتقدّم: ١٨٥، ح ٦٦٤].

١٠- و عنه أيضاً: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'يا عليّ، كذب مَن زعم أنّه يحبّني ويبغضك'. [المصدر المتقدّم: ح ٦٦٥].

١١- وعنه أيضاً: عن أُمّ سلمة، قالت: دخل عليّ عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه و آله فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'كذب مَن زعم أنّه يحبّني ويبغض هذا'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٨٦، ح ٦٦٧].

١٢- وعنه أيضاً عن سلمان الفارسي، قال: رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ضرب فخذ عليّ بن أبي طالب وصدره وسمعته يقول: 'محبّك محبّي، ومحبّي محبّ اللّٰه، ومبغضك مبغضي، ومبغضي مبغض اللّٰه'. [المصدر المتقدّم: ١٨٧، ح ٦٦٩].

١٣- و عنه أيضاً عن أبي زياد الأسدي، قال: حدّثني جدّي حمان، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: "قال لي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: انّك تعيش على ملّتي، وتُقتل على سنّتي، مَن أحبّك أحبّني، ومَن أبغضك أبغضني". [المصدر المتقدّم: ١٨٨، ح ٦٧٠].

١٤- و عنه أيضاً عن يعلى بن مرّة الثقفي، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "مَن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومَن عصى عليّاً فقد عصاني، ومَن عصاني فقد عصى اللّٰه، ومَن أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومَن أحبّني فقد أحبّ اللّٰه، ومَن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومَن أبغضني فقد أبغض اللّٰه، لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا كافر أو منافق". [المصدر المتقدّم: ح ٦٧١].

حكاية عبداللّٰه بن عبّاس وسعيد بن جبير

حكى ابن الصبّاغ المالكي عن "كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب": عن عبداللّٰه بن عبّاس، وكان سعيد بن جبير يقوده بعد كفّ بصره، فمرّ على ضفة زمزم، فإذا بقوم من أهل الشام يسبّون عليّاً عليه السلام، فسمعهم عبداللّٰه بن عبّاس، فقال لسعيد: ردّني إليهم، فردّه، فوقف عليهم، وقال: أيّكم السابّ للّٰه تعالى؟ فقالوا: سبحان اللّٰه، ما فينا أحدٌ سبّ اللّٰه، فقال: أيّكم السابّ لرسوله؟ فقالوا: سبحان اللّٰه، ما فينا أحدٌ سبّ رسول اللّٰه، قال: فأيُّكم السابّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فقالوا: أمّا هذا فقد كان منه شيء .

فقال: أشهد على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بما سمعته أُذناي ووعاه قلبي، سمعته يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: "يا عليّ، مَن سبّك فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ اللّٰه، ومَن سبّ اللّٰه فقد أكبّه اللّٰه على منخريه في النّار"، وولّى عنهم. [الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي: ١٢٧، ونحوه في أمالي الصدوق - المجلس الحادي والعشرون: ح ٢، وفرائد السمطين ١:٣٠٢، ح ٢٤١].

حبّ عليّ إيمان و بغضه كفر و نفاق

قال أبو القاسم البلخي: وقد روى كثير من أرباب الحديث، عن جماعة من الصحابة، قالوا: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلا ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤:٨٣

نظرة حول حديث: "لا يبغضك إلا منافق"

كان عليّ عليه السلام صراط الحقّ، ومدار الحقيقة، وجوهر الإيمان، ومرآة صافية يتجلّى ما في قلوب النّاس فيه إذا واجهوه، والمسلمون حينئذٍ مؤمن ومنافق، وكان من مهامّ الأُمور تمييز المؤمن عن المنافق، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله يعرف المنافق بنور نبوّته ووحي اللّه، وقد عرّفهم لبعض الصحابة أصحاب الأسرار النبويّة منهم حذيفة بن اليمان.

وكان عليّ عليه السلام مرآة صافية لتمييز المؤمن عن المنافق، فصدّر النبيّ صلى الله عليه و آله هذا التوقيع المقياس، وجعل حبّ عليّ عليه السلام وبغضه مقياساً خالداً على طول التاريخ؛ لتشخيص الإيمان والنفاق.

قال الشارح المعتزلي: وقد اتّفقت الأخبار الصحيحة الّتي لا ريب فيها عند المحدّثين على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: "لا يبغضك إلا منافق، ولا يحبّك إلا مؤمن". [شرح ابن أبي الحديد ٤:٨٣].

الاخبار المأثورة عن رسول اللّه في هذا الباب

١- روى ابن عساكر الشافعي: بسنده عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ، قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ عليه السلام: "إنّ اللّه أخذ ميثاق المؤمنين على حبّك، وأخذ ميثاق المنافقين على بغضك، ولو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك، ولو نثرت الدنانير على المنافق ما أحبّك. يا عليّ، لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٠٤، ح ٦٩٥].

٢- وعنه أيضاً: عن المطّلب بن عبداللّه بن حنطب، عن أبيه، قال: خطبنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم الجمعة، فقال: "يا أيّها النّاس، قدّموا قريشاً ولا تتقدّموها، وتعلّموا منها ولا تعلّموها، قوّة رجل من قريش تعدل قوّة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم.

يا أيّها النّاس، أوصيكم بحبّ ذي أقربيها، أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب، فإنّه لا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، مَن أحبّه فقد أحبّني، ومَن أبغضه فقد أبغضني، ومَن أبغضني عذّبه اللّه عزّ وجلّ". [المصدر المتقدّم ٢:٢٠٧، ح ٦٩٨].

٣- وعنه أيضاً: وعن "صحيح الترمذي" عن مُساور الحُميري، عن اُمّه، عن اُمّ سلمة، قالت: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "لا يُحبّ عليّاً منافق، ولا يبغضه مؤمن". [المصدر المتقدّم: ٢٠٨، ح ٦٩٩، وصحيح الترمذي ٥:٥٩٤، ح ٣٧١٧].

٤- وعنه أيضاً: عن عبداللّه بن مسعود، قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "مَن زعم أنّه آمن بي وما جئت به وهو يبغض عليّاً فهو كاذب، ليس بمؤمن". [المصدر المتقدّم: ٢١٠، ح ٧٠٤].

٥- عن ابن حجر العسقلاني الشافعي: عن عليّ عليه السلام، قال: "لقد عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه و آله أن لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق". [الإصابة بهامشه الاستيعاب ٢:٥٠٣].

٦- و روى المجلسي عن "أمالي الصدوق": بسنده عن الصادق جعفر بن محمّد عليهماالسلام، عن أبيه، عن آبائه، قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ذات يوم لأصحابه: معاشر أصحابي، إنّ اللّٰه جلّ جلاله يأمركم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام والاقتداء به، فهو وليّكم وإمامكم من بعدي، لا تخالفوه فتكفروا، ولا تفارقوه فتضلّوا. إنّ اللّٰه جلّ جلاله جعل عليّاً عَلَماً بين الإيمان والنفاق، فمَن أحبّه كان مؤمناً، ومَن أبغضه كان منافقاً. إنّ اللّٰه جلّ جلاله جعل عليّاً عليه السلام وصيّي ومنار الهدى بعدي، فهو موضع سرّي، وعيبة علمي، وخليفتي في أهلي، إلى اللّٰه أشكو ظالميه من أُمّتي". [البحار ٣٨:٩٧].

٧- و روى البحراني عن الشيخ الفاضل محمّد بن أحمد بن شاذان الفقيه من طريق العامّة عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "معاشر النّاس، اعلموا أنّ للّٰه باباً مَن دخله أمن من النّار، ومن الفزع الأكبر". فقام أبو سعيد الخدري، فقال: يا رسول اللّٰه، اهدنا إلى هذا الباب حتّى نعرفه؟ قال: "هو عليّ بن أبي طالب، سيّد الوصيّين، وأمير المؤمنين، وأخو رسول ربّ العالمين، وخليفة اللّٰه على النّاس أجمعين. معاشر النّاس، مَن أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى الّتي لا انفصام لها فليتمسّك بولاية عليّ بن أبي طالب، فإنّ ولايته ولايتي، وطاعته طاعتي.

يا معاشر النّاس، مَن أحبّ أن يعرف الحجّة بعدي فليعرف عليّ بن أبي طالب. معاشر النّاس، مَن سرّه اللّٰه ليقتدي بي، فعليه أن يتوالى ولاية عليّ بن أبي طالب بعدي، والأئمّة من ذرّيّتي، فإنّهم خزّان علمي".

فقام جابر بن عبداللّٰه الأنصاري، فقال: يا رسول اللّٰه، ما عدّة الأئمّة؟

فقال: "يا جابر، سألتني رحمك اللّٰه عن الإسلام بأجمعه، عدّتهم عدّة الشهور، وهي عند اللّٰه اثنا عشر شهراً في كتاب اللّٰه يوم خلق السموات والأرض، وعدّتهم عدّة العيون الّتي انفجرت منه لموسى بن عمران حين ضرب بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وعدّة نقباء بني إسرائيل. قال اللّٰه تعالى: "وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً". [سورة المائدة: ١٢].

فالأئمّة - يا جابر - اثنا عشر إماماً، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم القائم "صلوات اللّٰه عليهم"". [غاية المرام: ١٦٦، باب ٢٢ من المقصد الأوّل، ح ٥٧].

ما رواه عليّ في هذا المقام عن رسول اللّٰه

١- روى الجويني وابن عساكر عن زرّ بن حبيش، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: 'والّذي خلق الحبّة، وبرأ النسمة، وتردّى بالعظمة أنّه لعهد النبيّ صلى الله عليه و آله إليَّ: أنّه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق'. [فرائد السمطين ١:١٣٣، ح ٩٥، تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٩٠، ح ٦٧٤ و ١٩٢، ح ٦٧٩].

٢- و روى الترمذي عن عديّ بن ثابت، عن زرّ بن حبيش، عن عليّ عليه السلام، قال: 'لقد عَهِد إليَّ النبيّ الأُمّي صلى الله عليه و آله أنّه لا يُحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق'. قال عديّ بن ثابت: أنا من القرن الّذي دعا لهم النبيّ صلى الله عليه و آله. [سنن الترمذي ٥:٦٠١، باب المناقب، ح ٣٧٣٦].

٣- و روى ابن الصبّاغ المالكي و المفيد بالإسناد عن الحارث الهمداني، قال: جاء عليّ عليه السلام حتّى صعد المنبر وحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'قضاء قضاه اللَّه تعالى على لسان نبيّكم محمّد، لا يحبّني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق، وقد خاب من افترى'. [الفصول المهمّة: ١٢٥؛ ارشاد المفيد ٣٧: ١].

٤- و عنه أيضاً عن عبداللَّه بن مسلم، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام، قال: 'عهد إليَّ النبيّ الأُمّي، "أنّ" لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٠٢، ح ٦٩٣].

٥- وفي "النهج": قال عليّ عليه السلام: 'لو ضربتُ خَيشومَ المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني، ما أبغضني، ولو صببتُ الدنيا بجمّاتها على المنافق على أنّ يُحبّني ما أحبّني؛ وذلك أنّه قُضي فانقضى على لسان النبيّ الأُمّي صلى الله عليه و آله أنّه قال: يا عليّ، لا يبغضك مؤمن، ولا يُحبّك منافق'. [نهج البلاغة، الحكمة ٤٢].

و قال الشارح المعتزلي في شرح قوله عليه السلام: 'لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا' ومراده عليه السلام من هذا الفصل إذكار النّاس ما قاله فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وهو: 'لا يبغضك مؤمن، ولا يحبّك منافق'. وهي كلمة حقّ؛ وذلك لأنّ الإيمان وبغضه لا يجتمعان؛ لأنّ بغضه كبيرة، وصاحب الكبيرة عندنا لا يسمّى مؤمناً، وأمّا المنافق فهو الّذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، والكافر بعقيدته لا يحبّ عليّاً عليه السلام. [شرح ابن أبي الحديد ١٨:١٧٣].

٦- و روى ابن أبي الحديد: عن حبّة العرني، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: 'إنّ اللَّه أخذ ميثاق كلّ مؤمن على حبّي، وميثاق كلّ منافق على بغضي، فلو ضربتُ وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببتُ الدنيا على المنافق ما أحبّني'. [المصدر المتقدّم ٤:٨٣].

وروى أيضاً: عن أبي الطفيل، قال: سمعت عليّاً عليه السلام وهو يقول: "لو ضربتُ خياشيمَ المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو نثرت [نثرت: أي صببت].

على المنافق ذهباً وفضّة ما أحبّني، إنّ اللّه أخذ ميثاق المؤمنين بحبّي، وميثاق المنافقين ببغضي، فلا يبغضني مؤمن، ولا يحبّني منافق أبداً". [شرح ابن أبي الحديد ٤:٨٣].

٧- و روى ابن عساكر الشافعي، عن عمران بن ميثم، عن أبيه ميثم، قال: شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يجود بنفسه يقول: "يا حسن". قال الحسن: "لبّيك، يا أبتاه". قال: "إنّ اللّه أخذ ميثاق أبيك وميثاق كلّ مؤمن على بغض كلّ منافق وفاسق، وأخذ ميثاق كلّ فاسق ومنافق على بغض أبيك". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٠٦، ح ٦٩٧].

٨- و عن العلامة الإربلي، عن سويد بن غفلة، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: "واللّه لو صببتُ الدنيا على المنافق صبّاً ما أحبّني، ولو ضربتُ بسيفي هذا خيشوم المؤمن لأحبّني، وذلك إنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: يا عليّ، لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق". [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٥٢٦].

لا يبغض عليّاً إلا من شارك إبليس أباه في أُمّه

روى ابن عساكر الشافعي: عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: بينا نحن بفناء الكعبة ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله يحدّثنا إذ خرج علينا ممّا يلي الركن اليماني شيء عظيم، كأعظم ما يكون من الفيلة، قال: فتفل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: 'لُعنتَ'، أو قال: 'خُزيتَ'. قال: فقال عليّ بن أبي طالب: 'ما هذا يا رسول اللَّه؟'، قال: 'أوَما تعرفه، يا عليّ؟'، قال: 'اللَّه ورسوله أعلم'، قال: 'هذا إبليس'، فوثب إليه، فقبض على ناصيته، وجذبه فأزاله عن موضعه، وقال: 'يا رسول اللَّه، أقتله؟'، قال: 'أوَما علمت أنّه أُجّل إلى الوقت المعلوم؟'.

قال: فتركه من يده، فوقف ناحية، ثمّ قال: ما لي ولك يابن أبي طالب؟ واللَّه ما أبغضك أحد إلا وقد شاركت أباه فيه، اقرأ ما قال اللَّه تعالى: 'وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ'. [سورة الإسراء: ٦٤].

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٢٦، ح ٧٣١].

وعنه أيضاً: عن الكنجي في "كفاية الطالب": بإسناده عن أبي وائل، عن ابن عبداللَّه، قال: قال عليّ بن أبي طالب: 'رأيت النبيّ صلى الله عليه و آله عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل، وهو يلعنه، فقلت: ومن هذا الّذي تلعنه، يا رسول اللَّه؟ قال: هذا الشيطان الرجيم، فقلت: واللَّه - يا عدوّ اللَّه - لأقتلنّك ولأريحنّ الأُمّة منك! قال: وما هذا واللَّه جزائي منك. قلت: وما جزاؤك منّي يا عدوّ اللَّه؟ قا: واللَّه ما أبغضك أحد قطّ إلا شاركت أباه في رحم أُمّه'. [المصدر المتقدّم: ٢٢٧، ح ٧٣٢، وكفاية الطالب: ٦٩].

قوله: 'امتحنوا أولادكم بحبّ عليّ'

١- روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: إنّا كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [صحيح الترمذي ٥:٥٩٣، ح ٣٧١٧؛ و نحوه فرائد السمطين ٦٥: ١، ح ٢٩٤ و ٢٩٥؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٢٥].

٢- و روى الصفوري للصفوري الشافعي: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمر أصحابه يوم خيبر أن يمتحنوا أولادهم بحبّ عليّ بن أبي طالب، فإنّه لا يدعو إلى ضلالة ولا يبعد عن هُدى، فمَن أحبّه هو منكم، ومَن أبغضه فليس منكم، قال أنس: فكان الرجل بعد ذلك يقف على طريق عليّ عليه السلام ويقول: يا بُنَيّ، أتحبُّ هذا؟ فإن قال: نعم قبله، وإن قال: لا طلّق أمّه وتركه معها. [نزهة المجالس ٢:٢٠٨].

٣- و روى الجزري للجزري الشافعي: عن عبادة بن الصامت، قال: كنّا نبور. [نبور: نختبر ونمتحن].

أولادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإذا رأينا أحدهم لا يحبّ عليّ بن أبي طالب، علمنا أنّه ليس منّا، وأنّه لغير رشده، ثمّ قال الجزري: لغير رشده: ولد زنا، وهذا مشهور من قديم وإلى اليوم أنّه ما يبغض عليّاً إلا ولد زنا. [أسنى المطالب: ٥٧].

٤- و رواه أيضاً: عن أبي سعيد الخدري: كنّا معشر الأنصار نبور أولادنا بحبّهم عليّاً عليه السلام، فإذا وُلد فينا مولود فلم يحبّه، عرفنا أنّه ليس منّا. [المصدر المتقدّم: ٥٨].

٥- و رواه أيضاً: عن إسحاق بن محمّد بن الحسن الأبنوسي: سمعت مسروق بن المرزبان يقول: سمعت شريك بن عبدالله يقول: إذا رأيت الرجل لا يحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فَأُعلم أنّ أصله يهودي. [المصدر المتقدّم: ٥٩].

٦- وفي "تاريخ دمشق": عن أنس بن مالك، قال: كان النبيّ صلى الله عليه و آله إذا أراد أن يشهر عليّاً في موطن أو مشهد، علا على راحلته، وأمر النّاس أن ينخفضوا دونه، وإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله شهر عليّاً يوم خيبر، فقال: 'يا أيّها النّاس، مَن أحبّ أن ينظر إلى آدم في خلقه، وإلى إبراهيم في خُلّته، - إلى أن قال: - فلينظر الى علي بن أبي طالب... ثمّ قال: 'يا أيّها النّاس، امتحنوا أولادكم بحبّه، فإنّ عليّاً لا يدعو إلى ضلالة، ولا يبعد عن هدى، فمن أحبّه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم'.

قال أنس بن مالك: وكان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه ثمّ يقف على طريق عليّ عليه السلام وإذا نظر إليه يوجّهه بوجهه تلقاءه وأومأ باصبعه: أي بني، تحبّ هذا الرجل المقبل؟ فإن قال الغلام: نعم، قبله، وإن قال: لا، حرف به الأرض، وقال له: ألحِق بأُمّك. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٢٤، ح ٧٣٠].

٧- وروى القندوزي، عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، مرفوعاً قال: مَن لم يعرف حقّ عليّ عليه السلام فهو أحد من الثلاثة: إمّا أُمّه زانية، أو حملتهُ أُمّه من غير طهر، أو منافق. [ينابيع المودّة: ٢٥٢، ورواه محمّد صالح الترمذي في المناقب المرتضويّة، نقلاً عن الإحقاق ٧:٣٢٢].

٨- وعنه أيضاً: بسنده عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد، قال: قالت الأنصار: إن كنّا لنعرف الرجل لغير أبيه ببغضه عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [فرائد السمطين ١:٣٦٥، ح ٢٩٣ و ٢٩٤].

ايراد ابن تيميّة وجوابه

قال ابن تيميّة في "منهاج السنّة"، وهو الحريّ بأن يسمّى "منهاج البدعة": حديث رسول الله في عليّ: 'هذا فاروق أُمّتي، يفرق بين الحقّ والباطل'. و قول ابن عمر: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبيّ صلى الله

عليه و آله إلا ببغضهم عليّاً عليه السلام، فلا يُستريب أهل المعرفة بالحديث أنّهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبيّ صلى الله عليه و آله ولم ير واحد منهما في كتب العلم المعتمدة، ولا لواحد منهما إسناد معروف. [منهاج السنّة ٢:١٧٩].

أمّا الجواب عليه: فقد قال العلامة الأميني في "الغدير" ما ملخّصه: ما يمكن أن يقال فيه أنّه أعطى مقولاً ولم يعط معقولاً، فتراه في كتابه يقول ولا يعقل ما يقول، فإنّ آية اللّٰه العلامة الحلّي رحمه الله يروي عن ابن عمر قوله: ما كنّا نعرف المنافقين... إلى آخره وهذا المغفّل يقول: إنّه حديث مكذوب على النبيّ صلى الله عليه و آله، ولم يعقل أنّ راويه لم يعزه إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فكان حقّ المقام أن يفنّد نسبته إلى ابن عمر، هذا أوّلاً.

وثانياً: أنّ ابن عمر لم يتفرّد بهذا القول، وإنّما أصفق معه على ذلك جمع من الصحابة، منهم:

١ - أبو ذرّ الغفاري، فإنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، إلا بثلاث: بتكذيبهم اللّٰه ورسوله، والتخلّف عن الصلاة، وبغضهم عليّ بن أبي طالب. [الخطيب في المتّفق ومحبّ الدين الطبري في الرياض ٢:٢١٥، وغيره].

٢ - أبو سعيد الخدري، قال: كنّا نعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - ببغضهم عليّاً. [جامع الترمذي ٢:٢٩٩، وحلية الأولياء ٦:٢٩٥].

٣ - جابر بن عبداللّٰه الأنصاري، قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغض عليّ بن أبي طالب. [أحمد في المناقب وابن عبدالبرّ في الاستيعاب ٣:٤٦].

٤ - أبو سعيد محمّد بن الهيثم، قال: إن كنّا نعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - إلا ببغضهم عليّ بن أبي طالب. [الجزري في أسنى المطالب: ٨].

٥ - أبو الدرداء، قال: إن كنّا نعرف المنافقين - معاشر الأنصار - إلا ببغضهم عليّ بن أبي طالب. [الترمذي، وكذا سبط ابن الجوزي في التذكرة: ١٧].

وثالثاً: لم تكن هذه الكلمات دعاوى مجرّدة من القوم، وإنّما هي مدعومةٌ بما وعوه عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في عليّ عليه السلام، و قد ذكر نصوصه عن عليّ عليه السلام و أمّ سلمة، و ابن عبّاس، وغيرهما - كما ذكرنا نحن أحاديث الباب - وبعد هذا كلّه تعرف قيمة ما يتقوّله ابن تيميّة من أنّ "الحديثين لم يرو واحد منهما في كتب العلم المعتمده، ولا لواحد منهما إسناد معروف"، فإذا كان لا يرى الصحاح والمسانيد من كتب العلم المعتمدة وما أسنده الحفّاظ والأئمّة وصحّحوه إسناداً معروفاً، فحسبه ذلك جهلاً

شائناً، وعلى قومه عاراً وشناراً، وليت شعري بأيّ شيء يعتمد هو وقومه في المذهب بعد هاتيك العقيدة السخيفة؟! [لمزيد من الاطّلاع راجع: الغدير ١٨٨ - ١٨١ :٣].

"يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ"

حبّ عليّ سعادة، وبغضه شقاء

عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: "يا عليّ، لو أنّ أُمّتي أبغضوك لأكبّهم اللّه على مناخرهم في النّار".

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٤٣، ح ٧٥٢

نظرة في الحديث

من خلال الاطّلاع على الأخبار الواردة في كتب الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام في فضيلة محبّة عليّ عليه السلام، وكون الشقاء في بغضه وعدائه، يحصل لنا يقين بأنّ حبّ عليّ عليه السلام في المرتبة الأُولى من العقائد بعد الإيمان باللّه ورسول الإسلام الأكرم، وأنّ سعادة أي إنسان رهينة بمحبّته واتّباع أمره، وعلى العكس من ذلك، فإنّ الشقاء والتعاسة في عدائه ومخالفته؛ ذلك لأنّ محبّته وإطاعة أوامره تعني الالتزام بأوامر الإسلام المحمّدي الأصيل، وهو يستتبع حتماً السعادة في الدنيا والنجاة من النّار ودخول الجنّة في الآخرة، كما أنّ مخالفته وعداءه يعني الانحراف عن الإسلام الحقيقي، ونتيجة ذلك الخسران المبين في الدنيا والآخرة والخلود في العذاب الأليم.

روى الصفوري الشافعي عن أنس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "صحيفة المؤمن حبّ عليّ ابن أبي طالب"، وقال الحسن: "قال لي رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ادع لي سيّد العرب - يعني عليّاً - فلمّا جاء أرسل إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار، ألا أُدلّكُم على مَن إذا تمسّكتم به لن تضلّوا بعده؟ قالوا: بلى يا نبيّ اللّه، قال: هذا عليٌّ فأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بالذي قلتُ لكم عن اللّه تعالى". [نزهة المجالس ٢:٢٠٨].

ولذلك فإنّ بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله والتابعين كانوا يرجون التقرّب إلى اللّه تعالى بولاية عليّ عليه السلام.

في "البحار": عن أبي صالح، قال: لمّا حضرت عبداللّه بن عبّاس الوفاة قال: اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [البحار ٣٩:٢٥٨].

وفيه عن يحيى بن كثير الضرير: رأيت زبيد بن الحارث النامي في النوم فقلت له: إلى ما صرت يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إلى رحمة اللّٰه، قلت: فأيّ العمل وجدت أفضل؟ قال: الصلاة وحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [المصدر المتقدّم: ٢٥٩].

محبّ عليّ لا يُعذّب بالنّار

يستفاد من مطاوي روايات هذا الباب أنّ حبّ عليّ وأولاده المعصومين عليهم السلام كما ينفع في الدنيا في المسير الى صراط مستقيم ينفع أيضاً في الآخرة مَن كان هذا الحبّ ثابتاً في قلبه، حتّى وإن كان عاصياً، فبه يتّقي النّار ولا يمسّه العذاب الأليم يوم القيامة.

وكون مثل هؤلاء الأفراد من الناجين هناك احتمالان:

الأوّل: أن يتدبّروا أمرهم من خلال هذه المحبّة لعليّ وأهل بيته عليهم السلام، فيهتدون إلى طريق الإسلام شيئاً فشيئاً، ويسلمون أخيراً، فيسلكوا سبيل الحقّ ببركة حبّ أهل بيت محمّد صلى الله عليه و آله، وبذلك ينجون من شقاء الشرك والضلالة وظلماتها، ويستفاد هذا المعنى من بعض الروايات، فعن حنّان بن سدير، عن الباقر عليه السلام، قال: 'ما ثبّت اللّٰه حبّ عليّ في قلب أحدٍ فزلّت له قدم، إلا ثبّتها اللّٰه وثبّت له قدم أُخرى'. [البحار ٣٩:٢٥٧].

والثاني: طبقاً لمضمون بعض الروايات، فإنّ أمثال هؤلاء وإن كانوا يفارقون الدنيا عصاةً أو كفّاراً إلا أنّ اللّٰه سبحانه يخفّف عنهم العذاب، وإن لم يكونوا من أصحاب الجنّة، ففي "البحار": عن ابن عبّاس، قال: كان يهوديّ يحبّ عليّاً عليه السلام حبّاً شديداً، فمات ولم يسلم. قال ابن عبّاس: فيقول الجبّار تبارك وتعالى: أمّا جنّتي فليس له فيها نصيب، ولكن يا نار لا تهيديه، أي لا تزعجيه. [البحار ٣٩:٢٥٨].

ويؤيّد ما قلنا بعض الأخبار الّتي وردت بهذا المضمون فنشير إليها:

روى المجلسي عن "فضائل أحمد" و "فردوس الديلمي": قال عمر بن الخطّاب: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'حبّ عليّ براءة من النّار'، وأنشد:

حبّ عليّ جنّة للورى*** أحطط به يا ربّ أوزاري

لو أنّ ذمّيّاً نوى حُبّه*** حصّن في النّار من النّار

[البحار ٣٩:٢٥٨، والفردوس للديلمي ٢:١٤٢، ح ٢٧٢٣].

ويستفاد من الحديث التالي أنّ حبّ عليّ عليه السلام باللسان يفيد للمحبّ.

و عنه أيضاً عن "روضة الواعظين": في خبر أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال يوماً لأصحابه: 'أيّكم يصوم الدهر، ويحيي الليل، ويختم القرآن؟'، فقال سلمان: أنا يا رسول اللّٰه، قال: فغضب بعضهم، وقال: إنّ سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا - معاشر قريش - وهو يكذب في جميع ذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'مه - يا فلان - أنّى لك بمثل لقمان الحكيم؟ سله فإنّه ينبئك'.

فقال: رأيتك في أكثر أيّامك تأكل، وأكثر لياليك نائماً، وأكثر أيّامك صامتاً. فقال: ليس حيث تذهب، إنّي أصوم الثلاثة في الشهر، وقال اللّٰه: 'مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا' [سورة الأنعام: ١٦٠].

وأوصل رجب وشعبان بشهر رمضان، وذلك صوم الدهر، وسمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن بات على طهر فكأنّما أحيا الليل'، وأنا أبيت على طهر.

وسمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ: 'يا أبا الحسن، مَثَلُكَ في أُمّتي مثلُ 'قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد'، فمن قرأها مرّة فقد قرأ ثلث القرآن، ومَن قرأها مرّتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومَن قرأها ثلاث مرّات فقد ختم القرآن كلّه. فمن أحبّك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومَن أحبّك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان، ومَن أحبّك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً يا عليُّ، لو أحبّك أهل الأرض كمحبّة أهل السماء لما عذّب أحدٌ بالنّار'.

وأنا أقرأ 'قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد' كلّ يوم ثلاث مرّات، فقام فكأنّه أُلقم [يقال: ألقمه الحجر، أي أسكته عند الخصام]. حجراً. [البحار ٣٩:٢٥٧].

وتستفاد هذه الحقيقة أيضاً من روايات أُخرى، تدلّ على أنّ الكفّار الّذين يحسنون سينجون من العذاب أو يخفّف عنهم إن بقوا فيه، فقد ورد في بعض الروايات أنّ أمثال حاتم الطائي من المشركين وإن ماتوا مشركين إلا أنّهم سوف لا يعذّبون أو سيخفّف عنهم العذاب، ولمزيد الاطّلاع حول هذا البحث يمكن الرجوع إلى كتاب العدل الإلهي لمؤلفه الشهيد آية اللّٰه المطهري، مبحث الإيمان بالنبوّة والإمامة.

نبذة من الأخبار

حديث في آثار حبّ آل محمّد

١- روى جماعة من علماء العامّة منهم الزمخشري ومحيي الدين بن عربي والثعلبي في تفاسيرهم عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: 'مَن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره

بابان إلى الجنّة. ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد جعل اللّٰه قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة اللّٰه، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة". [تفسير الكشّاف ٣:٤٦٧، وتفسير محيي الدين بن عربي ٢:٤٣٢، وتفسير الثعلبي، وغيرها].

٢- وفي "البحار" عن "الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام": بسنده عن ابن عمر، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه و آله عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: 'ما بال قوم ينكرون من له منزلة كمنزلتي؟! ألا ومَن أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أحبّني رضي اللّٰه عنه، ومن رضي اللّٰه عنه كافاه الجنّة. ألا ومَن أحبّ عليّاً يقبل اللّٰه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب اللّٰه دعاءه. ألا ومَن أحبّ عليّاً استغفرت له الملائكة، وفتحت له أبواب الجنّة، يدخل من أي باب شاء بغير حساب. ألا ومن أحبّ عليّاً لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر، ويأكل من شجرة طوبى، ويرى مكانه من الجنّة. ألا ومَن أحبّ عليّاً أعطاه اللّٰه في الجنّة بعدد كلّ عرق في بدنه حوراً، ويشفع في ثمانين من أهل بيته، وله بكلّ شعرة في بدنه مدينة في الجنّة. ألا ومَن أحبّ عليّاً بعث اللّٰه ملك الموت إليه برفق، ودفع اللّٰه عنه هول منكر ونكير، ونوّر قلبه، وبيّض وجهه. ألا ومَن أحبّ عليّاً نجّاه اللّٰه من النّار. ألا ومَن أحبّ عليّاً أثبت اللّٰه الحكم في قلبه، وأجرى على لسانه الصواب، وفتح اللّٰه له أبواب الرحمة. ألا ومَن أحبّ عليّاً سُمّي في السموات أسير اللّٰه في الأرض. ألا ومَن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش: أن يا عبداللّٰه، استأنف العمل، فقد غفر اللّٰه لك الذنوب كلّها. ألا ومَن أحبّ عليّاً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ألا ومَن أحبّ عليّاً وضع اللّٰه على رأسه تاج الكرامة. ألا ومَن أحبّ عليّاً مرّ على الصراط كالبرق الخاطف. ألا ومَن أحبّ عليّاً وتولاه كتب اللّٰه له براءة من النّار، وجوازاً على الصراط، وأماناً من العذاب. ألا ومَن أحبّ عليّاً لا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويقال له: ادخل الجنّة بغير حساب. ألا ومَن أحبّ آل محمّد، أمن من الحساب والميزان والصراط، ومَن أحبّ آل محمّد صافحته الملائكة، وزارته الأنبياء، وقضيت له كلّ حاجة كانت له عند اللّٰه عزّ وجلّ. ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّة' - قالها ثلاثاً -.

قال قتيبة بن سعيد بن رجاء: كان حمّاد بن زيد يفتخر بهذا الحديث، ويقول: هو الأصل لمن يقرّ به. [البحار ٣٩:٢٧٧].

معرفة آل محمّد براءة من النّار

١- روى جماعة من أعلام القوم منهم الجويني والقندوزي الحنفي بالاسناد عن المقداد بن الأسود، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'معرفة آل محمّد براءة من النّار، وحبّ آل محمّد جواز على الصراط، والولاية لآل محمّد أمان من العذاب'. [فرائد السمطين، نقلاً عن الإحقاق ٩:٤٩٤، وينابيع المودّة: ٢٤١].

٢- وروى الحاكم النيشابوري في "مستدركه": بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'والّذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله اللّٰه النّار'، قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. [المستدرك ٣:١٥٠].

٣- وروى الخطيب البغداي والكنجي الشافعي عن ابن عبّاس، قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه و آله: يا رسول اللّٰه، للنّار جواز؟ قال: 'نعم'، قلت: وما هو؟ قال: 'حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام'. [تاريخ بغداد ٣:١٦١، كفاية الطالب: ٣٢٥].

حديث مَن أحبّ عليّاً فهو من رفقائه في الجنّة

روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن الأصبغ بن نباتة، وأبي مريم الخولاني، قالا: سمعنا عمّار بن ياسر وهو يقول: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'يا عليّ، إنّ اللّٰه زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بشي ء أحبّ إلى اللّٰه منها، وهي زينة الأبرار عند اللّٰه: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً، فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في جنّتك، وأمّا من أبغضك وكذب عليك فحقّ على اللّٰه أن يوفّقهم يوم القيامة موقف الكذّابين'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢١٢، ح ٧٠٧].

ما ورد في الشقاء والويل لمن أبغض عليّاً

١- أخرج ابن عساكر الشافعي، عن محمّد بن منصور الطوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل، وقد سأله رجل عن قول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'عليّ قسيم النّار'، فقال: هذا حديث يضطرب طريقه عن الأعمش، ولكنّ الحديث الّذي ليس عليه لبس هو قول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق'، وقال اللّٰه عزّ وجلّ: 'إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ' [سوره النساء: ١٤٥].

فمن أبغض عليّاً فهو في الدرك الأسفل من النّار. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٥٣، ح ٧٦٧].

٢- و عنه أيضاً: بإسناده عن عاصم بن ضمرة، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: 'إنّ محمّداً صلى الله عليه و آله أخذ بيدي ذات يوم فقال: من مات وهو يبغضك ففي سنّة جاهليّة، يحاسب بما عمل في الإسلام، ومن عاش بعدك وهو يحبّك ختم اللّٰه له بالأمن والأمان ما طلعت شمس وغربت حتّى يَرِدَ علَيّ الحوض'. [المصدر المتقدّم: ٢٣٤، ح ٧٣٨].

٣- و روى الجويني بسنده عن ابن عبّاس قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله نظر إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: 'أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، مَن أحبّك فقد أحبّني، وحبيبك حبيب اللّٰه، ومَن أبغضك فقد أبغضني، وبغيضك بغيض اللّٰه، فالويل لمن أبغضك'. [فرائد السمطين ١:١٢٨، ح ٩٠].

٤- و عنه أيضاً عن سعيد بن محمّد الورّاق، وكذا عن ابن الصباغ المالكي عن عليّ بن الحزور، قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول: سمعت عمّار بن ياسر يقول: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'يا عليّ، طوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك'. [المصدر المتقدم ١:١٢٩، ح ٩١، والفصول المهمّة: ١٢٧].

٥- وعنه أيضاً بسنده عن سلمان، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله في إشارة إلى فاطمة عليهاالسلام: 'يا سلمان، ويل لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين عليّاً، وويل لمن يظلم ذرّيّتها وشيعتها' [فرائد السمطين ٢:٦٧، ح ٣٩١].

٦- وعنه أيضاً عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر، فيقال لي: إرق "فأرقاه" فأكون أعلاه، ثُمّ ينادي مناد: أين عليّ، فيكون دوني بمرقاة، فيعلم جميع الخلائق أنّ محمّداً سيّد المرسلين، وأنّ عليّاً سيّد الوصيّين، قال أنس: فقام إليه رجل منّا - يعني من الأنصار - فقال: يا رسول اللّٰه فمن يبغض عليّاً بعد هذا؟ فقال: 'يا أخا الأنصار، لا يبغضه من قريش إلا سفحيّ، ولا من الأنصار إلا يهوديّ، ولا من العرب إلا دعيّ،ولا من سائر النّاس إلا شقيّ'. [المصدر المتقدمه ١:١٣٤، ح ٩٧].

٧- وعنه أيضاً: عن زيد بن يثيع، قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة يقول: رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله خيّم خيمة - وهو متّكئ على قوس عربيّة - وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: 'يا معشر المسلمين، أنا سلمٌ لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، ووليٌّ لمن والاهم، لا يُحبّهم إلا سعيد الجدّ، طيّب المولد، ولا يبغضهم إلا شقيّ الجدّ، ردئ الولادة'.

قال رجل: يا زيد، أنت سمعت منه؟ قال: إي، وربّ الكعبة. [المصدر المتقدّم: ٣٩، ح ٣٧٣].

حديث 'من أحبّ أهل البيت كان مع رسول اللّٰه في درجته'

روى الجويني: بسنده عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: 'إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أخذ بيد الحسن والحسين عليهماالسلام، فقال: 'مَن أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة'. [المصدر المتقدّم ٢:٢٥، ح ٣٦٦].

حديث 'مَن يريد حياة رسول اللّٰه فليوال عليّ بن أبي طالب'

١- روى الجويني: بسنده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة الخلد الّتي وعدني ربّي - وإنّ ربّي غرس قضبانها بيده - فليوال عليّ بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة'. [فرائد السمطين ١:٥٥، ح ٢٠].

حديث 'مبغض عليّ لا يقبل منه صلاة ولا صوم'

١- روى الجويني بسنده عن أبي الزبير الملكي، قال: سمعت جابر بن عبداللّٰه يقول: كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعرفات، وعليّ عليه السلام تجاهه، فأومأ إليَّ وإلى عليّ عليه السلام، فأتيناه، فقال: 'ادن منّي يا عليّ'، فدنا عليّ منه، فقال: 'اطرح خمسك في خمسي'، يعني كفّك في كفّي، 'يا عليّ، أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله اللّٰه تعالى الجنّة. يا عليّ، لو أنّ أُمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتّى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبّهم اللّٰه تعالى في النّار'. [فرائد السمطين ١:٥١، ح ١٦].

وروى الحافظ السمعاني في "الرسالة القواميّة" في مناقب الصحابة نحوه. [مناقب الصحابة نقلاً عن الإحقاق ٧:١٨٠].

٢- وروى موفّق بن أحمد الخوارزمي والحافظ القندوزي بالاسناد عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: لو أنّ عبداً عبد اللّٰه مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّٰه، ومدّ في عمره حتّى يحجّ ألف عام على قدميه، ثمّ بين الصفا والمروة قتل مظلوماً، ثمّ لم يوالك - يا عليّ - لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها'. [المناقب للخوارزمي: ٦٧، والمناقب للخوارزمي: ٦٧، وينابيع المودّة: ٢٥٢].

٣- و روى البحراني عن "أمالي الصدوق": بسنده عن محمّد بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: "نزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه و آله، فقال: يا محمّد، اللّٰه يقرئك السلام، ويقول: خلقت السموات السبع ومَن فيهنّ، والأرضين السبع، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أنّ عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين، ثمّ لقيني جاحداً لولاية عليّ بن أبي طالب لأكببته في سقر". [غاية المرام: ٢٠٩، الباب ٢٧ المقصد الأوّل، ح ٩].

وفي "البحار" عن "المناقب": عن ابن مردويه بالإسناد عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: "يا عليّ، لو أنّ عبداً عبد اللّٰه مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل جبل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّٰه، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه، ثمّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا عليّ، لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها". [البحار ٣٩:٢٥٦، ونزهة المجالس ٢:٢٠٧، والفردوس ٢:١٤٢، ح ٢٧٢٥].

حديث "لا يزال قدم عبد يوم القيامة حتّى يسئل عن ولاية عليّ"

روى ابن الصبّاغ المالكي: بسنده عن أبي بردة، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - ونحن جلوس ذات يوم -: "والّذي نفسي بيده، لا يزال قدم عن قدم يوم القيامة حتّى يسأل اللّٰه تعالى الرجل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله مِمّ كسبه، وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت"، فقال له عمر: ما آية حبّكم؟ فوضع يده صلى الله عليه و آله على رأس عليّ عليه السلام وهو جالس على جنبه، فقال: "آيته حبّ هذا من بعدي". [الفصول المهمّة: ١٢٥. وروى الخوارزمي في المناقب: ٧٧، مع تفاوت في بعض الألفاظ].

حديث "عدم جواز أحد على الصراط إلا بولاء عليّ"

١- روى الجويني، عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمّد عليهماالسلام، عن عليّ عليه السلام، قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إذا جمع اللّٰه الأوّلين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنّم، لم يجز بها أحد إلا مَن كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب". [فرائد السمطين مخطوط، نقلاً عن الإحقاق ٧:١١٥].

وروى نحوه الذهبي في "ميزان الاعتدال"، وكذا ابن حجر العسقلاني في "لسان الميزان"، والقندوزي في "ينابيع المودّة" وغيرهم. [راجع: الإحقاق ٧:١١٥].

٢- وروى الخوارزمي، عن الحسن البصري، عن عبداللّٰه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الفردوس، وهو جبل قد علا على الجنّة، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه [سفح الجبل: أصله وأسفله].

تنفجر أنهار الجنّة، وتتفرّق في الجنان، وهو جالس على كرسيّ من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النّار'. [المناقب للخوارزمي: ٧١].

٣- وروى المحبّ الطبري عن قيس بن أبي حازم، قال: التقى أبو بكر وعليّ بن أبي طالب عليه السلام فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ عليه السلام، فقال له: 'ما لك تبسّمت؟'، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'لا يجوز أحد الصراط إلا مَن كتب له عليّ عليه السلام الجواز'. [ذخائر العقبى: ٧١، والأخبار الواردة في كتب العامّة في هذا الباب كثيرة، ومن أرادها فليراجع الإقاق ٧:١١٤].

حديث "السعادة والهداية في حبّ عليّ وولايته"

١- روى ابن أبي الحديد من طريق أحمد بن حنبل في المسند والفضائل: أنّه خرج رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: 'إنّ اللّٰه قد باهى بكم الملائكة عامّة، وغفر لكم عامّة، وباهى بعليّ خاصّة، وغفر له خاصّة، إنّي قائل لكم قولاً غير محابّ فيه لقرابتي، إنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد من أحبّ عليّاً عليه السلام في حياته وبعد موته'. [شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٢:٤٤٩، نقلاً عن الإحقاق ٧:٢٥٤].

٢- و روى ابن الصباغ المالكي عن "معالم العترة النبويّة": مرفوعاً إلى فاطمة عليهاالسلام، قالت: خرج علينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عشيّة عرفة فقال: 'إنّ اللّٰه باهى بكم وغفر لكم عامّة ولعليّ خاصّة، وإنّي رسول اللّٰه غير محابّ لقرابتي، إنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته'. [الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٥].

٣- و عنه أيضاً: عن الطبراني، بسنده عن فاطمة "سلام اللّٰه عليها" لفظ الحديث السابق وزاد في ذيله: 'إنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد مماته'. [المصدر المتقدّم].

٤- وفي "البحار": عن سلمان الفارسي، قال: خرج رسول اللّٰه يوم عرفة، فقال: 'أيّها النّاس، إنّ اللّٰه باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامّة، ويغفر لعليّ خاصّة'، ثمّ قال: 'ادن منّي يا عليّ'، فدنا منه، فأخذ بيده، ثمّ قال: 'إنّ السعيد كلّ السعيد حقّ السعيد من أطاعك وتولاك من بعدي' الحديث. [البحار ٣٩:٢٦٥].

٥- و روى الأخطب الخوارزمي، عن جابر، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللّٰه لمّا خلق السماوات والأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهنّ نبوّتي وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقبلتاهما، ثمّ خلق الخلق وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقيّ من شقي بنا، نحن المحلّون لحلاله، والمحرّمون لحرامه'. [المناقب للخوارزمي: ٨٠، طبع مكتبة نينوى الحديثة - طهران].

٦- روى الصدوق في اماليه "أمالي الصدوق": بسنده عن سليمان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهماالسلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أنت أخي وأنا أخوك. يا عليّ، أنت منّي وأنا منك. يا عليّ، أنت وصيّي وخليفتي وحجّة اللّٰه على أُمّتي بعدي، لقد سعد من تولاك، وشقي من عاداك'. [أمالي الصدوق - المجلس السابع والخمسون: ح ١٢].

٧- و عنه أيضاً عن الحكم بن الصلت، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'خذوا بحجزة هذا الأنزع - يعني عليّاً - فإنّه الصدّيق الأكبر، وهو الفاروق يفرق بين الحقّ والباطل، مَن أحبّه هداه اللّٰه، ومَن أبغضه أبغضه اللّٰه، ومَن تخلّف عنه محقه اللّٰه' الحديث. [أمالي الصدوق - المجلس السادس والتسعون: ح ٨].

حديث 'ولاية عليّ الركوب على سفينة النجاة'

روى المجلسى عن "أمالي الصدوق": بسنده عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن أحبّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل اللّٰه المتين، فليوال عليّاً بعدي، وليعاد عدوّه، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي، وحجج اللّٰه على الخلق بعدي، وسادة أُمّتي، وقادة الأتقياء إلى الجنّة، حزبهم حزبي، وحزبي حزب اللّٰه، وحزب أعدائهم حزب الشيطان'. [البحار ٣٨: ٩٢].

حديث 'ولايته عبادة وجنّة'

١- في "الفردوس للديلمي" عن ابن مسعود: 'حبّ آل محمّد خيرٌ من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنّة'. [الفردوس للديلمي ٢: ١٤٢، ح ٢٧٢١].

٢- و عن "أمالي الصدوق" رحمه الله: بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'ولاية عليّ بن أبي طالب ولايتي، وحبّه عبادة اللّٰه، واتّباعه فريضة اللّٰه، وأولياؤه أولياء اللّٰه،

وأعداؤه أعداء اللّٰه، وحربه حرب اللّٰه، وسلمه سلم اللّٰه عزّ وجلّ". [غاية المرام: ٢٠٩، الباب ٢٧ المقصد الأوّل، ح ١].

٣- و عنه أيضاً: عن "أمالي الصدوق" رحمه الله بسنده عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليهماالسلام: 'مَن أقام فرائض اللّٰه، واجتنب محارم اللّٰه، وأحسن الولاية لأهل بيت نبيّ اللّٰه، وتبرّأ من أعداء اللّٰه عزّ وجلّ، فليدخل من أيّ أبواب الجنّة الثمانية شاء'. [المصدر المتقدم بعينه، ح ٥].

٤- عن "أمالي الصدوق رحمه الله": بسنده عن أبي سلام مولى قيس، قال: خرجت مع مولاي قيس إلى المدائن، قال: سمعت سعد بن حذيفة يقول: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبّة خردل من حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلا أدخله اللّٰه عزّ وجلّ الجنّة'. [البحار ٣٩:٢٤٦].

ورواه العلامة الإربلي في "كشف الغمّة" بعين ما تقدّم. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٥٣٠].

حديث 'حبّ عليّ يأكل الذنب'

١- روى القندوزي الحنفي: عن أنس، قال: 'عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام'. [ينابيع المودّة: ١٨٦].

وذكر ابن المغازلي في "المناقب"، والصفوري في "نزهة المجالس"، والمجلسي في "البحار"، وغيرهم، نحوه. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٤٣، ح ٢٩٠، و نزهة المجالس للصفوري ٢:٢٠٨، والبحار ٣٩:٣٠٤، والصواعق المحرقة: ١٢٥].

٢- و روى الصفوري عن ابن عبّاس، قال: حبّ عليّ بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النّار الحطب، ولو اجتمع النّاس على حبّه لما خلق اللّٰه جهنّم. [نزهة المجالس ٢:٢٠٧، وكفاية الطالب: ٣٢٥].

٣- و عن المجلسي عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حبّ عليّ بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النّار الحطب'. [البحار ٣٩:٣٠٤، والفردوس للديلمي ٢:١٤٢، ح ٢٧٢٢].

٤- و عنه: عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حبّ عليّ يخمد النيران'. [المصدر المتقدّم ٣٩: ٣٠٤].

٥- و عنه: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحرق الذنوب كما تحرق النّار الحطب'. [المصدر المتقدّم ٢٦٦: ٣٩].

٦- وعنه أيضاً: قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'حبّ عليّ بن أبي طالب حسنة لا تضرّ معها سيّئة، وبغضه سيّئة لا تنفع معها حسنة'. [المصدر المتقدّم ٣٩:٣٠٤. وروى الحديث الترمذي عن معاذ بن جبل في "المناقب المرتضويّة" ص٩٢، والخوارزمي ص١، وعن أنس بن مالك في "المناقب" ص٤٥، والموصلي عن ابن عبّاس في "بحر المناقب" ص٧، وغيرهم من علماء العامّة في كتبهم، فراجع الإحقاق ٧:٢٥٧].

حديث 'لو أنّ أهل الأرض يحبّون عليّاً لما خلق اللّٰه ناراً'

في "البحار": عن "الروضة" و"الفضائل": بالإسناد، يرفعه إلى سعد بن عبادة، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'لمّا عرج بي إلى السماء وقفت عن ربّي كقاب قوسين أو أدنى، سمعت النداء من قِبل اللّٰه: يا محمّد، مَن تحبّ ممّن معك في الأرض؟ فقلت: يا ربّ، أُحبّ مَن تحبّه، وتأمرني بمحبّته. فقال: يا محمّد، أحبّ عليّاً، فإنّي أُحبّه وأُحبّ مَن يحبّه، فلمّا رجعت إلى السماء الرابعة تلقّاني جبرئيل، فقال لي: ما قال لك ربّ العزّة، وما قلت له؟ فقلت: حبيبي جبرئيل، قال لي: كيت وكيت، وقلت له: كيت وكيت، قال: فبكى جبرئيل، وقال: يا محمّد، والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً، لو أنّ أهل الأرض يحبّون عليّاً كما يحبّه أهل السموات لما خلق اللّٰه ناراً يعذّب بها أحداً'. [البحار ٣٩:٢٤٨].

حديث 'أوّل مَن يدخل الجنّة محبّ عليّ'

في "البحار" عن "كتاب ابن خالويه": عن أبي سعيد، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'حبّك إيمان، وبغضك نفاق، وأوّل مَن يدخل الجنّة محبّك، وأوّل مَن يدخل النّار مبغضك، وقد جعلك اللّٰه أهلاً لذلك، فأنت منّي وأنا منك، ولا نبيّ بعدي'. [البحار ٣٩:٢٦٧].

وروى العلامة ابن الصبّاغ المالكي، عن أبي سعيد الخدري صدر الحديث بعينه. [الفصول المهمّة: ١٠٩، نقلاً عن الإحقاق ٧:٢٤٧].

علي و شيعته هم الفائزون

عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: "والّذي نفسي بيده إنّ هذا - يعني عليّاً عليه السلام - وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة".

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٤٢، ح ٩٥١

نظرة في الحديث

وردت روايات كثيرة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله يدلّ مضمونها على أنّ عليّاً عليه السلام وشيعته هم الفائزون، وهذه الحقيقة الإسلاميّة مسلّمة قطعيّة، ولا ينبغي الشكّ فيها، فإنّ الآيات القرآنيّة الّتي تبشّر بالفوز العظيم تطرح أُموراً توجد في أشخاص يمثّل عليّ عليه السلام أبرز مصاديقهم، والصورة الكاملة لما تطلبه الآية، وممّا لا شكّ فيه أنّ مَن يتّبع سبيل عليّ عليه السلام سوف يدخل في إطار هذه الآية، ويكون من مصاديقها ومصداقاً لذلك الفوز العظيم، ونحن نشير إلى بعض الآيات من أجل أن يطّلع عليها القارئ العزيز ليتّضح من خلالها أنّ الروايات الواردة في هذا الباب تنطبق تماماً على آيات القرآن الكريم، فمنها قوله تعالى:

١ - "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" [سورة الأحزاب: ٧١].

فهل هناك من هو أشدّ طاعة لله ورسوله من عليّ عليه السلام؟ وهل هناك مَن هو كعليّ عليه السلام لم يغفل عن طاعة الله طرفة عين؟ ومَن يمكن أن يكون مصداقاً للآية أكمل وأفضل من عليّ عليه السلام؟ وعلى هذا فإنّ عليّاً - وطبقاً لهذه الآية - مصداق بيّن للفائزين، وتبعاً لذلك فإنّ كلّ مَن يتّبع سبيل عليّ عليه السلام سيفوز فوزاً عظيماً.

٢ - "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" [سورة النُّور: ٥٢].

وليس هناك مصداق أسمى من عليّ عليه السلام في طاعته لله ورسوله، وخشيته الله، وعدم عصيانه له؟ ولهذا فإنّه الفائز والمحبوّ بهذه الكرامة الإلهيّة، وهي تشمل شيعته أيضاً.

٣ - "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" [سورة التوبة: ٢٠].

ألم يكن عليّ عليه السلام أوّل مَن آمن؟ ألم يكن أوّل مهاجر، وأكثر المهاجرين هجرة في سبيل الله؟ ألم يكن عليّ أفضل مجاهد في سبيل الله؟ وعليه فعليّ عليه السلام أظهر مصداق للآية، فهو الفائز، وكلّ مَن يعمل بهذه الآية ويتّبع سبيل عليّ فإنّه من شيعته، وهو من الفائزين، إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على كلمة الفوز الّتي تقترن بالطاعة والإيمان والهجرة وعمل الصالحات وغيرها.

نبذة من الأخبار في أنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون

١- روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن جابر بن عبداللّٰه، قال: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه و آله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'قد أتاكم أخي'، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمّ قال: 'والّذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٤٢، ح ٩٥١].

٢- وروى ابن المغازلي الشافعي، بإسناده عن محمّد بن سالم، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: 'يا عليّ، إنّ شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فُرّجت عنهم الشدائد، وسَهُلَتْ لهم الموارد، وأُعطُوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف النّاس ولا يخافون، ويحزن النّاس ولا يحزنون، شُرُكُ نِعالِهم تتلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحةٌ قد ذُلِّلَتْ من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على اللّٰه عزّ وجلّ'. [المناقب لابن المغازلي: ٢٩٦، ح ٣٣٩، وأخرجه ابن حجر الهيتمي في "الصواعق المحرقة" ص٢٣٠، مقتصراً على صدر الحديث].

٣- وروى الجويني بسنده عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أتاني جبرئيل عن ربّي عزّ وجلّ وهو يقول: ربّي يقرؤك السلام ويقول لك: بشّر المؤمنين الّذين يعملون الصالحات ويؤمنون بك وبأهل بيتك بالجنّة، فلهم عندي الجزاء الحسنى، وسيدخلون الجنّة'. [فرائد السمطين ١:٣٠٧، ح ٢٤٦].

٤- و عنه أيضاً بسنده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: يا عليّ، إنّ اللّٰه غفر لك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، ومحبّي محبّي شيعتك، فإنّك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم'. [المصدر المتقدّم: ٣٠٨، ح ٢٤٧].

٥- وعنه أيضاً: بسنده عن أبي عليّ أحمد بن عليّ بن مهدي الرقّي، عن أبيه، عن عليّ بن موسى، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، طوبى لمن أحبّك وصدّق بك، وويل لمن أبغضك وكذّب بك. يا عليّ، محبّوك معروفون في السماء السابعة والأرض السابعة السفلى وما بين ذلك، هم أهل اليقين والورع والسمت الحسن، والتواضع للّٰه تعالى، خاشعة أبصارهم، وجلة قلوبهم لذكر اللّٰه، وقد عرفوا حقّ ولايتك، وألسنتهم ناطقة بفضلك، وأعينهم ساكبة تحنّناً

عليك وعلى الأئمّة من ولدك، يدينون اللّٰه بما أمرهم به في كتابه، وجاءهم به البرهان من سنّة نبيّه، عاملون بما يأمرهم به أولو الأمر منهم، متواصلون غير متقاطعين، متحابّون غير متباغضين، إنّ الملائكة لتصلّي عليهم وتؤمّن على دعائهم وتستغفر للمذنب منهم، وتشهد حضرته، وتستوحش لفقده إلى يوم القيامة'. [فرائد السمطين: ٣٠٩، ح ٢٤٨].

٦- وروى العلامة القندوزي عن الزرندي في "درر السمطين" عن إبراهيم بن شيبة الأنصاري، قال: جلست عند الأصبغ بن نباتة، قال: ألا أقرئك ما أملاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فأخرج صحيفة فيها مكتوب: 'بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به محمّد صلى الله عليه و آله أهل بيته وأُمّته، وأوصى أهل بيته بتقوى اللّٰه ولزوم طاعته، وأوصى أُمّته بلزوم أهل بيته، وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيّهم صلى الله عليه و آله، وإنّ شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة، وإنّهم لن يدخلوكم باب ضلالة، ولن يخرجوكم من باب هديً'. [ينابيع المودّة: ٢٧٣].

٧- وفي "البحار" عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السلام: 'لو اجتمعت الخلائق على ولايتك لما خلق اللّٰه النّار، ولكن أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة'. [البحار ٣٩:٢٤٨].

٨- وروى المفيد بإسناده عن جابر بن يزيد، عن محمّد بن عليّ الباقر عليهماالسلام، قال: سُئِلت أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه و آله عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقالت: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّ عليّاً وشيعته هم الفائزون'. [الإرشاد للمفيد ١:٤١].

٩- وعنه أيضاً: بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إنّ للّٰه تعالى قضيباً من ياقوت أحمر لا يناله إلا نحن وشيعتنا وسائر النّاس منه بريئون'. [المصدر المتقدّم: ٤٢].

١٠- وعنه أيضاً: بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يدخل الجنّة من أُمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب'. قال: ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام، فقال: 'هم شيعتك وأنت إمامهم'. [المصدر المتقدّم].

١١- وعنه أيضاً: بإسناده إلى عمر بن موسى، عن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عن عليّ عليه السلام، قال: 'شكوت إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حسد النّاس إيّاي؟ فقال: يا عليّ، إنّ أوّل

أربعة يدخلون الجنّة: أنا وأنت والحسن والحسين، وذرّيّتنا خلف ظهورنا، وأحبّاؤنا خلف ذرّيّتنا وأشياعُنا عن أيماننا وشمائلنا". [المصدر المتقدّم: ٤٣].

١٢- وروى أبو الفرج الاصفهاني بسنده عن عبدالله بن سعيد الأشقري، عن دعبل بن عليّ، قال: لمّا هربت من الخليفة بتّ ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبدالله بن طاهر في تلك الليلة، فإنّي لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علَيّ: "السلام عليكم ورحمة الله، انج يرحمك الله"، فاقشعرّ بدني من ذلك، ونالني أمرٌ عظيم، فقال لي: لا ترع عافاك الله، فإنّي رجل من إخوانك من الجنّ من ساكني اليمن، طرأ إلينا طارئ من أهل العراق، فأنشدنا قصيدتك:

مدارس آيات خلت من تلاوة*** ومنزل وحي مقفر العرصاتِ

فأحببت أن أسمعها منك، قال: فأنشدته إيّاها، فبكى حتّى خرّ، ثمّ قال: رحمك الله، ألا أُحدّثك حديثاً يزيد في نيّتك، ويعينك على التمسّك بمذهبك؟ فقلت: بلى، قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمّد عليهماالسلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه: أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: "عليّ وشيعته هم الفائزون". ثمّ ودّعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله، إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل؟ قال: أنا ظبيان بن عامر. [الأغاني ١٨: ٣٩، طبع عزّ الدين - بيروت].

و إليك أخبار في مَن أحبّ عليّاً أُعطي خصالاً وفضائل

١- روى الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليهماالسلام، قال: "قال سلمان الفارسي: كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه و آله إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له: "ألا أبشّرك يا عليّ؟"، قال: "بلى، يا رسول الله"، قال: "هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله جلّ جلاله أنّه قد أعطى محبّيك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأُنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنّة قبل سائر النّاس من الأُمم بثمانين عاماً". [أمالي الصدوق - المجلس الرابع والخمسون: ح ١٥].

٢- وروى عليّ بن أبي بكر الهيثمي، عن عبدالله بن أبي نجي: أنّ عليّاً عليه السلام أُتي يوم النضير بذهب وفضّة، فقال: "ابيضّي واصفرّي وغرّي غيري، غرّي أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك"، فشقّ قوله ذلك على النّاس، فذكر ذلك له، فأذن في النّاس فدخلوا عليه، قال: "إنّ خليلي عليه السلام قال: يا عليّ، إنّك ستقدم

على اللَّه وشيعتك راضين مرضيّين، وقدم عليك عدوّك غضاب مقمحين' [الاقماح: رفع الرأس وغضّ البصر].

ثمّ جمع يده إلى عنقه يريهم الإقماح. [مجمع الزوائد ٩:١٣١].

٣- وروى العلامة التستري عن محمّد صالح الكشفي الترمذي في المناقب المرتضوية بسنده عن أنس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'حدّثني جبرئيل عن اللَّه عزّ وجلّ أنّ اللَّه تعالى يحبّ عليّاً ما لا يحبّ الملائكة ولا النبيّين ولا المرسلين، وما من تسبيحة يسبّح اللَّه إلا ويخلق اللَّه منه ملكاً يستغفر لمحبّه وشيعته إلى يوم القيامة'. [الإحقاق ٧:٣١٩].

٤- وروى العلامة ابن حجر الهيثمي عن طريق الديلمي: أنّه قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أنت وشيعتك تردون علَيّ الحوض رواءً مرويّين، مبيضّة وجوههم، وإنّ أعدائكم يردون علَيّ الحوض ضماءً مقمحين'. [الصواعق المحرقة: ١٦١].

٥- وروى الخطيب الخوارزمي، عن إبراهيم بن مهاجر، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: 'حدّثني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأنا مسنده إلى صدري، فقال - أي عليّ: - ألم تسمع قول اللَّه تعالى: 'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ' [سورة البيّنة: ٧].

أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين'. [المناقب للخوارزمي: ١٨٧، طبع مكتب نينوى الحديثة - طهران].

وفي "البحار" عن "تفسير فرات": بسنده عن جابر الأنصاري رحمه الله في حديث - قال: انّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مرضه الّذي قبض فيه قال لعليّ عليه السلام: 'يا عليّ، ادن منّي'، فدنا منه، فقال: 'ادخل أُذنك في فيّ'، ففعل فقال: 'يا أخي، ألم تسمع قول اللَّه في كتابه: 'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ'؟ قال: 'بلى، يا رسول اللَّه'، قال: 'هم أنت وشيعتك تجيئون غرّاً محجّلين، شباعاً مرويّين، أوَلم تسمع قول اللَّه في كتابه: 'إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ' [سورة البيّنة: ٦].

قال: 'بلى، يا رسول اللَّه'، قال: 'هم عدوّك وشيعتهم يجوزون [في المصدر: 'يجيئون'].

يوم القيامة ظماءً مظمئين، أشقياءً معذّبين، كفّاراً منافقين، ذلك لك ولشيعتك، وهذا لعدوّك ولشيعتهم'. [البحار ٢٢:٤٥٨].

علي ليلة المعراج

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، ألا أُبشّرك؟'، قال عليّ عليه السلام: 'قلت: بشّرني يا رسول اللّٰه'، فقال صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، نظرتُ بعيني إلى عرش ربّي جلّ وعزّ فرأيتُ مثلك في السماءِ الأعلى'.

البحار ١٨:٣٩٣

تمهيد

في هذا الفصل نرى في كثير من الروايات الواردة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه رأى عليّاً عليه السلام إلى جانبه في مواضع مختلفة من هذا السفر الخطير، و اسم عليّ عليه السلام مكتوب إلى جانب اسم اللّٰه ورسوله في مواضع متعدّدة، كساق العرش، وسدرة المنتهى، وأبواب الجنّة، وهناك تعبيرات أُخرى تشهد بعظمة عليّ عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه و آله؛ لذلك سنورد بعض الحديث المتعلّق بالمعراج، ثمّ نتبعه بروايات تدلّ على عظمة عليّ عليه السلام في ليلة المعراج.

المعراج حقيقة إسلاميّة ثابتة

من المسائل الّتي اتّفق عليها علماء الإسلام مسألة المعراج؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم يشهد بها في الآية الأُولى من سورة الإسراء، والآيات ١ ـ ٥ من سورة النجم. ومن جهة أُخرى فإنّ الروايات المتواترة تؤيّد أنّ هذا السفر السماوي قد تمّ مرّتين.

ومن وجهة نظر الشيعة الإماميّة وكثير من علماء السنّة، أنّ معراج النبيّ صلى الله عليه و آله هذا كان معراجاً جسمانياً لا روحياً فقط، وهم يعتقدون كذلك أنّ هذا السفر الطويل قد تمّ في ليلة واحدة، وأنّه بدأ من مكّة المكرّمة إلى المسجد الأقصى، ومن هناك إلى السماء، ثمّ انتهى بالعودة إلى مكّة.

أمّا الآيات: فقوله تعالى: 'سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى [والإسراء: هو السفر ليلاً، وهو يقابل السير الّذي هو السفر نهاراً، ولذلك وردت لفظة "ليلاً" لتؤيّد أنّ هذا السفر قد تمّ في ليلة واحدة، وأنّ السفر كان إلى المسجد الأقصى، ومن هناك إلى السماوات كما ورد في سورة النجم].

بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ'.

[سورة الإسراء: ١].

وقد حدث هذا السفر مرّة ثانية، حيث يقول القرآن الكريم: 'وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى'. [سورة النجم: ١٨ - ١٣].

روى المجلسي عن أبي بصير، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: 'قال النبيّ صلى الله عليه و آله: أتاني جبرئيل، وأنا بمكّة، فقال: قم يا محمّد، فقمت معه وخرجت إلى الباب، فإذا جبرئيل ومعه ميكائيل وإسرافيل، وأتى جبرئيل بالبراق، وكان فوق الحمار ودون البغل، خدّه كخدّ الإنسان، وذنبه كذنب البقر، وعرفه كعرف الفرس، وقوائمه كقوائم الإبل، عليه رحل من الجنّة، وله جناحان من فخذيه، خطوه منتهى طرفه [خطوة منتهى طرفه: كان يضع كلّ خطوة منه على منتهى مدّ بصره].

فقال: اركب، فركبت ومضيت حتّى انتهيت إلى بيت المقدس. ولمّا انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند ربّ العزّة، وصلّيت في بيت المقدس'.

وفي بعضها: 'بشّرني إبراهيم في رهط من الأنبياء، ثمّ وصف موسى وعيسى - ثمّ أخذ جبرئيل بيدي إلى الصخرة فأقعدني عليها، فإذا معراج إلى السماءِ لم أرَ مثلها حسناً وجمالاً، فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكها يسلّمون عليّ، ثمّ صعد بي جبرئيل إلى السماء الثانية، فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريّا، ثمّ صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف، ثمّ صعدت إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس، ثمّ صعد بي إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون، ثمّ صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير، يموج بعضهم في بعض، وفيها الكروبيّون، قال: ثمّ صعد بي إلى السماء السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكة'.

وفي حديث آخر: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'رأيت في السماء السادسة موسى عليه السلام، ورأيت في السابعة إبراهيم عليه السلام'. قال: 'ثمّ جاوزنا متصاعدين إلى أعلى علّيّين'.

ووصف ذلك إلى أن قال: 'ثمّ كلّمني ربّي وكلّمته، ورأيت الجنّة والنّار، ورأيت العرش وسدرة المنتهى'، ثمّ قال: 'ورجعت إلى مكّة، فلمّا أصبحت حدّثت به النّاس، فأكذبني أبو جهل والمشركون، وقال مطعم بن عديّ: أتزعم أنّك سرت مسيرة شهرين في ساعة؟ أشهد أنّك كاذب'. ثمّ قالت قريش: أخبرنا عمّا رأيت؟

فقال صلى الله عليه و آله: 'مررت بِعِير بني فلان، وقد أضلّوا بَعِيراً لهم وهم في طلبه، وفي رحلهم قعب [القعب: القدح الضخم الغليظ].

من ماء مملوء، فشربت الماء فغطّيته كما كان، فسألوهم هل وجدوا الماء في القدح'، قالوا: هذه آية واحدة. فقال صلى الله عليه و آله: 'مررتُ بعير بنى فلان، فنفر بعير فلان فانكسرت يده، فسألوهم عن ذلك'، فقالوا: هذه آية أُخرى. قالوا: أخبرنا عن عِيرنا؟ قال صلى الله عليه و آله: 'مررت بها بالتنعيم'، وبيّن لهم أحوالها وهيأتها. قالوا: هذه آية أُخرى. [البحار ١٨:٣٧٥].

روى الكليني بإسناده عن أبي عبداللَّه عليه السلام في قوله اللَّه تعالى: 'وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ' [سورة يونس: ١٠١].

قال: 'لمّا أُسري برسول اللَّه صلى الله عليه و آله أتاه جبرئيل بالبراق فركبها، فأتى بيت المقدس فلقي من لقي من إخوانه من الأنبياء، ثمّ رجع فحدّث أصحابه أنّي أتيت بيت المقدس ورجعت من الليلة، وقد جاءني جبرئيل بالبراق فركبتها، وآية ذلك أنّي مررت بَعِير لأبي سفيان على ماءٍ لبني فلان، وقد أضلّوا جملاً لهم أحمر، وقد همّ القوم في طلبه، فقال بعضهم لبعض: إنّما جاء الشام وهو راكب سريع، ولكنّكم قد أتيتم الشام وعرفتموها فسلوه عن أسواقها وأبوابها وتُجّارها، فقالوا: يا رسول اللَّه، كيف الشام، وكيف أسواقها؟ قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذا سئل عن الشي ء لا يعرفه شقّ عليه حتّى يرى ذلك في وجهه. قال: فبينما هو كذلك إذا أتاه جبرئيل عليه السلام، فقال: يا رسول اللَّه، هذه الشام قد رفعت لك، فالتفت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فإذا هو بالشام بأبوابها وأسواقها وتجّارها، فقال: أين السائل عن الشام؟ فقالوا له: فلان وفلان، فأجابهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في كلّ ما سألوه عنه، فلم يؤمن منهم إلا قليل، وهو قول اللَّه تبارك وتعالى: 'وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ".

ثمّ قال أبو عبداللَّه عليه السلام: 'نعوذ باللَّه أن لا نؤمن باللَّه وبرسوله، آمنّا باللَّه وبرسوله صلى الله عليه و آله'. [روضة الكافي: ٢٩٩، ح ٥٥٥].

الأخبار الواردة في الإسراء كثيرة بالغة حدّ التواتر، وقد رواها جمّ غفير من الصحابة كأنس بن مالك، وشدّاد بن الأوس، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبداللَّه بن مسعود، وعمر بن الخطّاب، وعبداللَّه بن عمر، وعبداللَّه بن عبّاس، وأُبيّ بن كعب، وسمرة بن جندب، وبريدة، وصهيب بن سنان، وحذيفة بن اليمان، وسهل بن سعد، وأبو أيّوب الأنصاري، وجابر بن عبداللَّه، وأبو الحمراء، وأبو الدرداء، وعروة، وأُمّ هاني، وأُمّ سلمة، وعائشة، وأسماء بنت أبي بكر كلّهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ورواها كثير من رواة الشيعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، نذكر بعضها فيما يلي:

متى كان المعراج؟

قال العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: قد اتّفقت أقوال مَن يُعتنى بقوله من علماء الإسلام على أنّ الإسراء كان بمكّة قبل الهجرة، كما يستفاد من قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" الآية، ويدلّ عليه ما اشتملت عليه كثير من الروايات من إخباره صلى الله عليه و آله قريشاً بذلك صبيحة ليلته وإنكارهم ذلك عليه، وإخباره صلى الله عليه و آله إيّاهم بأساطين المسجد الأقصى وما لقيه في الطريق من العِير وغير ذلك.

ثمّ اختلفوا في السنة الّتي أُسري به صلى الله عليه و آله فيها، فقيل: في السنة الثانية من البعثة، كما عن ابن عبّاس، وقيل: في السنة الثالثة منها كما في "الخرائج" عن عليّ عليه السلام، وقيل: في السنة الخامسة أو السادسة، وقيل: بعد البعثة بعشر سنين وثلاثة أشهر، وقيل: في السنة الثانية عشرة منها، وقيل: قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، وقيل: قبلها بسنة وثلاثة أشهر، وقيل: قبلها بستّة أشهر.

ولا يهمّنا الغور في البحث عن ذلك، ولا عن الشهر واليوم الّذي وقع فيه الإسراء، ولا مستند يصحّ التعويل عليه. [تفسير الميزان ١٣:٢٩].

ما هو الهدف من المعراج؟

يظنّ البعض من ذوي الآفاق الضيّقة أنّ الهدف من المعراج كان لقاء النبيّ صلى الله عليه و آله باللَّه في السماوات! كلا فليس الأمر كذلك، بل الهدف من هذا السفر المهمّ الخطير "على ظنّي، واللَّه العالم" هو مشاهدة أسرار عظمة اللَّه في أنحاء عالم الوجود، وخاصّة العالم العلوي الّذي هو مجموعة من آيات عظمته تعالى، وليتلقّى علوماً أكثر من أجل هداية البشر وإرشادهم، وقد صرّح القرآن الكريم بهذا الهدف فقال في سورة الإسراء: "لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا"، وفي سورة النجم: "لَقَدْ رَأَى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى".

عن ثابت بن دينار، قال: سألت عليّ بن الحسين عليه السلام عن اللَّه عزّ وجلّ، هل يوصف بمكان؟ فقال: "لا، تعالى اللَّه عن ذلك"، قلت: فلِمَ أسرى بنبيّه إلى السماء؟ قال: "ليريه السموات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه" الحديث. [تفسير البرهان ٢:٣٩٨].

وأخيراً فإنّ الهدف هو مشاهدة النبيّ صلى الله عليه و آله الباطنيّة من جهة، ورؤية عظمة اللَّه في عرشه وملكوته في السموات الواسعة العظيمة بالعين الظاهرية من جهة أُخرى، وكذلك الاطّلاع على أُمور كثيرة ممّا يتعلّق بالملائكة وأهل الجنّة والنّار وأرواح الأنبياء، وكانت مصدر إلهام له في تعليم الخلق وتربيتهم على مدى عمره المبارك.

جملة ممّا وردت في ليلة المعراج وعظمة عليّ

ذكر ولاية عليّ و انّه حجة اللّٰه

روى الكليني بسنده عن عليّ بن أبي حمزة، قال: سأل أبو بصير أبا عبداللّٰه عليه السلام وأنا حاضر، فقال: جعلت فداك، كم عُرِجَ برسولِ اللّٰه صلى الله عليه و آله؟ فقال: 'مرّتين، فأوقفه جبرئيل موقفاً، فقال له: مكانك يا محمّد، فلقد وُقِفتَ موقفاً ما وقفه ملكٌ قطٌّ ولا نبيٌّ. إنّ ربّك يُصلّي، فقال: يا جبرئيل، وكيف يصلّي؟ قال: يقول: سبّوح قدّوسٌ أنا ربُّ الملائكةِ والروح، سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللّهمّ عفوك عفوك. قال: وكان كما قال اللّٰه: "قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى"، فقال له أبو بصير: جعلت فداك، ما قاب قوسين أو أدنى؟ قال: 'ما بين سيتها [بكسر المهملة: ما عطف من طرفيها].

إلى رأسها'. فقال: 'كان بينهما حجاب يتلألأ يخفق [يتحرّك ويضطرب].

ولا أعلمه إلا وقد قال: زبرجد، فنظر في مثل سمّ الإبرة [سم الإبرة: ثقبها].

إلى ما شاء اللّٰه من نور العظمة. فقال اللّٰه تبارك وتعالى: يا محمّد، قال: لبّيك ربّي، قال: من لأُمّتك من بعدك؟ قال: اللّٰه أعلم، قال: عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ [الغرة - بالضمّ -: بياض في الجبهة، والتحجيل بياض في قوائم الفرس].

المحجّلين'.

قال: ثمّ قال أبو عبداللّٰه عليه السلام لأبي بصير: 'يا أبا محمّد، واللّٰه ما جاءت ولاية عليّ عليه السلام من الأرض، ولكن جاءت من السماء مشافهة'. [أُصول الكافي ١:٤٤٣، باب مولد النبيّ صلى الله عليه و آله ووفاته، ح ١٣].

قال المجلسي في ذيل الحديث: ولا ينافي قوله عليه السلام في الحديث: 'عرج به صلى الله عليه و آله مرّتين' مع ما رواه الصفّار والصدوق في "البصائر" و "الخصال"، بإسنادهما عن الصباح المزني، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: 'عرج بالنبيّ صلى الله عليه و آله إلى السماء مائة وعشرين مرّة، ما من مرّة إلا وقد أوحى اللّٰه فيها للنبيّ صلى الله عليه و آله بالولاية لعليّ والأئمّة عليهم السلام أكثر ممّا أوحاه بالفرائض'.

إذ يمكن أن تكون مرّتان بمكّة، والباقي بالمدينة، أو المرّتان إلى العرش والباقية إلى السماء، أو المرّتان بالجسم والباقية بالروح. [مرآة العقول ٥:٢٠١].

وفي "البحار" عن أمالي الشيخ، عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لمّا أُسري بي إلى السماء كنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى، ثمّ قال: يا محمّد، اقرأ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين، فما سمّيت به أحداً قبله، ولا أُسمّي بهذا أحداً بعده' [البحار ٣٧:٢٩٠].

و روى الصدوق بسنده عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "ليلة أُسري بي إلى السماء كلّمني ربّي جلّ جلاله، فقال: يا محمّد، فقلت: لبّيك ربّي، فقال: إنّ عليّاً حجّتي بعدك على خلقي وإمام أهل طاعتي، من أطاعه أطاعني، ومن عصاه عصاني، فانصبه علماً لأُمّتك يهتدون به بعدك'. [البحار ٣٨:١٠٥].

حضوره المثالي في جنب رسول اللَّه

لا شكّ أنّ حضور عليّ عليه السلام إلى جنب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في المعراج دليل واضح على عظمته عليه السلام، وأنّ له منزلة عظيمة بعد نبيّ الإسلام الأكرم، وأنّه سيكون الوارث والخليفة الوحيد للنبيّ صلى الله عليه و آله.

وهنا لا بدّ أن نوضّح أنّ جسم عليّ عليه السلام كان في الأرض لا في السماوات، بل أنّ مثال عليّ ونوره قد خلق بأمر اللَّه تعالى، وكان على هيئة عليّ عليه السلام وذلك ليبيّن عظمة عليّ عليه السلام، ولتظهر تلك العظمة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله في ليلة المعراج بل لجميع الملائكة والنّاس أجمعين.

وردت بهذا المضمون روايات، نذكرها:

في "البحار" عن "كفاية الطالب" للحافظ الشافعي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'مررت ليلة أُسري بي إلى السماء وإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به، فقلت: يا جبرئيل، من هذا الملك؟ فقال: ادن منه، فدنوت منه، فإذا أنا بأخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقلت: يا جبرئيل، سبقني عليّ بن أبي طالب إلى السماء الرابعة؟ فقال: لا يا محمّد، ولكنّ الملائكة شكت حبّها لعليّ، فخلق اللَّه هذا الملك من نور عليّ وصورة عليّ، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة سبعين مرّة، ويسبّحون اللَّه تعالى ويقدّسونه ويهدون ثوابه لمحبّ عليّ. [البحار ١٨:٣٨٦].

وفي "عيون أخبار الرضا": بسنده عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: 'سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: ليلة أُسري بي عزّ وجلّ رأيتُ في بطنان العرش ملكاً بيده سيف من

نور يلعبُ به، كما يلعبُ عليّ بن أبي طالب بذي الفقار، وأنّ الملائكة إذا اشتاقوا إلى وجه عليّ بن أبي طالب نظروا إلى وجه ذلك الملك. فقلت: يا ربّ، هذا أخي عليّ بن أبي طالب وابن عمّي؟ فقال: يا محمّد، هذا ملكٌ خلقتُه على صورة عليّ عليه السلام يعبدني في بطنان عرشي تكتب حسناتُه وتسبيحه وتقديسه لعليّ بن أبي طالب إلى يوم القيامة". [عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٣٠، الباب ٣٥، ح ١٥].

و روى عليّ بن ابراهيم القمي عن أبي بردة الأسلمي، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ: "يا عليّ، إنّ اللّٰه أشهدك معي في سبعة مواطن: أمّا أوّل ذلك فليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: خلّفته ورائي، قال: ادع اللّٰه فليأتك به، فدعوت وإذاً مثالك معي، وإذا الملائكة وقوف صفوف. فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال: هم الّذين يباهيهم اللّٰه بك يوم القيامة، فدنوت فنطقت بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة" الحديث. [تفسير القمّي ٢:٣٣٥، والبحار ١٨:٤٠٥].

وفي "البحار": عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لمّا عرج بي إلى السماء دنوت [الدنوّ: هو الدنوّ المعنوي، وهو عروجه صلى الله عليه و آله إلى الملكوت الأعلى وإلى مقام المصطفين الأخيار].

من ربّي عزّ وجلّ حتّى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى، فقال: يا محمّد، من تحبّ من الخلق؟ قلت: يا ربّ، عليّاً، قال: التفت يا محمّد، فالتفتّ عن يساري فإذا عليّ بن أبي طالب. [حضوره عليه السلام عند رسول اللّٰه في المقام الأعلى حضور مثالي، كما مرّ].[البحار ١٨:٤٠٦].

و روى العلامة التستري عن ابن أبي فارس في الأربعين، عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يرفعون الحديث ا لى سعد بن عبادة، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لمّا عرج بي إلى السماء فكنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، إذ سمعت النداء من قِبل اللّٰه تعالى: يا محمّد، مَن تحبّ أن يكون معك في الأرض؟

فقلت: أُحبّ من يحبّه العزيز الجبّار، ويأمر بمحبّته، فسمعت النداء من قِبل اللّٰه تعالى يقول: يا محمّد، أحبّ عليّاً، فإنّي أُحبّه وأُحبّ مَن يحبّه".

قال: "فبكى جبرئيل عليه السلام حتّى علا نحيبه، وقال: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً، لو أنّ أهل الأرض يحبّون عليّاً كما تحبّه أهل السماء ما خلق اللّٰه النّار يعذّب بها أحداً من عباده، والسلام. [الإحقاق ٧:١٥٢].

مكتوب على باب الجنّة عليّ وليّ اللّٰه

روى الجويني بسنده عن أبي الحمراء، خادم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "لمّا أُسري بي رأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا اللّٰه، محمّد رسول اللّٰه صفوتي من خلقي أيّدته بعليّ، ونصرته به". [فرائد السمطين ١:٢٣٥، حديث ١٨٣].

وعنه أيضاً: بسنده عن أبي الحمراء خادم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "ليلة أُسري بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً: أنا اللّٰه وحدي، لا إله غيري، غرست جنّة عدن بيدي لمحمّد صفوتي، أيّدته بعليّ". [المصدر المتقدّم: ٢٣٧، ح ١٨٥].

اسمه مقرون باسم رسول اللّٰه في مواطن أربعة

روى الصدوق عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال في وصيّته لي: 'يا عليّ، إنّي رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن، فآنست بالنظر إليه: إنّي لمّا بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرتها مكتوباً: لا إله إلا اللّٰه، محمّد رسول اللّٰه، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره، فقلت لجبرئيل: من وزيري؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فلمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى، وجدت مكتوباً عليها: إنّي أنا اللّٰه لا إله إلا أنا وحدي، محمّد صفوتي من خلقي، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره، فقلت لجبرئيل: مَن وزيري؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فلمّا جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش ربّ العالمين جلّ جلاله، فوجدت مكتوباً على قوائمه: أنا اللّٰه لا إله إلا أنا وحدي، محمّد حبيبي، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره، فلمّا رفعت رأسي وجدت على بطنان العرش مكتوباً: أنا اللّٰه لا إله إلا أنا وحدي، محمّد عبدي ورسولي، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره'. [خصال الصدوق رحمه الله ١:٢٠٧، باب الأربعة، ح ٢٦].

اهتمام الأنبياء بعليّ عند العرش وأبواب السماء

عن "المناقب" لأبي الحسن الفقيه ابن شاذان: بسنده عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'لمّا أُسري بي إلى السماء لقيني أبي نوح، فقال: يا محمّد، مَن خَلَّفْت على أُمّتك؟ فقلت: عليّ بن أبي طالب، فقال: نِعم الخليفة خلّفت. ثمّ لقيني أخي عيسى، فقال لي: مَن خَلَّفْتَ على أُمّتك؟ فقلتُ: عليّاً، فقال: نِعم الخليفة خلّفت. ثمّ لقيني أخي موسى، فقال لي: مَن خَلَّفْتَ على أُمّتك؟ فقلت: عليّاً، فقال: نعم الخليفة خَلَّفْتَ. قال: فقلت لجبرئيل: ما لي لا أرى إبراهيم؟ قال: فعدل إلى حظيرة فإذا فيها شجرة لها ضروع كضروع الغنم، كلّما خرج ضرعٌ من فم واحدٍ ردّه فقال: يا محمّد، مَن خَلَّفْتَ على أُمّتك؟ فقلت: عليّاً، قال: نِعم الخليفة خَلَّفْتَ، وإنّي يا محمّد، سألتُ اللّٰه بي أن يُولّيني غذاء أطفالِ شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأنا أُغذيهم. [غاية المرام: ٧٠، الباب ١٤ من المقصد الأوّل، ح ٢١].

وفي "البحار": عن كشف اليقين في حديث طويل في المعراج - إلى أن قال: - 'فلمّا أصبح رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعث إلى أنس بن مالك فدعاه، فلمّا جاءه قال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: ادع عليّاً، فأتاه، فقال: يا عليّ، أُبشّرك؟ قال: بماذا؟ قال: أخوك موسى وأخوك عيسى وأبوك آدم عليهم السلام فكلّهم

يوصي بك، قال: فبكى عليّ وقال: الحمد للّه الّذي لم يجعلني عنده منسيّاً. ثمّ قال: 'يا عليّ، ألا أُبشّرك؟ قال: قلت: بشّرني يا رسول اللّه، فقال: يا عليّ، نظرت بعيني إلى عرش ربّي جلّ وعزّ فرأيت مثلك في السماء الأعلى، وعهد إليَّ فيك عهداً قال: بأبي وأمّي يا رسول اللّه، أو كلّ ذلك كانوا يذكرون إليك؟'.

قال: فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّ الملأ الأعلى ليدعون لك، وإنّ المصطفين الأخيار ليرغبون إلى ربّهم جلّ وعزّ أن يجعل لهم السبيل إلى النظر إليك، وإنّك لتشفع يوم القيامة، وانّ الأُمم كلّهم موقوفون على حرف [الحرف من كلّ شيء : طرفه وشفيره وحده وجانبه].

جهنّم'، قال: فقال عليّ عليه السلام: 'يا رسول اللّه، فمن الّذي كانوا يقذف بهم في نار جهنّم؟' قال: 'أُولئك المرجئة والحروريّة والقدريّة وبنو أُميّة ومناصبك العداوة. يا عليّ، هؤلاء الخمسة ليس لهم في الإسلام نصيب'. [البحار ٣٨:٣٩٣].

قم بقعة شيعة عليّ في ليلة المعراج

في "البحار" عن "علل الشرائع": عن عيسى بن عبداللّه الأشعري، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: 'حدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: لمّا أُسري بي إلى السماء، حملني جبرئيل على كتفه الأيمن، فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران، وأطيب ريحاً من المسك، فإذا فيها شيخ على رأسه برنس. فقلت لجبرئيل: ما هذه البقعة الحمراء الّتي هي أحسن لوناً من الزعفران، وأطيب ريحاً من المسك، قال: بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ. فقلت: من الشيخ صاحب البرنس؟ قال: إبليس. قلت: فما يريد منهم؟ قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير المؤمنين، ويدعوهم إلى الفسق والفجور. فقلت: يا جبرئيل، أهوِ بنا إليهم، فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق الخاطف، والبصر اللامح. فقلت: قم يا ملعون، فشارك أعداءهم فى أموالهم وأولادهم ونساءهم، فإنّ شيعتي وشيعة عليّ ليس لك عليهم سلطان، فسمّيت قم'. [البحار ١٨:٤٠٧].

اسم عليّ مكتوب على أبواب الجنّة

روى الجويني بسنده عن علقمة، عن عبداللّه بن مسعود، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'لمّا أُسري بي إلى السماء أمر "اللّه" بعرض الجنّة والنّار علَيّ فرأيتهما جميعاً، رأيت الجنّة وألوان نعيمها، ورأيت النّار وألوان عذابها، فلمّا رجعت قال لي جبرئيل عليه السلام: هل قرأت يا رسول اللّه ما كان مكتوباً على أبواب الجنّة، وما كان مكتوباً على أبواب النّار؟ فقلت: لا يا جبرئيل.

قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب، على كلّ باب منها أربعة كلمات، كلّ كلمة منها خير من الدنيا وما فيها لمن تعلّمها واستعملها، وإنّ للنّار سبعة أبواب، على كلّ باب منها ثلاث كلمات، كلّ كلمة منها خير من الدنيا وما فيها لمن تعلّمها واستعملها.

فقلت: يا جبرئيل ارجع معي لأقرأها، فرجع معي جبرئيل عليه السلام فبدأ بأبواب الجنّة، فإذا على الباب الأوّل منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيء حيلة، وحيلة طيب العيش في الدنيا أربع خصال: القناعة، ونبذ الحقد، وترك الحسد، ومجالسة أهل الخير.

وعلى الباب الثاني منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيء حيلة، وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رأس اليتامى، والتعطّف على الأرامل، والسعي في حوائج المسلمين، وتفقّد الفقراء والمساكين.

وعلى الباب الثالث منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، لكلّ شيء حيلة وحيلة الصحّة في الدنيا أربع خصال: قلّة الكلام، وقلّة المنام، وقلّة المشي، وقلّة الطعام.

وعلى الباب الرابع منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم جاره، مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليبرّ والديه، مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت.

وعلى الباب الخامس منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، مَن أراد أن لا يُذَلّ فلا يَذِلّ، ومَن أراد أن لا يُشتم فلا يَشتم، ومَن أراد أن لا يُظلم فلا يَظلم، ومَن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بقول "لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه".

وعلى الباب السادس منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، مَن أحبّ أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فلينق المساجد، مَن أحبّ أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد، مَن أحبّ أن لا يظلم لحده فلينوّر المساجد، ومَن أراد أن يبقى طريّاً تحت الأرض فلا يبلى جسده فينشر بسط المساجد.

وعلى الباب السابع منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، بياض القلب في أربع خصال: في عيادة المريض، واتّباع الجنائز، وشراء أكفان الموتى، ودفع القرض.

وعلى الباب الثامن منها مكتوب: لا إله إلا اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، مَن أراد الدخول في هذه الأبواب الثمانية فليستمسك بأربع خصال: بالصدق، والسخاء، وحسن الأخلاق، وكفّ الأذى عن عباد اللّه عزّ وجلّ.

ثمّ جئنا إلى أبواب جهنّم، فإذا على الباب الأوّل منها مكتوب ثلاث كلمات: لعن اللّه الكذابين، لعن اللّه الباخلين، لعن اللّه الظالمين.

وعلى الباب الثاني منها مكتوب ثلاث كلمات: مَن رجا اللّه سعد، ومَن خاف اللّه آمن، والهالك من رجا سوى اللّه وخاف غيره.

وعلى الباب الثالث منها مكتوب: مَن أراد أن لا يكون عرياناً في القيامة فليكس الجلود العارية، مَن أراد أن لا يكون عطشاناً في القيامة فليسقِ العطاش في الدنيا، من أراد أن لا يكون يوم القيامة جائعاً، فليطعم البطون الجائعة في الدنيا.

وعلى الباب الرابع منها مكتوب ثلاث كلمات: أذلّ اللّه مَن أهان الإسلام، أذلّ اللّه مَن أهان أهل بيت نبيّ اللّه، أذلّ اللّه مَن أعان الظالمين على ظلم المخلوقين.

وعلى الباب الخامس منها مكتوب ثلاث كلمات: لا تتّبع الهوى، فإنّ الهوى يجانب الإيمان، ولا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فستقط عن عين ربّك، ولا تكن عوناً للظالمين، فإنّ الجنّة لم تخلق للظالمين.

وعلى الباب السادس منها مكتوب ثلاث كلمات: أنا حرام على المجتهدين، أنا حرام على المتصدّقين، أنا حرام على الصائمين.

وعلى الباب السابع منها مكتوب ثلاث كلمات: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وبّخوا أنفسكم قبل أن توبّخوا، وادعوا اللّه قبل أن تردوا عليه ولا تقدرون على ذلك'. [فرائد السمطين ١:٢٣٨، ح ١٨٦].

وروى البحراني عن أحمد الحنفي في كتاب "درّ بحر المناقب"، نحوه. [غاية المرام: ١٩٤، الباب ٢٢ من المقصد الأوّل، ح ٤٣].

علي يوم القيامة

قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'عليّ يزهر لأهل الجنّة كما يزهر الكوكب الصبح لأهل الدنيا'.

و قال صلى الله عليه و آله: 'عليّ يوم القيامة على الحوض، لا يدخل الجنّة إلا من جاء بجواز من عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

فرائد السمطين ١:٢٩٥، الحديث ٢٣٣

المناقب لابن المغازلي: ١١٩، حديث ١٥٦

كلمة مختصرة حول أوضاع الروح الإنسانيّة في القيامة

إنّ نظام الحياة الفرديّة يوم القيامة يكون على عكس الحياة الماديّة في الدنيا، فإنّ كلّ إنسان يتلقّى في القيامة نتائج أعماله وجزاءها وهو رهين ما قدّم من أعمال كما قال اللّه تعالى: 'كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ'. [سورة الطور: ٢١].

وفي الحديث: "الدنيا مزرعة الآخرة"، إلا فئة من النّاس لا يكونون رهن شيء ، وأُولئك هم أصحاب اليمين كما يعبّر عنهم بذلك فى القرآن: 'كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ'. [سورة المدّثر: ٣٨ و ٣٩].

إنّ الأحرار الّذين يفعلون ما يشاءون في الدنيا معذّبون في الآخرة، والطلقاء اليوم مقيّدون غداً، إلا أصحاب اليمين، فإنّهم ينعمون بسرور خاصّ.

وينبغي الالتفات إلى أنّه بغضّ النظر عن الجنّة، وما أُعدّ فيها من النِّعم للمؤمنين، والنّار وما فيها من أنواع العذاب الّذي ينتظر المجرمين، فإنّه توجد في القيامة أنوار وسعادات هي عين وجود الإنسان المؤمن، وسلسلة من الظلمات وأنواع العذاب هي عين وجود الإنسان الكافر الضالّ. يقول القرآن الكريم في المؤمنين: 'يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ' [سورة الحديد: ١٢].

ويقول في موضع آخر: 'فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ' [سورة القيامة: ٨٨ و ٨٩].

وعلى عكس ذلك فإنّه يصف الكافرين بأنّهم حطب جهنّم ووقودها، فيقول: 'فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ' [سورة البقرة: ٢٤].

ويقول في موضع آخر: 'وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً'. [سورة الجنّ: ٢٥].

وإذا عرفنا درجات عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومراتبه السامية، فهو نفس النبيّ وأخوه ووصيّه وخليفته بلا فصل، وهو الّذي كان نوراً بكلّ وجوده في الدنيا، وهو الطاهر العدل الّذي كان يضحّي بنفسه في سبيل الإسلام، وفيه نزلت: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ' [سورة البقرة: ٢٠٧].

وهو مظهر الصفات الحميدة للّه تبارك وتعالى، وهو قدوة الإنسانيّة ونموذج الإنسان الكامل بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكان يتبع أثر رسول اللّه خطوة بعد خطوة، ولا يحيد عنه أبداً... إذا عرفنا ذلك فإنّه سيُمْنَح في القيامة أعلى الدرجات، ويتحلّى بأجمل صفات الأنبياء والمقرّبين.

وإذا لاحظنا الأخبار والروايات الواردة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والموجودة في كتب الفريقين، والّتي تشير إلى عظمة عليّ عليه السلام وجلاله في يوم القيامة، عرفنا مدى تلك العظمة والجلال، ونحن نذكر بعضاً منها فيما يلي:

جملة من أخبار الباب

جلال عليّ يوم القيامة

روى ابن شهرآشوب: عن معمر بن قتادة، عن أنس، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: 'مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ'. [سورة القصص: ٨٩].

قال لي: 'يا أنس، أنا أوّل من تنشقّ الأرض عنه يوم القيامة وأُخرج، ويكسوني جبرئيل سبع حلل من حلل الجنّة، طول كلّ حلّة ما بين المشرق إلى المغرب، ويضع على رأسي تاج الكرامة ورداء الجمال، ويجلسني على البراق، ويعطيني لواء الحمد طوله مسيرة مائة عام، فيه ثلاثمائة وستّون حلّة من الحرير الأبيض مكتوب عليه: لا إله إلا اللّٰه، محمّد رسول اللّٰه، عليّ بن أبي طالب وليّ اللّٰه، فآخذه بيدي وأنظر يمنة ويسرة فلا أرى أحداً فأبكي وأقول: يا جبرئيل، ما فعل أهل بيتي وأصحابي؟

فيقول: يا محمّد، إنّ اللّٰه تعالى أوّل مَن أحيا اليوم من أهل الأرض أنت، فانظر كيف يحيي اللّٰه بعدك أهل بيتك وأصحابك، فأوّل من يقوم من قبره أمير المؤمنين، ويكسوه جبرئيل حللاً من الجنّة، ويضع على رأسه تاج الوقار ورداء الكرامة، ويجلسه على ناقتي العضباء، وأُعطيه لواء الحمد فيحمله بين يدي، ونأتي جميعاً ونقوم تحت العرش'.

ومنه: 'أنت أوّل من تنشقّ عنه الأرض بعدي'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٢٥].

وأنشأ في ذلك الحميري:

وإنّك خير أهل الأرض طُرّاً*** وأفضلهم معاً حسباً ودينا

وأوّل من يصافحني بكفّ*** إذا برز الخلائق ناشرينا

[المصدر المتقدّم].

و روى الكليني في "روضة الكافي": عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: 'يا جابر، إذا كان يوم القيامة جمع اللّٰه عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين لفصل الخطاب، دعي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ودعي أمير المؤمنين عليه السلام، فيكسى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حلّة خضراء تضي ء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى عليّ عليه السلام مثلها، ثمّ يصعدان عندها، ثمّ يدعى بنا فيدفع إلينا حساب النّاس، فنحن واللّٰه ندخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، ثمّ يدعى بالنبيّين عليهم السلام، فيقامون صفّين عند عرش اللّٰه عزّ وجلّ حتّى نفرغ من حساب النّاس، فإذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، بعث ربّ العزّة عليّاً عليه السلام فأنزلهم من الجنّة وزوّجهم، فعليّ واللّٰه الّذي يزوّج أهل الجنّة في الجنّة، وما ذاك إلى أحد غيره،

كرامةً من اللّه عزّ ذكره، وفضلاً فضّله اللّه به وَمنّ به عليه، وهو واللّه يدخل أهل النّار النّارَ، وهو الّذي يُغلق على أهل الجنّة ا ذا دخلوا فيها أبوابها لأنّ الجنّة إليه، وأبواب النّار إليه'. [روضة الكافي: ١٤٠، ح ١٥٤].

و في "المناقب": قوله تعالى: 'إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً' [سورة الدهر: ٥ و ٦].

وقوله تعالى: 'وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ... سَلْسَبِيلاً' [سورة الدهر: ١٨ - ١٥].

عن النبيّ صلى الله عليه و آله في خبر: 'أنّ عليّاً أوّل من يشرب السلسبيل والزنجبيل، وأنّ لعليّ وشيعته من اللّه مكاناً يغبطه الأوّلون والآخرون'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٣٢].

في كسوته يوم القيامة

روى ابن شهر آشوب في قوله تعالى: 'عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ' [سورة الدهر: ٢١].

عن تاريخ الطبري، بإسناده عن ابن عبّاس، قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم بخلّته، وأنا بصفوتي، وعليّ بن أبي طالب يزفّ بيني وبين إبراهيم زفّاً إلى الجنّة'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٢٧].

و رواه أيضاً: عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: أوّل مَن يكسى يوم القيامة إبراهيم بخلّته من اللّه، ثمّ محمّد لأنّه صفوة اللّه، ثمّ عليّ يزفّ بينهما إلى الجنّة، ثمّ قرأ ابن عبّاس: 'يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ' [سورة التحريم: ٨].

قال: عليّ عليه السلام وأصحابه. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٢٧].

وعنه أيضاً: عن "شرف المصطفى" عن زاذان، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'أما ترضى أنّ إبراهيم خليل اللّه يدعى يوم القيامة فيقام عن يمين العرش فيكسى، ثمّ أُدعى فأُكسى، ثمّ تُدعى فتُكسى'، ومنه الحديث: 'أنّه أوّل مَن يكسى معي'. [المصدر المتقدّم].

وأنشا الحميري:

يدعى النبيّ فيكسوه ويكرمه*** ربّ العباد إذا ما أحضر الأُمما

ثمّ الوصيّ فيكسى مثل حلّته*** خضراء يرغم منها أنف من رغما

[المصدر المتقدّم].

في لوائه ونوره يوم القيامة وحمايته لأوليائه

عن ابن المغازلي الشافعي: بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، أنّه سئل عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: 'وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ'. [سورة المائدة: ٩. سورة الفتح: ٢٩].

قال: سأل قوم النبيّ صلى الله عليه و آله فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية يا نبيّ اللّٰه؟

قال: "إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض فإذا مناد: ليقم سيّد المؤمنين ومعه الّذين آمنوا بعد بعث محمّد صلى الله عليه و آله، فيقوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيعطى اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولّين من المهاجرين والأنصار لا يخالطهم غيرهم حتّى يجلس على منبر من نور ربّ العزّة، ويُعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيُعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنّة إنّ ربّكم يقول: عندي مغفرة وأجرٌ عظيم - يعني الجنّة - فيقوم عليّ والقوم تحت لوائه معهم حتّى يدخل بهم الجنّة. ثمّ يرجع إلى منبره فلا يزال يعرض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنّة، وينزل أقواماً إلى النّار، فذلك قوله تعالى: 'وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ' [سورة الحديد: ١٩].

يعني السابقين الأوّلين "من" المؤمنين وأهل الولاية: 'وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ' [سورة الحديد: ١٩].

يعني بالولاية بحقّ عليّ، وحقّ عليّ عليه السلام الواجب على العالمين'. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٢٢، ح ٣٦٩].

و روى ابوالفرج و الصفوري الشافعي عن أنس، قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه و آله إلى أبي برزة الأسلمي فقال له وأنا أسمع: 'يا ا با برزة، إنّ ربّ العالمين عهد إليَّ عهداً في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: إنّه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني. يا أبا برزة، عليّ بن أبي طالب أميني غداً في القيامة وصاحب رايتي في القيامة على مفاتيح خزائن رحمة ربّي'. [حلية الأولياء ١:٦٦، نزهة المجالس ٢:٢٠٨].

و عن البرحاني عن "أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله": بسنده عن أبان بن عثمان، عن أبي عبداللّٰه جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: "إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: أين خليفة اللّٰه في أرضه؟ فيقوم داود النبيّ عليه السلام فيأتي النداء من عند اللّٰه عزّ وجلّ: لسنا إيّاك أردنا، وإن كنت للّٰه تعالى خليفة. ثمّ ينادي ثانية: أين خليفة اللّٰه في أرضه، فيقوم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيأتي النداء

من قِبل اللَّه عزّ وجلّ: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب، خليفة اللَّه في أرضه، وحجّته على عباده، فمن تعلّق بحبله فى دار الدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم، يستضيئ بنوره، وليتّبعه إلى الدرجات العُلا من الجنّات، فيقوم النّاس الّذين تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتّبعونه إلى الجنّة' الحديث. [غاية المرام: ٧٣، الباب ١٥ من المقصد الأوّل، ح ١٦].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي رحمه الله، في قوله تعالى: 'وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً' [سورة النحل: ٩١].

فإنّه حدّثني أبي، رفعه، قال: قال أبو عبداللَّه عليه السلام: "لمّا نزلت الولاية، وكان من قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بغدير خمّ: سلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، فقالوا: من اللَّه ومن رسوله؟ فقال لهم: نعم حقّاً من اللَّه ومن رسوله، إنّه أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، يقعده اللَّه يوم القيامة على الصراط فيدخل أولياءه الجنّة، ويدخل أعداءه النّار.

فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: 'وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ' [سورة النحل: ٩١].

يعني قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: من اللَّه ومن رسوله، ثمّ ضرب لهم مثلاً فقال: 'وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ'. [سورة النحل: الآية ٩٢].

[تفسير عليّ بن إبارهيم ١:٣٨٩، وتفسير نور الثقلين ٣:٨٢].

منزله في القيامة مقابل منزل رسول اللَّه

روى الجويني بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبداللَّه بن أبي أوفى، قال: خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أصحابه أجمع ما كانوا، فقال: 'يا أصحاب محمّد، لقد رأيت الليلة منازلكم في الجنّة، وقرب منازلكم من منزلي'، فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السلام، فقال: 'يا عليّ، أما ترضى أن يكون منزلك في الجنّة مقابل منزلي؟'، فقال: 'بلى بأبي أنت وأُمّي، يا رسول اللَّه'، قال: 'فإنّ منزلك في الجنّة مقابل منزلي'. [فرائد السمطين ١:١٠٣، ح ٧٣].

وعنه أيضاً: بسنده عن سالم، عن حذيفة، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللَّه اتّخذني خليلاً كما اتّخذ إبراهيم خليلاً، فقصري وقصر إبراهيم في الجنّة متقابلان، وقصر عليّ بن أبي طالب عليه السلام بين قصري وقصر إبراهيم، فيا له من حبيب بين خليلين'. [المصدر المتقدّم: ١٠٢، ح ٧١].

وعنه أيضاً: بسنده عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إذا كان يوم القيامة ضربت لي قبّة حمراء عن يمين العرش، وضربت لإبراهيم قبّة من ياقوتة خضراء عن يسار العرش، وضربت فيما بيننا لعليّ بن أبي طالب قبّة من لؤلؤة بيضاء، فلما ظنّكم بحبيب بين خليلين". [المصدر المتقدّم: ١٠٤، ح ٧٤، وروى الحديث محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ١٨٤: ٣].

في مركبه يوم القيامة

روى الجويني بسنده عن عامر الطائي، عن عليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: ليس في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقام إليه رجل من الأنصار، فقال: فداك أبي وأُمّي ومَن هم؟ قال: "أنا على دابّة اللّٰه البراق، وأخي صالح على ناقة اللّٰه عزّ وجلّ الّتي عقرت، وعمّي حمزة على ناقتي العضباء، وأخي عليّ على ناقة من نوق الجنّة وبيده لواء الحمد ينادي: لا إله إلا اللّٰه، محمّد رسول اللّٰه، فيقول الآدميّون: ما هذا إلا ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو حامل عرش، فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: يا معشر الآدميّين، ليس هذا ملكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ولا حامل عرش، هذا عليّ بن أبي طالب". [فرائد السمطين ١:٨٧، ح ٦٦].

وفي "الرياض النضرة": عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لعليّ يوم القيامة ناقة من نوق الجنّة فتركبها وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتّى تدخل الجنّة". [الرياض النضرة ٣:١٨٦].

في حمله مفاتيح الجنّة

روى الجويني بسنده عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أعطاني ربّي عزّ وجلّ في عليّ خصالاً في الدنيا وخصالاً في الآخرة: أعطاني به في الدنيا أنّه صاحب لوائي عند كلّ شدة وكريهة، وأعطاني به في الدنيا أنّه غامضي وغاسلي ودافني، وأعطاني به في الدنيا أنّه لن يرجع بعدي كافراً.

وأعطاني به في الآخرة أنّه صاحب لواء الحمد يقدمني به، وأعطاني به في الآخرة أنّه متّكئ في طول الحشر يوم القيامة، وأعطاني به في الآخرة أنّه عون لي على حمل مفاتيح الجنّة". [فرائد السمطين ١:٢٢٨، ح ١٧٨].

وعنه أيضاً: عن أنس بن مالك، قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه و آله إلى أبي برزة الأسلمي، فقال له وأنا أسمع: "يا أبا برزة، إنّ ربّ العالمين عهد إليَّ عهداً في عليّ بن أبي طالب عليه السلام"، فقال: "إنّه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني. يا أبا برزة: عليّ بن أبي طالب أميني غداً

في القيامة على مفاتيح خزائن ربّي، وصاحب رايتي يوم القيامة'. [المصدر المتقدّم: ١٤٤، ح ١٠٨، حلية الأولياء، ٦٦: ١].

علي ميزان الأعمال

زيارة عليّ بن الحسين عليهماالسلام عند مضجع جدّه أمير المؤمنين عليه السلام: 'السلام على أبي الأئمّة، وخليلِ النبوّة، والمخصوص بالاخوّة، السلام على يعسوب الإيمان، و ميزان الأعمال'. مستدرك الوسائل ١٩٧:٢

نظرة في لفظ الميزان و كيفية وزن الاعمال فى القيامة

يستفاد من الآيات القرآنيّة و روايات المعصومين عليهم السلام أنّ وزن الأعمال يوم القيامة أمر مسلّم به وحتميّ لا يمكن إنكاره: 'وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ'. [سورة الأعراف: ٨].

وموازين ذلك العالم متعدّدة ومختلفة، فإنّها وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع: 'فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ'. [سورة الأعراف: ٨ و ٩].

ومن هذه الآيات نفهم أيضاً أنّ للأعمال الحسنة وزناً ثقيلاً يوم القيامة، أمّا الأعمال السيّئة القبيحة فهي خفيفة الوزن أو لا وزن لها، وهذا واضح؛ لأنّ الأعمال الصالحة باقية مستمرة، أمّا السيّئات فهي فانية زائلة.

وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله: 'فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ'. [سورة الرعد: ١٧].

وفي موضع آخر فسّر القرآن الكريم الميزان بالعدل والقسط. قال تعالى: 'وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ'. [سورة الأنبياء: ٤٧].

إذن فالميزان يوم القيامة هو العدل والقسط والحقّ، وكلّ إنسان سيرى نتيجة أعماله حسب ما قدّم، فالثواب للأعمال الصالحة والعقاب للأعمال الطالحة.

و بالجملة الآن يجب أن نرى كيف توزن أعمال الإنسان يوم القيامة؟ فهناك اختلاف بين المفسّرين والمتكلّمين في كيفيّة وزن الأعمال في القيامة، فتصوّر البعض أنّ أعمال الإنسان تتجسّم كأجسام الدنيا، وعند ذلك يمكن أن توزن بموازينها، واعتقد آخرون بأنّ نفس العامل يوزن لا أعماله.

والقدر المتيقّن أنّ نفس الأعمال هي الّتي توزن - كما مرّت الإشارة اليه - ولا نحتاج إلى بحث تجسّم الأعمال، فإنّ معنى الميزان والوزن إذ اتّضح وعلم أنّ كلّ عمل سيقابله من الثواب والعقاب ما يعادله في الوزن، فلا حاجة إلى التوجيه والتأويل حينئذٍ.

ومن أجل أن يتّضح المطلب جيّداً فإنّي أنقل كلاماً جامعاً مفيداً للمرحوم ا ية اللّه الفيض الكاشاني صاحب تفسير الصافي، والكلام مذكور في هامش "بحار الأنوار"، وبه سيتّضح جليّاً كيفيّة ميزان الأعمال في القيامة.

كلمة الفيض الكاشاني

قال الفيض الكاشاني رحمه الله في تفسيره "الصافي" ما ملخّصه: إنّ لكلّ معنى من المعاني حقيقة وروحاً وله صورة وقالب، وقد تتعدّد الصور والقوالب بحقيقة واحدة، وإنّما وضعت الألفاظ لاتّحاد ما بينهما، مثلاً: لفظ القلم إنّما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك، بل ولا أن يكون جسماً، ولا كون النقش محسوساً أو معقولاً، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب، بل مجرّد كونه منقوشاً فيه.

وهذه حقيقة اللوح وحده وروحه، فإنّ اللّه تعالى قال: 'عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ' [سورة العلق: ٤ و ٥].

بل هو القلم الحقيقي، حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحده من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه، وكذلك الميزان، فإنّه موضوع لمعيار تعرف به المقادير، وهذا معنى واحد هو حقيقته وروحه، وله قوالب مختلفة وصور شتّى بعضها جسماني وبعضها روحاني، فما تُوزن به الأجرام والأثقال مثل ذي الكفّتين والقبّان، وما تُوزن به المواقيت والارتفاعات كالاسطرلاب، وما تُوزن به الدوائر والقسي كالفرجال، وما تُوزن به الأعمدة كالشاقول، وما تُوزن به الفلسفة كالمنطق، وما يُوزن به الكلّ كالعقل الكامل.

وبالجملة فميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشي ء، فميزان النّاس يوم القيامة ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله لتجزى كلّ نفس بما كسبت، وليس ذلك إلا الأنبياء والأوصياء؛ إذ بهم وباتّباع شرائعهم واقتفاء آثارهم وترك ذلك وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار النّاس وقدر حسناتهم وسيّئاتهم.

فميزان كلّ أمّة هو نبيّ تلك الأمّة ووصيّ نبيّها والشريعة الّتي أتي بها، فمن ثقلت حسناته وكثرت فأُولئك هم المفلحون، ومن خفّت وقلّت فأُولئك الّذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء والأوصياء أو عدم اتّباعهم.

ففي "الكافي" و"المعاني": عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قول اللّه عزّو جلّ: 'وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ' [سورة الأنبياء: ٤٧].

قال: 'هم الأنبياء والأوصياء'، وفي رواية أُخرى: 'نحن الموازين القسط'. [نقلناه عن هامش البحار ٧:٢٤٢، طبع دار الكتب الإسلاميّة، و عن تفسير الصافي ٢:١٨١].

في معنى كون عليّ ميزان الأعمال

قد اتّضح ممّا ذكرناه أنّ المراد من الميزان الّذي توزن به الأعمال يومئذٍ إنّما هو الحقّ، فبقدر اشتمال العمل على الحقّ يكون اعتباره وقيمته، والحسنات مشتملة على الحقّ، فلها ثقل، كما أنّ السيّئات ليست إلا باطلة فلا ثقل لها، فإنّه تعالى يزن الأعمال يومئذٍ بالحقّ، فما ا شتمل عليه العمل من الحقّ فهو وزنه وثقله، فتبيّن أنّ المراد بالوزن يوم القيامة هو تطبيق الأعمال على ما هو الحقّ، وبقدر اشتمالها عليه تستعقب الثواب وإن لم تشتمل عليه فهو الهلاك، والحقّ هو العدل، فالمشركون ليس لهم وزن؛ لعدم الحقّ في أعمالهم، بل كانوا ضالّين مضلّين وذلك هو الخسران المبين.

والنبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام هم الموازين يوم القيامة؛ لأنّهم هم العدول ومصاديق العدالة ومظهر الحقّ والقسط، فتقاس أعمال النّاس عليهم، فإن تطابقت أعمالهم معهم فهم ممّن ثقلت موازينه، وإلا فهم ممّن خفّت موازينه.

ولا يخفى أنّ مقتضى جمع الميزان في الآية الشريفة، باعتبار أنّ موازين الأعمال متعدّدة وكثيرة يوم القيامة، وهم الأنبياء وأوصياؤهم، وكذلك الأئمّة المعصومون عليهم السلام، وأيضاً الصلحاء، فكلّ هؤلاء ميزان الأعمال يوم القيامة، وعليّ عليه السلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله أكمل مصاديق هذا العنوان؛ لأنّه فرد كامل في العدالة والحقّ، فمن كان عمله منطبقاً مع هذا الحقّ الكامل فهو من أهل الجنّة وجاوز الصراط، ومن خالف عمله هذا الحقّ الكامل أي خالف عليّاً عليه السلام فهو من أهل النّار، ولذا ورد في زيارته المطلقة: 'السلام على ميزان الأعمال'.

ونشير إلى نماذج من الأخبار الّتي تؤيّد ما ذكرناه:

١- في "معاني الأخبار": بإسناده عن المنقري، عن هشام بن سالم، قال: سألت أبا عبداللّٰه عليه السلام عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: 'وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً' [سورة الأنبياء: ٤٧].

قال: 'هم الأنبياء والأوصياء'. [معاني الأخبار: ٣١، والبحار ٧:٢٤٩].

٢- وفي "البحار" عن "بصائر الدرجات": عن الثمالي، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام: 'هَذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ' [سورة الحجر: ٤١].

قال: 'هو واللّٰه عليّ عليه السلام هو واللّٰه الصراط والميزان'. [بحار الأنوار ٣٥:٣٦٣].

جملة من الأخبار في معنى الميزان

١- روى السيوطي عن ابن مردويه، عن عائشة أنّها سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'خلق اللّٰه كفّتي الميزان مثل السماء والأرض، فقالت الملائكة: يا ربّنا، مَن تزن بهذا؟ قال: أزن به من شئت، و خَلَقَ اللّٰه الصراط كحدّ السيف، فقالت الملائكة: يا ربّنا، مَن تجيز على هذا؟ قال: أُجيز عليه من شئت'. [تفسير الدرّ المنثور ٣:٧٠].

ظاهر هذا الحديث وأمثاله أنّ الميزان يوم القيامة على صفة الميزان الموجود في الدنيا المتداول في تعيين الأثقال، ولكنّها ترمي إلى تقريب المعنى إلى الأفهام الساذجة.

٢- و في "البحار" عن "الاحتجاج": عن هشام بن الحكم، عن الصادق عليه السلام: أنّه سأل الزنديق أبا عبداللّٰه عليه السلام فقال: أوَليس توزن الأعمال؟ قال: "لا، إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشي ء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ اللّٰه لا يخفى عليه شيء ". قال: فما معنى الميزان؟ قال: "العدل"، قال: فما معناه في كتابه: 'فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ'؟ قال: 'فمن رجح عمله' الخبر. [بحار الأنوار ٧:٢٤٨، ح ٣].

قال العلامة الطباطبائي في توضيح الحديث: في الرواية تأييد ما قدّمناه في تفسير الوزن، ومن ألطف ما فيها قوله عليه السلام: 'وإنّما هي صفة ما عملوا' يشير إلى أن ليس المراد بالأعمال في هذه الأبواب هو الحركات الطبيعيّة الصادرة عن الإنسان لاشتراكها بين الطاعة والمعصية، بل الصفات الطارئة عليها الّتي تعتبر لها بالنظر إلى السنن والقوانين الاجتماعيّة أو الدينيّة، مثل الحركات الخاصّة الّتي تسمّى وقاعاً بالنظر إلى طبيعة نفسها، ثمّ تسمّى نكاحاً إذا واقعت السنّة الاجتماعيّة أو الإذن الشرعي، وتسمّى زناً إذا لم توافق ذلك، وطبيعة الحركات الصادرة واحدة، وقد استدلّ الإمام عليه السلام كما ذكره في طريقين:

أحدهما: أنّ الأعمال صفات لا وزن لها.

والثاني: أنّ اللّٰه تعالى لا يحتاج إلى توزين الأشياء لعدم اتّصافه بالجهل تعالى شأنه. [تفسير الميزان ١٣:٨].

علي قسيم الجنّة و النّار

عن عليّ عليه السلام أنّه قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إنّك قسيم النّار، وإنّك تقرع باب الجنّة وتدخلها بغير حساب".

المناقب لابن المغازلي: ٦٧، الحديث ٩٧

نظرة حول الحديث

ممّا لا شكّ فيه أنّ الجنّة والنّار في القيامة هي ثمرة أعمال الإنسان في مزرعة الدنيا، فكلّما كانت أعمالنا منسجمة مع مبادئ الإسلام ومنطبقة مع الموازين الشرعيّة الإلهيّة، فإنّها تقرّبنا إلى اللّٰه جلّ وعلا، وإلى الجنّة زلفى، في نفس الوقت الّذي تبعدنا عن النّار، فأعمال الفرد هي الكفيلة بإيصاله إلى الجنّة أو النّار.

أنّ النبيّ ووصيّه عليّ عليهماالسلام يمثّلان نموذجين متكاملين لقوانين الإسلام، وكذا شأن الأئمة المعصومين عليهم السلام من بعدهم، فكلّما كانت أعمالنا إليهما أقرب فنحن إلى مبادئ الإسلام وإلى الجنّة أقرب، وإنّما نزداد قرباً من النّار كلّما ابتعدنا عنهما.

لقد جاء في بعض الأحاديث: "حبُّ عليّ إيمان وبغضه كفر"، ونفهم منه أنّ حبّ عليّ عليه السلام ميزانٌ لمصير العباد إلى الجنّة، كما أنّ بُغضه سببٌ في المصير إلى النّار.

ولا يخفى أنّ الحبّ والبغض هنا ليسا أمراً ذهنيّاً فقط أو أمراً شعوريّاً كما يتوهّم، بل الحبّ والبغض لا يكون إلا بالعمل، ولذا ورد في الحديث "هل الدين إلا الحبّ"؛ إذ مَن كان يبغض عليّاً فلا يسير على نهج عليّ عليه السلام، وبالنتيجة لا يكون عمله منطبقاً مع مبادئ الإسلام، ومن يحبّ عليّاً وكان عمله مطابقاً لعمل عليّ عليه السلام فهو يدخل الجنّة، فلعلّ المراد بكونه عليه السلام: "قسيم الجنّة والنّار"، هو هذا المعنى، واللّٰه العالم.

فعلى هذا، إنّ البعض ممّن يدّعي حبّ عليّ عليه السلام، كالدراويش أو بعض الشيعة الإماميّة، ولكن لا يعمل بمنهج عليّ عليه السلام، فلا يتوقّع أن يدخل الجنّة لمجرّد محبّته لعليّ عليه السلام بلا عمل، قال اللّٰه تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ". [سورة البقرة: ٨٢].

وقال عليّ عليه السلام لعثمان بن حنيف عامله على البصرة: 'ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، ويستضي ء بنور علمه'. [شرح نهج البلاغة: ٩٥٧، الكتاب ٤٥].

وليس معنى الاقتداء بالإمام إلا العمل بطريقته.

روى ابن عساكر الشافعي، بإسناده عن محمّد بن منصور الطوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سأله رجل عن قول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'عليّ قسيم النّار'. فقال: هذا حديث مضطرب طريقه عن الأعمش، ولكنّ الحديث الّذي ليس عليه لبس، هو قول النبيّ: 'يا عليّ، لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق'، وقال: اللّه عزّ وجلّ: 'إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ' [سورة النساء: ١٤٥].

فمن أبغض عليّاً فهو في الدرك الأسفل من النّار. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٥٣، ح ٧٦٧].

وقال الكنجي الشافعي في آخر الباب الثالث من "كفاية الطالب": قال محمّد بن منصور الطوسي: كنّا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبداللّه، ما تقول في هذا الحديث الّذي يروي أنّ عليّاً عليه السلام قال: 'أنا قسيم النّار؟'.

فقال أحمد: وما تنكرون من هذا الحديث، أليس روينا أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لعليّ: "لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق'! قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النّار. قال: فعليّ قسيم النّار. [كفاية الطالب: ٧٢].

وإليك بعض الأخبار الّتي توضّح ما قلنا

و في "البحار" عن "علل الشرائع": بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبداللّه جعفر بن محمّد الصادق عليهماالسلام: لِمَ صار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنّار؟ قال: 'لأنّ حبّه إيمان، وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان، وخلقت النّار لأهل الكفر، فهو قسيم الجنّة والنّار لهذه العلّة، فالجنّة لا يدخلها إلا أهل محبّته، والنّار لا يدخلها إلا أهل بغضه'.

قال المفضّل: فقلت: يابن رسول اللّه، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام كانوا يحبّونه، وأعداؤه كانوا يبغضونه؟ قال: 'نعم'.

قلت: فكيف ذلك؟ قال: "أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللَّه ورسوله، ويحبّه اللَّه ورسوله، ما يرجع حتّى يفتح اللَّه على يديه، فدفع الراية إلى عليّ عليه السلام، ففتح اللَّه عزّ وجلّ على يديه؟". قلت: بلى.

قال: "أما علمت أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لمّا أُتي بالطائر المشوي قال: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليَّ يأكل معي من هذا الطائر، وعنى به عليّاً عليه السلام؟". قلت: بلى.

قال: "فهل يجوز أن لا يحبّ أنبياء اللَّه ورسله وأوصياؤهم رجلاً يحبّه اللَّه ورسوله، ويحبّ اللَّه ورسوله؟!". فقلت له: لا.

قال: "فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أُممهم لا يحبّون حبيب اللَّه وحبيب رسوله وأنبيائه عليهم السلام؟". قلت: لا.

قال: "فقد ثبت أنّ جميع أنبياء اللَّه ورسوله وجميع الملائكة كانوا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام محبّين، وثبت أنّ أعدائهم والمخالفين لهم كانوا ولجميع أهل محبّتهم مبغضين". قلت: نعم.

قال: "فلا يدخل الجنّة إلا مَن أحبّه من الأوّلين والآخرين، ولا يدخل النّار إلا مَن أبغضه من الأوّلين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنّة والنّار"، الحديث. [البحار ٣٩: ١٩٤].

وفيه أيضاً: عن "عيون أخبار الرضا عليه السلام": بإسناده عن أبي الصلت الهروي، قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام: يا أبا الحسن، أخبرني عن جدّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بأيّ وجه هو قسيم الجنّة والنّار، وبأي معنى، فقد كثر فكري في ذلك؟

فقال له الرضا عليه السلام: "يا أمير المؤمنين، ألم ترو عن أبيك، عن آبائه، عن عبداللَّه بن عبّاس أنّه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: حبّ عليّ إيمان، وبغضه كفر؟". فقال: بلى. فقال الرضا عليه السلام: "فقسمة الجنّة والنّار إذن كانت على حبّه وبغضه، فهو قسيم الجنّة والنّار".

فقال المأمون: لا أبقاني اللَّه بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنّك وارث علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

قال أبو الصلت الهروي: فلمّا انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتيته، فقلت له: يابن رسول اللَّه، ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟

فقال لي الرضا عليه السلام: "إنّما كلّمته من حيث هو، ولقد سمعت أبي يحدّث عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: قال لي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يا عليّ، أنت قسيم الجنّة والنّار يوم القيامة، تقول

للنّار: هذا لي، وهذا لك'. [المصدر المتقدّم ٣٩:١٩٣، وروى القندوزي في "ينابيع المودّة" ص٨٥ عن "العيون"، نحوه].

كلمة من ابن أبي الحديد في الحديث وتوضيحنا

قال ابن أبي الحديد: ومنها "يعني من غرائب كلام علي عليه السلام"، قوله عليه السلام: 'أنا قسيم النّار'. قال ابن قتيبة: أراد عليه السلام أنّ النّاس فريقان: فريق معي فهم على هُدىً، وفريقٌ علَيَّ، فهم على ضلالة، كالخوارج، ولم يجسر ابن قتيبة أن يقول: وكأهل الشام. يتورّع يزعم، ثمّ إنّ اللّه أنطقه بما تورّع عن ذكره، فقال متمّماً للكلام بقوله: 'فأنا قسيم النّار' نصف في الجنّة معي ونصف في النّار، قال: وقسيم في معنى مقاسم مثل جليس وأكيل وشريب.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: قلت: قد ذكر أبو عبيد الهروي هذه الكلمة في "الجمع بين الغريبين". قال: وقال قوم: إنّه لم يُرد ما ذكره، وإنّما أراد: هو قسيم النّار والجنّة يوم القيامة حقيقة، يقسم الأُمّة فيقول: هذا للجنّة وهذا للنّار. [شرح ابن أبي الحديد ١٩:١٣٩].

أقول: وما قاله ابن أبي الحديد عن ابن قتيبة بحصر أهل النّار بالخوارج أو بأهل الشام غير صحيح؛ لأنّ أهل النّار لا يقصرون عليهم، بل النّار لمن لا يعمل صالحاً ولو كان مسلماً بالاسم؛ إذ من ترك طريق عليّ عليه السلام فهو من أهل النّار، إن كان من الخوارج وأهل الشام أو من غيرهم حتّى ولو كان من الشيعة في الظاهر، الا ان يراد بذلك المخلّدون في النار، فلا ينحصر أيضاً بالخوارج و أهل الشام كما لا يخفى.

نعم، إنّ محبّ عليّ عليه السلام إذا عمل بما قال النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام وسار في طريقهما لكنّه ارتكب بعض الذنوب أو الأخطاء اليسيرة، فإنّ عليّاً عليه السلام سيكون شفيعاً له يوم القيامة، كما قال في كتابه إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: 'فإنّكم لا تقدرون على ذلك، بل أعينُوني بورعٍ واجتهادٍ وعفّةٍ وسدادٍ'.

نبذة من الأخبار في المقام

في هذا المقام روايات من طرق العامّة والخاصّة، أرسلوها إرسال المسلّم، بل يمكن أن يدّعي أنّها من المتواترات الصادرة من النبيّ صلى الله عليه و آله، ونذكر بعضاً منها:

١- روى القندوزي الحنفي عن أحمد الخوارزمي المكّي، بسنده عن نافع بن عمر، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'إذا كان يوم القيامة يؤتى بك - يا عليّ - بسرير من نور وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره، وكاد يخطف أبصار أهل المواقف، فيأتي النداء من عند اللّه جلّ جلاله: أين وصيّ محمّد رسول اللّه،

فتقول: ها أنا ذا، فينادي المنادي: أدخل مَن أحبّك الجنّة، وأدخل مَن عاداك في النّار، فأنت قسيم الجنّة والنّار'. [ينابيع المودّة: ٨٣].

٢- و عنه أيضاً عن جعفر الصادق، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'إذا جمع النّاس في صعيد واحد كنتُ أنا وأنت - يا عليّ - يومئذٍ عن يمين العرش، ثمّ يقول ربّنا لي ولك: ألقيا في جهنّم مَن أبغضكما وكذّبكما'. [المصدر المتقدّم: ٨٥].

٣- وعنه أيضاً: عن ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن ابن مسعود، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: يا عليّ، إنّك قسيم الجنّة والنّار، وأنت تقرع باب الجنّة وتدخلها أحبّاءك بغير حساب'. [المصدر المتقدّم: ٨٤].

٤- و روى ابن عساكر الشافعي عن عباية بن ربعي، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال: 'أنا قسيم النّار يوم القيامة، أقول: خذي ذا، وذري ذا'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٤٣، ح ٧٥٣].

٥- و عن المفيد في أماليه عن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه عليهم السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: كيف بك يا عليّ إذا وقفت على شفير جهنّم، وقد مدّ الصراط وقيل للنّاس جوزوا، وقلت لجهنّم: هذا لي، وهذا لك؟ فقال عليّ عليه السلام: يا رسول اللّٰه، ومَن أُولئك؟ قال: أُولئك شيعتك معك حيث كنت'. [أمالي المفيد: ٣٢٨، المجلس الثامن والثلاثون، ح ١٢، والبحار ٣٩:١٩٨، و نحوه في ينابيع المودّة: ٨٥].

٦- و عن الجويني عن عبداللّٰه بن أحمد بن عامر، عن سليمان، عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: 'قال النبيّ صلى الله عليه و آله: يا عليّ، إنّك قسيم النّار، وإنّك تقرع باب الجنّة فتدخلها بلا حساب'. [فرائد السمطين ١:٣٢٥، ح ٢٥٣].

٧- وعنه أيضاً: بسنده عن عباية، عن عليّ عليه السلام، قال: 'أنا قسيم النّار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك، وهذا لي'.

عليّ حُبُّه جُنّة*** قسيم النّار والجَنّة

وصيّ المصطفى حقّاً*** إمام الإنس والجِنّة

[المصدر المتقدم، ح ٢٥٤].

٨- وفي "أمالي الصدوق": بإسناده عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليّ على عجلة من نور وعلى رأسك تاج له أربعة أركان، على كلّ ركن ثلاثة أسطر: لا إله إلا اللّٰه، محمّد رسول اللّٰه، عليّ وليّ اللّٰه وتعطى مفاتيح الجنّة. ثمّ يوضع لك كرسيّ يعرف بكرسيّ الكرامة فتقعد عليه، ثمّ يجمع لك الأوّلون والآخرون في صعيد واحد، فتأمر بشيعتك إلى الجنّة، وبأعدائك إلى النّار، فأنت قسيم الجنّة، وأنت قسيم النّار، ولقد فاز من تولاك، وخسر من عاداك، فأنت في ذلك اليوم أمين اللّٰه وحجّة اللّٰه الواضحة'. [أمالي الصدوق - المجلس الخامس والتسعون: ح ١٠، والبحار ٣٩:١٩٣].

٩- و عن القندوزي الحنفي عن المناقب، عن مقاتل بن سليمان، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أنت منّي بمنزلة شيث من آدم، وبمنزلة سام من نوح، وبمنزلة إسحاق من إبراهيم... وأنت وصيّي ووارثي، وأنت أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأوفرهم حلماً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم كفّاً، وأنت إمام أُمّتي، وقسيم الجنّة والنّار، بمحبّتك يعرف الأبرار من الفجّار، ويميز بين المؤمنين والكفّار'. [ينابيع المودّة: ٦٨].

١٠- و عن الصدوق بسنده عن عبداللّٰه بن عمر، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'إذا كان يوم القيامة يؤتى بك - يا عليّ - على نجيب من نور وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند اللّٰه جلّ جلاله: أين خليفة محمّد رسول اللّٰه؟ فتقول: أنا ذا. قال: فينادي المنادي: يا عليّ، أدخل مَن أحبّك الجنّة، ومَن عاداك النّار، فأنت قسيم الجنّة، وأنت قسيم النّار'. [أمالي الصدوق - الملجس السابع والخمسون: ح ١٤].

١١- وعنه أيضاً: بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمّد الباقر عليهماالسلام، عن آبائه، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: يا عليّ، ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمن فزلّت به قدمه على الصراط إلا ثبتت له قدم حتّى يدخله اللّٰه عزّ وجلّ بحبّك الجنّة'. [المصدر المتقدم - المجلس الخامس والثمانون: ح ٢٨].

١٢- وفي "البحار": عن الباقر عليه السلام: 'سئل النبيّ صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: 'أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ'. [سورة ق: ٢٤].

فقال: يا عليّ، إنّ اللّٰه تعالى إذا جمع النّاس يوم القيامة في صعيد واحد، كنت أنا وأنت عن يمين العرش، ويقول اللّٰه: يا محمّد، و يا عليّ، قوما وألقيا مَن أبغضكما وخالفكما وكذّبكما في النّار'. [البحار ٢٠٣: ٣٩].

١٣- وفيه أيضاً: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إذا كان يوم القيامة يأمر اللّه عزّ وجلّ، فأقعد أنا وعليّ على الصراط، ويقال لنا: ادخلا الجنّة مَن آمن بي وأحبّكما، وأدخلا النّار من كفر بي وأبغضكما'. [المصدر المتقدّم: ٢٠٣].

١٤- وفيه أيضاً: عن جابر الجعفي، قال: أخبرني وصيّ الأوصياء، قال: 'دخل عليّ عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه و آله وعنده عائشة، فجلس قريباً منها، فقالت: ما وجدت - يابن أبي طالب - مقعداً إلا فخذي، فضرب رسول اللّه صلى الله عليه و آله على ظهرها، فقال: يا عائشة، لا تؤذيني في أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وأمير الغرّ المحجّلين، يقعده اللّه غداً يوم القيامة على الصراط، فيدخل أولياءه الجنّة وأعداءه النّار'. [المصدر المتقدّم: ٢٠١].

١٥- وفيه أيضاً: عن الصدوق، بإسناده عن سليمان بن خالد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: 'قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعليّ: يا عليّ، أنت منّي وأنا منك، وليّك وليّي ووليّي وليّ اللّه، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ اللّه. يا عليّ، أنا حرب لمن حاربك، وسلم لمن سالمك. يا عليّ، لك كنز في الجنّة وأنت ذو قرنيها. يا عليّ، أنت قسيم الجنّة والنّار لا يدخل الجنّة إلا مَن عرفك وعرفته، ولا يدخل النّار إلا من أنكرك وأنكرته. يا عليّ، أنت والأئمّة من ولدك على الأعراف يوم القيامة تعرف المجرين بسيماهم والمؤمنين بعلاماتهم. يا عليّ، لولاك لم يعرف المؤمنون بعدي'. [المصدر المتقدم: ٢٠٧].

١٦- وفي "المناقب للخوارزمي": عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّك قسيم الجنّة والنّار، وإنّك تنقر باب الجنّة فتدخلها بلا حساب'. [المناقب لأخطب خوارزم: ٢٠٩].

احتجاج عليّ يوم الشورى بهذ الفضيلة

في "صواعق ابن حجر"، وأخرج الدارقطني: أنّ علياً عليه السلام قال للستّة الّذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: 'أنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: يا عليّ، أنت قسيم الجنّة والنّار يوم القيامة، غيري؟'، قالوا: اللّهمّ لا.

ثمّ قال ابن حجر: ومعناه ما رواه عنترة عن عليّ الرضا، أنّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ: 'أنت قسيم الجنّة والنّار، فيوم القيامة تقول للنّار هذا لي، وهذا لك'. [الصواعق المحرقة: ١٢٦].

ذكر عليّ و النظر إليه عبادة

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: "النظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة". البحار ٣٨:١٩٦

في معنى الذِّكر

الذِّكر ربّما قابل الغفلة، وربّما قابل النسيان [الغفلة: هي انتفاء العلم بالعلم مع وجود أصل العلم، والذِّكر خلافه وهو العلم بالعلم، ومنه قوله تعالى: "و لا تُطِع من أَغفلنا قَلبه عن ذِكرَنا" الكهف: ٢٨. و النسيان: هو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن فالذكر خلافه، و منه قوله تعالى: "وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ" سورة الكهف: ٢٤، الميزان ٣٤٣: ١].

وللذكر خواصّ وآثار تترتّب عليه، ومن الآثار المترتّبة على الذِّكر هو التذكّر بالقول واللسان، يعني أنّ من يذكر شيئاً بلسانه فهو من آثار الذِّكر القلبي وعدم الغفلة، وعدم نسيانه، فإطلاق الذِّكر على التذكّر بالقول واللسان من باب استعمال اللفظ في فوائد المعنى، ثمّ كثر استعماله في التذكّر بالقول واللسان حتّى صار هو السابق إلى الفهم.

ولا يخفى أنّ للذكر مراتب عالية ودانية، فقوله تعالى: "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" [سورة الرعد: ٢٨]. المرتبة العالية للذكر في القلب، ومن مراتب الذِّكر قوله تعالى: "فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً" [سورة البقرة: ٢٠٠].

وقوله تعالى: "وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...". [سورة الكهف: ٢٤].

وعلى هذا فقوله صلى الله عليه و آله: "ذكر عليّ عبادة" [البحار ٣٨:١٩٩].

وهو توجّه القلب إلى عليّ عليه السلام وعدم الغفلة عن صراطه وطريقه؛ لأنّ صراطه هو صراط اللَّه، وصراط اللَّه هو الصراط المستقيم، ومن تنبّه وتوجّه إلى صراطه دائماً سار بسيرته، وصار من شيعته، فهذا الذِّكر عبادة حقّاً، كما ورد في بعض الأخبار "ذكر فضائله عبادة". [البحار ٣٨:١٩٦].

وقول من قال: ذكر عليّ عليه السلام باللسان عبادة، ولو مع خلوّ القلب عنه؛ لأنّه يمنعه من التكلّم باللغو، ويجعل لسانه معتاداً بالخير، وهو إذا كان مجرّد لقلقة لسان بلا توجّه القلب فلا ثمرة له، بل هو نوع من الاستهزاء والسخرية، فيكون هذا الذاكر كاللاهي، ولا أثر في ذكره عليّاً عليه السلام ما لم يَسِر على صراطه عليه السلام.

نعم، لو كان ذكره عليه السلام باللسان ابتداءً، ثمّ صار سبباً لتوجّه القلب وحضور النفس والتنبّه إلى صراطه، وبعدها يصبح دافعاً للالتزام بسيرته فهو عبادة قطعاً ولا نزاع في ذلك؛ ولذا ورد في بعض الأخبار أنّ ذكر اللَّه ولاية عليّ عليه السلام [تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ٢:٣٩٠].

وفي بعض الأخبار قرن ذكر عليّ عليه السلام بذكر اللّٰه وذكر الرسول وذكر القرآن وذكر سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام. [البحار ٣٦:٣٧١].

نبذة من أخبار الذِّكر

١- في "تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي رحمه الله": عن ابن عبّاس في قوله تعالى: 'وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ' [سورة الجنّ: ١٧].

قال: ذكر ربّه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [تفسير القمّي ٢:٣٩٠، وكذا عنه في البحار ٣٥:٣٩٥].

٢- وفي "البحار" عن "كنز الفوائد": عن جابر الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: 'وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً'، قال: 'مَن أعرض عن عليّ يسلكه العذاب الصعد، وهو أشدّ العذاب'. [البحار ٣٥:٣٩٥].

٣- و فيه أيضاً عن "أمالي الصدوق": عن ابن عمارة، عن أبيه، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إنّ اللّٰه تعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر اللّٰه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين. ومن كتب فضيلة من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر اللّٰه له الذنوب الّتي اكتسبها بالاستماع، ومَن نظر إلى كتابة في فضائله غفر اللّٰه له الذنوب الّتي اكتسبها بالنظر، ثمّ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه'. [المصدر المتقدّم ٣٨:١٩٦].

٤- فيه أيضاً عن أُمّ سلمة زوجة النبي صلى الله عليه و آله، أنّها قالت: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'ما قوم اجتمعوا يذكرون فضل عليّ بن أبي طالب إلا هبطت عليهم ملائكة السماء حتّى تحفّ بهم، فإذا تفرّقوا عرجت الملائكة إلى السماء، فتقول لهم الملائكة: إنّا نشمّ من رائحتكم ما لا نشمّه من الملائكة، فلم نرَ رائحة أطيب منها، فيقولون: كنّا عند قوم يذكرون محمّداً وأهل بيته، فعلق فينا من ريحهم فتعطّرنا، فيقولون: اهبطوا بنا إليهم، فيقولون: تفرّقوا، ومضى كلّ واحد منهم إلى منزله. فيقولون: اهبطوا بنا حتّى نتعطّر بذلك المكان'. [المصدر المتقدم: ١٩٩].

٥- وفيه أيضاً: عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن جابر بن عبداللّٰه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "زيّنوا مجالسكم بذكر عليّ بن أبي طالب". [المصدر المتقدّم].

٦- وفيه أيضاً: عن عائشة، قالت: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "ذكر عليّ عبادة". [المصدر المتقدم، والمناقب للخوارزمي: ٢٦١].

٧- و عن المفيد عن الأصبغ بن نباتة، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "ذكر اللّٰه عزّ وجلّ عبادة، وذكري عبادة، وذكر عليّ عبادة، وذكر الأئمّة من ولده عبادة، والّذي بعثني بالنبوّة، وجعلني خير البريّة إنّ وصيّي لأفضل الأوصياء، وإنّه لحجّة اللّٰه على عباده، وخليفته على خلقه، ومن ولده الأئمّة الهداة بعدي، بهم يحبس اللّٰه العذاب عن أهل الأرض، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات، أُولئك أولياء اللّٰه حقّاً، وخلفائي صدقاً عدّتهم عدّة الشهور وهي اثنا عشر شهراً، وعدّتهم عدّة النقباء من موسى بن عمران"، ثمّ تلا هذه الآية: "وَالسَّماءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ". [سورة البروج: ١].

ثمّ قال: "أتقدر يابن عبّاس أنّ اللّٰه يقسم بالسماء ذات البروج ويعني به السماء وبروجها؟"، قلت: يا رسول اللّٰه، فما ذاك؟ قال: "أمّا السماء فأنا، وأمّا البروج فالأئمّة بعدي، أوّلهم عليّ وآخرهم المهدي". [الاختصاص للمفيد: ٢٢٣، و البحار ٣٦:٣٧١].

في معنى النظر في قوله: "النظر إلى وجه عليّ عبادة"

النظر إلى الشي ء: مشاهدته. [مجمع البحرين ٣:٤٩٨].

فمعنى قوله صلى الله عليه و آله: "النظر إلى وجه عليّ عليه السلام عبادة"، أي أنّ مشاهدته والنظر إليه بنفسه عبادة، لا أنّه يحمل الناظر على العبادة، كما يرى ابن الأعرابي في شرح الحديث حيث قال: معناه: أنّ عليّاً عليه السلام كان إذا برز قال النّاس: لا إله إلا اللّٰه، ما أشرف هذا الفتى! لا إله إلا اللّٰه، ما أعلم هذا الفتى! لا إله إلا اللّٰه، ما أكرم هذا الفتى، أي ما اتّقى! لا إله إلا اللّٰه، ما أشجع هذا الفتى! فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التقوى. [نهاية ابن الأثير ٥:٧٧].

وهو كما ترى، فإنّه أراد أن ينفي عنه عليه السلام منقبة فأثبت له مناقب، ولا ندري ما الباعث على ذلك؟ وأيّ استبعاد في أن يكون محض النظر إليه عليه السلام عبادة؟ وأي استبعاد في أن يكون النظر إلى ابن عمّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وزوج فاطمة الزهراء، وأبي السبطين، وأخي الرسول ووصيّه وباب علمه،

والذابّ عنه بين يديه، وكاشف الكرب عن وجهه، والباذل نفسه للّٰه ولرسوله ليلة المبيت، وهادي الأُمّة، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، عبادة؟!

ويؤيّد ما ذكرناه ما ور في الحديث: "النظر إلى وجه العالم عبادة، وإلى وجه الوالدين عبادة، وإلى الكعبة عبادة". ويؤيّده أيضاً أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يدعو اللّٰه تعالى أن لا يموت حتّى يرى عليّاً عليه السلام.

و عن الترمذي عن أُمّ عطية، قالت: بعث النبيّ صلى الله عليه و آله جيشاً فيهم عليّ عليه السلام، قالت: فسمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو رافع يديه يقول: "اللّهمّ لا تُمتني حتّى تُرِيَني عليّاً". [سنن الترمذي ٥:٦٠١، ح ٣٧٣٧، ينابيع المودّة: ٩٠].

و عن الكنجي الشافعي عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "النظر إلى وجه عليّ عبادة". ثمّ قال الكنجي: الحديث عال حسن السياق، "وأمّا النظر إلى وجه عليّ فإنّه عبادة" من حيث أنّه ابن عمّ الرسول وزوج البتول وأبو السبطين الحسن والحسين وأخو الرسول ووصيّه. [كفاية الطالب: ١٥٧].

نبذة من أخبار النظر

١- في "البحار" عن "أمالي الشيخ": عن حجر المذري، قال: قدمت مكّة وبها أبو ذرّ جندب بن جنادة، وقدم في ذلك العام عمر بن الخطّاب حاجّاً ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار، فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فبينا أنا في المسجد مع أبي ذرّ جالس إذ مرّ بنا عليّ عليه السلام ووقف يصلّي بإزائنا، فرماه أبو ذرّ ببصره فقلت: رحمك اللّٰه يا أبا ذرّ، إنّك لتنظر إلى عليّ عليه السلام فما تقلع عنه؟ قال: إنّي أفعل ذلك، فقد سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في الصحيفة - يعني صحيفة القرآن - عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة". [البحار ٣٨:١٩٦].

٢- وفيه أيضاً: عن "الإبانة لابن بطة": عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: رأيت معاذاً يديم النظر إلى وجه عليّ عليه السلام فقلت له: إنّك تديم النظر إليه كأنّك لم تره؟! فقال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "النظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عبادة".

٣- وفيه أيضاً عن عمّار ومعاذ وعائشة عن النبيّ صلى الله عليه و آله انّه قال: "النظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه". [المصدر المتقدّم: ١٩٨].

٤- و عن أخطب الخوارزم عن عائشة، قالت: كان أبو بكر يُديم النظر إلى عليّ عليه السلام فقيل له في ذلك؟ فقال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: "النظر إلى عليّ عبادة". [المناقب للخوارزمي: ٢٦١].

٥- وفي "البحار": عن أبي هريرة: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جاءه رجل، فقال: يا رسول اللَّه، أما رأيت فلاناً ركب البحر [أي سافر من طريق البحر للتجارة] ببضاعة يسيرة وخرج إلى الصين فأسرع الكرّة [الكرّة: الرجعة].

وأعظم الغنيمة حتّى قد حسده أهل ودّه وأوسع قراباته وجيرانه؟

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "إنّ مال الدنيا كلّما ازداد كثرة وعظماً ازداد صاحبه بلاءً، فلا تغتبطوا أصحاب الأموال إلا بمن جاد بماله في سبيل اللَّه، ولكن ألا أُخبركم بمن هو أقلّ من صاحبكم بضاعة، وأسرع منه كرّة، وأعظم منه غنيمة، وما أُعدّ له من الخيرات محفوظ له في خزائن عرش الرحمن؟". قالوا: بلى، يا رسول اللَّه. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "انظروا إلى هذا المقبل إليكم"، فنظرنا فإذا رجل من الأنصار رثّ الهيئة، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "إنّ هذا لقد صعد له في هذا اليوم إلى العلوّ من الخيرات والطاعات ما لو قسّم على جميع أهل السماوات والأرض لكان نصيب أقلّهم منه غفران ذنوبه ووجوب الجنّة له".

قالوا: بماذا، يا رسول اللَّه؟ فقال: "سلوه يخبركم عمّا صنع في هذا اليوم". فأقبل عليه أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقالوا: له هنيئاً لك ما بشّرك به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فماذا صنعت في يومك هذا حتّى كتب لك ما كتب؟

فقال الرجل: ما أعلم أنّي صنعت شيئاً غير أنّي خرجت من بيتي وأردت حاجة كنت أبطأت عنها، فخشيت أن تكون فاتتني، فقلت في نفسي: لاعتاضنّ منها النظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: "النظر إلى وجه عليّ عبادة".

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "إي واللَّه عبادة، وأيّ عبادة، إنّك يا عبد اللَّه ذهبت تبتغي أن تكتسب ديناراً لقوت عيالك، ففاتك ذلك فاعتضت منه النظر إلى وجه عليّ، وأنت له محبّ، ولفضله معتقد، وذلك خير لك من أن لو كانت الدنيا كلّها لك ذهبة حمراء فأنفقتها في سبيل اللَّه، ولتشفعنّ بعدد كلّ نفس تنفّسته في مصيرك إليه في ألف رقبة يعتقهم اللَّه من النّار بشفاعتك". [البحار ٣٨:١٩٧].

ولا يخفى أنّنا نحن في وقتنا هذا محرومون من هذا الفيض العظيم، أعني النظر إلى وجهه الشريف المبارك، بل نصيبنا اليوم زيارة مضجعه المقدّس في النجف الأشرف: "اللّهمّ ارزقنا في الدنيا زيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم"، ولكنّ هذه الأخبار المأثورة تنبّهنا إلى أنّ مَثَلَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام مَثَلُ القرآن والكعبة؛ إذ في الحديث الشريف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "النظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة، والنظر في القرآن عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة". [المصدر المتقدّم: ١٩٦].

ولا يصل إلى هذا المقام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله غير عليّ عليه السلام، فهل يجوز أن يكون وصيّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وخليفته ووارثه غير عليّ عليه السلام؟!

في فضائله و مناقبه "٢"

علي و المسابقة إلى الهجرة

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "يا عليّ، أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً باللّه ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى اللّه ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يُحبّك - والّذي نفسي بيده - إلا مؤمن قد امتحن اللّه قلبه بالإيمان، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر".

مناقب ابن شهرآشوب ١:١٨٤

في مفهوم الهجرة

ليس المقصود من الهجرة هو انتقال من بلد إلى بلد وحسب، ولا يعدّ هذا فضيلة، بل المقصود من الهجرة الممدوحة في القرآن والسنّة هو ترك الوطن وكلّ ما فيه للّه وفي اللّه، كما قال اللّه تعالى: "وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ". [سورة النساء: ١٠٠].

[والهجرة الممدوحة على أقسام، وعلى مراتب في الفضل والأجر، في النهاية لابن الأثير ٥:٢٤٤: والهجرة هجرتان؛ إحداهما الّتي وعد اللّه الجنّة في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ"، فكان الرجل يأتي النبيّ صلى الله عليه و آله ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه وينقطع بنفسه إلى مهاجره، والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأُولى فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة.

وفي مجمع البحرين "٣:٥١٤": قوله تعالى: "وَالَّذِينَ هاجَرُوا" أي تركوا بلادهم، ومنه "المهاجرون"؛ لأنّهم هاجروا بلادهم وتركوها وصاروا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكلّ من هجر بلده لغرض ديني من طلب علم أو حجّ أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعةً أو زهداً في الدنيا، فهي هجرة إلى اللّه ورسوله].

واللَّه تعالى يفضّل المهاجرين على غيرهم بالأجر والثواب؛ لأنّهم تركوا كلّ ما كانوا يملكون من المال والولد والأهل من أجل المحافظة على دينهم، والتخلّص من المشركين الّذين كانوا يحاربون المسلمين أشدّ محاربة، وعليّ عليه السلام سبق في هذه الفضيلة - كسائر الفضائل - سائر الصحابة.

كلمة حول هجرة أمير المؤمنين

كان عليّ عليه السلام أسبق إلى الهجرة من سائر الصحابة وأهل البيت، وأكثرهم هجرة، فإنّه هاجر مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مراراً في صدر الإسلام عندما آمن قليل من المسلمين في مكّة، ونشير إلى هجراته إجمالاً:

الأُولى: الهجرة الشِّعب - أعني شعب أبي طالب - وكان المهاجرون إليه من بني هاشم، وعليّ عليه السلام منهم، وامتاز فيها بأنّه نام في مضجع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لحفظ نفسه صلى الله عليه و آله بأمر والده أبي طالب، ونزل في شأنهم: 'وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ'. [سورة التوبة: ١٠٠، وقد مرّ البحث فيه في فصل: "عليّ عليه السلام وأبوه"].

الثانية: الهجرة إلى الطائف بعد وفاة أبيه أبي طالب وخديجة الكبرى وقبل الهجرة إلى المدينة، وكان المهاجرون إليها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وعليّاً عليه السلام، وزيداً، وأقاموا عشرة أيّام، وقيل: شهر، فدعاهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة. [شرح ابن أبي الحديد، نقلاً عن أعيان الشيعة ١:٣٧٣].

الثالثة: الهجرة إلى المدينة، وهي أهمّها، وصارت مبدأ تاريخ الإسلام، ومنشأ قدرته، وتشكيل حكومته الحقّة، فإنّ عليّاً عليه السلام وإن لم يكن في جوار رسول اللَّه لحظة الهجرة، ولكنّه نام في فراشه ليلة المبيت، ونزلت في شأنه: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ' [سورة البقرة: ٢٠٧].

وبعد أن أدّى ديون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأماناته وعمل بعهوده هاجر مع الفواطم ماشياً، وتوقّف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مسجد قبا حتّى لحق به عليّ عليه السلام، ثمّ دخل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله المدينة مع عليّ عليه السلام. [فقد مرّ بنا مفصّلاً في فصل: "عليّ عليه السلام ليلة المبيت"، فلاحظ].

فهذه هجرة عليّ عليه السلام، ومنها يتبيّن أنّه كان أكثر هجرة من غيره وأسبق إليها، وكانت هجرته حقّاً هجرةً إلى اللَّه ورسوله، وكانت أسمى هجرة بعد هجرة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، واختصّ عليّ عليه

السلام بهذه المنقبة العالية، وكان هو عليه السلام أحسن وأفضل مصاديق آيات الهجرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [سورة البقرة: ٢١٨].

وقوله: "فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي...وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ" [سورة آل عمران: ١٩٥].

وقوله: "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُم فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ". [سورة النحل: ٤١].

عن ابن عبّاس - في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ" [سورة الأنفال: ٧٤].

- قال: ذكر المؤمنين، ثمّ المهاجرين، ثمّ المجاهدين، وفضّل عليّاً عليهم كلّهم، فقال: "وأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ" [سورة الأنفال: ٧٥].

فعليّ عليه السلام سبقهم بالإيمان ثمّ بالهجرة إلى الشعب، ثمّ بالجهاد، ثمّ سبقهم بعد هذه المراتب الثلاث بكونه من ذوي الأرحام. [ومن هجرته عليه السلام إلى الطائف مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله، كما سنذكرها عاجلاً، ولم يذكرها في المناقب].

فأمّا أبو بكر فقد هاجر إلى المدينة إلا أنّ لعليّ عليه السلام مزايا فيها عليه؛ وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أخرجه مع نفسه، أو خرج هو لعلّةٍ وترك عليّاً عليه السلام للمبيت باذلاً مهجته، فبذل النفس أعظم من الاتّقاء على النفس في الهرب إلى الغار. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٥٧].

بيان قوله عليه السلام: "سبقت إلى الإيمان والهجرة"

قول ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام: "سبقتُ إلى الإيمان والهجرة". [نهج البلاغة: ١٣٧، الخطبة ٥٦، والبحار ٣٨:٢٩٢].

إن يقال: كيف قال عليه السلام: إنّه سبق إلى الهجرة، ومعلوم أنّ جماعة من المسلمين هاجروا قبله، منهم عثمان بن مظعون وغيره، وقد هاجر أبو بكر قبله؛ لأنّه هاجر في صحبة النبيّ صلى الله عليه و آله وتخلّف عليّ عليه السلام عنها، فبات على فراش رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومكث أيّاماً يردّ الودائع الّتي كانت عنده، ثمّ هاجر بعد ذلك؟

والجواب: أنّه عليه السلام لم يقل: 'وسبقتُ كلّ النّاس إلى الهجرة"، وإنّما قال: 'سبقت' فقط، ولا يدلّ ذلك على سبقه للنّاس كافّة، ولا شبهة أنّه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة، ولم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جدّاً.

وأيضاً فقد قلنا إنّه علّل أفضليّته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع اُمور، منها: ولادته على الفطرة، ومنها سبقه إلى الإيمان، ومنها سبقه إلى الهجرة بقوله: 'فإنّي وُلِدْتُ على الفطرة، وسَبَقْتُ إلى الإيمان والهجرة'، وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره، فكان بمجموعها متميّزاً عن كلّ أحد من النّاس.

وأيضاً فإنّ اللام في "الهجرة" يجوز ألا تكون للمعهود السابق، بل تكون للجنس، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة الّتي قبل هجرة المدينة، فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله هاجر عن مكّة مراراً، يطوف على أحياء العرب، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان عليّ عليه السلام معه دون غيره.

أمّا هجرته إلى بني شيبان، فما اختلف أحد من أهل السيرة أنّ عليّاً عليه السلام كان معه هو وأبو بكر، وأنّهم غابوا عن مكّة ثلاثة عشر يوماً وعادوا إليها، لمّا لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوه من النصرة.

ثمّ قال: وروى المدائني في كتاب 'الأمثال' عن المفضّل الضبي: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمّا خرج عن مكّة يعرض نفسه على قبائل العرب، فتقدّم أبو بكر - وكان نسّابة - فسلّم فردّوا عليه السلام، فقال: ممّن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: أمن هامتها أم من لهازمها؟ [أي من أشرافها أنتم، أم من أوساطها].

قالوا: من هامتها العظمى، فقال: من أيّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذُهل الأكبر، قال: أفمنكم عوف الّذي يقال له: لا حرّ بوادي عوف؟ قالوا: لا.

إلى أن قال: وأمّا هجرته صلى الله عليه و آله إلى الطائف، فكان معه عليّ عليه السلام وزيد بن حارثة في رواية أبي الحسن المدائني، ولم يكن معهم أبو بكر، وأمّا رواية محمّد بن إسحاق فإنّه قال: كان معه زيد بن حارثة وحده، وغاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن مكّة في هذه الهجرة أربعين يوماً، ودخل إليها في جوار مطعم بن عدي.

وأمّا هجرته صلى الله عليه و آله إلى بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان، فإنّه لم يكن معه إلا عليّ عليه السلام وحده؛ وذلك عقيب وفاة أبي طالب، أوحى إليه صلى الله عليه و آله: 'افخرج منها، فقد مات ناصرك'، فخرج إلى بني عامر بن صعصعة ومعه عليّ عليه السلام وحده، فعرض نفسه عليهم، وسألهم النصر، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه، فعاد صلى الله عليه و آله إلى مكّة، وكانت مدّة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيّام، وهي أوّل هجرة هاجرها صلى الله عليه و آله بنفسه.

فأمّا أوّل هجرة هاجرها أصحابه ولم يهاجر بنفسه صلى الله عليه و آله فهجرة الحبشة، هاجر فيها كثير من أصحابه صلى الله عليه و آله إلى بلاد الحبشة في البحر، منهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فغابوا عنه سنين، ثمّ قدم عليه منهم من سلم وطالت أيّامه. وكان قدوم جعفر عليه عام فتح خيبر، فقال صلى الله عليه و آله: 'ما أدري بأيّهما أنا أسرّ؛ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر'. [شرح ابن أبي الحديد ٤:١٢٥]

هجرته إلى الطائف مع رسول اللّٰه

في "أعيان الشيعة" عن الطبراني: أنّه لمّا مات أبو طالب عليه السلام طمعت قريش في رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب، فخرج من مكّة إلى الطائف، وذلك في شوّال من سنة عشر من البعثة، فأقام بالطائف عشرة أيّام، وقيل شهراً، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، وأغروا به سفهاءهم، وكان معه زيد بن حارثة.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: والشيعة تروي أنّه كان معه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أيضاً، أقول: وهو الصواب، فإنّ عليّاً عليه السلام لم يكن ليفارقه في مثل هذه الحال، كما لم يفارقه في غيرها ولم يكن ليرغب بنفسه عنه. [راجع أعيان الشيعة ١:٣٧٥].

لا يخفى أنّ ابن أبي الحديد أيضاً اعترف بأنّ عليّاً عليه السلام هاجر مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى الطائف، كما تقدّم فيما نقله عن أبي الحسن المدائني، فليست الشيعة وحدها تروي ذلك.

هجرته إلى المدينة ولحاقه برسول اللّٰه

اتّفق المؤرّخون وأجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام هو أوّل من التحق بالرسول وهو صلى الله عليه و آله في المدينة، وذلك بعد ردّ الودائع والأمانات إلى أهلها، ثمّ عزم على الخروج من مكّة إلى المدينة، ونومه عليه السلام على فراش الرسول لحفظ نفس الرسول صلى الله عليه و آله، أُولى من هجرة أبي بكر معه قطعاً.

عن "المناقب": روى أبو الفضل الشيباني بإسناده عن مجاهد، قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في الغار، فقال عبداللّٰه بن شدّاد بن الهاد: فأين أنت من عليّ بن أبي طالب حيث نام في مكانه وهو يرى أنّه يقتل، فسكتت ولم تحر جواباً؟ وشتّان بين قوله: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ' [سورة البقرة: ٢٠٧].

وبين قوله: 'لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا' [سورة التوبة: ٤٠].

وكان النبيّ صلى الله عليه و آله معه يقوّي قلبه، ولم يكن مع عليّ عليه السلام، وهو لم يصبه وجع وعليّ يرمى بالحجارة، وهو مختف في الغار وعليّ ظاهر للكفّار، ثمّ قال: واستخلفه الرسول صلى الله عليه و آله لردّ الودائع؛ لأنّه كان أميناً، فلمّا أدّى الأمانة، قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: 'يا أيّها الناس، هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من صاحب عِدة له قِبَل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟'، فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبيّ صلى الله عليه و آله، وكان في ذلك دلالة على خلافته وأمانته وشجاعته، وحمل نساء

الرسول خلفه بعد ثلاثة أيّام وفيهنّ عائشة، فله المنّة على أبي بكر بحفظ ولده - أي عائشة -؟! ولعليّ عليه السلام المنّة عليه في هجرته، وعليّ عليه السلام ذو الهجرتين، والشجاع البائت بين أربعمائة سيف، وإنّما أباته على فراشه ثقة بنجدته [النجدة: الشجاعة].

فكانوا محدقين به إلى طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً، فيذهب دمه بمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٥٧].

وفيه أيضاً: لمّا ورد النبيّ صلى الله عليه و آله المدينة، نزل في بني عمرو بن عوف بقبا ترصّداً لعليّ عليه السلام، وكتب إليه يأمره المسير إليه على يدي أبي واقد الليثي، فتهيّأ للهجرة، وأمر ضعفاء المؤمنين أن يتسلّلوا ويتخفّفوا إذا ملأ الليل بطن كلّ واد. وخرج عليّ عليه السلام إلى ذي طوى بالفواطم [الفواطم: سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليهاالسلام، وفاطمة بنت أسد أمّ عليّ بن أبي طالب، وفاطمة بنت حمزة عمّ النبيّ صلى الله عليه و آله].

وأيمن بن أمّ أيمن مولاة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وغير ذلك، وأبو واقد يسوق الرواحل فأعنف بهم فقال: "ارفق بالنسوة أبا واقد، إنّهنّ من الضعائف".

قال: إنّي أخاف أن يدركنا الطلب، فقال: أربع عليك [أي تمكّث وانتظر].

إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لي: يا عليّ، إنّهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه"، ثمّ جعل عليّ عليه السلام يسوق بهنّ سوقاً رفيقاً ويرتجز:

وليس إلا اللّٰه فارفع ظنّكا* يكفيك ربّ النّاس ما أهمّكا**

فلمّا شارف ضجنان [ضجنان: كسكران: جبل قرب مكّة].

أدركه الطلب بثمانية فوارس، فأنزل النسوة واستقبلهم منتضياً [انتضى السيف: سلّه].

فأقبلوا عليه، فقالوا: أظننت - يا غدّار - أنّك ناج بالنسوة؟ ارجع لا أباً لك، فقال: "فإن لم أفعل أترجعون راغمين"، ودنوا من النسوة، فحال عليّ عليه السلام بينهم وبينها وقتل جناحاً، وكان يشدّ على قومه شدّ الأسد على فريسته، وهو يقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد* آليت لا أعبد غير الواحد**

فانتشروا عنه، فسار ظاهراً قاهراً حتّى نزل ضجنان، فتلوّم [أي تمكّث وانتظر].

بها قدر يومه وليلته، ويروى أنّه لحق به نفر من المستضعفين، فصلّى ليلته تلك هو والفواطم يذكرون اللّٰه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، حتّى طلع الفجر فصلّى بهم صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه حتّى قدم المدينة، وقد

نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: 'الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً' إلى قوله: 'لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى'، فالذَّكر عليّ عليه السلام، والأُنثى فاطمة عليهاالسلام، 'بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ' يقول: عليّ من الفواطم، وهنّ من عليّ، 'فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ' إلى قوله: 'حُسْنُ الثَّوَابِ'. [سورة آل عمران: ١٩٥ - ١٩١].

وتلا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ' الآية [سورة التوبة: ١١٢].

ثمّ قال: 'يا عليّ، أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً باللَّه ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى اللَّه ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك - والّذي نفسي بيده - إلا مؤمن قد امتحن اللَّه قلبه بالإيمان، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر'. [المناقب لابن شهرآشوب ١:١٨٣].

وفي "البحار": عن الزهري في حديث، قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين أقبل إلى المدينة وقدم إلى قبا ونزل بهم ينتظر قدوم عليّ عليه السلام، فجاء أبو بكر من المدينة [لمّا أمسى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بقبا فارقه أبو بكر ودخل المدينة، ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بقبا نازلاً على كلثوم بن الهدم].

فقال: يا رسول اللَّه، تدخل المدينة فإنّ القوم متشوّقون إلى نزولك عليهم، فقال صلى الله عليه و آله: 'لا أُريم من هذا المكان حتّى يوافي أخي عليّ'.

وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد بعث إليه أن احمل العيال وأقدم، فقال أبو بكر: ما أحسب عليّاً يوافي، قال صلى الله عليه و آله: 'بلى، ما أسرعه إن شاء اللَّه'. فبقي خمسة عشر يوماً، فوافى عليّ عليه السلام بعياله، إلى أن قال: وبقي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعد قدوم عليّ عليه السلام يوماً أو يومين، ثمّ ركب راحلته، إلى آخره. [البحار ١٩:١٠٦].

وعن "امتاع الأسماع": وقدم عليّ عليه السلام من مكّة للنصف من ربيع الأوّل ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله بقبا ولم يرم بعد، وقدم معه صهيب، وذلك بعد ما أدّى عليّ عليه السلام عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الودائع الّتي كانت عنده، وبعد ما كان يسير الليل ويكمن النهار حتّى تقطّرت قدماه، فاعتنقه النبيّ صلى الله عليه و آله وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد ذلك حتّى قُتل عليه السلام، ونزل على كلثوم بن الهدم، وقيل: على امرأة، والراجح أنّه نزل مع النبيّ صلى الله عليه و آله. [راجع هامش البحار ١٩:١٠٦، طبع دار الكتب الإسلاميّة، طهران - ايران].

علي و الجهاد

قال عليّ عليه السلام: 'إنّ أكرم الموت القتل، والّذي نفس ابنُ أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على الفراش'. نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣

الجهاد في الإسلام

الجهاد لغةً إمّا مأخوذ من الجُهد - بالضمّ - بمعنى الوسعة والطاقة والمشقّة، وإمّا من الجَهد - بالفتح - بمعنى المشقّة.

وفي "مجمع البحرين": قرئ بفتح الجيم وضمّها، أي وسعهم وطاقتهم، وقيل: المضمون الطاقة، والمفتوح المشقّة. [مجمع البحرين ٣:٣٠ و ٣١].

وفيه أيضاً: الجهاد - بكسر الجيم -: مصدر جاهد يجاهد جهاداً، أو مجاهدة، وبفتح الجيم: الأرض الصُّلبة. [المصدر المتقدّم].

وفي "المفردات": الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقّة، وقيل: الجَهد بالفتح: المشقّة والجُهد الواسع، وقيل: الجهد للإنسان. [مفردات الراغب: ١٠١، مادة 'الجهد'].

وفي "جواهر الكلام": الجهاد من الجهد بالفتح لغة التعب والمشقّة، أو منه بالضمّ كذلك الوسع والطاقة. [جواهر الكلام في الفقه ٢١:٣، طبع جديد].

وأمّا شرعاً كما في "الجواهر": هو بذل النفس وما يتوقّف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص، أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان. [المصدر المتقدّم].

وفي "مجمع البحرين": الجهاد شرعاً بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر الإيمان. [مجمع البحرين ٦:٣١].

فضيلة الجهاد

وكيف كان الجهاد فهو من أهمّ واجبات الإسلام، وقد ورد في فضله والاهتمام به آيات وروايات كثيرة، وحثّ النبيّ صلى الله عليه و آله المسلمين على جهاد الكفر والنفاق، ونحن نشير إلى بعضها رعاية للاختصار:

الآيات

١- 'فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ'. [سورة التوبة: ٥].

٢- "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ". [سورة التوبة: ٧٣].

٣- "فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ" [سورة الأنفال: ١٢].

٤- "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ". [سورة الأنفال: ٦٥].

٥- "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِن هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً" [سورة النساء: ٧٥].

وغيرها من الآيات الكريمة في القرآن الكريم.

الأخبار

١- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله - في حديث -: "فوق كلّ ذي برّ برّ حتّى يقتل في سبيل اللَّه، فإذا قتل في سبيل اللَّه فليس فوقه برّ". [وسائل الشيعة ١١: ١٠].

٢- وعنه أيضاً: "أُغزوا تُورِثوا أبناءَكم مجداً". [المصدر المتقدّم: ٩].

٣- وعنه أيضاً: "للجنّة باب يقال له باب المجاهدين، يمضون إليه، فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحّب بهم"

قال: "فمن ترك الجهاد ألبسه اللَّه ذلا وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه، إنّ اللَّه أغنى أُمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها". [المصدر المتقدّم: ٥].

٤- وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "إنّ اللَّه فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، واللَّه ما صلحت دنيا ولا دين إلا به". [المصدر المتقدّم: ٩].

٥- عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال: "الخير كلّه في السيف، وتحت السيف، وفي ظلّ السيف، وإنّ الخير كلّ الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة". [المصدر المتقدّم: ٩].

كلمة في جهاد عليّ

لا شكّ أنّ قيمة أي عمل إنّما يقوم بإخلاص صاحبه، وظروف الزمان والمكان الّذي وقع فيه، فكلّما كان العمل خالصاً للَّه كان ذا قيمة لا تحدّ، وممّا لا يقبل التردّد فيه أنّ سيف عليّ عليه السلام وجهاده ما كان إلا في سبيل اللَّه ولأجل تقوية الإسلام ونشر دين الحقّ، ولم يكن لديه أيّ هدف عدا ما ذكرناه، وممّا يجب ملاحظته أنّ جهاد عليّ عليه السلام وقع في وقت كان الإسلام فيه غريباً على قلّة في العدد والعدّة إلى الحدّ الّذي كان المسلمون يعانون من تهيئة متطلّبات العيش اليوميّة.

في الوقت الّذي كان مشركو مكّة واليهود والنصارى يسخّرون كلّ ما لديهم من إمكانيات في سبيل تحطيم الإسلام وقتل النبيّ صلى الله عليه و آله... في مثل هذه الظروف تكون للجهاد قيمة خاصّة سامية وعالية، وقد جاهد عليّ عليه السلام في مثل هذه الظروف من أجل تقوية شوكة الإسلام وحفظه وبقائه، كان عليّ عليه السلام حامياً للمسلمين، ذابّاً عنهم، وأينما وُجد عليّ عليه السلام ارتجف منه العدوّ، وانتعش المسلمون.

وإذا قلنا: إنّ الإسلام إنّما استقام بسيف عليّ عليه السلام، ولولا عليّ عليه السلام لم يكن الإسلام، بل لم يكن ثمّة اسم للقرآن أو التوحيد، لم نكن مبالغين أو مجانبين للحقّ، ولعلّ النماذج الحيّة لجهاد أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الرسول صلى الله عليه و آله خير شواهد على ما نقول، وبحثنا ذلك في فصول من الكتاب [راجع فصول حروبه عليه السلام].

وسنشير هنا بشكل إجمالي إلى بعضها.

ففي غزوة بدر، وعلى الرغم من أنّه عليه السلام لم يتجاوز العشرين من العمر فقد قتل ثلاثين من المشركين، وبذلك نفخ في الإسلام روحاً جديدة، وفي هذه الحرب قويت شوكة الإسلام، وأُلقي الرعب في قلوب المشركين.

أمّا غزوة أُحد، فقد فرّ المسلمون ولم يبق مع الرسول إلا أربعة: عليّ عليه السلام، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة [شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٩٣].

وفي نظرنا أنّه لم يبق معه صلى الله عليه و آله إلا عليّ عليه السلام يدافع ويذبّ عنه بذي الفقار لكسر سيف البغي، وحفظ حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، ومن ثمّ عاد المسلمون رويداً رويداً، وهناك نادى منادٍ من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

وقال صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة، ووضع عملك يوم أُحد على كفّة أُخرى، لرجح عملك على جميع الخلائق، وإنّ اللّٰه تعالى باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحجب من السموات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين، وأنّ اللّٰه تعالى يعوّضك ذلك اليوم ما يغبط كلّ نبيٍّ ورسولٍ وصدّيقٍ وشهيدٍ'. [ينابيع المودّة: ٦٤].

وفي غزوة الخندق طلب رأس الشرك عمرو بن عبد ودّ المبارزة ثلاث مرّات، فلم يبرز إليه أحد، وكان عليّ عليه السلام السبّاق إلى الميدان ليرسل ابن عبد ودّ إلى قعر جهنّم، وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم برز عليّ عليه السلام في الخندق: "برز الإيمانكلّه إلى الشرك كلّه". [شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٨٥].

وفي حنين فرّ المسلمون كلّهم إلا تسعة رهط من أهله، وكان عليّ عليه السلام بين يديه مصلتاً سيفه، وهكذا كان عليّ عليه السلام يسجّل حضوراً دائماً حيثما كان الجهاد في طريق الإسلام وزلزلة مواقع الكفر والشرك، وقتل صناديدهم، فكان مصداق الآية: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ" [سورة الصفّ: ٤].

وهو عليه السلام أحبّ المسلمين إلى اللّٰه تعالى؛ لأنّه أثبتهم قدماً في الصفّ المرصوص.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في ثمرة جهاده: فأمّا الجهاد الّذي ثبتت به قواعد الإسلام، واستقرت بثبوتها شرائع الملّة والأحكام، فقد تخصّص منه أمير المؤمنين عليه السلام بما اشتهر ذكره في الأنام، واستفاض الخبرُ به بين الخاصّ والعامّ، ولم يختلف فيه العلماء ولا تنازع في صحّته الفهماء، ولا شكّ فيه إلا غُفلٌ لم يتأمّل الأخبار، ولا دفعه أحدٌ ممّن نظر في الآثار إلا معاند بهّات لا يستحيي من العار. [إرشاد المفيد ١:٦٧].

وقال الشارح المعتزلي وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه و آله تعظيمه لعليّ عليه السلام تعظيماً دينيّاً لأجل جهاده ونصرته، فالطاعن فيه طاعن في رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، الحديث. [شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٨٥].

تحقيق في جهاده

ذكر صاحب المناقب تحقيقاً في جهاد عليّ عليه السلام جدير أن يذكر هنا، قال: اجتمعت الأُمّة ووافق الكتاب والسنّة أنّ للّٰه خيرة من خلقه، وأنّ خيرته من خلقه، المتّقون، قوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" [سورة الحجرات: ١٣].

وأنّ خيرته من المتّقين المجاهدون، قوله: "فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً" [سورة النساء: ٩٥].

وأنّ خيرته من المجاهدين السابقون إلى الجهاد، قوله: "لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" [سورة الحديد: ١٠].

وأنّ خيرته من المجاهدين أكثرهم عملاً في الجهاد.

واجتمعت الأُمّة على أنّ السابقين إلى الجهاد هم البدريّون، وأنّ خيرة البدريّين عليّ عليه السلام، فلم يزل القرآن يصدّق بعضه بعضاً بإجماعهم حتّى دلّوا بأنّ عليّاً عليه السلام خيرة هذه الأُمّة بعد نبيّها، قال العلوي البصري في أشعاره:

ولو يستوي بالنهوض الجلوس*** لما بيّن اللّه فضل الجهاد

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٥].

ثمّ قال: المعروفون بالجهاد: عليّ، وحمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحارث، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، وسعد بن أبي وقّاص، والبراء بن عازب، وسعد بن معاذ، ومحمّد بن مسلمة، وقد اجتمعت الأُمّة على أنّ هؤلاء لا يقاس [كذا في المصدر، والصحيح: "لا يقاسون"].

بعليّ في شوكته وكثرة جهاده، فأمّا أبو بكر وعمر فقد تصفّحنا كتب المغازي فما وجدنا لهما فيه أثر البتّة. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٦].

كان جهاده خالصاً لوجه اللّه

ممّا لا شكّ فيه أنّ جهاد عليّ عليه السلام كان يهدف إلى تقوية دين اللّه ورفع كلمة الإسلام، وتتّضح هذه الحقيقة جليّة في جملة الحروب الّتي خاضها دون أدنى وازع من خوف ودون أدنى تردّد أو انسحاب، فما عرف غير الإقدام قطّ، وهذا خير دليل على إخلاص نيّته عليه السلام للّه جلّ وعلا، فنلاحظ حتّى في وقت المحنة لا ينفكّ مخلصاً للّه، ففي حرب الأحزاب وحين أراد أن يحزّ رأس النفاق والشرك "عمرو بن عبد ودّ" بصق اللعين بوجهه المقدّس، وإذا بالإمام عليه السلام يمتنع هنيئة عن قتله حتّى يخمد غضبه ثمّ يقتله، وعندما سئل عن ذلك أجاب: ما أردت أن أقتله غضباً لنفسي، إنّما أردت أن أقتله غضباً للّه.

ومن ذلك يتّضح أنّه عليه السلام لم يقم بأيّ عمل إلا أن يكون للّه فيه رضى.

قال ابن شهرآشوب: وقد اجتمعت الأُمّة على أنّ عليّاً كان المجاهد في سبيل اللّه وكاشف الكروب عن وجه رسول اللّه صلى الله عليه و آله، المقدّم في سائر الغزوات إذا لم يحضر النبيّ صلى الله عليه و آله، وإذا حضر فهو تاليه وصاحب الراية واللواء معاً، وما كان قطّ تحت لواء جماعة أحدٍ ولا فرّ من زحف. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٦].

١- في "المناقب لابن شهرآشوب" عن "فضائل الصحابة للعكبري": عن ابن عبّاس، قال: رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة متعلّقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: 'اللهمّ ابعث إليَّ من بني عمّي مَن يعضدني'، فهبط عليه جبرئيل كالمغضب، فقال: يا محمّد، قد أيّدك اللّٰه بسيف من سيوف اللّٰه، مجرّد على أعداء اللّٰه - يعني بذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام -. [المصدر المتقدّم: ٦٧].

فعليّ سيف من سيوف اللّٰه، ولا شكّ أنّه لا يتّصف أحدٌ بهذه الصفة إلا إذا كان جهاده في سبيل اللّٰه.

٢- قال سفيان الثوري: كان عليّ بن أبي طالب كالجبل بين المسلمين والمشركين، أعزّ اللّٰه به المسلمين، وأذلّ به المشركين. [المصدر المتقدّم: ٦٨].

٣- وفي "شرح نهج البلاغة": قال الحسن بن عليّ عليه السلام في خطبة له لمّا قبض أبوه: 'لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون، كان يبعثه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله للحرب وجبرئيل على يمينه وميكائيل عن يساره'. [شرح ابن أبي الحديد ٧:٢١٩].

كلمة حول قوله: 'إنّ أكرم الموت القتل'

وقوله عليه السلام: 'إنّ أكرم الموت القتل' [نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣].

حيث إنّ القتل في سبيل اللّٰه موجب للذكر الجميل في الدنيا، والأجر الجزيل في العقبى، فلا يجوز للبصير بالأُمور تفويت هذا النفع الكثير على نفسه، والإقدام على الموت حتف أنفه، كما قال الشاعر:

وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت*** فقتل امرئ واللّٰه بالسيف أفضل

ولذا قال عليه السلام: 'والّذي نفسُ ابن أبي طالب بيده، لألف ضربةٍ بالسيفِ أهونُ عَلَيَّ مِن ميتةٍ على الفراشِ في غيرِ طاعةِ اللّٰه'. [نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣].

ولا شكّ أنّ حلفه على ذلك لفرط محبّته في اللّٰه، ومنتهى شوقه إلى اللّٰه تعالى، وغاية رغبته في ابتغاء مرضاة اللّٰه، وهو في أعلى مراتب الفناء في اللّٰه، والبقاء باللّٰه، فارغاً عن نفسه في جنب مولاه، ومع ذلك الحال لا تأثير فيه لضربات السيوف وطعنات الرماح أبداً، كما سئل أبوالحسن الرضا عن قول عليّ عليه السلام: 'لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على الفراش'، فقال عليه السلام: 'في سبيل اللّٰه'. [وسائل الشيعة ١١:١١].

والشاهد على ذلك ما رواه غير واحد من أنّه عليه السلام قد أصابت رجله الشريفة نشابة في غزوة صفّين، ولم يطق الجرّاحون إخراجها من رجله لاستحكامها فيها، فلمّا قام إلى الصلاة أخرجوها حين كونه في

السجدة، فلمّا فرغ من الصلاة علم عليه السلام بإخراجها وحلف عليه السلام أنّه لم يحسّ ذلك أصلاً. [شرح نهج البلاغة للعلامة الخوئي ٨:١٥٢].

والعجب من الشارح المعتزلي أنّه حمل قوله عليه السلام: "لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش" على المبالغة والتجوّز ترغيباً لأصحابه في الجهاد، وفيه ما فيه، فكما ذكرنا أنّ حلفه على الحقيقة البتّة؛ إذ الضربة في سبيل اللّٰه لمثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام العالم بالأُمور أسهل وأهون له من ميتة على الفراش، وعلى هذا: لمّا جرح في غزوة أُحد وعاده رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بكى عليه السلام لأنّه لم يستشهد في أُحد وعاش بعدها [انظر الاختصاص: ١٥٨، والبحار ٣٦:٢٦].

وحين ضربه ابن ملجم، قال: "فزت وربّ الكعبة" [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٠٣، ح ١٤٠٢].

وبذلك اندفع إيراد ابن أبي الحديد المعتزلي قطعاً.

في الآيات الّتي نزلت في فضل جهاد عليّ

فقد ذكر ابن شهرآشوب الآيات الّتي نزلت في جهاد عليّ عليه السلام نذكر هنا بعين لفظه، فقال:

قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ" [سورة التوبة: ٧٣].

فجاهد النبيّ صلى الله عليه و آله الكفّار في حياته، وأمر عليّاً عليه السلام بجهاد المنافقين، قوله: "تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين"، وحديث خاصف النعل، وحديث كلاب الحوأب، وحديث تقتلك الفئة الباغية يا عمّار، وحديث ذي الثدية وغير ذلك، وهذا من صفات الخلفاء، ولا يعارض ذلك بقتال أهل الردّة؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان أمر عليّاً بقتال هؤلاء بإجماع أهل الأثر، وحكم المسمّين أهل الردّة لا يخفى على منصف.

واستدلّ أصحابنا بقوله تعالى: "لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ". [سورة البقرة: ١٧٧]

إنّ المعنيّ بها أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه كان جامعاً لهذه الخصال بالاتّفاق، ولا قطع على كون غيره جامعاً لها، ولهذا قال الزجّاج والفرّاء: كأنّها مخصوصة بالأنبياء والمرسلين.

و عن ابن عبّاس في قوله تعالى: "وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" [آل عمران: ٨٣].

قال: أسلمت الملائكة في السماوات والمؤمنون في الأرض، وأوّلهم عليّ عليه السلام إسلاماً، ومع المشركين قتالاً، وقاتل من بعده المقاتلين، ومن أسلم كرهاً.

و في تفسير عطاء الخراساني: عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: 'وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ' [سورة الشرح: ٢ و ٣].

أي قوّى ظهرك بعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن مجاهد، في قوله تعالى: 'هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ' [سورة الأنفال: ٦٢].

أي قوّاك بأمير المؤمنين، وجعفر، وحمزة، وعقيل، وقد روينا نحو ذلك عن الكلبي، عن أبي صال، عن أبي هريرة.

و كتاب أبي بكر الشيرازي، قال ابن عبّاس: 'وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَاناً نَصِيراً' [سورة الإسراء: ٨٠].

قال: لقد استجاب اللّٰه لنبيّه صلى الله عليه و آله دعاءه وأعطاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام سلطاناً ينصره على أعدائه.

و أبو المضاء صبيح مولى الرضا عليه السلام، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام في قوله: 'إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا' [سورة غافر: ٥١].

قال: منهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و قوله تعالى: 'إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ' [سورة الصفّ: ٤].

وكان عليّ عليه السلام إذا صفّ في القتال كأنّه بنيان مرصوص، وما قتل المشركين قتلَه أحد.

و قال سفيان الثوري: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين والمشركين، أعزّ اللّٰه به المسلمين، وأذلّ به المشركين.

قال العوني في عليّ عليه السلام:

فلك النجاة وباب للجنان غدا*** وملتجى وصراط غير ذي جنف

[الجنف: الميل والعدول عن الشي ء].

جنب عزيز يلوذ اللائذون به*** حبل متين قويّ محكم الطرف

ويقال: إنّه نزل فيه: 'وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ'. [سورة الحجّ: ٧٨].

و قال أبو جعفر وأبو عبداللّٰه رحمه الله: "نزل قوله: "وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ" [سورة يونس: ٢٦]. في أمير المؤمنين عليه السلام".

وفي حديث جبير خطاباً لعليّ عليه السلام: "أنت أوّل مَن آمن بي، وأوّل مَن جاهد معي، وأوّل مَن ينشقّ عنه القبر"، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله إذا خرج من بيته تبعه أحداث المشركين يرمونه بالحجارة حتّى أدموا كعبه وعرقوبيه، وكان عليّ عليه السلام يحمل عليهم فينهزمون، فنزل: "كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ" [سورة المدّثّر: ٥٠ و ٥١].

إلى أن قال: وآية "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [سورة التوبة: ١٩، وقد ذكرنا هذه الآية في فصل: "عليّ وآية "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" الآية].

إلى آخره. [راجع: المناقب لابن شهرآشوب ٩٦ - ٦٦ :٢].

وهنا أحاديث حول الآيات نذكرها تتميماً للفائدة

وفي "البحار" عن "تفسير العيّاشي" عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: "لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ" [سورة الكهف: ٢].

قال: "البأس الشديد عليّ عليه السلام، وهو لدن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قاتل معه عدوّه، فذلك قوله: "لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ". [بحار الأنوار ٣٦:٢١].

وفيه أيضاً: عن "كشف الغمّة": عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: "يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" [سورة التحريم: ٨].

قال: أوّل من يكسى من حلل الجنّة إبراهيم لخلّته من اللّٰه عزّ وجلّ، ثمّ محمّد صلى الله عليه و آله؛ لأنّه صفوة اللّٰه، ثمّ عليّ عليه السلام يزفّ إلى الجنان، ثمّ قرا ابن عبّاس الآية وقال: عليّ عليه السلام وأصحابه. [بحار الأنوار ٣٦:٢٢].

وفيه أيضاً: عن الثعلبي، في تفسيره قوله تعالى: "وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ" [سورة آل عمران: ١٤٣].

قال: نزلت في يوم أُحد، قال: فقتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام طلحة، وهو يحمل لواء قريش، فأنزل اللّٰه تعالى نصره على المؤمنين.

قال الزبير بن العوّام: فرأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل باديات خرامهنّ [والظاهر أنّه مصحف "حرامهنّ" استعير به من العورة، أي كنّ يبيدين عوراتهنّ لينصرف أمير المؤمنين عليه السلام عن تعقيبهم].

فكانوا يتمنّون الموت من قبل أن يلقوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [بحار الأنوار ٣٦:٢٦].

ما قال بعض العلماء في جهاده عليه السلام:

قال السيّد محسن الأمين في جهاد عليّ عليه السلام، هكذا: الجهاد في سبيل اللّٰه وتفوّقه فيه على كافّة الخلق ملحق بالضروريّات، والاستدلال عليه يُعَدّ من العبث، فهو كالاستدلال على وجود الشمس في رابعة النهار، والنور على المنار، فقد شهد مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مشاهده كلّها غير تبوك، وفي جميعها يكون النصر والفتح له وعلى يده، وقد قتل اللّٰه بسيفه صناديد المشركين وجبابرة قريش وطواغيت العرب، وفي جميع الوقائع تكون قتلاه أزيد ممّن قتله باقي الجيش حتّى أنّه في يوم بدر زادت قتلاه على قتلى الجيش وهو شاب لم يتجاوز العشرين أو خمسة والعشرين، ومثله في هذا السنّ يكون قليل البصيرة بالحرب، ناقص الخبرة بالطعن والضرب، وهذا داخل في المعجزات، خارج عن مجرى العادات، ولو عدّ في عِداد معجزات النبيّ صلى الله عليه و آله لكان صواباً، بل إذا عدّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إحدى معجزات النبىّ صلى الله عليه و آله كان عين الصواب. [أعيان الشيعة ١:٣٤٠].

وقال ابن أبي الحديد: وأمّا الجهاد في سبيل اللّٰه من عليّ عليه السلام فمعلوم عند صديقه وعدوّه أنّ عليّاً سيّد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من النّاس إلا له! وقد عرفتَ أنّ أعظم غزاة غزاها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأشدّها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل عليّ عليه السلام نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، دع مَن قتله في غيرها كأُحد والخندق.

ثمّ قال: وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه؛ لأنّه من المعلومات الضروريّة كالعلم بوجود مكّة ومصر ونحوهما. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٤].

احتجاج المأمون على فضله بجهاده

ما وقع من الاحتجاج للمأمون على الفقهاء: قال المأمون: يا إسحاق، ثمّ أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قال إسحاق: قلت: الجهاد في سبيل اللّٰه. قال: صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ما تجد لعليّ عليه السلام في الجهاد؟ قلت: في أيّ وقت؟ قال: في أيّ الأوقات شئت.

قلت: بدر. قال المأمون: لا أُريد غيرها، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعليّ يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت: نيّف وستّون رجلاً من المشركين. قال: فكم قتلى عليّ وحده؟ قلت: لا أدري. قال: ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين، والأربعون لسائر النّاس.

قلت: يا أمير المؤمنين، كان أبوبكر مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في عريشه. قال: يصنع ماذا؟ قلت: يدبّر. قال: ويحك يدبّر دون رسول اللّٰه، أو كان معه شريكاً، أم افتقاراً من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى رأيه، أيّ الثلاث أحبّ إليك؟

قلت: أعوذ باللّٰه أن يدبّر أبو بكر دون رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، أو يكون معه شريكاً، أو أن يكون برسول اللّٰه افتقار إلى رأيه. قال: فما الفضيلة بالعريش، إذا كان الأمر كذلك، أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول اللّٰه أفضل ممّن هو جالس؟ قلت: يا أمير المؤمنين، كلّ الجيش كان مجاهداً. قال: صدقت، كلٌّ مجاهدٌ، ولكنّ الضارب بالسيف، المحامي عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعن الجالس أفضل، أما قرأت كتاب اللّٰه: "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرَاً عَظِيماً". [سورة النساء: ٩٥].

قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين. قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على مَن لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم. قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر؟! قلت: أجل. [العقد الفريد ٥:٩٥].

علي و اشتياقه إلى الشهادة

قال عليه السلام: "إنّ أكرم الموت القتل، والّذي نفسُ ابن أبي طالب بيده لألف ضربةٍ بالسيف أهْوَنُ عَلَيَّ مِن ميتةٍ على الفراش في غير طاعة اللّٰه".

نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣

كلمة حول فضيلة الشهادة

إنّ إحدى الفروق بين دين الإسلام السماويّ، دين التوحيد، وبين المذاهب الأُخرى أنّ معتنقيه يعتبرون الشهادة والقتل في سبيله فوزاً عظيماً خالداً، وهم يأملون تحقّق هذا الأمر دائماً "يا ليتَني كنتُ مَعهُم فأفوز فوزاً عظيماً"، فالذين يؤمنون بالإسلام لا يخافون الشهادة، بل يهبّون لاستقبالها؛ لأنّهم يعتقدون أنّ عالم ما بعد الموت أسمى من هذا العالم وأكثر نورانيّة منه، ويعتبر المؤمنون هذا العالم المادّي سجناً ضيّقاً مظلماً "الدُّنيا سجنُ المؤمن"، ولذلك فإنّهم يعدّون الخلاص من هذا العالم عن طريق الشهادة ألذّ سعادة.

بعد هذه الكلمة المختصرة أُشير إلى عدّة آيات وروايات في فضيلة الشهادة والشهيد:

الآيات

١- "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ". [سورة الصفّ: ٤].

٢- "وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً". [سورة النساء: ٧٤].

٣- "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ". [سورة التوبة: ٢٠ و ٢١].

الحديث

١- في "نهج البلاغة": قال عليه السلام: "أمّا بعد، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة فتحَهُ اللَّه لخاصّة أوليائه، وهو لباسُ التقوى، درعُ اللَّه الحصينة، وجنّتهُ الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسهُ اللَّه ثوبَ الذُّلّ، وشمله البلاء، ودُيِّثَ بالصغار والقماءة..." [نهج البلاغة: الخطبة ٢٧].

الحديث.

٢- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "فوق كلّ ذي برٍّ برٌّ حتّى يقتل في سبيل اللَّه، فإذا قتل في سبيل اللَّه فليس فوقه برّ، وفوق كلّ ذي عقوق عقوق، حتّى يقتل أحد والديه، فإذا قتل أحد والديه فليس فوقه عقوق". [وسائل الشيعة ١١: ١٠].

٣- عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: "قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: للشهيد سبع خصال من اللَّه: الأوّل: أوّل قطرة من دمه مغفور له كلّ ذنب. الثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما. والثالثة: يكسى من كسوة الجنّة. والرابعة: تبتدره خزنة الجنّة بكلّ ريح طيّبة أيّهم يأخذه معه. والخامسة: أن يرى منزله. والسادسة: يقال لروحه: اسرح في الجنّة حيث شئت. والسابعة: أن ينظر في وجه اللَّه، وإنّها لراحة لكلّ نبيّ وشهيد". [المصدر المتقدّم: ١٠].

كلمة في اشتياق عليّ إلى الشهادة

كما أنّ عليّاً عليه السلام كان نموذجاً ومظهراً للكمالات الإنسانيّة والإلهيّة في جميع الفضائل والمناقب، فإنّ حاله في الشوق إلى الشهادة لا يختلف عن بقيّة حالاته، ولذلك نرى شوقه المتحرّق إلى الشهادة واضحاً في

كلماته، فقد ذكره مرّات ومرّات في كتبه ورسائله، وهذا في الواقع نوع من القيادة العلميّة السامية استعمله لتعليم أصحابه وشيعته التفاني والتلهّف إلى الشهادة في محاربة أعداء اللّه، ومن جملة تلك الكلمات ما قاله في يوم من أيّام صفّين حين ظنّ بعض جنوده خطأ أنّه يتباطأ في حرب أهل الشام، بل أخطأ البعض حين ظنّ أنّ تأخّر صدور أمر البدء بالقتال ناشئ عن خوف أمير المؤمنين عليه السلام من الموت والقتل، فأجابهم عليه السلام: "أمّا قولكم: أكلّ ذلك كراهية الموت؟ فواللّه، ما أُبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليَّ". [نهج البلاغة: الخطبة ٥٤].

ويقول عليه السلام قُبيل موته على سبيل الوصيّة لمّا ضربه ابن ملجم "لعنه اللّه": "واللّهِ، ما فَجَأَني مِنَ الْموتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طالِعٌ انكرتُهُ، وما كُنْتُ إلا كقارِبٍ وَرَدَ وطالِبٍ وَجَدَ". [نهج البلاغة: الكتاب ٢٣].

ويكتب عليه السلام حول أمله في نيل الشهادة: "فَوَاللّهِ، لولا طَمَعي عِنْدَ لِقائي عَدُوّي في الشّهادَةِ، وَتَوْطِيني نَفْسِي عَلى الْمَنِيّةِ لأَحْبَبْتُ أنْ لَا أبقى مَعَ هؤلاءِ يوماً واحِداً، ولا ألتقي بِهِمْ أبَداً". [المصدر المتقدّم: الكتاب ٣٥].

وفي "اختصاص المفيد رحمه الله": عن ابن دأب، وفي "البحار" عن "سعد السعود" للسيّد ابن طاووس، عن الشعبي، قال: إنّ عليّاً عليه السلام انصرف من أُحد وبه ثمانون جراحة يدخل الفتائل من موضع ويخرج من موضع، فدخل عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله عائداً وهو مثل المضغة على نِطع [النطع - بالكسر -: بساط من الجلد].

فلمّا رآه رسول اللّه صلى الله عليه و آله بكى فقال له: "إنّ رجلاً يصيبه هذا في اللّه لحقّ على اللّه أن يفعل به ويفعل"، فقال مجيباً له وبكى: "بأبي وأُمّي الحمد للّه الّذي لم يرني ولّيت عنك ولا فررتُ، بأبي وأُمّي كيف حُرمتُ الشهادة؟". قال صلى الله عليه و آله: "إنّها من ورائك إن شاء اللّه".

نبذة من الأخبار الواردة في شهادته

بشارة رسول اللّه إيّاه بشهادته

١- عن ابن المغازلي الشافعي بسنده عن عبداللّه بن سبع، قال: سمعت عليّاً عليه السلام على المنبر، وهو يقول: "ما ينتظر أشقاها، عهد إلَيَّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لتخضبنّ هذه من هذه"، وأشار ابن داود إلى لحيته ورأسه. فقال: يا أمير المؤمنين، مَن هو حتّى نبتدره؟ قال: "أنشد اللّه عزّ وجلّ رجلاً قتل بي غير قاتلي". [المناقب لابن شهرآشوب: ٢٠٥، ح ٢٤٢].

٢- وروى ابن عساكر الشافعي: بسنده عن عبداللّٰه بن سبع، قال: خطبنا عليّ بن أبى طالب عليه السلام، فقال: 'والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لتخضبنّ هذه من هذه'، يعني لحيته من دم رأسه. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٧٣، ح ١٣٥٤].

٣- وعنه أيضاً: عن زيد بن أسلم: أنّ أبا سنان الدؤلي حدّثه أنّه عاد عليّاً عليه السلام في شكوىً اشتكاها، قال: فقلت له: لقد تخوّفنا عليك - يا أمير المؤمنين - في شكواك هذه. فقال: 'ولكنّي - واللّٰه - ما تخوّفت على نفسي منه؛ لأنّي سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الصادق المصدوق يقول: 'إنّك ستضرب ضربةً هاهنا - وأشار إلى صدغه - فيسيل دمها حتّى تخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود'. [المصدر المتقدّم: ٢٧٦، ح ١٣٦١، و راجع فرائد السمطين ١:٣٨٧، ح ٣٢٠].

٤- و عنه أيضاً: عن زيد بن وهب، قال: قدم عليّ عليه السلام على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتّق اللّٰه - يا عليّ - فإنّك ميّت. فقال عليّ عليه السلام: 'بل مقتول ضربة على هذا يخضب هذه - يعني لحيته من رأسه - عهد معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٧٨، ح ١٣٦٤].

٥- وعنه أيضاً: عن أبي الطفيل: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا جمع النّاس للبيعة، جاء عبدالرحمن بن ملجم فردّه مرّتين، ثمّ قال عليّ عليه السلام: 'ما يحبس أشقاها، فواللّٰه لتخضبنّ هذه من هذا'، ثمّ تَمثّل:

أُشدد حيازيمك للموت* فإنّ الموت لاقيك**

ولا تجزع من القتل* إذا حلّ بواديك**

[المصدر المتقدّم: ٢٧٩، ح ١٣٦٥].

٦- وعنه أيضاً: عن فضالة بن فضالة الأنصاري - وكان أبو فضالة من أهل بدر - قال: خرجت مع أبي عائداً لعليّ عليه السلام من مرض [مرض عليّ عليه السلام بينبع في أطراف المدينة].

أصابه ثقل منه، قال: فقال له أبي: ما يقيمك بمنزلك هذا؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة، تحمّل إلى المدينة، فإنّ أصابك أجلك وليك أصحابك وصلّوا عليك. فقال عليّ عليه السلام: 'إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عهد إليَّ أن لا أموت حتّى أُؤمّر، ثمّ تخضب هذه، يعني لحيته، من دم هذه، يعني هامته'، فقتل عليّ عليه السلام، وقتل أبو فضالة مع عليّ عليه السلام يوم صفّين. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٨٣، ح ١٣٧٢، وروى نحوه في ص٢٨٤، ح ١٣٧٤، وفي فرائد السمطين ١:٣٩٠، ح ٣٢٧].

٧- وعنه أيضاً: عن أبي حرب بن أبي الأسود يحدّث عن أبيه، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: "أتاني عبدالله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنّك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف! ثمّ قال: وأيم الله، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله مثله يقوله". قال أبو حرب: فسمعت أبي يقول: فتعجّبت منه وقلت: رجل محارب يحدّث بهذا عن نفسه؟! [المصدر المتقدّم: ٢٨٠، ح ١٣٦٧].

قوله: "قاتلُ عليّ يهودي"

في "تاريخ دمشق": بسنده عن معاوية، عن جوين الحضرمي، قال: عرض عليّ عليه السلام على الخيل فمرّ عليه ابن ملجم فسأله عن اسمه - أو قال عن نسبه - فانتهى إلى غير أبيه، فقال له: "كذبت"، حتّى انتسب إلى أبيه، فقال: "صدقت، أما إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله حدّثني أنّ قاتلي شبه اليهود!! هو يهودي فامضه". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٩٣، ح ١٣٩١].

عيادته إيّاه فقال له: "لا تموت إلا مقتولاً"

١- عن ابن عساكر الشافعي بسنده عن أنس بن مالك، قال: مرض عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخل عليه النبيّ صلى الله عليه و آله فتحوّلتُ عن مجلسي، فجلس النبيّ صلى الله عليه و آله، حيث كنت جالساً وذكر كلاماً، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: "إنّ هذا لا يموت حتّى يملأ غيظاً، ولن يموت إلا مقتولاً". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٦٦، ح ١٣٤٣].

٢- وعنه أيضاً عن أنس بن مالك، قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام مريضاً، فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر جالسان، قال: فجلست عنده، فما كان إلا ساعة حتّى دخل نبيّ الله صلى الله عليه و آله فتحوّلتُ عن مجلسي، فجاء النبيّ صلى الله عليه و آله حتّى جلس في مكاني، وجعل ينظر في وجهي، فقال أبو بكر أو عمر: يا نبيّ الله، لا نراه إلا لما به. فقال صلى الله عليه و آله: "لن يموت هذا الآن، ولن يموت إلا مقتولاً". [المصدر المتقدّم: ٢٦٧، ح ١٣٤٤].

أقول: قول أبي بكر أو عمر: يا نبيّ الله، لا نراه إلا لما به، يعني رأيناه يُخاف عليه ممّا به.

قوله لعليّ: "أنت تُقتل على سنّتي"

عن ابن عساكر الشافعي عن أبي رافع: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: "أنت تقتل على سنّتي". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٦٩، ح ١٣٤٧].

قوله له: "قاتلك أشقى الأوّلين والآخرين"

١- روى ابن عساكر الشافعي عن عثمان بن صهيب، عن أبيه: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: "مَن أشقى الأوّلين؟". قال: "عاقر الناقة". قال: "فمن أشقى الآخرين؟". قال: "لا أدري". قال: "الّذي يضربك على هذا"، وأشار إلى رأسه. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٨١، ح ١٣٦٨].

٢- وعنه أيضاً: عن عمّار بن ياسر، قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع، فلمّا نزلها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أقام بها شهراً، فصالح بها بني مدلج، وكان رجال منهم يعملون في عين لهم، فقال لى عليّ عليه السلام: "يا أبا يقظان، هل لك أن نأتي هؤلاء وننظر كيف يعملون؟"، قال: فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة ثمّ غشينا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فواللّٰه، ما أهبنا إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بقدمه، فجلسنا وقد تتربّنا من تلك الدقعاء، فيومئذٍ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: "يا أبا تراب" لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا، فقال: "ألا أُخبركما بأشقى النّاس رجلين؟"، قلنا: بلى يا رسول اللّٰه. فقال: "أحيمر ثمود الّذي عقر الناقة، والّذي يضربك يا عليّ على هذه، فوضع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يده على رأسه، حتّى يبلّ منها هذه، ووضع يده على لحيته". [المصدر المتقدّم: ٢٨٥، ح ١٣٧٧].

وروى الحمويني في "فرائد السمطين"، نحوه، مع تفاوت يسير في بعض ألفاظه. [فرائد السمطين ١:٣٨٤، ح ٣١٦].

تقبيل النبيّ إيّاه وقوله: "بأبي الوحيد الشهيد"

و روى ابن عساكر الشافعي عن ابن ميثا، عن أبيه، عن عائشة، قالت: رأيت النبيّ صلى الله عليه و آله: التزم عليّاً عليه السلام وقبّله وهو يقول: "بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٨٤، ح ١٣٧٦].

خطبته المعروفة بالشعبانيّة، وإخباره عن شهادة عليّ

روى الصدوق في أماليه عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة النبيّ صلى الله عليه و آله في فضل شهر رمضان، فقال عليه السلام: 'فقمت فقلت: يا رسول اللَّه، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم اللَّه عزّ وجلّ، ثمّ بكى، فقلت: يا رسول اللَّه، ما يبكيك؟

فقال: يا عليّ، أبكي لما يستحلّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك'.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: 'يا رسول اللَّه، وذلك في سلامة من ديني؟'، فقال صلى الله عليه و آله: 'في سلامة من دينك'.

ثمّ قال صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، مَن قتلك فقد قتلني، ومَن أبغضك فقد أبغضني، ومَن سبّك فقد سبّني؛ لأنّك منّي كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إنّ اللَّه تبارك وتعالى خلقني وإيّاك، واصطفاني وإيّاك، واختارني للنبوّة، واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي.

يا عليّ، أنت وصيّي وأبو ولدي، وزوج ابنتي، وخليفتي على أُمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي، أُقسم بالذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البريّة، إنّك لحجّة اللَّه على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته على عباده'. [أمالي الصدوق - المجلس العشرون: ح ٤، والبحار ٤٢: ١٩٠، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام].

وأخبار أُخر في إخباره عليه السلام عن شهادته:

بكاء رأس اليهود عند سماعه خبر شهادته، وإسلامه

روى الصدوق بسنده عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث طويل - ذكر فيه اليهودي الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عمّا فيه من خصال الأوصياء، وكان منها أنّه عليه السلام أخبره بمحضر أصحابه عن قرب شهادته -: فبكى أصحاب عليّ عليه السلام وبكى رأس اليهود، وقالوا: يا أمير المؤمنين، أخبرنا بالأُخرى. فقال: 'الأُخرى أن تخضب هذه، وأومأ بيده إلى لحيته، من هذه؟ وأومأ بيده إلى هامته'.

قال: وارتفعت أصوات النّاس في المسجد الجامع بالضجّة والبكاء حتّى لم يبق بالكوفة دار إلا خرج أهلها فزعاً، وأسلم رأس اليهود على يدي عليّ عليه السلام من ساعته، ولم يزل مقيماً حتّى قُتل أمير المؤمنين عليه السلام وأُخذ ابن ملجم "لعنه اللَّه"، فأقبل رأس اليهود حتّى وقف على الحسن عليه السلام والنّاس

حوله وابن ملجم "لعنه اللّٰه" بين يديه، فقال له: يا أبا محمّد، اقتله قتله اللّٰه، فإنّي رأيت في الكتب الّتي أنزلت على موسى عليه السلام أنّ هذا أعظم عند اللّٰه عزّ وجلّ جرماً من ابن آدم قاتل أخيه، ومن القدّار عاقر ناقة ثمود. [خصال الصدوق ٣٨٢ - ٢:٣٦٤].

بيعة ابن ملجم وتأكيده في ميثاقه

وفي "إرشاد المفيد": عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين فبايعه عليه السلام فيمن بايع، ثمّ أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام، فتوثّق منه وتوكّد عليه ألا يغدر ولا ينكث، ففعل، ثمّ أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين عليه السلام الثانية فتوثّق منه وتوكّد عليه ألا يغدر ولا ينكث ففعل، ثمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين الثالثة، فتوثّق منه وتوكّد عليه ألا يغدر ولا ينكث، فقال ابن ملجم "لعنه اللّٰه": واللّٰه - يا أمير المؤمنين - ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

'أُريد حياته ويريد قتلي*** عذيرك من خليلك من مرادِ'

امض يابن ملجم، فواللّٰه، ما أرى تفي بما قلت'. [إرشاد المفيد ١:١٢].

يعنى لا تفى بميثاقك و عهدك.

لكن هذه العناية والتوجّه لا يؤثّر في قلبه الخبيث ونفسه الرذيلة وفعل ما فعل؟! ومضى مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان شهيداً حال الصلاة في محراب مسجد الكوفة بيد أشقى الأوّلين والآخرين عبدالرحمن بن ملجم المرادي "لعنه اللّٰه".

علي و الشجاعة

في كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف: 'وَاللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا'.

وقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تعدّ فرساً للفرّ والكرّ؟ فقال عليه السلام: 'أمّا أنا لا أفرّ، ومَنّ فرّ منّي فلا أطلبه'.

نهج البلاغة: الكتاب ٤٥

في مفهوم الشجاعة والجبن والتهوّر

الشجاعة تتعلّق بالقوّة الغضبيّة، وهي من الفضائل، وضدّها التهوّر والجبن، ولا بدّ أن نشير إلى التهوّر والجبن حتّى تتّضح الشجاعة، أمّا التهوّر فهو الإقدام على ما لا ينبغي، والخوض فيما يمنعه العقل والشرع

من المهالك والمخاوف، ولا ريب في أنّه من المهلكات في الدنيا والآخرة، ويدلّ على ذمّه قوله تعالى: 'وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ' [سورة البقرة: ١٩٥].

إذ من ألقى نفسه من الجبال الشاهقة، أو السطح العالي ولم يبال بالسيوف المصلتة، أو ألقى نفسه في البحار الغامرة الجارية ولم يحذر من الحيتان الخطرة و... فهلك، كان قاتلاً لنفسه بحكم الشريعة، وهو حرام محرّم، ويوجب الشقاء السرمدي، والعذاب الأبدي.

أمّا الجبن فهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره مع كونها أوْلى، ويلزم من الجبن مهانة النفس والذلّة وسوء العيش وطمع النّاس فيما يملكه، وقلّة ثباته في الأُمور، والكسل وحبّ الراحة، وهو يوجب الحرمان عن السعادات وتمكين الظالمين من الظلم عليه، واستماع القبائح من الشتم والقذف، ولذا ورد في الخبر: "لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً". [جامع السعادات ١:١٩٤].

وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إنّي أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر". [جامع السعادات ١:١٩٤].

أمّا الشجاعة فهي ضدّ هذين الجنسين، وهي طاعة قوّة الغضب للعاقلة في الإقدام على الأُمور الهائلة، وعدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رأيها، ولا ريب في أنّها أشرف الملكات النفسيّة، وأفضل الصفات الكماليّة، والفاقد لها بري ءٌ عن الفحليّة والرجوليّة، ولذا ورد في الأخبار المأثورة أنّ المؤمنين يتّصفون بها، قال عليّ عليه السلام في وصف المؤمن: "نفسه أصلب من الصلد". [جامع السعادات ١:١٩٤].

كلمة في شجاعة مولانا الإمام عليّ

اتّفق الصديق والعدوّ، والمحبّ والمبغض على شجاعة مولانا الإمام عليّ عليه السلام، وأنّه شجاع في جميع حالاته وأوضاعه، بحيث كانت شجاعته متداولة على الألسن.

قال ابن أبي الحديد: وما أقول في رجل... تصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بِيعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمّراً لحربه، وتصوّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة ابن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكانت على سيف آلب أرسلان وابنه ملك شاه صورته، كأنّهم يتفاءلون به النصر والظفر. [شرح ابن أبي الحديد ٢٩ - ١:٢٨].

و عنه أيضاً في كلام له: ولأنّ عليّاً عليه السلام كانت هيبته قد تمكّنت في صدور النّاس، فلم يكن يظنّ أنّ أحداً يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب، فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعة مبلغاً عظيماً لم يبلغه أحد من النّاس، لا مَن تقدّم ولا مَن تأخّر، حتّى كانت أبطال العرب تفزع باسمه.

ألا ترى إلى عمرو بن معدي كرب وهو شجاع العرب الّذي تضرب به الأمثال، كتب إلى عمر بن الخطّاب في أمرٍ أنكره عليه وغدر تخوّفه منه: أمّا واللّه لئن أقمت على ما أنت عليه، لأبعثنّ إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك! فقال عمرو بن معديكرب: لمّا وقف على الكتاب: هدّدني بعليّ واللّه! [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٥٩].

وقال المحبّ الطبري: وحديث شجاعته عليه السلام مشهور الآفاق. [ذخائر العقبى: ٩٨].

وقال ابن الأثير: وفي الحديث: "كانت ضربات عليّ عليه السلام مبتكرات لا عُوناً"، أي أنّ ضربته كانت بكراً، يقتل بواحدة منها لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانياً، يقال: ضربه بكر، إذا كانت قاطعة لا تُثنّى. والعون جمع عوان، وهي في الأصل الكهلة من النساء، ويريد بها هاهنا المثنّاة. [النهاية في اللغة ١:١٤٩، باب الياء مع الكاف].

و عن ابن المغازلي قال رجل لابن عبّاس: أكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يباشر القتال بنفسه؟ قال: إي واللّه، ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلفٍ من عليّ عليه السلام، فلربما رأيته يخرج حاسراً بيده السيفُ إلى الرجل الدرّاع فيقتله. [المناقب لابن المغازلي: ٧١، ح ١٠٣].

وقال سفيان الثوري: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين والمشركين، أعزّ اللّه به المسلمين، وأذلّ به المشركين. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٨].

ولهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لمّا رآه يشدّ الحرير على بطنه وصدره: ويلك، ما تريد أن تصنع؟ قال: أقتل عليّاً. قال: هبلتك الهُبول، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على ذلك؟ فاستبعد أن يتمّ لابن ملجم ما عزم عليه ورآه مراماً وعراً. [شرح ابن أبى الحديد ٢٥٩: ١٠].

قول اكثر الشارح المعتزلي في شجاعته

وقال ابن أبي الحديد مضافاً إلى ما مضى آنفاً عنه في شجاعة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام فقال: فإنّ عليّاً عليه السلام أنسى النّاس فيها "فى الشجاعة" ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة تُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربةً قطّ فاحتاجت الأُولى إلى ثانية، وفي الحديث: "كانت ضرباته وتراً".

ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح النّاس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرِق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي.

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر؛ قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله*** بكيتُه أبداً ما دُمتُ في الأبد

لكنّ قاتلَه من لا نظير له*** وكان يُدعى أبوه بيضةَ البلد

[بيضة البلد، تعني أبا طالب؛ إذ لم يكن أحد مثله في الشرف. كذا فسّر في "لسان العرب"].

وانتبه يوماً معاوية، فرأى عبداللّٰه بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبداللّٰه يُداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك بفعلت. فقال: لقد شَجُعت بعدنا، يا أبا بكر.

قال: وما الّذي تنكره من شجاعتي، وقد وقفتُ في الصفّ إزاء عليّ بن أبي طالب! قال: لا جَرم! إنّه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.

ثمّ قال: وجملة الأمر أنّ كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتهى، وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢١].

وقد ذكر الشارح المعتزلي في خاتمة من كلامه، فصل طويل في شجاعة عليّ عليه السلام تحت عنوان: "مُثُلٌ من شجاعة عليّ عليه السلام"، فراجعه. [انظر: المصدر المتقدم ١٩:٦٠].

ان شجاعته آية من آيات اللّٰه

لا شكّ أنّ شجاعته عليه السلام من آيات اللّٰه تعالى، كما ذكر الشيخ المفيد هذه الحقيقة في فصول من كتابه، وقال في ذلك:

ومن آيات اللّٰه تعالى الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران، مثل ما عُرِف له من كثرة ذلك على مرّ الزمان، ثمّ إنّه لم يوجد في ممارسي الحروب إلا من عرته "أي أصابته" بشرّ، ونِيلَ منه بجراحٍ أو شَينٍ إلا أمير المؤمنين عليه السلام.

فإنّه لم يَنَلْه مع طول زمان حربه جراحٌ من عدوٍّ ولا شينٌ، ولا وصل إليه أحدٌ منهم بسوء حتّى كان من أمره مع ابن ملجم لعنه اللَّه على اغتياله إيّاه ما كان، وهذه أُعجوبة أفرده اللَّه بالآية فيها، وخصّه بالعلم الباهر في معناها، فدلّ بذلك على مكانه منه وتخصّصه بكرامته الّتي بان بفضلها من كافّة الأنام.

ثمّ قال في فصل آخر: ومن آيات اللَّه تعالى فيه عليه السلام: أنّه لا يذكر ممارس للحروب لقي فيها عدوّاً إلا وهو ظافرٌ به حيناً وغير ظافر به حيناً، ولا نال أحدٌ منهم خصمه بجراح إلا وقضى منها وقتاً وعوفي منها زماناً، ولم يعهد من لم يفلت منه قرن في حرب ولا نجا من ضربته أحدٌ، فصلح منها إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه لا مرية في ظفره بكلّ قرن بارزه، وإهلاكه كلّ بطل نازله، وهذا أيضاً ممّا انفرد به عليه السلام من كافّة الأنام، وخرق اللَّه جلّ وعزّ به العادة في كلّ حين وزمان، وهو من دلائله الواضحة.

ثمّ قال أيضاً في فصل ثالث: ومن آيات اللَّه تعالى أيضاً فيه أنّه مع طول ملاقاته للحروب وملابسته إيّاها، وكثرة من مُني به فيها من شُجعان الأعداء وصناديدهم وتجمُّعِهم عليه، واحتيالهم في الفَتك به، وبَذْلِ الجهد في ذلك، ما وَلّى قطّ عن أحد منهم ظهره، ولا انهزم عن أحدٍ منهم، ولا تَزحزح عن مكانه، ولا هابَ أحداً من أقرانه، ولم يلق أحدٌ سواه خصماً له في حرب إلا وثبت له حيناً، وانحرف عنه حيناً، وأقدم عليه وقتاً، وأحجم عنه زماناً.

و إذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة، والمعجزة الظاهرة، وخرق العادة فيه بما دلّ اللَّه به على إمامته، وكشف به فرض طاعته، وأبانه بذلك عن كافّة خليقته. [إرشاد المفيد ٣٠٩ - ١:٣٠٧].

قوله: "إنّ أكرم الموت القتل..."

قوله عليه السلام: "إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ!". [نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣].

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ عليّاً عليه السلام أقسم أنّ القتل أهون من حتف الأنف، وذلك على مقتضى ما منحه اللَّه تعالى من الشجاعة الخارقة لعادة البشر، وهو عليه السلام يحاول أن يحضّ أصحابه ويحرّضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه، وإقدامهم على الحرب مماثلاً لإقدامه، على عادة الأُمراء في تحريض جندهم وعسكرهم، وهيهات إنّما هو كما قال أبو الطيّب:

يكلّف سيف الدولة الجيش هَمّه*** وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

[الخضارم: جمع الخضرم - بالكسر -: وهو الكبير العظيم].

ويطلب عند النّاس ما عند نفسه* وذلك ما لا تدّعيه الضراغم**

[الضراغم: جمع ضرغام، وهو الأسد].

ليست النفوس كلّها من جوهر واحد، و لا الطباع و الامزجة كلها من نوع واحد و هذه خاصية توجد لمن يصطفيه اللّٰه تعالى من عباده في الأوقات المتطاولة والدهور المتباعدة، وما اتّصل بنا نحن من بعد الطوفان - فإنّ التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا - إنّ أحداً أُعطي من الشجاعة والأقدام ما أُعطيه هذا الرجل "يعني عليّاً عليه السلام" من جميع فِرق العالم على اختلافها من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم.

والمعلوم من حاله أنّه كان يؤثر الحرب على السلم "فى سبيل اللّٰه تعالى"، والموت على الحياة، والموت الّذي كان يطلبه ويؤثره إنّما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش، كما قال الشاعر:

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذن* لمات إذ لم يمت من شدّة الحزن**

إلى آخر كلامه. [شرح ابن أبي الحديد ٧:٣٠١].

جملة من الأخبار الواردة في شجاعته

١- قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أنت فارس العرب، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت أخي ومولى كلّ مؤمن، وسيف اللّٰه الّذي لا يخطئ، وأنت رفيقي في الجنّة'. [صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٢٧٥، ح ١٤].

٢- قال الحسن بن عليّ عليهماالسلام في خطبته بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: 'لقد فارقكم رجلٌ بالأمس لم يَسبقه الأوّلون بعلم، ولم يُدركه الآخرون بعمل، كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يبعثه بالراية؛ جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتّى يفتح له'. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٣٨].

٣- وكان النبيّ صلى الله عليه و آله يهدّد الكفّار بشجاعة عليّ عليه السلام، فقد قال صلى الله عليه و آله لوفد ثقيف حين جاء: 'والّذي نفسي بيده، لتقيمنّ الصلاة، ولتؤتنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي أو كنفسي، فليضربنّ أعناق مقاتليهم، وليسبيّن ذراريهم'، قال: فرأى النّاس أنّه عنى أبا بكر وعمر، فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: هذا. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٨٥].

وفي الحديث الّذي رواه ابن عبدالبرّ في "الاستيعاب" بعد قوله صلى الله عليه و آله: 'وليسبينّ ذراريكم'، قال: 'وليأخذنّ أموالكم'. قال عمر: فواللّٰه، ما تمنّيتُ الإمارة إلا يومئذٍ، وجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول: هو هذا، قال: فالتفت إلى عليّ عليه السلام فأخذ بيده، ثمّ قال: 'هو هذا'. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤٦].

وروى أحمد بن حنبل في "الفضائل" عن شدّاد بن الهاد، قال: لمّا قدم على رسول اللّٰه وفد من اليمن ليشرح، فقال رسول اللّٰه: 'اللّهمّ لتقيمنّ الصلاة، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً يقتل المقاتلة، ويسبيّ الذرّيّة، قال: ثمّ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: اللّهمّ أنا أو هذا'، وانتشل [انتشل: أي أخرج] بيد عليّ عليه السلام. [فضائل الصحابة ٢:٦٠٠، ح ١٠٢٤].

٤- وبالجملة نشير إلى جمل من الأخبار الواردة في شجاعته عليه السلام من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله تكميلاً للبحث وتوضيحاً له: 'عليّ مثل موسى في بطشه'. 'عليّ مثل إسرائيل في هيبته'. 'عليّ مثل موسى في مناجاته وشجاعته'. 'عليّ مثل موسى في شدّته'. 'عليّ مثل موسى في شوكته وشجاعته'. 'عليّ قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين'، 'عليّ أشجع النّاس قلباً'. 'عليّ أسد اللّٰه في أرضه'. 'عليّ سيف اللّٰه في أرضه' 'عليّ قاتل الكفرة'. 'عليّ صاحب لواء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في الدنيا والآخرة'. 'عليّ أسد

اللَّه الغالب'. 'عليّ قاتل الفجرة'. 'عليّ يقاتل على التأويل'. 'عليّ أشجع العرب'. 'ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين'. 'إنّ اللَّه أيّد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعليّ'. 'إنّ لعليّ الشجاعة والخلافة كما أنّ للنبيّ صلى الله عليه و آله الرسالة والنبوة'. ودعاء النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'قَوّي اللَّه عضدك'. وقتل عليّ أصحاب الألوية يوم الخندق. ورجحان عمل عليّ يوم أُحد على عمل جميع الخلائق، وإنّ اللَّه باهى به الملائكة. وقول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'لأُقاتلنّ العمالقة بيد عليّ بإملاء جبرئيل'. [وغير ذلك من الأخبار المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه و آله الدالّة على شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أراد مصادر هذه الروايات بتمامها وتفصيلها فليراجع الإحقاق مع ملحقاته الّتي أوردها العلامة الحجّة آية اللَّه المرعشي: الأجزاء ٤ و ٥ و ٦ و ٨].

مثل من شجاعته في الغزوات والحروب

قال عباس محمود العقّاد في شجاعته عليه السلام في غزوة الخندق: وكان إلى قوّته البالغة شجاعاً لا ينهض له أحد في ميدان مناجزة، فكان لجرأته على الموت لا يهاب قرناً من الأقران بالغاً ما بلغ من الصولة ورهبة الصيت، واجترأ وهو فتى ناشئ على عمرو بن عبد ودّ فارس الجزيرة العربيّة الّذي كان يقوم بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه، وكانت وقعة الخندق، فخرج عمرو في الحديد ينادي جيش المسلمين: مَن يبارز؟ فصاح عليّ عليه السلام: 'أنا له يا بنيّ اللَّه...'، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وكان به إشفاق عليه: 'إنّه عمرو، اجلس'.

ثمّ عاد عمرو ينادي: ألا رجلٌ يبرز؟ وجعل يؤنّبهم قائلاً: أين جنّتكم الّتي زعمتم أنّكم داخلوها إن قُتلتم؟... أفلا تُبرزون إليَّ رجلاً؟ فقام عليّ مرّة بعد مرّة وهو يقول: 'أنا له يا رسول اللَّه'، ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول له مرّة بعد مرّة: 'اجلس، إنّه عمرو'، وهو يجيبه: 'وإن كان عمراً'.. حتّى أذن له، فمشى إليه فرحاً بهذا الإذن الممنوع كأنّه الإذن بالخلاص.

ثمّ نظر إليه عمرو، فاستصغره وأنف أن يناجزه وأقبلَ يسأله: مَن أنت؟...

قال: ولم يزد: 'أنا عليّ'. قال: ابن عبدمناف؟ قال: 'ابن أبي طالب'، فأقبل عمرو عليه يقول: يابن أخي... مِن أعمامك من هو أسنّ، وانّي أكره أن أُهريق دمك.

فقال له عليّ عليه السلام: 'ولكنّي - واللَّه - لا أكره أن أُهريق دمك'، فغضب عمرو، وأهوى إليه بسيف كان كما قال واصفوه، كأنّه شعلة نار، واستقبل عليّ الضربة بدرقته فقدّها السيف، وأصاب رأسه، ثمّ ضربه عليّ على حبل عاتقه فسقط ونهض، وسقط ونهض، وثار الغبار، فما انجلى إلا عن عمرو صريعاً وعليّ يجأر

بالتكبير، وكأنّما كانت شجاعته هذه القضاء الّذي لا يؤسى على مصابه؛ لأنّه أحجى المصائب وأقلّها معابة ألا يُدفع، فكانت أُخت عمرو بن عبدودّ تقول على سبيل التأسّي بعد موته:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله*** بكيتُه أبداً ما دُمتُ في الأبد

لكنّ قاتلَه من لا نظير له*** وكان يُدعى أبوه بيضةَ البلد

فكانت شجاعته من الشجاعات النادرة الّتي يُشرّف بها مَن يُصيب بها ومَن يُصاب، إلى آخر كلامه. [عبقرية الإمام عليّ عليه السلام للعقاد: ١٧].

وقال العلامة الإحسائي في شجاعته عليه السلام يوم الجمل: روى جابر الأنصاري، قال: شهدت البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً، فما رأيت منهزماً إلا وهو يقول: هزمني عليّ، ولا مجروحاً إلا يقول: جرحني عليّ، ولا مَن يجود بنفسه إلا وهو يقول: قتلني عليٌّ، ولا كنت في الميمنة إلا سمعت صوت عليّ عليه السلام، ولا في الميسرة إلا سمعت صوت عليّ عليه السلام.

ولقد مررتُ بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نَبلة، وقلت له: مَن رماك بهذه النبلة؟ فقال: عليّ بن أبي طالب. فقلت: يا حزب بلقيس، ويا حزب إبليس، إنّ عليّاً لم يرم بالنبل وما بيده إلا سيفه؟ فقال: يا جابر، أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء مرّة وينزل في الأرض أُخرى، وينزل مرّة من قِبل المشرق ومرّة من قِبل المغرب، وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً، فلا يمرّ بفارس إلا طعنه، ولا يلقى أحداً إلا قتله أو ضربه أو كبّه بوجهه، أو قال: 'مُتْ يا عدوّ اللّٰه'، فيموت فلا يفلت منه أحد. [المحلّى: ٤١٠، نقلاً عن كتاب الإمام عليّ: ٤٥١].

وبالجملة من مُثل شجاعته، مبيته على الفراش ليلة الغار معرّضاً نفسه للأخطار لم يخف ولم يحزن، فوقى النبيّ صلى الله عليه و آله بنفسه وفداه بمهجته غير هيّاب ولا متردّد ولا حزين. وخروجه بالفواطم جهاراً من مكّة ولحوق الفوارس الثمانية به لمّا علموا بخروجه حنقين عليه عازمين على قتله إن لم يرجع راغماً.

وما كان منه في وقعة بدر الّتي بها تمهّدت قواعد الدين وأذلّ اللّٰه جبابرة المشركين وقتل فيها رؤساءهم، وقعت الهيبة من المسلمين في قلوب العرب واليهود وغيرهم، وقد كان عليه السلام في هذه الوقعة قطب رحاها وليث وغاها، بارز الوليد بن عتبة أوّل نشوب الحرب فلم يلبث حتّى قتله، وشارك عمّه حمزة في قتل عتبة، واشترك هو وحمزة وعبيدة في قتل شيبة فأجهزوا عليه، وغير هؤلاء كما أوضحنا في فصل "عليّ يوم بدر"، وما كان من مثل شجاعته في وقعة أُحد أوضحناها في فصل "عليّ عليه السلام في غزوة أُحُد".

ومبارزته مرحباً يوم خيبر وقتله وفتح الحصن ودحو الباب، وخروجه بالراية بعد ما رجع غيره منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّونه، أو منهزماً يؤنّب قومه ويؤنّبونه، كما أوضحنا في فصل "عليّ عليه السلام يوم خيبر".

وثباته يوم حنين مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقد هرب عنه النّاس غير عشرة، تسعة من بني هاشم والعاشر أيمن بن أُمّ أيمن وقتله أبا جرول. وغير ذلك من فتوحات النبيّ صلى الله عليه و آله.

وكذلك ما وقع بعد وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في الجمل وصفّين والنهروان، فاشتهار شجاعته العظيمة فيها قد زاد عن حدّ التصوّر. [مستفاد من أعيان الشيعة ١:٣٣٩].

علي في القوّة و الأيد

قال الشارح المعتزلي: أمّا القوّة والأيد فبه يُضرب المثل فيهما، هو الّذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبة من النّاس ليقلبوه فلم يقلبوه. شرح ابن أبي الحديد ١:٢١

حسبك في ذلك قلعه باب خيبر

حسبك في ذلك قعله باب خيبر، وجعله جسراً على الخندق، وكان يغلقه عشرون رجلاً، وتترّسه يومئذٍ بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر. [أعيان الشيعة ١:٣٣٩].

قال الشيخ المفيد رحمه الله: وقد روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن ابن أبي عبداللَّه الجدلي، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "لمّا عالجتُ بابَ خيبر، جعلتُه مِجَنّاً لي وقاتلت القومَ، فلمّا أخزاهم اللَّهَ وضعتُ البابَ على حِصنهم طريقاً، ثمّ رميتُ به في خندقهم". فقال له رجل: لقد حَمَلتَ منه ثقلاً؟ فقال عليه السلام: "ما كان إلا مثل جُنّتي الّتي في يدي في غير ذلك المقام".

ثم قال: و ذكر أصحاب السِّير: أنّ المسلمين لمّا انصرفوا من خيبر راموا حمل الباب فلم يُقِلّه "أي يحمله" منهم إلا سبعون رجلاً، وفي حمل أمير المؤمنين عليه السلام الباب يقول الشاعر:

إنّ امرءاً حَمَل الرِّتاج بخيبر*** يوم اليهود بقدرةٍ لَمؤيّدُ

حمل الرِّتاج، رِتاج باب قَمُوصها *** والمسلمون وأهل خيبر شُهَّدُ

فَرَمى به ولقد تَكَلَّف رَدَّهُ*** سبعون شخصاً كُلُّهم له مَتَشَدِّدُ

رَدُّوه بعدَ مشقّةٍ وَتَكَلُّفٍ*** ومَقال بَعضِهِم لبعضٍ إرْدُدوا

[الرتاج: الباب العظيم]

[قموص: جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق اليهودي].

[الإرشاد ١:١٢٨].

وفي "البحار": عن أحمد بن حنبل، عن مشيخته، عن جابر الأنصاري: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله دفع الراية إلى عليّ عليه السلام في يوم خيبر بعد أن دعا له، فجعل يسرع السير وأصحابه يقولون له: ارفق حتّى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثمّ اجتمع منّا سبعون رجلاً، وكان جهدهم أن أعادوا الباب. [البحار ٤١:٢٧٩].

وفيه أيضاً عن "روض الجنان": قال بعض الصحابة: ما عجبنا - يا رسول اللّه - من قوّته "عليّ عليه السلام" في حمله ورميه وإتراسه، وإنّما عجبنا من إجساره وإحدى طرفيه على يده، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله كلاماً معناه: 'يا هذا، نظرت إلى يده فانظر إلى رجليه؟!'. قال: فنظرت إلى رجليه فوجدتهما معلّقين، فقلت: هذا أعجب، رجلاه على الهواء، فقال صلى الله عليه و آله: 'ليستا على الهواء، وإنّما هما على جناحي جبرئيل'. [المصدر المتقدّم: ٢٨١].

قول من الفخر الرازي في قوّته

قال الفخر الرازي في "تفسيره": إنّ كلّ من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقلّ ضعفاً، ولهذا قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'واللّهِ، ما قَلعتُ باب خيبر بقوّة جسمانيّة ولكن بقوّة ربّانيّة'؛ وذلك لأنّ عليّاً عليه السلام في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوّى روحه وتشبّه بجواهر الأرواح الملكيّة، وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره، وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الّذي يقول اللّه: كُنتُ لَهُ سَمعاً وبَصَراً، فإذا صار نور جلال اللّه سمعاً له سمع القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور بصراً له رأى القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور يداً له قدر على التصرّف في الصعب والسهل، والبعيد والقريب. [التفسير الكبير ٢١:٩١].

قول ابن أبي الحديد في قوّته

وقال ابن ابن أبي الحديد في شرحه: أمّا القوّة والأيد فبه يُضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في "المعارف": ما صارع أحداً قطّ إلا صرعه، وهو الّذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبة من النّاس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الّذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة - وكان عظيماً جدّاً - وألقاه إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة

العظيمة في أيّام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، وانبطّ الماء من تحتها. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢١].

كان ذا قوّة وأيد منذ صغره

في "البحار": عن أنس، عن عمر بن الخطّاب: أنّ عليّاً عليه السلام رأى حيّة تقصده وهو في مهده، وقد شدّت يداه في حال صغره، فحوّل نفسه فأخرج يده وأخذ بيمينه عنقها وغمزها غمزة [غمزه: حبسه، وكبسه باليد، أي شدّه وضغطه].

حتّى أدخل أصابعه فيها وأمسكها حتّى ماتت، فلمّا رأت ذلك أُمّه نادت واستغاثت فاجتمع الحشم، ثمّ قالت: كأنّك حيدرة. [البحار ٤١:٢٧٤، وحيدرة يعني الأسد، وقيل: الحيدرةفي الأسد مثل الملك في النّاس، وفي البحار: الحيدرة: اللبوة إذا غضبت من قبل أذى أولادها].

وفي "البحار": عن الصادق عليه السلام في خبر: قالت فاطمة بنت أسد "أُمّ عليّ عليه السلام": فشددته تعني عليّاً عليه السلام وقمّطته بقماط [القماط - بالكسر -: خرقة عظيمة تلفّ على الصغير إذا شدّ في المهد].

فنتر [نترها: شقّها بالأصابع أو الأضراس].

القماط، ثمّ جعلته قماطين فنترهما، ثمّ جعلته ثلاثة وأربعة وخمسة وستّة منها أديم [الأديم: الجلد ما كان].

وحرير فجعل ينترها، ثمّ قال: "يا أُمّاه، لا تشدّي يديّ، فإنّي احتاج أن أبصبص [البصبصة: تحريك الظباء أذنابها، والمراد هنا: تحريك الأصابع بالذِّكر].

لربّي بإصبعي". [البحار ٤١:٢٧٤].

وحضوره عليه السلام في الغزوات والحروب وقتل المشركين والمنافقين أقوى شاهدٍ على قوّة أيده وثبات قلبه.

علي في قوّة إيمانه و ترك المداهنة في دين اللّه

قال عليّ عليه السلام: "وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله أَ نِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ".

نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧

كلمة في قوّة إيمانه

لقد ملأ الإيمان باللَّه كلّ وجود عليّ بن أبي طالب، ولم يكن يقارنه أحد في قوّة الإيمان إلا رسول اللَّه، فقد بلغ مرحلة اليقين حتّى قال: "لو كُشِفَ الغِطاء ما ازددت يقيناً". [ينابيع المودّة: ٦٥].

لم يغفل عليّ عن اللَّه طرفة عين أبداً، فكان المصداق الكامل لقوله تعالى: "أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" [سورة الرعد: ٢٨].

وكان يذوب في ذات اللَّه حتّى ينسى في صلاته كلّ المصاعب والمعضلات، واستخراج النشّابة من رجله مثال لذلك. [شرح النهج للخوئي ٨:١٥٢].

بل هو الّذي يجيب ذلك الحبر الّذي سأله: هل رأيت ربّك؟ بقوله: "ويلك، ما كنت أعبدُ ربّاً لم أره".

ولم يخش عليّ إلا اللَّه، وكان مؤمناً بأن لا مؤثّر ولا مدبّر إلا هو، فكان لذلك لا يخاف أيّة قدرة ولا يهاب أيّة دسيسة ومؤامرة، وربّما صرّح بهذه العقيدة كما في محادثته مع قنبر. [في ينابيع المودّة: ٦٤، عن جعفر الصادق عليه السلام، قال: "كان قنبر يحبّ عليّاً حبّاً شديداً، فإذا خرج عليّ عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر، ما لك؟ قال: جئت لأمشي خلفك، قال: من أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض، وإنّ أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بإذن اللَّه من السماء، فارجع، فرجع"، ومن كلامه عليه السلام: "لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً"].

لقد كانت قوّة الإيمان هذه ميهمنة على عليّ في جميع مراحل حياته وظروفها المختلفة، فلم تتغيّر أيّام ضعفه حين تخاذل النّاس فأصبح جليس الدار، ولم تتغيّر أيّام قوّته وتسنّمه السلطة، ولم يضطرب ولم يتضجّر أيّام عزلته ووحدته، ولم تسكره نشوة الغرور أيّام حكومته، بل كان يئنّ أيّام قوّته آناء الليل أنيناً، يعجب منه مَن يسمعه ويراه بتلك الحالة، وقد ذكرنا ما رآه نوف البكالي وحبّة العرني في بحث "عليّ والعبادة".

بقي جليس الدار خمساً وعشرين سنة فصبر للَّه، وتحمّل المصاعب والشدائد لأجل بقاء دين اللَّه، وقد نفث بهذا الهمّ حين قال: "فَصَبَرتُ وُفي العَيْنِ قَذىً".

وبلغ إيمان عليّ حدّاً أنّه لم يكن للفرار إلى نفسه سبيلاً، وكان يرعب العدوّ في ميدان القتال، ويمنح المؤمنين قوّة واطمئناناً، ومع ذلك فإنّه ينهار أمام أنين اليتيم فلا يملك دموعه.

إنّ عليّاً عليه السلام نصير المظلوم وخصم الظالم، وكلّ ذلك ينبع من عين إيمانه العظيم، وعليّ عليه السلام تلميذ الرسول المطيع، فقد عرف قائده رسول اللَّه جيّداً، فكان مطيعاً له في الحرب والصلح [ففي روضة

الكافي: ٢١٧، ح ٣٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: 'كنت أُبايع لرسول الله صلى الله عليه و آله على العسر واليسر، والبسط والكره إلى أن كثر الإسلام، وكثف' الحديث].

فهو يبيت على فراش رسول الله ليلة الهجرة، ويفدي رسول الله صلى الله عليه و آله بنفسه في ساحة الحرب... لم يعترض يوماً على رسول الله، بل لم يسأله في أمر يقرّره قطّ، وقد أشار عليه السلام إلى هذه الحقيقة بقوله: 'وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله أَ نِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ'.

وهذا الإيمان القويّ والقلب المنير الّذي كان لعليّ هو الّذي جعله ثابتاً ومصرّاً على إقامة أحكام الله وحدوده، فلم يُلحظ عن عليّ أنّه انحرف عن أحكام الله أدنى انحراف، وقد وضع الجميع أمام القانون موضع المساواة، عدوّه وصديقه، القريب والبعيد، وحتّى أولاده وإخوته، ولم يداهن في دين الله قطّ، حتّى وإن أدّى ذلك إلى أن يعاتبه الأقربون والمحبّون، بل كان صارماً في إقامة الدين، وعلى حدّ تعبير ابن أبي الحديد: كان خَشِناً في ذات الله، لم يراقب ابن عمّه في عملٍ كان ولاه إيّاه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به... [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٨].

نعم، لقد ذاب عليّ عليه السلام في ذات الله، وآمن أنّ كلّ شيء لا يكون إلا بإذنه، فكان يريد ما أراد الله، ويطلب منه تعالى أن يجري طلبه بإذنه، وعلم أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قد صحّح وأيّد هذه الفكرة، ونشير إلى موارد تبيّن قوّة عمل المقرّبين والأقرباء في فترة حكومته، ليكون القارئ على بيّنة أكبر من أمر عليّ، وليكون منهجه أمام أعين جميع شيعته ليقتدوا به.

ويظهر من الحديث التالي مراتب إيمانه وكماله ومعرفته بالله تعالى، فروى المجلسي عن "توحيد الصدوق" عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'جاء حبرٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيتَ ربّك حين عبدته؟ فقال عليه السلام: 'ويلك، ما كنتُ أعبُدُ ربّاً لم أره'. قال: وكيف رأيته؟ قال عليه السلام: 'ويلك، لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان'. [البحار ٤١:١٦].

قول رسول الله في قوّة إيمانه وتنمّره في ذات الله

١- روى القندوزي الحنفي عن موفّق بن أحمد، بسنده عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال لي رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتحت خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً بحيث لا تمرّ على ملأ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك

يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي.

يا عليّ، أنت تؤدّي ديني، وتقاتل على سُنَّتي، وأنت في الآخرة أقرب النّاس منّي، وإنّك على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين، وأنت أوّل من يرد علَيّ الحوض، وأنت أوّل داخل في الجنّة من أُمّتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور رواء مرويّين مبيضّة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنّة جيراني، وإنّ أعداءك غداً ظماء مظمئين مسودّة وجوههم، مقمحون ومقمعون، يضربون بالمقامع - وهي سياط من نار - مقتحمين، حربك حربي، وسلمك سلمي' إلى أن قال: 'والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي' إلى آخره. [ينابيع المودّة: ٦٣].

٢- و روى ابن الجوزي الحنفي عن ربعي بن خراش: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خطب بالرُّحبة، فقال: 'لمّا كان يوم الحديبيّة خرج إلينا سهيل بن عمرو في جماعة من رؤساء الكفّار، فقال: يا محمّد، خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا، وليس لهم فقه في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعتنا فارددهم إلينا. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: سنفقّههم في الدين إن لم يكن لهم فقه. ثمّ قال: يا معاشر قريش، لتنتهنّ أو ليبعثنّ اللَّه عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين. فقالوا: ومَن ذلك؟ فقال: مَن امتحن اللَّه قلبه للإيمان، وهو خاصف النعل' و أشار الى عليّ عليه السلام. [تذكرة الخواصّ: ٤٥].

وروى الترمذي في سننه نحوه، وزاد في ذيله: 'وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها، ثمّ التفت إلينا عليّ عليه السلام فقال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: مَن كذب علَيّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار'. [سنن الترمذي ٥:٥٩٢، ح ٣٧١٥].

٣- و عن القندوزي الحنفي عن ابن المغازلي الشافعي، وصاحب المناقب، بسنديهما عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام، قال: 'قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب: يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان، ووضع عملك يوم أُحد على كفّة أُخرى لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق. وإنّ اللَّه باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحُجب عن السموات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين. وإنّ اللَّه تعالى يعوّضك ذلك اليوم ما يغبط كلّ نبيّ ورسول وصدّيق وشهيد'. [ينابيع المودّة: ٦٤].

٤- وروى ابن المغازلي: عن رقبة بن مصقلة بن عبداللَّه، عن أبيه، عن جدّه، قال: أتى عمر رجلان فسألاه عن طلاق العبد، فانتهى إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال: يا أصلع، كم طلاق العبد؟ فقال: باصبع هكذا،

فحرّك السبابة والّتي تليها، فالتفت إليهما، فقال: "اثنتين"، فقال أحدهما: سبحان اللّه، جئناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك، فجئت إلى رجل واللّه ما علّمك! فقال: ويلك وتدري مَن هذا، هذا عليّ بن أبي طالب. سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "لو أنّ السموات والأرض وضعتا في كفّة ووضع إيمان عليّ في كفّة، لرجح إيمان عليّ". [المناقب "مخطوط"، نقلاً عن الإحقاق ٥:٦١٤، وروى نحوه أخطب خوارزم في المناقب: ٨٧، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ١٠٠، وغيرهم].

٥- روى العلامة الصفوري البغدادي، عن عمر بن الخطّاب، أنّه قال: أشهد على النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: "لو وضعت السماوات السبع والأرضون السبع في كفّة، ووضع إيمان عليّ في كفّة لرجح إيمان عليّ". [نزهة المجالس ٢:٢٠٧].

قوله: "إنّ عليّاً أخشن في سبيل اللّه"

١- روى ابن عساكر الشافعي كذا ابن كثير عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت فيمن خرج معه، فلمّا أحضر إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا، وكنّا قد رأينا في إبلنا خللاً، فأبى علينا، وقال: "إنّما لكم منها سهم كما للمسلمين".

قال: فلمّا فرغ عليّ عليه السلام وانصرف من اليمن راجعاً أمّر علينا إنساناً فأسرع هو فأدرك الحجّ، فلمّا قضى حجّته قال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "ارجع إلى أصحابك حتّى تقدم عليهم".

قال أبو سعيد: وقد كنّا سألنا الّذي استخلفه علينا ما كان عليّ عليه السلام منعنا إيّاه ففعل، فلمّا جاء عرف في إبل الصدقة أنّها قد ركبت، رأى أثر المراكب، فذمّ الّذي أمّر واللّه، فقلت أنا: إنّ للّه علَيَّ لئن قدمتُ المدينة لأذكرنّ لرسول اللّه صلى الله عليه و آله ولأُخبرنّه ما لقينا من الغلظة والتضييق. قال: فلمّا قدمنا المدينة غدوت إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله أُريد أن أفعل ما كنت حَلفتُ عليه، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فلمّا رآني وقف معي ورحّب بي وساءلني وساءلته، قال: متى قدمت؟ قلت: قدمتُ البارحة، فرجع معي إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فدخل وقال: هذا سعد بن مالك ابن الشهيد، قال: ائذن له، فدخلتُ فحيّيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وحيّاني وسلّم علَيَّ وساءلني عن نفسي وعن أهلي فأحفى المسألة.

فقلت: يا رسول اللَّه، ما لقينا من عليّ عليه السلام من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، فاتّأد رسول اللَّه، وجعلت أنا أُعدّد ما لقينا منه حتّى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على فخذي - وكنت قريباً منه - وقال: 'سعد بن مالك ابن الشهيد، مه بعض قولك لأخيك عليّ، فواللَّه لقد علمتُ أنّه أخشن في سبيل اللَّه'. قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أُمّك سعد بن مالك، ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري، لا جرم واللَّه لا أذكره بسوء أبداً سِرّاً ولا علانيةً. [تاريخ دمشق، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٨٧، ح ٤٩٣، البداية والنهاية ٥:٩٥ و ٧:٣٥٩].

٢- وفي تاريخ الطبري: بسنده عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من اليمن ليلقى رسول اللَّه بمكّة تعجّل إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله واستخلف على جنده الّذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حُللاً من البزّ، الّذي كان مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا دنا جيشه خرج عليّ عليه السلام ليلقاهم، فإذا هم عليهم الحلل، فقال: 'ويحك ما هذا؟'. قال: كسوتُ القومَ ليتجمّلوا به إذا قدموا في النّاس. قال: 'ويلك، انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. قال: فانتزع الحلل من النّاس، وردّها في البزّ، وأظهر الجيش شكاية لما صنع بهم. [تاريخ الطبري ٢:٤٠١].

وبسند آخر عن أبي سعيد، قال: شكا النّاس عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فينا خطيباً فسمعته يقول: 'يا أيّها النّاس، لا تشكوا عليّاً، فواللَّه إنّه لأخشن في ذات اللَّه - أو في سبيل اللَّه -'. [تاريخ الطبري ٢:٤٠٢، وتاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٨٦، ح ٤٩٢، ومسند أحمد بن حنبل ٣:٨٦].

وفي بعض النسخ: 'فواللَّه، إنّه لأُخيشن [قوله: 'أُخيشن' هو أفعل تفضيل من خشن خشونة: ضدّ لان، والتصغير هنا للتعظيم. رياض السالكين: ١].

في ذات اللَّه - أو في سبيل اللَّه. [تاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٨٦، ح ٤٩٢].

شدّته مع مرسلة كتاب ابن أبي بلتعة إلى كفّار مكّة

قال ابن شهرآشوب: في الصحيحين والتاريخين والمسندين وأكثر التفاسير: أنّ سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام أتت النبيّ صلى الله عليه و آله من مكّة مسترفدة، فأمر صلى الله عليه و آله بني عبدالمطّلب بإسدانها [سدن: خدم].

فأعطاها حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنانير على أن تحمل كتاباً بخبر وفود النبيّ صلى الله عليه و آله إلى مكّة، وكان صلى الله عليه و آله أسرّ ذلك ليدخل عليهم بغتةً، فأخذت الكتاب وأخفته في شعرها، وذهبت فأتى جبرئيل وقصّ القصّة على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فأنفذ عليّاً عليه السلام والزبير، والمقداد، وعمّاراً، وعمر، وطلحة، وأبا مرثد خلفها، فأدركوها بروضة خاخ "موضع بين مكة و مدينه" يطلبوها بالكتاب فأنكرت وما وجدوا معها كتاباً، فهمّوا بالرجوع. فقال عليّ عليه السلام: 'واللَّه ما كذَبنا ولا كُذِّبنا' وسلّ سيفه وقال: 'أخرجي الكتاب وإلا واللَّه لأضربنّ عنقك؟'، فأخرجته من عقيصتها [العقيصة: ضفيرة الشعر].

فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب وجاء إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فدعا بحاطب بن أبي بلتعة، وقال له: 'ما حملك على ما فعلت؟'، قال: كنت رجلاً عزيزاً في أهل مكّة - أي غريباً ساكناً بجوارهم - فأحببت أن أتّخذ عندهم بكتابي إليهم مودّة ليدفعوا عن أهلي بذلك، فنزل قوله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ'. [الممتحنة: ١].

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٤٣، وقد ذكرنا تفصيل القصّة في فصل عليّ وغزوة مكّة"، فلاحظها].

شدّته مع أُخته في فتح مكّة

وفي "الإرشاد": لمّا بلغه "يعني عليّاً عليه السلام": أنّ أخته أمّ هاني قد آوت أناساً من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، فقصد عليه السلام نحو دارها مقّنعاً بالحديد، قال: 'اخرجوا من آويتم؟'، قال: فجعلوا يذرقون - واللَّه - كما تذرق الحبارى خوفاً منه، فخرجت إليه أمّ هاني وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبد اللَّه، أنا أمّ هاني ابنة عمّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأُخت عليّ بن أبي طالب عليه السلام انصرف عن داري. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'أخرجوهم!'، فقالت: واللَّه لأشكونّك إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشتدّ حتّى التزمته، وقالت: فديتك، حلفت لأشكونّك إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فقال لها: 'اذهبي فأبرِّيّ قسمك، فإنّه بأعلى الوادي'.

فقالت أمّ هاني: فجئت إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وهو في قبّة يغتسل وفاطمة عليهاالسلام تستره، فلمّا سمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كلامي، قال: 'مرحباً بأمّ هاني وأهلاً'. قلت: بأبي أنت وأُمّي، أشكو إليك اليوم ما لقيت من عليّ بن أبي طالب. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'قد أجرتُ من أجرتِ'. فقالت فاطمة عليهاالسلام: 'إنّما جئت - يا أمّ هاني - تشكين عليّاً عليه السلام في أنّه أخاف أعداء اللَّه وأعداء

رسوله؟". فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لقد شكر اللّٰه تعالى لعليّ سعيه، وأجرتُ من أجارت أُمّ هاني لمكانها من عليّ بن أبي طالب". [إرشاد المفيد: ١٢٣، الفصل ٣٥ من الباب ٢، وبحار الأنوار ٤١: ١٠].

اقامته الحدّ على إبن عمر

في "المناقب": عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "أقيم عبيداللّٰه بن عمر وقد شرب الخمر، فأمر به عمر أن يُضرب، فلم يتقدّم إليه أحد يضربه حتّى قام عليّ عليه السلام بنسعة مثنية فضربه بها أربعين. [المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٤٧].

اقامة الحدّ في حكومة عثمان

عن ابن شهر آشوب عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "إنّ الوليد بن عقبة حين شهد عليه شرب الخمر، قال عثمان لعليّ عليه السلام: اقض بيني وبين هؤلاء الّذين يزعمون أنّه شرب الخمر، فأمر عليّ عليه السلام أن يضرب بسوط له شعبتان أربعين جلدة". [المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٤٧].

وفيه أيضاً: عن مطر الورّاق، وابن شهاب الزهري في خبر: أنّه لمّا شهد أبو زينب الأسدي وأبو مزرع وسعيد بن مالك الأشعري وعبداللّٰه بن خنيس الأزدي وعلقمة بن زيد البكري على الوليد بن عقبة أنّه شرب الخمر، أمر عثمان بإقامة الحدّ عليه جهراً ونهى سرّاً، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه يدرأ عنه الحدّ، قام والحسن معه ليضربه، فقال: نشدتك اللّٰه والقرابة. فقال عليه السلام: "اسكت أبا وهب، فإنّما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود"، فضربه وقال: "لتدعوني قريش بعد هذا جلادها". [المناقب ٢: ١٤٨].

اذا رأى جوازاً لترك الحدّ تركه ولا يخاف لومة لائم

عن ابن شهر آشوب: روى أنّه خيّر لرجل فسق بغلام إمّا ضربه بالسيف، أو هدم حائط عليه، أو الحرق بالنّار، فاختار النّار لشدّة عقوبتها، وسأل النظرة لركعتين، فلمّا صلّى رفع رأسه إلى السماء، وقال: ربّ، إنّي أتيت بفاحشة وأتيت إلى وليّك تائباً، واخترت الإحراق لأتخلّص من نار يوم القيامة. فبكى عليّ عليه السلام وبكى مَن حوله، فقال عليّ عليه السلام: "ذاهب، فقد غفر اللّٰه لك". فقال رجل: يا أمير المؤمنين، تعطّل حدّاً من حدود اللّٰه. فقال: "ويلك، إنّ الإمام إذا كان من قِبل اللّٰه ثمّ تاب العبد من ذنب بينه وبين اللّٰه، فله أن يغفر له". [المناقب ٢: ١٤٨].

اقامة الحدّ، وقوله: "لَستُ أملك العفو"

وفي "المناقب": وأخذ رجلاً من بني أسد في حدّ، فاجتمع قومه ليكلّموا فيه وطلبوا إلى الحسن عليه السلام أن يصحبهم، فقال: "ائتوه فهو أعلى بكم عيناً، فدخلوا عليه وسألوه، فقال عليه السلام: لا تسألوني شيئاً أملك إلا أعطيتكم"، فخرجوا يرون أنّهم قد أنجحوا، فسألهم الحسن عليه السلام؟ فقال: أتينا خير مأتى، وحكوا له قوله، فقال: "ما كنتم فاعلين إذا جلد صاحبكم فاصنعوه"، فأخرجه عليّ عليه السلام فحدّه، ثمّ قال: "هذا واللّهِ لَستُ أملكه". [المناقب ٢:١٤٨].

اقامته الحدّ على شاعره النجاشي

في "الغارات" عن ابن حجر في "الإصابة": كان النجاشي الشاعر في عسكر عليّ عليه السلام بصفّين، ووفد على عمر بن الخطّاب، ولازم عليّ بن أبي طالب، وكان يمدحه عليه السلام. قال ابن قتيبة في "المعارف": كان النجاشى فاسقاً رقيق الإسلام، وخرج في شهر رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة، فمرّ بأبي سمّال الأسدي فوقف عليه، فقال: هل لك في رؤوس حُملان في كرشٍ في تنّورٍ من أوّل الليل إلى آخره، قد أينعت وتهرّأت؟ فقال له: ويحك، أفي شهر رمضان تقول هذا؟ قال: ما شهر رمضان وشوّال إلا واحد. قال: فما تسقيني عليها؟ قال: شراباً كالورس، يطيّب النفس، ويجري في العرق، ويكثر الطرق، ويشدّ العظام، ويسهّل للفدم الكلام، فثنى رجله فنزل فأكلا وشربا، فلمّا أخذ فيهما الشراب، تفاخرا، فعلت أصواتهما، فسمع ذلك جارٌ لهما، فأتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخبره، فبعث في طلبهما، فأمّا أبو سمّال فشقّ الخصّ ونفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي فأُتي به عليّ بن أبي طالب، فقال له: "ويحك ولداننا صيامُ وأنت مفطرٌ؟!"، فضربه ثمانين سوطاً و زاده عشرين سوطاً، فقال له: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ فقال: "هذه لجرأتك على اللّه في شهر رمضان"، ثمّ وقفه للنّاس ليروه في تبّان فهجا أهل الكوفة فقال:

إذا سقى اللّه قوماً صوب غادية*** فلا سقى اللّه أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهرٍ نساءَهم*** والناكحين بشطّي دجلة البقرا

والسارقين إذا ما جنّ ليلهم*** والطالبين إذا ما أصبحوا السورا

وقال:

ضربوني ثمّ قالوا: قدرٌ*** قدّر اللّه لهم شرّ القدر

[الغارات ٢:٩٠١ و ٩٠٢].

وعن أبي الزناد: لمّا حدّ عليّ عليه السلام النجاشي، غضب لذلك من كان مع عليّ "من اليمانيّة" وكان أخصّهم به طارق بن عبدالله بن كعب بن أُسامة النهدي، فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا، وشتّت أُمورنا، وحملتنا على الجادّة الّتي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النّار.

فقال عليّ عليه السلام: "وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ' [سورة البقرة: ٤٥].

يا أخا بني نهد، وهل هو إلا رجلٌ من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله، فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته، إنّ الله تعالى يقول: 'وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى'. [سورة المائدة: ٨].

قال: فخرج طارق من عند عليّ عليه السلام وهو مظهر بعذره قابل له، فلقيه الأشتر النخعي رحمه الله فقال له: يا طارق، أنت القائل لأمير المؤمنين: إنّك أوغرت صدورنا، وشتّت أُمورنا؟ قال: طارق: نعم، أنا قائلها. قال له الأشتر: والله، ما ذاك كما قلت، وإنّ صدورنا له لسامعة، وإنّ أُمورنا له لجامعة. قال: فغضب طارق، وقال: ستعلم يا أشتر إنّه غير ما قلت، فلمّا جنّه الليل همس هو والنجاشي إلى معاوية... الحديث. [الغارات ٢:٥٤٠، وشرح ابن أبي الحديد ٤:٨٩، وروي في البحار ٤١:٩١، عنه ملخّصاً، وقد ذكرنا قصّة النجاشي في فصل "عليّ إمام القانون"].

ردّه هديّة الأشعث لأنّها رشوة

كان عليّ عليه السلام قويّاً في دينه، لا تأخذه في الله لومة لائم، لم يداهن ولم يصانع طرفة عين، وإلى القدر الّذي يردّ هديّةً قُدّمت له من أحد عمّاله بقوّة وجرأة ودون أدنى تردّد، ولم يكتفِ بردّ الهديّة إذا شمّ فيها رائحة الرشوة، بل ويعنّف مُهديها ويذمّه.

ففي أحد الخطب الطويلة في "نهج البلاغة" يقول عليه السلام: 'وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ [الحسك: الشوك. السعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك] مُسَهَّداً [المسهّد: من سهّده: أي أسهره] أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً [المصفّد: المقيّد].

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْ ءٍ مِنَ الْحُطَامِ...'.

ويشير في أثنائها إلى هذا الموضوع، حيث يقول عليه السلام: "وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ [الملفوفة: نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ عليه السلام] فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا [شننتها: كرهتها].

كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ [الصلة: العطيّة].

أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ.

فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ! [هبلتك: ثكلتك. الهبول: المرأة الّتي لا يعيش لها ولد].

أَعَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَ نْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ. [امختبط:أي أمختلّ أنت؟ ذوجنّة: أي أصابه مسّ من الشيطان.تهجر:أي تهذي بماليس به معنى في غير مرض]. [نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤].

وقال الشارح المعتزلي: كان أهدى له الأشعث بن قيس نوعاً من الحلواء تأنّق فيه، وكان عليه السلام يبغض الأشعث؛ لأنّ الأشعث كان يُبغضه، وظنّ أنّه يستميله بالمهاداة لغرض دنيويّ كان في نفس الأشعث. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفطن لذلك ويعلمه، ولذلك ردّ هدية الأشعث، ولولا ذلك لقبلها؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قَبل الهدية، وقد قبل عليّ عليه السلام هدايا جماعة من أصحابه. ودعاه بعضُ مَن كان يأنسُ إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فأكل وقال: "لِمَ عَمِلْتَ هذا؟"، فقال: لأنّه يوم نوروز، فضحك، وقال: "نَوْرُزوا لنا في كلّ يومٍ إن استطعتم".

ثمّ قال ابن أبي الحديد: وكان عليه السلام من لطافة الأخلاق، وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة، ولكنّه كان ينفر عن قومٍ كان يعلم من حالهم الشنآن له، وعمّن يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين، وهيهات حتّى يلين لضرس الماضغ الحجر. [شرح ابن أبي الحديد ١١:٢٤٧].

وغير ذلك ممّا يظهر التزامه عليه السلام بأحكام الإسلام وحدوده، و سيأتي بعض أمثلته في فصل "عليّ عليه السلام أمام القانون" و"العدل"، و...، فلاحظها.

علي والإخلاص في العمل

قال عليّ عليه السلام: "إلهي، ما عبدتُك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك".

بحار الأنوار ٤١:١٤

حول مفهومي الرياء والإخلاص

الرياء: هو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير أو ما يدلّ عليها من الآثار. والإخلاص: هو تجريد القصد عن الشوائب كلّها، كثيرها وقليلها، والمخلص من يكون عمله لمحض التقرّب إلى اللّٰه من دون قصد شيء آخر أصلاً.

وأعلى مراتب الإخلاص هو الإخلاص المطلق، وإخلاص الصدّيقين، وهو إرادة محض اللّٰه تعالى من العمل دون توقّع غرض في الدارين. وأدنى مراتب الإخلاص هو قصد الثواب والاستخلاص من العذاب.

وجاء في الحديث الكثير من الثناء والمدح للإخلاص وللمخلصين، ومنه:

قال عليّ عليه السلام: 'طوبى لمن أخلص للّٰه العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر اللّٰه بما تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره'. [جامع السعادات ٢:٣١٣].

وقال أيضاً: 'إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّٰه رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّٰه رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّٰه شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ'. [نهج البلاغة: الحكمة ٢٢٩].

وقال أيضاً عليه السلام: 'الدنيا كلّها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له'. [سفينة البحار ١:٤٠١].

نبذة ممّا برز من إخلاص عليّ في العمل

لا يمكن لهذا الوجود أن ينجب شخصاً كعليّ عليه السلام في إخلاصه للّٰه جلّ وعلا بعد الرسول الأكرم صلى اللّٰه عليه و آله، فعليّ عليه السلام خير نموذج وأصدق معبّر عن كلّ القيم المعنوية السامية، حتّى أنّ غير المسلمين يجعلونه في إخلاصه نقطة تأمّل ومحطّ إعجاب وتقدير.

ولقد برهن إخلاصه للّٰه تعالى عمليّاً في جهاده وذوده عن حياض الإسلام وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وعبادته، وغيرها ممّا لا يحصر له، فكلّ أعماله يكلها اللّٰه تعالى خالصة لا يطلب بها غير وجهه، ولا يهمّه إلا مرضاته دون أدنى ريب، وكان بذلك مناراً للأجيال تحتذي به على طول التاريخ، وفيما يلي نشير إلى نماذج من إخلاصه:

١- في "البحار" وكذا في "مستدرك الوسائل": عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: لمّا أدرك عمرو بن عبد ودّ لم يضربه، فوقعوا في عليّ عليه السلام فردّ عنه حذيفة. فقال النبيّ صلى اللّٰه عليه و آله: 'مَه يا حذيفة، فإنّ عليّاً عليه السلام سيذكر سبب وقفته'، ثمّ إنّه ضربه، فلمّا جاء سأله النبيّ صلى اللّٰه عليه و آله عن ذلك؟ فقال: 'قد كان شتم أُمّي وتفل في وجهي فخشيتُ أن أضربه لحظّ نفسي فتركته حتّى سكن ما بي ثمّ قتلته في اللّٰه'. [البحار ٤١:٥٠، ومستدرك الوسائل ٣:٢٢٠].

٢- وفي التفسير المنسوب الى الإمام العسكري عليه السلام، قال: "أصبح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوماً وقدغصّ مجلسه بأهله، فقال: أيّكم أنفق اليوم من ماله ابتغاء وجه اللَّه؟ فسكتوا. فقال عليّ عليه السلام: أنا خرجت ومعي دينار أُريد أشتري به دقيقاً، فرأيت المقدادَ بن الأسود وتبيّنت في وجهه أثر الجوع، فناولته الدينار. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: وجبت.

ثمّ قام آخر فقال: يا رسول اللَّه، قد أنفقتُ اليوم أكثر ممّا أنفق عليّ، جهّزتُ رجلاً وامرأة يُريدان طريقاً ولا نفقة لهما، فأعطيتهما ألفي درهم، فسكت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. فقالوا: يا رسول اللَّه، ما لك قلتَ لعليّ عليه السلام: وجبت، ولم تقل لهذا وهو أكثر صدقة؟! فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أما رأيتم ملكاً يهدي خادمه إليه هدية خفيفة، فيُحسن موقعها عنده، ويرفع محلّ صاحبها، ويحمل إليه من عند خادم آخر هدية عظيمة فيردّها، ويستخفّ بباعثها؟ قالوا: بلى. قال: فكذلك صاحبكم عليّ عليه السلام دفع ديناراً منقاداً للَّه سادّاً خلّة فقير مؤمن، وصاحبكم الآخر أعطى ما أعطى رسول اللَّه، يريد به العلوّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأحبط اللَّه عمله، وصيّره وبالاً عليه. أمَا لو تصدّق بهذه النيّة من الثرى إلى العرش ذهباً ولؤلؤاً لم يزدد بذلك من رحمة اللَّه إلا بُعداً، وإلى سخط اللَّه تعالى إلا قرباً، وفيه ولوجاً واقتحاماً" الحديث. [تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٨٣، والبحار ١٨:٤١].

٣- وروى ابن شهر آشوب عن أبي بكر الشيرازي في كتابه، بإسناده عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: "رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ" إلى قوله: "بِغَيْرِ حِسَابٍ". [سورة النور: ٣٧ و ٣٨].

قال: هو واللَّه أمير المؤمنين، ثمّ قال بعد كلام له: وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أعطى عليّاً يوماً ثلاثمائة دينار أُهديت إليه، فقال عليّ عليه السلام: "فأخذتها وقلت: واللَّه لأتصدّقنّ الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها منّي، فلمّا صلّيتُ العشاء الآخرة مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أخذت مائة دينار، وخرجت من المسجد فاستقبلتني امرأة فأعطيتُها الدنانير، فأصبح النّاس يالغد يقولون: تصدّق عليّ عليه السلام الليلة بمائة دينار على امرأة فاجرة، فاغتممتُ غمّاً شديداً. فلمّا صلّيتُ الليلة القابلة صلاة العتمة أخذتُ مائة دينار وخرجت من المسجد، وقلت: واللَّه، لأتصدّقنّ الليلة بصدقة يتقبّلها ربّي منّي، فلقيتُ رجلاً فتصدّقت عليه بالدنانير، فأصبح أهل المدينة يقولون: تصدّق عليّ عليه السلام البارحة بمائة دينار على رجلٍ سارقٍ، فاغتممتُ غمّاً شديداً وقلت: واللَّه لأتصدّقنّ الليلة صدقة يتقبّلها اللَّه منّي، فصلّيتُ العشاء الآخرة مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثمّ خرجتُ من المسجد ومعي مائة دينار، فلقيتُ رجلاً فأعطيته إيّاها، فلمّا أصبحتُ قال أهل المدينة: تصدّق عليّ عليه السلام البارحة بمائة دينار على رجلٍ غنيّ، فاغتممت غمّاً شديداً.

فأتيتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فخبّرته فقال لي: يا عليّ، هذا جبرئيل يقول لك: إنّ اللَّه عزّ وجلّ قد قبل صدقاتك، وزكّى عملك، إنّ المائة دينار الّتي تصدّقت بها أوّل ليلة وقعت في يدي امرأة فاسدة، فرجعتْ إلى منزلها وتابت إلى اللَّه عزّ وجلّ من الفساد، وجعلت تلك الدنانير رأس مالها، وهي في طلب بعل تتزوّج به. وإنّ الصدقة الثانية وقعت في يدي سارق، فرجع إلى منزله وتاب إلى اللَّه من سرقته، وجعل الدنانير رأس ماله يتّجر بها. وإنّ الصدقة الثالثة وقعت في يدي رجلٍ غني لم يزكّ ماله منذ سنين، فرجع إلى منزله ووبّخ نفسه وقال: شحّاً عليكِ يا نفس، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام تصدّق علَيَّ بمائة دينار ولا مال له، وأنا فقد أوجب اللَّه على مالي الزكاة لأعوام كثيرة لم أُزكّه، فحَسَبَ ماله وزكّاه، وأخرج زكاةماله كذا وكذا ديناراً، فأنزل اللَّه فيك "رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ" الآية. [المناقب لابن شهر آشوب ٧٤: ٢، البحار ٤١:٢٨].

وفي إنفاقه للَّه أيضاً نزلت آيات كما في سورة هل أتى وآية: "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" [سورة الحشر: ٩].

وغير ذلك. وقد ذكرنا في فصول مختلفة لم نكرّرها رعاية للاختصار، بل جميع أعماله عليه السلام من العبادة، والحكومة، وجهاده، وإعانة الملهوفين، و... كلّها يأتيها عليه السلام خالصة لوجه اللَّه تعالى، رزقنا اللَّه تعالى تاسياً به في الإخلاص في العمل.

علي و العبادة

قال الشارح المعتزلي: فكان عليّ عليه السلام أعبد النّاس، وأكثرهم صلاةً وصوماً، ومنه تعلّم النّاس صلاة الليل....

شرح ابن أبي الحديد ١:٢٧

كلمة في عبادته

إنّ عليّاً عليه السلام قد بلغ في العبادة غايتها، ويشهد لذلك أنّ السهام كانت تؤخذ جسده عند الصلاة وهو غير شاعر بها [شرح نهج البلاغة للخوئي ٨:١٥٢].

لاستغراقه في مشاهدة جمال الحقّ وفنائه في اللَّه وانقطاعه بالكلّيّة عمّن سواه.

وكان عليّ بن الحسين السجّاد عليهماالسلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، ثمّ يأخذ صحف عبادات أمير المؤمنين عليه السلام وينظر ما فيها يسيراً ثمّ يتركها من يده كالمتضجّر المتأسّف على تقصير نفسه، ويقول: "مَن يقدر على عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟!". [المصدر المتقدّم ٢:٤٠٩].

نبذة ممّا ورد في عبادته وما قيل فيها

في "تفسير نور الثقلين": عن ثقة الإسلام الكليني عن عمّار الساباطي، عن أبي عبدالله عليه السلام: 'أنّ قوله تعالى: 'أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ' [سورة الزمر: ٩].

نزلت في عليّ عليه السلام يخبر بحاله وفضله عند الله تعالى'. [تفسير نور الثقلين ٤:٤٧٨].

وفيه أيضاً: عن السيّد ابن طاووس عن أبي إسحاق السبيعي، عن محمّد بن عليّ عليهماالسلام بعد السؤال عن قوله تعالى: 'وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ'. [سورة فاطر: ٣٢].

قال: 'يا أبا إسحاق، أمّا السابق بالخيرات فعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين والشهيد منّا، والمقتصد فصائم بالنهار، وقائم بالليل، وأمّا الظالم لنفسه ففيه ما في النّاس، وهو مغفور له'. [المصدر السابق ٤:٣٦٢].

و روى المجلسي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: 'إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ'. [سورة التين: ٦].

قال: 'ذاك أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فلهم أجر غير ممنون'. [البحار ٤١:١٦].

و روى الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'كان عليّ بن الحسين عليهماالسلام إذا أخذ كتاب عليّ عليه السلام فنظر فيه قال: مَن يطيق هذا، مَن يطيق ذا؟'. قال: 'ثمّ يعمل به، وكان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه حتّى يعرف ذلك في وجهه، وما أطاق أحد عمل عليّ عليه السلام من ولده من بعده إلا عليّ بن الحسين عليهماالسلام'. [روضة الكافي: ١٤٣، ح ١٧٢].

و عن ابن شهر آشوب عن ابن عبّاس في قوله تعالى: 'إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ' [سورة فاطر: ٢٨].

قال: كان عليّ عليه السلام يخشى الله ويراقبه، ويعمل بفرائضه، ويجاهد في سبيله. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٢٨].

وبالجملة فعليّ عليه السلام ملأ قلبه من محبّة الله تعالى وتعلّق بمرضاته، وأفرغه عن غيرها من أغراض البشر بحذافيرها، ولذا قال عليه السلام: 'إلهي ما عبدتُكَ خَوفاً من عِقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتُكَ أهلاً للعبادة فعبدتُكَ'. [البحار ٤١:١٤].

والحقّ إنّ الجنّة مشتاقة إلى عليّ عليه السلام وزفّت له، وعليّ اشتاق إلى وجه الله الكريم، ووجه الله ورضاه أعلى وأجل من الجنّة ونعيمها بأجمعها، ولم يعبد الله إلا عبادة خالصة لوجهه.

و عنه أيضاً عن سليمان بن المغيرة، عن أُمّه، قالت: سألت أُمّ سعيد سريّة عليّ عليه السلام عن صلاة عليّ عليه السلام في شهر رمضان؟ فقالت: رمضان وشوّال سواء يحيي الليل كلّه. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٣، والبحار ٤١:١٧].

و عنه أيضاً عن أبي يعلى في "المسند": أنّ عليّاً عليه السلام، قال: 'ما تركت صلاة الليل منذ سمعتُ قول النبيّ صلى الله عليه و آله: صلاة الليل نور'. فقال ابن الكوّاء: ولا ليلة الهرير؟ قال عليه السلام: 'ولا ليلة الهرير'. [المصدر المتقدّم ٢:١٢٣].

و عنه أيضاً: وكان عليّ عليه السلام يصوم النهار ويصلّي الليل ألف ركعة، وعمّر طريق مكّة، وصام مع النبيّ سبع سنين وبعده ثلاثين سنة، وحجّ مع النبيّ صلى الله عليه و آله عشر حجج، وجاهد في أيّامه الكفّار، وبعد وفاته البغاة وبسط الفتاوى، وأنشأ العلوم، وأحيا السُّنّة وأمات البدع. ولبعض السادة:

مفرّق الأحزاب ضرّاب الطلى*** مكسّر الأصنام كشّاف الغمم

الزاهد العابد في محرابه*** الساجد الراكع في جنح الظلم

صام هجيراً وعلى سائله*** جاد بإفطار الصيام ثمّ تمّ

وقال العبدي:

وكم غمرة للموت في اللّٰه خاضها*** ولجّة بحر في الحكوم أقامها

وكم ليلة ليلاء للّٰه قامها*** وكم صيحة مسجورة الحرّ صامها

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٣].

وقال ابن أبي الحديد: وأمّا العبادة فكان عليّ عليه السلام أعبد النّاس، وأكثرهم صلاةً وصوماً، ومنه تعلّم النّاس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُبْسَطُ له نطعٌ بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِرْدَه والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيهِ يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجلٍ كانت جبهته كثفنَةِ [الثفنة - بكسر بعد فتح -: ما يمسّ الأرض من البعير بعد البروك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين عليه السلام من كثرة السجود].

البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته، ووقفتَ على ما فيها من تعظيم اللّٰه سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزّته، والاستحذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلبٍ خرجت، وعلى أيّ لسان جرت.

وقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام - وكان الغاية في العبادة -: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: 'عبادتي عند عبادة جدّي، كعبادة جدّي عند عبادة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله'. [شرح النهج لابن أبي الحديد ١:٢٧].

حكاية حبّة العرني عن عبادة عليّ في آخر الليل

وروى العلامة المجلسي عن صاحب كتاب "زهد مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام" عن حبّة العرني، قال: بينا أنا ونوف نائمين في رحبة القصر إذ نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقيّة الليل، واضعاً يده على الحائط شبيه الواله وهو يقول: 'إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لَأُوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ...'. [سورة آل عمران: ١٩٤ - ١٩٠].

قال: ثمّ جعل يقرأ هذه الآيات، ويمرّ شبه الطائر عقله، فقال لي: أراقد أنتَ يا حبّة أم رامق؟'. قال: قلت: رامق، هذا أنت تعمل هذا العمل، فكيف نحن! فأرخى عينيه فبكى، ثمّ قال لي: 'يا حبّة، إنّ للّٰه موقفاً، ولنا بين يديه موقفاً، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا. يا حبّة، إنّ اللّٰه أقرب إليَّ وإليك من حبل الوريد. يا حبّة، إنّه لن يحجبني ولا إيّاك عن اللّٰه شيء '. ثمّ قال: 'أراقد أنت، يا نوف؟'. قال: لا يا أمير المؤمنين، ما أنا براقد، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة، فقال: 'يا نوف، إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من اللّٰه تعالى، قرّت عيناك غداً بين يدي اللّٰه عزّ وجلّ. يا نوف، إنّه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية اللّٰه إلا أطفأت بحاراً من النيران. يا نوف، إنّه ليس من رجل أعظم منزلة عند اللّٰه من رجل بكى من خشية اللّٰه، وأحبّ في اللّٰه، وأبغض في اللّٰه. يا نوف، إنّه مَن أحبّ في اللّٰه لم يستأثر على محبّته، ومَن أبغض في اللّٰه لم ينل ببغضه خيراً، عند ذلك استكملتم حقائق الإيمان'.

ثمّ وعظهما وذكّرهما، وقال في أواخره: 'فكونوا من اللّٰه على حذر، فقد أنذرتكما'، ثمّ جعل يمرّ وهو يقول: 'ليت شعري في غفلاتي أمعرض أنت عنّي أم ناظر إلَيَّ؟ وليت شعري في طول منامي وقلّة شكري في نعمك علَيَّ ما حالي؟'. قال: فواللّٰه، ما زال في هذا الحال حتّى طلع الفجر. [البحار ٤١:٢٢، والكنى والألقاب ذيل كلمة نوف، والقطعة الأخيرة مذكورة في النهج مع اختلاف].

صوته الحزين في مغيلات النخل

في "المناقب لابن شهرآشوب"، وفي "البحار" عن "أمالي الصدوق": عن عروة بن الزبير، قال: كنّا جلوساً في مجلس في مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أُخبركم بأقلّ القوم مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: مَن؟ قال: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: فواللَّه، إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه، ثمّ انتدب [انتدب له: أي أجابه].

له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

فقال أبو الدرداء: يا قوم، إنّي قائل ما رأيتُ، وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا، شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات [شويحطات: أشجار تتّخذ منها القسيّ].

النجّار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممّن يليه، واستتر بمغيلات [أي الملتفّ الكثير].

النخل، فافتقدته وبَعُدَ علَيّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي، وهو يقول: 'إلهي، كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك. إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمّل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك'، فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثمّ فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبثّ والشكوى، فكان ممّا ناجى اللَّه به أن قال: 'إلهي، أُفكِّر في عفوك فتهون عَليَّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم علَيَّ بليّتي'.

ثمّ قال: 'آه، إن أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أُذن فيه بالنداء'. ثمّ قال: 'آه، من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزّاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى'.

قال: ثمّ أنعم [أنعم: زاد وبالغ، وفي الأمالي: 'انغمر'].

في البكاء، فلم أسمع له حسّاً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، اوقظه لصلاة الفجر. فأتيتهُ فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرّك، وزويته فلم ينزو، فقلت: إنّا للَّه وإنّا إليه راجعون، مات واللَّه عليّ بن أبي طالب.

قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليهاالسلام: 'يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه وقصّته؟'، فأخبرتها الخبر، فقالت: 'هي - واللَّه، يا أبا الدرداء - الغشية الّتي تأخذه من خشية اللَّه'.

ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إلَيّ وأنا أبكي، فقال: ممّا بكاؤك يا أبا الدرداء؟'. فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك. فقال: 'يا أبا الدرداء، فكيف ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ، وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار، قد أسلمني الأحبّاء، ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي مَن لا تخفى عليه خافية'.

فقال أبو الدرداء: فواللّه، ما رأيتُ ذلك لأحد من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله. [البحار ٤١:١١، وفي المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٤، ملخّصاً].

علي و الخشوع في صلاته

قال ابن شهرآشوب: ونزل في عليّ عليه السلام قوله تعالى: 'قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ'.

المناقب لابن شهرآشوب ٢:٢٠

و الآيتان من سورة المؤمنون: ١ و ٢

في لفظ الخشوع، والخشوع في الصلاة

الخشوع: الخضوع. [مجمع البحرين ٤:٣٢١، مادة 'خشع'].

وقال شيخ الطائفة: الخشوع والخضوع والتذلّل والإخبات نظائر، وضدّ الخضوع الاستكبار. [تفسير التبيان ١:٢٠٤].

وقيل: الفرق بين الخشوع والخضوع هو: أنّ الخشوع في البدن والبصر والصوت، والخضوع في البدن. [المصدران السابقان].

والخشوع في الصلاة: قيل: خشية القلب والتواضع. وقيل: هو أن ينظر إلى موضع سجوده، بدليل أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يرفع بصره إلى السماء، فلمّا نزلت هذه الآية: 'الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ' [سورة المؤمنون: ٢].

طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض. [تفسير مجمع البيان ٧:٩٩، والبحار ٨٤:٢٢٨].

وقيل: هو الإقبال بالقلب وبالجوارح، بدليل أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال صلى الله عليه و آله: 'أما إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه'. [تفسير مجمع البيان ٧:٩٩، والبحار ٨٤:٢٢٨].

قال الشيخ الطبرسي: هذا دلالة على أنّ الخشوع في الصلاة يكون بالقلب والجوارح، فأمّا بالقلب فهو أن يفزع قلبه بجمع الهمّة لها والإعراض عمّا سواها، فلا يكون في غير العبادة والمعبود، وأمّا في الجوارح فهو غضّ البصر والإقبال عليها وترك الالتفات والعبث. [المصدر المتقدّم ٧:٩٩، والبحار ٨٤:٢٢٨].

وبالجملة ما يمكن أن يقال في الخشوع هو حالة التواضع والأدب الجسمي والروحي الّذي يعتري الإنسان عندما يواجه شخصيّة كبيرة أو حقيقة مهمّة، وتظهر آثاره على البدن، فلم يعتبر القرآن الكريم إقامة الصلاة لوحدها من علامات المؤمنين، بل إنّه يعدّ الخشوع في الصلاة من العلامات الخاصّة بالمؤمنين: 'الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ'.

تشير هذه الآية إلى أنّ صلاة المؤمنين ليست صلاة تردّد فيها الألفاظ وتؤدّي حركات لا روح فيها، فإنّ هذه الصلاة لا معنى لها، وإنّما صلاتهم صلاة تسودها حالة التوجّه إلى اللّه، والانقطاع عمّا سواه، فيتّصلون باللّه ويذوبون في التفكّر والحضور بين يدي اللّه ومناجاته حتّى تستولي هذه الحالة على كلّ ذرّات كيانهم، فيرون أنفسهم ذرات أمام هذا الوجود اللامتناهي، وقطرات أمام البحر المحيط.

امّا خشوع عليّ في الصلاة

لقد كان أئمّة الإسلام من النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ومن بعده أمير المؤمنين وسائر الأئمّة عليهم السلام أمثلة صادقة ومصاديق ناطقة بالخشوع في الصلاة، فتراهم ينقطعون فيها عمّا سوى اللّه، ويفنون في ذات اللّه، ولمّا كان بحثنا حول خشوع عليّ عليه السلام فإنّنا نخصّص الكلام فيه.

عندما كان يقف عليّ عليه السلام في الصلاة فإنّ بدنه كان في المحراب، أمّا قلبه وروحه فإنّها عند الملك الوهّاب، فلم يدر ما يدور حوله، فالخشوع عند عليّ عليه السلام هو: أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ولا يعرف مَن على يمينه وشماله. [مجمع البحرين ٤:٣٢١، مادة 'خشع'].

وقد بلغ خشوع عليّ في الصلاة الذروة القصوى حتّى نزلت في شأنه هذه الآية. قال ابن شهرآشوب: 'قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ' نزلت في عليّ عليه السلام. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٢٠].

وفي "تفسير البرهان": نزل في خشوعه في الصلاة قوله تعالى: 'وَاسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ'. [سورة البقرة: ٤٥].

قال: الخاشع: الذليل في صلاته، المقبل عليها، يعني رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام. [تفسير البرهان ١:٩٤].

و عن ابن شهر آشوب عن ابن عبّاس و محمّد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: 'وَاسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَ إنّها لَكَبيرةٌ الا عَلَى الْخاشِعين' الآية، والخاشع: الذليل في صلاته، المقبل عليها، يعني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٢٠].

وكان خشوعه في حدّ تكون جميع حواسّه وقواه متوجّهة شطر الحقّ حتّى إذا أُريد إخراج السهام والنصول الواقعة في بدنه وقت الحرب، تركوه إلى وقت صلاته فيخرجونها منه وهو لا يحسّ بذلك لاستغراق نفسه وتوجّهها نحو الحقّ.

وفي شرح نهج البلاغة للخوئي روى غير واحد من أنّ عليّاً عليه السلام قد أصابت رجله الشريفة نشّابة في غزوة صفّين، ولم يطق الجرّاحون إخراجها من رجله لاستحكامها فيه، فلمّا قام إلى الصلاة أخرجوها حين كونه في السجدة، فلمّا فرغ من الصلاة علم بإخراجه وحلف أنّه لم يحسّ ذلك أصلاً. [شرح نهج البلاغة للخوئي ٨:١٥٢].

في أخبار الباب

لا يخفى أنّ الخشوع في الصلاة أمر قلبي، ولا يطّلع أحد عادة على خشوع إنسان أو عدم خشوعه، ولذلك فإنّ كيفيّة خشوع عليّ عليه السلام في الصلاة لم يكن أمراً يدركه النّاس ليستطيعوا روايته ونقله، ولهذا قلّت الروايات الّتي تحكي خشوع عليّ عليه السلام في الصلاة، ونحن نورد هنا هذه الطائفة اليسيرة الّتي عثرنا عليها:

١- روى ابن شهر آشوب عن "تفسير القشيري"، قال: انّ عليّاً عليه السلام كان إذا حضره وقت الصلاة تلوّن وتزلزل فقيل له: ما لك؟ فيقول عليه السلام: 'جاء وقت أمانة عرضها اللّٰه تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها 'وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ' [سورة الأحزاب: ٧٢].

في ضعفي [كذا في المناقب، ولعلّ السياق: 'في ضعفه'].

فلا أدري أحسن إذا ما حملت أم لا"؟ [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٤].

٢- و عنه أيضاً عن تفسير وكيع السدّي وعطاء: عن ابن عبّاس أنّه قال: أُهدي إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ناقتان عظيمتان سمينتان، فقال للصحابة: 'هل فيكم أحد يصلّي ركعتين بقيامهما وركوعهما وسجودهما ووضوئهما وخشوعهما، لا يهتمّ فيهما من أمر الدنيا بشي ء، ولا يحدّث قلبه بفكر الدنيا، أُهدي إليه إحدى هاتين الناقتين؟".

فقالها مرّة ومرّتين وثلاثة لم يجبه أحد من أصحابه، فقام أمير المؤنين عليه السلام فقال: "أنا - يا رسول اللّه - أُصلّي ركعتين أكبّر التكبيرة الأُولى إلى أن أُسلّم منهما لا أُحدّث نفسي بشي ء من أمر الدنيا". فقال: "يا عليّ، صلّ، صلّى اللّه عليك". فكبّر أمير المؤمنين عليه السلام ودخل في الصلاة، فلمّا سلّم من الركعتين هبط جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، إنّ اللّه يقرئك السلام ويقول لك: أعطه إحدى الناقتين.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "إنّي شارطته أن يصلّي ركعتين لا يحدّث فيهما بشي ء من الدنيا أن أعطيه إحدى الناقتين، وإنّه جلس في التشهّد فتفكّر في نفسه أيّهما يأخذ".

فقال جبرئيل: يا محمّد، إنّ اللّه يقرئك السلام، ويقول لك: تفكّر أيّهما يأخذها أسمنهما وأعظمهما، فينحرها ويتصدّق بها لوجه اللّه، فكان تفكّره للّه عزّ وجلّ لا لنفسه ولا للدنيا، فبكى رسول اللّه وأعطاه كليهما، وأنزل اللّه فيه: "إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرَى" لعظة لمن له قلب وعقل: "أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ" يعني يستمع أمير المؤمنين عليه السلام بأُذنيه إلى من تلاه بلسانه من كلام اللّه "وَهُوَ شَهِيدٌ" [سورة ق: ٣٧].

يعني وأمير المؤمنين شاهد القلب للّه في صلاته، لا يتفكّر فيها بشي ء من أمر الدنيا. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٢٠، والبحار ٣٦:١٦١، ح ١٤٢].

علي و الزهد في الدنيا

قال الشارح المعتزلي: وأمّا الزهد في الدنيا فعليّ عليه السلام سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنقض الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

شرح ابن أبي الحديد ١:٢٦

كلمة في مفهوم الزهد و ترغيب الاسلام فيه

لا يخفى أنّ الزهد ممدوح؛ لأنّه أحد منازل الدين، وأعلى مقامات السالكين، وهو ضدّ الدنيا، والرغبة عنها، والزاهد لا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بجوارحه، إلا بقدر ضرورة بدنه، وإنّما يعرف زهد الزاهد فيها إذا كانت في يده ويزهد فيها، وأعلى مراتب الزهد - وهي الدرجة العليا - أن يرغب عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، أو عن غير اللّه تعالى، فمن رغب عن كلّ ما سوى اللّه حتّى الفردوس ولم يحبّ إلا اللّه تعالى فهو الزاهد المطلق.

نعم، مَن رغب عن حُظوظ الدُّنيا خوفاً من النّار أو طمعاً في نعيم الجنّة من الحور والفواكه والأنهار وسائر نِعم اللّه في الجنّة، فهو أيضاً زاهد ولكنّه دون الأوّل، أمّا من ترك بعض حُظوظ الدنيا دون بعض، كالذي يترك

المال دون الجاه، أو يترك التوسّع في المعاش دون التجمّل في الزينة لا يستحقّ أن يسمّيه زاهداً، وورد في المسألة أخبار كثيرة نذكر بعضها:

١- قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "مَن أصبح وهمّه الدنيا شتّت اللَّه عليه أمره، وفرّق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يؤته من الدنيا إلا كتب له. ومَن أصبح وهمّه الآخرة جمع اللَّه له همّه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة". [جامع السعادات ٢:٤٤].

٢- وعنه صلى الله عليه و آله أيضاً: قال لأمير المؤمنين عليه السلام: "يا عليّ، مَن عرضت له دنياه وآخرته، فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنّة، ومَن اختار الدنيا استخفافاً بآخرته فله النّار". [جامع السعادات ٢:٤٤].

٣- وعن الصادق عليه السلام: "جعل الخير كلّه في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا". [قصار الجمل ١:٢٨٦].

٤- وبيّن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مراتب الزهد وأعلى درجاته حيث قال: "إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ". [شرح نهج البلاغة: ١١٨٢، الحكمة ٢٢٩، والبحار ١٤:٤١].

٥- عن النبيّ صلى الله عليه و آله: "ليس الزهد في الدنيا لبس الخشن، وأكل الجشب، ولكنّ الزهد في الدنيا قصر الأمل". [قصار الجمل ١:٢٨٤].

٦- وقال عليّ عليه السلام: "الزهد تقصير الآمال، وإخلاص الأعمال". [الغرر والدرر ٢:٦٣، ح ١٨٤٤].

٧- وعن أبي الطفيل، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كلّ نعمة، والورع عن كلّ ما حرّم اللَّه عزّ وجلّ". [أُصول الكافي ٥:٧١].

٨- قال أبو عبداللَّه عليه السلام: "ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند اللَّه". [المصدر المتقدّم: ٧٠].

٩- وعن عليّ عليه السلام: "الزهد بين كلمتين من القرآن: "لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" [سورة الحديد: ٢٣].

ومَن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه". [قصار الجمل ١:٢٨٤].

١٠- وعن الصادق عليه السلام: "مَن اشتاق إلى الجنّة سارع إلى الخيرات، ومَن خاف من النّار لهى عن الشهوات، ومَن ترقّب الموت ترك اللذّات، ومَن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات". [جامع السعادات ٢:٤٦].

نظرة في زهد عليّ

اعلم أنّ زهد عليّ عليه السلام بلغ حدّاً بحيث كان يتداول على ألسن المُحبّ والمُبغض، فإنّ أكابر الصحابة في عصر خلافة عثمان وقبله قد درّت عليهم الدنيا من الفتوحات والعطاء من بيت المال، المال الكثير، فبنوا الدور، وجمعوا الأموال الكثيرة، وشيّدوا القصور وخلّفوها بعدهم.

قال المسعودي في "مروج الذهب" ما ملخّصه: في أيّام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور، منهم الزبير بن العوّام، بنى داره بالبصرة، وهي المعروفة، وداراً بمصر والكوفة والاسكندريّة، وبلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّف ألف فرس وألف أمة وألف عبد وأمة. وكذلك طلحة بن عبيدالله التميمي: كانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وشيّد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج. وكذلك عبدالرحمن بن عوف الزهري: ابتنى داره ووسّعها، وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف "شاة" من الغنم، وبلغ بعد وفاته رُبعُ ثمن مالِهِ أربعةً وثمانين ألفاً. وابتنى سعد بن أبي وقّاص داره بالعقيق، فرفَع سمكها، ووسّع فضاءها، وجعل أعلاها شُرُفات.

وقد ذكر سعيد بن المسيّب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلّف من الذهب والفضّة ما كان يكسّر بالفؤوس، غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار.

ومات يعلى بن مُنبه وخلّف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على النّاس، وعقارات، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار، وهذا باب يتّسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملّك من الأموال في أيّام عثمان.

أمّا عثمان فقد بنى داره في المدينة، وشيّدها بالحجر والكِلْس، وجعل أبوابها من الساج والعَرْعَر، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة [تاريخ مروج الذهب ٢:٣٤٢].

وذكر عبدالله بن عتبة أنّ عثمان يوم قُتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بواد القُرى وحُنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً. [المصدر المتقدّم: ٣٤١].

أمّا عليّ عليه السلام فلم يكن له أدنى نصيب منها في عطاء وغيره، ثمّ جاءته الخلافة وصارت بلاد الإسلام كلّها في يده عدا الشام، ومع ذلك لم يخلّف عند موته إلا ثلاثمائة درهم، لم يكن اختزنها، وإنّما أعدّها لخادمة

يشتريها لأهله، فمات قبل شرائها، فأين ذهبت الأموال الّتي وصلت إلى يده، وهو لم يصرفها في مأكل ولا ملبس ولا مركوب ولا شراء عبيد ولا إماء ولا بناء دار ولا اقتناء عقار؟! لقد كان عليه السلام يقسّمها بين رعيّته بالتساوي حتّى الرغيف والخيط، ولا يفرّق بينهم في العطاء، ولا يدّخر في بيت المال شيئاً، بل كان يكنسه حين يفرغ من القسمة ويصلّي فيه ركعتين، بل مات عليّ عليه السلام ولم يضع لبنة على لبنة، ولا تنعّم بشي ءٍ من لذّات الدنيا، بل كان يلبس الخشن، ويأكل الجشب، ويعمل في أرضه فيستنبط منها العيون، ثمّ يوقفها في سبيل اللّه، ويصرف ما يصل إلى يده من مال على الفقراء والمساكين وفي سبيل اللّه.

و زاد المسعودي في آخر كلامه و قال: لم يلبس عليّ عليه السلام في أيّامه ثوباً جديداً، ولا اقتنى ضيعةً ولا ربعاً إلا شيئاً كان له بينبع ممّا تصدّق به وحبسه. [المصدر المتقدّم: ٣٤١].

ما قاله رسول اللّٰه في زهده

١- في "أُسد الغابة وغيره": عن عمّار بن ياسر رضى الله عنه، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ بن أبي طالب: 'يا عليّ، إنّ اللّٰه عزّ وجلّ قد زيّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها؛ الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبّك وصدّق فيك، وويلٌ لمن أبغضك وكذب عليك، فأمّا الّذين أحبّوك وصدقوا فيك فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأمّا الّذين أبغضوك وكذّبوا عليك فحقّ على اللّٰه أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة'. [وفي أُسد الغابة ٤:٤٣: 'عمّار بن ياسر هو من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، وأُمّه سميّة، وهي أوّل مَن استشهد في سبيل اللّٰه، وهو وأبوه وأُمّه من السابقين، وفي كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢١٨، وكفاية الطالب: ١٩١].

٢- وفي "فرائد السمطين": بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّ اللّٰه قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى اللّٰه منها، هي زينة الأبرار عند اللّٰه تعالى، وهي الزهد في الدنيا، فجعلك لا تزرأ من الدنيا شيئاً، ولا تزرأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً'. [فرائد السمطين ١:١٣٦، ح ١٠٠، و نحوه في شرح نهج البلاغة للخوئي ٢:٤٠٨، وكفاية الطالب: ٦٦].

ما قاله الأئمّة المعصومون في زهده

و روى الكليني عن زيد بن الحسن، قال: سمعت أبا عبداللّٰه عليه السلام يقول: 'كان عليّ عليه السلام أشبه النّاس طعمة وسيرة برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وكان يأكل الخبز والزيت ويطعم النّاس الخبز واللحم'. قال: 'وكان عليّ عليه السلام يستقي ويحتطب، وكانت فاطمة عليهاالسلام تطحن وتعجن وتخبز وترقع، وكانت من أحسن النّاس وجهاً، كأنّ وجنتيها وردتان'. [روضة الكافي: ١٤٥، ح ١٧٦].

و في "الوسائل": بسند صحيح عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: 'واللّٰه ان كان عليّ عليه السلام ليأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد، وإن كان ليشتري القميصين السبيلانيّين، فيخيّر غلامه خيرهما ثمّ يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولّى خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً، ولا أورث بيضاء ولا حمراء. وإن كان ليطعم النّاس خبز البرّ واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخلّ، وما ورد عليه أمران كلاهما للّٰه رضىً إلا أخذ بأشدّهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يده، وتربت فيه يداه، وعرق فيه وجهه، وما أطاق عمله

أحد من النّاس، وإن كان ليصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وإن كان أقرب النّاس شبهاً به عليّ بن الحسين عليهماالسلام، وما أطاق عمله أحدٌ من النّاس بعده' - الحديث. [وسائل الشيعة ٦٦:١، ومجمع البيان ٨٨:٩].

وفي "روضة الكافي": عن الحسن الصيقل، قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: 'إنّ وليّ عليّ عليه السلام لا يأكل إلا الحلال؛ لأنّ صاحبه كان كذلك، وإنّ وَليّ عثمان لا يُبالي أحلالاً أكل أم حراماً؛ لأنّ صاحبه كذلك'.

قال الراوي: ثمّ عاد الإمام عليه السلام إلى ذكر عليّ عليه السلام، فقال: 'أما والّذي ذهب بنفسه ما أكل من الدنيا حراماً قليلاً ولا كثيراً، حتّى فارقها، ولا عرض له أمران كلاهما للّه طاعة إلا أخذ بأشدّهما على بدنه، ولا نزلت برسول اللّه صلى الله عليه و آله شديدة قطّ إلا وجّهه فيها ثقة به، ولا أطاق أحدٌ من هذه الأُمّة عمل رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعده غيره، ولقد كان يعمل عمل رجل كأنّه ينظر إلى الجنّة والنّار، ولقد أعتق ألف مملوك من صلب ماله كلّ ذلك تحفى فيه يداه ويعرق جبينه التماس وجه اللّه عزّ وجلّ، والخلاص من النّار، وما كان قوته إلا الخلّ والزيت، وحلواه التمر إذا وجده، وملبوسه الكرابيس، فإذا فضل عن ثيابه شيء دعا بالجلم [الجلم: مقصّ الصوف].

فجزّه'. [روضة الكافي: ١٤٤، ح ١٧٣، وروى في الغارات "٨١:١" عن أبي عبداللّه عليه السلام، نحوه].

ما قاله الاصحاب و غيره في زهده

١- عن "الغارات" عن مجمع التيمي: أنّ عليّاً عليه السلام كان يكنس بيت المال كلّ يوم جمعة، ثمّ ينضحه بالماء، ثمّ يصلّي فيه ركعتين، ثمّ يقول: 'تشهدان لي يوم القيامة'. [وسائل الشيعة ٨٣:١١، وتذكرة الخواصّ: ١٠٥].

٢- وفي قول آخر: قال: 'اشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين'. [وسائل الشيعة ٨٣:١١، وتذكرة الخواصّ: ١٠٥].

٣- و عن عمر بن عبدالعزيز، يقول: ما علمنا أنّ أحداً من هذه الأُمّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله أزهد من عليّ بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة. [تذكرة الخواص: ١٠٥].

٤- و قال ابن أبي الحديد في وصف أمير المؤمنين عليه السلام: وأمّا الزهد في الدنيا: فهو سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن النّاس مأكلاً وملبساً.

ثمّ روى عن عبدالله بن أبي رافع و قال: دخلت عليه يوم عيد فقدّم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدّم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: 'خفت هذين الولدين أن يُلتّاه بسمن أو زيت'.

مّ زاد ابن أبي الحديد في زهده عليه السلام و قال: وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارةً، وليف أُخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس [الكرباس - بالكسر - ثوب من القطن الأبيض، معرّب].

الغليظ، فإذا وجد كُمّه طويلاً قطعه بشفرة، ولم يَخِطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدىً لا لحمة له. وكان يأتدم إذا ائتدم بخلٍ أو بملحٍ، فإن ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً. ويقول: "لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان'، وكان مع ذلك أشدّ النّاس قوّة، وأعظمهم أيداً، لا ينقض الجوع قوّته، ولا يُخون [في نسخة: 'يخور'، يعني يضعف].

الإقلال مُنته. [مُنته: قوّته].

وهو الّذي طلّق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فكان يفرّقها ويمزّقها، ثمّ يقول:

هذا جناي وخياره فيه*** إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه

[شرح ابن أبي الحديد ١:٢٦].

٥- و روى العلامة الاربلي عن الخوارزمي و "تذكرة الخواصّ": عن أبي شهاب، قال: قال عمر بن عبدالعزيز: ما علمنا أحداً كان في هذه الأُمّة أزهد من عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه و آله. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢١٧، وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي: ١٠٥].

٦- و عن ابن عساكر الشافعي بإسناده عن حسن بن صالح، قال: تذاكروا الزهّاد عند عمر بن عبدالعزيز، فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبدالعزيز: أزهد النّاس في الدنيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [تاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٠٢، ح ١٢٥٤].

٧- قال العقّاد: وصدق في تقواه وإيمانه كما صدق في عمل يمينه ومقالة لسانه، فلم يعرف أحد من الخلفاء أزهد منه في لذّة دنيا أو سبب دولة، وكان وهو أمير المؤمنين يأكل الشعير وتطحنه امرأته بيديها، وكان

يختم على الجراب الّذي فيه دقيق الشعير، فيقول: "لا أُحبّ أن يدخل بطني ما لا أعلم". و قال عمر بن عبدالعزيز: "أزهد النّاس في الدنيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام". و قال سفيان: إنّ عليّاً لم يبنِ آجرةً على آجرةٍ، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، قد أبى أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة إيثاراً للخصاص الّتي يسكنها الفقراء، وربّما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام. [عبقرية الإمام: ٢٩].

تكملة

انظروا - أيّها الإخوة والأخوات الكرام هداكم اللّه وإيّاي - إلى شدّة زهد عليّ عليه السلام وقناعته، فإنّه عليه السلام منع نفسه من طعام يشتهيه، ومن ثياب يحبّها، وما ذاك إلا لأنّه اقتدى بسيرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ووطّن نفسه الشريفة على الصبر على جشوبة المأكل وخشونة الملبس رجاءً لما عند اللّه، وتأسّياً برسول اللّه صلى الله عليه و آله، فصار ذلك له ملكة وطبيعة، ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ويشير إلى ذلك ما في "أُصول الكافي": عن حميد وجابر العبدي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إنّ اللّه جعلني إماماً لخلقه، ففرض علَيَّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسى كضعفاء النّاس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يُطغي الغَنّي غناه". [أُصول الكافي ١: ٤١٠].

وقوله عليه السلام: "ففرض علَيَّ التقدير"، إشارة إلى أنّه يضيّق على نفسه في أكله وطعامه وغير ذلك حتّى لا يكون كالمتكبّرين المترفين الّذين تخدمهم الخدَمَة في كلّ أُمورهم، بل يكون كضعفاء النّاس الّذين لا مال لهم، فيسلك مسلك الفقراء كي يتأسّوا به.

والحاصل: أنّ الفقير لمّا رأى إمامه قد رضي باليسير من المعيشة رضي بفقره، وكذا الغنيّ إذا رآه فقيراً لم يطغه غناه، وعلم أنّه لو كان في الغنى خير لكان الإمام أوْلى به.

من أخبار زهده

نشير هنا إلى نبذة ممّا ظهر من زهده في أيّام خلافته على الممالك الإسلاميّة إلا الشام [أشرنا في فصل "عليّ عليه السلام والعدل" ما يدلّ على زهده أيضاً، فلاحظ].

حتّى تكون أُسوة ومقتدىً لحكّام البلاد الإسلاميّة في عصرنا هذا:

عتق ألف مملوك من كدّ يده

في "الغارات": عن عبداللّٰه بن الحسن عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: 'أعتق عليّ عليه السلام ألف مملوك بما مجلت [مجلت يداه: ثخن جلدها، ومنه حديث فاطمة عليهاالسلام: 'أنّها شكت إلى عليّ عليه السلام مجل يديها من الطحن'].

يداه وعرق جبينه عليه السلام. [الغارات ١:٩١].

وفيه أيضاً: عن جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: 'أعتق عليّ عليه السلام ألف مملوك ممّا عملت يداه، وإن كان عندكم إنّما حلواه التمر واللبن، وثيابه الكرابيس، وتزوّج عليه السلام ليلى [وهي ليلى بنت مسعود النهشليّة].

فجعل له حجلة، فهتكها، وقال عليه السلام: حسب أهل عليّ ما هم فيه'. [الغارات ١:٩٢].

و عن ابن أبي الحديد عن عنبسة العابد، عن عبداللّٰه بن الحسين بن الحسن، قال: أعتق عليّ عليه السلام في حياة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ألف مملوك ممّا مجلت يداه وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر، ولا ثيابه إلا الكرابيس. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٠٢].

اكله من لبن حازر ورغيف من شعير

روى الجويني عن عمران بن مسلم، عن سويد بن غفلة، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام القصر "قصر الإمارة بالكوفة" فوجدته جالساً "و" بين يديه صحفة فيها لبن حازر أجد ريحه من شدّة حموضته، وفي يديه رغيف أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسّره بيده أحياناً، فإذا أعيى عليه كسَره بركبتيه وطرحه في اللبن، فقال: 'ادن فأصب من طعامنا هذا؟'. فقلت: إنّي صائم. فقال: 'سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: مَن منعه الصيام من طعام يشتهيه، كان حقّاً على اللّٰه أن يطعمه من طعام الجنّة ويسقيه من شرابها'.

قال فقلت لجاريته - وهي قائمة |بقرب| منه -: ويحك يا فضّة، ألا تتّقين اللّٰه في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً ممّا أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً. قال: فقال لي عليّ عليه السلام: 'ما قلت لها؟'، فأخبرته. فقال: 'بأبي وأُمّي، مَن لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام حتّى قبضه اللّٰه تعالى'. [فرائد السمطين ١:٣٥٢، ح ٢٧٨، وروي نحوه في البحار ٤١:١٣٨، والغارات ١:٨٠، والمناقب لابن شهرآشوب ٢:٩٨، وكشف الغمّة ١:٢١٨، وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي: ١٠٧].

وفي "الغارات": بسنده عن عقبة بن علقمة، قال: دخلت على عليّ عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض آذتني [في البحار: "آذاني"].

حموضته وكسر يابسة. فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: "يا أبا الجنوب، رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا - وأشار إلى ثيابه - فإن أنا لم آخذ بما أخذ به، خفتُ أن لا ألحق به". [الغارات ١: ٨٤].

جلوسه على حصير رثّ

عن السبط ابن الجوزي عن سويد بن غفلة، قال: دخلتُ على عليّ عليه السلام يوماً وليس في داره سوى حصير رثّ وهو جالس عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء ؟ فقال عليه السلام: "يا سويد، إنّ اللبيب لا يتأثّث في دار النقلة، وأمامنا دار المقامة قد نَقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلِبون إليها عن قريب". قال: فأبكاني واللّٰه كلامه. [تذكرة الخواصّ: ١١٠].

حكاية الأحنف عند معاوية عن إفطاره

روى السبط ابن الجوزي، عن وكيع، عن الأحنف بن قيس، قال: دخلتُ على معاوية فقدّم إليَّ من الحلو والحامض ما كثر تعجّبي منه، ثمّ قال: قدّموا ذاك اللون، فقدّموا لوناً ما أدري ما هو. فقلت: ما هذا؟ فقال: مصارين البطّ محشوة بالمخّ ودهن الفستق قد ذرّ عليه السكّر. قال: فبكتُ، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: للّٰه درّ ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك. فقال معاوية: وكيف؟ قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي: "قم فتعشّ مع الحسن والحسين"، ثمّ قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثمّ ختمه. فقلت: يا أمير المؤمنين، لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمتَ على هذا الشعير؟ فقال عليه السلام: "لم أختمه بُخلاً، ولكن خفتُ أن يبسّه [بسّ السويق: خلطه بسمن أو زيت].

الحسن والحسين بسمن أو إهالةٍ". [الإهالة - بالكسر -: الشحم المذاب أو الزيت، وكلّ ما ائتدم به].

فقلت: أحرام هو؟ قال: "لا، ولكن على أئمّة الحقّ أن يتأسّوا بأضعف رعيّتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميّزوا عليهم بشي ء لا يقدمون عليه؛ ليراهم الفقير فيرضى عن اللّٰه تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً". [تذكرة الخواصّ: ١٠٦، وروى في نهج السعادة مستدرك نهج البلاغة ٢: ٤٨، ما ملخّصه].

و عنه أيضاً عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت عبدالملك بن عمر يقول: حدّثني رجل من ثقيف، قال: استعملني عليّ عليه السلام على عكبرا، وقال لي: 'إذا كان الظهر فأتني'. قال: فأتيته فلم أجد أحداً يحجبني عنه، ووجدته جالساً وحده وبين يديه قدح من خشب وكوز من ماء، فدعا بجراب مختوم، فقلت: لقد ائتمنني حيث يخرج إلَيّ جوهراً، ولا أعلم ما قيمته، فكسر الخاتم فإذا فيه سويق، فأخرج منه وصبّ في القدح ماء وذرّه عليه، ثمّ شرب وسقاني، فلم أصبر، وقلت: يا أمير المؤمنين، قد وسّع اللّٰه عليك، والطعام بالعراق كثير، فقال: 'واللّٰه، ما ختمت عليه بخلاً، وإنّما ابتاع قدر كفايتي، وأخاف أن يفنى فيوضع فيه من غيره، وإنّما أفعل هذا لئلا يدخل بطني غير طيّب'. [تذكرة الخواصّ: ١٠٧، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٣٣، نحوه].

اعطاء الكبد المشوي إلى الفقير

روى المحدّث القمّي عن "مصباح الأنوار"، قال: بلغنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام اشتهى كبداً مشويّة على خبزة ليّنة، فأقام حولاً يشتهيها، ثمّ ذكر ذلك للحسن عليه السلام وهو صائم يومٌ من الأيّام فصنعها له، فلمّا أراد أن يفطر قرّبها إليه فوقف سائل بالباب، فقال: يا بُنيَّ، احملها إليه، لا نقرأ في صحيفتنا غداً: 'أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا' [سورة الأحقاف: ٢٠].

بها'. [سفينة البحار ٢:٤٥٨، مادة 'كبد'].

موارد أُخر

في "أُسد الغابة": عن محمّد بن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: 'لقد رأيتني وإنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار'. [أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤:٢٣].

وفي "الغارات": عن عديّ بن ثابت، قال: أُتي عليّ عليه السلام بفالوذج فأبى أن يأكله. [الغارات ١:٨٨].

وزاد في "كشف الغمّة" في ذيل الحديث: وقال عليّ عليه السلام: 'شي ء لم يأكل منه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لا أُحبّ أن آكل منه'. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢١٩].

و عن السبط ابن الجوزي عن ابن عبّاس قال: أقام أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة مدّة خمس سنين لم يأكل من طعامهم، وما كان يأكل إلا من شيء يأتيه من المدينة، قال: وقدم إليه فالوذة، فلم يأكله، فقلت:

أحرام هو؟ قال: "لا ولكنّي أكره أن أُعوّد نفسي ما لم تعتدّ، وما أكل منه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله"، ثمّ أنشد:

'جسمك بالحميّة أقنيته*** من ضرر البارد والحارّ'

ويروى:

جسمك بالحميّة أنضيته*** مخافة البارد والحارّ

قد كان أولى أن تحتمي*** من المعاصي حذر النّار

[تذكرة الخواصّ: ١١٠].

وأنشأ الحميري:

وكان طعامه خبزاً وزيتاً*** ويؤثر باللحوم الطارقينا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٩٩].

منها في ملبسه ونعله

في "نهج البلاغة وغيره": عن عبداللّٰه بن عبّاس، قال: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار [ذي قار: موضع قريب من البصرة، وهي اليوم أحد محافظات العراق الجنوبيّة، وتُعرف بالناصريّة].

وهو يخصف [يخصف نعله: أى يخرّزها].

نعله، فقال لي: 'ما قيمة هذا النعل؟'. فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: 'واللّٰه، لهي أحبّ إلَيَّ من إمرتكم، إلا أن أُقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً'. [نهج البلاغة: الخطبة ٣٣، ونحوه في تذكرة الخواصّ: ١١٠].

وفى الغارات: عن أبي الأشعث العنزي، عن أبيه، قال: رأيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد اغتسل في الفرات يوم الجمعة، ثمّ ابتاع قميص كرابيس بثلاثة دراهم، فصلّى بالنّاس فيه الجمعة وما خيط جربانه [الجربان - بالكسر والضمّ - جيب القميص] بعدُ [الغارات ١:٩٧].

و روى ابن شهر آشوب عن فضائل أحمد بن حنبل، بسنده عن أبي مسعدة والباقر عليه السلام، قال: إنّه - أمير المؤمنين عليه السلام - أتى البزّازين فقال لرجل: 'بعني ثوبين'. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، عندي حاجتك، فلمّا عرفه مضى عنه، فوقف على غلام فأخذ ثوبين: أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين، فقال: 'يا قنبر، خذ الّذي بثلاثة'. فقال: أنت أوْلى به، تصعد المنبر وتخطب النّاس. قال عليه السلام: 'أنت شابّ ولك شره الشباب، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك، سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون وأطعموهم ممّا تأكلون'. فلمّا لبس القميص مدَّ كمَّ القميص فأمر بقطعه، واتّخاذه قلانس للفقراء،

فقال الغلام: هلمّ اكفّه، قال: دعه كما هو، فإنّ الأمر [قوله: "فإنّ الأمر أسرع"، يعني به أمر اللّه تعالى والأجل].

أسرع من ذلك". فجاء أبو الغلام، فقال: إنّ ابني لم يعرفك، وهذان درهان ربحهما. فقال عليه السلام: "ما كنت لأفعل، ماكست وماكسني، واتّفقنا على رضىً". [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٩٧].

علي يأمر عمّاله وأصحابه بالزهد

إنّ عليّاً عليه السلام لم يكتف بكونه زاهداً في نفسه، بل كان يأمر عمّاله بالزهد وترك الدنيا وزينتها، ويريد من عمّاله في الأمصار أن يكونوا مثله أو متشبّهين به على الأقلّ، ويتابع أوضاعهم وسيرتهم، فيبلغه عن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري أنّه دعي إلى مأدبة فذهب إليها، فيكتب إليه: "بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ. وَمَا ظَنَنْتُ أَ نَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ". [شرح نهج البلاغة: ٩٥٦، الكتاب ٤٥].

ومعنى هذا الكلام أنّه كان على ابن حنيف أن لا يجيب دعوة أحد من وجوه البصرة، فإنّ من يدعو الوالي إلى مأدبته لا يدعو معه إلا الأغنياء، ولا يدعو أحداً من الفقراء، وكيف يفعلون ذلك وثياب الفقراء بالية، وهيئاتهم رثّة ينفرون منها ومن رؤيتها، وإذا أرادوا أن يعطفوا على فقير منهم أرسلوا إليه شيئاً من الزاد، أو المال إلى بيته، ولم تسمح لهم أنفسهم أن يجالسوهم على مائدتهم.

ثمّ يريد من ابن حنيف أن يقتدي به في زهده، فيقول له: "أَ لَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِي ءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ". [شرح نهج البلاغة: ٩٥٦، الكتاب ٤٥].

ثمّ يرى أنّ ذلك غير ممكن فيقول له: "أَ لَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ". [شرح نهج البلاغة: ٩٥٦، الكتاب ٤٥].

ثمّ يحلف باللّه مؤكّداً فيقول: "فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً". [شرح نهج البلاغة: ٩٥٦، الكتاب ٤٥].

ثمّ يسوقه الألم والحزن من أمر فدك إلى ذكرها هنا، فيذكر أنّه مع كونه قادراً على التنعّم بملاذالدنيا فهو يتركها زهداً فيها، مواساةً للفقراء، فيقول: "وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا

الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ. وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ'. [شرح نهج البلاغة: ٩٥٦، الكتاب ٤٥].

وروى السيّد الرضي رحمه الله في "نهج البلاغة"، قال: ومن كلام له عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - يعوده، فلمّا رأى سعة داره، قال: 'مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ؛ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَن أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ'. [نهج البلاغة: ٦٥٣، الخطبة ٢٠٠].

مفهوم الزهد عند عليّ

قد يظنّ بعض العوامّ ممّن لا يعرف حقيقة الزهد في الإسلام أنّ الزهد ترك الدنيا بالمرّة، واختيار العزلة والانزواء دائماً، لكن ليس هذا العمل ممدوحاً فى الإسلام بل مذمومٌ ومرغوبٌ عنه، وقد يميل إلى هذا المفهوم بعض زهّاد النصارى وهو أمر لا يقرّه الإسلام، بل الزهد في درجة عالية من تهذيب النفس وقصر الأمل، قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'ليس الزهد في الدنيا لبس الخشن، وأكل الجشب، ولكنّ الزهد في الدنيا قصر الأمل'. [قصار الجمل: ٢٨٤].

وقال جعفر بن محمّد الصادق عليهماالسلام: 'الزاهد في الدنيا الّذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه'. [قصار الجمل ١:٢٨٥، وجامع السعادات ٢:٥٢].

وإلى هذا المعنى يرجع مفهوم الزهد عند أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: 'الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قال اللّه سبحانه: 'لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ'. [سورة الحديد: ٢٣].

فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه'. [قصار الجمل ١:٢٨٤، وجامع السعادات ٢:٥٢، وقد مرّ في مفهوم الزهد وترغيب الإسلام فيه في أوّل الفصل روايات تناسب هذا المعنى، فلاحظها].

لو رأى أمير المؤمنين عليه السلام بعض أصحابه يترك الدنيا والملأ ويلبس العباء يذمّه ويرشده إلى حقيقة الحال، كما نرى ذلك في عاصم بن زياد وأخوه ونشير إلى قصّتهما فيما يلي.

قصة عاصم بن زياد و أخوه

روى الكليني عن أحمد بن محمّد، بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملأ، وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قد غمّ

أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'عَلَيَّ بعاصم بن زياد'، فجيئ به، فلمّا رآه عبس في وجهه فقال له: 'أما استحييت من أهلك؟ أما رحمتَ ولدك؟ أترى اللَّه أحلّ لك الطيّبات وهو يكره أخذك منها؟ أنت أهون على اللَّه من ذلك، أوَليس اللَّه يقول: 'وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ'؟ [سورة الرحمن: ١٠ و ١١].

أوَليس اللَّه يقول: 'مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ' إلى قوله تعالى: 'يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ' [سورة الرحمن: ٢٢ - ١٩].

فباللَّهِ لابتذال نِعم اللَّه بالفعال أحبّ إليه من ابتذاله لها بالمقال، وقد قال اللَّه تعالى: 'وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ'. [سورة الضحى: ١١].

فقال عاصم: يا أمير المؤمنين، فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة [طعام جشب: غليظ].

وفي مَلبسك على الخشونة؟ فقال: 'ويحك، انّ اللَّه عزّ وجلّ فرضَ على أئمّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أنفُسَهُم بِضَعَفةِ النّاس كَيلا يَتَبَيَّغَ [تبيّغ به: هاج به].

بالفَقيرِ فَقْرُهُ'.

فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس المُلاء. [أُصول الكافي ١:٤١٠، ونحوه السيّد الرضي في نهج البلاغة الخطبة: ٢٠٩، وابن الجوزي في التذكرة: ١٠٦].

وقال ابن أبي الحديد في الشرح: اعلم إنّ الّذي رويته عن الشيوخ، ورأيته بخطّ عبداللَّه بن أحمد الخشّاب أنّ الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه، فكانت تنتقض عليه في كلّ عام فأتاه عليّ عليه السلام عائداً، فقال: 'كيف تجدك أبا عبدالرحمن؟'.

قال: أجدني - يا أمير المؤمنين - لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصري لتمنّيت ذهابه.

قال: 'وما قيمة بصرك عندك؟'.

قال: لو كانت لي الدنيا لفديته بها.

قال: 'لا جرم: ليعطينّك اللَّه على قدر ذلك، إنّ اللَّه تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة، وعنده تضعيف كثير'.

قال الربيع: يا أمير المؤمنين، ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي؟

قال: 'ماله؟'.

قال: لبس العباء [العباء: الكساء من الصوف، وهو لباس خشن].

وترك المُلاء [المُلاء - بالضمّ -: الثوب الليّن الرقيق].

وغمّ أهله وجَزَن ولده.

فقال عليّ عليه السلام: 'ادعوا لي عاصماً'، فلمّا أتاه عبّس وجهه عليه السلام، وقال: 'ويحك - يا عاصم - أترى اللَّه أباح لك اللذّات وهو يكره ما أخذت منها؟! لأنت أهون على اللَّه من ذلك، أو ما سمعته يقول: 'مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ' [سورة الرحمن: ١٩].

ثمّ يقول: 'يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ'. [سورة الرحمن: ٢٢].

وقال: 'وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا' [سورة فاطر: ١٢].

أما واللَّه إنّ ابتذال نعم اللَّه بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال؟ وقد سمعتم اللَّه يقول: 'وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ' [سورة الضحى: ١١].

وقوله: 'قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ'. [سورة الأعراف: ٣٢].

إنّ اللَّه خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين، فقال: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ'. [سورة البقرة: ١٧٢].

وقال: 'يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً'. [سورة المؤمنون: ٥١].

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لبعض نسائه: ما لي أراكِ شعثاء، مَرهاء سلتاء؟!. [قوله: 'شعثاء' الّتي اغبرّ رأسها، وتلبّد شعرها، وانتشر لقلّة تعهّده بالدهن. المرهاء: الّتي لا تكتحل. السلتاء: الّتي لا تختضب].

قال عاصم: فلو اقتصرت - يا أمير المؤمنين - على لبس الخشن وأكل الجشب؟

قال: 'إنّ اللَّه تعالى افترض على أئمّة العدل أن يُقدّروا لأنفسهم بالقوام، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره'. [قوله: 'أن يُقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس'، أي يُشبّهوا ويُمثّلوا.

ومعنى قوله: 'يجب على الإمام العادل أن يُشبّه نفسه ولباسه وطعامه بضعفة النّاس كيلا يهلك الفقراء من النّاس'، فإنّهم إذا رأوا إمامهم بتلك الهيئة وذلك المطعم كان أدعى لهم إلى سلوان لذّات الدنيا، وأبصر عن شهواتها].

فما قام عليّ عليه السلام حتّى نزع عاصم العباء ولبس مُلاءة. [شرح ابن أبي الحديد ١١:٣٥،قد مرّ في ص ٩١ عن الكليني، نحوه].

علي و الصبر

قال عليّ عليه السلام: 'فَصَبَرتُ وُفي العَيْنِ قَذىً. وَفي الحَلْقِ شَجاً، أَرى تُرَاثي نَهْباً'.

كلمة في معنى الصبر

الصبر: ضدّ الجزع. وهو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة، فيحبس لسانه عن الشكوى وأعضاءه عن الحركات غير المتعارفة، وهذا هو الصبر على المكروه وضدّ الجزع. [راجع جامع السعادات ٣:٢٢٥].

في "مستدرك السفينة" عن "المجمع": الصبر هو حبس النفس عن إظهار الجزع، وعن بعض الأعلام: الصبر حبس النفس على المكروه امتثالاً لأمر اللّه، ويؤيّده قوله تعالى: 'وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ' [سورة المدّثّر: ٧]. وهو من أفضل الأعمال حتّى قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "الإيمان شطران: شطر صبر، وشطر شكر'. [مستدرك السفينة ٦:١٤٤].

وقال المحقّق الطوسي: الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الاضطراب، واللسان عن الشكاية، والأعضاء عن الحركات غير المعتادة. [المصدر المتقدّم: ١٤٦، والبحار ٧٠:٦٨].

وقد وردت في القرآن الكريم في نيّف وسبعين موضعاً آيات في فضيلة الصبر، والأخبار المادحة له أكثر من أن تحصى، وأعرضنا عن ذكرها للاختصار، فمن أرادها فليطلبها في مظانّها. [انظر: كتاب "مسكن الفؤاد" للشهيد - باب الصبر وما يلحق به: ٤٥].

مراتب الصبر

الصبر على المكروه ومشاقّ العبادات وعلى ترك الشهوات إن كان بيسر وسهولة فهو الصبر حقيقة، وإن كان بتكلّف وتعب فهو التصبّر مجازاً، وإذا أدام التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسّر الصبر ولم يكن له تعب ومشقّة، كما قال تعالى: 'فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى'. [سورة الليل: ٧ - ٥].

ومتى تيسّر الصبر وصار ملكة راسخة أورث مقام الرضى، وإذا أدام مقام الرضى أورث مقام المحبّة، ولذا قال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث مقامات: الأوّل: ترك الشكوى، وهذه درجة التائبين. الثاني: الرضى بالمقدّر وهذه درجة الزاهدين. الثالث: المحبّة لما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصدّيقين. [جامع السعادات ٣:٢٢٧].

ولا يخفى أنّ هذه الدرجة لا يبلغها إلا من كان عارفاً باللّه وبأسرار حكمته وقضائه وقدره، بأن يعلم أنّ كلّ أمر صدر من اللّه وابتلى به عباده من ضيق أو سعة، وكلّ أمر مرغوب أو مرهوب على وفق الحكمة والمصلحة بالذات، فإذا صار بهذه المرتبة استعدّت نفسه للصبر ومقاومة الهوى في الغمّ والحزن، وطابت بقضائه وقدره، وتوسع صدره بمواقع حكمه، وأيقن بأنّ قضاءه لم يجر إلا بالخيرة.

وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، وحسن اليقين"، وإن بلغ بهذه الدرجة يتلذّذ بكلّ ما يرد عليه، ومثله يتمتّع بثروة لا تنفد، ويتأيّد بعزّ لا يفقد، فيسرح في ملك الأبد، ويعرج إلى قضاء السرمد. [السرمد: ما لا بداية له ولا نهاية له، والحديث من جامع السعادات ٣:٢٤١].

وهذه الدرجة من الصبر كانت لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على مدى عمره الشريف، فقد صبر في جميع النوائب والمصائب، وكان صابراً بوجه أعداء اللّه، وأمام المشاكل الاقتصاديّة وجميع الحوادث، لقد كان جليس داره ٢٥ سنة واغتصب حقّه المسلّم به، لكنّه صبر ولم يشتك ولو لمرّة واحدة، ولم يكن يعترض أو يتمنّى على اللّه في كلّ ما جرى عليه، لقد كان مثال الصبر ومظهر صفة الصابرين و"إِنَّمَا يُوَفَّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ". [سورة الزُّمر: ١٠].

صبر عليّ في القرآن

١- في "المناقب": عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبداللّه بن مسعود، في قوله تعالى: "إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا" [سورة المؤمنون: ١١١].

يعني صبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في الدنيا على الطاعات، وعلى الجوع، وعلى الفقر، وصبروا على البلاء للّه في الدنيا، إنّهم هم الفائزون. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٠].

٢- و فيه أيضاً: قال عليّ بن عبداللّه بن عبّاس: قوله تعالى: "وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" [سورة البلد: ١٧. سورة العصر: ٣].

عليّ بن أبي طالب. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٠، البحار ٤١:٣].

٣- و فيه أيضاً: و من صبره عليه السلام ما قال اللّه تعالى فيه: "الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" [سورة آل عمران: ١٧].

والدليل على أنّها نزلت فيه: أنّه قام الإجماع على صبره مع النبيّ في شدائد من صغره إلى كبره وبعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله، وقد ذكر اللّٰه تعالى صفة الصابرين في قوله: 'وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوْا' [سورة البقرة: ١٧٧].

وهذا صفته بلا شكّ. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١١٩، والبحار ٤١:٣].

تاكيد رسول اللّٰه على عليّ بالصبر

في المناقب عن "مسند أبي يعلى" و "اعتقاد الأشنهي" و "مجموع أبي العلاء الهمداني": عن أنس وأبي رفع، وفي "إبانة ابن بطة" من ثلاثة طرق: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله خرج يمشي إلى قبا، فمرّ بحديقة، فقال عليّ عليه السلام: 'ما أحسن هذه الحديقة؟'، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'حديقتك - يا علي - في الجنّة أحسن منها'، حتّى مرّ بسبع حدائق على ذلك، ثمّ أهوى إليه فاعتنقه فبكى صلى الله عليه و آله وبكى عليّ عليه السلام، ثمّ قال عليّ: 'ما الّذي أبكاك يا رسول اللّٰه؟'. قال: 'أبكي لضغائن في صدور قوم لن تبدو لك إلا من بعدي'. قال: 'يا رسول اللّٰه، كيف أصنع؟'. قال صلى الله عليه و آله: 'تصبر، فإن لم تصبر تلق جهداً وشدّةً'. قال: 'يا رسول اللّٰه، أتخاف فيها هلاك ديني؟'. قال: 'بل فيها حياة دينك'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢١].

قال الحميري:

قد كان في يوم الحدائق عبرة*** وقول رسول اللّٰه والعين تدمع

فقال عليّ: ممّ تبكي؟ فقال: من*** ضغائن قوم شرّهم أتوقّع

عليك، وقد يبدونها بعد منيّتي*** فماذا هديت اللّٰه في ذاك يصنع

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢١].

صبره على جراحاته في الجهاد

١- روى ابن شهر آشوب عن "تفسير المجمع" و "تفسير عليّ بن إبراهيم" أنّه أصاب عليّاً عليه السلام يوم أحد ستّون جراحة. [المصدر المتقدّم: ١١٩].

٢- و عنه أيضاً عن "تفسير القشيري": قال أنس بن مالك: أنّه أُتي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعليّ عليه السلام وعليه نيّف وستّون جراحة. [المصدر المتقدّم: ١١٩].

٣- و عنه أيضاً عن ابان: أمر النبيّ صلى الله عليه و آله أمّ سليم وأمّ عطية أن تداويا فقالتا: قد خفنا عليه، فدخل النبيّ صلى الله عليه و آله والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة، وجعل النبيّ صلى الله عليه و آله يمسحه بيده وهو يقول: 'إنّ رجلاً لقي هذا في اللّه لقد أبلى وأعذر'، فكان يلتئم.

فقال عليّ عليه السلام: 'الحمد للّه الّذي لم أفرّ، ولم أُولِّ الدبر'، فشكر اللّه تعالى له ذلك في موضعين من القرآن، وهو قوله تعالى: 'وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ' [سورة آل عمران: ١٤٥].

'وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ'. [مناقب ابن شهرآشوب ٢:١١٩، وفي البحار ٤١:٣، والآية ١٤٤ من سورة آل عمران].

و صبر عليّ عليه السلام على هذه الجراحات، ولم يشتك عند أحد لتيقّنه أنّها خير له، وهذا أعلى مراتب الصبر.

صبره على مصائب الدنيا

روى القندوزي الحنفي عن عليّ عليه السلام مرفوعاً: 'يا عليّ، كيف أنت إذا زهد النّاس في الآخرة، ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التراث أكلاً لمّاً، وأحبّوا المال حبّاً جمّاً، واتّخذوا دين اللّه دغلاً، ومال اللّه دولاً؟'.

قال: 'قلت: يا رسول اللّه، أتركهم وأترك ما فعلوه، وإنّي اختار اللّه ورسوله والدار الآخرة، واصبر على مصائب الدنيا وهواها حتّى ألحق بك بمشيّة اللّه'. قال: 'صدقت يا عليّ، اللّهمّ افعل ذلك به'. [ينابيع المودّة: ٢١٧].

صبره على الفقر

فى الاحقاق عن "ذخائر العقبى" لمحبّ الدين الطبري و "أرجح المطالب" لعبيداللّه الحنفي الأمرتسري، بالاسناد عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أتاها يوماً فقال: 'أين ابناي' - يعني الحسن والحسين -؟ قالت: 'أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق'. فقال عليّ عليه السلام: 'أذهب بهما، فإنّي أتخوّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء '، فذهب بهما إلى فلان اليهودي، فوجّه إليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله فوجدهما يلعبان في مشربةٍ بين أيديهما فضل من تمر، فقال صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، ألا تقلب ابنيّ قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما'.

فقال: فقال عليّ عليه السلام: 'أصبحنا وليس في بيتنا شيء ، فلو جلست - يا رسول اللّه - حتّى أجمع لفاطمة تمرات'، فجلس رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام ينزح لليهودي كلّ دلو بتمرة حتّى

اجتمع له شيء من تمر، فجعله في حجزته، ثمّ أقبل فحمل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أحدهما وحمل عليّ عليه السلام الآخر. [الإحقاق ٨:٦١٦].

و روى العلامة محبّ الدين الطبري، عن سهل بن سعد: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام دخل على فاطمة وحسن وحسين يبكيان، فقال: 'ما يبكيكما؟'. قالت: 'الجوع'، فخرج عليّ عليه السلام فوجد ديناراً في السوق فجاء إلى فاطمة فأخبرها، فقالت: 'اذهب إلى فلان اليهودي، فخذ لنا به دقيقاً'، فجاء إلى اليهودي فاشترى به دقيقاً. فقال اليهودي: أنت ختن [الختن: الصهر].

هذا الّذي يزعم أنّه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟ قال: 'نعم'، قال: 'فخذ دينارك وخذ الدقيق'.

فخرج عليّ عليه السلام حتّى جاء فاطمة فأخبرها، فقالت: 'اذهب إلى فلان الجزّار، فخذ لنا بدرهم لحماً'، فذهب فرهن الدينار بدرهم في لحم فجاء به، فعجنت وخبزت وطبخت، وأرسلت إلى أبيها صلى الله عليه و آله فجاءهم وقالت: 'يا رسول اللّٰه، أذكر لك فإن رأيته حلالاً أكلنا وأكلت: من شأنه كذا وكذا'.

فقال صلى الله عليه و آله: 'كلوا باسم اللّٰه'، فأكلوا، فبينما هم بمكانهم وإذا بغلام ينشد اللّٰه والإسلام الدينار، فأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً: 'يا عليّ، اذهب إلى الجزّار فقل له: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لك: أرسل إليَّ بالدينار ودرهمك علَيَّ'، فأرسل به فدفعه إليه. [ذخائر العقبى: ١٠٥].

احتجاجه يوم الشورى بالصبر على ضياع حقّه

في "فرائد السمطين": بسنده عن الحارث بن محمّد، عن أبي الطفيل عامر بن واثله، قال: كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليّاً عليه السلام يقول: 'بايع النّاس أبا بكر، وأنا واللّٰه أوْلى بالأمر منه، وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف. ثمّ بايع النّاس عمر، وأنا واللّٰه أوْلى بالأمر منه، وأحقّ به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع النّاس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف.

ثمّ أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟! إذن لا أسمع ولا أطيع، وانّ عمر جعلني من خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي، كلّنا فيه شرع سواء، وأيم اللّٰه، لو أشاء أن أتكلّم ثمّ لا يستطيع عربيّهم ولا عجميّهم ولا معاهد منهم، ولا المشرك ردّ خصلة منها، لفعلت'.

ثمّ قال: 'أنشدكم اللّٰه - أيّها الخمسة - أفيكم أحد هو أخو رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله غيري؟' قالوا: لا. قال: 'أمنكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة بن عبدالمطّلب، أسد اللّٰه وأسد رسوله غيري؟'. قالوا: لا. قال: 'أمنكم أحد له ابن عمّ مثل ابن عمّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟'. قالوا: لا. قال: 'أمنكم أحد له أخ مثل أخي

جعفر المزيّن بالجناحين يطير مع الملائكة في الجنّة؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سيّدة نساء هذه الأُمّة؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد له سبطان مثل الحسن والحسين سبطا هذه الأُمّة ابنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غيري؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد قتل مشركي قريش قبلي؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد وحّد اللَّه قبلي؟. قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد غسّل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبلي؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد سكن المسجد يمرّ فيه جنباً غيري؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتّى صلّى العصر غيري؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد قال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين قرب إليه الطير فأعجبه: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجئت أنا لا أعلم ما كان من قوله، فدخلت عليه قال: وإلَي يا ربّ، وإلَيَّ يا ربّ، غيري؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد كان أقتل للمشركين عند كلّ شديدة تنزل برسول اللَّه صلى الله عليه و آله منّي؟". قالوا: لا. قال: "أمنكم أحد كان أعظم غناءً عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين اضطجعت على فراشه ووفيته بنفسي وبذلت له مهجتي غيري؟".... قال: "أفيكم أحد يطهّره كتاب اللَّه غيري، حتّى سدّ النبيّ صلى الله عليه و آله أبواب المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه، حتّى قام إليه عمّاه حمزة والعبّاس، وقالا يا رسول اللَّه، سددت أبوابنا وفتحت باب عليّ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: ما أنا فتحت بابه، ولا سددتُ أبوابكم، بل اللَّه فتح بابه وسدّ أبوابكم؟". قالوا: لا. قال: "أفيكم أحد تمّم اللَّه نوره من السماء حتّى قال: "فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ"؟ [سورة الروم: ٣٨].

قالوا: اللّهمّ لا. قال: "أفيكم أحد ناجى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ستّ عشرة مرّة غيري حين نزل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً". [سورة المجادلة: ١٢].

قالوا: اللّهمّ لا. قال: "أفيكم أحد ولي غمض رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غيري؟. قالوا: لا. قال: "أفيكم أحد كان آخر عهده برسول اللَّه صلى الله عليه و آله حتّى وضعه في حفرته غيري؟". قالوا: لا. [فرائد السمطين ١:٣١٩، ح ٢٥١].

ومع وجود هذه الفضائل والمناقب فيه عليه السلام صبر للَّه وفي اللَّه حتّى لا يتشتّت أمر المسلمين، ولم يرجع النّاس كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، وهذا الصبر من أحسن الصبر، وله أجر غير ممنون.

توصية عليّ المصاب بالصبر

لم يكن عليّ عليه السلام يصبر بذاته حين روّض نفسه على الصبر، بل إنّه عليه السلام وبمقتضى الآية الكريمة: 'وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ' كان يوصي من ابُتلي بالمصائب والمشاكل بالصبر.

ففي "الكافي": عن عبدالله بن ميمون، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'دخل أمير المؤمنين عليه السلام المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'ما لك؟'. قالوا: يا أمير المؤمنين، أُصبت بأبي وأخي، وأخشى أن أكون قد وجلت. [الوجل: استشعار الخوف، وكأنّ المعنى: أخشى أن يكون حزني بلغ حدّاً مذموماً شرعاً فعبّر عنه بالوجل، أو أخشى أن تنشقّ مرارتي من شدّة الألم أو أخشى الوجل الّذي يوجب الجنون].

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله، والصبر تقدّم عليه غداً [الضمير في 'عليه' راجع الى الصبر، و 'غداً' أي في القيامة، أو عند الموت. و معنى العبارة كذا: جزاء الصبر يردك عند الموت أو يوم القيامة].

والصبر في الأُمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأُمور فسدت الأُمور'. [أُصول الكافي ٢:٩٠، والبحار ٧١:٧٣].

اللّهمّ اجعلنا من الصابرين، ومن الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون.

علي و الحلم

عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: "لو كان الحلم رجلاً لكان عليّاً".

فرائد السمطين ٢:٦٨، الرقم ٣٩٢

في مفهوم الحلم وبعض ما ورد في أهمّيته

الحلم: هو طمأنينة النفس بحيث لا يحرّكها الغضب بسهولة، ولا يزعجها المكروه بسرعة، فهو الضدّ الحقيقي للغضب؛ لأنّه المانع من حدوثه.

قال الراغب: الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام.. وقوله تعالى: 'وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ' [سورة النور: ٥٩].

أي زمان البلوغ، وسمّي الحُلم لكون صاحبه جديراً بالحلم. [مفردات الراغب: ١٢٩، حرف الحاء].

والحلم هو أشرف الكمالات النفسيّة بعد العلم. قال عليّ عليه السلام: "لا شرف كالعلم، ولا عزّ كالحلم' [نهج البلاغة: قصار الحكم، ١١٣].

بل لا ينفع العلم بدون الحلم أصلاً، ولذا كثيراً ما يقترن العلم بالحلم في الروايات.

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'اللّهمّ أغنني بالعلم، وزيّني بالحلم'. [جامع السعادات ١:٢٦٣].

قال عليّ عليه السلام في أوصاف المتّقين: 'يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل'. [نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣].

وسئل عليّ عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال: "لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ. وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ'. [نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٤].

عن الربيع صاحب المنصور "الدوانيقي"، قال المنصور للصادق عليه السلام: حدّثني عن نفسك بحديث أتّعظ به، ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات؟ فقال الصادق عليه السلام: 'عليك بالحلم، فإنّه ركن العلم، وأملك نفسك عند أسباب القدرة، فإنّك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً وتداوى حقداً، أو يحبّ أن يذكر بالصولة، واعلم بأنّك إن عاقبت مستحقّاً لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل، ولا أعرف حالاً أفضل من حال العدل، والحال الّتي توجب الشكر أفضل من الحال الّتي توجب الصبر'.

فقال المنصور: وعظت فأحسنت، وقلت فأوجزت، الحديث. [البحار ٧١:٤١٤].

الحلم من شروط قبول العبادة وكمالها

يستفاد من بعض الأحاديث أنّ شرط قبول العبادة وكمالها الحلم؛ لأنّ السفيه يبادر بأُمور قبيحة من الفحش والبذاء والضرب والإيذاء، بل الجراحة والقتل، وكلّ ذلك يفسد العبادة، فإنّ اللّٰه إنّما يتقبّلها من المتّقين.

ففي "الكافي": عن محمّد بن عبيداللّٰه [في نسخة: محمّد بن عبداللّٰه].

قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: 'لا يكون الرجل عابداً حتّى يكون حليماً، وإنّ الرجل كان إذا تعبّد في بني إسرائيل لم يعدّ عابداً حتّى يصمت قبل ذلك عشر سنين'. [الكافي ٢:١١١، والبحار ٧١:٤٠٠].

وفيه أيضاً: عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليهماالسلام، سمعته يقول: 'إذا كان يوم القيامة جمع اللّٰه عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ ينادي منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق [العنق: جماعة من النّاس والرؤساء].

من النّاس فتلقّاهم الملائكة فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نَصِلُ مَن قَطَعنا، ونُعطي مَن حَرمنا، ونَعفو عَمّ ظَلَمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنّة'. [أُصول الكافي ٢:١٠٧، والبحار ٧١:٤٠٠].

ان لم تكن حليماً فتحلّم

كثيراً ما ورد عن المعصومين عليهم السلام قولهم: 'إن لم تَكُنْ حليماً فتحلّم'، منها: قال عليّ عليه السلام: 'إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنّه قَلَّ مَن تَشَبَّه بقوم إلا أوشَك أن يكون منهم'. [نهج البلاغة: ٢٠٧، قصار الحكم].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: 'كفى بالحلم ناصراً'، وقال: 'إذا لم تكن حليماً فتحلّم'. [أُصول الكافي ٢:١١٢، والبحار ٧١:٤٠٤].

بيان الحديث: 'كفى بالحلم ناصراً'؛ لأنّه بالحلم تندفع الخصومة، بل يصير الخصم محبّاً له، وهذا أحسن النصر، مع أنّ الحليم يصير محبوباً عند النّاس، فالنّاس ينصرونه على الخصوم ويعينونه في المكاره. ولذا قال عليّ عليه السلام: 'أوّل عوض الحليم من حلمه، أنّ النّاسَ أنصارُهُ عَلى الجاهل'. [نهج البلاغة: ٢٠٦، قصار الحكم].

'وإذا لم تكن حليماً فتحلّم'، أي إذا لم تكن حليماً بحسب الخلقة والطبع فتحلّم، أي أظهر الحلم تكلّفاً، وجاهد نفسك في ذلك حتّى يصير خُلقاً لك ويسهل عليك، مع أنّ تكلّفه بمشقّة أكثر ثواباً.

هذه كلمة في الحلم وأهمّيته، وننتقل بعد هذا إلى حلم أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مثال ونموذج الحلم، وهو عليه السلام أُسوة الحليم.

كلمة في حلم أمير المؤمنين

كان عليّ عليه السلام أحلم النّاس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيئ، يحلم عند جهل النّاس، وهو مثال للحلم، صدق رسول الله صلى الله عليه و آله حيث قال في خبر: 'لو كان الحلم رجلاً لكان عليّاً عليه السلام'. [فرائد السمطين ٢:٦٨، ح ٣٩٢].

وفي "المناقب لابن شهرآشوب": 'أنّه عليه السلام دعا غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت'، فقال عليه السلام: 'ما حملك على ترك إجابتي؟'. قال: كسلت إجابتك، وأمنت عقوبتك. فقال عليه السلام: 'الحمد لله الّذي جعلني ممّن تأمنه خلقه، امض فأنت حرّ لوجه الله'.

وأنشد الأشجع:

ولست بخائف لأبي حسين*** ومن خاف الإله فلن يخافا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١١٣، والبحار ٤١:٤٨].

قال ابن أبي الحديد في شرحه: وأمّا الحلم والصفح فكان عليّ عليه السلام أحلم النّاس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيئٍ، وقد ظهر صحّة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم - وكان أعدى النّاس له وأشدّهم

بغضاً - فصفح عنه. وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم عليّ بن أبي طالب!! وكان عليّ عليه السلام يقول: "ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى شبَّ عبدالله"، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه، وقال: "اذهب فلا أرَينّكَ" لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة، وكان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلمّا ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس، عَمّمهنّ بالعمائم، وقَلَّدهنّ بالسيوف، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأفّفت وقال: هتك ستري برجاله وجنده الّذين وكّلهم بي، فلمّا وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهُنّ، وقلن لها: إنّما نحن نسوة.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: "ألا لا يُتبع مُولٍّ، ولا يُجهَز على جريح، ولا يُقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ من أثقالهم ولا سبى ذراريهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم"، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلا الصفح والعفو، وتقيّل سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تُنس.

ثمّ قال: ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا [وفي نسخة: "يسوّغوا"].

لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله ولا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفّان، فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة، تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملاتٍ كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء - يا أمير المؤمنين - كما منعوك، ولا تَسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب.

فقال: "لا والله، لا أُكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك"، فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٢].

بعض الوقائع الّتي تدلّ على حلمه

فنذكر ذيلاً بعض الواقع المهمة الّتي تدلّ على حلمه عليه السلام مضافاً الى ما مرّ آنفاً:

قصة المرأة الّتي لجأت إلى أمير المؤمنين

روى العلامة المجلسي عن محمّد بن عليّ الباقر عليهماالسلام في خبر: "أنّه رجع عليّ عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إنّ زوجي ظلمني وأخافني وتعدّى علَيَّ وحلف ليضربني، فقال عليه السلام: يا أمة اللّه اصبري حتّى يبرد النهار، ثمّ أذهبُ معك إن شاء اللّه؟ فقالت: يشتدّ غضبه وحرده علَيَّ. فطأطأ رأسه ثمّ رفعه وهو يقول: لا واللّه أويؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم. فخرج شابٌّ فقال عليّ عليه السلام: يا عبدَ اللّه، اتّق اللّه، فإنّك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ واللّه لأحرقنّها لكلامك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟ قال: فأقبل النّاس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين، فسقط الرجل في يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، أقلني عثرتي، فواللّه، لأكوننّ لها أرضاً تطؤني، فأغمدَ عليّ عليه السلام سيفه، فقال: يا أمة اللّه، ادخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه". [البحار ٤١:٥٧].

قصة جارية تبكي

روى ابن شهرآشوب، عن أبي مطر البصري قال: انّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: "يا جارية، ما يبكيك؟". فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به فلم يرضوه، فلمّا أتيته به أبى أن يقبله. قال: "يا عبدَ اللّه، إنّها خادمة، وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر"، فقام إليه الرجل فلكزه [لكزه: ضربه بجمع كفّه في صدره].

فقال النّاس: هذا أمير المؤمنين، فربا الرجل [الربو: علّة تحدث في الرئة فيصير النفس صعباً].

واصفرّ، وأخذ التمر وردّ إليها درهمها. ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، ارض عنّي، فقال: "ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك". وفي "فضائل أحمد"، قال عليه السلام: "إذا وفيت النّاس حقوقهم". [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١١٢، والبحار ٤١:٤٨].

تاخيرُ قتل عمرو بن عبد ودّ لمّا تفل في وجهه

ولمّا أدرك عمرو بن عبد ودّ لم يضربه، فوقعوا في عليّ عليه السلام، فردّ عنه حذيفة، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "مه يا حذيفة، فإنّ عليّاً عليه السلام سيذكر سبب وقفته"، ثمّ إنّه ضربه، فلمّا جاء سأله النبيّ صلى الله عليه و آله عن ذلك فقال: "قد كان شتم أُمّي وتفل في وجهي، فخشيتُ أن أضربه لحظّ نفسي، فتركته حتّى سكن ما بى ثمّ قتلته في اللّه". [مستدرك الوسائل ٣:٢٢٠، والبحار ٤١:٥١].

فإنّه لعنة اللّه عليه حين شتم عليّاً عليه السلام وتفل في وجهه، لم يدفع ذلك عليّاً عليه السلام إلى أن يضرب أنفه أو أذنيه انتقاماً لنفسه، بل تركه ثمّ قتله، وفي ذلك غاية الحلم والصفح وإتيان العمل خالصاً لله تعالى.

توصيته لقنبر بالحلم

في خبر عن جابر، قال: سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً وقد رام قنبر أن يردّ عليه فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: "مهلاً يا قنبر، دفع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوّك، فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت". [مستدرك سفينة البحار ٣:٦٨].

علي و السخاء و الجود

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: كان عليّ عليه السلام أسخى النّاس، كان على الخُلقِ الّذي يحبّه اللّه: السخاء والجود، ما قال: لا لسائل قطّ. شرح ابن أبي الحديد ١:٢١

حول مفهومي البخل والسخاء

البخل: هو الإمساك فيما ينبغي البذل، كما أنّ الإسراف هو البذل فيما ينبغي الإمساك، وكلاهما مذمومان، والمحمود هو الوسط، وهو الجود والسخاء؛ إذ لم يؤمر المسلم إلا بالسخاء كما خاطب القرآن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ". [سورة الإسراء: ٢٩].

وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذلِكَ قَوَاماً". [سورة الفرقان: ٦٧].

وفي "البحار": عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: "ليس السخيُّ المبذّر الّذي يُنفق مالَه في غير حقّهِ، ولكنّه يؤدّي إلى اللّه عزّ وجلّ ما فَرضَ عَليه في ماله من الزكاة وغيرها، والبخيل: الّذي لا يؤدّي حقّ اللّه عزّ جلّ في ماله. [البحار ٧١:٣٥٢].

وفي القرآن والسنّة ذمّ البخل؛ لأنّه من ثمرات حبّ الدنيا، ومن خبائث الصفات ورذائل الأخلاق. قال اللّه تعالى: 'وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ'. [سورة آل عمران: ١٨٠].

وقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'ولا يدخل الجنّة بخيل، ولا خب، ولا خائن، ولا سيئ الملكة'. [جامع السعادات ٢:٨٥].

وقال أيضاً: 'البخيل بعيد من اللّه، بعيد من النّاس، بعيد من الجنّة، قريب من النّار، وجاهل سخيّ أحبّ إلى اللّه من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل'. [جامع السعادات ٢:٨٥].

وأمّا السخاء فهو وسط بين الإقتار والإسراف، وبين البسط والقبض، وهو ضدّ البخل، ومن ثمرة الزهد، كما أنّ البخل من ثمرة حبّ الدنيا، فينبغي لكلّ سالكٍ لطريق الآخرة أن تكون له حالة القناعة إن لم يكن له مال، ولا ريب في أنّه من شرائف الصفات ومعالي الأخلاق، وهو من أشرف أوصاف النبيّين والمرسلين، وما ورد في مدحه أكثر أن يُحصى:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'السخاء شجرة من شجرة الجنّة، أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها غُصناً قادَه ذلك الغُصنُ إلى الجنّة'. [جامع السعادات ٢:٨٧].

وقال أيضاً: 'ما جعل اللّه أولياءه إلا على السخاء وحُسنِ الخُلق'. [جامع السعادات ٢:٨٧].

وقال أيضاً: 'إنّ السخيّ قريبٌ من اللّه، قريبٌ من النّاس، قريبٌ من الجنّة، بعيد عن النّار'. [المصدر المتقدّم ٢:٨٧].

وقال أيضاً: 'طعام الجوادِ دواءٌ، وطعام البخيلِ داءٌ'. [جامع السعادات ٢:٨٧].

وقال عليّ عليه السلام: 'سادة النّاس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء'. [البحار ٧١:٤٥٠، والغرر والدرر للآمدي ٤:١٣٨، ح ٥٦٠٢].

وقال أيضاً: 'كثرة السخاء تكثر الأولياء وتستصلح الأعداء'. [الغرر والدرر للآمدي ٤:٥٩٧، ح ٧١٠٦].

وقال أيضاً: 'مَن لم يكن له سخاءٌ ولا حياءٌ، فالموت خيرٌ له من الحياة'. [المصدر المتقدّم ٥:٤١٠، ح ٨٩٦٩].

نظرة في سخاء عليّ وجوده

إنّ عليّاً عليه السلام نموذج الإنسانيّة العالي الّذي يُحتذى به في كلّ خلقٍ حسنٍ وسجيّة تثير الإعجاب، فهو مَظهرُ ومُظهرُ الصفات الكماليّة للحقّ تعالى ذكره.

وعليّ عليه السلام نموذج الإنسانيّة الرائع، والأُسوة الحسنة الّتي تستحقّ الاقتداء من قِبَلِ كلّ أتباعه في مجال الجود والسخاء، سيّما أُولئك الّذين قطعوا أنفسهم عن التعلّق بزخارف الدنيا وأموالها.

فإذا لم يكن بالإمكان أن نصبح كعليّ عليه السلام في فضائله المتألّقة الكاملة، فإنّنا نستطيع التحلّي بصفات الفضيلة الّتي تحلّى بها الإمام عليه السلام أو أكّد عليها كما قال عليه السلام: "لا تقدرون على ذلك، بل أعينوني بورعٍ واجتهاد". [نهج البلاغة: الكتاب ٤٥].

لا شكّ أنّكم كثيراً ما سمعتم عن كرم حاتم الطائي وجوده الّذي أصبح مضرباً للأمثال في كلّ الأعصار، إلا أنّه بالمقارنة مع سخاء عليّ عليه السلام وجوده فهو ذرّة غير قابلة للقياس.

وإذا قلنا: إنّه لا يمكن لأيّ مخلوق بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أن يصل إلى مقام عليّ عليه السلام في الجود والسخاء، فإنّنا لم نكن مبالغين، ولن نعدو الصواب والحقّ.

ولم يكن قولنا جزافاً بقدر ما هو حقّ؛ لأنّ عليّاً عليه السلام كان سخيّاً في كلّ أحواله، في السعة وضيق ذات اليد، في العلن وفي الخفاء، وفي توزيع المال وبذل الطعام.

وفي مطالعاتنا للأحاديث الّتي تحكي جوده وكرمه، نجده عليه السلام في كثير من الأحيان يبذل ما في يده - وإن كان محتاجاً إليه حاجة ماسّة - للفقراء والمساكين، ولا يتوقّف عند هذا الحدّ، بل إنّه يعطي أحياناً قوت عائلته الّذي لا يملكون سواه، ويطوي الليل معهم جائعاً، ولا يمكن لشخص غير عليّ عليه السلام أن يُعطي قوت عياله الوحيد إلى الفقير، وقد عمله عليه السلام انطلاقاً من نور الإمامة والولاية وعلى أساس التسديد الإلهي.

كلّ هذا يجعل الإنسان الّذي ينظر بعين الإنصاف والحقّ غارقاً بالدهشة والتعجّب، ولعلّ القرآن الكريم خير شاهد ودليل على ما نقول، فهم عليهم السلام الّذين نزل فيهم قوله تعالى: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً" [سورة الإنسان: ٨].

وقوله تعالى: "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" [سورة الحشر: ٩].

وغيرهما من الآيات الّتي سنشير إلى نماذج منها.

وأيضاً جوده عليه السلام وسخاؤه كسائر فضائله ومناقبه عليه السلام؛ إذ نلاحظ أنّ العدوّ والصديق وقف أمامها وقفة تجليل وتثمين، ولا شكّ أنّ تعظيم الأعداء قد تأتّى دون اختيارهم؛ إذ أنّ بلوغه عليه السلام الدرجات الرفيعة في الفضائل جعلهم مضطرّين لتبجيلها وتجليلها، ولأجل توضيح هذه الحقيقة للقرّاء الأعزاء نشير إلى ما أورده الشارح المعتزلي وابن عساكر الشافعي، مراعين الاختصار.

١- قال ابن أبي الحديد: وأمّا السخاء والجود، فحاله فيه ظاهرة، كان يصوم ويطوي، يؤثر بزاده، وفيه أُنزل: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً". [سورة الإنسان ٨ و ٩].

وروى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، فأنزل فيه: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ". [سورة البقرة: ٢٧٤].

وفي الحديث: "أنّه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت [مجلت يده: ثخن جلدها وظهر فيها ما يُشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، ومنه حديث فاطمة عليهاالسلام: إنّها شكت إلى عليّ عليه السلام مَجل يديها من الطحن. النهاية لابن الأثير ٤:٣٠٠] يده، ويتصدّق بالأُجرة، ويشدّ على بطنه حجراً".

ثمّ قال ابن أبي الحديد: وقال الشعبي، وقد ذكره عليه السلام: كان أسخى النّاس، كان على الخُلق الّذي يحبّه اللّه: السخاء والجود، ما قال: لا لسائل قطّ، وقال عدوّه ومبغضه الّذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان، لمحفن بن أبي محفن الضبّي، لمّا قال له: جئتك من عند أبخل النّاس!! فقال "معاوية": ويحك! كيف تقول: إنّه أبخل النّاس؟! لو ملك بيتاً من تبر [التبر: ذهب غير مسكوك] وبيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه.

ثمّ ذكر عن الشعبي أنّه قال: وهو الّذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها، وهو الّذي قال: 'يا صفراء ويا بيضاء [الصفراء والبيضاء: كنايتان عن الدينار والدرهم "الذهب والفضّة"] غُرّي غيري'، وهو الّذي لم يخلّف ميراثاً، وكانت الدنيا كلّها بيده إلا ما كان من الشام. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢١].

وهذا معاوية أعدى عدوّه اعترف بسخائه عليه السلام وجوده والفضل ما شهدت به الأعداء.

٢- وقال ابن عساكر الشافعي بسنده عن عطاء بن مسلم، عن رجل، عن أبي إسحاق: جاء ابن أجور التميمي إلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، جئتُك من عند ألأم الناس، وأخبل النّاس، وأعيا النّاس، وأجبن النّاس!!

فقال له معاوية: ويلك، وأنّى أتاه اللؤم؟! ولكنّا نتحدّث أن لو كان لعليّ بيتٌ من تبنٍ وآخر من تبرٍ لأنفد التبر قبل التبن.

وأنّى أتاه العيّ! وإن كنّا لنتحدّث أنّه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من عليّ!

ويلك، وأنّى أتاه الجبن؟! وما برز له رجل قطّ إلا صرعه، واللّه - يابن أجور - لولا أنّ الحرب خدعة لضربت عنقك، أُخرج فلا تقيمنّ في بلدي.

قال عطاء: وإن كان معاوية يقاتله فإنّه كان يعرف فضله. [تاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٥٨، ح ١١٠٠].

بعض ما ورد من سخائه وجوده

قوله للفقير: "اكتب علي الارض حاجتك"

روى ابن عساكر الشافعي عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: جاء رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ لي إليك حاجة فرفعتُها إلى اللّه قبل أن أرفعها إليك، فإن أنتَ قضيتها حمدتُ اللّه وشكرتُك، وإن أنتَ لم تَقضها حمدتُ اللّه وعذرتُك!!

فقال له عليّ عليه السلام: 'أكتب على الأرض فإنّي أكره أن أرى ذُلّ السؤال في وجهك'، فكتب: إنّي محتاج، فقال عليّ عليه السلام: 'عليّ بِحُلّة'، فأُتي بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثمّ أنشأ يقول:

كسوتَني حُلّة تبلى محاسنها*** فسوف أكسوك من حُسن الثنا حُللا

إن نلت حُسن ثنائي نلت مكرمة*** ولست تبغي بما قد قلتُه بدلاً

إنّ الثناءَ ليحيي ذكر صاحبه*** كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في زهو تواقعه*** فكلّ عبد سيجزى بالذي عملا

فقال عليّ عليه السلام: 'علَيَّ بالدنانير'، فأُتي بمائة دينار، فدفعها إليه.

فقال الأصبغ: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، حُلّة، ومائة دينار؟! قال: 'نعم، سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: انزلوا النّاس منازلهم، وهذه منزلة هذا الرجل عندي'. [تاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٤٦، ح ١٣١١، وروى الحديث بعينه في كنز العمّال ٣:٣٢٤، على ما روى عنه فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣:٢٨، ونحوه في أمالي الصدوق - المجلس ٤٦: ح ١٠، والبحار ٤١:٣٤].

اعطي فقيرا ثلاثة آلاف درهم

وفي "البحار": جاء أعرابي إلى عليّ عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي مأخوذ بثلاث عِلل: عِلّة النفس، وعلّة الفقر، وعلّة الجهل. فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: 'يا أخا العرب، علّة النفس تعرض على الطبيب، وعلّةُ الجهل تعرض على العالم، وعلّةُ الفقر تعرض على الكريم'. فقال الأعرابي: أنت الكريم، وأنتَ العالم، وأنتَ الطبيب، فأمر أميرُ المؤمنين عليه السلام بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم، وقال: 'تنفق ألفاً بعلّة النفس، وألفاً بعلّة الجهل، وألفاً بعلّة الفقر'. [البحار ٤١:٤٣].

الذهب و الفضة عند سواء

وفيه أيضاً: وسأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضّة؟ فقال عليه السلام: 'كلاهُما عِندي حَجَران، فأعط الأعرابي أنفعهما له'. [المصدر المتقدّم: ٣٢].

جميع ما غرس من النخل و ... أوقفه في سبيل الله

و روى ابن شهر آشوب: قال له رجل - ورأى عنده وسق نوى -: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: 'مائة ألف نخل إن شاء اللّٰه'، فَغَرسه فلم يغادر منه نواة واحدة، فهو من أوقافه، ووقف مالاً بخيبر وبوادي القُرى، ووقف مال أبي نيزر والبُغَيبغة، وأرباحاً، وأرَينة، ورعداً، ورزيناً، ورباحاً على المؤمنين، وأمر بذلك أكثر وُلْدِ فاطمة من ذوي الأمانة والصلاح، وأخرج مائة عينٍ بيَنْبُع وجعلها للحجيج وهو باقٍ إلى يومنا هذا. وحفر آباراً في طريق مكّة والكوفة، وبَنى مسجد الفتح في المدينة، وعند مقابل قبر حمزة، وفي الميقات، وفي الكوفة، وجامع البصرة، وفي عبّادان، وغير ذلك.

وعن الصادق عليه السلام: 'أنّه أعتق ألف نسمة من كدّ يده'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٢٣، والبحار ٤١:٣٢].

يعطي سيفه في الحرب الي مشرك حين يسأله اياه

و في "البحار" أيضاً: عن أبي السعادات في "فضائل العترة": روي أنّ عليّاً عليه السلام كان يحارب رجلاً من المشركين، فقال المشرك: يابنَ أبي طالب، هَبْني سيفَك؟ فرماها إليه. فقال المشرك: عجباً - يابن أبي طالب - في مثل هذا الوقت تدفع إلَيَّ سيفكَ؟

فقال: 'يا هذا، ا نّك مددتَ يدَ المسألة إلَيَّ، وليس من الكرم أن يُرَدَّ السائل'، فرمى الكافرُ بنفسه إلى الأرض، وقال: هذه سيرة أهلُ الدين، فقبّل قدمه وأسلم. [البحار ٤١:٣٢].

انفاقه ثلاثمائة دينار في ثلاث ليال و نزول الآيأ "و رجال لا تلهيهم" في شأنه

وفيه أيضاً عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'أُتي رسول اللّٰه ءصلى الله عليه و آله بمال وحُلل، وأصحابه حوله جلوس، فقسّمه عليهم حتّى لم تبق منه حُلّة ولا دينار، فلمّا فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين وكان غائباً، فلمّا رآه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'أيّكم يعطي هذا نصيبه ويؤثره على نفسه'، فسمعه عليّ عليه السلام فقال: 'نصيبي، فأعطاه إيّاه، فأخذه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله

وأعطاه الرجل'. ثمّ قال: 'يا عليّ، إنّ اللّه جعلك سبّاقاً للخير سخّاءً بنفسك عن المال، أنتَ يعسوبُ المؤمنين والمالُ يعسوب الظلمة، والظلمةُ همُ الّذين يحسدونك ويبغون عليك ويمنعوك حقّك بعدي'. [البحار ٣٦:٦٠].

اعطي سهمه من الحلل الي الفقير، و قول رسول الله في ذلك

و من موارد سخائه ما رواه ابن شهر آشوب في المناقب من تصدق عليّ عليه السلام ثلاثمائة دينار في ثلاث ليال و نزل في شأنه عليه السلام قوله تعالى: 'رجالٌ لا تُلهيهم تجارة و لا بَيع عن ذكر اللّه...' فقد ذكرناه بتفصيله في هذا المجلد الفصل ٧١ 'علي عليه السلام و الاخلاص في العمل'، فراجعه.

خبر الناقة

و من موارد سخائه عليه السلام ما جرى بين الرجل وعليّ بن أبي طالب عليه السلام عند الكعبة ـ شرّف اللّه زائرها ـ وهو المعروف بخبر الناقة، فنذكرها مع تفصيله:

روى الصدوق في "أماليه": عن خالد بن ربعي، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكّة في بعض حوائجه، فوجد أعرابيّاً متعلّقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا صاحب البيت، البيتُ بيتُك، والضيفُ ضيفك، ولكلّ ضيفٍ من ضيفهِ قرىً [قُرى الضيف: إكرامه و ما يقدّم له].

فاجعل قراي منك الليلة المغفرة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: 'أما تسمعون كلام الأعرابي؟'. قالوا: نعم. فقال: 'اللّه أكرمُ من أن يَرُدَّ ضيفه'.

قال: فلمّا كانت الليلة الثانية وجده متعلّقاً بذلك الركن، وهو يقول: يا عزيزاً في عزّك، فلا أعزّ منكَ في عزّك، أعزّني بعزّ عزّك في عزّ لا يعلم أحد كيف هو، أتوجّه إليك وأتوسّل إليك بحقّ محمّد وآل محمّد عليك أعطني ما لا يُعطيني أحدٌ غيرُك، واصرف عنّي ما لا يَصرفه أحدٌ غيرُك. قال: فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام لأصحابه: 'هذا واللّه الاسم الأكبر بالسريانيّة، أخبرني به حبيبي رسول اللّه صلى الله عليه و آله، سأله الجنّة فأعطاه، وسأله صرف النّار، وقد صرفها عنه'.

قال: فلمّا كانت الليلة الثالثة، وجده هو متعلّق بذلك الركن، وهو يقول: يا مَن لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، بلا كيفيّة كان، ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم. قال: فتقدّم إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أعرابي، سألتَ ربّك القُرى فقرأك، وسألتَه الجنّة فأعطاك، وسألتَه أن يصرف عنك النّار وقد صرفها عنك، وفي هذه الليلة تسأله أربعة آلاف درهم؟'. قال الأعرابي: مَن أنتَ؟ قال: 'أنا عليّ بن أبي طالب'. قال الأعرابي: أنتَ واللّهِ بُغيتي، وبك أنزلت حاجتي. قال: سل، يا أعرابي'. قال: أُريد ألف درهم للصداق، وألف درهم أقضي به

دَيني، وألف درهم أشتري به داراً، وألف درهم أتعيّش منه. قال: 'أنصفت يا أعرابي، فإذا خرجت من مكّة فاسأل عن داري بمدينة الرسول'.

فأقام الأعرابي بمكّة اسبوعاً، وخرج في طلب أمير المؤمنين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه و آله ونادى: مَن يدُلُّني على دار أمير المؤمنين عليّ؟

فقال الحسين بن عليّ من بين الصبيان: 'أنا أدلُّكَ على دارِ أمير المؤمنين، وأنا ابنه الحسين بن عليّ'. فقال الأعرابي: مَن أبوك؟ قال: 'أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب'. قال: مَن أمّك؟ قال: 'فاطمةُ الزهراء سيّدة نساء العالمين'. قال: مَن جدّك؟ قال: 'رسول اللّه محمّد بن عبداللّه بن عبدالمطّلب'. قال: مَن جدّتك؟ قال: 'خديجة بنت خويلد'. قال: مَن أخوك؟ قال: 'أبو محمّد الحسن بن عليّ'. قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين، وقل له: إنّ الأعرابي صاحب الضمان بمكّة على الباب.

قال: فدخل الحسين بن عليّ عليه السلام، فقال: 'يا أبه، أعرابيٌّ بالباب، يزعم أنّه صاحب الضمان بمكّة'.

قال: فقال: 'يا فاطمة، عندك شيء يأكله الأعرابي؟'. قالت: 'اللّهمّ لا'. قال: 'فَتَلَبَّس أمير المؤمنين عليه السلام وخرج وقال: ادعوا لي أبا عبداللّه سلمان الفارسي'. قال: فدخل إليه سلمان الفارسي، فقال أمير المؤمنين: يا أبا عبداللّه، اعرض الحديقة الّتي غرسها رسول اللّه صلى الله عليه و آله لي على التجّار'. قال: فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة، فباعها باثني عشر ألف درهم، وأحضر المال وأحضر الأعرابي، فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهماً نفقة، ووقع الخبر إلى سوّال المدينة فاجتمعوا، ومضى رجلٌ من الأنصار إلى فاطمة عليهاالسلام فأخبرها بذلك، فقالت: 'آجرك اللّه في ممشاك'، فجلس عليّ عليه السلام والدراهم مصبوبة بين يديه حتّى اجتمع إليه أصحابه، فقبض قبضةً قبضةً وجعل يعطي رجلاً رجلاً حتّى لم يبق معه درهم واحد. فلمّا أتى المنزل قالت له فاطمة: 'يابن عمّ، بعتَ الحائط الّذي غرسه لك والدي؟'. قال: 'نعم "بعته"، بخير منه عاجلاً وآجلاً'. قالت: 'فأين الثمن؟'. قال: 'دفعته إلى أعين استحييتُ أن أذلّها بذلّ المسألة قبل أن تسألني'. قالت فاطمة: 'أنا جائعة وابناي جائعان، ولا أشكُّ إلا وإنّك مثلنا في الجوع، لم يكن لنا منه درهم؟'، وأخذت بطرف ثوب عليّ عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام: 'يا فاطمة، خلّيني'. فقالت: 'لا واللّه أو يَحْكُمَ بيني وبينك أبي' [لعلّ منازعة فاطمة عليهاالسلام إنّما كنت ظاهراً لظهور فضله عليه السلام على النّاس، أو لظهور الحكمة به فيما صدر عنه، أو لوجه من الوجوه لا نعرفه].

فهبط جبرئيل على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، ربُّك يقرؤك السلام، ويقول: اقرأ عليّاً منّي السلام، وقل لفاطمة: ليس لك أن تضربي على يديه، ولا تلزمي بثوبه'. فلمّا أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله منزل عليّ وجد فاطمة ملازمة لعليّ عليه السلام فقال لها: 'يا بُنيّة، ما لَكِ ملازمة لعليّ؟'.

قالت: 'يا أبه، باع الحائط الّذي غرسته له بإثني عشر ألف درهم، لم يَحبس لنا درهماً نشتري به طعاماً'. فقال: 'يا بُنيّة، إنّ جبرئيل يقرؤني من ربّي السلام، ويقول: اقرأ عليّاً من ربّه السلام، وأمرني أن أقولَ لَكِ، ليس لكِ أن تضربي على يديه، ولا تلزمي بثوبه'. قالت فاطمة عليهاالسلام: 'فإنّي أستغفر اللَّه ولا أعودُ أبداً'. قالت فاطمة عليهاالسلام: 'فخرج أبي في ناحية وزوجي في ناحية، فما لبث أن أتى أبي ومعه سبعة دراهم هجريّة، فقال: يا فاطمة، أينَ ابنُ عمّي؟'. فقالت له: 'خرج'. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'هاكِ هذه الدراهم، فإذا جاء ابنُ عمّي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً'. فما لبثتُ إلا يسيراً حتّى جاء عليّ عليه السلام فقال: 'رجع ابنُ عمّي، فإنّي أجد رائحة طيّبة؟'. قالت: 'نعم، وقد دفع إلَيَّ شيئاً تبتاع به لنا طعاماً'. قال عليّ عليه السلام: 'هاتيه'، فدفعت إليه سبعة دراهم سوداً هجريّةً'.

فقال: 'بسم اللَّه، والحمد للَّه كثيراً طيّباً، وهذا من رزق اللَّه عزّ وجلّ'.

ثمّ قال: 'يا حسن، قُم معي، فأتيا السوق، فإذا هما برجل واقف وهو يقول: مَن يقرضُ المَليّ الوفيّ؟ قال: يا بُنيّ، نُعطيه؟'. قال: 'إي واللَّه، يا أبه'، فأعطاه عليّ عليه السلام الدراهم. فقال الحسن: 'يا أبتاه، أعطيتُه الدراهم كلّها؟'. قال: 'نعم - يا بنيّ - إنّ الّذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير'. [إنّ إعطاءه عليه السلام الدراهم ولم يشتر الطعام إمّا يعلم إذن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيه أو كان له ولاية في هذا، واللَّه العالم].

قال: فمضى عليّ بباب رجل يستقرض منه شيئاً فلقيه أعرابيّ ومعه ناقة، فقال: يا عليّ، اشترِ منّي هذه الناقة. قال: 'ليس معي ثمنها'. قال: فإنّي أنظرك به إلى القبض. قال: 'بِكَم، يا أعرابي؟'. قال: بمائة درهم. قال عليّ: 'خذها، يا حسن'، فأخذها. فمضى عليّ عليه السلام فلقيه أعرابي آخر، المثال واحد والثياب مختلفة، فقال: يا عليّ، تبيع الناقة؟ قال عليّ عليه السلام: 'وما تصنع بها؟'. قال: أغزو عليها أوّل غزوّة يغزوها ابنُ عمّك. قال: 'إن قبلتها فهي لك بلا ثمن'. قال: معي ثمنها، وبالثمن أشتريها، فبِكَم اشتريتها؟ قال: 'بمائة درهم'. قال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم. قال عليّ عليه السلام: 'خذ السبعين والمائة، وسلّم الناقة والمائة للأعرابي الّذي باعنا الناقة، والسبعين لنا نبتاع بها شيئاً، فأخذ الحسن عليه السلام الدراهم وسلّم الناقة. قال عليّ عليه السلام: 'فمضيتُ أطلب الأعرابي الّذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها، فرأيت رسول اللَّه صلى الله

عليه و آله جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك ولا بعده، على قارعة الطريق، فلمّا نظر النبيّ صلى الله عليه و آله إلَيَّ تبسّم ضاحكاً حتّى بدت نواجذه'. [النواجذ: الأسنان، وفي البحار: النواجد - بالدال -، وفي لسان العرب إنّها نواجذ بالذالّ وهي أقطع الأضراس].

قال عليّ عليه السلام: 'أضحك اللّه [أضحك اللّه سنّك: هي الّتي تبدو عند الضحك من الأسنان].

وبشّرك بيومك. [بشّرك بيومك: يوم الشفاعة الّتي وعدها اللّه تعالى له].

فقال: 'يا أبا الحسن، إنّك تطلب الأعرابي الّذي باعك الناقة لتوفيه الثمن؟ فقلت: إي واللّه، فداك أبي وأمّي'.

فقال: 'يا أبا الحسن، الّذي باعك الناقة جبرئيل، والّذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نُوق الجنّة، والدراهم من عند ربّ العالمين عزّ وجلّ، فأنفقها في خير ولا تخف اقتاراً'. [أمالي الصدوق - المجلس الحادي والسبعون: ح ١٠، والبحار ٤١: ٤٤].

علي و الانفاق

عن تاريخ البلاذري وفضائل أحمد: أنّه كانت غَلّة عليّ عليه السلام أربعين ألف دينار، فجعلها صدقةً، وأنّه باع سيفه وقال: 'لو كان عندي عِشاءً ما بِعتُه'. البحار ٤١: ٢٦

في أهمّية الإنفاق وفضله

الإنفاق من أعظم ما يهتمّ بأمره الإسلام في أحد ركنيه، فهو من حقوق النّاس، وقد أكّد عليه بأنحاء التأكيد، سواء بنحو الايجاب أو الندب. وذلك عن طريق الزكاة والخمس والكفّارات الماليّة وأقسام الفدية وأنواع الإنفاق الواجب والصدقات المندوبة، وكذلك عن طريق الوقف والسكنى والعمرى والوصايا والهبة وغير ذلك، وإنّما يريد بذلك رفع مستوى معيشة الطبقة الفقيرة، وإشاعة العدل والمساواة في المجتمع.

ومن ناحية أُخرى قد حدّ من تظاهر أهل الثروة بالتجمّل والزينة في مظاهر الحياة بما يقرّب من الإفراط، ويبتعد عن المعروف ولا تناله أيدي النمط الأوسط من النّاس، وذلك من خلال النهي عن الإسراف والتبذير 'كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ'. [سورة الحشر: ٧].

كلمة في إنفاق عليّ

لقد كان أميرُ المؤمنين عليه السلام الحائز على قصب السبق في كلّ مشاريع الإنفاق، الواجب منها والمستحبّ، فهو عليه السلام السخيّ الّذي لا يُجارى، والكريم الّذي لا يُبارى، ولا يمكن لأحدٍ من أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أن يقف إلى جانبه أو يَصل إلى مقامه أو يدانيه في هذه القضيّة المباركة.

ولعلّ الأوقاف الّتي أوقفها، والمساجد الّتي بناها، والآبار الّتي أحياها ووضعها في خدمة الآخرين، والطرق الّتي أصلحها، خير شاهد ودليل على ما نقول، بل إنّه عليه السلام كان سبّاقاً لكلّ إنفاق مشروع، الواجب منه والمستحبّ، وفقاً لميسور الحال واقتضاء الإمكان. [لقد أشرنا إلى نماذج من هذه الإنفاقات في فصل "عليّ عليه السلام والسخاء والجود"].

كما أنّه عليه السلام لم يكن سخيّاً بماله وحسب، بل كان جواداً بنفسه المقدّسة في سبيل اللّه حينما تعزّ النفوس ويضنّ بها.

قال ابن شهرآشوب في إنفاق عليّ عليه السلام في سبيل اللّه: ولعليّ في ذلك فضائل؛ لأنّ الجود جودان: نفسي ومالي. قال اللّه تعالى: 'وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ'. [سورة التوبة: ٤١].

وقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أجود النّاس من جاد بنفسه في سبيل اللّه...'، فصار قوله: "لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا" [سورة الحديد: ١٠].

أليق بعليّ عليه السلام؛ لأنّه جمع بينهما ولم يجتمعا لغيره. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٧١، والبحار ٤١:٢٤].

ممّا نزل في إنفاقه من القرآن الكريم

وقد نزلت في القرآن الكريم آيات كثيرة في إنفاق أمير المؤمنين عليّ بن أي طالب، وقد أشرنا إليها في فصول متعدّدة مفصّلاً، ونشير هنا إلى بعضها إجمالاً رعاية للاختصار وتتميماً للفصل:

١- قوله تعالى: 'الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ': ففي البحار عن الطبرسي والزمخشري و غيرهما عن ابن عبّاس، و كذا السيوطي في "الدرّ المنثور": عن ابن عبّاس، قال: نزلت هذه الآية: 'الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ...' في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً، وبالنهار درهماً، سرّاً وعلانية. [البحار ٣٦:٦٢].

٢- وقوله تعالى: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ'. [سورة المائدة: ٥٥].

عن ابن الصبّاغ المالكي عن ابن عبّاس، قال: أن علياً عليه السلام صلّى مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوماً فسأل سائل في المسجد فأعطاه عليّ عليه السلام خاتمه راكعاً، فنزلت آية: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...' الآية. [الفصول المهمّة: ١٢٤].

٣- و قوله تعالى: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ' [سورة الحشر: ٩].

نزلت في عليّ بن أبي طالب حين أطعم جائعاً في ليلة ونام هو وفاطمة وولداهما الحسن والحسين عليهم السلام جائعين، فنزلت الآية في شأنهم.

وقد ذكرنا الحديث مفصّلاً في المجلد الاوّل في فصل 'عليّ عليه السلام و آية الايثار'.

٤- و قوله تعالى: 'رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ' إلى قوله: 'بِغَيْرِ حِسَابٍ' [سورة النور: ٣٧ و ٣٨].

نزلت في عليّ عليه السلام حيث أعطاه النبيّ صلى الله عليه و آله ثلاثمائة دينار هدية، فأعطى امرأة مائة دينار ليلة، وفي ليلة ثانية أعطى مائة دينار إلى رجل، وثالثة إلى رجل آخر، وقد ذكرنا الحديث بتمامه في فصل "عليّ عليه السلام والسخاء والجود".

٥- قوله تعالى: 'وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَ ا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً'. [سورة الإنسان ٨ و ٩].

فعن ابن المغازلي بسنده عن ليث بن أبي سليم، عن طاووس: نزلت الآيات في عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ وذلك أنّهم صاموا و فاطمة وخادمتهم، فلمّا كان عند الإفطار، وكانت عندهم ثلاثة أرغفة قال: فجلسوا ليأكلوا فأتاهم سائل، فقال: أطعموني فإنّي مسكين، فقام عليّ عليه السلام فأعطاه رغيفه، ثمّ جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم، فأعطته فاطمة الرغيف، ثمّ جاء سائل، فقال: أطعموا الأسير، فقامت الخادمة فأعطته الرغيف، وباتوا ليلتهم طاوين، فشكر اللّه لهم فأنزل هذه الآيات. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٧٣].

لقد كان إنفاقه وإحسانه عليه السلام يعمّ الجميع حتّى الغرباء، بل حتّى من كان من أعدائه، فآية الإطعام في سورة هل أتى تقول: 'وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً'، والأسير هو المحارب من بلاد دار الحرب، ومع ذلك أنفق عليه وأفطر هو عليه السلام مع أهل داره على الماء.

٦- و قوله تعالى: 'لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ'. [سورة البقرة: ٢٧٣].

في "البحار": عن ابن عبّاس، قال: لمّا أنزل اللّه: 'لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ' الآية، بعث عبدالرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفّة حتّى أغناهم، وبعث عليّ بن أبي طالب عليه السلام في جوف الليل بوسق من تمر، فكان أحبّ الصدقتين إلى اللّه صدقة عليّ عليه السلام، وأُنزلت الآية، وسئل النبيّ صلى الله عليه و آله: أي الصدقة أفضل في سبيل اللّه؟ فقال: 'جهد من مقلّ'. [البحار ١:٢٦].

٧- و قوله تعالى: 'وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ'. [سورة البقرة: ٢٦٥].

في "تفسير العيّاشي": عن أبي بصير، عن أبي عبداللّه عليه السلام في هذه الآية، قال: 'عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضلهم، وهو ممّن ينفق ماله ابتغاء مرضاة اللّه'. [تفسير العيّاشي ١:١٤٨].

وفيه أيضاً: عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: في قوله تعالى: 'وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ' الآية، قال: 'أُنزلت في عليّ عليه السلام'. [تفسير العيّاشي ١:١٤٨].

نبذة ممّا ظهر من إنفاقه

هناك كثير من الأخبار والروايات الّتي تتحدّث عن إنفاق أمير المؤمنين عليه السلام في سبيل اللّه، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

منها: في "المناقب": عن محمّد بن الصمّة، عن أبيه، عن عمّه، قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحفة يقول: 'اللّهمّ وليّ المؤمنين، وإله المؤمنين، وجار المؤمنين، أقبل قرباني الليلة، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي وغير ما يواريني، فإنّك تعلم أنّي منعته نفسي مع شدّة سغبي في طلب القربة إليك غنماً. اللّهمّ، فلا تخلق وجهي، ولا تردّ دعوتي'، فأتيته حتّى عرفته، فإذا هو عليّ بن أبي طالب، فأتى رجلاً فأطعمه. [مناقب ابن شهرآشوب ٢:٧٦].

ومنها: في "الكافي": عن الحارث الهمداني، قال: سامرت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين، عرضت لي حاجة. قال: 'فرأيتني لها أهلاً'. قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: 'جزاك اللّه عنّي خيراً'، ثمّ قام إلى السراج فأغشاها وجلس. ثمّ قال: 'إنّما اغشيت السراج لئلا أرى ذلّ حاجتك في وجهك، فتكلّم فإنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: الحوائج أمانة من اللّه في صدور العباد، فمن كتمها كتب له عبادة، ومَن أفشاها كان حقّاً على من سمعها أن يعينه'.

ومنها: في "البحار": روت الخاصّة والعامّة، منهم ابن شاهين المروزي، وشيرويه الديلمي، عن الخدري، وأبو هريرة: أنّ عليّاً عليه السلام أصبح ساغباً، فسأل فاطمة طعاماً، فقالت: 'ما كانت إلا ما أطعمتك منذ

يومين، آثرت به على نفسي وعلى الحسن والحسين'. فقال: 'إلا أعلمتني فأتيتكم بشيء؟'. فقالت: 'يا أبا الحسن، إنّي لأستحيي من إلهي أن أُكلّفك ما لا تقدر عليه'.

فخرج واستقرض عن النبيّ صلى الله عليه و آله ديناراً، فخرج يشتري به شيئاً فاستقبله المقداد قائلاً: ما شاء اللّٰه، فناوله عليّ عليه السلام الدنيار، ثمّ دخل المسجد فوضع رأسه فنام، فخرج النبيّ صلى الله عليه و آله فإذا هو به، فحرّكه، وقال: 'ما صنعت؟'، فأخبره، فقام وصلّى معه، فلمّا قضى النبيّ صلى الله عليه و آله صلاته قال: يا أبا الحسن، هل عندك شيء نفطر عليه فنميل معك؟'، فأطرق لا يحير جواباً حياءً منه، وكان اللّٰه أوحى إليه أن يتعشّى تلك الليلة عند عليّ عليه السلام، فانطلقا حتّى دخلا على فاطمة وهي في مصلاها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فأخرجت فاطمة الجفنة فوضعتها بين أيديهما، فسأل عليّ عليه السلام: 'أنّى لكِ هذا؟'. قالت: 'هو من فضل اللّٰه ورزقه 'إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ'. [سورة آل عمران: ٣٧].

قال: فوضع النبيّ صلى الله عليه و آله كفّه المبارك بين كتفي عليّ، ثمّ قال: 'يا عليّ، هذا بدل دينارك'، ثمّ استعبر النبيّ صلى الله عليه و آله باكياً، وقال: 'الحمد للّٰه الّذي لم يمتني حتّى رأيت في ابنتي ما رأى زكريّاً لمريم'. [البحار ٤١: ٣٠].

علي و التواضع

قال عليّ عليه السلام في قوله تعالى: 'وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرضِ هَوْناً'، 'فينا نزلت هذه الآية'.

المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٠٤

و الآية في سورة الفرقان: ٦٣

في مفهوم التواضع ومدحه و كذا الكبر و آفاته

التواضع ضد الكبر فهو بمعنى إظهار الخشوع والخضوع والذلّ والافتقار إلى اللّٰه تعالى عند ملاحظة عظمته وعند تجدّد نعمه أو تذكّرها، والتنكّر للنفس يمنع من أن يرى لِذاتها مزيّة على الغير، وتلزمه أفعال وأقوال موجبة لاستعظام الغير وإكرامه، ولايظنّ أحدٌ أنّ التواضع يوجب الذلّة، بل يوجب الرفعة ويزيد صاحبه كثرة في الأموال والأولاد والأعوان في الدنيا والآخرة، وقد ورد في مدحه وحسنه الكثير من القرآن والسنّة. قال تعالى: 'وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرضِ هَوْناً'. [سورة الفرقان: ٦٣].

وجاء في "الكافي": عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لأصحابه: 'إنّ الصدقة تزيد صاحبها كثرةً، فتصدّقوا يرحمكم الله، وإنّ التواضع يزيد صاحبه رفعةً، فتواضعوا يرحمكم الله، وإنّ العفو يزيد صاحبه عزّاً، فاعفوا يعزّكم الله'. [الكافي ٢:١٢١].

وفيه أيضاً: عن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'سمعته يقول: إنّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومَن تكبّر وضعاه'. [المصدر المتقدّم: ١٢٢؛ راجع: مرآة العقول ٨:٢٤٧].

التواضع ضد الكبر

امّا الكِبر هو: الركون إلى رؤية النفس فوق الغير، وبعبارة أُخرى: هو عزّة وعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير، واعتقاد الإنسان المزية والرجحان له على غيره، وبه ينفصل عن العُجب؛ إذ العُجب مجرّد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير، فالعُجب سبب الكبر، والكبر من نتائج العُجب.

والكبر أمرٌ باطني يقتضي أعمالاً في الظاهر، وتسمّى تلك الأعمال الظاهرة الصادرة من الكبر تكبّراً، ولذا من تعزّز ورأى نفسه باطناً فوق الغير من دون صدور فعل على جوارحه يقال له: كبر، وإذا ظهرت الأعمال يقال له: تكبّر.

وبالجملة فإنّ هذه الأفعال توجب تحقير الغير، والاستنكاف عن مرافقته ومصاحبته، والإباء عن الجلوس بجنبه، وانتظار الفرد أن يبدأ الغير بالسلام عليه، والاستنكاف من قبول وعظه، وتعنيفه في إرشاده ونصحه، وغير ذلك من الصفات السيّئة، كالاختيال في المشي ء، وجرّ الثياب، وغيرها من المظاهر الّتي قد تتغيّر مفاهيمها بحسب الزمان والمكان والعادات، وهذه الأفعال المعبّر عنها بالتكبّر قد تصدر عن الحقد أو الحسد أو الرياء، وإن لم تكن في النفس عزّة وتعظّم.

والكبر آفة عظيمة، وبه هلك خواصّ النّاس فضلاً عن غيرهم من العوامّ، وهو الحجاب الأعظم المانع من الوصول إلى أخلاق المؤمنين، وأعظم التكبّر التكبّر على الله تعالى بالامتناع عن قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة، ولذا ورد في الآيات والأخبار ذمّه، قال الله تعالى: 'يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ' [سورة غافر: ٣٥].

وقال تعالى: 'فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُنكِرَةٌ وَهُم مُسْتَكْبِرُونَ'. [سورة النحل: ٢٢].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: 'مَن تكبّر على النّاس ذلّ'. [دستور معالم الحكم: ٢٧، والإعجاز الإيجاز: ٣٤].

وفي "الكافي": عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهماالسلام، قالا: "لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كبر". [أُصول الكافي ٢:٣١٠].

وفيه أيضاً: عن أبان، عن حكيم، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أدنى الإلحاد، فقال: "إنّ الكبر أدناه". [المصدر المتقدّم: ٣٠٩].

والأخبار في ذلك كثيرة، سيأتي بعضها.

نبذة ممّا ظهر في تواضع عليّ

أمر الله تعالى نبيّه الخاتم صلى الله عليه و آله بالتواضع للمؤمنين: "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ". [سورة الشعراء: ٢١٥].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام كأخيه رسول الله صلى الله عليه و آله مقتدياً بسيرته؛ إذ كان متواضعاً للمؤمنين في كلّ حالاته في قدرته وضعفه الظاهريّين، وفي عزلته وحكومته، وفي حربه وسلمه...، وفيما يلي بعض ما جاء عن سيرته في التواضع:

نقل ابن أبي الحديد المعتزلي عن صالح بيّاع الأكسية: إنّ جدّته لَقيتْ عليّاً عليه السلام بالكوفة ومعه تمرٌ يحمله، فسلّمت عليه، وقالت له: أعطني - يا أمير المؤمنين - هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك؟ فقال عليه السلام: "أبو العِيال أحقُّ بحمله". قالت: ثمّ قال لي: "ألا تأكلين منه؟". فقلت: لا أُريد. قالت: فانطلق به إلى منزله، ثمّ رجع مرتدياً بتلك الشملة، وفيها قشور التمر، فصلّى بالنّاس فيها الجمعة. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٠٢، والبحار ٤١:١٣٨].

وفي "المناقب" عن ابن بطة، و عن أحمد: أنّ عليّاً عليه السلام اشترى تمراً فحمله في طرف ردائه، فتبادر الناس إلى حمله، وقالوا: يا أمير المؤمنين، نحن نحمله. فقال عليه السلام: "ربُّ العِيال أحقّ بحمله". [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٤].

وفي "شرح ابن أبي الحديد": عن عنبسة العابد، عن عبدالله بن الحسين بن الحسن، قال: أعتق عليّ عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله ألف مملوك ممّا مجلت [والمجل: بثور تكون في اليد من شدّة العمل. و مجلت يداه الى عملت يداه].

يداه، وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر، ولا ثيابه إلا الكرابيس.

وفيه أيضاً: عن حاتم بن إسماعيل المدني، عن جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: "ابتاع عليّ عليه السلام في خلافته قميصاً سَملاً [السمل: الخلق من الثياب].

بأربعة دراهم، ثمّ دعا الخيّاط، فمدّ كُمّ القميص، وأمره بقطع ما جاوز الأصابع'. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٠٢، وهامش الغارات ١:٩٢].

و عن ابن شهر آشوب عن أبي طالب المكّي: كان عليّ عليه السلام يحمل التمر والملح بيده، ويقول:

'لا يَنقُصُ الكامل من كماله*** ما جرَّ من نفعٍ إلى عياله'

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٤].

وعنه أيضاً: عن الأصبغ، عن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: 'وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرضِ هَوْناً' [سورة الفرقان: ٦٣].

قال عليه السلام: 'فينا نزلت هذه الآية'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٤، والبحار ٤١:٥٤].

وعنه أيضاً: كان عليّ عليه السلام يمشي في خمسة حافياً، ويعلّق نعليه بيده اليسرى: يوم الفطر، والنحر، ويوم الجمعة، وعند العيادة، وتشييع الجنازة، ويقول: 'إنّها مواضع اللّه وأُحبُّ أن أكون فيها حافياً'. [المصدر المتقدّم: ١٠٤، والبحار ٤١:٥٤].

وعنه أيضاً عن زاذان: أنّه كان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده، و|هو في| ذاك يُرشد الضالّ، ويعين الضعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: 'تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ'. [سورة القصص: ٨٣].

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٤، والبحار ٤١:٥٤].

وعنه أيضاً: عن هاشم بن سالم، عن أبي عبداللّه الصادق عليه السلام، قال: 'خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهو راكبٌ فمشوا معه، التفت إليهم، فقال: 'ألَكُم حاجةٌ؟'. قالوا: لا - يا أمير المؤمنين - ولكنّا نُحبّ أن نَمشي معك. فقال لهم: 'انصرفوا وارجعوا، النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة القلوب'.

وفي "البحار" روى عن عليّ عليه السلام هكذا: 'انصرفوا، فإنّ مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب، ومذلّة للماشي'.

قال: وركب مرّة أُخرى فمشوا خلفه، فقال: 'انصرفوا، فإنّ خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكى'. [البحار ٤١:٥٥، والمناقب ٢:١٠٤، والنوكى: جمع الانوك: الأحمق].

وفي "النهج": قال عليّ عليه السلام - ولقد لقيه عند مسيره إلى الشام "صفّين" دهاقين الأنبار فَتَرجّلوا له، واشتدّوا بين يديه -: 'ما هذا الّذي صَنَعْتُموهُ؟'. فقالوا: خُلقٌ مِنّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمراؤنا. فقال عليه السلام: 'وَاللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ! وَإِنَّكُمْ لَتَشْقُّونَ عَلَى أَ نْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ. وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ

وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ'. [نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٧، ونحوه في المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٤، والبحار ٤١:٥٢].

أقول في توضيح الخبر: أنّه نهض الإسلام والقرآن بالبشر نهضة حرّة عميقة مقرونة بالعلم والمعرفة، فرفع العرب من حضيض الجهالة فصاروا أُمّة عالمة حرّة بطبعهم المنزّه عن التشريفات الملوكيّة المصنوعة في فارس والروم، وهذا هو سرّ تقدّم المسلمين في القرون الهجرية الأُولى ونشر الإسلام في بلاد فارس والروم المكبّلة بقيود التشريفات ومراسيم الأُبّهة منذ قرون، فكان من شأن الإسلام تحرير النّاس عن هذه القيود الثقيلة، وكان الإمام عليه السلام مع ضيق الوقت وعدم اتّساعه، ومع أنّه على أُهبة سفر مهيب ومتوجّه إلى مقصدٍ هائلٍ وهو معركة صفّين الدامية، يفتح مدرسة جديدة في محيط الإسلام، ويبدأ تعليمات عالية إنسانيّة في هذه الجمل القصار الوجيزة، نلخّصها بما يلي:

١- التشريفات والمراسيم الباطلة بهذه الصور ممّا لا ينتفع به الأُمراء نفعاً عقلانياً للدنيا والآخرة، فهي من اللهو الباطل الممقوت.

٢- تحمّل هذه المشاقّ مبغوض في الإسلام وموجب لعذاب الآخرة.

٣- أخسر المشاقّ ما يتبعها العقاب، وأربح الاستراحة الاشتغال بما فيه أمان من النّار. [شرح النهج للخوئي رحمه الله ٢١:٧٠].

علي و الضيافة

في الخبر: بكى عليّ عليه السلام يوماً، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: "لم يأتني ضيف منذ سبعة أيّام، أخاف أن يكون اللّه قد أهانني".

جامع السعادات ٢:١١٧

حول فضيلة الضيافة

الضيافة ممدوحة في الإسلام، وأجرها جميلٌ، وثوابها جزيل، وفضلها عظيم، وثمرها كثير، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "الضيف إذا جاء فنزل بالقوم، جاء برزقه معه من السماء، فإذا أكل غفر اللّه لهم بنزوله". [جامع السعادات ٢:١١٦].

وقال صلى الله عليه و آله أيضاً: "كلّ بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة". [جامع السعادات ٢:١١٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'ما من مؤمن يحبّ الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر فينظر أهل الجمع، فيقولون: ما هذا إلا نبيّ مرسل! فيقول ملك: هذا مؤمن يُحبّ الضيف، ويُكرم الضيف، ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنّة'. [المصدر المتقدّم: ١١٧].

نبذة من سيرة عليّ في الضيافة

منها: ما رواه الكليني بسنده عن عبدالله بن القدّاح، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'دخل رجلان على أمير المؤمنين عليه السلام فألقى لكلّ واحد منهما وسادة فقعد عليها أحدهما وأبى الآخر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'اقعد عليها، فإنّه لا يأبى الكرامة إلا حمار'.

ثمّ قال: 'قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إذ أتاكم كريمُ قومٍ فاكرموه'. [أُصول الكافي ٢:٦٥٩، كتاب العِشرة - باب إكرام الكريم، ح ١، والبحار ٤٠:٥٣].

وفي "المناقب" خبر: رؤي أمير المؤمنين عليه السلام حزيناً فقيل له: ممّ حزنك؟ قال: 'لسبع أتت لم يضف إلينا ضيف'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٧٣].

وعن ابن شهرآشوب: عن ابن عبّاس، وأبي هريرة: روى جماعة عن عاصم بن كليب، عن أبيه، واللفظ عن أبي هريرة: أنّه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله إلى أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال عليه السلام: 'مَن لهذا الرجل الليلة؟'. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'أنا يا رسول الله'، وأتى فاطمة وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟'. فقالت: 'ما عندنا إلا قوت الصبية لكنّا نؤثر به ضيفنا'. فقال عليّ عليه السلام: 'يا بنت محمّد، نوّمي الصبية، واطفئي المصباح'، وجعلا يمضغان بألسنتهما، ولمّا فرغ من الأكل أتت فاطمة عليهاالسلام بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله، فلمّا أصبح صلّى مع النبيّ صلى الله عليه و آله، فلمّا سلّم النبي صلى الله عليه و آله من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وبكى بكاءً شديداً، وقال: 'يا أمير المؤمنين، لقد عجب الربّ من فعلكم البارحة'، اقرأ: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ' أي مجاعة، 'وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ' يعني عليّاً وفاطمة والحسن والحسين 'فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ'. [سورة الحشر: ٩].

[تفسير مجمع البيان ٩:٢٦٠].

في شروط الضيافة في كلام عليّ

ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري - وهو عامله على البصرة - وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: 'فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ. وَمَا ظَنَنْتُ أَ نَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ'، الحديث. [نهج البلاغة: ٩٥٦، الكتاب ٤٥].

ويستفاد من كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف أُمور منها:

١- ينبغي أن لا تقتصر الدعوة إلى المأدبة على الأغنياء، بل يجب أن تعمّ الفقراء أيضاً.

٢- أن لاتتجاوز الضيافة الحدّالمتعارف لدى النّاس،وأن تكون بعيدة عن التكلّف المقيت.

٣- أن لا تؤدّي تلبية الدعوة إلى سوء الظنّ والتهمة للإنسان.

٤- على مسؤولي الدولة أن يراعوا هذه الأُمور أكثر من غيرهم في تلبية الدعوات، لئلا يكونواً غرضاً لسهام الاتّهام، مراعين شروط الإمام عليه السلام في تقبّل الدعوة.

وفي "الخصال" وفي "صحيفة الإمام الرضا عليه السلام": بإسناده، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ عليهماالسلام، قال: 'دعا رجل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له: أجبتك على أن تضمن لي ثلاث خصال. قال: وما هي، يا أمير المؤمنين؟ قال: 'أن لا تُدخل علَيَّ شيئاً من خارج، ولا تدّخر عنّي شيئاً في البيت، ولا تجحف بالعيال'. قال: ذلك لك، فأجابه عليّ عليه السلام. [الخصال للشيخ الصدوق رحمه الله ١:١٨٩، باب الثلاثة، ح ٢٦، وصحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ٢٤٦، ح ١٥٥، طبع مدرسة الإمام المهدي "عج" - قم].

علي و رعاية حق الضيف

وفي تفسير الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليهماالسلام، أنّه قال: 'أعرف النّاس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها، أعظمهم عند اللّه شأناً، ومَن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند اللّه من الصدّيقين، ومن شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام حقّاً، ثمّ قال:

ولقد ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوانٌ له مؤمنان أبٌ وابنٌ، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما ثمّ أمر بطعام فأُحضر، فأكلا منه، ثمّ جاء قنبر بطشت وإبريق خشب ومنديل

لِلْيُبس، وجاء ليصبّ على يد الرجل ماءً، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذ الإبريق ليصبّ على يد الرجل فتمرّغ الرجل في التراب، وقال: يا أمير المؤمنين، اللّٰه يراني وأنتَ تصبّ على يدي؟

قال: اقعد، واغسل يدك، فإنّ عزّ وجلّ يراك، وأخاك الّذي لا يتميّز منك ولا ينفصل عنك [في نسخة: 'ولا يتفضّل عنك'].

ويزيد بذلك في خدمه [في نسخة: 'في خدمته'].

في الجنّة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في ممالكيه فيها، فقعد الرجل. فقال له عليّ عليه السلام: 'أقسمت بعظيم حقّي الّذي عرفته و نحلته وتواضعك للّٰه حتّى جازاك عنه بأن تدنيني لما شرّفك به من خدمتي لك لمّا غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصابّ عليك قنبراً، ففعل الرجل ذلك.

فلمّا فرغ ناول الإبريق محمّد بن الحنفيّة، وقال: يا بُنيّ، لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببت على يده، ولكنّ اللّٰه عزّ وجلّ يأبى أن يُسوّي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبّ الأب على الأب فليصبّ الابن على الابن، فصبّ محمّد بن الحنفيّة على الابن'.

ثمّ قال الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام: 'فمن اتّبع عليّاً عليه السلام على ذلك فهو الشيعي حقّاً'. [تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٢٥، طبع مدرسة الإمام المهدي "عج"، والبحار ٤١:٥٥].

علي و حضوره عند المحتضر

قال الرضا عن آبائه:، قال: 'قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: مَن أحبّني وجدني عند مماته بحيث يحبّ، ومَن أبغضه وجدني عند مماته بحيث يكره'. البحار ٦:١٨٨

كلمة حول حضور الأئمّة عند المحتضر

ورد في الأخبار المستفيضة، بل المتواترة: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّاً وفاطمة والأئمّة المعصومين عليهم السلام من ولدهما يحضرون عند المحتضر، وهذا من عقائد الإماميّة وخصائصهم، وقد أخذوا هذا الاعتقاد عن أهل البيت عليهم السلام.

والجدير بالذكر أنّ الأخبار والأحاديث الّتي شاهدتها في هذا الباب مختلفة في تعابيرها، يظهر من بعضها أنّهم عليهم السلام يتمثّلون للمحتضر، كقول الصادق عليه السلام: 'ويمثّل له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين و...'. ومن بعضها: أنّ المحتضر يراهم ويعرفهم كقول عليّ عليه السلام: 'يا حارث، لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة'. وكذا قول الصادق والباقر عليهماالسلام: 'حرام على

روح أن تفارق جسدها حتّى ترى الخمسة: محمّدا صلى الله عليه و آله وعليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً'. وكذا قول الصادق عليه السلام أيضاً: 'رآه وربّ الكعبة'، قالها ثلاثاً.

ويظهر من أكثرهم أنّهم عليهم السلام يحضرون عند الميّت بأنفسهم الشريفة وأشخاصهم العينيّة، ويبشّرونه ويلقّنونه ويجلسون عند رأسه وعند رجليه، ويُعرّفونه لجبرئيل عليه السلام، كقول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّ محبّيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم...'.

وقول الصادق عليه السلام: 'ما يموت موال لنا إلا ويحضره رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين و...'، وقول موسى بن جعفر عليهماالسلام: 'لا بدّ لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كان...'.

فإنّ هذه الأخبار دالّة بصراحةٍ على حضورهم عند المحتضر، وإنكانت كيفيّة حضورهم عليهم السلام مجهولة لنا، ويكفينا فيه الإيمان به إجمالاً وفقاً للروايات، كما هو شأن سائر أخبار الغيب الواردة في الكتاب والسنّة.

بعض كلمات علمائنا حول حضور عليّ والأئمّة عند المحتضر

قال الشيخ المفيد: هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة، وتواتر به الخبر عن الصادقين من الأئمّة عليهم السلام، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال للحارث الهمداني:

يا حار همدان من يمت يرني*** من مؤمن أو منافق قُبلا

يعرفني طرفُه وأعرفه*** بعينه واسمه وما فعلا

إلى آخر أشعاره. [أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٤٨].

وقال العلامة المجلسي: اعلم أنّ حضور النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام عند الموت ممّا قد وردت به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وأمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام. [البحار ٦:٢٠٠].

وقال الشيخ الحرّ العاملي: والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى، وقد تجاوزت حدّ التواتر ودلالتها قطعيّة. [الفصول المهمّة: ١١٣، نقلاً عن كتاب الإمام عليّ عليه السلام: ٣١٢].

وقال العلامة الطباطبائي: وهذا المعنى مرويّ عن أئمّة أهل البيت بطرق كثيرة جدّاً. [تفسير الميزان ١٠:١٠٠].

نبذة من الأخبار في هذا المقام

روى الكليني رحمه الله: بإسناده عن أبان بن عثمان، عن عقبة أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: 'إنّ الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى'.

قلت: جُعلتُ فداك، وما يرى؟ قال: 'يرى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فيقول له رسول اللّه: أنا رسول اللّه أبشر، ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب الّذي كنت تحبّه، تحبّ أن أنفعك اليوم' الحديث. [الكافي ٣:١٣٣].

وعنه أيضاً: عن سدير الصيرفي، قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام: جُعلت فداك - يابن رسول اللّه -: هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: 'لا واللّه، إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: ياوليّ اللّه، لا تجزع، فوالّذي بعث محمّداً صلى الله عليه و آله لأنا أبرُّ بك وأشفق عليك من ولد رحيم لو حضرك، افتح عينك فانظر، قال: ويمثل له رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيّتهم عليهم السلام، فيقال له: هذا رسول اللّه وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام رفقاؤك. قال: فيفتح عينه، فينظر فينادي روحه مناد من قِبل ربّ العزّة، فيقول: 'يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ' [سورة الفجر: ٢٧].

إلى محمّد وأهل بيته، 'ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً' بالولاية، 'مَرْضِيَّةً' [سورة الفجر: ٢٨].

بالثواب، 'فَادْخُلِي فِي عِبَادِي' [سورة الفجر: ٢٩].

يعني محمّداً وأهل بيته، 'وَادْخُلِي جَنَّتِي' [سورة الفجر: ٣٠].

فما شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي'. [الكافي ٣:١٢٧، وتفسير البرهان ٤:٤٦].

و عن ابن شهر آشوب عن زريق، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: 'لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا' [سورة يونس: ٦٤].

قال: 'هو أن يبشّراه بالجنّة عند الموت'، يعني محمّداً صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٢٣، والبحار ٦:١٩١].

وعنه أيضاً: عن الفضيل بن يسار، عن الباقرين عليهماالسلام، قالا: 'حرام على روح أن تفارق جسدها حتّى ترى محمّداً وعليّاً وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها'. [المصدر المتقدّم ٢:٢٢٣، والبحار ٦:١٩١].

وفي "البحار": عن "بشارة المصطفى" بالإسناد عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'والّذي نفسي بيده، لا تفارق روح جسد صاحبها حتّى تأكل من ثمار الجنّة، أو من شجرة الزقوم، وحين ترى ملك الموت تراني وترى عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فإن كان يُحبّنا قلت:

يا ملك الموت، ارفق به، إنّه كان يحبّني ويحبّ أهل بيتي، وإن كان يُبغضنا، قلت: يا ملك الموت، شدّد عليه إنّه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي'. [البحار ٦:١٩٤].

وفيه أيضاً: عن "تفسير الفرات"، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهماالسلام، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه السلام؛ قال اللَّه تعالى: 'وَإِن مِن أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً'. [سورة النساء: ١٥٩].

يا عليّ، إنّه لا يموت رجل يفتري على عيسى بن مريم عليه السلام حتّى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحقّ، حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وإنّك على مثله، لا يموت عدوّك حتّى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتّى يقرّ بالحقّ من أمرك ويقول فيك الحقّ، ويقرّ بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وأمّا وليّك فإنّه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشّراً وقرّة عين'. [المصدر المتقدّم: ١٩٤].

وفي "الكافي": عن يحيى بن سابور، قال: سمعت أبا عبداللَّه عليه السلام يقول في الميّت تدمع عينه عند الموت، فقال: 'ذلك عند معاينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيرى ما يسرّه'، ثمّ قال: 'أما ترى الرجل يرى ما يسرّه وما يحبّ فتدمع عينه لذلك ويضحك؟'. [الكافي ٣:١٣٣، والبحار ٦:١٨٢، ونحوه في المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٢٤].

وفيه أيضاً: بسنده عن عبدالرحيم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني صالح بن ميثم، عن عباية الأسدي أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: 'واللَّه لا يبغضني عبدٌ أبداً يموت على بغضي إلا رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبد أبداً فيموت على حبّي إلا رآني عند موته حيث يحبّ'، فقال أبو جعفر: 'نعم، ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله باليمين'. [الكافي ٣:١٣٢، وقوله عليه السلام: 'ورسول اللَّه باليمين'، يعني يرى المحتضر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على يمينه].

وفيه أيضاً: عن عمّار بن مروان، قال: حدّثني مَن سمع أبا عبداللَّه عليه السلام يقول: 'منكم واللَّه يقبل، ولكم واللَّه يغفر، إنّه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرّة العين إلا أن تبلغ نفسه هاهنا'، وأومأ بيده إلى حلقه، ثمّ قال: 'إنّه إذا كان ذلك واحتضر، حضره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وعليّ عليه السلام، وجبرئيل، وملك الموت عليهماالسلام، فيدنو منه عليّ عليه السلام فيقول: يا رسول اللَّه، إنّ هذا كان يُحبّنا أهل البيت، فأحبّه، ويقول رسول اللَّه: يا جبرئيل، إنّ هذا كان يحبّ اللَّه ورسوله وأهل بيت رسوله، فأحبّه، ويقول جبرئيل لملك الموت: إنّ هذا كان يحبّ اللَّه ورسوله وأهل بيت رسوله، فأحبّه وأرفق به، الحديث. [الكافي ٣:١٣١].

وفيه أيضاً، وفي "تفسير العيّاشي": عن عقبة بن خالد، قال: دخلت أنا والمعلّى على أبي عبدالله عليه السلام فقال: 'يا عقبة، لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الّذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينيه إلا أن يبلغ نفسه إلى هذه' - وأومأ بيده إلى الوريد - ثمّ اتّكأ وغمزني المعلّى أن سله، فقلت: يابن رسول الله، إذا بلغت نفسه إلى هذه فأيّ شيء يرى؟ فقال في آخرها: 'يا عقبة'. فقلت: لبّيك وسعديك. فقال: 'أبيتَ إلا أن تعلم'. فقلت: 'نعم - يابن رسول الله - إنّما ديني مع دينك، فإذا ذهب ديني كان ذلك، فكيف لي بك - يابن رسول الله - كلّ ساعة، وبكيتُ فرقّ لي. فقال: 'يراهما والله'. فقلت: بأبي وأمّي، مَن هما؟ قال: 'ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام. يا عقبة، لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتّى تراهما'، الحديث. [المصدر المتقدّم: ١٢٨، وتفسير العيّاشي ٢:١٢٥، ولفظ الحديث من تفسير العيّاشي].

في "تفسير العيّاشي": عن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: ما يصنع بأحد عند الموت؟ قال: 'أما والله - يا أبا حمزة - ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منّا يقرّ به عينه، إلا أن يبلغ نفسه هاهنا - ثمّ أهوى بيده إلى نحره - ألا أُبشّرك يا أبا حمزة؟'. فقلت: بلى، جعلت فداك. فقال: 'إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام معه، يقعد عند رأسه فقال له - إذا كان ذلك - رسول الله صلى الله عليه و آله: أما تعرفني؟ أنا رسول الله، هلمّ إلينا، فما أمامك خيرٌ لك ممّا خلّفت، أمّا ما كنت تخاف فقد أمنته، وأمّا ما كنت ترجو فقد هجمت عليه. أيّتها الروح، اخرجي إلى روح الله ورضوانه، ويقول له عليّ عليه السلام مثل قول رسول الله صلى الله عليه و آله'. [تفسير العيّاشي ٢:١٢٦، والبحار ٦:١٧٨].

قصة الحارث الهمداني

عن الأصبغ بن نباتة، قال: فدخل الحارث الهمداني على أميرالمؤمنين عليه السلام في نفرٍ من الشيعة و كنت فيهم فجعل الحارث يتئد في مشيته و يخبط الأرض محجة [أتّاد في مشيته: تمهّل و تأنّى. و الخبط: الضرب الشديد و المحجة: العصا المعوجة].

و كان مريضاً فاقبل عليه عليّ عليه السلام فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر يا أميرالمؤمنين منّي و زادني أوباً غليلاً "في نسخة: اوباراً و غليلاً". [الأوار: بالضم، حرارة الشمس و حرارة العطش، و الغليل: الحقد و الضغن و حرارة الحبّ و الحزن].

اختصام أصحابك ببابك.

قال عليه السلام: و فيم خصومتهم؟ قال: فيك فمن مفرط منهم غال، و مقتصد قال، و من متردد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم [أحجم عنه: كفّ].

فقال عليه السلام: 'حسبك يا أخا همدان، ألا إنّ خير شيعتيى النمط الأوسط إليهم يرجع الغالي و بهم يلحق التالي، الى ان قال عليه السلام: و أُبشّرك - يا حارث - لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة'.

قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال: 'مقاسمة النّار أُقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليّي، فاتركيه، وهذا عدوّي، فخذيه'.

قال جميل بن صالح: وأنشدني أبو هاشم السيّد الحميري رحمه الله فيما تضمّنه هذا الخبر:

قول عليّ لحارث عجب*** كم ثمّ أُعجوبة له حملا

يا حار همدان من يمت يرني*** من مؤمن أو منافق قُبلا

يعرفني طرفُهُ وأعرفُهُ*** بنعته واسمه وما عملا

وأنت عند الصراط تعرفني*** فلا تخف عثرة ولا زللا

أُسقيك من بارد على ظمأ*** تخاله في الحلاوة العسلا

أقول للنّار حين توقف للعرض*** دعيه لا تقتلي الرجلا

دعيه لا تقربيه إنّ له*** حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا

[في كشف الغمّة: 'تعرض للعرض'].

[وفيه وفي أمالي المفيد: 'لا تقربي'].

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٥٤٦، وأمالي المفيد - المجلس الأوّل: ٣، ح ٣، والبحار ٦:١٧٨].

قصة دعبل الخزاعي

وفي "البحار": عن أبي الحسن داود البكري، قال: سمعت عليّ بن دعبل بن عليّ الخزاعي، يقول: لمّا حضر أبي الوفاة تغيّر لونه، وانعقد لسانه، واسودّ وجهه، فكدت الرجوع عن مذهبه، فرأيته بعد ثلاث في ما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء، فقلت له: يا أبه، ما فعل اللّه بك؟

فقال: يا بُنيّ، إنّ الّذي رأيته من اسوداد وجهي، وانعقاد لساني، كان من شربي الخمر في دار الدنيا، ولم أزل كذلك حتّى لقيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء، فقال لي: 'أنت دعبل؟'.

قلت: نعم، يا رسول اللّه. قال: 'فأنشدني قولك في أولادي'. فأنشدته قولي:

لا أضحك اللّه سنّ الدهر إن ضحكت*** وآل أحمد مظلومون قد قهروا

مشرّدون نفوا عن عقر دارهم*** كأنّهم قد جنوا ما ليس يغتفرُ

قال: فقال لي: "أحسنت"، وشفّع فيَّ، وأعطاني ثيابه، وها هي، وأشار إلى ثياب بدنه. [البحار ٤٩:٢٤١].

قصة الحميري

وفي "كشف الغمّة وغيره": عن الحسين بن عون، قال: دخلت على السيّد ابن محمّد الحميري عائداً في علّته الّتي مات فيها، فوجدته يُساق به [أي تنزع روحه].

ووجدت عنده جماعة من جيرانه، وكانوا عثمانيّة، وكان السيّد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض ما بين السالفين، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثمّ لم تزل تنمي وتزيد حتّى طبّقت وجهه بسوادها، فاغتمّ لذلك مَن حضره من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتنمي حتّى اصفرّ وجهه وأشرق وافترّ ضاحكاً، وقال:

كذب الزاعمون أنّ عليّاً*** لم ينجّي محبّه من هنات

[الهنات: خصال الشرّ].

قد وربّي دخلت جنّة عدن*** وعفا لي الإله عن سيّئاتي

فابشروا اليوم أولياء عليّ*** وتولّوا الوصيّ حتّى الممات

ثمّ من بعده تولّوا بنيه*** واحداً بعد واحد بالصفات

ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه حقّاً حقّاً، أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه حقّاً حقّاً، أشهد أنّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً، أشهد أن لا إله إلا اللّه، ثمّ أغمض عينه لنفسه، فكأنّما كانت روحه ذبالة [الذبالة: الفتيلة].

طفيت، أو حصاة سقطت. [كشف الغمّة وترجمة المناقب ١:٥٤٨، والبحار ٦:١٩٢، وفي المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٢٤، رواه مع تفاوت يسير].

وروى العلامة الأميني رحمه الله عن رجال "الكشي" ص١٨٥، و"أمالي ابن الشيخ" ص٣١١، و "بشارة المصطفى"، عن أبي سعيد محمّد بن رشيد الهروي، قال: إنّ السيّد اسودّ وجهه عند الموت، فقال: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ قال: فابيضّ وجهه كأنّه القمر ليلة البدر.

فأنشأ يقول:

أُحبّ الّذي من مات من أهل وُدّه*** تلقّاه بالبُشرى لدى الموت يضحك

ومن مات يهوى غيره من عدوّه*** فليس له إلا إلى النّار مسلك

أبا حسن أفديك نفسي وأسرتي*** ومالي وما أصبحت في الأرض أملك

أبا حسن إنّي بفضلك عارف*** وإنّي بحبل من هواك لممسك

وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه*** فإنّا نعادي مبغضيك ونترك

ولاح لحاني في عليّ وحزبه*** فقلت لحاك اللّٰه إنّك أعفك

[الأعفك: الأحمق].

مواليك ناج مؤمن بين الهدى*** وقاليك معروف بالضلاة مشرك

[الغدير ٢: ٢٧٤].

قصة شطيطة في عصر موسى بن جعفر

وروى ابن شهرآشوب رحمه الله في "المناقب": عن الإمام موسى بن جعفر عليهماالسلام، في حديث طويل: قال عليه السلام لمحمّد بن عليّ النيشابوري: 'عرّف أصحابك واقرأهم منّي السلام، وقل لهم: إنّي ومن يجري مجراي من الأئمّة عليهم السلام لا بدّ لنا من حضور جنائزكم في أيّ بلد كنتم، فاتّقوا اللّٰه في أنفسكم'. [نذكر هنا الحديث بطوله، وإن كان خارجاً عن مقالتنا، لكنّا نذكره بشارة لمحبّي أهل البيت عليهم السلام.

عن أبي عليّ بن راشد وغيره - في خبر طويل -: أنّه اجتمعت العصابة الشيعة بنيشابور واختاروا محمّد بن عليّ النيشابوري، رفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم وألفي شقّة من الثياب، وأتت شطيطة بدرهم صحيح وشقّة خام |الخام: نسيج من القطن| من غزل يدها تساوي أربعة دراهم. فقالت: إنّ اللّٰه لا يستحيي من الحقّ.

قال: فثنيت درهمها، وجاءوا بجزء فيه مسائل مل ء سبعين ورقة في كلّ ورقة مسألة، وباقي الورق بياض ليكتب الجواب تحتها. وقد خرمت كلّ ورقتين بثلاث خُزُم |حزم الشي ء: شدّه، والحزم - بضمّتين - جمع الحزام، ما يشدّ به وسط الشي ء|، وختم عليها بثلاث خواتيم، على كلّ حزام خاتم، وقالوا: ادفع إلى الإمام ليلة، وخذ منه في غد، فإن وجدت الجزء صحيح الخواتيم فاكسر منها خمسة، وانظره هل أجاب عن المسائل، وإن لم تنكسر الخواتيم فهو الإمام المستحقّ للمال، فادفع إليه، وإلا فردّ إلينا أموالنا.

فدخل علي بن راشد على الأفطح عبداللّٰه بن جعفر وجرّبه وخرج عنه قائلاً: ربّ، اهدني إلى سواء الصراط، قال: فبينما أنا واقف، إذا أنا بغلام يقول: أجب مَن تريد.

فأتى بي دار موسى بن جعفر عليه السلام، فلمّا رآني قال لي: "لِم تقنط يا أبا جعفر؟ ولِمَ تفزع إلى اليهود والنصارى، فأنا حجّة اللّٰه ووليّه، ألم يعرفك أبوحمزة على باب مسجد جدّي؟ وقد أجبتك عمّا في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس، فجئني به وبدرهم شطيطة الّذي وزنه درهم ودانقان الّذي في الكيس الّذي فيه أربعمائة للوازواري والشقة الّتي في رزمة الأخوين البلخيّين".

قال: فطار عقلي من مقاله، وأتيت بما أمرني ووضعت ذلك قِبله، فأخذ درهم شطيطة وإزارها ثمّ استقبلني، وقال: "إنّ اللّٰه لا يستحيي من الحقّ. يا أبا جعفر، أبلغ شطيطة سلامي وأعطها هذه الصُرّة"، وكانت أربعين درهماً، ثمّ قال: "وأهديت لك شقّة من أكفاني من قطن قريتنا صيداء قرية فاطمة عليهاالسلام، وغزل أُختي حليمة ابنة أبي عبداللّٰه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام".

ثمّ قال: "وقل لها ستعيشين تسعة عشر يوماً من وصول أبي جعفر ووصول الشقّة والدراهم، فانفقي على نفسك منها ستّة عشر درهماً، واجعلي أربعة وعشرين صدقة منك وما يلزم عنك، وأنا أتولّى الصلاة عليك، فإذا رأيتني - يا أبا جعفر - فاكتم عليَّ فإنّه أبقى لنفسك".

ثمّ قال: "واردد الأموال إلى أصحابها، وافكك هذه الخواتيم عن الجزء، وانظر هل أجبناك عن المسائل أم لا، من قبل أن تجيئنا بالجزء". فوجدت الخواتيم صحيحة، ففتحت منها واحداً من وسطها، فوجدت فيه مكتوباً: ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال: نذرت للّٰه لأعتقنّ كلّ مملوك كان في رقّي قديماً وكان له جماعة من العبيد؟

الجواب بخطّه عليه السلام: "ليعتقنّ من كان في ملكه من قبل ستّة أشهر، والدليل على صحّة ذلك قوله تعالى: "وَالْقَمَر قَدَّرْناهُ" الآية والحديث: من ليس له من ستّة أشهر".

وفككت الختم الثاني فوجدت ما تحته: ما يقول العالم في رجل قال: واللّٰه، لأتصدّقنّ بمال كثير فيما يتصدّق؟

الجواب تحته بخطّه عليه السلام: "إن كان الّذي حلف من أرباب شياه فليتصدّق بأربع وثمانين شاة، وإن كان من أصحاب النعم فليتصدّق بأربع وثمانين بعيراً، وإن كان من أرباب الدراهم فليتصدّق بأربع وثمانين درهماً، والدليل عليه قوله تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰه في مَواطِنَ كَثِيرَة".

فعدت مواطن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قبل نزول تلك الآية فكانت أربعة وثمانين موطناً".

فكسرت الختم الثالث فوجدت تحته مكتوباً: ما يقول العالم في رجل نبش قبر ميّت، وقطع رأس الميّت، وأخذ الكفن؟

الجواب بخطّه عليه السلام: 'يقطع السارق لأخذ الكفن من وراء الجزر، ويلزم مائة دينار لقطع رأس الميّت؛ لأنّا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أُمّه قبل أن ينفخ فيه الروح، فجعلنا في النطفة عشرين ديناراً'، إلى آخر المسألة.

فلمّا وافى خراسان وجد الّذين ردّ عليهم أموالهم ارتدّوا إلى الفطحيّة، وشطيطة على الحقّ، فبلّغها سلامه، وأعطاها صرّته وشقّته، فعاشت كما قال عليه السلام، فلمّا توفّيت شطيطة جاء الإمام عليه السلام على بعير له. فلمّا فرغ من تجهيزها ركب بعيره وانثنى نحو البريّة وقال: 'عرّف أصحابك، واقرأهم منّي السلام، وقل لهم: إنّي ومن يجري مجراي من الأئمّة عليهم السلام لا بدّ لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كنتم، فاتّقوا اللّٰه في أنفسكم'. راجع المناقب لابن شهرآشوب ٤:٢٩١].

عيادة عليّ بن موسى عن المحتضر

وفي "البحار" عن "دعوات الراوندي": عن محمّد بن عليّ عليهماالسلام، قال: مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده، فقال: 'كيف تجدك؟'، قال: لقيت الموت بعدك - يريد ما لقيه من شدّة مرضه -. قال: 'كيف لقيته؟'، قال: شديداً أليماً. قال: 'ما لقيته، إنّما لقيت ما يبدوك به، ويعرّفك بعض حاله، إنّما النّاس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح منه، فجدّد الإيمان باللّٰه وبالولاية تكن مستريحاً'. ففعل الرجل ذلك، ثمّ قال: يابن رسول اللّٰه، هذه ملائكة ربّي بالتحيّات والتحف يسلّمون عليك، وهم قيام بين يديك، فأذن لهم في الجلوس. فقال الرضا عليه السلام: 'اجلسوا ملائكة ربّي'. ثمّ قال للمريض: 'سلهم أُمروا بالقيام بحضرتي'. فقال المريض: سألتهم فذكروا أنّه لو حضرك كلّ من خلقه اللّٰه من ملائكته لقاموا لك ولم يجلسوا حتّى تأذن لهم، هكذا أمرهم اللّٰه عزّ وجلّ، ثمّ غمّض الرجل عينيه، وقال: السلام عليك يابن رسول اللّٰه، هذا شخصك مائل لي مع أشخاص محمّد ومن بعده من الأئمّة عليهم السلام. وقضى الرجل. [البحار ٦:١٩٤].

ندامة خطّاب الجهني عند الاحتضار

وفي "الكافي": عن أبي يعفور، قال: كان خطّاب الجهني خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمّد، وكان يصحب نجدة الحروري [الحروريّة: طائفة من الخوارج منسوبة إلى حروراء، وهي قرية بالكوفة، ونجدة رئيسهم].

قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقيّة، فإذا هو مغمى عليه في حدّ الموت فسمعته يقول: ما لي ولك يا عليّ، فأخبرت بذلك أبا عبدالله عليه السلام، فقال أبو عبدالله عليه السلام: 'رآه وربّ الكعبة، رآه وربّ الكعبة، رآه وربّ الكعبة' [الكافي ٤:١٣٣، والبحار ٦:١٩٩] يعني رأى اميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

اشكالان على حضورهم عند المحتضر وجوابهما

بعدما مضى من كلمات العلماء المستندة إلى الأخبار المتواترة عن النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام في حضورهم عند المحتضر، لا تبقى شبهة في اعتقادنا في حضورهم عليهم السلام عند المحتضر، مؤمناً كان أم كافراً، ولكن لمّا كان هذا خلاف الحسّ والعقل الخالي عن الايمان، فيمكن أن يستشكل هنا بأمرين:

الأوّل: إنّنا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً.

والثاني: إنّه يمكن أن يتّفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من النّاس في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة.

أمّا الجواب عن الاشكال الأوّل، بوجوه:

أوّلاً: إنّ اللّه تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة، كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة في تفسير قوله تعالى: "جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً". [سورة الإسراء: ٤٥].

إنّ اللّه تعالى أخفى شخص النبيّ صلى الله عليه و آله عن اعدائه مع أنّ أولياءه كانوا يرونه صلى الله عليه و آله، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء.

ثانياً: إنّه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه.

ثالثاً: إنّه يمكن أن يخلق اللّه تعالى لكلّ منهم مثالاً بصورته، وهذه الأمثلة تكلّم الموتى، وتُبشّرهم من قبلهم عليهم السلام، وقد مرّ في بعض الأخبار ما يؤيّد ذلك.

رابعاً: إنّه يمكن أن ترتسم صورهم في الحسّ المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلّم معهم كما في بعض الامراض، فان المريض يهذى و يتحدث مع أشخاص ليسوا بحضرته.

خامساً: ما ذكره السيّد المرتضى رحمه الله وهو أنّ المعنى أنّه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم؛ لأنّ المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنّه من أهل الجنّة، وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنّه من أهل النّار، فيكون حضورهم وتكلّمهم استعارة تمثيلية. [قال الشيخ المفيد رحمه الله في أوائل المقالات ص٤٧ نظيره كقوله: إنّ معنى رؤية المحتضر للنبيّ والإمام هو العلم بثمرة ولايتهما... دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتّساع الشعاع... الخ].

قال العلامة المجلسي رحمه الله: ولا يخفى أنّ الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار وطعن في الآثار. [البحار ٦:٢٠٠].

سادساً: ما ذكره العلامة النوري رحمه الله في "دار السلام"، قال: من الاحتمالات: أن يكون المراد من الحضور كشف الحجاب عن بصر المحتضر فيراهم عليهم السلام وهم في مستقرّهم ومقامهم من ذلك العالم من دون حركة وسير منهم لذلك، كرؤية النّاس جميعاً كوكباً معيّناً في آن واحد في أمكنة متباعدة... ومع ذلك كلّه فلا يساعده ما مرّ من الأخبار. [دار السلام ٤:٣٠٦].

أقول: نعم، لا توافقه الأخبار، بل الأخبار صريحة، بأنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يجلس عند رأس المحتضر وعليّ عند رجليه أو يدنو منه و... وهذه الأخبار لا تساعد على كشف الحجاب عن بصر المحتضر فيرونهم وهم عليهم السلام في مقامهم من دون حركة منهم.

وأيضاً إنّ نسبة الكوكب إلى الناضرين إليه نسبة متساوية مع أنّ نسبة المعصومين عليهم السلام إلى المحتضر مختلفة فيلقون المحبّين بوجه مستبشر، والمنكرين بوجه مستنكر، وهذا يستدعي التفاتاً خاصّاً لكلّ واحد من الطائفتين، فلا يساعد الاستقرار في مكان واحد مع وضع واحد.

وأمّا الجواب عن الإشكال الثاني:

فبأنّه إنّما تتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتّفاق، ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجساد المثالية، يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة لما جعل اللّٰه لهم من القدرة الكاملة الّتي بها امتازوا عن سائر البشر.

وفي الأجوبة الأخيرة عن الإشكال الأوّل يندفع هذا الإيراد أيضاً، ثمّ قال العلامة المجلسي رحمه الله: والأحوط والأوْلى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها وعدم التعرّض لخصوصيّتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام. [البحار ٦:٢٠٢].

أقول: والحقّ في الجواب ممّا يظهر من الأخبار بأنّهم عليهم السلام يحضرون عند المحتضر بأعيانهم لا أمثالهم وأشباههم، وحتّى حديث التمثيل مشتمل ذيله على قوله: "فيقال له: هذا رسول اللّٰه وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام رفقاؤك"، وهذه العبارات لا تساعد على التمثل المذكور قطّ، يعني لا يجوز أن يقال لأشباههم هذا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى هذا فإنّ رسول اللّٰه وأمير المؤمنين وفاطمة وسائر الأئمّة عليهم السلام يحضرون عند المحتضرين بجسمهم بالقدرة الإلهيّة، واللّٰه العالم بمقتضى الحال.

نماذج من حضور الأئمّة عند المحتضرين

في ختام الفصل نرى من الضروري تبيين بعض الموارد الّتي رأتها الأعين وأدركتها الحواسّ، حيث حدثت في عصرنا الحالي المعاينة والمشاهدة، وتؤكّد جميعاً الروايات والأخبار المنقوله عن أهل بيت العصمة سلام اللّه عليهم أجمعين في أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام أو أحد أهل البيت يقفون على رأس المؤمن حال الاحتضار... وسنشرع في بيان ذلك، آملين أن يكون حافزاً للاطمئنان وقوّة القلب لشيعتهم عليهم السلام.

قضية من آية اللّه الگلبايگاني

في مساء يوم الأحد المصادف ٩/٧/١٣٦٩ ه. ش، تشرّفنا بزيارة فقيه أهل البيت آية اللّه العظمى السيّد محمّد رضا الموسوي الگلپايگاني، وطلبت منه أن ينقل لي بعض المشاهد أو المعاينات الّتي تدلّ على حضور الأئمّة الأطهار للمؤمن المحتضر؟ فتفضّل قائلاً:

عندما كنت مشغولاً بطلب العلوم الدينيّة في النجف الأشرف، حينها كنتُ شابّاً، وكان لي ابن عمّ اسمه أبو طالب الكربلائي، وأنا أناديه بالعمّ أبي طالب، إذ كان في ذلك الوقت في سنّ الكهولة، وقد غلبه المرض الشديد الّذي ألمّ به فلم يبرح فراشه، ورغم أنّني لم أبلغ حدّ التكليف، فقد كنتُ أحضر لعيادته.

وفي أحد الأيّام وسبب حادث وقع لى ذهبت خارج المنزل، وحينما رجعت وجدت ابن عمّي قد فارق الحياة ومات، وعندما حضرته وجدتُ جمعاً كثيراً حول جنازته رحمه الله فقالوا له: لقد اشتدّ المرض بالسيّد أبي طالب الكربلائي حين ذهابك بحيث إنّه لم يستطع التكلّم أو الحركة، ولم تمرّ إلا هنيئة فإذا به يتكلّم وهو واقف، وقال: إنّ جدّي حضرة موسى بن جعفر عليهماالسلام شرّف هذا المكان، قوموا احتراماً له، قال هذا وفارق الحياة.

قضايا من آية اللّه الاراكي

١- وفي الساعة العاشرة والنصف من يوم الأحد المصادف ٧/٨/١٣٦٩ تشرّفنا بزيارة آية اللّه العظمى الشيخ الآراكي، وطلبنا منه أن يقصّ لنا بعض الموارد الّتي لها مساس بالبحث، فنقل لنا عن والده المعروف بالحاج ميرزا أنّه قال: كان في منطقه مصلح آباد [مصلح آباد: قرية تقع على بعد سبعة فراسخ من آراك ايران].

ضابط برتبة مقدّم اسمه محمّد خان أجودان فوج، قد أرسل إليَّ رسالة طلب فيها أن آتي لزيارته غداً في منزله بصحبة المُلا موسى روحاني. قال والدي: ذهبنا في اليوم التالي لزيارة محمّد خان في منزله فوجدناه قد توسّد وسادة الموت، وكأنّه في حالة احتضار.

فقال حينئذٍ: آتوني غليون الوداع. فذهبوا وجلبوا له الغليون.. واحتضنّاه وأعنّاه على الجلوس، فجلس، ووضعوا الغليون أمامه، وقد حاول عبثاً ودون جدوى أن يمصّ الغليون فلم يستطع، وقال: يكفي، خذوا الغليون، ثمّ نام وصاح بعدها فجأة: يا مُلا موسى، اقرأ دعاء الفرج، فقد عقدوا شُصّ المحبّة [الشصّ: حديدة عقفاء يصاد بها السمك. لسان العرب ٧:٤٨، والمراد هنا محبّة أهل البيت عليهم السلام].

في قدمي، وقرأ ملا موسى الدعاء، ولم يمرّ كثيراً حيث قال: اقرأ لقد وصل شصّ المحبّة إلى رجلي، وقرأ الملا الدعاء، فقال: اقرأ لقد وصل إلى ظهري، فقرأ وقال: اقرأ لقد وصل إلى حلقي، فودّع الدنيا.

٢- والمورد الآخر نقله لنا عن المرحوم آية اللّٰه العظمى الحاج سيّد أحمد الخوانساري، قال: إنّ آية اللّٰه الحاج نور الدين صاحب كتاب "تفسير القرآن والعقل" ابتلي بمرض العُطاش [العُطاش: داء يصيب الإنسان يشرب الماء فلا يروى. مجمع البحرين ٤:١٤٣، مادة 'عطش'].

ومن خصوصيّات هذا المرض أن يدخلوا ميلاً في بطن المصاب لاستخراج الماء، وكان الدكتور المعالج لنور الدين يقول: لقد أدخلنا الميل في بطنه مراراً واستخرجنا الماء منه إلا أنّه لم يقل مرّة: آه.

يقول الخوانساري: لقد ذهبت لعيادته وكانت عيناه مغلقتين وكأنّه نائم، فخرجنا منه، وفي اليوم التالي أخبرونا بوفاته، فذهبت للتجهيز والتشييع، حينها قال لي الدكتور المعالج للحاج السيّد أحمد: عندما ذهبت البارحة فتح عينيه ونظر جانباً، وقال: السلام عليكم، ثمّ نظر إلى جانب آخر وقال: السلام عليكم، ثمّ فارق الحياة.

٣- وممّا آية اللّٰه الاراكي نقله عن ابن أخيه الميرزا غلام حسين مصلحي، قال: ذهبت عصر يوم الخميس لعيادة والدي فوجدته في حالة احتضار، وطلب منّي البقاء، فبقيت، ولكنّي رأيت ما يثير الدهشة والاستغراب: أنّ غرباناً في باب الغرفة تذهب وتجي ء، وفجاة قال: أعطني مسبحتي وخاتمي، فأعطيتهماه، وأضاف: ادعُ لي بدعاء العديلة، فدعوت، ثمّ جلس واضعاً يده على صدره قائلاً: السلام عليكم.. قال هذا و فارق الحياة.

قضية من العالم السيّد محمّد باقر الموسوي

١- نقل السيّد محمّد باقر الموسوي الهمداني [مترجم تفسير الميزان].

عن آية اللّٰه السيّد ميرزا حسن فريد عن أُستاذه المرحوم آية اللّٰه العظمى الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري رحمه الله مؤسّسة الحوزة العلميّة في قم المشرّفة، قال: بينما كنت مشغولاً بالدرس في كربلاء المقدّسة ابتليت بمرض الحصبة، وفي اليوم الرابع عشر من العلاج المدعو يوم الأزمة [لعدم وجود المضادّات الحيوية سابقاً، كان النّاس إذا أُصيب أحدهم بالحصبة يعالجونه لمدة أربعة عشر يوماً، فإن لم يتعرّق في اليوم الرابع عشر، ففي ذلك اليأس والدلالة على الموت، وإن تعرّق ففي ذلك دلالة على التحسّن، ويسمّون هذا اليوم بيوم الأزمة].

لم أتعرّق، فكان ذلك علامة الموت. وقد أيقنت عندها أنّي أموت، وكذلك الحاضرون، وفي تلك الأثناء انشقّ سقف الغرفة، ودخل شخصان متّشحان بالبياض، وجلسوا بطرف رجلي، لم يقولا شيئاً ولم يلمسا بدني، في هذه الحال أحسست أنّ الألم والحرقة قد سكنا وبدءا يصعدان إلى الأعلى، عندها فهمت أنّ هذين كانا مسؤولين عن قبض روحي، وفي حال أنّ حواسي تعمل وسالمة جميعاً كنت أرى عيالي وهم يبكون عليّ، ويستعدّون لتجهيزي، مخبّرين الجيران بموتي.

وشعرت أنّ روحي قد وصلت إلى صدري، فدعوت سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وقلت: يابن رسول اللّٰه، لقد جئت بجواركم لكي استوعب معارف عقيدتكم، وأتشرّف بخدمتكم، وإذا كنتم ترون فيَّ اللياقة كخادم لكم فاطلبوا من اللّٰه أن يرجعني، فإذن رأيت رجلاً ثالثاً متّشحاً بالبياض أيضاً قد جاء ونزل من الشقّ الّذي في السقف، وقال للأوّلين: كفّا عنه، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام مشغول بالدعاء له، فلم يهتمّا له، فذهب وجاء الإمام عليه السلام وقال: لقد أخذت الشفاء لهذا الأخ قوما واذهبا.

يقول السيّد الموسوي: لقد سألت المرحوم آية اللّٰه العظمى الحاج الشيخ مرتضى الحائري [المرحوم الحاج الشيخ مرتضى الحائري، من العلماء الكبار والأساتذة المعروفين في الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، ويعدّ نموذجاً نادراً في الزهد والورع، ولقد اشتركتُ في حضور درسه لمدّة "١٠" سنوات، واستفدت منه رحمه الله في الفقه والأُصول، وانتفعتُ من حسن سلوكه وأخلاقه وآدابه الإسلاميّة الدروس والعبر والمواعظ، وعاش إلى آخر عمره ببساطة وتواضع واضحين، وكنّا كلّما اقتربنا منه وقفنا على تقواه وورعه وزهده أكثر فأكثر، وهو من المتعلّقين بزيارة ثامن الأئمّة عليهم السلام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ولكن أنا سمعت القضية السيّد الموسوي بعد موت الاستاذالمرتضى الحائري و لذا أنا لم أُفوق من السؤال عنه].

ابن المرحوم الحاج الشيخ حول الموضوع وأيّده.

٢- و قال السيّد الموسوي الهمداني ونقل لنا ابن السيّد هادي كروسي [حجّة الإسلام والمسلمين المرحوم الحاج السيّد هادي كروسي أحد علماء همدان بإيران، كان معروفاً بالتُّقى والورع، وممّن يدرس طلاب الحوزة في همدان، وإنّه إمام الجماعة في السوق الكبير].

بأنّ والده كان في سنة ١٣٣٣ في حالة الاحتضار، حيث أُغمي عليه، وبينما كنتُ أنا الوحيد بالقُرب منه، فجأة أفاق من إغمائه، وقال لي - ولدي - من هذا السيّد الجليل الّذي كان يصلّي هنا؟ فدقّقت نظري وأمعنت فلم أجد أحداً. [هذه حالة تختصّ بالمحتضر، وهو يرى ما لا يرى غيره].

فقلت لأبي: إنّه أحد أصدقائك مشغول بالصلاة، وبعد ذلك احتضنت والدي ونقلته إلى الغرفة العليا، وقطّرت في فمه بعض قطرات الماء بالملعقة، وعندئذٍ أشار بيده إلى باب الغرفة قائلاً: تفضّل!! وهو ينظر إليّ، فأضاف: سيّدي أمير المؤمنين عليه السلام. وفي هذه الأثناء مدّ - أبي - يده إلى فمه كأنّه اتّخذ قدحاً ليشرب ما فيه، فشرب ولم أرَ الماء، وفارق الحياة.

و مثل هذه القضايا كثيرة جداً نعرض عنها للاختصار و نسأل اللّه ان يرزقنا زيارتهم عليهم السلام حال الاحتضار و شفاعتهم يوم الجزاء آمين يا رب العالمين.

في الحكومة حتّى الشهادة و خاتمة

علي و الإمامة و الحكومة

عن أبي ذرّ الغفاري، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'من ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب اللّه ورسوله، ومن شكّ في عليّ فهو كافر'.

المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٤٥، رقم ٦٨

ما معنى الإمامة؟

في المفردات: "الإمام المؤتمّ به": إنسان يُقتدى بقوله أو فعله، أو كتابٌ، أو غير ذلك، محقّاً كان أو مبطلاً، وجمعه أئمّة. [المفردات: ٢٤].

وفي لسان العرب: "الإمام": كلّ من ائتمّ به قوم، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّين، إلى أن قال: إمام القوم معناه هو المتقدّم لهم، ويكون الإمام رئيساً كقولك: إمام المسلمين. [لسان العرب ١:١٠١].

وفي المنجد: "الإمامة": الرئاسة العامّة. [المنجد: ١٧].

وعرّفت الإمامة اصطلاحاً بوجوه عدّة

١- رئاسة عامّة في أُمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبيّ صلى الله عليه و آله. [شرح الباب الحادي عشر للمحقّق الحلي رحمه الله، في فصل الإمامة: ٤٢، وشرح التجريد للقوشجي: ٢٧٤].

٢- خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتّباعه على كافّة الأُمّة. [المواقف: ٣٤٥].

٣- نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا. [مقدّمة ابن خلدون: ١٩١].

٤- خلافة عن الرسول في إقامة الدين وحفظ الملّة، بحيث يجب اتّباعه على كافّة الأُمّة. [دلائل الصدق ٢: ٤ "والتعريف للفضل بن روزبهان الأشعري"، حكاه عنه في الإلهيّات ١: ٥١٠].

والتعريف الأوّل أليق على مذهب الإماميّة؛ لأنّ الإمامة عندنا هي رئاسة عامّة إلهيّة في أُمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص.

وفي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: 'إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين. إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي. الإمام البدرُ المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع. الإمام الماء العذب على الظمأ، والدالّ على الهدى' الحديث. [سفينة البحار ١: ٣٢، مادة أمم].

ولا يخفى أنّ لفظ الإمام قد يطلق على إمام الباطل أيضاً [في الكافي "١: ٢١٦" بسنده عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "إنّ الأئمّة في كتاب اللّٰه إمامان. قال اللّٰه تعالى: 'وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا'، وقال: 'وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ"الحديث].

وقد يطلق على القائد ولو في قسمٍ خاصٍّ فيقال: إمام الجمعة والجماعة، إمام الجهاد، إمام الحجّ [وفي وسائل الشيعة "٨: ٢٩٠"، عن حفص المؤذّن، قال: حجّ إسماعيل بن عليّ بالنّاس سنة أربعين ومائة، فسقط أبو عبداللّٰه عليه السلام عن بغلته، فوقف عليه إسماعيل، فقال له أبو عبداللّٰه عليه السلام: 'سِر فإنّ الإمام لا يقف'، فإنّه كما ترى أنّ الإمام الصادق عليه السلام أطلق على أمير الحاجّ لفظ الإمام].

وكيف كان فالمهمّ هو أهميّة مقام الإمامة، وإثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

مقام الإمامة أعظم المقامات الإلهيّة

ليس فوق مقام الإمام الحقّة مقام، بل هو أعظم المناصب الإلهيّة، والقيام بالإمامة أفضل الأعمال والعبادات [في الكافي "٢: ١٨" عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحجّ، والصوم، والولاية'. قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: 'الولاية أفضل؛ لأنّها مفتاحُهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ' الحديث. فالمراد بالولاية في هذا الحديث بقرينة "الصلاة والصوم و..." أمر إجرائي عمليّ لإجراء سائر العبادات].

بل كان هذا المنصب أفضل وأعظم من النبوّة والرسالة، ولا يتوهّم أنّ مقام الأئمّة الاثني عشر فوق مقام نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله حاشا وكلا، بل النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله مضافاً إلى تسنّمه مقام النبوّة والرسالة، كان إماماً أيضاً نصّاً. [بدلالة قوله تعالى: 'النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ' ظاهر في إمامته صلى الله عليه و آله، وبقرينة قوله صلى الله عليه و آله يوم غدير خم: 'ألستُ أوْلى بكم من أنفسكم؟'، قالوا: بلى، قال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه' الحديث. راجع في هذا المجال "دراسات في ولاية الفقيه ١:٣٧، وراجع مرآة العقول ٣:٢٢٣.

ويستفاد أيضاً إمامة النبيّ وولايته من تكرار لفظ أطيعوا في آية ٥٩ من سورة النساء: 'أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ'؛ لأنّ اللَّه تعالى لا يُريد بإطاعته إلا إطاعته في ما يوحيه إلينا من طريق رسوله من المعارف والشرائع، وأمّا رسوله فله حيثيّتان: إحداهما: حيثيّة التشريع بما يوحيه إليه ربّه من غير كتاب، وهو ما بيّنه للنّاس من تفاصيل ما يشتمل على إجماله الكتاب وما يتعلّق ويرتبط بها كما قال سبحانه: 'وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ'، والثانية: ما يراه من صواب الرأي، وهو الّذي يرتبط بولايته الحكومة والقضاء كما قال تعالى: 'لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ'، وهذا هو الرأي الّذي كان يحكم به في القضاء بين النّاس وفي عزائم الأُمور، وجميع ما يرتبط بأُمور الدين والدنيا، فعلى المسلمين أن يطيعوا الرسول فيما بيّنه بالوحي وفيما يراه من الرأي، وهذا معنى الإمامة والحكومة. انظر تفسير الميزان ٤:٤١٢].

وبعبارة أوضح: لنبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله ثلاثة مناصب إلهيّة: النبوّة، والرسالة، والإمامة، أمّا الأئمّة الاثنا عشر "صلوات اللَّه عليهم" وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكانوا أصحاب منصب الإمامة وحده من قِبل اللَّه تعالى دون النبوّة والرسالة، فمن اتّهم الشيعة الإماميّة بأنّهم اعتقدوا تقدّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فهو افتراء بحت وبهتان.

هذا، والدليل على أنّ الإمامة فوق منصب النبوّة والرسالة، وهي عهد من اللَّه تعالى، ومجعول من قِبله لمن اصطفاه إماماً، قوله تعالى: 'وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ' [سورة البقرة: ١٢٤].

فإنّ اللَّه سبحانه خصّ إبراهيم بالإمامة بعد النبوّة والرسالة، بل هذا العهد لإبراهيم كان في أواخر عمره الشريف، وبعد مجي ء البشارة له بإسماعيل وإسحاق، وقد كان إبراهيم حينئذٍ نبيّاً مرسلاً، فإمامته كانت بعد نبوّته ورسالته.

وادّعى بعض المفسّرين أنّ المراد بالإمامة في الآية "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً" هي النبوّة. وهو في غاية السقوط؛ لأنّه سبحانه إنّما جعله إماماً بعدما كان نبيّاً ورسولاً، بشهادة أنّه يطلب هذا المقام لذرّيته، وإنّما صار ذا ذرّيّة بعدما كبر وهرم، قال: "الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ". [سورة إبراهيم: ٣٩].

وقد كان نبيّاً قبل أن يُرزق ولداً، بل المراد هو الإمامة المتمثّلة في الحاكميّة والقيادة، فدعا إبراهيم أن يجعل اللّه تعالى هذا المقام في ذرّيّته، على النحو الّذي جعله فيه "بالتنصيب" ولم يَرُدَّهُ سبحانه، وما أنكره عليه، بل أخبره بأنّها لا تنال الظالمين منهم. [راجع: تفسير الميزان ١:٢٧٠].

ويؤيّد ذلك ما رود في "الكافي" بسنده عن زيد الشحّام، قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: "إنّ اللّه تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ اللّه اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً [الفرق بين النبيّ والرسول على ما يظهر من الأخبار المأثورة، أنّ النبيّ يرى في المنام ما يُوحى إليه، والرسول هو الّذي يشاهد المَلك أيضاً فيكلّمة. راجع الكافي ١:١٧٦].

وإنّ اللّه اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ اللّه اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً"، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: "وَمِن ذُرِّيَّتِي"، قال: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"، قال: لا يكون السفيه إمام التقيّ". [الكافي ١:١٧٥].

وممّا ذكرنا تظهر أهميّة مقام الإمامة الحقّة، وعرفت أنّها عهد من اللّه بينه سبحانه وبين مَن اصطفاه لذلك، وحينما جعل اللّه تعالى من اختاره واصطفاه إماماً، صار قدوة مفترض الطاعة، إطاعته إطاعة اللّه، ومخالفته مخالفة اللّه، كما قال اللّه تعالى: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ". [سورة النساء: ٥٩].

الامامة عند فِرق المسلمين

قد أجمع المسلمون على وجوب الإمامة إلا مَن شذّ منهم [هو أبو بكر الأصمّ، من قدماء المعتزلة، حيث قال: من عدم وجوبها إذا تناصفت الأُمّة ولم تتظالم].

واختلفوا في دليل وجوبها، هل وجبت بالعقل أو بالشرع أو بهما معاً؟ ثمّ بعد أن ثبت وجوبها بالإجماع صاروا فريقين: أحدهما: أنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار. والثاني: أنّها تثبت بالنصّ والتعيين.

أمّا الفريق الأوّل فهم جمهور أهل السنّة، ومعظم الخوارج والزيديّة من الشيعة، وفي هذا الفريق مَن يذهب إلى أنّها تثبت أيضاً بالقهر والغلبة، بَرّاً كان أو فاجراً، والقائلون بالاختيار اختلفوا في كيفيّة انعقادها، فقالت طائفة منهم: لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحلّ والعقد، وقالت أُخرى: أقلّ مَن تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون

على عقدها، واستدلّوا على ذلك بأمرين: أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثمّ تابعهم النّاس فيها. والثاني: تنعقد بواحدٍ؛ لأنّ عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، وغير ذلك من الأقوال. [انظر: الأحكام السلطانية: ٧].

وأمّا الفريق الثاني فهم الّذين قالوا: لا طريق إليه إلا بالنصّ، وهم ثلاث فرق: البكريّة، والراونديّة، والإماميّة. فقالت البكريّة: إنّ النبيّ نصّ على أبي بكر إشارةً، وهم جماعة من الحنابلة وأصحاب الحديث وبعض الخوارج. وقالت الراونديّة: إنّه نصّ على عمّه العبّاس تلويحاً، وقد نشأت هذه الطائفة في صدر الدولة العبّاسيّة وناصرهم الجاحظ في رسالة سمّاها "العبّاسيّة"، ثمّ انقرضت هذه الطائفة في زمن قصير. [انظر: الأحكام السلطانيّة: ٨، وتلخيص الشافي للشيخ الطوسي ٢:٧].

وقالت الإماميّة: نصّ رسول اللّٰه صلوات اللّٰه عليه على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام تصريحاً وتلويحاً، وأنّ الإمامة عهد اللّٰه الّذي لا خِيرةَ للعباد فيه، أن يترك الأُمّة مهملة، يرى كلّ واحد رأياً، ويسلك كلٌّ واحد سبيلاً، فلا بدّ من تعيين الإمام والنصّ عليه حسماً للخلاف وقطعاً لدابر الفتنة.

ولا يخفى أنّ الخلاف في الإمامة بين المسلمين واقع بالفعل من صدر الإسلام إلى يومنا هذا حتّى قال الشهرستاني: أعظم خلاف بين الأُمّة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة في كلّ زمان مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان. [الملل والنحل ١:٢٧].

وظائف الإمام

إنّ الإمامة - كما مرّت الإشارة إليها - هي رئاسة عامّة إلهيّة في أُمور الدين والدنيا، واستمرار لوظائف النبوّة كلّها سوى تحمّل الوحي الإلهي، ومقتضى هذا أنّ الإمام متّصف بالشروط المشترطة في النبيّ سوى أنّه لا يُوحى من الظالم، ويمنع الظالم عن ظلمه، ويزجر النّاس عن جميع المعاصي، ويحثّهم على الطاعات، ويؤيّد قوانين الشرع، وينفّذُ أحكامه على أبلغ وجه، وأتمّ طريق كانوا إلى الصلاح فيه من الدين أقرب، ومن الفساد أبعد.

وبعبارة أُخرى: ما كان للنبيّ من تفسير الكتاب العزيز وشرح مقاصده وأسراره ورموزه، وبيان أحكامه، وردّ الشبهات والسؤالات العويصة الّتي يثيرها أعداء الدين من اليهود والنصارى والمشركين، وكذا صيانة الدين من التحريف والدسّ، ومراقبة ما أخذه عنه المسلمون من أُصول وفروع، وإجراء الأحكام الشرعيّة من الحدود والتعزيرات، وجميع ما يحتاج النّاس في دينهم ودنياهم، كلّه ينتقل إلى الإمام من بعده.

وبعبارة موجزة: الإمام يخلّف النبيّ صلى الله عليه و آله بكلّ الأُمور الّتي مارسها النبيّ في حياته؛ وذلك لكي يحافظ على الإسلام الأصيل المحمّدي، ولذلك فُرض على النبيّ صلى الله عليه و آله ا ن يعيّن الإمام بعده بأمر من اللَّه سبحانه، وإلا واجهت الأُمّة المخاطر والمهالك، ولهذا فإنّه صلى الله عليه و آله نصّ على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بملأ من النّاس في أكثر من مناسبة، وفي خُطب وكلمات مختلفة، لكي يُعرِّف للمسلمين إمامهم بعده، وقد دعا ذلك مراراً، وفي مواضع شتّى، وحتّى في الظروف الحسّاسة والصعبة لتجنّب عوامل الفُرقة والاختلاف بعده. [وقد أشار إلى مسؤوليّات الإمام وتكاليفه ووظائفه، الأُستاذ المحقّق الفقيه آية اللَّه العظمى المنتظرى دامت بركاته العالية في دراسات ولاية الفقيه ١: ٣٨٦، فراجع].

سوال وجواب

بما إنّنا نهدف في هذا الفصل إثبات إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يُطرح هنا سؤال بأنّه ما فائدة البحث عن إمامة عليّ بن أبي طالب في هذا الزمان، مع أنّ الخلافة بعد النبيّ أمرٌ تاريخيٌ قد مضى زمنه، ولا يفيد المسلمين البحث حوله، الّذي لا يرجع إليهم بشي ء في حياتهم المعاصرة، مضافاً إلى أنّ الحريّ ترك هذا البحث حفظاً للوحدة بين فِرَق المسلمين.

نقول في الجواب: بأنّه لا شكّ أنّ أعظم خلاف وقع بين الأُمّة اختلافهم في الإمامة، وما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سُلّ على الإمامة، وعلى مسار التاريخ الإسلامي تُشكّل الإمامة محوراً أساسيّاً لأهمّ التحوّلات السياسيّة والاجتماعيّة؛ وذلك لأنّها عامل لبقاء النبوّة وديمومتها، بل وتحديد مصير الإسلام المحمّدي الأصيل، وأمّا واجب المسلمين في السعي وراء الوحدة ليس معناه ترك البحث وغلق ملفّ الدراسة، فإنّه إذا كان البحث نزيهاً موضوعيّاً مؤثّراً في توحيد الصفوف وتقريب الخطى، عندئذٍ تتعرّف كلّ طائفة ما لدى الأُخرى من العقائد والأُصول، وبالتالي تكون الطائفتان متقاربتين، وهذا بخلاف ما إذا تركنا البحث مخافة الفُرقة، فإنّه يثير سوء ظنّ كلّ طائفة بالنسبة إلى الأُخرى في مجال العقائد والمعارف، فربّما تتصوّر كلّ طائفة الأُخرى أجنبيّةً عن الإسلام.

ثمّ إنّ لمسألة البحث عن الإمامة بعد النبيّ بُعدين: أحدهما بُعدٌ تاريخيّ مضى عمره، ولا ثمرة مرجوّة من البحث فيه، والثاني بُعدٌ دينيّ باقٍ أثره إلى يومنا هذا، وعلى كلّ مسلم يجب الأخذ به، وهو أنّه إذا صحّ تنصيب عليّ بن أبي طالب لمقام الولاية والخلافة بالمعنى الّذي تتبنّاه الإماميّة، يكون الإمام وراء كونه زعيماً في ذلك العصر، مرجعاً في رفع المشاكل الّتي خلّفتها رحلة النبيّ، فيجب على المسلمين الرجوع إليه

ومَن بعده من العترة الطاهرة، في تفسير القرآن وتبيينه، وفي مجال الموضوعات المستحدثة الّتي لم يرد فيها النصّ في الكتاب والسنّة، وفي مجال المعارف والمسائل الشرعيّة بأُصولها وفروعها، فهذا بعدٌ باقٍ إلى يومنا هذا وإلى قيام القائم "عجّل اللّه فرجه"، فليس البحث متلخّصاً في البُعد السياسي حتّى نشطب عليه بدعوى أنّه مضى ما مضى، بل له - كما عرفت - مجال ومجالات باقية. [انظر الملل والنحل ١:٧٢، وكتاب الإلهيّات محاضرات الأُستاذ الشيخ جعفر السبحاني ٦٣٩ - ٥٠٩ :٢].

فإذا وصل البحث إلى هنا، يجب علينا التركيز على مسألة أُخرى، وهي أنّ النبيّ الأكرم لم يزل يُهيب بالجاهلين، ويصرّح في الغافلين، داعياً إلى التمسّك بالكتاب والعترة معاً، وهذا تصريح بأنّ لقيادة العترة الطاهرة وراء الزعامة السياسيّة المجدّدة بوقت خاصّ وزمن حياتهم بُعداً خالداً إلى يوم القيامة، وهو لزوم الانكباب عليهم فيما يطرأ علينا من الحوادث والوقائع الدينيّة، وكلّ ما يمتّ إلى الدين بصلة، وتتطلّب الجواب والاهتداء منهم، ولأجل هذا يجب علينا التعرّف على هذا القسم من الأدلّة الّتي تثبت تنصيب عليّ عليه السلام للإمامة والخلافة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

كلمة في إثبات إمامة عليّ بن أبي طالب

سنكرّس جُهدنا هنا لإثبات إمامة مولانا أمير المؤمنين وخلافته بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله والأدلّة على ذلك أكثر من أن تُحصى حتّى ألّف فيها جماعة من العلماء مصنّفات كثيرة. [راجع في هذا المجال: الصراط المستقيم للعلامة البياضي. والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس، والشافي في الإمامة للسيّد المرتضى، والألفين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام للعلامة الحلّي، وغيرها من الكتب].

بَيْد أنّنا قد تعرّضنا لهذه الأدلّة أثناء الفصول المتقدّمة من الكتاب، ولكنّنا سنذكرها هنا على نحو الاختصار.

الآيات القرآنية

والآيات النازلة في إمامته وولايته كثيرة نتعرّض لبعضها:

آية الولاية

قوله تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ". [سورة المائدة: ٥٥].

وهذه الآية باتّفاق أكثر المفسّرين وباستناد الأخبار المأثورة عن نبيّ الإسلام وأصحابه الكرام نزلت في شأن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث سأله سائل وهو في الصلاة حال ركوعه، فتصدّق

بخاتمه، وأنّ دلالة الآية على إمامة عليّ بن أبي طالب واضحة؛ لأنّ لفظة "إنّما" للحصر بالنقل عن أهل اللغة وأئمّة التفسير.

ولفظ "الوليّ" المتولّي في أُمور العباد وحقوقهم، والمتصرّف في أُمورهم بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، لا سائر معانيه من الناصر، والمالك والعبد والمعتِق والمعتق والصاحب، وغيرها من معاني المولى.

والمراد من الموصول "الّذين" في الآية بعض المؤمنين لا جميعهم؛ لأنّه لو كان جميع المؤمنين لزم أن يكون كلّ واحد وليّاً لنفسه، وهو باطلٌ، وأنّه وصفهم بوصف غير حاصل لكلّهم، وهو إيتاء الزكاة حال الركوع في الصلاة، والمراد بذلك البعض هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومَن حذا حذوه - أعني الأئمّة المعصومنين عليهم السلام - للنقل الصحيح واتّفاق أكثر المفسّرين على أنّه عليه السلام كان يُصلّي فسأله سائل فأعطاه خاتمه وهو راكع. إذن فعليّ بن أبي طالب عليه السلام كان أوْلى بالتصرّف فينا بعد النبيّ صلى الله عليه و آله. [ولمزيد من الاطّلاع على الروايات والاستدلال بها راجع فصل: "عليّ عليه السلام وآية الولاية"].

آية التطهير

قوله تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً' [سورة الأحزاب: ٣٣].

حيث إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا نزلت هذه الآية عليه، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ووضع عليهم كساءً وقال: 'اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي. اللّهمّ أذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطهيراً'، ودلالة هذه الآية على عصمة أهل البيت - وهم الأئمّة المعصومون وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب - وإمامتهم واضحة. [وتقدّم بحث مستوفٍ في فصل "عليّ عليه السلام وآية التطهير"، فراجعه].

آية أطيعوا اللّٰه

قوله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ' [سورة النساء: ٥٩].

حيث أمر اللّٰه سبحانه - في هذه الآية - بطاعة أُولي الأمر، وهم الأئمّة المعصومون، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم المهديّ "صلوات اللّٰه عليهم أجمعين"؛ إذ المتبادر من أُولي الأمر [والمقصود من الأمر في الآية الشريفة - على الظاهر - هو الحكومة وإدارة شؤون الإمامة، فالمراد ب "أُولي الأمر" الرجال المتصدّون لأمر الحكومة وإدارة الشؤون العامّة بشعبها المختلفة، وأنّ الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام هم المستحقّون للإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله بالنصّ والنصب، وهم القدر المتيقّن من "أُولي الأمر" في

الآية، وهم المصاديق البارزة لهذا العنوان، وكان على الأُمّة بيعتهم وإطاعتهم. ولمزيد من التوضيح راجع: دراسات في ولاية الفقيه ٦٩ - ٦٤ :١، وتفسير الميزان ٤٢٦ - ٤١٣ :٤].

سيّما بعد اللَّه ورسوله من يقوم مقام الرسول في التولّي لأُمور المسلمين مطلقاً في العبادات والسياسات وجميع ما يتوقّف عليه أُمور الدين والدنيا، ومن البيّن الواضح أنّ تفويض أُمور المسلمين لغير المعصوم قبيح، ومن الثابت القطعي أنّه لم يكن بعد النبيّ معصوم غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبعده أولاده اتّفاقاً، فهم أُولو الأمر الّذين أمر اللَّه بطاعتهم والانتهاء عن نواهيهم. إذن فأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامٌ بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بلا فصل ولا واسطة.

وقد وردت من طرق أصحابنا الإماميّة أخبار مستفيضة، بل متواترة، دالّة على أنّ المراد من "أُولي الأمر" في الآية خصوص الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت [عليّ وأولاده المعصومون عليهم السلام].

ففي "الكافي" عن بريدة العجلي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث وقال: 'ثمّ قال للنّاس: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ' إيّانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا' الحديث. [أُصول الكافي ٢٧٦:١، وفي "تفسير البرهان" ٣٨١:١، و"تفسير نور الثقلين" ٤٩٩:١، ح ٣٣١، عن ابن بابويه بسنده عن جابر الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبداللَّه الأنصاري رضى الله عنه يقول: لمّا أنزل اللَّه على نبيّه محمّد صلى الله عليه و آله: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ' قلت: يا رسول اللَّه، عرفنا اللَّه ورسوله، فمن أُولو الأمر الّذين قرن اللَّه طاعتهم بطاعتك؟

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي محمّد وكنيّي حجّة اللَّه في أرضه، وبقيّة اللَّه في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذاك الّذي يفتح اللَّه تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن اللَّه قلبه للإيمان، قال جابر: فقلت له: يا رسول اللَّه، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'إي والّذي بعثني بالنبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع النّاس بالشمس وإن تجلاها سحاب. يا جابر، هذا من مكون سرّ اللَّه، ومخزون علم اللَّه، فاكتمه إلا عن أهله'].

والآيات النازلة في شأن أمير المؤمنين وإمامته الكبرى بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قد ذكرنا جملة منها في الفصول المتقدّمة في الجزء الثاني من المجلد الأوّل فراجع.

النصّ الصريح المتواتر

[وقد تعرّضنا لمسألة الحكومة والولاية ببيان آخر، وذكرنا أيضاً أخباراً كثيرة في هذا المجال في فصل "عليّ عليه السلام خليفة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ووصيّه ووارثه"، فلاحظه].

إنّ من أحاط علماً بسيرة النبيّ صلى الله عليه و آله في تأسيس دولة الإسلام، وتشريع أحكامها، وتمهيد قواعدها، يجد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وزير رسول اللّٰه في أمره، وظهيره على عدوّه، وعيبة علمه، ووارث حكمه، ووليّ عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومَن وقف على أقوال النبيّ وأفعاله في حلّه وترحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره [أخذنا هذه الكلمة من كتاب الإلهيّات ٢:٥٧٨].

وإليك البيان:

حديث الغدير

إنّه لمّا نزل قوله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ'. [سورة المائدة: ٦٧].

حين رجوع النبيّ صلى الله عليه و آله وأصحابه عن حجّة الوداع، نزل بغدير خم وقت الظهيرة، وقال: 'معاشر المسلمين، ألستُ أوْلى بكم من أنفسكم؟'، قالوا: بلى، فأخذ بضبع عليّ بن أبي طالب ورفعه حتّى نظر النّاس إلى بياض إبطه، وقال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه. اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله' الحديث.

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي اللّٰه بقوله: 'الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي' الآية. [سورة المائدة: ٣].

فقال رسول اللّٰه: 'اللّٰه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي'.

ثمّ أخذ النّاس يهنّئون عليّاً ويبايعونه، وممّن هنّأه وبايعه في مقدّم الصحابة أبو بكر، ثمّ عمر، كلٌّ يقول: بَخٍ بَخٍ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. [هذا مجمل الحديث في واقعة الغدير، وقد مرّ شرح الحديث مع الاستدلال به على ولاية عليّ بن أبي طالب وإمامته في فصل: "عليّ عليه السلام يوم الغدير"، فراجع].

حديث المنزلة

وهو قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواطن كثيرة تبلغ عشرة مواطن، منها حين خلّفه على أهله في المدينة عند خروجه إلى تبوك، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له، وتخوّفاً منه، فلمّا قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ بن أبي طالب عليه السلام سلاحه وخرج حتّى أتى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو نازل بالجرف [الجُرف: موضع على بُعد ثلاثة أميال من المدينة].

فقال ما قال المنافقون، قال رسول اللّٰه: "كذبوا ولكنّي خلفتك لما تركتُ ورائي، فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى - يا عليّ - أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي؟". فرجع عليّ إلى المدينة، ومضى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على سفره.

ومن الواضح المكشوف أنّ مقام الاستخلاف بقوله: "فاخلفني"، وقوله: "أنّه لا نبيّ بعدي"، يدلان على أنّ المراد من المنزلة هو المرتبة المتعلّقة باستحقاق التولّي والتصرّف في أُمور العباد، وقد كانت مرتبة هارون من موسى في ذلك الاستحقاق أقوى من مرتبة غيره من أصحاب موسى، فكذا مرتبة أمير المؤمنين فيه تكون أقوى من مرتبة غيره، فيكون هو الإمام بعده.

على أنّ الاستثناء يدلّ أيضاً على أنّ كلّ منزلة كانت لهارون بالنسبة إلى موسى ممّا يتعلّق بإعانته ونصرة دينه ثابتة لأمير المؤمنين سوى النبوّة، ومن منازل موسى أنّه قد كان شريكاً له في النبوّة، ومن لوازم ذلك استحقاق الطاعة العامّة بعد وفاة موسى لو بقي، فوجب أن يثبت هذا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أيضاً، لكن امتنع الشركة في النبوّة بالاستثناء، فوجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله بلا فصل؛ عملاً بالدليل. [قد مرّ شرح الحديث ووجه الاستدلال به في فصل: "عليّ عليه السلام وحديث المنزلة"، فراجعه].

حديث الثقلين

روى أصحاب الصحاح عن النبيّ الأكرم أنّه قال: "يا أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما". وقد قال به في غير موقف، تارةً بعد انصرافه من الطائف، وأُخرى يوم عرفة في حجّة الوداع، وثالثة يوم الغدير، ورابعة على منبره في المدينة، وفي غير ذلك من موارد أُخر وبنصوص متقاربة، فعدم الافتراق على يوم القيامة حتّى يردا على رسول اللّٰه الحوض، آية كون عترة الرسول صلى الله عليه و آله معصومين فيما يقولون ويروون، وإلا

فكيف يمكن أن يكون قرناء القرآن أعداءهُ، أو أن يكونوا من الخاطئين فيما يحكمون ويُبرمون، أو يقولون ويحدّثون؟! لا سامح اللَّه، وقد تقدّم بحثٍ مستوفٍ حول الحديث فلا نطيل هنا. [راجع: فصل: "عليّ عليه السلام وحديث الثقلين"].

حديث السفينة

روى المحدّثون عن النبيّ الأكرم أنّه قال: "إنّما مَثلُ أهلِ بيتي في أُمّتي كَمَثَلِ سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق"، فشبّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أهل البيت بسفينة نوح في أنّ مَن لجأ إليهم في الدين وأخذ أُصوله وفروعه عنهم نجا من عذاب النّار، ومَن تخلّف عنهم كمن يأوي يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر اللَّه، ولا يكون ذلك إلا غرق في الماء، وهذا هو العذاب. [وقد ذكرنا توضيح الحديث مع مسانيده في فصل: "عليّ ع" وحديث سفينة نوح"، فراجعه].

وغير ذلك من الأحاديث الصريحة، كقوله صلى الله عليه و آله: "إنّ عليّاً وصيّي، وخليفتي، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين ابنتي". [من لا يحضره الفقيه للصدوق ٤:٤٢٠، ح ٥٩٢٠، وراجع في هذا المجال فصل: "عليّ عليه السلام أوّل مَن آمن باللَّه"، وفصل: "عليّ عليه السلام يوم الإنذار"، وفصل: "حديث سدّ الأبواب"، "حديث الطير المشوي" و"مَثَلُ عليّ كَمَثَل عيسى"، وفصل: "من ألقابه أمير المؤمنين"، و"عليّ عليه السلام وصيُّ رسول اللَّه وخليفته ووارثه"، وغير ذلك من الفصول].

انّه أفضل النّاس بعد رسول اللَّه

يجب أن يكون الإمام - المنصوب من قِبل اللَّه تعالى - أفضل أهل زمانه لقبح تقديم المفضول على الفاضل، أمّا عقلاً فواضح، وأمّا سمعاً لقوله سبحانه: "أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" [سورة يونس: ٣٥].

وأمّا كون عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل النّاس بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فيكفي شاهداً على ذلك قوله تعالى في آية المباهلة: "وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ" [سورة آل عمران: ٦١].

إذ جعل اللَّه سبحانه عليّاً نفس الرسول في الآية، بناءً على ما صرّح به أئمّة التفسير والروايات الصحاح المتواترة من أنّ المراد من "أَنفُسَنَا" هو عليّ بن أبي طالب؛ إذ دعاه يوم المباهلة دون غيره من الأصحاب، ومن البيّن أنّه ليس المراد من النفسيّة حقيقة الاتّحاد لامتناعه عقلاً، بل المراد منها المساواة فيما يمكن المساواة فيه من الفضائل والكمالات؛ لأنّه أقرب المعاني المجازيّة إلى المعنى الحقيقي، فيحمل عليها عند

تعذّر الحقيقة على قاعدة الأُصول، ولا ريب أنّ الرسول أفضل النّاس اتّفاقاً، ومساوي الأفضل على جميع النّاس أفضل عليهم قطعاً. [راجع الحديث مع مسانيده في فصل: "عليّ عليه السلام وآية المباهلة"].

انّه أعلمُ الصحابة

يجب أن يكون المتقدّم لإمامة المسلمين أعلم النّاس في عصره وزمانه، وتقدّم غير الأعلم عليه قبيح عقلاً؛ لأنّ الإمامة - كما قلنا في تعريفها - هي رئاسة عامّة إلهيّة في أُمور الدين والدنيا، فلا بدّ أن يكون الإمام النائب عن النبيّ صلى الله عليه و آله أعلم بالأحكام الإلهيّة والعلوم الدينيّة، ووجهه واضح.

وقد استدلّ على كون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أعلم النّاس بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بوجوه:

١- إنّه كان شديد الحدس والذكاء، والحرص على التعلّم، ودائم المصاحبة للرسول صلى الله عليه و آله الّذي هو الكامل المطلق بعد اللّٰه تعالى، وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله شديد المحبّة له والحرص على تعليمه حتّى علمه صلى الله عليه و آله - في مرضه الّذي قُبض فيه - ألف باب من العلم، وانفتح له من كلّ باب ألف باب آخر. [راجع في هذا المجال: فصل: "علمه عليه السلام"].

٢- إنّه كان في حجر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من صغره وفي كبره، وكان ختناً له، فيدخله كلّ وقت ويستفيد من فيوضات علمه. [راجع فصل: "عليّ عليه السلام في حجر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله"].

٣- رجوع أكابر الصحابة والتابعين إليه في الوقائع الّتي تعرض لهم، ويأخذون بقوله ويرجعون عن اجتهادهم، وذلك بيّن في كتب التاريخ والسير. [سيأتيك في رجوع الخلفاء إليه فصل بعنوان: "قضاء عليّ عليه السلام في عهد الخلفاء"].

٤- قوله عليه السلام: "لو ثُنيتْ لي الوسادة فجلست عليها لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم. واللّٰه! ما من آية نزلتْ في ليلٍ أو نهارٍ، أو سهل أو جبلٍ، إلا وأنا أعلم فيمن نزلتْ، وفي أي شيء نزلتْ"؛ وذلك يدلّ على إحاطته عليه السلام بمجموع العلوم الإلهيّة. [راجع "عليّ عليه السلام وسعة علمه"].

٥- قول النبيّ صلى الله عليه و آله في حقّه: "أقضاكم عليّ"، ومعلوم أنّ القضاء يحتاج إلى العلوم الكثيرة والذكاء والدراية، و"أقضى الأُمّة" معناه أكثرهم علماً وفهماً ودرايةً [سيأتيك بحث مفصّل في قضاء عليّ عليه السلام].

وهذه الوجوه الخمسة دالّة على أعلميّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإذا كان الأعلم، كان متعيّناً للإمامة بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

انّه أزهد النّاس بعد النبيّ

أزهد النّاس صالح للإمامة؛ لأنّه أفضل النّاس، ولا شكّ أنّه عليه السلام أزهد النّاس بعد النبيّ صلى الله عليه و آله، فهو أوْلى بالإمامة، ويكفيك في ذلك تصفّح كلامه في الزهد والمواعظ والأوامر والزواجر والإعراض عن الدنيا، وظهرت آثار ذلك أيّام حكومته مع القدرة والتمكّن بجميع لذائذ الدنيا ومشتهياتها، ومع ذلك ترك الدنيا بالكلّيّة حتّى طلّقها ثلاثاً كما قال: 'يا دُنيا، يا دُنيا، إليكِ عَنّي، أبي تَعرّضتِ، أمْ إلَيَّ تشوَّقتِ؟ لَا حانَ حينُكِ، هَيْهاتَ! غُرّي غيري، لا حاجة لي فيكِ، قد طَلَّقْتُكِ ثلاثاً لا رَجعةَ فيها، فعيشكِ قصيرٌ، وخطركِ يَسيرٌ، وأَمَلُكِ حقير، آهٍ مِنْ قِلّة الزّاد، وطولِ الطّريقِ، وبُعد السَّفر، وعظيم المورد'. [شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام: ١١٠٨، قصار الحكم: ٧٤].

وقال أيضاً: 'واللّٰهِ لَدُنياكم هذِهِ أهْوَنُ في عيني من عِراقٍ خنزيرٍ في يدِ مَجذوم'. [المصدر المتقدّم: ١١٨٢، قصار الحكم: ٢٢٨].

وقال ثالثة: 'وإنّ دُنياكُمْ لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ في فمِ جَرادَةٍ تَقْضمُها، ما لِعليّ وَلِنَعِيمٍ يَفنى، ولَذّةٍ لَا تَبقى؟'. [المصدر المتقدّم: ٧٠٥، الخطبة: ٢١٥].

ولم يكن زهده منحصراً في أقواله وحسب، بل كان يجسّد ذلك عمليّاً بالسرّ والعلانيّة، حيث تخشّن في المأكل والمجلس والملبس، وكان نعلاه من ليف، ويَرقع قميصه تارةً بجلد، وتارةً بليفٍ، وقَلَّ أن يأتدم، وكان لا يأكل اللحم إلا قليلاً، وقال: 'لا تَجعَلُوا بُطونَكُمْ مَقابِر الحيوان'، ولا شكّ أنّه لم يكن أحدٌ من الصحابة مثله في الزهد بعد النبيّ صلى الله عليه و آله، فهو الأليق بمقام الإمامة، وخلافة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله. [لمزيد من الاطّلاع راجع فصل: "عليّ عليه السلام والزهد"، و"عليّ عليه السلام والعدل"، و"عليّ عليه السلام وبيت المال"].

انّه صاحب سائر الكمالات

يجب اتّصاف الإمام بجميع صفات الكمال، ويجب أن يكون أفضل وأكمل من كلّ أحد من أهل زمانه، ويجب أن يكون أيضاً منزّهاً عن الرذائل الخُلقيّة والعيوب الخَلقيّة، كما أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لا بدّ أن يكون كذلك، ووجهه واضح لا يحتاج إلى دليل، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب جميع الكمالات والفضائل والمنزّه عن كلّ العيوب الخَلقيّة والرذائل الخلقيّة.

عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لو أنّ الفياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّابٌ، والإنس كُتّابٌ ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب". [المناقب لموفّق بن أحمد الخوارزمي: ٢، وفرائد السمطين ١:١٦].

واعترف بفضائله ومناقبه الموافق والمخالف، المحبّ والمبغض، ونشير إلى بعض كلماتهم:

في "أسنى المطالب" لمحمّد بن الجزري الشافعي: عن أحمد بن حنبل، يقول: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب. [أسنى المطالب: ٤٦].

وفي "الصواعق المحرقة" لابن حجر الهيثمي الشافعي: عن إسماعيل القاضي والنسائي وأبو عليّ النيسابوري، قالوا: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في عليّ عليه السلام. [الصواعق المحرقة: ١٢٠].

وفي "تذكرة الخواصّ" لسبط ابن الجوزي الحنفي، قال: وفضائل عليّ عليه السلام أشهر من الشمس والقمر، وأكثر من الحصى والمدر. [تذكرة الخواصّ: ٢٣].

وفي "شواهد التنزيل" للحاكم الحسكاني الحنفي: عن ابن عبّاس: لقد كان لعليّ ءعليه السلام ثماني عشرة منقبة، لو كانت واحدة منها لرجل من هذه الأُمّة لنجا بها، ولقد كانت له اثنتا عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأُمّة. [شواهد التنزيل ١:١٦].

وفيه أيضاً: عن مجاهد: أنّ لعليّ عليه السلام سبعين منقبة، ما كانت لأحد من أصحاب النبيّ مثلها، وما من شيء من مناقبهم إلا وقد شركهم فيها. [المصدر المتقدّم: ١٧].

وفيه أيضاً: عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: ما في القرآن آية: "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات" إلا وعليّ أميرها وشريفها، وما من أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله رجل إلا وقد عاتبه اللّٰه، وما ذكر عليّاً إلا بخير، ثمّ قال عكرمة: إنّي لأعلم أنّ لعليّ منقبة لو حدثت بها لنفدت أقطار السموات والأرض - أو قال: الأرض -. [المصدر المتقدّم: ٢١].

وفي "المناقب" لموفّق بن أحمد الخوارزمي الحنفي: عن عيسى بن عبداللّٰه، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رجل لابن عبّاس: سبحان اللّٰه، ما أكثر مناقب عليّ وفضائله، إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف؟! فقال ابن عبّاس: أوَلا تقول إنّها إلى ثلاثين ألفاً أقرب. [المناقب لموفّق بن أحمد الخوارزمي: ٣].

ولقد حاولنا في كتابنا هذا إلقاء بعض الضوء على كمالات وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ومع كلّ الجهد المتواضع الّذي بذلناه في فصوله المختلفة، كإسلامه وهجرته وجهاده وشجاعته وزهده وإنفاقه وعبادته وخلوصه وخشوعه وغير ذلك، فهو لا يعدو كونه قطرة في بحر فضائله ومناقبه الزاخر الفيّاض.

وأنّى لنا إحصاء فضائله وكمالاته وهو الّذي مع النبيّ من شجرة واحدة وباقي الخلائق من شجر شتّى [مستدرك الحاكم ٢:٢٤٠، بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه، قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ: 'يا عليّ، النّاسُ من شجر شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثمّ قرأ رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ' "سورة الرعد: ٤".

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد].

بل إنّه من العسر الوصول إلى كُنه كمالاته ومناقبه، وإزاء هذه الصفات أليس من الجدير واللائق أن يكون الرجل الّذي لا يماثله أحد ولا يناظره أحدٌ إماماً للمسلمين بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وخليفة له بلا فصل؟

انّه معصوم و ما يدل على عصمته

يجب أن يكون الإمام المنصوص عليه من اللّه تعالى معصوماً عند أهل الحقّ [العصمة عند المحقّقين لُطفٌ، أي شيء يقرّب العبد إلى الطاعة، ويبعّد عن المعصية، يفعله اللّه تعالى بالمكلّف ويوجده فيه، أي ملكة خلقها اللّه فيه لطفاً، بحيث لا يكون له داعٍ يُفضي إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك المذكور من ترك الطاعة وارتكاب المعصية؛ لأنّه لولا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله، فانتفت فائدة البعثة، وهو محال.

راجع شرح الباب الحادي عشر للمحقّق الحلّي رحمه الله: ٤١.

وفي تفسير الميزان ٨:١٤٢، نقلاً عن الإلهيّات ١:١٤٨، فسّر العصمة بقوله: قوّة تمنع الإنسان عن اقتراف المعصية والوقوع في الخطأ].

ومَن ليس بمعصوم فليس بإمامٍ، ولا شكّ أنّه ليس أحدٌ ممّن ادّعى الإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمعصوم إجماعاً؛ لسبق الكفر والشرك، والعصيان منهم ممّا ينافي العصمة قطعاً، فلا يكون غيره إماماً فاختصّت الإمامة به بعد رسول اللّه.

فهنا نستدلّ على عصمة الإمام بوجوه كثيرة، نشير إلى بعضها، ونحيل القرّاء الأعزّاء إلى مظانّها من الكتب المفصّلة في هذا المجال. [استدلّ العلامة الحلّي رحمه الله ب "٩٩" دليلاً على عصمة الإمام عليه السلام، فراجع الألفين: ١٣٩ - ٥٢].

آية الابتلاء

وقد استدلّ بقوله تعالى: 'وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ'. [سورة البقرة: ١٢٤].

ووجه الاستدلال به: أنّ اللّه تعالى قد بيّن صراحة أنّه لا يعهد بالإمامة إلى ظالم، والظالم مَن ارتكب معصيةً في حياته مهما كان نوعها، حتّى لو تاب بعدها، فلن يكون العاصي إماماً؛ إذ الإمامة على شرافتها وعظمتها لا ينالها إلا مَن كان سعيد الذات بنفسه، أمّا من تلبّست ذاته بالظلم والشقاء، والكفر والشرك ولو لحظة من عمره، لا يصلح لهذا المقام الرفيع بمقتى الآية وممّا يوضّح دلالة الآية على ذلك هوأنّ النّاس بحسب القسمة العقليّة على أربعة أقسام:

الأوّل: مَن كان ظالماً في فترات عمره.

الثاني: مَن كان طاهراً وتقيّاً طيلة عمره و لم ينحرف عن جادّة الحقّ أبداً.

الثالث: مَن هو ظالم في أوّل عمره، وتائبٌ في آخره.

الرابع: ومَن هو بعكس الثالث.

وقول إبراهيم عليه السلام: 'وَمِن ذُرِّيَّتِي' أجلّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل والرابع من ذرّيّته، فبقي القسمان الآخران، وقد نفى اللّه تعالى أحدهما، وهو الّذي يكون ظالماً في أوّل عمره وتائباً في آخره، فبقى القسم الثاني بمقتضى الآية، وهو الّذي كان نقيّ الصحيفة طيلة عمره، ولم يُرَ منه أي انحراف عن جادّة الحقّ، ولم يعص اللّه طرفة عين.

آية التطهير

فقوله تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً' [سورة الأحزاب: ٣٣].

أدلّ دليل على عصمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وغيره من أهل بيت النبيّ "صلوات اللّه عليهم أجمعين"؛ إذ أنّ إرادة اللّه تعالى تعلّقت على إذهاب الرجس عن أهل البيت، وتطهيرهم من كلّ شيء يتنفّر منه، على غرار تعلّق إرادته بإيجاد الأشياء في صحيفة الوجود. وقد مرّ منّا شرحاً مفصّلاً حول الآية في فصل "عليّ عليه السلام وآية التطهير"، في المجلد الأوّل من الكتاب فراجعه.

انّ الإمامة استمرار للرسالة

وممّا يستدلّ على اشتراط العصمة في الإمام: أنّ الإمامة - كما مرّت الإشارة إليه - هي رئاسة عامّة إلهيّة في أُمور الدين والدنيا، فكما أنّ الرسول يجب أن يكون معصوماً من العصيان والخطأ حتّى تثق الأُمّة بقوله وفعله، فكذلك الإمام الّذي يلي الرسول في وظائفه لا بدّ أن يكون معصوماً من العصيان والخطأ والسهو، فما دلّ على أنّ النبيّ يجب أن يكون معصوماً كذلك يدلّ على وجوب العصمة في مَن قام مقامه بلا زيادة ولا نقصان. [راجع في عصمة الإمام عليه السلام تلخيص الشافي للشيخ الطوسي ٢:٢٥٦، والصراط المستقيم للعلامة البياضي: ١١٢].

الاخبار الواردة في هذا المجال

والأخبار الواردة في عصمة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة الاثني عشر كثيرة، ففي بعضها: "عليّ عليه السلام والأئمّة من ولده معصومون"، و في بعضها: "الإمام منّا لا يكون إلا معصوماً"، وفي بعضها: "الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنّهم معصومون مطهّرون"، إلى غير ذلك من المضامين، ونشير هنا إلى نزرٍ منها، ونحيل البقيّة إلى مظانّها. [راجع: البحار: ج٢٥، باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام: ٢١١ - ١٩١].

١- فمن هذه الأخبار خبر سليمان بن مهران، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص، وأن يكون أعلم النّاس وأتقاهم للّٰه، وأعلمهم بكتاب اللّٰه، وأن يكون صاحب الوصيّة الطاهرة، ويكون له المعجزة والدليل" الحديث. [المصدر المتقدّم: ١٤٠].

٢- وفي البحار عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام: "إنّ ممّا استحقّت به الإمامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة الّتي توجب النّار، ثمّ العلم المنوّر بجميع ما تحتاج إليه الأُمّة من حلالها وحرامها، والعلم بكتابها" الحديث. [بحار الأنوار ٢٥:١٤٩].

٣- و فيه عن تفسير النعماني، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: "والإمام المستحقّ للإمامة له علامات، فمنها أن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها، صغيرها وكبيرها، لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو، ولا ينسى، ولا يلهو بشي ء من أمر الدنيا". [المصدر المتقدّم: ١٦٤].

٤- وفي دراسات في ولايةالفقيه عن سليم بن قيس، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "إنّما الطاعة للّٰه عزّ وجلّ ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أمر بطاعة أُولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصية". [المصدر المتقدّم: ٢٠٠].

وغير ذلك من الأخبار. [راجع كتاب دراسات في ولاية الفقيه ٣٨٥ - ٣٨٢ :١].

وخلاصة الكلام: أنّ اللّٰه تعالى شاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أن ينشأ فى حجر النبوّة والرسالة منذ الولادة، وأن يكيّفه محمّد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وفقاً لإرادة اللّٰه وحكمته منذ نعومة أظفاره، وأن لا يكفر باللّٰه طرفة عين أبداً، بل وُلد مسلماً مؤمناً باللّٰه وبرسوله، وأن ينزل الأصنام من الكعبة المكرّمة، ويُلقي بها تحت أقدام الرسول صلى الله عليه و آله.

فقد نُقِرُّ و نُشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تُنجِّسك الجاهليّةُ بأنجاسها، ولم تُلبسك من مُدلهِمّات ثيابها، والحمد للّٰه الّذي جعلنا من الواثقين بولايته، ومن المتمسّكين بهدايته.

وعلى ما ذكرناه أنّ الإمامة والحكومة العامّة ورئاسة المسلمين بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لا تليق ولا تصلح إلا لشخص مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه معصوم بآية التطهير، والسنّة والتاريخ دون غيره من سائر الخلفاء الّذين تقمّصوا الخلافة بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فإنّهم بدليل قطعي كانوا عبدة أصنام في أوائل عمرهم مع أنّهم كانوا بالغين عاقلين، فالمتقمّص للخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله غير صالح بل في الواقع و الحقيقة غاصب و عاص، و أنّ الخلافة بعد النبي صلى الله عليه و آله حق مخصوص بعلي بن أبي طالب عليه السلام، و لا يخفى أن معانديه و مبغضية بل الشاك في حقانيته كافر، كما ورد في حديث أبي ذرّ، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب اللّٰه ورسوله، ومَن شكّ في عليّ فهو كافر'. [المناقب لابن المغازلي: ٤٥، ح ٦٨].

نبذة من أخبار الباب

ونذكر في خاتمة هذا البحث بعض ما ورد من المعصومين عليهم السلام في هذا الباب:

١- روى ثقة الاسلام الكليني بسنده عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبداللّٰه عليه السلام في حديث: 'وقد كان إبراهيم نبيّاً وليس بإمام حتّى قال اللّٰه: 'إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً'، قال: 'وَمِن ذُرِّيَّتِي'؟ فقال اللّٰه تعالى: 'لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ' مَن عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً'. [أُصول الكافي ١:١٧٥].

٢- و روى الشيخ الطوسي في أماليه و ابن المغازلي الشافعي عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أنا دعوةُ أبي إبراهيم'. [قوله صلى الله عليه و آله: 'أنا دعوة أبي إبراهيم' إشارة - على الظاهر - إلى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: 'رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ'].

قلنا: يا رسول اللّه، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: "أوحى اللّه عزّ وجلّ إلى إبراهيم "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً"، فاستخفّ إبراهيم الفرح فقال: يا ربّ، ومن ذُرّيّتي أئمّة مثلي؟ فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليه: أن - يا إبراهيم - إنّي لا أُعطيكَ عَهداً لا أفي لك به، قال: يا ربّ، ما العهد الّذي لا تفي لي به؟ قال: لا أُعطيك عهداً لظالم من ذرّيّتك، قال: يا ربّ، ومَن الظالم من ولدي الّذي لا ينالُ عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني، لا أجعله إماماً أبداً، ولا يصلح أن يكون إماماً، قال إبراهيم: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ" [سورة إبراهيم: ٣٦ - ٣٥].

ومن ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "فانتهيت الدعوة إليَّ وإلى أخي عليّ، لم يسجد أحدٌ مِنّا لصنم قطّ، فاتّخذني اللّه نبيّاً، وعليّاً وصيّاً". [أمالي اطوسي ١:٣٨٨، مناقب ابن المغازلي: ٢٧٦/ ح ٣٢٢؛ تفسير البرهان ١:١٥١].

علي قعيد بيته "٢٥" عاماً و مشربه فى الحكومة

وممّا يؤسف له أنّ الإمام عليّ عليه السلام بسبب المؤامرات التى حيكت، وما دبّره القوم من التظاهر على غصب حقّه المسلّم والثابت، لم تتهيّأ له الفرصة في الجلوس على سدّة الحكم الظاهري إلا بعد خمسة وعشرين عاماً من وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وقد انشغل طيلة هذه الفترة بالزراعة وحفر الأنهار والقنوات والآبار، والّتي تعتبر من الأعمال المفضّلة الّتي أكّد عليها الإسلام العزيز.

وفي نفس الوقت كان عليه السلام يتعاون ويتآزر مع السلطة الحاكمة، ولم يدّخر وسعاً في إصلاح الأُمور، وفي إسداء الإرشاد والموعظة، وفي الأعمال القضائيّة، سيّما الوقائع الّتي تشكل عليهم، والّتي يطلبونها منه، حتّى انقضاء حكومة عثمان بمقتله على أثر الثورة الّتي أطاحت به، حيث ملّ النّاس من فساد العمّال خصوصاً من بني أُميّة، ومن الانحلال والفوضى، ولم يعد عثمان قادراً على التغيير أو الإصلاح.

وعلى الرغم من أنّ الظروف كانت مهيّأة لأمير المؤمنين عليه السلام لاستلام الحكومة الظاهريّة، وأنّ النّاس لم يجدوا شخصاً سواه يشبع أرواحهم المتلهّفة للإسلام، وأنّهم مدّوا يد الحاجة إليه كي يشغل منصب الحكومة، رغم كلّ هذا ورغم إصرار الجماهير عليه بالقبول وتوجّهها بكامل حُبّها القلبي، إلا أنّه عليه السلام رفض ذلك وامتنع؛ وذلك لأنّه كان يريد السلطة لأجل تنفيذ مبادئ الإسلام، لا لأجل الجاه والرئاسة، وإنّه كان يعلم أنّ خمسة وعشرين عاماً جعلت الإسلام المحمّدي الأصيل يغيب تدريجيّاً عن النّاس، ليحلّ محلّه شيء

آخر باسم الإسلام، فقد حلّت العلاقات الشخصيّة والعشائريّة محلّ القوانين والضوابط الإسلاميّة، وحلّ الرياء والهوى محلّ الإخلاص والحقّ، وحلّت مظاهر الأُبّهة والكبر محلّ الزهد والقبول بالكفاف.

وإزاء كلّ هذا وغيره لم يستطع الإمام عليه السلام أن يعيد المسار على ما كان عليه في حكومة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بسهولة وبدون وجود مشكلات، كما أنّ النّاس لم يعدوا قادرين على تحمّل العدل، ولكنّ الإمام عليه السلام أصبح مضطرّاً لقبول الحكومة تحت ضغط الجماهير، ولعدم وجود شخص قادر على أن يحلّ محلّه، كما أنّ عثمان لم ينصّب أحداً خليفة له.

ومن اليوم الأوّل الّذي تسنّم فيه أمير المؤمنين عليه السلام منصب الحكومة بيّن مواقف دولته بشكل مفصّل، وأعلن صوت العدالة الخالد بأنّ الكلّ متساوون أمام القانون، ولا فرق بين الصديق والعدوّ، أو القريب والبعيد، والكلّ يتمتّعون بنفس الحقوق من بيت المال، الأبيض والأسود، العربيّ والأعجمي، الأشراف والعبيد، وأعلن أنّ كلّ ما كان لبيت المال يجب أن يعود إليه، وإن ملكوا به الإماء، أو نكحوا به النساء، وأعلن أيضاً أنّ المناصب إنّما تُعطى على أساس التقوى واللياقة، لا على أساس الصداقة و العلاقات والروابط.

وكان لهذا الإعلان وغيره، ولعدم مسامحته في الحقّ والعدل، جعل البعض - ومن اليوم الأوّل لحكومته، ولأجل الطمع بالمنصب والمقام، أو لأنّه لا يطيق عدالته - يعلن نداء المخالفة [ويشهد لذلك ما رواه العلامة الخوئي في شرحه على نهج البلاغة ٣:٢٤٣. عن الصادق عليه السلام - في حديث - قال: 'وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فأراد أن يجري أحكامها على الطريقة المستقيمة والسنن النبويّة، فلم يحصل له ما أراد'].

وتوجّه طلحة والزبير إلى بيت اللّٰه الحرام لغرض التمهيد للمؤامرة، واتّصلوا بعائشة حيث التفّ البعض حولها بحجّة المطالبة بدم عثمان ليعلنوا الحرب، فكانت الجمل، وبعدها صفّين، ومن ثمّ النهروان، ومضت السنوات الخمس الّتي قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بالحروب الداخليّة.

ولم يدع عبيد الدنيا مولى المتّقين يطبّق أحكام الإسلام المحمّدي الأصيل بالقدر الّذي كان يريد، وقد سخّر جُلّ ما لديه من قوّة وهمّة للحرب والنزاع، وفي نفس الوقت استطاع خلال السنوات الخمس أن يضع المبادئ والأُسس للحكومة الإسلاميّة، والّتي تُعدُّ نموذجاً حيّاً لكلّ حكومة إسلاميّة على مدى التاريخ، وذلك عن طريق الرسائل والعهود الّتي كتبها للقضاة والعمّال، وانتقاد المخالفين وتوجيههم، ومتابعة النّاس في السوق، وتوجيه التجّار والباعة ومحاسبتهم، وكيفيّة التعامل مع أسرى الحرب ومع اليهود والنصارى، وتنفيذ قوانين

الإسلام في الانتصار والحرب وكلّ شيء ، والتقسيم العادل لبيت المال، والقضاء وفقاً لمبادئ الإسلام وقوانينه العادلة.

وفيما تبقّى من الكتاب سنتعرّض في فصول متعدّدة لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام، ورغم أنّنا لم نكن نفي أكثر من قطرة من بحره الفيّاض، لكنّني أتمنّى من اللّه تعالى أن أكون قد وفّقت في توضيح الطريق الّذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام في إدارة شؤون الدولة المختلفة، راجياً المولى القدير أن يجعلنا موضع عنايته، وأن يؤدّي هذا البحث - على قصوره - الفائدة المتوخّاة منه.

سياسة عليّ و جودة رأيه

قال زاذان: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: "لولا أنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: إنّ المكر والخديعة والخيانة في النّار، لكنتُ أمكر العرب" بحار الأنوار ١٤:١٠٩

في معنى السياسة

في "النهاية" لابن الأثير: في الحديث: "وكانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم"، أي تتولّى أُمورهم كما تفعل الأُمراء والولاة بالرعيّة، والسياسة: القيام على الشي ء بما يصلحه. [النهاية لابن الأثير ٢:٤٢١].

وفي "مجمع البحرين": وفي وصف الأئمّة: "أنتم ساسة العباد"، وفيه: "الإمام عارف بالسياسة"، وفي الحديث: "ثمّ فوّض إلى النبيّ صلى الله عليه و آله أمر الدين والأمّة ليسوس عباده"، كلّ ذلك من سُستُ الرعية سياسةً: أمرتها ونهيتها، إلى أن قال: والسياسة: القيام على الشي ء بما يصلحه. [مجمع البحرين ٤:٧٨].

وفي "لسان العرب": والسياسة: القيام على الشي ء بما يصلحه، والسياسة فعل السائس، والوليّ يسوس رعيّته، وفي الحديث: "كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم"، أي تتولّى أُمورهم كما يفعل الأُمراء والولاة بالرعيّة. [لسان العرب ٢:٢٣٩].

فيستفاد من كلام أئمّة اللغة أنّ السياسة هي: القيام على الشي ء بما يصلحه، فإذا لم يكن القيام على إصلاح وإجراء عدل وإحقاق حقّ وإبطال باطل فليس بسياسة، بل سياسة ميكافيليّة غدريّة، فمن قام على أُمور العباد بحسن السيرة كان سائساً حقّاً، وإلا فهو جبّار متكبّر.

سياسة عليّ ورأيه لحساب الدين و بقاء الإسلام

قال ابن أبي الحديد: وإنّما قال أعداؤه: لا رأي له لأنّه كان متقيّداً بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه، وقد قال عليه السلام: "لولا الدين والتقى لكنتُ أدهى العرب"، وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن.

ولا ريب أنّ من يعمل بما يؤدّي إليه اجتهاده ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها ممّا يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيويّة إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيويّة إلى الانتثار أقرب. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٨].

أقول: إنّ عليّاً عليه السلام يعرف الفرص والأسباب الّتي يبلغ معها الملك والسلطنة الطويلة، ولكنّه لا يستفيد منها على حساب دينه، وإنّه عليه السلام لا يعلم من النجاح والظفر إلا مرضاة اللّه والعمل بالحقّ والعدل، فإنّه عليه السلام لم يكن طالب ملك ولا إمارة ولا طالب دنيا، وإنّما كان هدفه الأعلى، ومقصده الوحيد، وغايته المطلوبة رضى اللّه وإقامة عمود الحقّ ومحو الباطل، و أنّ الدنيا والمال والملك لا تساوي عنده جناح بعوضة، فكيف يمكن أن يتوصّل إليها بضدّ ما هو هدفه ومقصده وغايته؟!

ولم يكن يطمح إلى الوصول إلى الملك والإمارة من أيّ طريق كان، وبأيّ وجه اتّفق، ولا يستحلّ التوصّل إلى تثبيت ملكه بشي ء يخالف الشرع من قتل النفوس البريئة ونقض العهود ودسّ السموم وسلب الأموال والمداهنة وغير ذلك، ومن كانت هذه صفته وهذه حاله لا يصحّ أن ينسب إليه القصور في الرأي والضعف في التدبير، ولا أن يوصف خصمه الّذي كان يسعى إلى تحصيل الملك والإمارة بكلّ ما يمكنه بأنّه أصحّ منه تدبيراً وأسدّ رأياً، فنسبة عدم الرأي إلى من يدبّر أمراً ليتوصّل به إلى مطلوبه فتكون نتيجته بالعكس لجهله بمواقع الأُمور، وشي ء من هذا لم يحصل لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا يمكن أن يحصل فهو أعلم النّاس بمواقع الأُمور، وقد أبان عن هذا مراراً في مواقف متعدّدة بعبارات مختلفة، منها قوله: "واللّهِ! ما معاويةُ بأدهى منّي". [نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠].

وقال عليه السلام: "وَلَقَدْ أَصْبَحْنا في زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلى حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللّهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ". [نهج البلاغة: الخطبة ٤١].

سياسته وتدبيره على وفق الكتاب والسنّة

قال عليّ عليه السلام في خطبة له: 'وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وَكُلُّ فُجَرَة كُفَرَةٌ. 'وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ [ولا استغمز، أي لا يطلب غمزي وإضعافي، فإنّي لا أضعف عمّا أرمي به من الشدائد، أي لا أستجهل بشدائد المكائد].

بِالشَّدِيدَةِ'. [نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠].

وهو عليه السلام في هذه الخطبة دفع توهّم من كان يعتقد أنّ معاوية وأمثاله أجود رأياً وأكثر تدبيراً منه، وتعرّض له على معاوية من أجل تحرّزه في تدبيره الأُمور عن الغدر والفجر، وصدّر الكلام بالقسم البارّ، تأكيداً للمقصود بقوله: 'واللَّه! ما معاوية بأدهى منّي'، ثمّ قال: 'ولكنّه يغْدِر ويَفْجُر'، أي: يستعمل الغدر في أُموره السياسيّة، فيزعم أهل الجهل أنّه أدهى، في حين أنّ عليّاً عليه السلام كان ملازماً في جميع حركاته قوانين الشريعة، ورفض ما هو المعتاد في ذاك العصر في الحروب وإدارة الشؤون، مع أنّ التدابير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة والاجتهادات في النصوص، ممّا لم ترخّص فيه الشريعة، أمّا غيره مثل معاوية فيعتمد جميع تلك، سواء كان وافق شريعة الإسلام أم لا، فكانت وجوه الحيل والتدبير عليهم أوسع، وكان مجالها عليه أضيق.

وفي "الكافي": بسنده عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عُبدَ به الرّحمن، واكتسبَ به الجنان'، قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: 'تلك النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهةٌ بالعقل، ليست بالعقل'. [أُصول الكافي ١: ١١].

ونبّه عليّ عليه السلام في الخطبة إلى وجه امتناعه عن الدهاء المستلزم الغدر، فقال: 'لَوْلا كَراهيَّةُ الغَدْرِ'، أي المكر واستلزامه الكذب والغشّ والخيانة والفجور المنافي لمرتبة العصمة 'لَكُنتُ مِن أدهَى النّاسِ'.

وفي "البحار": عن زاذان، قال: سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول: 'لولا أنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: انّ المكر والخديعة والخيانة في النارِ لكُنْتُ أمْكَرَ العرب و كُلُّ فجرةٍ كفرة'. [البحار ٤١: ١١٠].

ووجه لزوم الكفر في قوله عليه السلام: 'وكلّ فجرة كفرة، هو استباحة ما علم تحريمه من الشرع وجحده هو الكفر، كما استباح معاوية وأتباعه محرّمات الإسلام.

ولم يكن عليّ عليه السلام طالب دنيا ولا إمرة ولا سلطنة، بل طالب آخرة، وهدفه إقامة الحقّ وخذلان الباطل، فكيف يتوسّل بالباطل إلى نيل الملك، وهو الّذي كان يقول: 'واللَّه! لَو أُعْطِيتُ الأقاليمَ السَّبْعَة بِما تَحتَ أفلاكِها على أن أعْصِيَ اللَّهَ في نَملةٍ أسلُبُها جلبَ شعيرةٍ ما فَعَلْتُهُ'. [نهج البلاغة: الخطبة ٢٤٤].

وهو الّذي يقول في نعله الّتي لا تساوي درهماً: "واللّه! لَهِيَ أحبُّ إلَيَّ مِنْ إمْرَتِكُمْ، إلا أنْ أقيمَ حَقّاً، أو أدفَعَ باطلاً". [المصدر المتقدّم: الخطبة ٣٣].

وهو الّذي لم يقبل يوم الشورى أن يبايعه عبدالرحمن بن عوف، إلا على كتاب اللّه وسنّة رسوله ورأيه، ولم يرض أن يدخل سيرة الشيخين حتّى عدل عنه إلى من قبل ذلك أي عثمان. [راجع في هذا المجال شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٤٥].

وهو الّذي قال لفاطمة حينما حرّضته يوماً على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذّن: "أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه"، فقال لها: "أيسرّك زوال هذا النداء من الأرض؟"، قالت: "لا"، قال: "فإنّه ما أقول لك". [المصدر المتقدّم ١١:١١٣].

وهو الّذي جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته، فقال له: إنّ لك حقّ الطاعة والنصيحة، وإنّ الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإنّ الضياع اليوم تضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر العمّال على أعمالهم حتّى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت؟ فأبى، وقال: "لا أُداهنُ في ديني، ولا أعطي الدنيّة في أمري".

قال المغيرة: فإن كنت أبيتَ علَيَّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإنّ في معاوية وهو في الشام يُستمع له، ولك حجّة في إثباته... إذ كان عمر قد ولاه الشام؟

فقال عليّ عليه السلام: "لا واللّه... لا أستعمل معاوية يومين...". [عبقرية الإمام عليّ: ١٢٢، وراجع نحوه في مروج الذهب ٢:٣٦٣].

هذا عليّ عليه السلام لم يترك الدين والإسلام على مدى حكومته لحظة، ولم يغفل عن القرآن والسنّة آناً.

سياسته ورأيه مثل سياسة رسول اللّه ورأيه

قال الشارح المعتزلي: واعلم أنّ قوماً ممّن لم يعرفوا حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام زعموا أنّ عمر كان أسوس منه، وإن كان هو أعلم من عمر، ثمّ زعم أعداؤه ومبغضوه أنّ معاوية كان أسوس منه، وأصحّ تدبيراً.

وأجاب بما ملخّصه: أنّ السائس لا يتمكّن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها، ومتى لم يعمل في السياسة بمقتضى ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله، وأمير المؤمنين عليه السلام كان مقيّداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى

اتّباعها، ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممّن لم يلتزم بذلك.

ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطّاب، ولا ناسبين إليه ما هو منزّه عنه، ولكنّه كان مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، ويرى تخصيص عمومات النصّ بالآراء وبالاستنباط من أُصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيد خصمه، ويأمر أُمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدّب بالدرّة والسوط من يتغلّب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك.

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك، وكان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعدّاها إلى الاجتهاد والأقيسة، ويطبّق أُمور الدنيا على أُمور الدين، ويسوق الكلّ مساقاً واحداً، ولا يضع ولا يرفع إلا بالكتاب والنصّ، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة، وكان عليّ عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز، فازدادت خلافة ذاك قوّة، وخلافة هذا ليناً - إلى أن قال: - وكلّ هذه الأُمور مؤثّرة في اضطراب أمر الوالي وانحلال معاقد ملكه، ولم يتّفق لعمر شيء من ذلك، فشتّان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وصحّة تدبير الخلافة.

فإن قلت: فما قولك في سياسة الرسول صلى الله عليه و آله وتدبيره؟ أليس كان منتظماً سديداً مع أنّه كان لا يعمل إلا بالنصوص والتوقيف من الوحي! فهلا كان تدبير عليّ عليه السلام وسياسته كذلك؟! إذا قلتم: إنّه لا يعمل إلا بالنصّ.

قلت: أمّا سياسة الرسول صلى الله عليه و آله وتدبيره فخارج عمّا نحن فيه؛ لأنّه معصوم لا تتطرّق الغفلة إلى أفعاله، ولا واحداً من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا [لا يخفى أنّ اعتقادنا نحن الإمامية في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه معصوم كالنبيّ صلى الله عليه و آله، واختلافهما في الوحي والنبوّة، كما روى ابن أبي الحديد في شرحه ١٠:٢٢٢ عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: 'أخصمُك بالنبوّة، ولا نبوّة بعدي، وتخصم النّاس بسبع'، وقد قرّرنا عصمة الإمام عليه السلام اختصاراً في فصل: "عليّ عليه السلام والإمامة والحكومة"].

إلى آخر كلامه. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢١٢].

أقول: إنّ سياسة عليّ عليه السلام بعين سياسة الرسول صلى الله عليه و آله بلا فرق بينهما الا أن زمانه عليه السلام مع فصل طويل بين الاسلام الأصيل المحمّدي و خلافة عليّ عليه السلام يقتضى شرائط يوجب

شدّة عمله عليه السلام دون عصر النبي صلى الله عليه و آله فانّه في بداية الاسلام فمقتضى الشرايط هو ما عمل به النبيّ صلى الله عليه و آله. و الا في أصل السياسة كلاهما عليهماالسلام على حذو واحد.

كلام نقيب البصرة في مساواته والرسول في كثير من الفضائل

ثمّ نقل الشارح المعتزلي كلام نقيب البصرة - أبي جعفر بن أبي زيد الحسني - حيث قال: إنّه لا فرق عند من قرأ السيرتين: سيرة النبيّ صلى الله عليه و آله وسياسة أصحابه أيّام حياته، وبين سيرة أمير المؤمنين وسياسة أصحابه أيّام حياته.

فكما أنّ عليّاً عليه السلام لم يزل أمره مضطرباً معهم بالمخالفة والعصيان والهرب إلى أعدائه، وكثرة الفتن والحروب، فكذلك كان النبيّ صلى الله عليه و آله لم يزل ممنوّاً بنفاق المنافقين وأذاهم، وخلاف أصحابه عليه، وهرب بعضهم إلى أعدائه، وكثرة الحروب والفتن.

وكان يقول: ألست ترى القرآن العزيز مملوءاً بذكر المنافقين والشكوى منهم، والتألّم من أذاهم له، كما أنّ كلام عليّ عليه السلام مملوءاً بالشكوى من منافقي أصحابه والتألّم من أذاهم له والتوائهم عليه.

ثمّ ذكر آيات كثيرة متضمّنة لنفاق المنافقين والشكوى منهم [انظر سورة النساء: ١٠٥، سورة المجادلة: ٨ و ١٠، سورة المنافقين، سورة محمّد صلى الله عليه و آله: ٢٠ و ٢٩ و ٣٠، سورة الفتح: ١١ و ١٢ و ١٥ و ٣٠، سورة الحجرات: ٤ و ٥، سورة الأنفال: ١ و ٦ و ٧، سورة آل عمران: ١٥٢ و ١٥٣، سورة التوبة: ٣ و ٤٥، وغير ذلك].

إلى أن قال: ومن تأمّل الرجلين "أي النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام" وجدهما متشابهين في جميع اُمورهما أو في أكثرها...

ثمّ قال أبو جعفر: ومن العجب أنّ أوّل حروب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كانت بدراً، وكان هو صلى الله عليه و آله المنصور فيها، وأوّل حروب عليّ عليه السلام الجمل، وكان هو المنصور فيها، ثمّ من صحيفة الصلح والحكومة يوم صفّين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبيّة.

ثمّ دعا معاوية في آخر أيّام عليّ عليه السلام إلى نفسه وتسمّى بالخلافة، كما أنّ مسيلمة الكذّاب، والأسود العنسي دَعَوا إلى أنفسهما في آخر أيّام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وتسمّيا بالنبوّة، واشتدّ على عليّ عليه السلام ذلك كما اشتدّ على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أمر الأسود ومسيلمة، وأبطل اللّٰه أمرهما بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله، وكذلك أبطل اللّٰه أمر معاوية وبني اُميّة بعد وفاة عليّ عليه السلام.

ولم يحارب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين، ولم يحارب عليّاً عليه السلام أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم النهروان.

ومات عليّ عليه السلام شهيداً بالسيف، ومات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شهيداً بالسمّ، وهذا لم يتزوّج على خديجة أُمّ أولاده حتّى ماتت، وهذا لم يتزوّج على فاطمة أُمّ أشرف أولاده حتّى ماتت، ومات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن ثلاث وستّين سنة، ومات عليّ عليه السلام عن مثلها.

وكان يقول: انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، وهذا فصيح وهذا فصيحٌ، وهذا سخيٌّ جواد وهذا سخيٌّ جواد، وهذا عالمٌ بالشرائع والأُمور الإلهيّة وهذا عالمٌ بالفقه والشريعة والأُمور الإلهيّة الدقيقة الغامضة، وهذا زاهدٌ في الدنيا غير نِهم عليها ولا مستكثر منها، وهذا زاهدٌ في الدنيا تارك لها غير متمتّع بلذّاتها، وهذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة وهذا مثله، وهذا غير محبّب إليه شيء من الأُمور العاجلة إلا النساء وهذا مثله.

وهذا ابن عبدالمطّلب بن هاشم وهذا في قُعْدده [القعدد: القريب الآباء من الجدّ الأعلى].

وأبواهما أخوان لأب واحد دون غيرهما من بني عبدالمطّلب، وربّي محمّد صلى الله عليه و آله في حجر والد هذا وهو أبو طالب، فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده، ثمّ لمّا شبّ صلى الله عليه و آله وكبر استخلصه من بني أبي طالب وهو غلام، فربّاه فى حجره مكافاة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخُلُقان وتماثلت السجيّتان، وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين فما ظنّك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل! فواجب أن تكون أخلاق محمّد صلى الله عليه و آله كأخلاق أبي طالب، وتكون أخلاق عليّ عليه السلام كأخلاق أبى طالب أبيه، ومحمّد صلى الله عليه و آله مربّيه، وأن يكون الكلّ شيمةً واحدة وسوساً [أي أصلاً] واحداً، وطينة مشتركة، ونفساً غير منقسمة ولا متجزّئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرقٌ ولا فضل، لولا أنّ اللَّه تعالى اختصّ محمّداً صلى الله عليه و آله برسالته واصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البريّة في ذلك، ومن أنّ اللطف به أكمل، والنفع بمكانه أتمّ وأعمّ، فامتاز رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بذلك عمّن سواه، وبقي ما عدا الرسالة على أمر الاتّحاد، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه و آله بقوله: "أخصِمك بالنبوّة، فلا نبوّة بعدي، وتخصم النّاس بسبع"، وقال له أيضاً: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي"، فأبان نفسه منه بالنبوّة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما. [شرح ابن أبي الحديد ٢٢٢ - ٢١٤ :١٠].

في الفرق بين سياسة عليّ وسياسة معاوية وأتباعه

قال الدكتور طه حسين المصري: إنّ الفرق بين عليّ عليه السلام ومعاوية في السيرة والسياسة كان عظيماً بعيد المدى، عرفت أنّ معاوية كان ينتظر عليّاً في ثبات وثقة واطمئنان، كان الفرق بين الرجلين عظيماً في السيرة والسياسة، فقد كان عليّ مؤمناً بالخلافة.. يرى أنّ من الحقّ عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين النّاس، لا يؤثر منهم أحداً على أحد، ويرى أنّ من الحقّ عليه أن يحفظ على المسلمين مالهم لا ينفقه إلا بحقّه، فهو لا يستبيح لنفسه أن يصل النّاس من بيت المال، بل هو لا يستبيح لنفسه أن يأخذ من بيت المال لنفسه وأهله إلا ما يقيم الأود لا يزيد عليه، فأمّا معاوية.. لا يجد في ذلك بأساً ولا جناحاً، فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون، وكان الزاهدون يجدون عند عليّ عليه السلام ما يحبّون.

وما رأيك في رجل جاء أخوه عقيل مسترفداً، فقال لابنه الحسن: "إذا خرج عطائي فسر مع عمّك إلى السوق فاشتر له ثوباً جديداً، ونعلين جديدتين"، ثمّ لم يزد ذلك شيئاً، وما رأيك في رجل آخر - يعني معاوية - يأتيه عقيل هذا نفسه بعد أن لم يرضَ صلة أخيه فيعطيه من بيت المال مائة ألف؟

وعليّ عليه السلام لا يداهن في الدين، ولم يكن يبغض شيئاً كما يبغض وضع درهم من بيت مال المسلمين في غير موضعه أو إنفاقه في غير حقّه، كما كان يبغض المكر والكيد، وكلّ ما يتّصل بسبب من أسباب الجاهليّة الأُولى. [عليّ وبنوه للدكتور طه حسين: ٥٩].

وقال أبو عثمان الجاحظ ما ملخّصه: وربّما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل والعلم ويظنّ أنّه من الخواصّ - وهو من العوامّ - يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً، وأصحّ فكراً، وأجود مسلكاً من عليّ عليه السلام!! وليس الأمر كذلك، وسأرمي إليك بجملة تعرف موضع غلطه؛ وذلك أنّ عليّاً عليه السلام كان لا يستعمل في حروبه إلا ما يوافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهما، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رُتبيل.

وكان عليّ عليه السلام يقول لأصحابه: "لا تبدأوهم بالقتال حتّى يبدأوكم، ولا تتبعوا مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً"، هذه سيرته في ذي الكلاع، وفي أبي الأعور السُّلمي، وفي عمرو بن العاص، وفي حبيب بن مَسلمة، وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والأتباع، ولكنّ أصحاب الحروب إنّما يقصدون الوجه الّذي به هلاك الخصم، وينتظرون وجه الفرصة، سواء كان مخالفاً للشريعة، كالحريق والغريق ودسّ السموم والتضريب بين النّاس بالكذب وإلقاء الكتب في العسكر بالسعاية أو موافقاً للشريعة، فعليّ عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلا ما هو للّه رضا، وممنوع اليدين من كلّ بطش إلا ما

هو لله رضا، ولا يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله ويحبّه، ولا يرى الرضا إلا فيما دلّ عليه الكتاب والسنّة دون أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد، فلمّا رأت العوامّ نوادر معاوية في المكائد، وكثرة غرائبه في الخداع، وما اتّفق له، وتهيّأ على يده، ولم يروا ذلك من عليّ عليه السلام ظنّوا بِقِصَرِ عقوله، وقلّة علومهم أنّ ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند عليّ عليه السلام.

ثمّ انظر بعد ذلك كلّه، هل يعدّ لمعاوية من الخُدع إلا رفع المصاحف في صفّين، ثمّ انظر هل خدع بها إلا من عصى رأي عليّ عليه السلام وخالف أمره عن أصحابه؟!

فإن زعمت أنّه قال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت، وليس في هذا اختلفنا، ولا عن غرارة أصحاب عليّ عليه السلام وعجلتهم وتسرّعهم وتنازعهم دفعنا، وإنّما كان البحث في التمييز بينه وبين معاوية في الدهاء والمكر وصحّة العقل والرأي إلى آخره. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٢٨].

قال الشارح المعتزلي: ومن تأمّل هذا الكلام بعين الإنصاف، ولم يتّبع الهوى علم صحّة جميع ما ذكره، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام دُفع - من اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له ولزومه سنن الشريعة ومنهج العدل، وخروج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة النّاس إليهم بالرغبة والرهبة - إلى ما يُدفع إليه غيره، فلولا أنّه عليه السلام كان عارفاً بوجوه السياسة وتدبير أمر السلطان والخلافة وحاذقاً في ذلك، لم يجتمع عليه إلا القليل من النّاس، وهم أهل الآخرة خاصّة، الّذين لا ميل لهم إلى الدنيا، فلمّا وجدناه دَبّر الأمر حين وليه، واجتمع عليه من العساكر والأتباع ما يتجاوز العدّ والحصر، وقاتل بهم أعداءه الّذين حالهم حالهم، فظفر في أكثر حروبه، ووقف الأمر بينه وبين معاوية على سواء، وكان هو الأظهر والأقرب إلى الانتصار، علمنا أنّه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين. [المصدرالسابق ١٠:٢٣١، من أراد الاطّلاع على حيل معاوية وبعض حالاته يراجع المصدر السابق ١:٣٣٤].

موارد ممّا طعن على سياسة عليّ والجواب عنها

قال عبّاس محمود العقّاد ما محصّله: تسري في صفحات التأريخ أحكام مرتجلة يتلقّفها فم من فم، ويتوارثها جيل عن جيل، ويتّخذها السامعون قضيّة مسلّمة، مفروغاً عن بحثها والاستدلال عليها، ومن تلك الأحكام المرتجلة قولهم: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجلٌ شجاع، ولكن لا علم له بخدع الحرب والسياسة.

وقد شاع هذا الرأي في عصر عليّ عليه السلام بين أصحابه كما شاع بين أعدائه، وعزّر القول به أنّه خالف الدهاة من العرب فيما أشاروا به عليه، وأنّه لم ينجح بعد هذه المخالفة في معظم مساعيه، ولذا صار فشلاً في علمه وحكومته.

ثمّ قال: وهذه الأحكام الّتي خالفه فيها الدهاة أو خالفه فيها نقدة التاريخ الّذين نظروا إليها من الشاطئ ولم ينظروا إليها نظرة الربّان في غمرة العواصف والأمواج يمكن أن تنحصر في المسائل التالية. إلى آخر كلامه الّذي ذكر فيه عدّة أمور، منها: عزل معاوية، وقبول التحكيم، وعزل قيس بن سعد عن ولاية مصر، تم أجاب عن جميعها. [عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ١١٩].

أقول: كلمة حقّ وقعت في محلّها؛ إذ مَن لم ينظر إلى أحكام عليّ عليه السلام نظرة الربّان في غمرة العواصف والأمواج، يرى أنّ أحكامه عليه السلام ليست عن حسن الرأي والتدبير وجودة السياسة، ولذا لا بدّ أن ينظر إليها مع الدقّة في ظروف تلك الأعصار وإمكاناتها ثمّ أظهر النظر في أحكامه عليه السلام.

وفيما يلي نذكر موارد ممّا طعن به على عليّ عليه السلام مع جوابه:

الطعن الأوّل من مطاعنهم: قالوا: إنّه قصّر في طلب الخلافة عند بيعة أبي بكر، وقد كان اجتمع له من بني هاشم وبني أُميّة وغيرهم من أفناء الناس من يتمكّن بهم من المنازعة وطلب الخلافة فقصّر عن ذلك، لا جُبناً؛ لأنّه كان أشجع البشر، ولكن قصور تدبير، وضعف رأي؟!

والجواب: ما أشار عليه السلام إليه في مواضع مختلفة، فقال في خطبته بمكّة في أوّل إمارته: 'وإيمُ اللّه! ولا مخافة الفُرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم عليه، فَوَليَ الأمرَ ولاة لم يألوا النّاس خيراً'. [راجع: شرح ابن أبي الحديد ١:٣٠٧].

وقال عليه السلام في خطبته عند مسيره للبصرة: 'فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفكِ دمائهم، والنّاس حديثُو عهد بالإسلام، والدينُ يُمخَضُ مَخْضَ الوَطْب، يُفسِده أدنى وَهَن، ويعكسه أقلّ خُلْف، فوليَ الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء' الحديث. [المصدر المتقدّم ١:٣٠٨].

وفي موضع ثالث: قال في جواب فاطمة عليهاالسلام حين حرّضته يوماً على النهوض والوثوب، فسمع صوت المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه'، فقال لها: 'أيسرّك زوال هذا النداء من الأرض؟'، قالت: 'لا'، قال: 'فإنّه ما أقول لك'. [المصدر المتقدّم ١١:١١٣].

الثاني من مطاعنهم: قالوا: لو كان حين بويع له بالخلافة في المدينة أقرّ معاوية على الشام إلى أن يستقرّ الأمر له ويتوطّد ويبايعه معاوية وأهل الشام، ثمّ يعزله بعد ذلك لكان قد كفى ما جرى بينهما من الحرب.

والجواب: قال العقّاد في مقام الجواب: وعندنا أنّ الإمام عليه السلام لم يكن مستطيعاً أن يقرّ معاوية في عمله لسببين:

أوّلهما: أنّه أشار على عثمان بعزله أكثر من مرّة، وكان إقراره وإقرار أمثاله من الولاة المستغلّين أهمّ المآخذ على حكومة عثمان في رأي عليّ عليه السلام وذوي الصلاح والاستقامة بين الصحابة، وكثيراً ما اعتذر عثمان من إقرار معاوية بأنّه من ولاة عمر بن الخطّاب... فكان عليّ عليه السلام لا يقبل هذا العذر ولا يزال يقول له: إنّه كان أخوف لعمر بن الخطّاب من غلامه - يرفأ - ولكنّه بعد موت عمر لا يخاف، فإذا أقرّه وقد وَلي الخلافة، فكيف يقع هذا الإقرار عند أشياعه؟ ألا يقولون: إنّه طالب حكم لا يعنيه إذا وصل إلى بغيته ما كان يقول وما سيقوله النّاس.

وثانياً: وإذا هو أعرض عن رأيه الأوّل، فهل في وسعه أن يُعرض عن آراء الثائرين الّذين بايعوه بالخلافة لتغيّر الحال والخروج من حكم عثمان إلى حكم جديد... الخ. [عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ١٢٤].

وقال ابن أبي الحديد في الجواب عن هذا الايراد: انّ قرائن الأحوال حينئذٍ قد كان علم أمير المؤمنين عليه السلام منها أنّ معاوية لا يبايع له وإن أقرّه على ولاية الشام، بل كان إقراره له على إمرة الشام أقوى لحال معاوية، وآكد في الامتناع من البيعة، إلى آخره. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٣٢].

الثالث من مطاعنهم: قالوا: إنّه ترك طلحة والزبير حتّى خرجا إلى مكّة وأذن لهما في العمرة، وذهب عنه الرأي في ارتباطهما قبله ومنعهما من البعد عنه.

وأجاب عن ذلك الشارح المعتزلي بقوله: إنّه قد اختلفت الرواة في خروج طلحة والزبير من المدينة، هل كان بإذن عليّ عليه السلام أم لا، فمن قال: إنّهما خرجا بغير إذنه عليه السلام فسؤاله ساقط، ومَن قال: إنّهما استأذناه في العمرة، وأذن لهما، فقد روى أنّه قال: "واللّه! ما تريدان العمرة، وإنّما تريدان الغَدرة"، وخوّفهما باللّه من التسرّع إلى الفتنة، وما كان يجوز له في الشرع أن يحبسهما، ولا في السياسة.

أمّا في الشرع: فلأنّه عليه السلام محظور أن يعاقب الإنسان بما لم يفعل، وعلى ما يُظنّ منه، ويجوز ألا يقع، وأمّا في السياسة، فلأنّه لو أظهر التهمة لهما، وهما من أفاضل السابقين وجلّة المهاجرين لكان في ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى، ومن الطعن عليه ما هو معلوم بأن يقال: إنّه ليس من إمامته على ثقة، فلذلك

يتّهم الرؤساء، ولا يأمن الفضلاء، ولا سيّما طلحة كان أوّل من بايعه، والزبير لم يزل مشتهراً بنصرته، فلو حبسهما وأظهر الشكّ فيهما لم يسكن أحدٌ إلى جهته ولَنَفر كلُّهم عن طاعته.

فإن قالوا: فهلا استصلحهما وولاهما، وارتبطهما بالإجابة إلى أغراضهما؟ |وكان عبداللّٰه بن عبّاس على هذا الرأي، فأنكره الإمام عليه السلام|. [المصدر المتقدّم ١٠:٢٤٨، وبين المعقوفتين من كتاب عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ١٢٧].

قلنا في الجواب: أوّلاً: أنّهما إذا تملّكا رقاب النّاس يستعملان السفيه بالطمع، ويضربان لاضعيف بالبلاء، ويقويان على القويّ بالسلطان، ثمّ ينقلبان عليه أقوى ما كانا بغير ولاية، وقد استفادا من إقامة الإمام لهما في الولاية تزكية يلزمانه بها الحجّة، ويثيران بها أنصاره عليه. [عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ١٢٧].

وثانياً: فحوى هذا الكلام أنّكم تطلبون من أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون في الإمامة مغلوباً على رأيه، مفتاتاً عليه في تدبيره، فيقرّ معاوية على ولاية الشام غصباً، ويولّي طلحة والزبير مصر والعراق كَرهاً، وهذا شيء ما دخل تحته أحد ممّن قبله، ولا رضوا أن يكون لهم من الإمامة الاسم، ومن الخلافة اللفظ، ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجب على ذلك، فكيف تسومون عليّاً عليه السلام أن يفتتح أمره بهذه الدنيّة ويرضى بالدخول تحت هذه الخطّة! وهذا ظاهر. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٤٨].

الرابع من مطاعنهم: قالوا: تولية أمير المؤمنين عليه السلام محمّد بن أبي بكر مصر، وعزله قيس بن سعد عنها، حتّى قتل بها، واستولى معاوية عليها.

والجواب: أنّه ليس بالإمكان أن يقال: إنّ محمّد بن أبي بكر لم يكن بأهلٍ لولاية مصر؛ لأنّه كان شجاعاً زاهداً فاضلاً، صحيح العقل والرأي، وكان مع ذلك من المخلصين في محبّة أمير المؤمنين عليه السلام والمجتهدين في طاعته، وممّن لا يتّهم عليه، ولا يُرتاب بنصحه، وهو ربيبهُ وخرِّيجه، ويجري مجرى أحدِ أولاده عليه السلام، لتربيته له وإشفاقه عليه.

ثمّ كان المصريّون على غاية المحبّة له، والإيثار لولايته، و لذا لمّا حاصروا عثمان وطالبوه بعزل عبداللّٰه بن سعد بن أبي سرح عنهم، اقترحوا تأميرَ محمّد بن أبي بكر عليهم، فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريّين حتّى تعقّبه كتاب عثمان إلى عبداللّٰه بن سعد في أمره وأمر المصريّين بما هو معروف، فعادوا جميعاً، وكان من قتل عثمان ما كان، فلم يكن ظاهر الرأي ووجه التدبير إلا تولية محمّد بن أبي بكر على مصر لما ظهر من ميل المصريّين إليه وإيثارهم له...

فكان من فساد الأمر واضطرابه عليه حتّى كان ما كان، وليس ذلك بعيب على أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّ الأُمور إنّما يعتمدها الإمام عليه السلام على حسب ما يظنّ فيها من المصلحة، ولا يعلم الغيب إلا اللَّه تعالى. [قوله: 'ولا يعلم الغيب الا اللَّه' صحيح ولكن علم اللَّه تعالى بالغيب بالذات، و لا ينافى أن يكون صلى الله عليه و آله و الامام المعصوم مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعلم الغيب باذن اللَّه، كما هو اعتقادنا الامامية على ذلك، و لذا فقد يكون لدى علي عليه السلام من العلم بالحوادث الّذي اختصّه به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وراجع تفصيل ذلك في فصل: "عليّ عليه السلام والمعجزات والإخبار بالمغيبات"].

وقد ولّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مؤتة جعفراً فقتل، وولّى زيداً فقتل، وولّى عبداللَّه بن رواحة فقتل وهزم الجيش، وعاد مَن عاد منهم إلى المدينة بأسوأ حال، فهل لأحدٍ أن يعيب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بهذا ويطعن في تدبيره؟! [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٤٩].

الخامس من مطاعنهم: وقالوا: هلا إذ ملك شريعة الفرات على معاوية، بعد أن كان معاوية ملكها عليه، ومنعه وأهل العراق منها منع معاوية وأهل الشام منها، فكان يأخذهم قبضاً بالأيدي؟ فإنّه لم يصبر على منعهم على الماء، بل فسح لهم في الورود، وهذا يخالف ما يقتضيه تدبير الحرب.

والجواب: أنّه عليه السلام لم يكن يستحلّ ما استحلّه معاوية من تعذيب البشر بالعطش، فإنّ اللَّه تعالى ما أمر في أحد من العصاة الّذين أباح دماءهم بذلك، ولا فسح فيه في نحو القصاص أو حدّ الزاني المحصَن أو قتل قاطع الطريق أو قتال البغاة والخوارج، وما كان أمير المؤمنين عليه السلام ممّن يترك حكم اللَّه وشريعته، ويعتمد ما هو محرّم فيها لأجل الغلبة والقهر والظفر بالعدوّ، ولذلك لم يكن يستحلّ البَيات [يقال: بيت العدوّ، إذا أوقع به ليلاً].

ولا الغَدر ولا النكث، إلى آخره... [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٥٧].

السادس من مطاعنهم: وقالوا: إنّ جماعة من أصحابه عليه السلام فارقوه وصاروا إلى معاوية كعقيل بن أبي طالب أخيه، والنجاشي شاعره، ورقبة بن مصقلة أحد الوجوه من أصحابه وغيرهم، ولولا أنّه كان يوحشهم ولا يستميلهم لم يفارقوه ويصيروا إلى عدوّه، وهذا يخالف حكمَ السيّاسة، وما يجب من تألّف قلوب الأصحاب والرعيّة.

والجواب: لا ننكر أن يكون كلّ مَن رغب في حطام الدنيا وزخرفها يميل إلى معاوية الّذي يبذل منها كلّ مطلوب، ويسمحُ بكلّ مأمول، ويطعم خراج مصر عمرو بن العاص، ويضمن لذي الكلاع وحبيب بن مسلمة ما يوفي على الرجاء والاقتراح، وعليّ عليه السلام لا يعدل فيما هو أمين عليه من مال المسلمين عن قضية

الشريعة وحكم الملّة، حتّى يقول خالد بن معمر السدوسي لعلباء بن الهيثم - وهو يحمله على مفارقة عليّ عليه السلام واللحاق بمعاوية - اتّق اللّٰه يا علباء في عشيرتك، وانظر لنفسك ولرحمك، ماذا تأمل عند رجل أردته على أن يزيد في عطاء الحسن والحسين دريهماتٍ يسيرة ريثما يرأبان بها ظلف عيشهما، فأبى وغضب فلم يفعل، هذا أوّلاً.

فأمّا عقيل، فالصحيح الّذي اجتمع ثقاتُ الرواة عليه أنّه لم يجتمع مع معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، وثانياً: لم يتوجّه إلى معاوية، بل ذهب إليه ليأخذ مالاً. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٥٠، انظر قصّة عقيل في فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"].

وأمّا النجاشي فإنّه شرب الخمر في شهر رمضان، فأقام عليّ عليه السلام عليه الحدّ، وزاده عشرين جلدة، فقال النجاشي: ما هذه العلاوة؟ قال: 'لجرأتك على اللّٰه في شهر رمضان'، فهرب النجاشي إلى معاوية. [المصدر المتقدّم. وراجع لتوضيح قصّة النجاشي فصل: "عليّ عليه السلام والمساواة أمام القانون"].

وأمّا رقبة بن مصقلة، فإنّه ابتاع سبي بني ناجية وأعتقهم وألطّ بالمال [ألطّ بالمال: أي أخذه وجحده].

وهرب إلى معاوية، فقال عليه السلام: 'فَعَل فِعْلَ السادة، وأبق إباق العبيد'، وعلى هذا فليس تعطيل الحدود وإباحة حكم الدين، وإضاعة مال المسلمين من التألف والسياسة لمن يريد وجه اللّٰه تعالى، والتلزّم بالدين، ولا يُظنّ بعليّ عليه السلام التساهل والتسامح في صغير من ذلك ولا كبير. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٥١].

السابع من مطاعنهم: وقالوا: إنّه غير مصيب في ترك الاحتراس، فقد كان يعلم كثرة أعدائه ولم يكن يحترس منهم، وكان يخرج ليلاً في قميص ورداء وحده حتّى كمن له ابن ملجم في المسجد فقتله، ولو كان احترس وحفظ نفسه لم يوصل إليه.

والجواب: أنّ هذا إن كان قادحاً في السياسة وصحّة التدبير فليكن قادحاً في صحّة تدبير عمر بن الخطّاب وسياسته، وهو عند النّاس معروف بالسياسة والتدبير، وليكن قادحاً في تدبير معاوية، فقد ضربه الخارجي بالسيف ليلة ضرب أمير المؤمنين عليه السلام، فجرحه، ولم يأت على نفسه، وليكن قادحاً في صحّة تدبير رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقد كان يخرج وحده في المدينة ليلاً ونهاراً مع كثرة أعدائه، وقد كان يأكل ما دعي إليه ولا يحترس، حتّى أكل من يهوديّة شاة مشويّة قد سمّته فيها فمرض وخيف عليه التلف، ولمّا برئ لم تزل تنتفض عليه حتّى مات منها، ولم تكن العرب في ذلك الزمان تحترس، وكان ذلك عندهم قبيحاً

يعيّر به فاعله؛ ولأنّ عليّاً عليه السلام كان هيبته قد تمكّنت في صدور النّاس، فلم يكن يظنّ أنّ أحداً يقدم غيلة...! [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٦٠].

فاعتبر أيّها القارئ واعلم أنّ جميع الإيرادات والطعن على سياسة عليّ عليه السلام وتدبيره تنمّ عن عدم الاطّلاع على وقائع عصره وحوادثه، ومن العناد على أمير المؤمنين عليه السلام، وإلا لا يرد على سياسته طعن، بل هو أسدّ رأياً وتدبيراً في عصره.

وقال الشارح المعتزلي: مَن قال: إنّ تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن صالحة، واضح الفساد، وبان أنّه أصحّ النّاس تدبيراً وأحسنهم سياسة، وإنّما الهوى والعصبيّة لا حيلة فيهما. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٦٠].

نبذة ممّا كان من جودة رأيه وسياسته

قال ابن أبي الحديد: وأمّا الرأي والتدبير فكان عليّ عليه السلام من أسدّ النّاس رأياً، وأصحّهم تدبيراً، وهو الّذي أشار على عمر بن الخطّاب لمّا عزم أن يتوجّه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار، وهو الّذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث، إلى أن قال:

وأمّا السياسة: فإنّه كان شديد السياسة، خشناً في ذات اللّه، لم يراقب ابن عمّه في عمل كان ولاه إيّاه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به، وأحرق قوماً بالنّار و... [المصدر المتقدّم ١:٢٨].

قال العلامة السيّد محسن الأمين في سياسته: وهو الّذي أشار على المسلمين بأن يدفن النبيّ صلى الله عليه و آله في موضع وفاته، وأن يصلّي عليه المسلمون فرادى بدون إمام، جماعةً بعد جماعة، وإن شئت أن تجعل هذا من العلم والفقه فلك ذلك، وهو الّذي أشار إلى عمر بوضع التاريخ للهجرة. [أعيان الشيعة ١:٣٤٩].

وفي "المناقب": قال الطبري ومجاهد في تأريخيهما: جمع عمر بن الخطّاب النّاس يسألهم من أيّ يوم نكتب، فقال عليّ عليه السلام: 'من يوم هاجر رسول اللّه وترك أرض الشرك'، ففعله عمر، فكأنّه أشار أن لا تبتدعوا بدعة وأرّخوا كما كانوا يكتبون في زمان رسول اللّه صلى الله عليه و آله لأنّه قدم النبيّ المدينة في شهر ربيع الأوّل، فأمر بالتاريخ، فكان يؤرّخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمّت له سنة. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٤٤. تاريخ الطبري ٣:١٤٤].

وذكر ابن الأثير في "تاريخه" والحاكم في "المستدرك": عن سعيد بن المسيّب: جمع عمر النّاس فقال: من أيّ يوم نكتب التاريخ؟ فقال عليّ عليه السلام: 'من مهاجرة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وفراقه أرض الشرك'، ففعله عمر. [الكامل في التاريخ ١:٣٦، مستدرك الحاكم ٣:١٤].

ومن أخباره في جودة الرأي والتدبير ما رواه المفيد في "الإرشاد": عن شبابة بن سوّار، عن أبي بكر الهذلي، قال: سمعت رجالاً من علمائنا يقولون: تكاتبت الأعاجم من أهل همدان وأهل الريّ واصبهان وقومس ونهاوند وأرسل بعضهم إلى بعض: أنّ ملك العرب الّذي جاءهم بدينهم وأخرج كتابهم قد هلك - يعنون النبيّ صلى الله عليه و آله - وأنّه ملكهم من بعده رجل ملكاً يسيراً ثمّ هلك - يعنون أبا بكر - وقام من بعده آخر، قد طال عمره حتّى تناولكم فى بلادكم وأغزاكم جنوده - يعنون عمر بن الخطّاب - وأنّه غير منتهٍ عنكم حتّى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتخرجوا إليه فتغزوه في بلاده، فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليه، فلمّا انتهى الخبر إلى مَن بالكوفة من المسلمين أنهوه إلى عمر بن الخطّاب، فلمّا انتهى إليه الخبر فزع لذلك فزعاً شديداً، ثمّ أتى مسجد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فصعد المنبر فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: معاشر المهاجرين والأنصار، إنّ الشيطان قد جمع لكم جموعاً وأقبل بها ليطفئ بها نور اللّٰه، ألا انّ أهل همدان وأهل اصبهان وأهل الريّ وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها، قد تعاهدوا وتعاقدوا أن يخرجوا من بلادهم إخوانكم من المسلمين ويخرجوا إليكم فيغزوكم في بلادكم، فأشيروا علَيَّ وأوجزوا ولا تطنبوا في القول، فإنّ هذا يوم له ما بعده من الأيّام فتكلّموا.

فقام طلحة بن عبيداللّٰه، وكان من خطباء قريش، فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، قد حنّكتك الأُمور، وجرّستك الدهور، وعجمتك البلايا، وأحكمتك التجارب، وأنت مبارك الأمر، ميمون النقيبة، وقد ولّيت فخبرت، واختبرت وخبّرت، فلم تنكشف من عواقب قضاء اللّٰه إلا عن خيار، فاحضر هذا الأمر برأيك فلا تغب عنه، ثمّ جلس، فقال عمر: تكلّموا.

فقام عثمان بن عفّان، فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد - يا أمير المؤمنين - فإنّي أرى أن تشخص أهل الشام من شامهم، وأهل اليمن من يمنهم، وتسير أنت في أهل هذين الحرمين، وأهل المصرين الكوفة والبصرة، فتلقي جميع المشركين بجميع المؤمنين، فإنّك - يا أمير المؤمنين - لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية، ولا تمتّع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز، فاحضره برأيك ولا تغب عنه، ثمّ جلس.

فقال عمر: تكلّموا.

فقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "الحمد للّه"، حتّى أتمّ التحميد والثناء على اللّه، والصلاة على رسوله صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: "أمّا بعد، فإنّك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإن أشخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها وأكنافها، حتّى يكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب أهمّ إليك ممّا بين يديك.

فأمّا ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم، فإنّا لم نكن نقاتل على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالكثرة، وإنّما كنّا نقاتل بالنصر.

وأمّا ما بلغك من اجتماعهم على المسير إلى المسلمين، فإنّ اللّه لمسيرهم أكره منك لذلك، وهو أوْلى بتغيير ما يكره، وإنّ الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب، فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب، وكان أشدّ لكلبهم، وكنت قد ألّبتهم على نفسك، وأمدّهم من لم يكن يمدّهم، ولكنّي أرى أن تقرّ هؤلاء في أمصارهم، وتكتب إلى أهل البصرة فليتفرّقوا على ثلاث فرق، فلتقم فرقة منهم على ذراريهم حَرَساً لهم، ولتقم فرقة على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا، ولتسر فرقة منهم إلى إخوانهم مدداً لهم".

فقال عمر: أجل هذا الرأي، وقد كنت أُحبّ أن أُتابع عليه، وجعل يكرّر قول أمير المؤمنين عليه السلام وينسقه إعجاباً به واختياراً له.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: فانظروا أيّدكم اللّه إلى هذا الموقف الّذي ينبئ بفضل الرأي؛ إذ تنازعه أولو الألباب والعلم، وتأمّلوا التوفيق الّذي قرن اللّه به أميرالمؤمنين عليه السلام في الأحوال كلّها، وفزع القوم إليه في المعضل من الأُمور، وأضيفوا ذلك إلى ما أثبتناه عنه من القضاء في الدين الّذي أعجز متقدّمي القوم حتّى اضطرّوا في علمه إليه. [إرشاد المفيد ج ١٩٥: ١ و راجع المناقب لابن شهرآشوب نقلاً عن الطبري].

علي و العدل

قال أبو بكر: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة ونحن خارجون من مكّة إلى المدينة يقول: "يا أبا بكر، كفّي وكفّ عليّ في العدل سواء".

المناقب لابن المغازلي الشافعي: ١٢٩، الحديث ١٧٠

علي وجوهرة العدالة

لقد لازمت شخصيّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام السامية جوهرة العدالة الثمينة، واقترن اسمه المقدّس بالعدالة، فقد كان عادلاً يأنس بالعدالة ويهتمّ بها.

إنّ كلّ مجتمع أو جماعة أو فرد منادٍ بالعدالة، ويأمل في تكوين مجتمع يقوم على أساس القسط والعدل، يضع عدل عليّ عليه السلام نصب عينه، ويتّخذ أُسلوب عليّ عليه السلام في تطبيق العدالة ونظامه العادل قدوة له في برنامجه الّذي يسعى إلى تطبيقه.

حقّاً لم يعرف تأريخ الإنسانيّة شخصاً كعليّ عليه السلام خُلِّد اسمه إلى الأبد، وارتسمت صورة عدالته في أذهان البشر، فقد كان عاشقاً للعدالة مولعاً بها إلى غايتها القصوى.

ما هي العدالة الّتي ذاب فيها أميرالمؤمنين وملأت وجوده وكيانه

ما هي العدالة الّتي عشقها مثل مولى المتّقين عليّ عليه السلام حيث هام فيها وذاب، وملأت وجوده وكيانه؟ فحينما تتجلّى حقيقة العدالة ويتذوّق الجميع حلاوتها، فعند ذلك تعرف عظمة عليّ عليه السلام الّذي رضي أن يقدّم نفسه الشريفة قرباناً لهذه العدالة.

العدالة: هي ذلك المفهوم الجميل العزيز الّذي يحبّه جميع البشر وخاصّة الضعفاء والبؤساء والمكبّلين في الأصفاد كحبّهم أنفسهم.

العدالة: هي تلك الثمرة المجهولة الّتي يأمل كلّ بني آدم أن تشفي أمراضهم وتسكّن آلامهم، فهم يبحثون عنها في كلّ زاوية من زوايا العالم.

العدالة: عينٌ صفا ماؤها و عذب، تنتظر الشفاه الذابلات من الظمأ أن ترتوي بشربةٍ منها.

العدالة: هي الشجرة المخضرّة الوحيدة في بستان آمال الإنسان المحترقة أشجاره، تلك الشجرة الّتي يهفو إليها قلب كلّ آدمي، ويطمح أن يستظلّ بظلّها، وتحمّل من أجل هذا الأمل المسير الطويل الصعب، وتحمّل أثقال وآلام سنين الهمّ والعذاب والألم بكلّ صبر وجلد.

العدالة: تلك الجوهرة الثمينة الّتي ضاعت في صحراء الجور وعدم المساواة والنفاق اللامتناهية، ودون العثور عليها خرط القتاد، وضاعت في دنيا اليوم بين أكداس الظلم والخدعة والتفرقة واحتجبت شكلها المحبوب عن أنظار طلاب العدالة في العالم.

وبالجملة: العدالة هي الكلمة الّتي تتلهّف إليها النفوس وعليها أساس الملك وبها نظام المجتمع واعتدال العالم، ففي "الكافي": عن الصادق عليه السلام: "العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك". [أُصول الكافي ٢:١٤٧].

ولذا كان العدل أفضل وأشرف من الجود والإحسان في منظار عليّ عليه السلام، كما يأتي فيما يلي:

العدل أفضل وأشرف من الجود والإحسان في منظار عليّ

من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام أنّ الأصل الّذي يستطيع أن يحافظ على التعادل الاجتماعي، ويرضي الجميع، ويؤمّن السلامة لهيكل المجتمع، ويمنح الطمأنينة لأرواح البشر هو العدالة [في رحاب نهج البلاغة للشهيدآية اللّه مرتضى المطهّري "قدّس اللّه روحه": ١١٢].

إذ بالإمكان التوصّل إلى وجهة النظر هذه بسهولة من خلال المقارنة الّتي أجراها بين العدل والجود، والأهمّية والقيمة الّتي أعطاها في مقابل الجود مع أنّ الجود في نظر العرف والجميع عمل مرضي وعمل أخلاقي قيّم. ولكن أنّ الإمام عليّ عليه السلام يرى أنّ العدل أسمى من الجود لدليلين:

أحدهما: أنّ العدل يضع الأُمور في مواضعها، ويجعلها تجري في مجاريها الطبيعيّة، أمّا الجود فإنّه يخرج الأُمور عن مجاريها الطبيعيّة.

والآخر: أنّ العدالة قانون كلّي شامل يضمّ الجميع تحت لوائه ويمرّون عبره دون أي مشكلة؛ لأنّه يحدّد المسير العامّ، أمّا الجود والكرم فإنّه حالة استثنائيّة خاصّة، فتكون النتيجة أنّ العدل أفضل وأشرف من الجود، قال عليه السلام: "الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا". [شرح نهج البلاغة: ١٢٨٠، الحكمة ٤٢٩].

علي مصداق بارز لآية: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"

نعم، لقد كانت هذه العدالة ضالّة عليّ عليه السلام، فهو كالظامئ الّذي يبحث عن عين ماء تروي ظمأه، وكان عليّ عليه السلام يسعى إلى معين العدالة العذب.

كان عليّ عليه السلام مظهر العدالة وجوهرتها حقّاً، فقد بَعُد عن كلّ ظلم وجور، وفي فكر عليّ عليه السلام السامي لم يكن ممكناً أن تقاس العدالة بأيّ أمر آخر، وكان لا يعبأ حتّى بأعزّ إنسان عليه من أجل الحقّ؛ وذلك أنّ ربّه قد أمره بذلك فكيف يعصي مولاه؟ "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ". [سورة النحل: ٩٠].

لم يكن عليّ عليه السلام يرضى بالكفّ عن تطبيق العدالة والتراجع عنها مهما كلّف الثمن، ولم يرض أن يتخطّى العدالة خطوة حتّى من أجل تثبيت أركان حكومته الفتية، وأبى أن يساوم أو يتّبع المصالح السياسيّة مهما عظم الثمن، كما أنّه لم يرض أن يضحّي بالعدالة ويقع تحت تأثير الرحمة والتحرّق شفقة، فيعرّض

بذلك هذا الركن المقدّس للتزلزل والانهيار، فقد كان مصداقاً ومظهراً بارزاً للآية الشريفة: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ'. [سورة النساء: ١٣٥].

القسط هو العدل، والقيام بالقسط العمل به والتحفّظ له، فالمراد بالقوّامين بالقسط القائمون به أتمّ قيام وأكمله، من غير انعطاف وعدول عنه إلى خلافه لعامل من هوى وعاطفة، أو خوف، أو طمع، أو غير ذلك، وهل توجد هذه الصفة بتمامها وكمالها في غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟! فإنّه مصداق بارز وكامل لهذه الصفة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، كما سيظهر ذلك من المباحث الآتية إن شاء اللَّه تعالى.

ما قاله النبيّ في عدل عليّ

في "المناقب" عن الطبري، بإسناده عن ابن مردويه: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا أقبل من اليمن تعجّل إلى النبيّ صلى الله عليه و آله واستخلف على جنده الّذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حلّة من البزّ [البز - بتشديد الزاء المعجمة -: الثياب من الكتّان أو القطن].

الّذي كان مع عليّ عليه السلام، فلمّا دنا جيشه خرج عليّ عليه السلام ليتلقّاهم فإذا هم عليهم الحلل، فقال: 'ويلك، ما هذا؟'. قال: كسوتهم ليتجمّلوا "ليجملوا" به إذا قدموا في النّاس. قال عليه السلام: 'ويلك من قبل أن تنتهي إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله'. قال: فانتزع الحلل من النّاس وردّها في البزّ، وأظهر الجيش شكاية لما صنع بهم.

ثمّ روى الخدري أنّه قال: شكا النّاس عليّاً عليه السلام فقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خطيباً، فقال: 'أيّها النّاس، لا تشكوا عليّاً، فواللَّه! إنّه لخشن في ذات اللَّه'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١١٠].

روى السيوطي والحافظ الكنجي، بإسنادهما عن أبي هريرة، قال: جئت إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وبين يديه تمر، فسلّمت عليه، فردّ علَيَّ، وناولني من التمر مل ء كفّه، فعددته ثلاثاً وسبعين تمرة.

ثمّ مضيت من عنده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين يديه تمر، فسلّمت عليه، فردّ علَيَّ، وضحك إليَّ وناولني من التمر مل ء كفّه، فعددته فإذا هو ثلاث وسبعون تمرة، فكثر تعجّبي من ذلك، فرجعتُ إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول اللَّه، جئتك وبين يديك تمرٌ، فناولتني مل ء كفّك، فعددته ثلاثاً وسبعين تمرة، ثمّ مضيت إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين يديه تمر، فناولني مل ء كفّه، فعددته ثلاثاً وسبعين تمرة، فعجبت من ذلك، فتبسّم النبيّ صلى الله عليه و آله وقال: 'يا أبا هريرة، أما علمت أنّ يدي ويد عليّ بن أي طالب في العدل سواء'. [أخرجه السيوطي في ذيل اللآلئ: ٥٤، والحافظ الكنجي في الباب ٦٢، ص٢٥٦].

وروى ابن المغازلي والجويني، بإسنادهما إلى حُبشي بن جُنادة، قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فأتاه رجل، فقال: يا خليفة رسول اللّٰه، إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعدني أن يحثو لي ثلاث حثيات من تمر؟ قال أبو بكر: ادعوا لي عليّاً. فجاء عليّ عليه السلام فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا يزعم أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعده أن يحثو له ثلاث حثيات من تمر، فأحثّها له. فَحثا له ثلاث حَثَيات. ثمّ قال: 'عدّوها'، فعدُّوها فوجدوا في كلّ حثوةٍ ستّين تمرة لا تزيد واحدة على الأُخرى.

فقال أبو بكر: صدق اللّٰه ورسوله، سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليلة الهجرة ونحن خارجون من مكّة إلى المدينة يقول: 'يا أبا بكر، كفّي وكفّ عليّ بن أبي طالب سواء'. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ١٢٩، ح ١٧٠، و في فرائد السمطين للجويني ١:٥٠، ح ١٥، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه بلا تفاوت في المعنى. وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٥:٣٧، والخوارزمي في المناقب: ٢٣٥، والقندوزي في ينابيع المودّة ١:٢٣٣، والديلمي في الفردوس ٥:٣٠٥، ح٨٢٦٥].

قيام أُسس حكومة عليّ على العدل

لقد بنى الإمام عليّ عليه السلام أساس حكومته على العدالة، وكان يرى أنّ أهمّية الحكومة وقيمتها تكمن في تطبيق العدالة بها، فإنّها تكون ذات أهمّية حينما يقام حقّ ويرفع باطل، وحينما يؤخذ حقّ المظلوم من يد الظالم ويرد إلى المظلوم، وإلا فإنّ الحكومة عنده أهون من عفطة عنز أو من النعل، ولذا رفض قبول الخلافة لأنّه يعلم أنّ ذلك المجتمع لا يتحمّل تطبيق عدالته.

عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "لمّا ولي عليّ عليه السلام صعد المنبر فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّي واللّٰه! لا أرزؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي عذق بيثرب فليصدّقكم أنفسكم، أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟

قال: فقام عقيل رضى الله عنه فقال له: واللّٰه! لتجعلني وأسود بالمدينة سواءاً، فقال: اجلس أما كان هاهنا أحد يتكلّم غيرك، وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى'. [روضة الكافي: ١٥٨، ح ٢٠٤].

كان عليّ رفض قبول الخلافة لأنّه يعلم أنّ ذلك المجتمع لا يتحمّل عدالته

لقد كان عليّ عليه السلام يعلم أنّ ذلك المجتمع لا يتحمّل تطبيق العدالة الّتي يريد الإمام تطبيقها، ولمّا كان عليه السلام لا يتّبع إلا الحقّ وإقامة العدل، فإنّه رفض قبول الخلافة بالرغم من ضغط النّاس عليه وتسابقهم بالبيعة له؛ لأنّه كان يعلم أنّ الانحرافات والتفاوت الطبقي، وعدم المساواة الّذي عمّ المجتمع لا يمكن أن يدعه يطبّق العدالة دون إثارة العراقيل والمشاكل في وجهه ووضع الصعوبات في طريقه، ولذلك قال عليه

السلام: "دَعُوني وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً!". [نهج البلاغة، الخطبة ٩١].

عند ذلك اضطرّ عليّ عليه السلام أن يقبل الخلافة وأن يسير على كتاب اللّٰه وسنّة رسوله واجتهاده ورأيه، يسعى إلى إقامة العدل في المجتمع الإسلامي بالرغم من غضب أصحاب الثروات غير المشروعة والمتساهلين في أمر الدين ورفضهم لأسلوب عليّ عليه السلام وطريقته في إقامة العدل، وهي طريقة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ولذلك ثارت ثائرة الحقد في صدورهم، فشهروا السيوف في وجه عليّ عليه السلام، وكانت الجمل وصفّين والنهروان.

شهد بعدالته العدوّ والصديق

لقد كان عليّ عليه السلام مثالاً للعدل والمساواة وعاشقاً للحقّ والإنصاف، وكان نموذجاً متكاملاً لمحبّة النّاس والرحمة والرأفة والإحسان، وكانت عدالته عليه السلام ذكراً يلهج به لسان الخاصّ والعامّ، والعدوّ والصديق، وممّا قيل في ذلك:

يقول شبلي شميل - وهو من الماديّين - في عليّ عليه السلام: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام بني الإنسان ومقتداهم، ولم يرَ الشرق والغرب نموذجاً يطابقه أبداً لا في الغابر ولا في الحاضر. [انظر: الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة ١:٧].

يقول الكاتب المسيحي جبران خليل جبران: قتل عليّ في محراب عبادته لشدّة عدالته. [ملحمة الشمس لهادي دستباز: ٣٢٩].

قال ابن الأثير في "أُسد الغابة": إنّ زهده وعدله لا يمكن استقصاؤهما. [أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤:٢٥].

وقال ابن عبدالبرّ في "الاستيعاب": كان عليّ عليه السلام إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلا قسّمه، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، ويقول: يا دنيا غرّي غيري، ولم يكن يستأثر من الفي ء بشي ءٍ، ولا يخصّ به حميماً ولا قريباً، ولا يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: "قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ" [سورة يونس: ٥٧].

"فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ" [اقتباس من سورة الأنعام: ١٥٢].

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ' [سورة الأعراف: ٨٥].

'بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ' [سورة هود: ٨٥ و ٨٦].

إذا أتاك كتابي هذا فاحفظ بما في يديك من عملنا حتّى نبعث إليك من يتسلّمه منك'، ثمّ يرفع طرفه إلى السماء فيقول: 'اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا يترك حقّك'. [الاستيعاب بهامش الاصابة ٣:٤٨].

روى ابن أبي الحديد، عن عليّ بن محمّد بن أبي يوسف المدائني، عن فضيل بن الجعد، قال: آكدُ الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنّه لم يكن يُفضّل شريفاً على مشروف ولا عربيّاً على عجميّ، ولا يُصانع الرؤساء وأُمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك النّاس عليّاً والتحقوا بمعاوية. [شرح ابن أبي الحديد ٢:١٩٧].

قال سيّد قطب: لقد جاء عليّ عليه السلام ليدخل نظرية الإسلام في الحكم في قلوب القادة والنّاس من جديد وليطبّقها عمليّاً... جاء ليأكل خبز الشعير الّذي طحنته زوجته بيديها، ويختم على جرابه ويقول: 'لا أُحبّ أن آكل ما لا أعلم'... وربّما باع سيفه ليشتري بثمنه غذاءً ولباساً وأبى أن يسكن القصور الزاهية الفخمة. [العدالة الاجتماعيّة في الإسلام لسيّد قطب].

قال الشهيد المطهّري: وقد كان عليه السلام مصرّاً على أنّ العدالة الاجتماعيّة في الإسلام والفلسفة الاجتماعيّة الإسلاميّة تقتضي ذلك، فلم يكن عليه السلام عادلاً وحسب، بل كان مريداً للعدالة وطالباً لها، وفرق بين العادل وطالب العدالة. [بيست گفتار: ٥ - ٤].

أقول: حقيق أن يقال: إنّ عليّاً عليه السلام ليس إمام زمانه فقط، بل هو مقتدى الأجيال والقرون، وهو التلميذ الأوّل لرسول اللّه صلى الله عليه و آله والمعلّم الثاني للأُمم طول التاريخ.

ولو كان عليّ عليه السلام يمشي وراء السياسة لعرفه التأريخ رجلاً سياسيّاً فحسب، وما كانت الملوك والعظماء يطأطئون هاماتهم أمام عدالته وعظمته، وينظرون إليه نظرة التقدير والتقديس، كما أنشأت سودة بنت همامة عند معاوية أعدى عدوّه:

صلّى الإله على روح تضمّنها*** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً*** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

صور من عدله على مدى حكومته

ومن أجل أن نتعرّف أكثر على عدل الإمام عليّ عليه السلام ولترسم هذه الحقيقة بأجلى صورها نشير إلى موارد توضّح صورة تلك العدالة:

مصادرة الأموال الموهوبة بغير حقّ

عندما تسلّم عليّ عليه السلام زمان حكومة المسلمين بعد عثمان صادر كلّ الأموال الموهوبة بغير حقّ إلى طبقة الأشراف، وقد بيّن سياسته للنّاس عبر خطبته الّتي يقول فيها "فيما ردّه على المسلمين من قطائع": 'وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ في العَدْلِ سَعَةً. وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!'. [شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام: ٥٧، الخطبة ١٥].

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في ذيل هذه الخطبة، عن ابن عبّاس: أنّ عليّاً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، فقال: 'ألا إنّ كلّ قطيعة [القطائع: ما يقطعه الإمام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج ويُسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن الخراج، وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أُميّة وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة. سرح ابن أبي الحديد ١:٢٦٩].

أقطعها عثمان وكلّ مالٍ أعطاه من مالِ اللّه، فهو مردودٌ في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يُبطله شيء ، ولو وجدتُه قد تزوّج به النساء وُفرّق فى البلدان لرددتُه إلى حاله، فإنّ في العدل سعة و من ضاف عليه الحق، فالجور عليه أضيق'. [تفسير هذا الكلام: أنّ الوالي إذا ضاقت عليه تدبيرات أموره في العدل فهي في الجور أضيق عليه؛ لأنّ الجائر في مظنّة أن يُمنع ويُصدّ عن جوره. شرح ابن أبي الحديد ١:٢٧٠].

ثم قال ابن أبى الحديد عن الكلبي أنّه قال: ثمّ أمر عليه السلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره، ممّا تقوّى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر ألا يعرض لسلاح وُجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكفّ عن جميع أمواله الّتي وجدت في داره وفي غير داره [عدم قبضه عليه السلام اموال عثمان، هي الاموال التي خاصته لعثمان و لم تكن من بيت المال].

وأمر أن تُرتجع الأموال الّتي أجاز بها عثمان حيث أُصيب أو أُصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، وكان بأيلَة من أرض الشام، أتاها حيث وثب النّاس على عثمان، فنزلها فكتب إلى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع؛ إذ قَشَرَكَ ابن أبي طالب من كلّ مالٍ تملّكه كما يُقشّر عن العصا لحاها. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٦٩].

أقول: والمقصود من قوله عليه السلام: "إنّ في العدل سعة"، أي: سعة الإمام والأُمّة معاً؛ إذ الأُمّة تطمئنّ نفوسها تحت لواء العدل فتنقاد قهراً للحكومة العادلة الحافظة لحقوقها، وبذلك يرى الحاكم أيضاً سعة وراحة، وأمّا جور الحاكم فيوجب في المآل مخالفة الأُمّة له وثورتها عليه، فيضيق الأمر على الإمام والأُمّة معاً. [راجع في هذا المجال: دراسات في ولاية الفقيه ٢:٦٨٧].

وفي "دعائم الإسلام": روينا عن عليّ عليه السلام: "أنّه لمّا بايعه النّاس أمر بكلّ ما كان في دار عثمان من مال وسلاح، وكلّ ما كان من أموال المسلمين فقبضه، وترك ما كان لعثمان ميراثاً لورثته". [دعائم الإسلام ١:٣٦٦].

وفي "مروج الذهب": قال: وانتزع عليّ عليه السلام أملاكاً كان عثمان أقطعها جماعةً من المسلمين، وقسّم ما في بيت المال على النّاس، ولم يفضّل أحداً على أحد. [مروج الذهب ٢:٣٦٢].

في تقسيم بيت المال لا يميّز احداً على أحد

في "البحار": عن أبي الهيثم وعبدالله بن أبي رافع: أنّ طلحة والزبير جاءا إلى أمير المؤمنين ءعليه السلام وقالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر؟ قال عليه السلام: "فما كان يعطيكما رسول الله صلى الله عليه و آله؟" فسكتا، قال: "أليس كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقسّم بالسويّة بين المسلمين؟"، قالا: نعم، قال: "فسنّة رسول الله صلى الله عليه و آله أولى بالاتّباع عندكم أم سنّة عمر؟"، قالا: سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله. يا أمير المؤمنين، لنا سابقة وعناء وقرابة، قال: "سابقتكما أسبق أم سابقتي؟"، قالا: سابقتك، قال: "فقرابتكما أم قرابتي؟"، قالا: قرابتك، قال: فعناؤكما أعظم أم عنائي؟"، قالا: عناؤك، قال: "فوالله! ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة"، وأومأ بيده إلى الأجير. [البحار ٤١:١١٦].

في "البحار": عن أبي إسحاق الهمداني: أنّ امرأتين أتتا عليّاً عليه السلام؛ إحداهما من العرب، والأُخرى من الموالي، فسألتاه، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء، فقالت إحداهما: إنّي امرأة من العرب وهذه من العجم، فقال عليه السلام: "إنّي والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفي ء فضلاً على بني إسحاق". [البحار ٤١:١٣٧، وفي الغارات ١:٦٩، رواه عن أبي إسحاق الهمداني، بعينه].

اطفاء السراج لأنّ زيته من بيت المال

قال الكشفي الحنفي في المناقب المرتضويّة: كان أمير المؤمنين عليه السلام دخل ليلة في بيت المال يكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ عليه السلام السراج الّذي بين يديه وأمر بإحضار سراج آخر

من بيته، فسألاه عن ذلك؟ فقال عليه السلام: 'كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه'. [المناقب المرتضويّة للكشفي الحنفي: ٣٦٥].

روى ابن شهر آشوب عن الطبري، قال: سمعت مذاكرةً: أنّه دخل عليه عمرو بن العاصّ ليلة وهو في بيت المال، فأطفأ السراج وجلس في ضوء القمر، ولم يستحلّ أن يجلس في الضوء من غير استحقاق'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١١٠، والبحار ٤١:١١٦].

عدله في تقسيم بيت المال سبّب فرار أصحابه إلى معاوية

في "الغارات" بإسناده إلى ربيعة وعمارة، وهكذا في "البحار" عن المفيد والشيخ، بإسنادهما عن ربيعة وعمارة: أنّ طائفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مشوا إليه - عند تفرّق النّاس عنه عليه السلام، وفرار كثير منهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا - فقالوا: يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن تخاف خلافه من النّاس وفراره إلى معاوية.

قال: وانّما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع مع مَن أتاه.

فقال لهم عليّ عليه السلام: 'أتامروني أن أطلب النصر بالجور؟ واللّه! لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، واللّه! لو كان مالهم لي لواسيت بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم'.

قال: ثمّ ازمّ [أزمّ القوم: أمسكوا عن الكلام كما يمسك الصائم عن الطعام].

طويلاً ساكتاً. ثمّ قال: 'مَن كان له مالٌ فإيّاه والفساد، فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تذبير وإسراف، وهو ذكر لصاحبه في النّاس [وفي أمالي المفيد: 'وهو وإن كان ذكراً لصاحبه في الدنيا فهو يضعه عند اللّه عزّ وجلّ'].

ويضعه عند اللّه عزّ وجلّ، ولم يضع رجل ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلا حرمه اللّه شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معهم مَن يودّهم ويظهر لهم الشكر فإنّما هو ملق وكذب، وإنّما ينوي أن ينال من صاحبه مثل الّذي كان يأتي إليه من قبل، فإن زلّت بصاحبه النعل

[زلّت به نعله: يضرب لمن نكب وزالت نعمته].

فاحتاج إلى معونته ومكافأته فشرّ خليل وألأم خدين، ومن صنع المعروف فيما آتاه اللّه فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفكّ به العاني، وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمهاجرين، وليصبر نفسه على النوائب والخطوب، فإنّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة'. [الغارات ١:٧٤، والبحار ٤١:١٠٨].

وفي "الغارات" أيضاً: بإسناده عن فضيل بن الجعد، عن مولى الأشتر، قال: شكا عليّ عليه السلام إلى الأشتر فرار النّاس إلى معاوية؟

فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النيّة، وقلّ العدل، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحقّ، وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجّت طائفة ممّن معك على الحقّ إذ عمّوا به، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس النّاس إلى الدنيا، وقلّ من النّاس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي [اجتويت البلد: إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة].

الحقّ، ويستمرئ الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال - يا أمير المؤمنين - تمل إليك أعناق النّاس، وتصف نصيحتهم، وتستخلص ودّهم، صنع اللّه لك [والجملة دعائيّة: أي فعل اللّه لك خيراً، وقدّره لك].

- يا أمير المؤمنين - وكبت عدوّك، وفضّ جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتّت أمورهم، إنّه بما يعملون خبير.

فأجابه عليّ عليه السلام، فحمد اللّه وأثنى عليه، وقال: "أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإنّ اللّه يقول: "مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ" [سورة فصّلت: ٤٦].

وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.

وأمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم اللّه أنّهم لم يفارقونا من جور، ولم يدعوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها، وليُسألنّ يوم القيامة: أللدنيا أرادوا أم للّه عملوا؟!

وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنّا لا يسعنا أن نؤتي امرءاً من الفي ء أكثر من حقّه، وقد قال اللّه وقوله الحقّ: "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" [سورة البقرة: ٢٤٩].

وبعث محمّداً صلى الله عليه و آله وحده، فكثّره بعد القلّة، وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد اللّه أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه، ويسهّل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان للّه رضى، وأنت من آمن أصحابي، وأوثقهم في نفسي، وأنصحهم، وأرآهم [أرآهم: أي أعقلهم وأصوبهم في النظر والرأي].

عندي. [الغارات ١: ٧٠].

امره عمّاله برعاية حقوق بيت المال

في "البحار" عن "الخصال": بسنده عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه ذكر عن آبائه عليهم السلام: 'أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عمّاله: أدقّوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عنّي فضولكم - من فضولكم - واقصدوا قصد المعاني، وإيّاكم والإكثار، فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار'. [البحار ١٠٥:٤١].

تاكيده فى الصدقات على رعاية حقّ الرعيّة

روى أبو إسحاق الثقفي في "الغارات": بإسناده عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام، قال: بعث عليّ عليه السلام مصدّقاً من الكوفة إلى باديتها، فقال: 'عليك - يا عبد اللّه - بتقوى اللّه، ولا تؤثرنّ دنياك على آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه [أمنه على كذا وائتمنه: اتّخذه أميناً فيه].

راعياً لحقّ اللّه حتّى تأتي نادي بني فلان، فإذا قدمت عليهم فانزل بفنائهم من غير أن تخالط أبنيتهم، ثمّ امض إليهم بسكينة ووقار حتّى تقوم بينهم، فتسلّم عليهم، ولا تخدج [الخدج: النقص].

بالتحيّة لهم'، ثمّ قال: 'فتقول: يا عباد اللّه، أرسلني إليكم وليّ اللّه لآخذ منكم حقّ اللّه، فهل للّه في أموالكم من حقّ فتؤدّونه إلى وليّه، فإن قال قائل منهم: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك [أنعم لك: يعني قال: نعم].

منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه، ولا تعده إلا خيراً، حتّى تأتي ماله فلا تدخله إلا بإذنه، فإنّ أكثره له، وقل له: يا عبد اللّه، أتأذن لي في دخول ذلك؟ فإن أنعم فلا تدخله دخول المسلّط عليه فيه، ولا عنيف به، واصدع المال صدعين [الصدع: الشقّ].

فخيّره أيّ الصدعين شاء، فأيّهما اختار فلا تتعرّض له، واصدع الباقي صدعين، فلا تزال حتّى يبقى حقّ اللّه في ماله فاقبضه، فإن استقالك فأقله، ثمّ اخلطها، ثمّ اصنع مثل الّذي صنعت حتّى تأخذ حقّ اللّه في ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً مسلماً مشفقاً أميناً حافظاً غير معنف بشي ء منها'، ثمّ قال: 'ثمّ احدر [أي اسرع].

ما اجتمع عندك من كلّ نادٍ إلينا، نضعه حيث أمر اللّه به، فإذا انحدر بها رسولك فأوعز إليه أن لا يحولنّ بين ناقة وفصيلها، ولا يفرّقنّ بينهما، ولا يمصر [لا يكثر من أخذ لبنها].

لبنها فيضرّ ذلك بفصيلها، ولا يجهدنّها ركوباً، وليعدل بينهنّ في ذلك، وليوردها كلّ ماء يمرّ به، ولا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق في الساعات الّتي تريح وتعنق، وليرفق بهنّ جهده حتّى يأتينا بإذن اللّه سماناً غير متعبات، ولا مجهدات، فيقسّمن على كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه و آله، فإنّ ذلك أعظم لأجرك، وأقرب لرشدك، فينظر اللّه إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته، وإنّ

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: ما نظر اللَّه إلى وليّ يجهد نفسه لإمامه بالطاعة والنصيحة إلا كان معنا في الرفيق الأعلى'. [الغارات ١:١٢٦، وروى الزمخشري في ربيع الأبرار ٣:٧٧ نحوه].

نبذة من خطابه إلى عمّاله، وعتابه لهم بما بدر منهم

١- في "نهج البلاغة" من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير خرّه: [الظاهر أنّ أردشير خرّة: كورة من كور فارس، والظاهر أنّه ما يسمّى في عصرنا "فيروزآباد"].

'بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ؛ أَ نَّكَ تَقْسِمُ فَيْ ءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. أَ لا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هذَا الْفَيْ ءِ سَوَاءٌ؛ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ'. [نهج البلاغة: الكتاب ٤٣].

٢- قد كان عليّ عليه السلام يراقب أعمال ولاته مراقبة شديدة حتّى أنّه لمّا بلغه أنّ واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري قد أجاب دعوة جماعة من أهل البصرة إلى وليمة فيها ألوان الطعام فتناول منها شيئاً، وفي البصرة فقراء محتاجون منعوا من حضورها، أرسل إليه كتاباً. قال توبيخاً له: "أَمَّا بَعْدُ - يَابْنَ حُنَيْفٍ - فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ. وَمَا ظَنَنْتُ أَ نَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ [عائلهم: محتاجهم].

مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ [الفظه: اطرحه].

وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَ لَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِي ءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ [الطمر - بالكسر -: الثوب الخلق البالي].

وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَ لَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً [التبر - بالكسر فالسكون -: فُتات الذهب والفضّة قبل أن يصاغ].

وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً [الوفر: المال].

وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، [وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إلا كَقُوتِ أَتَانٍ [الاتان الدبرة: هي الّتي عقر ظهرها فقلّ أكلها].

دَبِرَةٍ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ. [مقرة: مُرّة].

[ما بين المعقوفتين من شرح ابن أبي الحديد ١٦:٢٠٥].

[نهج البلاغة: الكتاب ٤٥].

وروى في شرح الإحقاق عن "ذخيرة الملوك الهمداني" إنّ عليّاً عليه السلام - بعد إرسال الكتاب إلى عثمان بن حنيف - عزله عن الحكومة. [الإحقاق ٨:٥٤٩].

امثله ممّا كان من عدله في أقاربه

توبيخه أبا رافع لإعارته بنته عقد لؤلؤ من بيت المال

لقد كان عليّ عليه السلام شديداً في إقامة العدل، فعندما رأى سواراً أو قلادة على ابنته، وكان قد رآها في بيت المال، فاستدعى أبا رافع خازن بيت المال واستفسر منه عن ذلك، فأخبره بأنّها أخذته عارية مضمونة تتزيّن به أيّاماً، فلامَ أبا رافع وعاتب ابنته، وأعلن أنّه لو لم تكن عارية مضمونة لقطعت يدها، وإليك لفظ الحديث:

روى شيخ الطائفة في "التهذيب": بإسناده عن سعيد بن المسيّب، عن عليّ بن أبي رافع، قال: كنت على بيت مال عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكاتبه، وكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة، قال: فأرسلت إليَّ بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقالت لي: بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام عقد لؤلؤ وهو في يدك، وأنا أُحبّ أن تعيرنيه أتجمّل به في أيّام عيد الأضحى، فأرسلته إليها عارية مضمونة مردودة يا بنت أمير المؤمنين؟

فقالت: نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيّام، فدفعته إليها، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام رآه عليها فعرفه، فقال لها: 'من أين صار إليك هذا العقد؟'. فقالت: استعرته من عليّ بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام لأتزيّن به في العيد ثمّ أردّه.

قال: فبعث إليَّ أمير المؤمنين عليه السلام فجئتُه، فقال لي: 'أتخون المسلمين يابن أبي رافع؟!'. فقلت له: معاذ اللّه أن أخون المسلمين. فقال: 'كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الّذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم؟'. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّها ابنتك، وسألتني أن أُعيرها إيّاه تتزيّن به، فأعرتها إيّاه عارية

مضمونة مردودة، فضمنته في مالي، وعلَيَّ أن أردّه سليماً إلى موضعه، قال: "فردّه من يومك، وإيّاك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي".

ثمّ قال: "أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت إذن أوّل هاشميّة قطعت يدها في سرقة".

قال: فبلغ مقالته ابنته، فقالت له: يا أمير المؤمنين، أنا ابنتك وبضعة منك، فمن أحقّ بلبسه منّي؟ فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: "يا بنت عليّ بن أبي طالب، لا تذهبنّ بنفسك عن الحقّ، أكلّ نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟".

قال فقبضته منها ورددته إلى موضعه. [التهذيب ١٠:١٥١، وسائل الشيعة ١٨:٥٢١، وفي المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٨ روى نحوه].

صورة اخرى

روى ابن الأثير في التاريخ: كان أبو رافع مولى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله خازناً لعليّ عليه السلام على بيت المال، فدخل عليّ يوماً وقد زُيّنت ابنتُه، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال: "من أين لها هذه؟ لأقطعنّ يدها!"، فلمّا رأى أبو رافع جِدَّه في ذلك، قال: أنا واللّٰه يا أمير المؤمنين زيّنتُها بها، فقال عليّ عليه السلام: "لقد تزوّجت بفاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها". [الكامل في التاريخ ٢:٤٤١].

وروى الطبري في التاريخ بسنده عن عبّاس بن الفضل، عن أبيه، عن جدّه ابن أبي رافع، نحوه. [تاريخ الطبري ٤:١١٩].

توبيخه بعض عمّاله من أقربائه

في نهج البلاغه: من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله، ولعلّه ابن عبّاس - كما سيأتي في الكتاب التالي -: "أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ". [نهج البلاغة: الكتاب ٤٠].

وفيه أيضاً من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي [أشركتك في أمانتي: جعلتك شريكاً فيما قمت فيه من الأمر، أي أمر الولاية، أو المراد به بيت المال الّذي في يده].

وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ هذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ، قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ'.

إلى أن قال: 'فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْدُدْ إِلَى هؤُلَاءِ الْقَوْمِ امَوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلا دَخَلَ النَّارَ!'.

ثمّ قال عليه السلام: 'وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهماالسلام فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي؛ فَضَحَّ رُوَيْداً، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى، الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ، 'وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ!'. [نهج البلاغة: الكتاب ٤١].

أقول: وقد اختلف النّاس في مَن هو المخاطب في هذا الكتاب، والّذي قبله؟ فقيل: إنّه عبيداللَّه بن عبّاس عامله عليه السلام على اليمن، والّذي لحق في نهاية الأمر بمعاوية. وقيل: إنّه عبداللَّه بن عبّاس عامله على البصرة والأهواز وفارس، وملازمه في أكثر ملاحمه وحروبه، والّذي يشهد لهذا القول التعبيرات الواردة في الكتاب من قوله عليه السلام: 'أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي'، وقوله: 'قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ'، وقوله: 'فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ'، وغير ذلك من التعبيرات في الكتاب.

وروى الكشّي في عبداللَّه بن عبّاس بسنده عن الزهري، قال: سمعت الحارث يقول: استعمل عليّ عليه السلام على البصرة عبداللَّه بن عبّاس، فحمل كلّ مال في بيت المال بالبصرة ولحق بمكّة وترك عليّاً عليه السلام، وكان مبلغه ألفي ألف درهم، فصعد عليّ عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى فقال: 'هذا ابن عمّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في علمه وقدره يفعل مثل هذا، فكيف يؤمن مَن كان دونه، اللّهمّ إنّى قد مللتهم فأرحني منهم، واقبضني إليك غير عاجز ولا ملول'.

قال الكشّي: قال شيخٌ من أهل اليمامة يذكر عن معلّى بن هلال، عن الشعبي، قال: لمّا احتمل عبدالله بن عبّاس بيت مال البصرة وذهب به إلى الحجاز، كتب إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذكر قريباً من الكتاب الّذي مرّ عن "نهج البلاغة".

ثمّ قال: فكتب إليه عبدالله بن عبّاس: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تعظم علَيَّ إصابة المال الّذي أخذته من بيت مال البصرة، ولعمري إنّ لي في بيت مال الله أكثر ممّا أخذت، والسلام.

قال: فكتب إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'أمّا بعد، فالعجب كلّ العجب من تزيين نفسك أنّ لك في بيت مال الله أكثر ممّا أخذت، وأكثر ممّا لرجل من المسلمين، فقد أفلحت إن كان تمنّيك الباطل ادّعاؤك مالاً يكون ينجيك من الإثم ويحلّ لك ما حرّم الله عليك، عمرك الله إنّك لأنت العبد المهتدي إذن فقد بلغني أنّك اتّخذت مكّة وطناً، وضربت بها عطناً، تشتري مولّدات مكّة والطائف تختارهنّ على عينك، وتعطي فيهنّ مال غيرك، وإنّي لأُقسم بالله ربّي وربّك ربّ العزّة ما يسّرني أنّ ما أخذت من أموالهم لي حلال أدعه لعقبي ميراثاً، فلا غرور أشدّ باغتباطك بأكله، رويداً رويداً فكأنّ قد بلغت المدى، وعرضت على ربّك والمحلّ الّذي تتمنّى الرجعة، والمضيّع للتوبة كذلك، وما ذلك ولات حين مناص، والسلام'.

قال: فكتب إليه عبدالله بن عبّاس: أمّا بعد، فقد أكثرتَ عَلَيَّ، فوالله! لئن ألقى الله بجميع ما في الأرض من ذهبها وعقيانها أحبّ إلَيَّ من أن ألقى الله بدم رجل مسلم. [اختيار معرفة الرجال المعروف ب 'رجال الكشي': ٦٠].

هذا ولكن قال الأُستاذ المحقّق الفقيه آية الله المنتظري في دراساته ما ملخّصه: ليس المقام مقام تحقيق هذه المسألة وبيان صحّتها وسقمها، وربّما يخطر في الذهن أنّ ابن عبّاس حبر الأُمّة وعالمها، وعرف حاله في المحبّة والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام، والنصر له، والذبّ عنه في المواقف الخطيرة، كيف يمكن أن تصدر عنه هذه الخيانة؟!

وكلّ من يقرأ التواريخ يظهر له ثناؤه الدائم لأمير المؤمنين عليه السلام، وخصامه لمعاوية حتّى بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كان معاوية يستميل الأشخاص ويجتذبهم بالأموال كما اجتذب عبيدالله أخاه، ولم يسمع ميل عبدالله إلى ساحته أبداً، فيعلم بذلك طهارة ذيله وكذب القصّة هذه.

ولكن ما حكاه السيّد الرضي في "نهج البلاغة" قد أطبقت الرواة على روايته، وذكر في كتب السير كما في شرح ابن أبي الحديد [شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٦٨].

ويشكل حمله على أخيه عبيدالله مع ما فيه من القرائن الّتي مرّت.

ثمّ قال الأُستاذ الفقيه "دامت بركاته": والّذي يسهّل الخطب أنّ ابن عبّاس مع جلالته وعظم قدره لم يكن عندنا معصوماً، ولعلّه بعد ما أيس من دوام الحكومة العادلة الحقّه، واطمأنّ بأنّ الحكومة سوف تقع في أيدي الأعداء، وقد علم سجيّة بني أُميّة وشيمتهم، وأنّهم لا محالة منتقمون يوماً من بني هاشم، ويمنعونهم حقوقهم، ويضيّقون الأمر عليهم، قد فكّر في ادّخار بيت المال ليوم الشدّة والمآل، والنفس أمّارة بالسوء إلا من رحم اللّه، ومن شأنها دائماً التوجيه والتبرير، وقد "كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه"، كما قيل، ولكن بعد الّتي واللّتيا يشكل الجزم بكون المخاطب في الخطبتين هو عبداللّه بن عبّاس، وليس لتعقيب الموضوع أثر عملي شرعي، واللّه العالم بالأُمور. [دراسات في ولاية الفقيه ٢:٦٧٨].

تهديده عقيل أخيه

في "المناقب" لابن شهرآشوب: وقدم عليه عليه السلام عقيل فقال |عليّ عليه السلام| للحسن: 'اكس عمّك'، فكساه قميصاً من أقمصته، ورداً من أرديته، فلمّا حضر العشاء فإذا هو خبز وملح، فقال عقيل: ليس ما أرى. فقال: 'أوَليس هذا من نعمة اللّه؟ فله الحمد كثيراً'، فقال: أعطني ما أقضي به ديني، وعجّل سراحي حتّى أرحل عنك. قال: 'فكم دينك، يا أبا يزيد'. [أبا يزيد كنية عقيل، قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'يا أبا يزيد، إنّي أُحبّك حبّين: حبّاً لقرابتك منّي، وحبّاً لما كنت أعلم من حبّ عمّي إيّاك'. راجع: شرح ابن أبي الحديد ١١:٢٥٠].

قال: مائة ألف درهم. قال: 'واللّه! ما هي عندي ولا أملكها، ولكن اصبر حتّى يخرج عطائي فأُواسيكه، ولولا أنّه لا بدّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه'.

فقال عقيل: بيت المال في يدك، وأنت تسوّفني إلى عطائك، وكم عطاؤك وما عسى يكون ولو أعطيتنيه كلّه؟ فقال: 'ما أنا وأنت فيه إلا بمنزلة رجل من المسلمين'، وكانا يتكلّمان فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق، فقال له عليّ عليه السلام: 'إن أبيت - يا أبا يزيد - ما أقول، فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله وخذ ما فيه؟'، فقال: وما في هذه الصناديق؟ قال: 'فيها أموال التجّار'.

قال: أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكّلوا على اللّه وجعلوا فيها أموالهم؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكّلوا على اللّه وأقفلوا عليها؟ وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرة، فإنّ بها تجّاراً مياسير، فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله'، فقال: أوَسارق جئت؟ قال: 'تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً'، قال له: أفتأذن

لي أن أخرج إلى معاوية؟ فقال له: 'قد أذنت لك'، قال: فاعنّي على سفري هذا، قال: 'يا حسن، أعط عمّك أربعمائة درهم'، فخرج عقيل وهو يقول:

سيغنيني الّذي أغناك عَنّي*** ويَقضي ديننا ربّ قريب

وذكر عمرو بن العاص أنّ عقيلاً لمّا سأل عطاءه من بيت المال، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'تقيم إلى يوم الجمعة'، فأقام، فلمّا صلّى أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة قال لعقيل: 'ما تقول فيمن خان هؤلاء جميعاً؟'. قال: بئس الرجل ذاك. قال: 'فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٨].

قصة أُخرى مع أخيه عقيل

وفي نهج البلاغة وغيره من كتاب السير والتاريخ: أنّ عقيلاً عندما طلب من أخيه عليّ عليه السلام أن يزيد في عطائه من بيت المال، أحمى حديدة وقرّبها منه، ومن أجل أن يُفهم أخاه أنّه يرفض الظلم والجور قال: 'واللّه! لأن أبيت على حَسِك [الحسك: الشوك].

السَّعدان [السعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك].

مُسهّداً [المسهّد من سهده: إذا أسهره].

وأُجرّ في الأغلال مُصَفّداً [المصفّد: المقيّد].

أحبُّ إليَّ من ألقى اللّه ورسولهُ يوم القيامةِ ظالماً لبعض العباد، وغاصِباً لشي ءٍ من الحُطام، وكَيفَ أظلم أحداً لنفسٍ يُسرِعُ إلى البلى قُفولها [قفولها: رجوعها].

ويطول في الثرى حلولها؟'.

ثمّ قال عليه السلام: 'واللّه! لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتّى استماحني [استماحني: استعطاني].

من بُرّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شُعث [شُعث: جمع أشعث، وهو من الشعر المتلبّد بالوسخ].

الشُّعور، غُبر [الغبر: جمع أغبر، متغيّر اللون شاحبه].

الألوان من فَقرِهم، كأنّما سُودّت وجوهُهُم بالعِظلم [العظلم - كزبرج -: سواد يصبغ به].

وعاوَدني موكَّداً، وكرّر علَيَّ القول مُردّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعُه دِيني، وأتّبع قياده [القياد: ما يقاد به كالزمام].

مُفارِقاً طريقي، فأحميت له حديدةً ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجَّ ضجيج ذي دنفٍ [الدنف: المرض].

من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. [الميسم: المكواة. من ميسمها: من أثرها في يده].

فقلت له: ثكلتك الثواكل [الثواكل: النساء].

- يا عقيل - أتئنّ من حديدة أحماها إنسانُها للعبِه، وتَجرُّني إلى نار سجّرَها جبّارُها لغضبه؟ أتئنّ من الأذى ولا أئنُّ من لظى. [لظى: اسم جهنّم].

وساق كلامه عليه السلام إلى أن قال: 'واللَّه! لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي اللَّه في نملةٍ أسلبها جلب شعيرةٍ [جُلب الشعيرة: قشرها].

ما فعلتُه، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جَرادةٍ تَقضَمُها، ما لعليٍّ ولنعيمٍ يفنى، ولذّةٍ لا تبقى، نعوذ باللَّه من سُبات العقل، وقُبحِ الزلل، وبه نستعين'. [شرح النهج: الخطبة ٢٢٤، وفي المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٩ نحوه].

وسيأتي سؤال معاوية من عقيل عن قصّة الحديدة المحماة.

وصيّة عليّ بقاتله

ومن كتاب له عليه السلام في "نهج البلاغة" في وصيّته للحسن والحسين عليهماالسلام لمّا ضربه ابن مُلجم "لعنه اللَّه" وممّا جاء فيه:

'يا بني عبدالمطّلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتِلَ أمير المؤمنين، قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتلنَّ بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا متُّ من ضربتي هذه، فاضربوه ضربةً بضربة، ولا يُمَثَّلُ بالرجل، فإنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور'. [نهج البلاغة: الكتاب ٤٧].

وروى الحديث في الوسائل مع زيادة في ذيله: ثمّ أقبل على ابنه الحسن عليه السلام، فقال: 'يا بنيّ، أنت وليّ الأمر، ووليّ الدم، فإن عفوتَ فلك، وإن قتلتَ فضربة مكان ضربة، ولا تأثم'. [وسائل الشيعة ١٩:٩٦].

وروى ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة": لمّا جي ء بابن ملجم في المسجد نظر إليه عليّ عليه السلام ثمّ قال: 'النفس بالنفس، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت رأيي فيه'. [الفصول المهمّة: ١٣٤].

وروى في "الوسائل" عن أبي البختري، عن جعفر، عن أبيه رحمه الله: "أنّ عليّ بن أبي طالب لمّا قتله ابن ملجم قال: احبسوا هذا الأسير وأطعموه وأحسنوا إساره، فإن عشتُ فأنا أوْلى بما صنع بى، إن شئت استقدت، وإن شئت عفوت، وإن شئت صالحت، إن متُّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثّلوا به". [وسائل الشيعة ١٩:٩٦].

خلاصة من شرح حال عقيل وقصّته مع معاوية

نذكرها هنا لمناسبتها مع أخيه عليّ عليه السلام وعدالته. روى ابن أبى الحديد في شرحه: عقيل بن أبي طالب أخو أمير المؤمنين عليه السلام لأمّه وأبيه، وكان بنو أبي طالب أربعة: طالب، وهو أسنّ من عقيل بعشر سنين، وعقيل، وهو أسنّ من جعفر بعشر سنين، وجعفر، وهو أسنّ من عليّ بعشر سنين، وعليّ وهو أصغرهم سِنّاً، وأعظمهم قدراً، بل وأعظم النّاس بعد ابن عمّه قدراً، ثمّ قال و ما ملخّصه: وكان أبو طالب يحبّ عقيلاً أكثر من حبّه سائر بنيه، وكان عقيل يكنّى أبا يزيد؟ أُخرج عقيل إلى بدر مُكرَهاً كما أُخرج العبّاس، فأُسرَ وفُدي وعاد إلى مكّة، ثمّ أقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية، وشهد غزاة مؤتة مع أخيه جعفر، وتوفّي في خلافة معاوية في سنة خمسين، وعمره ستّ وستّون سنة، وله دار بالمدينة معروفة.

خرج إلى العراق، ثمّ إلى الشام، ثمّ عاد إلى المدينة، ولم يشهد مع أخيه أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً من حروبه أيّام خلافته، وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه، ولم يكلّفه حضور الحرب، وكان أنسب قريش، وأعلمهم بأيّامها، كانت له طِنْفِسة تُطرحُ في مسجد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فيصلّي عليها ويجتمع إليه النّاس في علم النسب وأيّام العرب، وكان حينئذٍ قد ذهب بصرهُ، وكان أسرع النّاس جواباً وأشدّهم عارضةً.

ثمّ قال ابن أبى الحديد: واختلف النّاس في عقيل، هل التحق بمعاوية وأمير المؤمنين حيّ؟ فقال قوم: نعم، ورووا أنّ معاوية قال يوماً وعقيل عنده: هذا أبو يزيد، ولولا علمه أنّي خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه. فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياي، وقد آثرت دنياي، أسأل اللّٰه خاتمة الخير.

وقال قوم: إنّه لم يُعد إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، واستدلّوا على ذلك بالكتاب الّذي كتبه إليه في آخر خلافته، والجواب الّذي أجابه عليه السلام، فقال ابن أبي الحديد: وهذا القول هو الأظهر عندي.

ثمّ قال: وروى المدائني، قال: قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب: هل من حاجة فأقضيها لك؟ قال: نعم، جارية عُرضت علَيَّ، وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً، فأحبّ معاوية أن يمازحه، فقال: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهماً؟

قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف، فضحك معاوية، وقال: مازحناك يا أبا يزيد، وأمر فابتيعت له الجارية الّتي أولد منها مسلماً، وساق الكلام إلى أن قال: وقال معاوية لعقيل: يا أبا يزيد، أين يكون عمّك أبو لهب اليوم؟ قال: إذا دخلت جهنّم فاطلبه تجده مضاجعاً لعمّتك أُمّ جميل بنت حرب بن أُميّة. [شرح ابن أبي الحديد ٢٥٢ - ٢٥٠ :١١].

اما قصة الحديدة المحماة

و في ذلك المجلس، سأل معاوية عقيلاً عن قصّة الحديدة المحماة المذكورة، فبكى، فقال: نعم أقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تندَ صفاتهُ، فجمعت صبياني وجئته بهم والبؤس والضرّ ظاهران عليهم، فقال: "ائتيني عشيّةً لأدفع إليك شيئاً"، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحّي، ثمّ قال: "ألا فدونك"، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة، فوضعتُ يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلمّا قبضتها نبذتها وخُرتُ كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: "ثكلتك أُمّك، هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبي غداً إن سُلكنا في سلاسل جهنّم!"، ثمّ قرأ: "إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ" [سورة غافر: ٧١].

ثمّ قال: "ليس لك عندي فوق حقّك الّذي فرضه اللّه لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلك"، فجعل معاوية يتعجّب، ويقول: هيهات هيهات! عقمت النساء أن يلدن مثله! [شرح ابن أبي الحديد ١١:٢٥٣].

خاتمة

إذا أردنا استعراض نماذج لعدالة عليّ عليه السلام لاحتجنا إلى مزيد بحثٍ واستقصاء، وإنّما نقول: إنّ العدالة كانت نصب عينه، وملأت وجوده وكيانه، فقد كان الإمام عليه السلام يرى أنّه "في العدل صلاح البريّة". [غرر الحكم ٤:٤٠٢، ح ٦٤٩١].

وقال عليه السلام: "في العدل الاقتداء بسنّة اللّه وثبات الدول". [المصدر المتقدّم: ٤٠٣، ح ٦٤٩٦].

وقال عليه السلام: "في العدل الإحسان". [المصدر المتقدّم: ٤٠١، ح٦٤٨٢].

وقال عليه السلام: "العدل حياة، والجور هلاك". [غرر الحكم ١:٦٤ و ٥٧، ح ٢٤٦ و ٢١٦].

لقد كان عليه السلام يسدّ جوعته بكسرة خبز يابسة، ويأتدم الملح، ليكون مستوى معيشته كأضعف النّاس، فإنّه يقول: "إنّ اللّه فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة النّاس كيلا يَتَبَيَّغَ بالفقير فَقرُهُ". [نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٩].

إنّ هذا السلوك لا يمكن أن يصدر من غير عليّ عليه السلام، فهو نتاج تربية الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بأنّ الرسول قد احتضنه طفلاً وربّاه كما في خطبته المعروفة بالقاصعة.

نعم، إنّ عدالة عليّ عليه السلام الّتي نشأت من العدل الإلهي وسعيه لتطبيقها قد أصبحت نموذجاً واضحاً لكلّ القادة وطلاب العدالة على مرّ القرون، ومصداقاً مشرقاً للإنسان المسلم المتكامل الّذي يستطيع أن يكون قدوة في جميع المجالات وخاصّة في مجال الحكومة، ونرى ذلك القدوة العظيمة يعرّف نفسه بقوله: "إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِي ءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا. فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا". [نهج البلاغة: الخطبة ١٨٧].

وأخيراً أُشير إلى كلمة لجورج جُرداق يقول فيها: "ما ضرّك أيّتها الأيّام لو جمعت قواك وطاقاتك فأنجبت في كلّ زمان إنساناً كعليّ عليه السلام في عقله وروحه ونفسه، في كلامه وبيانه، وفي قوّته وشجاعته". [الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة ١:٤٩].

علي و المساواة أمام القانون

في كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله حين اختطف بعض ما كان عنده من أموال المسلمين، قال: "فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْدُدْ إِلَى هؤُلَاءِ الْقَوْمِ امَوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلا دَخَلَ النَّارَ". نهج البلاغة: الكتاب ٤١

الفرق بين القانون الإسلامي وغيره

امتاز قانون الإسلام عن غيره من القوانين الوضعيّة بأنّه لا يفرّق بين أفراد النوع الإنساني في سريان القوانين الحقوقيّة والجزائيّة عليهم، ولا فرق فيه بين الرئيس والمرؤوس، والراعي والرعيّة، والقويّ والضعيف، والعربي والأعجمي، والأبيض والأسود، والغني والفقير، بل القانون للجميع واحد، والحاكم واحد، والمحكمة أيضاً واحدة. نعم، مَن كان متّقياً ورعاً فإنّه يتمتّع بكرامة وقدسيّه ومنزلة معنويّة، إلا أنّ ذلك لا يؤثّر في سراية القانون عليه، قال اللّه تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ". [سورة الحجرات: ١٣].

وفي "تفسير القرطبي": عن أبي نضرة، قال: حدّثني أو حدّثنا مَن شهد خطب رسول اللّه صلى الله عليه و آله بمنى في وسط أيّام التشريق، وهو على بعير، فقال: "يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسودٍ على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلّغتُ؟"، قالوا: نعم، قال: "ليبلّغ الشاهدُ الغائب". [تفسير القرطبي ١٦:٣٤٢].

نعم، المراكز والمناصب في الإسلام لا تنال إلا بالقابليّات، ولا تمنح جزافاً، وأمّا القوانين فإنّها شاملة لجميع على حدّ سواء، ولا يوجب الاختلاف في النسب أو اللون أو الوطن أو اللغة أو المنصب تفاوتاً في المسؤوليّة أمامها.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "النّاس كأسنان المشط سواء". [من لا يحضره الفقيه ٤:٣٧٩، ح ٥٧٩٨].

وعنه أيضاً صلى الله عليه و آله: "لَن تُقدّس اُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير متعتع". [شرح نهج البلاغة للفيض: ١٠١٢، الكتاب ٥٣. التقديس: التطهير. غير متعتع: أي غيرمضطرب].

وقد جسّد النبيّ صلى الله عليه و آله هذه المساواة حين طبّقها على نفسه في قصّته مع سوادة بن قيس في آخر عمره الشريف صلى الله عليه و آله، كما في الحديث التالي.

روى المحدث القمي في "سفينة البحار": إنّ سوادة بن قيس هو الّذي قال للنبيّ صلى الله عليه و آله في أيّام مرضه صلى الله عليه و آله: يا رسول اللّه، إنّك لمّا أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء، وبيدك القضيب الممشوق، فرفعتَ القضيبت وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فأمره النبيّ صلى الله عليه و آله أن يقتصّ منه، فقال: اكشف لي عن بطنك يا رسول اللّه، فكشف عن بطنه، فقال سوادة: أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من رسول اللّه من النّار يوم النّار.

فقال صلى الله عليه و آله: 'يا سوادة بن قيس، أتعفو أم تقتصّ؟'، فقال: بل أعفو يا رسول اللّه، فقال: "اللّهمّ اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيّك محمّد'. [سفينة البحار ١: ٦٧١، حرف السين].

وفي صحيح البخاري: في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحدّ بسنده: عن عروة، عن عائشة: أنّ قريشاً أهمّتهم المرأة المخزوميّة الّتي سَرَقَت، فقالوا: مَن يُكَلِّم رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وَمَن يجترئ عليه إلا أُسامة حِبُّ [حِبّ - بكسر الأوّل -: حبيب].

رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فكلّم رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال رسول اللّه: 'أتشفعَ في حدٍّ من حدود اللّه؟'، ثمّ قام فخطب، قال: 'يا أيّها النّاسُ، إنّما ضلّ مَنْ قَبلَكُم إنّهم كانوا إذا سَرَق الشريف تَركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ، وَأيمُ اللّه، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سَرَقَتْ لقطع محمّدٌ يدها'. [صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٣: ١٨٩، ح ٦٣٨٦].

نماذج من مساواته أمام القانون

بعد ما مرّ من المقدّمة في امتياز قانون الإسلام عن سائر الفِرق، نعطف الكلام في ما يظهر من عمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام في إجراء القانون، حتّى على نفسه عليه السلام وعلى المقرّبين منه، و قد صرح بذلك في كتاب له الى بعض عماله [راجع نهج البلاغة: الكتاب ٤٥ الى عثمان بن حنيف].

و في هذا المجال موارد كثيرة، وقد تعرّضنا في فصل: "عليّ عليه السلام والعدل" ما يناسب هذا الفصل أيضاً، ونشير هنا إلى نموذج منها توخّياً للاختصار:

قصة درعه الّذي كان عند النصراني

قال العقّاد في "عبقرية الإمام عليه السلام": انّ عليّاً عليه السلام وَجد دِرعه عند رجلٍ نصرانيّ، فأقبل به إلى شريح - قاضيه - يخاصمه مخاصمة رجل من عامّة رعاياه، وقال: 'إنّها درعي، ولم أبع، ولم أهب'. فسأل شريحُ النصرانيّ: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؟!

قال النصراني: ما الدرعُ إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى عليّ عليه السلام يسأله: يا أمير المؤمنين، هل من بيّنة؟! فضحك عليّ عليه السلام وقال: 'أصابَ شريح، ما لي بيّنة!'، فقضى بالدرع للنصراني، فأخذها ومشى وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أنّ النصراني لم يخط خطوات حتّى عاد يقول: أمّا أنا فأشهدُ أنّ هذه أحكام أنبياء اللّه، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه يقضي عليه!! أشهد أن إله إلا اللّه، وأنّ محمّداً رسول اللّه، والدرع واللّه درعك يا أمير المؤمنين، أتبعث الجيشَ وأنتَ منطلق إلى صفّين، فخرجت من بعيرك الأورق، فقال: 'أما إذا أسلمتَ فهي لك'، وشهد النّاس هذا الرجل بعد ذلك وهو من أصدق

الجند بلاءً في قتال الخوارج يوم النهروان. [عبقرية الإمام: ٤٦، و سيأتي صور القصة في فصل 'سيرته "ع" مع أهل الذمة' و 'اصحابه الكرام'].

قصة النجاشي وشرب الخمر

في تعليقات الغارات، عن عوانة بن الحكم، قال: خرج النجاشي في أوّل يوم من رمضان، فمرّ بأبي سمّاك الأسدي، وهو قاعد بفناء داره، فقال له: أين تريد؟ قال: أُريد الكناسة، قال: هل لك في رؤوس وأليات قد وضعت في التنور من أوّل الليل فأصحبت قد أينعت وتهرّأت، قال: ويحك في أوّل يوم من رمضان؟ قال: دعنا ممّا لا نعرف [في الغارات ٢:٩٠٢، عن كتاب الشعر والشعراء، قال أبو سماك: ما شهر رمضان وشوّال إلا واحد].

قال: ثمّ مه؟ قال: ثمّ أسقيك من شراب كالورس يطيِّب النفس، ويجري في العرق ويزيد في الطرق، يهظم الطعام ويسهّل للفدم الكلام.

فنزل فتغدّيا، ثمّ أتاه بنبيذٍ فشرباه، فلمّا كان من آخر النهار علت أصواتهما ولهما جارٌ يتشيّع من أصحاب عليّ عليه السلام، فأتى عليّاً عليه السلام فأخبره بقصّتهما، فأرسل إليهما قوماً فأحاطوا بالدار، فأمّا أبو سماك فوثب إلى دور بني أسد فأفلت، وأمّا النجاشي فأُتي به عليّاً عليه السلام، فلمّا أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين، ثمّ زاده عشرين سوطاً. فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا الحدّ فقد عرفته، فما هذه العلاوة الّتي لا تعرف؟

قال عليه السلام: "لجرأتك على ربّك، وإفطارك في شهر رمضان". [الغارات ٢:٥٣٣].

ولمّا حدّ عليّ عليه السلام النجاشي غضب لذلك مَن كان مع عليّ من اليمانيّة، وكان أخصّهم به طارق بن عبدالله بن كعب بن أُسامة النهدي، فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة، وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرتَ صدورنا، وشتّت أمورنا، وحملتنا على الجادة الّتي كنّا نرى أنّ سبيل مَن ركبها النّار!

فقال عليّ عليه السلام: "وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ". [سورة البقرة: ٤٥].

يا أخا بني نهد، وهل هُو إلا رجلٌ من المسلمين انتهك حرمةً من حُرَم الله، فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته؟ إنّ الله تعالى يقول: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى". [سورة المائدة: ٨].

[الغارات ٢:٥٣٩].

اقاد عليّ قنبراً حينما تجاوز عن حدّ اللّٰه تعالى

في "الكافي": عن الحسن بن صالح الثوري، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر قنبراً أن يضرب رجلاً حدّاً، فغلط قنبر فزاده ثلاثة أسواط، فأقاده عليّ عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط. [الكافي ٧:٢٦٠].

والأخبار فيما ظهر منه عليه السلام في مساواته النّاس أمام القانون كثيرة، ذكرنا بعضها في فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"، منها استعارة بنت عليّ عقد لؤلؤ، واستقراض الحسن بن عليّ رطلاً من العسل، وغير ذلك من هذه الموارد.

سيرة عليّ في بيت المال

قال أبو حيّان التيمي عن مجمع: إنّ عليّاً عليه السلام كان يَكنس بيت المال كلّ يوم جمعة، ثمّ ينضحه بالماء، ثُمّ يصلّي فيه ركعتين، ثمّ يقول: تشهدان لي يوم القيامة".

الغارات ١:٤٦، والوسائل ١١:٨٣

كلمة حول سيرته في بيت المال

لمّا بايع النّاس عليّاً بالخلافة أعلن أن نُسمّيه في عصرنا الحاضر بالثورة الشاملة ضدّ الأوضاع الاجتماعيّة الّتي كانت على عهد عثمان، وعزمه الأكيد على تغيير الأوضاع الجديدة الّتي حيزت فيها الأموال بغير حقّ، والعودة إلى نظام المساواة الّذي قرّره الإسلام، وطبّقه رسول الإسلام صلى الله عليه و آله، ومن كلماته الشهيرة الّتي تُعبّر عن عزمه على ذلك قبل توليّه الخلافة قوله: "لَو قد اسْتَوَتْ [استوت قدماي: كناية عن تثبيت حكومته ودفع مخالفيه].

قَدَماي مِن هذِهِ المَدَاحِضِ [المداحض: المزالق الّتي لا تثبت عليها القدم].

لَغَيَّرْتُ أشياءَ". [شرح نهج البلاغة: ١٢٠٩، الحكمة ٢٦٤].

هذه واحدة من كلماته عليه السلام الملتهبة بالأسف على الإسلام والمسلمين، حيث حرّفوا مجرى أحكام الدين، وغيّروا الحقائق باتّباع الهوى، أو سبب الجهل بها، وهو يتحرّق لهذا الانحراف والانعطاف الجاهلي الّذي يرجع بالإسلام القهقرى، ويوقف سيره نحو الدرجات العلى، فما لبث رويداً حتّى ظهر بأسهم بينهم، وتفرّقوا مذاهب شتّى.

وفي موقف آخر يبدي سخطه عليه السلام لاحتكار بني أُميّة الثروة الإسلاميّة، ويتوعّدهم قائلاً حين منعه سعيد بن العاص حقّه: 'إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي [ليفوقّونني: يعطونني من المال قليلاً كفواق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها].

تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله تَفْوِيقاً، وَاللَّهِ! لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّام الْوِذَامَ [الوذام: وهي الحزّة والقطعة من الكرش، أو الكبد، تقع في التراب فتنفض].

التَّرِبَةَ'. [نهج البلاغة: الخطبة ٧٧].

لقد كانت قطائع وأراضي جعلها عمر ملكاً خاصّاً لبيت المال، ثمّ جاء عثمان فأقطعها لأوليائه وولاته وأهل بيته، فلمّا جاء عليّ عليه السلام ألغى تصرّفات عثمان هذه، وقرّر ردّها إلى ملكيّة الدول الإسلاميّة وحوزة بيت المال، وقال: 'وَاللَّهِ! لَو وَجَدتُهُ - المال - قَد تُزوِّج به النّساءُ، ومُلِكَ به الإماءُ لَرَدَدتُه، فإنّ في العَدلِ سعةٌ، ومَن ضاقَ عَليهِ العَدلُ فالجورُ عَلَيه أضيَق'. [المصدر المتقدّم: الخطبة ١٥].

وفي العطاء أحدث عليه السلام تغييراً ثورياً لعلّه كان من أخطر التغيّرات الثوريّة الّتي قرّرها، والّتي أراد من خلالها العودة بالمجتمع إلى روح التجربة الثوريّة الإسلاميّة الأُولى، والعطاء هو نظام قسمة الأموال العامّة بين النّاس، جنوداً كانوا أم غيرهم، وسواء كانوا من أصل عربيّ أو كانوا من الموالى، أو غير ذلك.

ولمّا جاء عمر بن الخطّاب ألغى نظام التسوية بين النّاس في العطاء، ثمّ كان عهد عثمان الّذي أقرّ القانون السابق، ثمّ سار على دربه أشواطاً وأشواطاً، حتّى أصبح الاختلاف الطبقي نظاماً بشعاً، بلغت بشاعته حدّاً جعل النّاس يثورون على عثمان، ثمّ انتهت ثورتهم بقتله وتولية عليّ عليه السلام أميراً على المؤمنين.

ومن هنا كان قرار عليّ عليه السلام بالعدول عن تمييز النّاس في العطاء والعودة إلى نظام المساواة قراراً من أخطر قراراته الثورية، ولذا اعترضوا على موقف عليّ عليه السلام، وكان أوّل مَن اعترض عليه عليه السلام طلحة بين عبدالله، والزبير بن العوّام، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قريش وغيرها، ولقد بلغوا في معارضتهم لقرار التسوية هذا حدّ نقض بيعتهم لعليّ عليه السلام، وإعلان الحرب عليه تحت ستار الطلب بدم عثمان، مع أنّهم هم الّذين تقدّموا النّاس في الثورة على عثمان؟!

ورغم ذلك فإنّ عليّاً عليه السلام ثبت على موقفه ولم يغيّر ما عزم عليه، ولذا لمّا عاتبه بعض أصحابه على التسوية في العطاء وطلبوا تمييزاً للبعض إرضاءً للخصوم، قال عليه السلام: 'أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ!'. ثمّ قال عليه السلام: 'أَ لَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ

وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَ لْأَمُ خَدِينٍ'. [نهج البلاغة: الخطبة ١٢٦، وهذا البحث مستفاد من دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة ١:١٣٦].

صور من سيرته في حفظ بيت المال

خطبة له في أوّل مبايعة النّاس له

١- روى الكليني في "روضة الكافي": عن محمّد بن جعفر العقبي، رفعه، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'أيّها النّاس، إنّ آدمَ لم يلد عبداً ولا أمة، وإنّ النّاس كلّهم أحرارٌ، ولكنّ اللَّه خوّل بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاء فصبر في الخير، فلا يمنّ به على اللَّه عزّ وجلّ، ألا وقد حَضَر شيء ، ونحن مسوّون فيه بين الأسود والأحمر'. فقال مروان لطلحة والزبير: ما أراد بهذا غيركما. قال: فأعطى كلّ واحدٍ ثلاثة دنانير، وأعطى رجلاً من الأنصار ثلاثة دنانير، وجاء غلام أسودٌ فأعطاه ثلاثة دنانير، فقال الأنصاري: يا أمير المؤمنين، هذا غلام أعتقتُه بالأمس، تجعلني وإيّاه سواءً؟ فقال: 'إنّي نظرتُ في كتاب اللَّه، فلم أجد لولد إسماعيل على وُلد إسحاق فضلاً'. [روضة الكافي: ٥٧، ح ٢٦].

٢- وعنه أيضاً، وفي "الوسائل" وغيرهما: بسند صحيح عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: 'لمّا وَلي عليٌّ عليه السلام، صعد المنبر فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّي واللَّه! لا أرزؤكم من فيئِكُم درهماً ما قام لي عذق بيثرب، فلتُصدّقكم أنفسكم، أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟'. قال: فقام إليه عقيلٌ رضى الله عنه، فقال له: واللَّه! لتجعلني وأسود المدينة سواءً؟ فقال عليه السلام: 'اجلس، أما كان هاهنا أحدٌ يتكلّم غيرك؟! وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى'. [روضة الكافي: ١٥٨، ح ٢٠٤، ووسائل الشيعة ١١:٧٩، وفي البحار ٤١:١٣١].

اذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلا قسّمه

١- في "الاستيعاب" لابن عبدالبرّ المالكي: وإذا أُورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلا قسّمه، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، ويقول: 'يا دنياي غُرّي غيري'، ولم يكن يستأثر من الفي ء بشي ءٍ، ولا يخصُّ به حميماً ولا قريباً، ولا يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: 'قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ' [سورة يونس: ٥٧].

'فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ' [اقتباس من سورة الأنعام: ١٥٢].

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ' [سورة الأعراف: ٨٥].

'بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ' [سورة هود: ٨٥ و ٨٦].

إذا أتاك كتابي هذا فاحفظ بما في يديك من عملنا حتّى نبعث إليك من يتسلّمه منك'، ثمّ يرفع طرفه إلى السماء فيقول: 'اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا يترك حقّك'. [الاستيعاب بهامش الاصابة ٣:٤٨].

٢- وفي "أمالي الصدوق": بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن الأصبغ بن نباتة، أنّه قال: كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا أُتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين، ثمّ جمع المستحقّين، ثمّ ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة، وهو يقول: 'يا صفراء يا بيضاء، لا تغرّيني، غُرّي غيري'.

'هذا جناي وخياره فيه*** إذ كلّ جان يده إلى فيه'

ثمّ لا يخرج حتّى يفرّق ما في بيت مال المسلمين ويؤتي كلّ ذي حقٍّ حقّه، ثمّ يأمر أن يكنس ويرشّ ثمّ يُصلّي فيه ركعتين، ثمّ يُطلّق الدنيا ثلاثاً، يقول بعد التسليم: 'يا دُنيا، لا تتعرّضين لي، ولا تتشوّقين [كذا في المصدر والقياس: 'لا تتعرّضي ولا تتشوّقي'].

ولا تغرّيني، فقد طلّقتُكِ ثلاثاً لا رجعة لي عليك'. [أمالي الصدوق - المجلس السابع والأربعون: ح ١٦].

٣- وفي "كشف الغمّة" عن كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد أمر بكنس بيت المال ورشّه، فقال: 'يا صفراء، غُرّي غيري. يا بيضاء، غُرّي غيري. ثمّ تمثّل شعراً:

'هذا جناي وخياره فيه*** إذ كلّ جان يده إلى فيه'

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٢١].

٤- وفي "شرح ابن أبي الحديد"، قال: وهو - يعني عليّاً عليه السلام - الّذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها، وهو الّذي قال: 'يا صفراء ويا بيضاء، غُرّي غيري'، وهو الّذي لم يخلّف ميراثاً، وكانت الدنيا كلّها بيده إلا ما كان من الشام. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٢].

٥- وفي "الغارات": عن الضحّاك بن مزاحم، عن عليّ عليه السلام، قال: 'كان خليلي رسول اللّه صلى الله عليه و آله لا يحبس شيئاً لغد، وكان أبو بكر يفعل، وقد رأى عمر بن الخطّاب في ذلك أن دَوَّن الدواوين وآخّر المال من سنة إلى سنة، وأمّا أنا فأصنع كما صنع خليلي رسول اللّه صلى الله عليه و آله'.

قال: وكان عليّ عليه السلام يعطيهم من الجمعة إلى الجمعة، وكان يقول:

'هذا جناي وخياره فيه*** إذ كلّ جان يده إلى فيه'

[الغارات ١:٤٧، وسائل الشيعة ١١:٨٣].

٦- وفي "الوسائل": عن هلال بن مسلم، عن جدّه، قال: شهدتُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أُتي بمال عند المساء، فقال: 'أقسموا هذا المال؟'.

فقال: قد أمسينا يا أمير المؤمنين، فأخّره إلى غد، فقال لهم: 'تتقبّلون إنّي أعيش إلى غدٍ؟'. قالوا: وماذا بأيدينا؟ قال: 'فلا تؤخّروه حتّى تقسّموه'.

قال: فأُتي بشمع فقسّموا ذلك المال من غنائمهم. [وسائل الشيعة ١١:٨٢].

٧- وفي "الغارات": عن الشعبي [في البحار وشرح النهج: 'العشفني' على ما في هامش الغارات ١:٥٤].

قال: دخلت الرحبة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قائماً على صبرتين من ذهب وفضّةٍ ومعه مخفقة [المخفقة: الدرّة الّتي يُضرب بها].

فجعل يطرد النّاس بمخفقته، ثمّ يرجع إلى المال فيقسمه بين النّاس حتّى لم يبق منه شيء ، ورجع ولم يحمل إلى بيته منه شيئاً، فرجعت إلى أبي فقلت: لقد رأيتُ اليوم خير النّاس أو أحمق النّاس، قال: ومَن هو يا بُنيّ؟ قلت: رأيت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، فقصصت عليه الّذي رأيته يصنع، فبكى وقال: يا بُنيّ، بل رأيت خير النّاس. [الغارات ١:٥٣].

عليه خَلَقٌ قطيفة في فصل شتاء

وفي "الكامل في التاريخ"، و "كشف الغمّة": عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: دخلتُ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق، وهو فصل شتاء، وعليه خَلَقٌ قطيفة. وهو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ اللّه قد جعل لكَ ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنتَ تفعل هذا بنفسك؟ فقال: 'واللّه! ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي الّتي أخرجتها من المدينة'. [الكامل لابن الأثير ٢:٤٤٢، وتذكرة الخواص: ١٠٨، وفي كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٣٠ نحوه].

بيعه سيفه ليشتري إزاراً منه

في "تذكرة الخواصّ" و"كشف الغمّة": وخرج عليّ ءعليه السلام يوماً ومعه سيفه ليبيعه، فقال عليه السلام: 'مَن يشتري منّي هذا السيف، فوالّذي فلَق الحبّة، لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ولو كان عندي ثمن إزارٍ لما بعته'. [كشف الغمّة ١:٢٣٢، وتذكرة الخواص: ١٠٩].

وفي "الاستيعاب" لابن عبدالبرّ المالكي: روى الحديث بعينه عن أبي حيّان التيمي، عن أبيه، ثمّ زاد في آخره، فقام إليه رجل فقال: نسلفك عن إزار، قال عبدالرزّاق: وكانت بيده الدنيا كلّها، إلا ما كان من الشام. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٥٠].

قسّم رغيفاً سبعَ كسر بين المستحقّين

في "الغارات" و"الاستيعاب" لابن عبدالبرّ المالكي: عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: أتى عليّاً عليه السلام مال من أصفهان، فقسّمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيفاً فقسّمه سبع كسر، فجعل على كلّ جزء منه كسرة، ثمّ أقرع بينهم أيّهم يعطي أوّلاً، - وكانت الكوفة يومئذٍ أسباعاً -.

وقال ابن عبدالبرّ: وأخباره في مثل هذا من سيرته لا يحاط بها. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤٩، والغارات ١:٥١، والكامل لابن الأثير ٣:٣٩٩، ولفظ الحديث من الاستيعاب].

وفي "الغارات": عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، أنّه قال: كنتُ عند عليّ عليه السلام فجاءه مال من الجبل، فقام وقمنا معه حتّى انتهينا إلى خربندجن [خربندجن - خربنده: كلمة فارسيّة مركّبة من كلمتي: 'خرة' و 'بنده'، ومعناهما صاحب الحمار ومؤجّره ومكريه، وكلمة 'جن' في آخرها علامة الجمع الفارسي، أي 'خربندگان'].

وجمّالين، فاجتمع النّاس إليه حتّى ازدحموا عليه، فأخذ حبالاً فوصلها بيده، وعقد بعضها إلى بعض، ثمّ أدارها حول المتاع، ثمّ قال: لا أحلّ لأحدٍ أن يجاوز هذا الحبل.

قال: فقعدنا من وراء الحبل، ودخل عليّ عليه السلام فقال: "أين رؤوس الأسباع؟"، فدخلوا عليه، فجعلوا يَحملون هذا الجوالق [الجوالق: الأوعية، والمفرد جوالق أيضاً].

إلى هذه الجوالق، وهذا إلى هذا، حتّى قسّموه سبعة أجزاء، قال: فوجد مع المتاع رَغيفاً فكسره سبع كسر، ثمّ وضع على كلّ جزءٍ كسرة، ثمّ قال:

'هذا جناي وخياره فيه*** إذ كلّ جان يده إلى فيه'

قال: ثمّ أقرع عليها: فجعل كلّ رجل يدعو قومه فيحملون الجوالق. [الغارات ١:٥١].

اطعام الأحسن لغيره وأكل الأدون

في الغارات عن بكر بن عيسى، قال: كان عليّ عليه السلام يقول: 'يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجتُ من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن'. وكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة من ينبع، وكان يُعطم النّاس الخبز واللحم، ويأكل من الثريد بالزيت ويكلّلها [وفي نسخة: 'يجلّلها'].

بالتمر من العجوة، وكان ذلك طعامه، وزعموا أنّه كان يقسّم ما في بيت المال فلا يأتي الجمعة وفي بيت المال شيء . ويأمر ببيت المال في كلّ عشيّة خميس، فيُنْضح بالماء، ثمّ يُصلّي فيه ركعتين، وزَعموا أنّه كان يقول، ويضع يده على بطنه: 'والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لا تنطوي ثميلتي [الثميلة - كسفينة -: البقيّة من الطعام والشراب في البطن].

على قلّة من خيانة، ولأخرجنّ منها خميصاً. [المخمصة: المجاعة. يقال: خمص، إذا جاع، فهو خميص، مثل قرب فهو قريب].

[الغارات ١:٦٨].

سيرته في الصفراء والبيضاء

في الغارات عن هارون بن عنترة، عن زاذان، قال: انطلتُ مع قنبر إلى عليّ عليه السلام فقال: قُم يا أمير المؤمنين، فقد خبّأت لكَ خبيئة، قال: 'فما هو؟'. قال: قم معي. فقام وانطلق إلى بيته، فإذا باسنة [الباسنة: جوالق غليظ من مشاق الكتّان].

مملوءة جامات من ذهب وفضّة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّك لا تترك شيئاً إلا قسمته، فادّخرت هذا لك. قال عليّ عليه السلام: "لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً كثيرة"، فسلّ سيفه فضربها، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثمّ قال: 'اقسموه بالحصص'، ففعلوا، فجعل يقول:

'هذا جناي وخياره فيه*** إذ كلّ جان يده إلى فيه

يا بيضاء، غُرّي غيري، ويا صفراء، غُرّي غيري'

قال: وفي البيت مسال [المسلّة - بكسر الميم -: مخيط كبير، والجمع المسال].

وإبرٌ، فقال: 'اقسموا هذا'، فقالوا: لا حاجة لنا فيه، قال: وكان يأخذ من كلّ عامل ممّا يعمل، فقال: 'والّذي نفسي بيده لنأخذنّ شرّه مع خيره'. [الغارات ١:٥٥].

وقصّة عقيل مناسبة لهذا البحث، وقد ذكرناها في فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"، فراجعها، وكذلك فإنّ كثيراً من قضايا العدل تناسب بحث بيت المال ومرتبطة به.

سيرة عليّ مع معارضيه في الحكومة

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: "دخلتُ على مروان بن الحكم، فقال: ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك، ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يقتل مدبر، ولا يذفّف [لا يذفّف على جريح: أي لا يسارع في قتله].

على جريح". السنن الكبرى للعلامة البيهقي ٨:١٨١

كلمة في سيرته مع معارضيه في الحكومة

كان عليّ عليه السلام يمثّل نموذجاً حيّاً لحكومة العدل الإلهي، في كلّ المجالات، وعلى كلّ الأصعدة والجبهات؛ إذ أنّ مراعاة العدالة لا تنحصر لديه عليه السلام في تقسيم أموال بيت المال وحسب، كما لا تنحصر مع الأصدقاء دون غيرهم من النّاس، بل إنّه كان في الحرب والسلم، مع العدوّ والصديق، يسير بسيرة الرسول صلى الله عليه و آله العادلة.

لم يكن عليّ عليه السلام مستعدّاً لتجنّب مسير الحقّ لأجل هذه الدنيا الفانية حتّى مع ألدّ أعدائه وخصومه، فإنّه كان يقدّم رضى اللّٰه جلّ وعلا على كلّ شيء ، ويعمل وفقاً للموازين الإلهيّة العدالة، وكان في تعامله مع معارضيه وأعدائه يأخذ بنظر الاعتبار بقاء الإسلام وديمومته لابقائه هو وحسب، ولو كان يريد البقاء لتعامل مع معارضيه كما تعاملوا هم معه ومع ذرّيّته وأولاده عليهم السلام، ولو كان يريد البقاء لاستأصلهم واستخدم أقصى أساليب القمع والإرهاب ضدّهم من نفي وطرد وإبعاد وسجن، ولخنق أصواتهم أو لأمالهم إليه بالمال والترغيب... أبى عليه السلام أن يعمل ذلك أو غيره وما كان يعمل بهم إلا بما أملته عليه مبادئ الإسلام ولم ينحرف عن صراطه المستقيم قيد أنملة.

في هذا الفصل سنتطرّق إلى موقفه عليه السلام مع معارضيه وأعداء حكومته عليه السلام؛ ذلك الموقف الّذي نوّر صفحات التأريخ ووجه الإسلام، يتجلّى فيه موقف الإسلام من الغير بأبهى صوره.

إنّه عليه السلام قبل أن تشرع حرب الجمل أبدى النصيحة لمخالفي حكومته، وحين لم تنفع معهم، لم يبدأ الحرب حتّى بدؤوه بالقتال، وحين انتصر عليهم عفا عنهم وعن أموالهم، وسيّر رئيسة المعركة المخالفين أعنى عائشة معزّزة مكرّمة إلى المدينة.

ومرّة أُخرى تبرز عظمة عليّ عليه السلام في موقفه مع أعدائه في صفّين حين ملك الماء عليهم وماحرمهم منه في الوقت الّذي كان قادراً على ذلك، ورغم أنّهم حرموه منه قريباً.

وتظهر عظمته عليه السلام مرّة أخرى في موقفه الرجولي مع أهل النهروان؛ إذ دعاهم إلى الكوفة مراراً، وأبلغ وجاهد في النصيحة لهم، رغم أنّهم قد قتلوا أصحابه ظلماً وعدواناً، كما أنّه لم يقطع عطاءهم من بيت المال، وحينما يواجهونه بالإهانة في مسجد الكوفة كان يبالغ في النصيحة. وحينما تواقفوا للحرب لم يشرع في حربهم حتّى شرعوا في حربه عليه السلام، وأمثال هذه المواقف كثيرة لا يبلغها الإحصاء.

فداك نفسي وأبي وأُمّي وولدي يا أبا الحسن.. أين نجد مثلك في العدل والإحسان والحقّ؟.. بل ليت الحكومات الإسلاميّة تطبّق ولو ذرّة من أُسلوبك في الحكومة، ولم يسوّدوا وجه الإسلام الناصع بأعمالهم الشنيعة المخالفة لمبادئه الحقّة.

ما قيل في سيرته مع معارضيه في الحكومة

في هذا الباب سيبدو لنا عليّ عليه السلام في سيرته مع مخالفيه بشكل لم يشهده عالم اليوم ولا في المستقبل، فلنسمع ذلك من غير شيعته ومواليه:

قال ابن أبي الحديد في شرحه

كان عليّ عليه السلام لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة، كما يستعمل الكتاب والسنّة، ويستعمل جميعَ المكائد، حلالها وحرامها، يسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رتبيل [رتبيل: صاحب الترك].

وعليّ عليه السلام يقول: "لا تبدؤوهم بالقتال حتّى يبدؤوكم، ولا تتّبعوا مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً"، هذه سيرته في ذي الكلاع، وفي أبي الأعور السُّلمي، وفي عمرو بن العاص، وحبيب بن مَسلمَة، وفي جميع الرؤساء، كسيرته في الحاشية والحشو والأتباع والسَّفلة وأصحاب الحروب - إلى أن قال: - فعليّ عليه السلام كان مُلجماً بالورع عن جميع القول، إلا ما هو للّه عزّ وجلّ رضاً، وممنوع اليدين من كلّ بطش، إلا ما هو للّه رضاً، ولا يرى الرضا إلا فيما يرضاه اللّه ويحبّه، ولا يرى الرضا إلا فيما دلّ عليه الكتاب والسنّة دون ما يعوّل عليه أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد والآراء، الحديث. [شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٢٨].

و قال العلامة أبو منصور التيمي البغدادي

وما قاتل عليّ عليه السلام أصحاب الجمل وأهل صفّين ليسلموا، وإنّما قاتلهم لبغيهم عليه عليه السلام؛ لذلك قال لأصحابه: "لا تبدؤوهم بقتال حتّى يبدؤوكم"، ونهى عن اتّباع من أدبر منهم، وعن أن يذفّف على جريح منهم. [أُصول الدين لأبي منصور التيمي البغدادي: ٢٨٤، نقلاً عن الإحقاق ٨:٥٥٠].

وقال القاضي أبو يوسف في كتاب "الخراج"

أنّ الصحيح عندنا من الأخبار عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه لم يقاتل يوماً قطّ من أهل القبلة ممّن خالفه حتّى يدعوهم، وأنّه لم يتعرّض بعد قتالهم وظهوره عليهم لشي ء من مواريثهم ولا لنسائهم ولا لذراريهم، ولم يقتل منهم أسيراً، ولم يذفّف منهم على جريح، ولم يتّبع منهم مدبراً. [الخراج للقاضي أبي يوسف: ٢١٥].

وقال البيهقي في "السنن الكبرى"

بسنده عن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب: أنّ عليّاً عليه السلام لم يقاتل أهل الجمل حتّى دعا النّاس ثلاثاً، حتّى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين عليهماالسلام وعبداللّٰه بن جعفر رحمه الله فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح، فقال: "يابن أخي، واللّٰه ما جهلت شيئاً من أمرهم، إلا ما كانوا فيه"، وقال: "صبّ لي ماء"، فصبّ له ماء فتوضّأ به ثمّ صلّى ركعتين، حتّى إذا فرغ رفع يديه ودعا ربّه، وقال لهم: "إن ظهرتهم على القوم فلا تطلبوا مدبراً، ولا تجيزوا على جريح، وانظروا ما حضرت به الحرب من آنية [في نسخة: "آيته"].

فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لورثته".

وقال: قال الداروردي: أخبرنا جعفر عن أبيه: أنّ عليّاً عليه السلام كان لا يأخذ سلباً، وأنّه يباشر القتال بنفسه، وأنّه كان لا يذفّف على جريح ولا يقتل مدبراً. [السنن الكبرى ٨:١٨١].

وقال الطبري بإسناده عن محمّد بن راشد، عن أبيه

قال: كان من سيرة عليّ عليه السلام أن لا يقتل مدبراً، ولا يذفّف على جريح، ولا يكشف ستراً، ولا يأخذ مالاً، فقال قوم يومئذٍ: ما يُحلّ لنا دماءهم، ويحرّم علينا أموالهم؟ فقال عليه السلام: "القوم أمثالكم، من صفح

عنّا فهو منّا ونحن منه، ومَن لجّ حتّى يصاب فقتاله منّي على الصدر والنحر وأنّ لكم في خمسه لغنى' فيومئذٍ تكلّمت الخوارج. [تاريخ الطبري ٣:٥٤٥].

وقال جورج جرداق

في كتاب "الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة" في وصف أمير المؤمنين عليه السلام: ومروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثل في التأريخ، وحوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ.

منها: أنّه أبى على جنده - وهم في حال من النقمة والسخط - أن يقتلوا عدوّاً تراجع، وأن يتركوا عدوّاً جريحاً فلا يسعفوه، كما أبى عليهم أن يكشفوا ستراً أو أن يأخذوا مالاً.

ومنها: أنّه صلّى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه وسأل لهم الغفران، وأنّه حين ظفر بألدّ أعدائه الّذين يتحيّنون الفرص للتخلّص منه، وهم: عبدالله بن الزبير، ومروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، عفا عنهم وأحسن إليهم، وأبى على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوء وهم على ذلك قادرون.

ومن حوادث المروءة أنّ عليّاً عليه السلام ظفر بعمرو بن العاص - وهو لا يقلّ خطراً عليه من معاوية بن أبي سفيان - فأعرض عنه وتركه ينجو بحياته ويستمرّ في مؤامراته ضدّه؛ لأنّ عَمْراً هذا رجاه على أسلوب خاصّ [وهو الكشف عن عورته حينما أجهز عليه أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين].

أن يعفو عنه، وقد أصبح ذو الفقار فوق هامته، ولو قضى عليّ عليه السلام على عمرو آنذاك لكان قضى على المكر والدهاء وجيش معاوية.

وفي معركة صفّين حاول معاوية وجماعته أن يميتوا عليّاً عطشاً، فحالوا بينه وبين الماء زمناً وهم يقولون له: ولا قطرة حتّى تموت عطشاً، ولكن ما كان من أمره وأمر جيش معاوية بعد ذلك، كان أن حمل عليهم الفارس العظيم فأجلاهم عن الماء، ثمّ أتاح لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده، وهو لو منع عنهم الماء لانتصر عليهم، واضطرّهم على التسليم خشية الموت ظمأً.

وعرف مرّة أنّ رجلين من أنصاره ينالان من عائشة في موقعة الجمل الّتي أدارتها عائشة للقضاء عليه، فأمر بجلدهما مائة جلدة، ثمّ أقبل على عائشة بعد انتصاره في هذه الموقعة وودّعها أكرم وداع، وسار هو نفسه في ركابها أميالاً، ثمّ أوصى بها وأرسل من يخدمها ويخفّف بها ويوصلها إلى المدينة مكرّمة محترمة.

قيل: إنّه أرسل معها عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّمهنّ بعمائم الرجال، وقلّدهنّ السيوف، فلمّا كانت عائشة ببعض الطريق ذكرت عليّاً بما لا يجوز أن يُذكر به، وتأفّفت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الّذين

وكّلهم بي، فلمّا وصلت إلى المدينة ألقى النساء عمائمهنّ، وقلن لها: نحن نسوة. [الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة ١:٨٢].

موارد ما ظهر من سيرته مع مخالفيه

فقد ذكرنا من كتب التواريخ ما يظهر من حسن سيرته مع مخالفيه فى الصلح و الحرب ولكن هنا نذكر بشرح هذه الموارد و تفصيلها مع التوخى عن التطويل الملل.

سيرته مع من محاربيه يوم الجمل

رواية البيهقي عن جويريه

في "السنن الكبرى" للحافظ البيهقي: بإسناده عن يحيى بن سعيد، قال: حدّثني عمّي أو عمّ لي، قال: لمّا تواقفنا يوم الجمل، وقد كان عليّ عليه السلام حين صفّنا نادى في النّاس: لا يرمينّ رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤوا القوم بالقتال، وكلّموهم بألطف الكلام'. وأظنّه قال: 'فإنّ هذا مقام من فلج فيه، فلج [الفلج - بوزن الفلس -: الفوز والظفر].

يوم القيامة'. [السنن الكبرى ٨:١٨٠].

قول القاضي أبي يوسف

وفي "الخراج" لأبي يوسف، قال: حدّثنا بعض المشيخة عن جعفر بن محمّد، عن أبيه: 'أنّ عليّاً عليه السلام أمر مناديه فنادى يوم البصرة: لا يتّبع مدبر، ولا يذفّف على جريح، ولا يُقتل أسير، ومَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، قال: ولم يأخذ من متاعهم شيئاً'. [الخراج لأبي يوسف: ٢١٥].

قول ابن أبي الحديد

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف، وشتموه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يتّبع مولٍّ، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، ومَن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلا الصفح

والعفو، وتقيّل سنّة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تُنس. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٣].

وفي "مستدرك الوسائل" عن "أمالي المفيد": بسنده عن حبّة العرني، قال في حديث: فلمّا كان يوم الجمل وبرز النّاس بعضهم لبعض - إلى أن قال: - فولّى النّاس منهزمين، فنادى منادي أمير المؤمنين عليه السلام: "لا تجيزوا على جريح، ولا تتّبعوا مدبراً، ومَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن". [مستدرك الوسائل ٢:٢٥١].

سيرته مع أسرى يوم الجمل

في "مستدرك الوسائل" عن "دعائم الإسلام"

وإذا انهزم أهل البغي وكانت لهم فئة يلجئون إليها طلبوا، وأجهز على جرحاهم، واتّبعوا وقتل ما أمكن أتباعهم وقتلهم، وكذلك سار أمير المؤمنين عليه السلام في أصحاب صفّين؛ لأنّ معاوية كان وراءهم، وإذا لم يكن لهم فئة لم يطلبوا ولم يجهز على جرحاهم؛ لأنّهم إذا ولّوا تفرّقوا. وكذلك روينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سار في أهل الجمل لمّا قتل طلحة والزبير، وقبض على عائشة، وانهزم أصحاب الجمل، نادى مناديه: لا تُجهزوا على جريح، ولا تتّبعوا مدبراً، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، ثمّ دعا ببغلة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الشهباء فركبها، ثمّ قال: تعال يا فلان، وتعال يا فلان حتّى جمع إليه زهاء ستّين شيخاً كلّهم من همدان، قد أشكو الأترسة، وتقلّدوا السيوف، ولبسوا المغافر، فسار وهم حوله حتّى انتهى إلى دار عظيمة، فاستفتح، ففتح له، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار، فلمّا نظرن إليه صحن صيحة واحدة، وقلن: هذا قاتل الأحبّة، فلم يقل لهنّ شيئاً، وسأل عن حجرة عائشة ففتح له بابها، ودخل وسمع بينهما كلام يشبيه بالمعاذير لا واللّٰه، وبلى واللّٰه.

ثمّ أنّه صلى الله عليه و آله خرج فنظر إلى امرأة فقال لها: "إليَّ يا صفيّة"، فأتته مسرعة، فقال عليه السلام: "ألا تبعدين هؤلاء الكلبيات يزعمن أنّي قاتل الأحبّة، لو كنت قاتل الأحبّة لقتلت مَن في هذه الحجرة، ومَن في هذه"، وأومأ بيده إلى ثلاث حجر، فذهبت إليهنّ، فما بقيت في الدار صائحة إلا سكنت، ولا قائمة إلا قعدت.

قال الأصبغ وهو راوى الحديث: وكان في إحدى الحجرات عائشة ومَن معها من خاصّتها، وفي الأُخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، وفي الأُخرى عبداللّٰه بن الزبير وأهله، فقيل للأصبغ: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء، أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة، فلِمَ استبقيتموهم؟! قال: قد ضربنا بأيدينا إلى قوائم سيوفنا

وحدّدنا أبصارنا نحوه عليه السلام لكي يأمرنا فيهم بأمر؟ فما فعل وواسعهم عفواً. [مستدرك الوسائل ٢:٢٥١].

ما فيه عن شرح الاخبار:

وفي المستدرك أيضاً، عن "شرح الأخبار" لصاحب الدعائم: عن موسى بن طلحة بن عبيداللّٰه: وكان فيمن أُسر يوم الجمل وحبس مع مَن حبس من الأسارى بالبصرة، فقال: كنت في سجن عليّ عليه السلام بالبصرة حتّى سمعت المنادي ينادي: أين موسى بن طلحة بن عبيداللّٰه، قال: فاسترجعت واسترجع أهل السجن، وقالوا: يقتلك، فأخرجني إليه، فلمّا وقفت بين يديه، قال لي: 'يا موسى'، قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين، قال: 'قل: استغفر اللّٰه'، قلت: استغفر اللّٰه وأتوب إليه، ثلاث مرّات. فقال لمن كان معي من رسله: 'خلّوا عنه'. وقال لي: 'اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، واتّق اللّٰه فيما تستقبله من أمرك، واجلس في بيتك'، فشكرت وانصرفت، وكان عليّ عليه السلام قد أغنم أصحابه ما أجلب [اجلب به: أتى به في عسكره].

به أهل البصرة إلى قتاله، ولم يعرض لشي ء غير لورثتهم، وخمّس ما أغنمه ممّا أجلبوا به عليه، فجرت أيضاً بذلك السنّة. [مستدرك الوسائل ٢:٢٥٢].

سيرته مع عائشة يوم الجمل

يشتري جملاً لعائشة لتخرج من البصرة إلى مكّة

في "تاريخ الطبري": بإسناده عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: لمّا فرغوا يوم الجمل أمرني الأشتر، فانطلقت فاشتريت له جملاً بسبعمائة درهم من رجل من مهرة، فقال: انطلق به إلى عائشة فقل لها: بعث به إليك الأشتر مالك بن الحارث؟ وقال: هذا عوض من بعيرك، فانطلقت به إليها، فقلت: مالك يقرئك السلام ويقول: هذا البعير مكان بعيرك، قالت: لا سلم اللّٰه عليه؛ إذ قتل يعسوب العرب - تعني ابن طلحة - وصنع بابن أُختي ما صنع، قال: فرددته إلى الأشتر وأعلمته، قال: فأخرج ذراعين شعراوين، وقال: أرادوا قتلي فما أصنع [تاريخ الطبري ٣:٥٤٥].

وما بعثه الأشتر إلى عائشة إلا كان بإذن مولاه وإمامه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

تجهيز عليّ عائشة من البصرة

وفي "تاريخ الطبري" أيضاً: عن محمّد بن أبي بكر وطلحة، قالا: وجهّز عليّ عليه السلام عائشة بكلّ شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كلّ مَن نجا ممّن خرج معها إلا مَن أحبّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهّز - يا محمّد - فبلّغها، فلمّا كان اليوم الّذي ترتحل فيه جاءها حتّى وقف لها وحضر النّاس فخرجت على النّاس وودّعوها وودّعتهم، وقالت: يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشي ء بلغه من ذلك، إنّه واللّه ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنّه عندي على معتبتي من الأخيار.

وقال عليّ عليه السلام: 'أيّها النّاس، صدقت واللّه وبرّت ما كان بيني وبينها إلا ذلك'.. و خرجت يوم السبت لغرّة رجب سنة ٣٦ و شيَّعها عليٌّ عليه السلام أميالاً و سرح بنيه معا يوماً. [تاريخ الطبري ٣:٥٤٧].

ندامة عائشة بعد مراجعتها عن البصرة

عن العلامة سبط ابن الجوزي في "التذكرة"، قال: قال هشام بن محمّد: فجهّزها - أي عائشة - على أحسن الجهاز، ودفع لها مالاً كثيراً، وبعث معها أخاها عبدالرحمن في ثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من أشراف البصرة وذوات الدين من همدان وعبدالقيس، وألبسهنّ العمائم، وقلّدهنّ السيوف بزيّ الرجال، وقال عليه السلام لهنّ: 'لا تعلمنها إنّكنّ نسوة وتلثمنّ وكنّ حولها، ولا يقربنّها رجل'.

وسرن معها على هذا الوصف، فلمّا وصلت إلى المدينة قيل لها: كيف كان مسيرك؟ فقالت عائشة: بخير - واللّه - لقد أعطى فأكثر، ولكنّه بعث رجالاً معي أنكرتهم، فبلغ ذلك النسوة، فجئن إليها وعرّفنها أنّهنّ نسوة، فسجدت وقالت: واللّه - يابن أبي طالب - ما زددت إلا كرماً، وودت أنّي لم أخرج هذا المخرج، وأنّي أصابني كيت وكيت.

قال ابن الكلبي: وكانت إذا ذكرت يوم الجمل بكت، حتّى تبلّ خمارها وتأخذ بحلقها كأنّها تخنق نفسها، وكانت إذا ذكرت أُمّ سلمة تذكر نهيها لها وتبكي. [وكانت أُمّ سلمة قد نصحت عائشة بعدم الخروج إلى عليّ عليه السلام، فخالفتها].

وقال هشام بن محمّد: إنّما ردّ عليّ عليه السلام عائشة إلى المدينة امتثالاً لأمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله. [تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٨٠].

وفيه أيضاً: أشار هشام إلى ما روى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي رافع: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'سيكون بينك وبين عائشة أمر'، قال: 'فإذن أنا أشقاهم؟'، قال: 'لا،

ولكن إذا جرى ذلك فارددها إلى مقامها". قال هشام: فكانت عائشة تبكي بعد يوم الجمل وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسيّاً، أي الحيضة الملقاة. [تذكرة الخواص: ٨١].

كلامه بالبصرة حين ظهر على القوم

قال الشيخ المفيد رحمه الله في "الإرشاد": ومن كلامه عليه السلام بالبصرة بعد الحمد للّه والثناء عليه، قال عليه السلام: "أمّا بعد، فإنّ اللّه ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، وعفو جمّ، وعقاب أليم، قضى أنّ رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه، وبرحمته اهتدى المهتدون، وقضى أنّ نقمته وسطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه، وبعد الهدى والبيّنات ما ضلّ الضالّون، فما ظنّكم - يا أهل البصرة - وقد نكثتم بيعتي، وظاهرتم علَيَّ عدوّي"، فقام إليه رجل، فقال: نظنّ خيراً، ونراك قد ظفر وقدرت، فإن عاقبتَ فقد اجترمنا ذلك، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى اللّه تعالى. فقال: "قد عفوت عنكم، فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل الرعيّة نكث البيعة وشقّ عصا هذه الأُمّة". قال: ثمّ جلس للنّاس فبايعوه. [الإرشاد ١:٢٥٧].

سيرته في صفّين بعد غلبته على الماء مع معاوية وأصحابه

قال عليّ عليه السلام في خطبة له لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفّين، ومنعوهم من الماء: "قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ [استطعموكم القتال: كلمة مجازيّة، ومعناها: طلبوا القتال منكم كأنّه جعل القتال شيئاً يستطعم، أي يطلب أكله].

فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ [فأقرّوا على مذلّة وتأخير محلّة: أي أثبتوا على الذلّ وتأخّر المرتبة والمنزلة].

أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَ لَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً [اللّمة - بالتخفيف -: الجماعة القليلة].

مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ [وعمس عليهم الخبر: أي أبهم عليهم الخبر وجعله مظلماً].

حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ [الأغراض: جمع غرض، وهو الهدف].

الْمَنِيَّةِ". [نهج البلاغة: الخطبة ٥١].

قال ابن أبي الحديد: ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا - واللّه - ولا قطرة حتّى تموت ظماً كما مات ابن عفّان.

فلمّا رأى عليّ عليه السلام أنّه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملاتٍ كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذَريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماءَ لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء - يا أمير المؤمنين - كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: "لا - واللّه - لا أُكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك". فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٣].

و في ذلك رواية عن عمرو عاص حيث قال لمعاوية: لمّا ملك أهل العراق الماء: ما ظنّك - يا معاوية - بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس، أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة. فقال معاوية: دع عنك ما مضى، فما ظنّك بعليّ؟ قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحللت منه، وإنّ الّذي جاء له غير الماء. قال: فقال معاوية قولاً أغضبه، فقال عمرو:

أمرتك أمراً فسخّفته*** وخالفني ابن أبي سرحه

[يريد عبداللّه بن سعد بن أبي سرح].

وأغمضت في الرأي إغماضةً*** ولم تَرَ في الحرب كالفسحه

فكيف رأيت كباش العراقِ*** ألم ينطحُوا جَمْعَنا نَطْحَه

فإن ينطحونا غداً مثلها*** فكن كالزبيريّ أو طَلحَه

أظنُّ لها اليومَ ما بعدَها*** وميعاد ما بيننا صُبحَه

وإن أخّروها لِما بعدَها*** فقد قَدَّموا الخبطَ والنَّفحَه

وقد شرب القوم ماء الفرات*** وقَلَّدكَ الأشتر الفَضحَه

[شرح بن أبي الحديد ٣:٣٣٠].

عن نصر بن محمّد بن عبداللّه، قال: فقال أصحاب عليّ له: امنعهم الماء - يا أميرالمؤمنين - كما منعوك. فقال: "لا، خلّوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، سنعرض عليهم كتاب اللّه وندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا وإلا ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء اللّه". [شرح بن أبي الحديد ٣:٣٣٠].

قال نصر: فواللّه! ما أمسى النّاس حتّى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام ورَواياهم ورَوايا الشام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسانٌ إنساناً. [المصدر المتقدّم: ٣٣١].

سيرته مع أُسارى صفّين

رواية الدولابي عن يزيد بن بلال

كنز العمال و الاحقاق عن "الكنى والألقاب" بالاسناد عن يزيد بن بلال، قال: شهدت مع عليّ عليه السلام صفّين، فكان إذا أُتي بالأسير قال عليه السلام: 'لن أقتلك صبراً، إنّي أخاف اللّه ربّ العالمين'، وكان إذا أخذ الأسير أخذ سلاحه، وحلّفه أن لا يقاتله، وأعطاه دراهم، ويخلّي سبيله. [كنز العمّال ٧:٣٤٥، ح ٣١٧٠٣؛ الاحقاق ٦٦٢ / ٨].

رواية البيهقي عن أبي فاختة

وعن "سنن البيهقي": عن أبي فاختة: أنّ عليّاً عليه السلام أُتي بأسير يوم صفّين، فقال: لا تقتلني صبراً. فقال عليّ عليه السلام: 'لا أقتلنَّك صبراً، إنّي أخاف اللّه ربّ العالمين'، فخلّى سبيله، ثمّ قال: 'أفيك خير تبايع؟!'.

قال الشافعي: والحرب يوم صفّين قائمة ومعاوية يقاتل جادّاً في أيّامه كلّها منتصفاً أو مستعلياً [في سنن البيهقي ٨:١٨٢، قول الشافعي: 'ومعاوية يقاتل جادّاً' معناه أنّه كان يساويه مرّة في القتال ويعلوه أُخرى، قوله: منتصفاً عند نفسه لدعواه أنّه يطلب دم عثمان، ومستعلياً غيره؛ لعلمهم بأن عليّاً عليه السلام كان بريئاً من دم عثمان. راجع السنن الكبرى للبيهقي ٨:١٨٢].

وعليّ عليه السلام يقول لأسير من أصحاب معاوية: 'لا أقتلك صبراً إنّي أخاف اللّه ربّ العالمين'. [السنن الكبرى للبيهقي ٨:١٨٢].

سيرته مع الخوارج

إنّ بالإمكان الادّعاء بأنّ أيّة فتنة لم تؤذ عليّاً عليه السلام بقدر ما آذته فتنة الخوارج؛ إذ ملأوا قلبه قيحاً؛ وذلك أنّهم كانوا من شيعته، وعلى جباههم آثار السجود، إلا أنّهم وقفوا بوجه الإمام واتّخذوا التحكيم الّذي أصرّوا على تنفيذه ذريعة للخروج على عليّ عليه السلام...

لقد كان هؤلاء أناساً متعصّبين في دينهم غير أنّهم جهلاء، فلم يكونوا على اتّصال بالأجانب، غاية ما هناك أنّهم فهموا الأمور بغير وجهتها الصحيحة، وظنّوا بأفكارهم الساذجة أنّهم يبتغون بهذا الخروج وجه اللّٰه تعالى!!

لقد أصرّ هؤلاء على عليّ عليه السلام أن يقرّ بأنّ التحكيم كان ذنباً، وعليه أن يتوب منه، ولم يكن عليّ عليه السلام ليعترف بأنّ هذا ذنب اقترفه، بل كان يراه خطأً سياسيّاً فُرض عليه وأُجبر على قبوله في صفّين، ولم يرضَ الخوارج بهذا الرأي، ولذلك كانوا يعرِّضون بعليّ عليه السلام ويُصلّون فرادى في المسجد الّذي كان يُصلّي فيه جماعة.

وكانوا يتحرّكون في المسجد حينما يخطب، ويثيرون الضجّة ليفسدوا مجالسه العلمية، وإذا ما قرأ في الصلاة كانوا ينسبون إليه الكفر والشرك من خلال قراءتهم لبعض آيات القرآن...، غير أنّ عليّاً عليه السلام مثال الحقّ، ووارث علوم الأنبياء، والحاكم بالعدل، كان يصبر أمام هذه الإهانات والتعريضات، ومع أنّ السلطة وقدرتها كانت بيده إلا أنّه لم يبدِ أدنى ردّ فعل ضدّهم طمعاً في أن ينتبه هؤلاء من غفلتهم، ويتركوا طريق الانحراف الّذي اختاروه، ويعودوا إلى الصواب، ولئلا يراق دمٌ نتيجة هذه الأوضاع، ولذلك كان يَعظهم أحياناً، ويُجيبهم على اعتراضاتهم، ويبيّن لهم الحقيقة، ولم يخرجهم من المساجد، ولا قطع عنهم عطاءهم، وكان يقول لهم كما في مستدرك الوسائل عن "دعائم الإسلام": "لكم عندنا خصال: لا نمنعكم مساجد اللّٰه أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفي ء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتّى تبدؤونا"، الحديث. [مستدرك الوسائل ٢:٢٥٤].

لكنّ الكلام الحقّ الّذي كان يتفوّه به عليّ عليه السلام لم يُجد نفعاً مع هؤلاء، وبلغ بهم جهلهم وحمقهم أن يخرجوا على عليّ عليه السلام في أربعة آلاف، فاجتمعوا عند النهروان، وشنّوا حرباً غير مدروسة ضدّ عليّ عليه السلام، فاستأصالهم ولم ينجُ منهم إلا تسعة نفر، ولم يُقتل من جيش عليّ عليه السلام إلا تسعة شهداء. [راجع: نهج البلاغة: الخطبة ٥٩].

فلمّا انتهى الأمر هنا قال عليّ عليه السلام: "لا تقتلوا الخوارج بعدي...". [المصدر المتقدّم: ١٤١، الخطبة ٦٠].

ومن أجل زيادة الإيضاح نورد نماذج من التصرّفات المشينة للخوارج مع عليّ عليه السلام لتتجلّى عظمة عليّ عليه السلام وصبره، وليكون درساً وأُسوة للجميع.

مداراته الخوارج حينما اجتمعوا في الكوفة

روى الشارح الخوئي عن كتاب "صفّين": بسنده عن عمر مولى غفرة، قال: لمّا رجع عليّ من صفّين إلى الكوفة، أقام الخوارج حتّى جموا، ثمّ خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمّى حروراء، فتنادوا: لا حكم إلا للّه ولو كره المشركون، ألا إنّ عليّاً ومعاوية أشركا في حكم اللّه. فأرسل عليّ عليه السلام إليهم عبداللّه بن عبّاس، فنظر في أمرهم وكلّمهم ثمّ رجع... وأرسل إليهم: 'ما هذا الّذي أحدثتم وما تريدون؟'. قالوا: نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصفّين ثلاث ليال وننتوب إلى اللّه من أمر الحكمين، ثمّ نسير إلى معاوية فنقاتله حتّى يحكم اللّه بيننا وبينه؟! فقال عليّ عليه السلام: 'فهلا قلتم حين بعثنا الحكمين وأخذنا منهم العهد وأعطيناهموه ألا قلتم هذا حينئذٍ؟'. قالوا: كنّا قد طالت الحرب علينا، واشتدّ البأس، وكثرت الجراح، وكَلَّ الكراع [الكراع من الدابّة: قوائمها، وهو اسم لجماعة الخيل أيضاً] والسلاح.

فقال لهم عليه السلام: 'أفحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتم، فلمّا وجدتم الجمام [الجَمَام: الراحة].

قلتم: ننقض العهد؟ إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان يفي للمشركين، أفتأمرونني بنقضه؟'. فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى عليّ عليه السلام، ولا يزال الآخر منهم يخرج من عند عليّ عليه السلام، فدخل الواحد منهم على عليّ عليه السلام بالمسجد، والنّاس حوله، فصاح: لا حكم إلا للّه ولو كره المشركون، فتلفّت النّاس، فقال: لا حكم إلا للّه ولو كره المتلفّتون، فرفع عليّ عليه السلام رأسه إليه، فقال: 'لا حكم إلا للّه، ولو كره أبو حسن'، فقال عليه السلام: 'إنّ أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم للّه'، ثمّ قال: 'حكم اللّه أنتظر فيكم'، فقال النّاس: 'هلا مِلتَ يا أمير المؤمنين على هؤلاء النّاس، فأفنيتهم؟ فقال: 'إنّهم لا يفنون، ا نّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة'. [شرح الخوئي ٤:١٢٢، عن شرح ابن أبي الحديد].

صورة اخرى

نقل ابن أبي الحديد عن الطبري في التاريخ: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج، وتخلّف منهم بالنخيلة وغيرها خلق كثير لم يدخلوها، فدخل حُرقوص بن زهير السعدي، وزرعة بن البُرج الطائي - وهما من رؤوس الخوارج - على عليّ عليه السلام فقال له حُرقوص: تُبْ من خطيئتك، واخرج بنا إلى معاوية نجاهده. فقال له عليّ عليه السلام: 'إنّي كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم، ثمّ الآن تجعلونها ذنباً؟! أما إنّها ليست بمعصية، ولكنّها عجز من الرأي، وضعف في التدبير، وقد نهيتكم عنه'. فقال زرعة: أما - واللّه - لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتُلنّك، أطلب بذلك وجه اللّه ورضوانه؟! فقال له عليّ

عليه السلام: 'بؤساً لك ما أشقاك! كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الرياح'. قال زرعة: وددت أنّه كان ذلك. الحديث. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٦٨، وراجع تاريخ الطبري ٤:٥٢].

صورة ثالثة: روى أبو جعفر الطبري، عن أبي رزين، قال: لمّا وقع التحكيم ورجع عليّ من صفّين رجعوا مباينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل عليّ في النّاس الكوفة، ونزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبدالله بن عبّاس ولم يصنع شيئاً، فخرج إليهم عليّ عليه السلام فكلّمهم حتّى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال: إنّ النّاس قد تحدّثوا أنّك رجعت لهم عن كفرك، فخطب النّاس في صلاة الظهر، فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلا لله، واستقبله رجل منهم "هو ابن الكواء" واضع اصبعه فى أذنيه، فقال: 'وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ' [سورة الزُّمر: ٦٥].

فقال عليّ عليه السلام: 'فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ' [تاريخ الطبري ٤:٥٤، والآية من سورة الروم: ٦٠].

فاليك لفظ الحديث:

علي وابن الكوّاء

ففي شرح الخوئي: عن أنس بن عيّاض المدني، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام: 'أنّ عليّاً كان يوماً يؤمّ النّاس وهو يجهر بالقراءة، فجهر ابن الكوّاء من خلفه: 'وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ'، فلمّا جهر ابن الكوّاء من خلفه بها، سكت عليّ عليه السلام، فلمّا أنهاها ابن الكوّاء، أعاد عليّ عليه السلام فأتمّ قراءته، فلمّا شرع عليّ عليه السلام في القراءة أعاد ابن الكوّاء الجهر بتلك الآية، فسكت عليّ عليه السلام، فلم يزالا كذلك يسكت هذا ويقرأ هذا مراراً حتّى قرأ عليّ عليه السلام: 'فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ'. فسكت ابن الكوّاء وعاد عليّ عليه السلام إلى قراءته. [شرح الخوئي ٤:١٢٣].

نعوذ بالله من حماقة هؤلاء القوم ومن جرأتهم على خليفة المسلمين أمير المؤمنين وصيّ رسول الله وابن عمّه وصهره وحجّة الله على أرضه. اللّهمّ اجعل عاقبة أمرنا خيراً.

سماحته ومداراته لهم لمّا واقفهم بالنهروان

روى ابن أبي الحديد عن ابى العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد في "الكامل"، قال: لمّا واقفهم عليّ عليه السلام بالنهروان، قال: 'لا تبدؤهم بقتال حتّى يبدؤوكم'، فحمل منهم رجل على صفّ عليّ عليه السلام فقتل منهم ثلاثة، ثمّ قال:

اقتلهم ولا أرى عليّاً*** ولو بدا أوجرته الخطّيا

فخرج إليه عليّ عليه السلام فضربه فقتله، فلمّا خالطه سيفه، قال: يا حبّذا الروحة إلى الجنّة، فقال عبدالله بن وهب: والله! ما أدري إلى الجنّة أم إلى النّار؟! فقال رجل منهم من بني سعد: إنّما حضرتُ اغتراراً بهذا الرجل - يعني عبدالله - وأراه قد شكّ واعتزل عن الحرب بجماعة من النّاس، ومال ألفٌ منهم إلى جهة أبي أيّوب الأنصاري، وكان على ميمنة عليّ عليه السلام. فقال عليّ عليه السلام لأصحابه: 'احملوا عليهم، فوالله! لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة'، فحمل عليهم فطحنهم طحناً، قُتل من أصحابه عليه السلام ستة، وأفلت من الخوارج ثمانية. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٧٢].

وفي "مروج الذهب" في حديث: ثمّ قال عليه السلام: 'سيروا إلى القوم، فوالله! لا يفلت منهم إلا عشرة، ولا يُقتل منكم إلا عشرة'، فسار عليّ عليه السلام فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لأصحابه.

فلمّا أشرف عليهم، قال: 'الله أكبر، صدق "الله و" رسول الله صلى الله عليه و آله، فتصافّ القوم، ووقف عليهم نفسه، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقيل له: قد رمونا. فقال: 'كفّوا'، فكرّروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكفّ، حتّى أُتي برجل قتيل متشحّط بدمه، فقال عليّ عليه السلام: 'الله أكبر، الآن حلّ قتالهم، احملوا على القوم'. فحمل رجل من الخوارج على أصحاب عليّ، فخرج فيهم وجعل يغشى كلّ ناحية ويقول:

أضربهم ولو أرى عليّاً*** ألبسته أبيض مشرفيّا

فخرج إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

'يا أيُّهذا المبتغي عليّاً*** إنّي أراك جاهلاً شقيّا

قد كنت عن كفاحه غنيّاً*** هَلُمّ فابرز هاهنا إليّا'

وحمل عليه عليّ عليه السلام، فقتله، الحديث. [مروج الذهب للمسعودي ٢:٤١٦].

و غير ذلك من مداراته عليه السلام مع معارضيه و تركناها لرعاية الاختصار و توخياً عن التطويل الممل.

سيرة عليّ مع أهل الذمّة

عن عليّ عليه السلام حين بلغه أنّ الرجل من جيش معاوية كان يدخل على امرأة ذمّيّة وينتزع خلخالها وسوارها أنّه قال: "فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً". شرح نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

سيرته مع أهل الذمّة بميزان الحقّ والعدل

لقد كان عليّ عليه السلام تلميذ دين الإسلام حقّاً، ورضع من ثدي النبوّة علماً، ورُبّي في حجر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من الولادة إلى آخر حياة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وتعلّم حقائق الإسلام منه صلى الله عليه و آله، وهو وصيّه وخليفته ووارث علمه، فلا يتوقّع منه إلا أن يسير بسيرته صلى الله عليه و آله، وقد كان من سيرته الرفق باليهود والنصارى من أهل الذمّة، ويتعامل معهم كما يتعامل مع المسلمين تحت ظلّ حكومته بميزان الحقّ والعدل، وهذا هو منطق الشرع المبين الأنور، وعلينا وعلى حكّام الإسلام أن يسيروا بسيرته.

نبذة ممّا ظهر من سيرته مع أهل الذمّة

ممّا لا ريب فيه أنّ صفحات التاريخ مشرقة بالحكاية عن مروءة عليّ عليه السلام ورأفته وعفوه الّذي يبديه لمخالفيه ومعارضيه، وحتّى لأُولئك الّذين ناصبوه العداء، وقتلوا أصحابه ومقرّبيه، وجيّشوا الجيوش لمقاتلته، مستهدفين إضعاف حكومته وإسقاطها، إلى الحدّ الّذي أثار اعتراض أصحابه ومؤيّديه، وأذهل أعداءه ومخالفيه، وهو في كلّ ذلك يريد أن يفهم النّاس مبادئ الإسلام المحمّدي الأصيل، وأنّه يقاتل لأجل هداية المجتمع وإصلاح النّاس وليس لطلب السلطة والحكم عليهم، ولهذا فإنّه عليه السلام بلغ في مداراته لأعدائه حدّاً كلّفه التضحية بنفسه، فالمهمّ لديه بقاء الإسلام والعدالة فحسب لا بقاء نفسه، وسنشير أدناه إلى الموارد الظاهرة من سيرته في هذا الخصوص:

حزنه في ظلم جيش معاوية على ذمّيّة

قال عليّ عليه السلام - بعد ما انقضت وقعة صفّين واستولى معاوية على البلاد، وأكثر القتل والغارة في الأطراف -: "وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ [الرجل منهم: أي من جيش معاوية].

كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَة المُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى المُعَاهَدَةِ [المعاهدة: الذمّيّة].

فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا [الحِجل - بالكسر وبالفتح وبالكسرين -: الخلخال].

وَقُلْبَهَا [القُلب - بضمّتين -: جمع قُلْب - بالضمّ والسكون -: السوار المُصمت].

وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا [الرعاث: ضرب من الخرز].

ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إلا بِالاسْتِرْجَاعِ [الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء مع القول: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون].

وَالِاسْتِرْحَامِ. ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ [الكلم - بالفتح -: الجرح].

وَلَاأُرِيقَ لَهُمْ دَمْ، فَلَوْ أَنْ امْرَءاً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً". [نهج البلاغة: الخطبة ٢٧].

قال الشارح المعتزلي: هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام، قد ذكرها كثير من النّاس، ورواها أبو العبّاس المبرّد في أوّل "الكامل"، وأسقط من هذه الرواية ألفاظاً وزاد فيها ألفاظاً، وقال في أوّلها: "إنّه انتهى إلى عليّ عليه السلام أنّ خيلاً وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج عليه السلام مغضباً يجرّ رداءه، حتّى أتى النخيلة. [النخيلة: اسم موضع خارج الكوفة].

واتّبعه النّاس، فرقى رُباوَة [الرباوة: اسم لكلّ ما ارتفع من الأرض].

من الأرض، فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: "أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه اللّه الذّ، وسيم الخسف" الخطبة. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٧٥].

مصاحبته رجلاً ذمّياً

عن ابن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ الباقر عليهم السلام، قال: "إنّ عليّاً صاحب رجلاً ذمّيّاً، فقال له الذمّي: أين تريد يا عبد اللّه؟ قال عليه السلام: أُريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذمّي عدل معه عليّ عليه السلام، فقال له الذمّي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال عليه السلام: بلى، فقال له الذمّي: فقد تركت الطريق؟ فقال عليه السلام: قد علمت، فقال له: فلِمَ عدلتَ معي وقد علمتَ ذلك؟ فقال له عليّ عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبيّنا، فقال له: هكذا قال؟ قال عليه السلام: نعم، فقال له الذمّي: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أُشهدك أنّي على دينك، فرجع الذمّي مع عليّ عليه السلام، فلمّا عرفه أسلم. [البحار ٤١:٥٣].

الانفاق على ذمّي عاجزٍ من بيت المال

في "الوسائل" عن "التهذيب": بسنده عن محمّد بن أبي حمزة، عن رجل بلغ به أمير المؤمنين عليه السلام، قال: مرّ شيخٌ مكفوفٌ كبيرٌ يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "ما هذا؟". قالوا: يا أمير

المؤمنين، نصراني. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "استعملتموه حتّى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال". [وسائل الشيعة ١١:٤٩].

تقاضيه مع يهودي عند القاضي

ومن أظهر مظاهر عدله ومساواته أنّه عليه السلام في عصر حكومته وولايته، حضر مجلس القضاء، وجلس مع يهودي عند القاضي، فقد روى ابن وكيع في "أخبار القضاة": بإسناده عن معاوية، عن ميسرة، عن شرى، قال: لمّا توجّه عليّ عليه السلام إلى قتال معاوية افتقد درعاً له، فلمّا رجع وجدها في يد يهودي يبيعها بسوق الكوفة، فقال عليه السلام: 'يا يهودي، الدرع درعي، لم أهب ولم أبع'؟ فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال عليه السلام: 'بيني وبينك القاضي'.

إلى أن قال: قال عليه السلام: 'هذه الدرع درعي لم أبع ولم أهب'، فقال لليهودي: 'ما تقول؟'. قال: درعي وفي يدي، قال شريح: يا أمير المؤمنين، هل من بيّنه؟ قال: 'نعم، الحسن ابني وقنبر يشهدان أنّ الدرع درعي'. قال شريح: يا أمير المؤمنين، شهادة الابن للأب لا تجوز. فقال عليّ عليه السلام: 'سبحان اللّٰه، أرجل من أهل الجنّة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة'.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، أشهد أنّ هذا الدين على الحقّ، وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك ليلاً، وتوجّه مع عليّ عليه السلام يقاتل معه بالنهروان، فقتل. [أخبار القضاة ٢:٢٠٠].

صورة اخرى

روى ابن شهر آشوب عن "حلية الأولياء" و"نزهة الأبصار" أنّه مضى عليّ عليه السلام في حكومة إلى شريح مع يهوديّ، فقال لليهوديّ: 'الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب'. فقال اليهودي: الدرع لي وفي يدي، فسأله شريح البيّنة، فقال: 'هذا قنبر والحسين يشهدان لي بذلك'.

فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز لأبيه، وشهادة العبد لا تجوز لسيّده، وإنّهما يَجرّان إليك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك - يا شريح - أخطأت من وجوه: أمّا واحدة فأنا إمامك، تدين اللّٰه بطاعتي، وتعلم أنّي لا أقول باطلاً، فرددت قولي، وأبطلت دعواي، ثمّ سألتني البيّنة فشهد عبدي، وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة فرددتَ شهادتهما، ثمّ ادّعيت عليهما أنّهما يَجرّان إلى أنفسهما، أما إنّي لا أرى عقوبتك إلا أن تقضي بين اليهود ثلاثة أيّام! أخرجوه، فأخرجه إلى قبا، فقضى بين اليهود ثلاثاً، ثمّ انصرف، فلمّا سمع اليهودي ذلك، قال: هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم والحاكم حكم عليه، فأسلم، ثمّ قال: الدرع درعك، سقطت يوم

صفّين من جمل أورق [الأورق من الإبل: جمل في لونه بياض إلى سواد، وهو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً وعملاً].

فأخذتُه. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٠٥، والبحار ٤١:٥٦، فقد مرّ صورة اخرى في فصل 'علي "ع" و العدل'].

أقول: هذا العمل من عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو حاكم المسلمين في ذلك العصر، يدلّ على الديمقراطيّة الكاملة في حكومته، فهل يمكن أن يُرى مثل هذا في عصرنا هذا في بلاد العالم المدّعي للديمقراطيّة؟

رسالة توبيخ منه

أرسل عليه السلام كتاباً إلى عمر بن أبي سَلَمَة الأرحبي يوبّخه فيه لشدّته مع أهل الذمّة من دهاقين [الدهاقين: جمع دهقان، رئيس القرية أو الإقليم، وتُطلق على التجّار وأرباب الأملاك].

فارس، جاء فيه: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لَأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَأَلْبَسَ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ". [راجع شرح ابن أبي الحديد ١٥:١٣٧، وشرح نهج البلاغة للخوئي ١٨:٣٢٢، و نهج البلاغة الكتاب ١٩].

عن الفاضل البحراني في شرحه على نهج البلاغة ذيل الخطبة، قال: والمنقول أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوساً، ولمّا شكوا إليه غلظة عامله، فكّر في اُمورهم، فلم يرهم أهلاً للإدناء الخالص لكونهم مشركين، ولا إقصاءهم لكونهم معاهدين، فإنّ إدناءهم وإكرامهم خالصاً هضم ونقيصة في الدين، وإقصاءهم بالكلّية ينافي معاهدتهم، فأمره بالعدل فيهم، ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدّة كلٌّ في موضعه، وكذلك استعمال القسوة مرّة والرأفة اُخرى، والمزج بين التقريب والإبعاد لما في طرف اللين والرأفة والتقريب من استقرار قلوبهم في أعمالهم وزراعاتهم التى بها صلاح المعاش، وما في مزاجها بالشدّة والقسوة والإبعاد، من كسر عاديتهم، ودفع شرورهم، وإهانتهم المطلوبة في الدين، واستلزام ذلك نهيه عن استعمال الشدّة والقسوة والإبعاد في حقّهم دائماً، واللين والرأفة والإدناء خالصاً، واستعار لفظ الجلباب لمّا أمره بالاتّصاف به، وهو تلك الهيئة المتوسّطة من اللين المشوب بالشدّة بين اللين الخالص والشدّة الصرفة". [شرح نهج البلاغة لفاضل البحراني ٤:٣٩٨].

أقول: نستنتج من مجموع الفصل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يغفل عن مراعاة حقوق أهل الذمّة من اليهود والنصارى والمجوس الّذين كانوا تحت ذمّة الإسلام رغم قصر فترة حكومته الّتي دامت خمس سنوات، انقضت بالاختلافات الداخليّة والمنازعات مع المارقين والقاسطين والناكثين. وهذا يدلّ على تصرّف ديمقراطي عادل لم تصله أو تطبّقه أرقى النظم الّتي تدّعي الديمقراطيّة في الوقت الحاضر، آملين من الحكومات الإسلاميّة ومحبّي الإسلام العزيز أن يجعلوا من تصرّف أمير المؤمنين عليه السلام في حكومته قدوةً لهم لكي ينبّهوا غير المسلمين لعدالة وسماحة ديننا الحنيف، وعندما يُدركون ذلك عمليّاً يتوجّهون بقلوب عاشقة ملؤها الحبّ والإخلاص للإسلام العزيز، والسلام.

سيرة عليّ مع الغلاة

عن عليّ عليه السلام، قال: "دعاني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: يا عليّ، إنّ فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتّى اتّهموا أُمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزل الّذي ليس به".

فرائد السمطين للجويني ١:١٧٣، الحديث ١٣٤

سبب نشأة الغلاة

كان عليّ عليه السلام مظهر العدالة، مظهر صفات اللّٰه، وكان جامعاً للصفات الحسنة، فهو مغيث الفقراء وسندهم، وهو حاكم المجتمع العادل، كان يقسّم ما في بيت المال بالسويّة مساوياً بين أسودهم وأبيضهم، عربهم وعجمهم، ساداتهم ومواليهم.

كان عابد الليل، وشجاع النّهار.. كان شجعان ذلك العصر يخضعون له ويركعون أمامه ويهابونه، ورغم شجاعته هذه فإنّه كان ينّ لبكاء اليتيم، ولا يتمالك نفسه أمامه.. كان عليّ عليه السلام ثابتاً على الصراط المستقيم، متفانياً في سبيل اللّٰه، ولا تأخذه في اللّٰه لومة لائم.

لقد كانت كلّ صفات جلاله وعظمته هذه تبهر عيون الناظرين، وتسلب لباب المتفكّرين فيه، فغبطه ضعاف الإيمان، وأوغل جماعة منهم في الانحراف عنه والبغض له، حتّى شهروا السيوف بوجهه وقاتلوه، وأشعلوا نيران الحروب ضدّه، وغلا فيه آخرون كانوا لم يعرفوا اللّٰه حقّ معرفته، فاعتقدوا بأنّ عليّاً عليه السلام هو اللّٰه!

لم يكن عليّ عليه السلام هو اللّٰه، وإنّما كان عبداً من عباد اللّٰه الصالحين، وإمام المسلمين، وحجّة اللّٰه ربّ العالمين، عاملاً بكتاب اللّٰه المبين، وسنّة النبيّ صلى الله عليه و آله، لا يعصي اللّٰه ولا يخالفه، يكرم العباد

الّذين اتّقوا، ويغلظ على المارق والنكاث والقاسط كما وصف القرآن مولاة النبيّ الأعظم وأصحابه "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" [سورة الفتح: ٢٩].

فإذا رأى الغالي يقول فيه ما ليس فيه يستتيبه، فإن لم يتب عاقبه أشدّ العقوبة، هكذا كان حال مع الغلاة.

قال ابن أبي الحديد في سبب نشأة الغلاة: وبمقتضى ما شاهد النّاس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر، غَلَا فيه مَن غلا، حتّى نُسِب إلى أنّ الجوهَر الإلهي حلّ في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام، وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه و آله بذلك، فقال: "يهلك فيك رجلان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ".

وقال له تارة أُخرى: "والّذي نفسي بيده، لولا أنّي أشفِق أن تقول طوائف من أُمّتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من النّاس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة". [شرح ابن أبي الحديد ٥:٤، ذيل خطبته عليه السلام: ٥٨ و ٥٩].

أقول: لمّا أخبر الإمام عليه السلام بملأ من أصحابه في الخوارج قبل وقوع الحرب، وقال: "مَصارِعُهُم دُونَ النُّطْفَةِ "ماءِ النّهر"، واللّهِ! لا يُفلِتُ مِنْهُم عَشَرَةٌ، ولا يَهلكُ مِنكُمْ عَشَرَةٌ". [شرح نهج البلاغة: الخطبة ٥٩].

قال ابن أبي الحديد: ووقع الأمر بعد الحرب بما قاله عليه السلام من غير زيادة ونقصان، وذلك أمرٌ إلهيٌّ عرفه من جهة رسول اللّه صلى الله عليه و آله،وعرفه رسول اللّه صلى الله عليه و آله من جهة اللّه سبحانه، والقوّة البشريّة تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره. [انظر شرح ابن أبي الحديد ٥:٤].

بدء ظهور الغلاة

قال الشارح المعتزلي: وأوّل من جهر بالغلوّ في أيّامه عليه السلام عبدُاللّه بن سبأ، قام إليه وهو يخطب: فقال له: أنتَ، أنتَ، وجعل يكرّرها. فقال له: "ويلك! مَن أنا؟". فقال: أنت اللّه، فأمر بأخذه و أخذ قومٍ كانوا معه على رأيه.

وروى أبو العبّاس أحمد بن عبيداللّه، عن عمّار الثقفي، عن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي، عن أبيه وعن غيره من مشيخته، أنّ عليّاً عليه السلام قال: "يهلك فيّ رجلان، محبّ مُطرٍ يضعني غير موضعي، ويمدحني بما ليس فيَّ، ومبغض مفتر يرميني بما أنا منه بري ءٌ".

وقال أبو العبّاس: وهذا تأويل الحديث المروي عن النبيّ صلى الله عليه و آله فيه، وهو قوله صلى الله عليه و آله: "إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتّى بهتت أُمّه". [شرح ابن أبي الحديد ٥:٥].

وفي الوسائل: عن رجال الكشّي، بإسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "إنّ عبدالله بن سبأ كان يدّعي النبوّة، وكان يزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله - تعالى عن ذلك - فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه فسأله فأقرّ، وقال: نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنّك أنتَ الله وأنا نبيّ. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: "ويلك، قد سخر منك الشيطان، فارجع على هذا - ثكلتك أُمّك - وتب"، فأبى، فحبسه، واستتابه ثلاثة أيّام فلم يتب، فأخرجه فأحرقه بالنّار. [وسائل الشيعة ١٨:٥٥٤].

ما فعله بأهل الغلوّ

نقل الشارح المعتزلي عن أبي العبّاس، قال: وقد كان عليّ عليه السلام عثر على قوم خرجوا من محبّته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربّهم، وجحدوا ما جاء به نبيّهم، واتّخذوه ربّاً وإلهاً، وقالوا: أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعّدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخّن عليهم فيها، طمعاً في رجوعهم، فأبوا، فحرقهم بالنّار، وقال:

"ألا تَرَوْن قَدْ حَفَرْتُ حفَراً*** إنّي إذَا رأيْتُ أمراً مُنْكَرا

أوقدت ناري ودعوتُ قنبرا

وروى أصحابنا في كتب المقالات: أنّه لمّا أحرقهم صاحوا إليه: الآن ظهر لنا ظهوراً بيّناً أنّك أنت الإله؛ لأنّ ابن عمّك الّذي أرسلته قال: "لا يُعذِّب بالنّار إلا ربُّ العالمين" [شرح ابن أبي الحديد ٥:٥].

وفي "الوسائل": عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهماالسلام: "أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فرغ من أهل البصرة أتاه سبعون رجلاً من الزطّ، فسلّموا عليه وكلّموه بلسانهم، فردّ عليهم بلسانهم، ثمّ قال: إنّي لستُ كما قلتم، أنا عبد الله مخلوق، فأبوا عليه، وقالوا: أنتَ هو. فقال عليه السلام: لئن لم تنتهوا وترجعوا عمّا قلتم فيّ وتتوبوا إلى الله لأقتلنّكم، فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا، فأمر أن تحفر لهم آبار فحفرت، ثمّ خرق بعضها إلى بعض، ثمّ قذفهم فيها، ثمّ خمّر رؤوسها ثمّ ألهبت النار في بئر منها ليس فيه أحد منهم فيدخل عليهم الدخان فيها فماتوا". [وسائل الشيعة ١٨:٥٥٣].

وفي "شرح ابن أبي الحديد": عن عليّ بن محمّد النوفلي، عن أبيه، عن مشيخته: أنّ عليّاً عليه السلام مرّ بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً، فقال: "أسفر أم مرضى؟" قالوا: ولا واحدة منهما، قال: "أفمن أهل الكتاب أنتم؟"، قالوا: لا، قال: "فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً؟!"، فقالوا: أنتَ، أنتَ! لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عليه السلام عن فرسه فألصق خدّه بالتراب، ثمّ قال: "ويلكم! إنّما أنا عبدٌ من عبيد

اللَّه، فاتّقوا اللَّه وارجعوا إلى الإسلام'، فأبوا، فدعاهم مراراً، فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم ثمّ قال: 'شدّوهم وثاقاً، وعلَيَّ بالفعلة والنّار والحطب'، ثمّ أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل أحدهما سَرَباً [السرب - بفتحتين -: الحفير تحت الأرض].

والأُخرى مكشوفة، وألقى الحَطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحاً، وألقى النّار في الحطب، فدخّن عليهم، وجعل يهتف بهم، ويناشدهم: 'ارجعوا إلى الإسلام'، فأبوا، فأمر بالحطب والنّار، وألقى عليهم، فاحترقوا، فقال الشاعر:

لِترَمِ بِيَ المنيةُ حيثُ شاءت*** إذا لَم تَرمِ بي الحُفرتَين

إذا ما جُثّتا حطباً بنارٍ*** فذاك الموتُ نقداً غيرَ دَينٍ

قال: فلم يبرح واقفاً عليهم حتّى صاروا حُمَماً. [شرح ابن أبي الحديد ٥:٦].

وروى محبّ الدين الطبري بسنده عن عبداللَّه بن شريك العامري، عن أبيه، قال: أُتي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقيل له: إن هاهنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنّك ربّهم، فدعاهم، فقال لهم 'ويلكم، ما تقولون؟'. قالوا: أنت ربّنا وخالقنا ورازقنا.

قال: 'ويلكم، إنّما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعته أثابني إن شاء اللَّه تعالى. وإن عصيت خشيت أن يعذّبني، فاتّقوا اللَّه وارجعوا'، فأبوا فطردهم، فلمّا كان من الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: واللَّه رجعوا يقولون ذاك الكلام، قال: 'أدخلهم علَيَّ'، فقالوا له مثل ما قالوا، وقال لهم مثل ما قال، وقال لهم: 'إنّكم ضالّون مفتونون'، فأبوا. فلمّا أن كان اليوم الثالث أتوه، فقالوا له مثل ذلك القول، فقال: 'واللَّه! لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم أخبث قتلة'، فأبوا إلا أن يموتوا على قولهم، فخدّ لهم أُخدوداً بين باب المسجد والقصر، وأوقد فيه ناراً، وقال: 'إنّي طارحكم فيها أو ترجعون'، فأبوا، فقذف بهم فيها. [ذخائر العقبى: ٩٣].

و فى الاحقاق عن كتاب "البدء والتاريخ" في بيان الفرق، قال: وفرقة تغلو غلوّاً شديداً، وتقول قولاً عظيماً، وهم أصحاب عبداللَّه بن سبأ، يقال لهم: السبأئيّة، قالوا لعليّ عليه السلام: أنتَ إله العالمين، أنتَ خالقنا ورازقنا، وأنت محيينا ومميتنا، فاستعظم عليّ عليه السلام ذلك من قولهم وأمر بهم فأُحرقوا بالنّار، فدخلوا النّار وهم يضحكون ويقولون: الآن صحّ لنا أنّك إله؛ إذ لا يعذّب بالنّار إلا ربّ النّار، وزعم إخوانهم بعد ذلك أنّهم لم تمسّهم النّار، وإنّما صارت عليهم برداً وسلاماً، كما صارت على إبراهيم عليه السلام وعند ذلك قال:

'إنّي إذا رأيت أمراً منكرا*** أجّجتُ ناراً ودعوت قنبرا'

[عن الإحقاق ٨:٦٤٦].

وفي "فرائد السمطين": بسنده عن عثمان بن المغيرة، قال: كنت عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام جالساً، فجاءه قوم فقالوا: أنتَ هو! قال: 'مَن أنا؟'، فقالوا: أنت هو، قال: 'مَن أنا؟'، قالوا: أنت ربّنا! فاستتابهم فأبوا ولم يتوبوا، فضرب أعناقهم، ودعا بحطب ونار فأحرقهم وجعل يرتجز ويقول:

'إنّي إذا رأيت أمراً منكراً*** أوقدتُ ناري ودعوت قنبرا'

[فرائد السمطين ١:١٧٤، ح ١٣٦].

ما جرى على عبدالله بن سبأ ونهاية أمر الغلاة

[اعتبر كثير من المحقّقين والباحثين - منهم السيّد المرتضى العاملي والدكتور طه حسين المصري - أن عبدالله بن سبأ مجرّد أُسطورة لا وجود لها، وضعها المخالفون لعليّ عليه السلام للنيل منه ومن شيعته، ونسبة نشوء التشيّع إلى عبدالله بن سبأ، ولكن بعض المحققين كابن ابى الحديد، اعتبر عبدالله بن سبأ و قال: انّه رأس الغلاة و قال فيه ما قال فى المتن عن أبي العباس.

[

في "شرح ابن أبي الحديد": عن أبي العبّاس، قال: ثمّ إنّ جماعة من أصحاب عليّ، منهم عبدالله بن عبّاس شَغَبُوا في عبدالله بن سبأ خاصّة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنّه قد تاب فاعفُ عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يُقيمَ بالكوفة، فقال: أين أذهب؟ قال عليه السلام: 'المدائن'، فنفاه إلى المدائن.

فلمّا قُتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفةٌ وفرقةٌ يُصدّقونه ويتّبعونه، وقال لمّا بلغه قتلُ عليّ عليه السلام: والله! لو جئتمونا بدماغه في سبعين صُرّة، لعلمنا أنّه لم يمت، ولا يموت حتّى يسوق العربَ بعصاه، فلمّا بلغ ابن عبّاس ذلك قال: لو علمنا أنّه يرجع لما تزوّجنا نساءه، ولا قَسَمْنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات: واجتمع إلى عبدالله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول، منهم: عبدالله بن صبرة الهمداني، وعبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، وآخرون غيرهما، وتفاقم أمرهم، وشاع بين النّاس قولهم، وصار لهم دعوة يدعُون إليها، وشُبهة يرجعون إليها، وهي ما ظهر وشاع بين النّاس من إخباره بالمغيّبات حالاً بعد حال، فقالوا: إنّ ذلك لا يمكن أنْ يكون إلا من الله تعالى، أو مَن حَلَّتْ ذاتُ الإله في جَسده.

ولعمري إنّه لا يقدر على ذلك إلا بإقدار الله تعالى إيّاه عليه، ولكن لا يلزم من إقداره إيّاه عليه أن يكون هو الإله، أو تكون ذات الإله حالّة فيه، وتعلّق بعضُهم بشبهة ضعيفة، نحو قول عمر، وقد فقأ عليّ عليه السلام عين إنسان ألحدَ في الحرم: ما أقول في يد الله، فقأت عيناً في حرم الله!

ونحو قول عليّ عليه السلام: "واللّه! ما قلعتُ باب خيبر بقوّة جسدانيّة، بل بقوّة إلهيّة".

ونحو قولِ رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "لا إله إلا اللّه وحدَهُ، صَدقَ وعده، ونصر عَبده، وهزم الأحزاب وحده"، والّذي هزم الأحزاب هو عليّ بن أبي طالب؛ لأنّه قتل شجاعهم وفارسَهم عَمراً، لمّا اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مغلوبين من غير حربٍ سوى قتل فارسهم. [شرح ابن أبي الحديد ٦:٥].

سيرة عليّ مع المخالفين من عمّاله و ولاته

قال عليّ عليه السلام: "أيّما والٍ احتجب عن حوائج النّاس احتجب اللّه عنه يوم القيامة وعن حوائجه، وإن أخذ هديةً كان غلولاً، وإن أخذ رشوةً فهو مشرك". عقاب الأعمال للصدوق: ٣١٠

كلمة في سيرة عليّ مع المخالفين من عمّاله

كان عليّ عليه السلام حاكماً بالحقّ عادلاً، وما الحكومة لديه إلا أمانة وليست مسرحاً للاستغلال وآلة لتحقيق المآرب، فهو يخاطب الأشعث بن قيس عامله على أذربايجان، ويقول: "وإنّ عملك ليس لك بطعمة، ولكنّه في عنقك أمانة". [شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام: ٨٣٠، الكتاب ٥].

ومن المتيقّن أنّ عليّاً عليه السلام كان ينصب الولاة من أجل خدمة المجتمع وإدارة النظام الإسلامي على أحسن وجه، والرأفة بالرعيّة وتأمين الرفاه لهم، ولم يكن عليّ ليأخذ القرابة بنظر الاعتبار، أو ينصب فلاناً بدافع العلاقات العائليّة والرحميّة أبداً...

لم يكن يتّبع الألاعيب السياسيّة وسيلة لبقائه في الحكم أطول مدّة ممكنة، ولم يكن يتأثّر بالشائعات والأوضاع المفتعلة، ولم يستسلم أمام الضغوط، وإنّما كان يجعل اللّه نصب عينيه، ولا يفكّر إلا في مصلحة الرعيّة، فعندما يرى أنّ المصلحة تقتضي عزل معاوية فإنّه يصدر الأمر بعزله بالرغم من ممانعة من حوله وطلبهم منه إبقاءه في منصبه، فهو لم يرضخ لمطالبهم حتّى وإن أدّى الأمر إلى اشتعال نار الحرب وأدّى ذلك إلى مقتله. فهو كما قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله في حقه: "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ". فحيثما كان الحقّ كان عليّ، بل حيثما كان عليّ كان الحقّ، فلم يكن يرضى أن يظلم حاكم الرعيّة، وما أن يعلم أنّ حاكماً قد ظلم في حكمه حتّى يعزله عن الولاية والحكومة، وربّما وبّخه على فعله، وقد يحبسه ويعزّره، ليعلم جميع الحكّام في البلاد الإسلاميّة أنّ عليّاً لا يرضى إلا برضى اللّه، وما يؤمّن مصلحة المجتمع ولا يحبّ غير ذلك.

وترى حاله يتغيّر في بعض الأحيان إذا ما سمع بأنّ أحد عمّاله قد ظلم، فيتوجّه إلى اللّه تعالى طالباً منه العفو والمغفرة، وأنّه لم يرسله ليظلم النّاس إنّما بعثه ليعدل بينهم.

كان عليّ عليه السلام عادلاً، وكان يتّخذ قراره بما يناسب حجم مخالفة عمّاله، فإذا رأى أنّ هذه المخالفة بسيطة قد يكفيها التذكير والموعظة فعل ذلك، كما فعل ذلك مع عثمان بن حنيف، حيث اكتفى بإرسال كتاب له، وإن كان البعض يرى أنّه عزله عن منصبه.

وإذا ما اتّبعت الحكومات الإسلاميّة - الّتي تدّعي التزامها بالإسلام - سيرة عليّ عليه السلام مع المخالفين من عمّاله فيثيبوا العامل الخدوم، ويعاقبوا المخالف المؤذي للنّاس، فإنّ المسلمين لا يبقون أُسارى رتابة الدوائر، حيارى لا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا، وما هو الطريق الواجب اتّباعه لتتمّ معاملاتهم، ولما سارت أمورهم بهذا البطء.

كان عليّ يأمر عمّاله بالرأفة ويحذّرهم من الخيانة

روى العلامة الزمخشري في "ربيع الأبرار" قال: وقال عليّ عليه السلام لعامله: "انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عَبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَ نْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ. وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا".

و روى الزمخشري أيضاً: وقال عليه السلام للأشتر حين ولاه مصر: "وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ [التعتعة في الكلام: التردّد فيه من حصر أو عيّ، والمراد غير خائف].

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: "لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ". ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ [العِي - بالكسر -: العجز عن النطق].

وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ [الضيق: ضيق الصدر لسوء الخلق].

وَالْأَنَفَ [الأنف - بحركة - الاستنكاف والاستكبار].

يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ [أكناف رحمته: أطرافها].

وَيُوجِبُ لَكَ ثَوابَ طَاعَتِهِ". [ربيع الأبرار ٣:٧٨].

نبذة يسيرة من سيرته مع عمّاله

توبيخ عثمان بن حنيف

في "نهج البلاغة": من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قومٍ من أهلها فمضى إليها: "أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ. وَمَا ظَنَنْتُ أَ نَّكَ تُجِيبُ إلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَ لَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِي ءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَ لَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً".

إلى أن قال: "وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ. وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ - أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ*** وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تحِنّ إلى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!" الحديث. [نهج البلاغة: الكتاب ٤٥].

وفي تعليقة "إحقاق الحقّ" روى عن الهمداني في "ذخيرة الملوك": أنّ عليّاً عليه السلام عزله عن الحكومة. [الإحقاق ٨:٥٤٩، وقد مرّ بيان معاني كلمات الحديث في فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"، فراجعها].

فتأمّل في هذا الكتاب الشريف، وانظر إلى سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في مطعمه وملبسه حينما كان متصدّياً للولاية العامّة، وكانت في قبضته الأموال العامّة وبيت مال المسلمين، وانظر إلى أنّه مع كون المسافة بين الكوفة والبصرة مسافة بعيدة، ولم تكن توجد في تلك العصور ما يوجد اليوم من أجهزة

الاتّصالات، كيف كان أمير المؤمنين يتطلّع على أحوال أُمرائه وعمّاله، وكيف كان يناقشهم في أُمور جزئيّة تبلغه عنهم.

قصة سودة بنت عمارة

في "الفصول المهمّة" لابن الصبّاغ المالكي: بسنده عن سودة بنت عمارة الهمدانيّة "رحمة اللّٰه عليها": أنّها قدمت على معاوية بعد موت عليّ عليه السلام، فجعل معاوية يؤنّبها على تعريضها [كذا في المصدر، والظاهر أنّه: تحريضها].

عليه في أيّام قتال صفّين ثمّ إنّه قال لها: ما حاجتك؟ فقالت: إنّ اللّٰه تعالى مسائلك عن أمرنا، وما فرض عليك من حقّنا، وما فوّض إليك من أمرنا، ولا يزال يقدم علينا من قِبلك من يسمو بمقامك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف، هذا بُسر بن أرطأة قد قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنّا شكرناك، وإلا فإلى اللّٰه شكوانا.

فقال معاوية: إيّاي تعنين، ولي تهدّدين بقومك! لقد هممت - يا سودة - أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه، فينفّذ حكمه فيك، فأطرقت - سودة - ثمّ أنشأت تقول:

صلّى الإله على جسم تضمّنه*** قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً*** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية: مَن هذا يا سودة؟ فقالت: هذا واللّٰه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يريد صلاة، فلمّا رآني انفتل من صلاته، ثمّ أقبل علَيَّ بوجه طلق، ورحمة ورفق، وقال: "لك حاجة؟"، فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر، فبكى، ثمّ قال: "اللّهمّ أنت الشاهد علَيَّ وعليهم، إنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقّك"، ثمّ أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها: بسم اللّٰه الرحمن الرحيم "قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ" [سورة الأعراف: ٨٥].

وإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتّى نقدم عليك مَن يقبضه، والسلام"، ثمّ دفع إلَيَّ الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزولاً.

فقال معاوية: اكتبوا لها بما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية. [الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي:١٢٩، وسفينةالبحار ١:٦٧١،و راجع الاستيعاب بهامش الاصابة ٣:٤٨].

و قد ذكرنا هذه القصة في فصل 'عليّ عليه السلام و اعانة المظلوم و اغاثة الملهوف' و في فصل 'عليّ عليه السلام و اصحابه الكرام' كما سيأتي.

اخذه الهدية من عامله وجعلها في بيت المال

روى ابن وكيع في "أخبار القضاة" بسنده عن عليّ بن ربيعة: أنّ عليّاً عليه السلام استعمل رجلاً من أسد يقال له: ضبيعة بن زهير، فلمّا قضى عمله أتى عليّاً بجراب فيه مال، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ قوماً يهدون لي حتّى اجتمع منه مال، فها هوذا؟ قال: فإنكان لي حلال أكلته، وإنكان غير ذاك فقد أتيتك به؟ فقال عليّ عليه السلام: "لو أمسكته لكان غلولاً"، فقبضه منه وجعله في بيت المال. [أخبار القضاة ١:٥٩].

عزله أبا الأسود عن القضاء

روى ابن الاخوة في "معالم القربة في أحكام الحسبة"، قال: يحكى أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعةً من نهار ثمّ عزله، فقال له: لِمَ عزلتني، فواللّه ما خنت ولا خوّنت؟ قال عليه السلام: 'بلغني أنّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك'. [معالم القربة في أحكام الحسبة: ٢٠٣، نقلاً عن الإحقاق ٨:٥٤٨].

عزل ابن هرمة عن شغله

في "مستدرك الوسائل": أنّه عليه السلام استدرك على ابن هرمة خيانةً، وكان على سوق الأهواز، فكتب عليّ عليه السلام إلى رفاعة: 'فإذا قرأت كتابي هذا فنحِّ ابن هرمة عن السوق، فأوقفه للنّاس واسجنه، وناد عليه واكتب إلى أهل عملك لتعلمهم رأيي، ولا تأخذك فيه غفلة ولا تفريط فتهلك عند اللّه عزّ وجلّ من ذلك، وأعزلك أخبث عزلة، وأُعيذك باللّه من ذلك، فإذا كان يوم الجمعة فأخرجه من السجن فاضربه خمسة وثلاثين سوطاً، وطُف به في الأسواق، فمن أتى عليه بشاهد فحلّفه مع شاهده، وادفع إليه من مكسبه ما شهد به عليه، ومُر به إلى السجن مهاناً مقبوضاً، واحزم رجليه بحزام، وأخرجه من وقت الصلاة، ولا تحل بينه وبين مَن يأتيه بمطعم أو مشرب أو ملبس أو مفرش، ولا تدع أحداً يدخل إليه ممّن يلقّنه اللدد ويرجيه الخلاص، فإن صحّ عندك أنّ أحداً لقّنه ما يَضرُّ به مسلماً فاضربه بالدرّة واحبسه حتّى يتوب، ومُر بإخراج أهل السجن إلى صحن السجن ليتفرّجوا غير ابن هرمة، إلا أنّ تخاف موته، فتخرجه مع أهل السجن إلى

الصحن، فإن رأيت له طاقة أو استطاعة فاضربه بعد ثلاثين يوماً خمسة وثلاثين سوطاً بعد الخمسة وثلاثين سوطاً الأُولى، واكتب إليَّ بما فعلت...'. [مستدرك الوسائل ٣:٢٠٧].

سيرة عليّ مع التجّار و أصحاب الحرف

عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: 'يا معاشر التجّار، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، والله للربا في هذه الأُمّة أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا أيمانهم بالصدق. التاجر فاجر، والفاجر في النار، إلا مَن أخذ الحقّ وأعطى الحقّ'. الكافي ٥:١٥٠

نبذة من الأخبار الواردة في مدح التجارة

اعلم أنّ التجارة شغل شريف لكونها وسيلة لتبادل الموادّ الأوّليّة والمنتجات الصناعيّة والمحاصيل الزراعيّة والحيوانيّة، وهذا التبادل ركن الحياة الاجتماعيّة ونظام الحيويّة المدنيّة، ولذا وردت في مدحه أخبار كثيرة، وحُثّ عليها في الشرع الإسلامي وذمّ تاركها، ونشير هنا إلى نبذة من الأخبار في المقام رعاية للاختصار:

١- في "الخصال": بسنده عن عبدالمؤمن الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'قال رسول الله صلى الله عليه و آله: البركة عشرة أجزاء، تسعة أعشارها في التجارة، والعُشر الباقي في الجلود'. قال الصدوق: يعني بالجلود: الغنم. [الخصال ٢:٤٤٥، باب العشرة، ح ٤٤، وسائل الشيعة ١٢:٣].

٢- وفي "الوسائل": عن عليّ عليه السلام في حديث الأربعمائة، قال: 'تعرّضوا للتجارات، فإنّ لكم فيها غنىً عمّا في أيدي النّاس، وإنّ الله عزّ وجلّ يحبّ المحترف الأمين، المغبون غير محمود ولا مأجور'. [وسائل الشيعة ١٢:٤].

٣- وفي "الكافي": عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله'. [الكافي ٥:٨٨].

٤- وفيه أيضاً: عن فضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي قد كففتُ عن التجارة وأمسكت عنها. قال: 'ولِمَ ذلك، أعجز بك؟ كذلك تذهب أموالكم، لا تكفّوا عن التجارة، والتمسوا من فضل الله عزّ وجلّ'. [الكافي ٥:١٤٩، ووسائل الشيعة ١٢:٧].

وكفى في فضل التجارة أنّها كانت شغل النبيّ صلى الله عليه و آله قبل أن يبعث نبيّاً عليه السلام، فقد سافر إلى الشام في التجارة مع عمّه أبي طالب ثمّ صار عاملاً لخديجة بنت خويلد، وسافر إلى الشام للتجارة مرّة أُخرى، وقد أُعجبت بتجارته وأمانته، فطلبت منه أن يتزوّجها.

عهده إلى مالك الأشتر في أمر التجّار وأصحاب الحرف

حينما ولي عليّ عليه السلام الحكومة توجّه إلى أهل السوق والتجّار وذوي الصناعات، يوصيهم بما هو من صحيح واجبهم، وكذا يوصي ولاته برعاية حقوقهم، والمنع عن الخلاف، وفي عهده عليه السلام المعروف إلى مالك الأشتر النخعي، قال: "ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ [المضطرب بماله: المتردّد به بين البلدان].

وَالْمُتَرَفِّقِ [المترفّق: المكتسب].

بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ [المرافق: ما ينتفع به من الأدوات والآنية].

وَجُلابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ [المطارح: الأماكن البعيدة].

فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ [لا يلتئم النّاس لمواضعها: أي لا يمكن التئام النّاس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة].

النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ [البائقة: الداهية].

وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ. [الغائلة: الشرّ].

وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ. وَاعْلَمْ - مَعَ ذلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً [الضيق: عسر المعاملة. الشحّ: البخل مع حرص، فهو أشدّ من البخل].

وَاحْتِكَاراً [الاحتكار: حبس الطعام والمنافع عن النّاس عند الحاجة إليها، ولا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة].

لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً [التحكيم في البياعات: التطفيف في الوزن والزيادة في العسر].

فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ. فَامْنَعْ مِنَ الْاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: [أي لا ضيق فيه ولا حرج].

بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ. [المتباع هنا: المشتري].

فَمَنْ قَارَفَ [قارف: أي خالط، قارف الذنب وغيره: إذا داناه ولاصقه].

حُكْرَةً [الحُكرة - بالضمّ -: الاحتكار].

بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ". [شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام: ١٠٠٨، الكتاب ٥٣].

نظرة في عهده إلى الأشتر النخعي

وقد وصف عليّ عليه السلام في عهده إلى الأشتر، التجّار بما لا مزيد عليه من خدمتهم في المجتمع الإنساني، وحمايتهم للمدنيّة البشريّة، فقال:

أولاً: "والمضطرب بماله"، أي مَن يجعل ماله متاعاً يدور به في البلاد البعيدة، يقطع المفاوز، ويعرّض نفسه للأخطار ليوصل حوائج كلّ بلد إليه.

وقال ثانياً: "فإنّهم موادّ المنافع وأسباب المرافق"، فقد اهتمّت الدول الراقية والشعوب المتقدّمة في هذه العصور بأمر التجارة، وأدركوا حقيقة ما أفاده عليه السلام في هذه الجملة القصيرة قبل قرون طويلة من أنّ التجارة مواد المنافع. وقد أبلغ عليه السلام في ما أفاده بما للتجارة من الأهمّية في أمر الاقتصاد، حيث جاء بكلمة الموادّ جمعاً مضافاً مفيداً للعموم، وبكلمة المنافع جمعاً معرّفاً باللام مفيداً للاستغراق، فأفاد أنّ كلّ مادّة لكلّ منفعة مندرجة في أمر التجارة، فالتجارة تحتاج إلى ما يتّجر به من الأمتعة، وإلى سوق تباع فيه تلك الأمتعة، ثمّ يؤخذ بدلها متاع آخر، ويبدّل بمتاع آخر، فيستفاد من هذه المبادلات كلّها أرباحاً.

وقد بلغت أهمّية التجارة في أعصارنا الحاضرة حدّاً بحيث صارت محوراً للسياسة العامّة للدول الكبيرة، وصار حمل مواردها من النفط والذهب والفضّة والمحاصيل الزراعيّة إلى البلاد الأُخرى أساساً لسياستها، ومثاراً للحروب الهائلة، ومداراً للمعاملة مع الشعوب، وسبباً للتسلّط على الشعوب المستضعفة.

وقد نبّه عليّ عليه السلام في عهده على أنّ الروابط التجارية سبب استقرار السلم والصلح بين أفراد الأُمّة والمجتمع وبين الشعوب، فقال عليه السلام: "فإنّهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته"، فيا لها من جملة ذهبيّة حيّة في هذه القرون المعاصرة، حيث يتعطّش العالم إلى استقرار السلم العالمي بين الشعوب، ولا يخفى أنّه فسّر البائعة بالداهية، وهذا يعني أنّ التجارة الحرّة السالمة ليس فيها دهاء ومكر وسوء قصد من قبيل الاستعمار والتسلّط، بل فيها صلح ليس وراءه مضرّة وهلاك.

وأمّا أمره عليه السلام بتفقّد أحوال التجّار والإشراف عليهم، فهو تتمّة لوصيّته بهم بالخير ولحماية رؤوس أموالهم من التلف، والسرقة من قِبل اللصوص، وهذه توصيته بإقرار الأمن في البلاد وفي طريق التجارة بحراً وبرّاً، وقد التفتت الأُمم الراقية إلى ذلك، فاهتمّوا باستقرار الأمن في البلاد والطرق، وبحفظ رؤوس الأموال التجاريّة عن المكائد والدسائس المهلكة لها.

ثمّ نبّه عليه السلام في عهده إلى خطر في أمر التجارة يتوجّه إلى عامّة النّاس المحتاجين في معاشهم إلى شراء الأمتعة من الأسواق، وهو مرض الشحّ والبخل وطلب الادّخار والاستكثار من المال، الكامن في طبع كثير من التجّار، فإنّه يؤول إلى الاستعمار والتسلّط على أُجور الزرّاع والعمّال، وقد ينتهي إلى أن يؤخذوا

عبيداً وأسرى لأصحاب رؤوس الأموال، فوصفهم بقوله عليه السلام: 'أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً'، أي حبّاً عظيماً لجلب المنافع وازدياد صيد الأموال المختصّة به، وربّما بلغ حدّ الجنون ولا يكتفي بالمليارات. 'وشحّاً قبيحاً' يمنع من بذل ما يزيد على حاجته، ولا يقدر على حفظه وحصره لعامّة النّاس.'واحتكاراً للمنافع' بلا حدّ ولا حساب، فيكون حاله كجهنّم كلّما قيل لها: هل امتلأت؟ تقول: هل من مزيد. 'وتحكّماً في البياعات: أي يؤول ذلك الحرص الجهنّمي إلى تشكيل الشركات الجبّارة، فيجمعون حوائج النّاس بمكائدهم وقوّة رؤوس أموالهم ويبيعونها بأيّ سعرٍ أرادوا، وبأيّ شروط خبيثة تحفظ مزيد منافعهم، وتقهر النّاس وتشدّد سلاسل مطامعهم ومظالمهم على أكتافهم، ولذا استنتج عليه السلام من ذلك مفسدتين مهلكتين:

الأُولى: قوله: 'وذلك باب مضرّة للعامّة'، وأي مضرّة أعظم من الأسر الاقتصادي في أيدي أصحاب رؤوس الأموال مصّاصي دماء النّاس.

الثانية: قوله: 'وعيب على الولاة'، وأيّ عيب أقبح من تسليم الأُمّة إلى هذا الأسر المهلك. فشرع عليّ عليه السلام في بيان كيفيّة محاربة هذه المفاسد بقوله: 'فامنع من الاحتكار' المنع من الاحتكار للمنافع والبضائع، يعني كما لا يجوز احتكار البضائع طلباً لزيادة الربح، فكذا لا يجوز احتكار المنافع المقصود منه الحرص على أخذ الأرباح والمنافع من التجارات زائداً عن المقدار المشروع على الوجه المشروع، بحيث يؤدّي هذا الحرص والطمع إلى تشكيل الشركات والقيام بالاحتكارات الّتي شاعت في هذه العصور، ومال إليها أرباب رؤوس الأموال الهامّة في الشركات النفطيّة والمعدنيّة.

والشاهد على عدم جواز أخذ المنافع من خلال انحصار الأموال في الشركات، ما رواه في "الكافي" بإسناده عن أبي جعفر الفزاريّ، قال: دعا أبو عبداللّٰه عليه السلام مولىً له يقال له مصادف، فأعطاه ألف دينار، وقال له: 'تجهّز حتّى تخرج إلى مصر، فإنّ عيالي قد كثروا'، قال: فتجهّز بمتاع وخرج مع التجّار إلى مصر، فلمّا دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر، فسألوهم عن المتاع الّذي معهم ما حاله في المدينة، وكان متاع العامّة، فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه شيء ، فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً. فلمّا قبضوا أموالهم وانصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبداللّٰه عليه السلام ومعه كيسان كلّ واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك، هذا رأس المال، وهذا الآخر ربح. فقال عليه السلام: 'إنّ هذا الربح كثير، ولكن ما صنعته في المتاع؟'، فحدّثه كما صنعوا وكيف تحالفوا.

فقال عليه السلام: 'سبحان اللّه، تحلفون على قوم مسلمين أن لا تبيعوهم إلا ربح الدينار ديناراً'، ثمّ أخذ عليه السلام أحد الكيسين، وقال: 'هذا رأس مالي، ولا حاجة لنا في هذا الربح'. ثمّ قال: 'يا مصادف، مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال'. [فروع الكافي ٥:١٦١، والتهذيب ٧:١٣، ووسائل الشيعة ١٢:٣١١].

فيستفاد من هذا الحديث أنّ التجّار قد فرضوا أمراً في معاملتهم مع أهل مصر، وهم محتاجون إلى المتاع، فأخذوا منهم مائة في المائة من الربح، فلمّا اطّلع الإمام عليه السلام على عملهم لم يتصرّف في هذا الربح لأنّه مأخوذ من أرباب الحاجة إلى متاع بالتحالف وإيجاد الانحصار، وهذا هو عين ما يستعمله أصحاب الشركات ورؤوس الأموال في هذا العصر، وهو ما عبّر عنه عليّ عليه السلام باحتكار المنافع والتحكّم في البياعات.

لقد تبيّن بما ذكرنا أنّ توصيته عليه السلام مالك الأشتر بالتجّار وذوي الصناعات إذا كان عملهم سبباً للصلح وإرفاق النّاس في الأسواق، وأمّا إذا كان عملهم موجباً للظلم وجلب المنافع واحتكارها، فللحاكم المنع عنهم حتّى لا يتضرّر العامّة ولا يعاب على الولاة.

مراقبته السوق ونصيحة الباعة برعاية الموازين الشرعيّة

١- في "الكافي": بإسناده عن أبي حمزة، رفعه، قال: 'قام أمير المؤمنين عليه السلام على دار ابن أبي معيط، وكانت يقام فيها الإبل، فقال: يا معاشر السماسرة [السمسار: الّذي يتوسّط بين البائع والمشتري، وأيضاً مالك الشي ء وقيّمه].

أقلّوا الأيمان، فإنّها منفقة للسلعة، ممحقة للربح'. [الكافي ٥:١٦٢، ووسائل الشيعة ١٢:٣٠٩].

٢- وفيه أيضاً: بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: 'يا معشر التجّار، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، واللّه للربا في هذه الأُمّة أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا أيمانكم بالصدق [وفي الفقيه: 'صونوا أموالكم بالصدقة'].

التاجر فاجر، والفاجر في النّار، إلا من أخذ الحقّ وأعطى الحقّ'. [الكافي ٥:١٥٠، ووسائل الشيعة ١٢:٢٨٢، قوله: 'الدبيب': المشي الخفيف، و'الصفا': الحجر الصلد].

٣- وفي حديث آخر عن عليّ عليه السلام أنّه قال: 'مَن اتّجر بغير علم ارتطم في الربا، ثمّ ارتطم'، قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "لا يقعدنّ في السوق إلا مَن يعقل الشراء والبيع'. [فروع الكافي ٥:١٥٤، ووسائل الشيعة ١٢:٢٨٣].

٤- وفيه أيضاً عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: 'كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كلّ يوم بكرة من القصر فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمّى السبيبة، فيقف على أهل كلّ سوق، فينادي: يا معشر التجّار، اتّقوا اللّه، فإذا سمعوا صوته ألقوا ما بأيديهم، وارعوا إليه بقلوبهم، وسمعوا بآذانهم، فيقول: قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المتباعين [واقتربوا...: أي لا لا تغالوا في الثمن فينفروا].

وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا: 'وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا النّاس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين'، فيطوف في جميع أسواق الكوفة، ثمّ يرجع فيقعد للنّاس'. [الكافي ٥:١٥١، ووسائل الشيعة ١٢:٢٨٣، و نحوه في أمالي الصدوق - المجلس الخامس والسبعون: ح ٦].

وزاد الشيخ المفيد في آخره: 'وكان إذا نظروا إليه قد أقبل إليهم، قال: يا معشر النّاس، أمسكوا أيديهم وأصغوا إليهم بآذانهم، ورمقوه بأعينهم حتّى يفرغ عليه السلام من كلامه، فإذا فرغ قالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين'. [أمالي المفيد: ١٩٧ - المجلس الثالث والعشرون، ح ٣١].

٥- وروى أبو إسحاق الثقفي الكوفي في "الغارات": بسنده عن أبي حصين، عن مختار التمّار، عن أبي مطر، وكان رجلاً من أهل البصرة، قال: كنت أبيت في مسجد الكوفة، وأبول في الرحبة، وآكل الخبز بزق البقال [وفي البحار: 'وأخذ الخبز من البقال'].

فخرجت ذات يوم أُريد بعض أسواقها فإذا بصوت بي، فقال: 'يا هذا، ارفع إزارك فإنّه أنقى لثوبك واتّقي لربّك'. قلت: مَن هذا؟ فقيل لي: هذا أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب، فخرجت اتّبعه وهو متوجّه إلى سوق الإبل، فلمّا أتاها وقف في وسط السوق، فقال: 'يا معشر التجّار، إيّاكم واليمين الفاجرة، فإنّها تنفق السلعة وتمحق البركة'. ثمّ أتى سوق الكرابيس، فإذا هو برجل وسيم، فقال: 'يا هذا، عندك ثوبان بخمسة دراهم؟'، فوثب الرجل فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فلمّا عرفه مضى عنه وتركه، فوقف على غلام، فقال له: 'يا غلام، عندك ثوبان بخمسة دراهم؟'، قال: نعم، عندي ثوبان، أحدهما أخير من الآخر، واحد بثلاثة والآخر بدرهمين. قال: 'هلمّهما'، فقال: 'يا قنبر، خذ الّذي بثلاثة'. قال: أنت أوْلى به - يا أمير المؤمنين - تصعد المنبر، وتخطب النّاس.

فقال: 'يا قنبر، أنت شاب ولك شِرّة [شرّة الشباب: حرصه ونشاطه].

الشباب، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك؛ لأنّي سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون'، ثمّ لبس القميص ومدّ يده في رُدنه [الردن - بالضمّ -: أصل الكمّ]. فإذا هو يفضل عن أصابعه، فقال: 'يا غلام، اقطع هذا الفضل'، فقطعه، فقال الغلام: هلمّه أكفّه يا شيخ، فقال: 'دعه كما هو، فإنّ الأمر أسرع من ذلك'. [الغارات ١:١٠٥].

٦- وفي "الاستيعاب": عن أبحر بن جرموز، عن أبيه، قال: رأيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريتان مئتزراً بالواحدة ومرتدياً بالأُخرى، وإزاره إلى نصف الساق، وهو يطوف في الأسواق، ومعه درّة، يأمرهم بتقوى اللّٰه وصدق الحديث، وحسن البيع، والوفاء بالكيل والميزان. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤٨].

٧- وفي "كشف الغمّة": عن المختار بن نافع، عن أبي مطر، قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: 'ارفع إزارك فإنّه أتقى [كذا في المصدر، ولعلّه تصحيف: 'أنقى لثوبك']. لثوبك، وأبقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً'، فمشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتدٍ برداء ومعه الدرّة كأنّه أعرابي بدويّ، فقلت: مَن هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد؟ قلت: أجل، أنا رجل من أهل البصرة. قال: هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، حتّى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو سوق الإبل، فقال: 'بيعوا ولا تحلفوا، فإنّ اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة'.

ثمّ أتى أصحاب التمر، فإذا خادم تبكي، فقال: 'ما يبكيك؟'، قالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فردّه مواليّ، فأبى أن يقبله، فقال له عليّ عليه السلام: 'خذ تمرك وأعطها درهمها، فإنّها خادم ليس لها أمر'، فدفعه، فقلت: أتدري مَن هذا؟ فقال: لا، فقلت: هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، فصبّ تمره وأعطاها درهمها، وقال: أُحبّ أن ترضى عنّي يا أمير المؤمنين. فقال: 'ما أرضاني عنك إذا وفيتهم حقوقهم'. ثمّ مرّ مجتازاً بأصحاب التمر، فقال: 'يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين يربو كسبكم'.

ثمّ مرّ مجتازاً ومعه المسلمون حتّى أتى إلى أصحاب السمك، فقال: 'لا يباع في سوقنا طاف'، ثمّ أتى دار فرات، وهي سوق الكرابيس، "فأتى شيخاً" فقال: 'يا شيخ، أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم'، فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئاً، ثمّ أتى آخر فلمّا عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين، يقول في لبسه: 'الحمد للّٰه الّذي رزقني من الرياش ما أتجمّل به في النّاس، وأُواري به عورتي'. فقيل له: يا أمير المؤمنين، هذا شيء ترويه عن نفسك، أو شيء سمعته من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟

قال عليه السلام: 'بل شيء سمعته من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقوله عند الكسوة'، فجاء أبو الغلام صاحب الثوب، فقيل له: يا فلان، قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهمين؟ فأخذ منه أبوه درهماً، وجاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس على باب الرُّحبة ومعه المسلمون، فقال: امسك هذا الدرهم يا أمير المؤمنين. قال: 'ما شأن هذا الدرهم؟'، قال: كان ثمن قميصك درهمين، فقال: 'باعني رضاي وأخذ رضاه'. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢١٩، ونحوه في البداية والنهاية ٨:٤، نقلاً عن الإحقاق ٨:٦٦٣].

٨- وروى أبو إسحاق الثقفي الكوفي في "الغارات": عن أبي سعيد، قال: كان عليّ عليه السلام يأتي السوق فيقول: 'يا أهل السوق، اتّقوا اللَّه، وإيّاكم والحلف، فإنّه ينفق السلعة، ويمحق البركة، فإنّ التاجر فاجر إلا مَن أخذ الحقّ وأعطاه، السلام عليكم'، ثمّ يمكث الأيّام، ثمّ يأتي فيقول مثل مقالته، فكان إذا جاء قالوا: قد جاء المرد شكنبة [حيث إنّ كثيراً من تجّار الكوفة كانوا من رجال الفرس، ولذا يقولون بالفارسيّة: 'مردى كه شكم دارد'].

فكان يرجع إلى سرُته فيقول: 'إذا جئت قالوا: قد جاء المرد شكنبة، فما يعنون بذلك؟'، قيل له: يقولون قد جاء عظيم البطن، فيقول عليه السلام: 'أسفله طعام، وأعلاه علم. [وفي الخصال ١:١٨٩: في حديث سئل عن كبر بطنه عليه السلام، فقال: 'وأمّا كبر بطني، فإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علّمني باباً من العلم، ففتح لي ذلك الباب ألف باب، فازدحم العلم في بطني، فنفجت عنه عضوي'. نفجت: عظمت وارتفعت].

[الغارات ١:١٠٩].

٩- روى أبو إسحاق الثقفي الكوفي أيضاً: بسنده عن الحارث بن عبداللَّه الأعور الهمداني، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه دخل السوق فقال: 'يا معشر اللحّامين، مَن نفخ منكم [النفخ في اللحم: يحتمل وجهين: الأوّل: ما هو الشائع من النفخ في الجلد لسهولة السلخ، والثاني: التدليس الّذي يفعله بعض النّاس من النفخ في الجلد الرقيق الّذي على اللحم ليرى سميناً، وهذا أظهر].

في اللحم فليس منّا'، فإذا هو برجل مولّيه ظهره، فقال: كلا والّذي احتجب بالسبع، فضربه عليّ عليه السلام على ظهره، ثمّ قال: 'يا لحّام، ومَن الّذي احتجب بالسبع؟'، قال: ربّ العالمين، يا أمير المؤمنين، فقال له: 'أخطأت ثكلتك أُمّك، إنّ اللَّه ليس بينه وبين خلقه حجاب، لأنّه معهم أينما كانوا'، فقال الرجل: ما كفّارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: 'أن تعلم أنّ اللَّه معك حيث كنت'، قال: أطعم المساكين؟ قال: 'لا، إنّما حلفت بغير ربّك'. [الغارات ١:١١١].

١٠- و رواه أيضاً: بسنده عن النعمان بن سعد، عن عليّ عليه السلام، قال: كان عليّ عليه السلام يخرج إلى السوق ومعه الدرّة فيقول: "إنّي أعوذ بك من الفسوق، ومن شرّ هذه السوق". [المصدر المتقدّم: ١١٣].

١١- عن عليّ عليه السلام أنّه مرّ بجارية تشتري لحماً من قصّاب وهي تقول: زدني، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: "زدها، فإنّه أعظم للبركة". [الكافي ٥:١٥٢، وكنز العمّال ٤:٣٨، ح ٩٣، وفيه: فقال عليه السلام: "زدها فإنّه أبرك للبيع"].

١٢- وفي "الوسائل": عن أبي البختري، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه: أنّ عليّاً عليه السلام كان ينهى عن الحكرة في الأمصار' الحديث. [وسائل الشيعة ١٢:٣١٤].

أقول: ولذلك كان يعاقب المحتكر بالعقوبة الشديدة.

١٣- روى ابن حزم في "المحلّى": بسنده عن أبي الحكم: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أحرق طعاماً احتكر بمائة ألف. [المحلّى ٦:٦٥، نقلاً عن الدراسات ٢:٢٦٦].

١٤- وروى فيه أيضاً: عن حُبيش، قال: أحرق لي عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيادر بالسواد كنتُ احتكرتُها، لو تركها لربحتُ فيها مثل عطاء الكوفة. [المحلّى ٦:٦٥، نقلاً عن الدراسات ٢:٢٦٦].

سيرة عليّ في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

قال عليّ عليه السلام: "لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيوَلّى عليكم أشرارُكم، ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم".

شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام: ٩٦٨، الكتاب ٤٧

كلمة في أهمّية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ الفرائض الّتي حثّ عليهما القرآن والسنّة، بل عليهما يبتني بقاء أساس الدين واستمرار الرسالة النبويّة وحفظ نظام المسلمين، وهذه الفريضة شُرّعت لجميع المسلمين وهي باقية إلى يوم القيامة، وقد اعتبر جميع المسلمين مسؤولين إجمالاً عن تطبيقها ونشرها وحفظها، ومن هنا كان على الأُمّة الإسلاميّة وخصوصاً إمامها وممثّلها أن تراقب بكلّ وجودها أوضاع المجتمع، وأن تجدّ في نشر المعروف وبذر الخير، وتعمل على قلع جذور الشرّ وإنكاره.

وقد بلغت هذه الفريضة من الأهمّية حدّاً جعلها أمير المؤمنين عليه السلام فوق الجهاد وجميع أعمال البِرّ بمراتب، فقال عليه السلام في نهج البلاغة: "وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِلا كَنَفْثَةٍ [النفثة - كالنفخة -: يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ].

فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ. [بحر لجّي: كثير الموج].

وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ". [نهج البلاغة لفيض الإسلام: ١٢٥٣، الحكمة ٣٦٦].

وعدّهما عليه السلام في موضعٍ آخر من نهج البلاغة من شعب الجهاد، فعن أبي جُحيفة، قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسَفَلُهُ أَعْلاَهُ". [المصدر المتقدّم: ١٢٥٤، الحكمة ٣٦٧].

والسرّ في ذلك أنّ قوام كلّ الفرائض وبقاءها رهن بإقامة هاتين الفريضتين، مضافاً إلى أنّ الجهاد كفاح خارجيّ، ولا أثر له ولا أهمّية ما لم يصلح الداخل، فالواجب أوّلاً تطهير الداخل وإصلاحه ثمّ الإقدام على إصلاح الخارج. [انظر: دراسات في ولاية الفقيه ٢١٥ - ٢١٣ :٢].

وقد وردت آيات وأخبار كثيرة في فضل هذه الفريضة وأهمّيتها، نذكر منها

الآيات

١- قوله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ". [سورة التوبة: ٧١].

فالحكم في الآية عامّ لكلّ مؤمنٍ ومؤمنة، ولا يحتاج إلى الإذن من الحاكم، وهو في هذا كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والظاهر من الولاية في الآية: "بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" أنّها سلطة الشخص وأولويّته، فاللّه تعالى بولايته العامّة على عباده جعل لكلّ مؤمن ومؤمنة حقّ الولاية والسلطة على غيره، ليكون له حقّ الأمر والنهي، غاية الأمر أنّ الولاية لها مراتب، والولاية في الآية محدودة بمقدار جواز الأمر والنهي، والظاهر منها هو الأمر والنهي بالقلب واللسان لا باليد وما فوقها.

٢- قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ". [سورة آل عمران: ١١٠].

والظاهر أنّ الخطاب للمسلمين، والمراد بالنّاس جميعُ النّاس من المسلمين وغيرهم، والإخراج في قوله تعالى: "أُخْرِجَتْ" هو الخلق والإظهار، والمعنى - واللّه العالم -: أنّ المسلمين بما هم مسلمون خير أُمّةٍ خُلقت وأُخْرِجَت لنفع المجتمعات البشريّة، وملاك كونهم خيرُ الأُمم: نشرهم للمعروف، وردعهم عن المنكر، وإصلاحهم المجتمعات.

روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: "أنتم وَفَّيتُم سبعين أُمّة، أنت خيرُها، وأكرمها على اللّه". [تفسير مجمع البيان ٤٨٦: ٢].

٣- قوله تعالى: "التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ". [سورة التوبة: ١١٢].

فالموضوع في الآية جميع المؤمنين وليس جمعاً خاصّاً منهم، كما يظهر ذلك من الآية الّتي قبلها، أعني قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ". [سورة التوبة: ١١١].

لكن بعد تحقّق الأوصاف المذكورة من التوبة والعبادة والحمد والركوع والسجود، يأمر وينهي، فهذه ثلاثة آياتٍ ظاهرة في كون الفريضة المذكورة، فريضة عامّة كسائر الفرائض، ولا تشترط بشروط ولا تحدّ بحدود، وحدودها صرف الإنكار بالقلب عند مشاهدة المنكر، وإظهاره باللسان فيما يجب الأمر به أو النهي عنه.

أمّا إذا توقّف على الضرب والجرح وما فوقهما فالظاهر أنّه لا يجوز، وعلى الأقلّ فهما لا يجبان إلا مع إذن الحاكم المسلّط على الأمور.

ويستفاد من بعض الآيات كون الوجوب فيها يتلعّق بجمع خاصّ، منها:

٤- قوله تعالى: "وَلِتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". [سورة آل عمران: ١٠٤].

فالمستفاد من الآية أنّه يجب على جميع المسلمين السعي في تحديد جماعة خاصّة من المسلمين لهذا الشأن، ويؤيّد ذلك بعض ما ورد في الاحاديث كما سيأتي.

٥- قوله تعالى: "الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ". [سورة الحجّ: ٤١].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية يتوقّفان على القدرة والتمكّن لا مطلقاً، وهذه القدرة يتمتّع بها جماعة خاصّة لا عامّة المسلمين.

٦- قوله تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ". [سورة الأعراف: ١٥٧].

فهذه الآية دالة على وجوب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر لمن يتبع النبيّ صلى الله عليه و آله.

الاخبار المأثورة في الباب

١- في موثّقة مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعتُه يقول وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجبٌ هو على الأمّة جميعاً؟ فقال: "لا".

فقيل له: ولِمَ؟ قال: "إنّما هو على القويّ المُطاع العالمِ بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الّذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيٍّ من أيٍّ - يقول: من الحقّ إلى الباطل - والدليل على ذلك كتاب الله: "وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"، فهذا خاصّ غير عامّ.

كما قال الله عزّ وجلّ: "وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" [سورة الأعراف: ١٥٩].

ولم يقل على أُمّة موسى ولا على كلّ قومه، وهم يومئذٍ أُممٌ مختلفة، والأُمّة واحد فصاعداً، كما قال الله عزّ وجلّ: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ" [سورة النحل: ١٢٠].

يقول: مطيعاً لله عزّ وجلّ، وليس على مَن يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لا قوّة له ولا عدد ولا طاعة".

قال مسعدة: وسمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وسئل عن الحديث الّذي جاء عن النبيّ صلى الله عليه و آله: "إنّ أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند إمام جائر" ما معناه؟ قال: "هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه، وإلا فلا". [وسائل الشيعة ١١: ٤٠٠].

٢- ومنها: ما في "نهج البلاغة": عن محمّد بن جرير الطبري، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، أنّه قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام: "أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِىءَ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذٰلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ". [نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٣].

والظاهر أنّ هذا الحديث في مقام بيان مراتب هذه الفريضة في الفضل والأجر.

٣- ومنها - وهو من الأخبار الجامعة - ما رواه في الوسائل، عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: "لا تزال أُمّتي بخيرٍ ما أمروا بالمعروف ونَهوا عن المُنكر، وتعاوَنوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعتْ منهم البركات، وسُلِّط بَعْضُهُم على بعض، ولم يكن لَهُم ناصرٌ في الأرض ولا في السماء'. [وسائل الشيعة ١١:٣٩٨].

٤- ومنها: ما جاء في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام قبيل وفاته: 'لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولّى عليكم أشرارُكم، ثمّ تدعونَ فلا يُستجاب لكم'. [نهج البلاغة: الكتاب ٤٧].

٥- وفي "الوسائل": عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: 'كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: إذا أُمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من اللّٰه تعالى'. [وسائل الشيعة ١١:٣٩٤].

والسرّ في ذلك أنّ الأُمّة الإسلاميّة إذا راعت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واهتمّت بصلاح المجتمع صارت أُمّة صالحة والعلاقات بينها وثيقة، وكانت كالبنيان المرصوص يدعم بعضه بعضاً، وعندئذٍ ترأسها فئة منها صالحة عادلة لا محالة، وأمّا إذا لم تهتمّ بهذه الفريضة، واتّكل كلّ واحد على الآخر، واتّبع ما يشتهيه ويهواه، صارت أُمّة مشتّتة متفرّقة متباغضة، يلعن بعضها بعضاً، فيغتنم الأشرار والكفّار هذه الفرصة فيترأّسون عليها، ويغتصبون حقوقها وذخائرها وإمكاناتها، كما هو المشاهد في أعصارنا في أكثر البلاد الإسلاميّة، ولا يرفع عنهم السوء والشرّ بالدعاء إلا أن يغيّروا ما بأنفسهم: 'إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ'. [سورة الرعد: ١١].

والحديث المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام يرفع القناع عن هذه الحقيقة، ففي "الغارات": بسنده عن شهر بن حوشب أنّ عليّاً عليه السلام قال لهم: 'إنّه لم يهلك مَن كان قَبلَكُم من الأُمم إلا بحيث ما أتوا من المعاصي، ولم ينههم الربّانيّون والأحبار، فلمّا تمادوا في المعاصي، ولم ينههم الربّانيّون والأحبار عمّهم اللّٰه بعقوبة، فأمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الّذي نزل بهم، واعلموا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُقرّبان من أجل، ولا ينقصان من رزق، فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفسٍ بما قدّر اللّٰه لها من زيادة أو نقصان في نفسٍ أو أهلٍ أو مالٍ. فإذا كان لأحدكم نقصان في ذلك وهو يرى لأخيه عفوة [العفوة: خيار الشي ء].

فلا يكوننّ له فتنة.

فإنّ المرء المسلم ما لم يفش دناءة يظهر فيخشع لها إذا ذكرت وتغرى بها لئام النّاس، كان كالياسر الفالح ينتظر أوّل فوزة من قداحه يوجب له بها المغنم، ويذهب عنه بها المغرم، فذلك المرء البري ء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين؛ إمّا داعي اللَّه فما عند اللَّه خيرٌ له، وإمّا رزق من اللَّه واسع، فإذا هو ذو أهلٍ ومالٍ ومعه دينه وحسبه، المالُ والبنون حرثُ الدُّنيا والعملُ الصالح حرثُ الآخرة، وقد يجمعهما اللَّه لأقوام'. [الغارات ١:٧٩].

وعلى هذا يجب على كلّ مسلم السعي في نشر المعروف وإشاعته وقطع جذور المنكر والفساد، والسعي في إقامة الحدود الإلهيّة بقدر المُكنة والقدرة، غاية الأمر أنّ القيام بهذا العمل إذا استلزم الجراح فإنّه مشروط بإذن الإمام والحاكم، فيجب الاستئذان منه وإيقاع العمل تحت إشراف حكمه لئلا يلزم الهرج والمرج والاختلال.

ولو فرض ضعف الحكومة وقلّة أعوانها وجب إعانتها ومساعدتها في نشر المعروف ودفع المنكر، ولو فرض عدم وجود الحكومة الحقّة العادلة وجب على الجميع السعي إلى تحقيقها لذلك، ولو بتشكيل دويلة صغيرة في منطقة معيّنة، فلا يجوز للمسلمين أن يقعدوا في بيوتهم ولا يبالوا بما يقع في مجتمعهم من الفحشاء والفساد وإراقة الدماء، وغصب الأموال، وهتك النواميس، وهضم الكفّار والصهاينة لحقوق المسلمين والمستضعفين بحجّة أنّ رفع هذه المفاسد كلّها من وظائف الحاكم. [راجع: دراسات في ولاية الفقيه ٢:٢١٩].

والتحقيق أنّ هذه الفريضة من نوع الواجبات الكفائيّة، أي أنّها متعلّقة بكلّ واحد من المكلّفين بحيث لو أخلّ بامتثالها الكلّ لعوقبوا على مخالفتها جميعاً، وتسقط عنهم لو أتى بها بعضهم.

وبعدما مرّ منّا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نرجع إلى أصل البحث وهو سيرة عليّ عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نماذج ممّا برز من صور أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

ما رواه مطرف عن علي

في "التراتيب الإداريّة" للكناني، عن مسند عبد بن حميد، عن مطرف، قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: 'ارفع إزارك فإنّه أنقى لثوبك وأبقى له'، فمشيتُ خلفه وهو بين يدي مؤتزر بإزارٍ، مرتدٍ برداءٍ ومعه الدرّة كأنّه أعرابيّ بدويّ، فقلت: مَن هذا؟ فقال لي رجل: هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام حتّى انتهى إلى الإبل، فقال: 'بيعوا ولا تحلفوا، فإنّ اليمين تنُفق السلعة، وتُمحق البركة'، ثمّ أتى

إلى أصحاب التمر فإذا خادمٌ يَبكي فقال: 'ما يُبكيك؟'، قال: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فردّه علَيَّ مولاي، فقال له عليّ عليه السلام: 'خذ تمرك وأعطه درهمه، فإنّه ليس له من الأمر شيء '، فدفعه. [التراتيب الإدارية ١:٢٨٩، نقلاً عن دراسات في ولاية الفقيه ٢:٢٦٩، ورواه في الغارات ١:١٠٤، وكنز العمّال ١٣:١٨٣، ح ٣٦٥٤٧، عن مطر مع تفاوت. ط. مؤسّسة الرسالة].

انه يمشي في الأسواق و يضرب بها المطفف

وفي "دعائم الإسلام": عن عليّ عليه السلام أنّه كان يمشي في الأسواق وبيده درّة يضرب بها مَن وجد من مُطففٍ أو غاشٍّ في تجارةِ المسلمين. قال الأصبغ: قلت له يوماً: أنا أكفيك هذا يا أمير المؤمنين، واجلس في بيتك؟ قال: 'ما نصحتني يا أصبغ'.

وكان يركب بغلة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الشهباء ويطوف في الأسواق سوقاً سوقاً، فأتى يوماً طاق اللحّامين، فقال: 'يا معشر القصّابين، لا تعجّلوا الأنفس قبلَ أن تزهق، وإيّاكُم والنفخ في اللحم'.

ثمّ أتى التمّارين، فقال: 'اظهروا من ردي ء بيعكم ما تظهرون من جيّده'.

ثمّ أتى السمّاكين، فقال: 'لا تبيعوا إلا طيّباً، وإيّاكم وما طفا'.

ثمّ أتى الكناسة وفيها من أنواع التجارة من نخّاس، وقمّاط، وبائع إبل، وصيرفيّ، وبزّاز، وخيّاط، فنادى بأعلى صوت: 'يا معشر التجّار، إنّ أسواقكم هذه تحضرها الأيمان، فشوبوا أيمانكم بالصدقة، وكفّوا عن الحلف، فإنّ اللّٰه تبارك وتعالى لا يقدّس من حلف باسمه كاذباً'. [دعائم الإسلام ٢:٥٣٨].

علي يأتي في السوق و يأمر التجار بالتقوي و ترك الحلف في المعاملة

وفي "الغارات" و "المستدرك": عن أبي سعيد، قال: كان عليّ عليه السلام يأتي السوق فيقول: 'يا أهل السوق، اتّقوا اللّٰه، وإيّاكم والحلف، فإنّه يُنفق السلعة، ويُمحق البركة، فإنّ التاجر فاجر إلا من أخذ الحقّ وأعطاه، السلام عليكم'، ثمّ يمكث الأيّام، ثمّ يأتي فيقول مثل مقالته، فكان إذا جاء قالوا: قد جاء المرد شكنبة، فكان يرجع إلى سرّته فيقول: 'إذا جئت قالوا قد جاء المرد شكنبة، فما يعنون بذلك؟ قيل له: يقولون: قد جاء عظيم البطن، فيقول: 'أسفله طعام، وأعلاه علم'. [الغارات ١:١١٠، ومستدرك الوسائل ٢:٤٦٣].

والمستفاد من الحديث أنّ عليّاً عليه السلام حينما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لم يكن أهل السوق يخافون منه؛ لأنّهم وثقوا بعدله، وأمنوا سطوته.

يضرب بياع الجري و غيره

وفي "الوسائل": عن حبابة الوالبيّة، قالت: رأيتُ أمير المؤمنين عليه السلام في شُرطة الخميس ومعه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاعي الجرّي والمارماهي والزمّار، الحديث. [وسائل الشيعة ١٦:٣٣٢].

يودب من زاحمه في الوضوء مخافة التلف و الغرامة

وفي "الكافي": بإسناده عن رَزين، قال: كنتُ أتوضّأ فى ميضاة الكوفة فإذا رجل قد جاء فوضع نعليه ووضع درّته فوقها، ثمّ دنا فتوضّأ معي فزحمته، فوقع على يديه فقام فتوضّأ، فلمّا فرغ ضرب رأسي بالدرّة - ثلاثاً [الكافي ٧:٢٦٨، ووسائل الشيعة ١٨:٥٨٣].

- ثمّ قال: 'إيّاك أن تدفع فتكسر فتغرم'، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين عليه السلام، فذهبت أعتذر إليه، فمضى ولم يلتفت إليَّ.

أقول: لا شك ان ضربه ثلاثاً كان ضرباً خفيفاً لا شديداً و كذلك ضربه القاص فى المسجد في الحديث التالي كان ضرباً خفيفاً.

مراقبته المعلمين و الصبيان

وفيه أيضاً: عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'إنّ أمير المؤمنين عليه السلام رأى قاصّاً في المسجد فضربه بالدرّة وطرده'. [المصدر المتقدّم: ٢٦٣، ووسائل الشيعة ١٨:٥٧٨].

أقول: القاصّ: مَن ينقل القصص، وهذا العمل كان متفشّياً في مساجد المسلمين في زمان الخلفاء السابقين، حيث يلقي القاصّ بعض القصص القديمة والخياليّة، وممّا لا فائدة فيه، ويصرف النّاس عن أداء واجباتهم ونوافلهم، ولهذا نهى عنه أمير المؤمنين عليه السلام عمليّاً بالضرب وطرده عن المسجد.

طرد القاص عن المسجد

وفيه أيضاً: عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'أُتي أمير المؤمنين عليه السلام برجلٍ نصراني كان أسلم ومعه خنزير قد شواه وأدرجه بريحان، قال: 'ما حملك على هذا؟'، قال الرجل: مرضتُ فقرمت [قرم إلى اللحم: اشتدّت شهوته له حتّى لا يصبر عنه].

إلى اللحم، فقال عليه السلام: 'أين أنت من لحم المعز، وكان خلفاً منه؟'، ثمّ قال: 'لو أنّك أكلته لأقمت عليك الحدّ، ولكن سأضربك ضرباً فلا تعد'،فضربه به حتّى شغر ببوله. [الكافي ٧:٢٦٥، ووسائل الشيعة ١٨:٥٨٠. شغر الكلب: إذا رفع أحد رجليه ليبول].

تاديب العابث بعورته و تزويجه من بيت المال

قال عليه السلام في كتابه لمالك الأشتر المنصوب الى حكومة مصر: 'فامنع من الاحتكار، فإنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعارٍ لا تُجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إيّاه فنكّل به وعاقبه من غير إسراف'. [نهج البلاغة: الكتاب ٥٣].

تاديب النصراني الذي أسلم ونهيه عن أكل لحم الخنزير

وأمر أيضاً رفاعة قاضيه على الأهواز بالنهي عن الاحتكار، وذكر له أنّ مَن ركبه فأوجعه وعاقبه بإظهار ما احتكر. [دعائم الإسلام ٢:٣٦].

توصية ولاته برعاية الحقوق و ترك الأحتكار

وفي كتاب "المُحلّى" لابن حزم، عن حُبيش، قال: أحرق لي عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيادر بالسواد كنت احتكرتها، ولو تركها لربحتُ فيها مثل عطاء الكوفة. [المحلّى لابن حزم ٦:٦٥، نقلاً عن الدراسات ٢:٣٦٦].

وفيه أيضاً: بسنده عن أبي الحكم: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أحرق طعاماً احتكر بمائة ألف. والظاهر أنّ هذه القضيّة نفس الّتي قبلها مع اختلاف في الراوي.

أقول: لا يخفى ان احراق الطعام غير مطلوب و لعل عمله عليه السلام في المورد في قضية خاصة و لجهة خاصة، أو لعل من جهة تخويف المحتكرين في الكوفة حتى لا يجترأ أحدٌ بالاحتكار، واللّه العالم.

احراق بيادر المحتكر لتنبيه الآخرين

عن العلامة المطرز في "المداخل في اللغة": قال ابن الأعرابي ومنه خبر عمر بن الخطّاب أنّه كان يطوف بالبيت فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إنّ عليّاً لطم عيني؟ فوقف عمر حتّى جاءه عليّ عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، ألطَمتَ عين هذا؟ قال: 'نعم، يا أمير المؤمنين'، قال: ولِمَ يا أبا الحسن؟ قال: "لأنّي رأيتُه ينظر

إلى حرم المسلمين في الطواف'، فقال له عمر: أحسنت، ثمّ أقبل على الملطوم، فقال له: وقعت عليك عينٌ من عيون اللّٰه تعالى.

قال أبو العبّاس ثعلب: فسألت ابن الأعرابي عنها، فقال: خاصّة من خواصّ اللّٰه تعالى، ووليٌّ من أوليائه، وحبيب من أحبّائه. [المداخل في اللغة: ٦٩، نقلاً عن الإحقاق ٨:٦٦٤].

لطم عين من ينظر الي النساء في البيت

و في الكافي عن طلحة بن زيد عن أبي عبداللّٰه عليه السلام قال: إن اميرالمؤمنين عليه السلام أتى برجل عبث بذكره، فضرب يده حتى احمرّت، ثمّ زوّجه من بيت المال. [الكافي ٢٦٥: ٧].

فان عليّاً عليه السلام كما يقام على الامر بالمعروف و النهي عن المنكر فيعالج اصل المشكل بالطرق الصحيحة و العقلائية كما فى الحديث فانّه كما يضرب يد العابث بذكره، ثمّ يزوّجه من بيت المال حتى لا يكرر العمل في الخارج.

علي و إعانة المظلوم و إغاثة الملهوف

عن عليّ عليه السلام: 'ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف'.

وقال: 'أفضل المعروف إغاثة الملهوف'.

مستدرك الوسائل ٢:٤٠٩

كلمة في سيرته في إعانة المظلوم وإغاثة الملهوف

لقد كان لعليّ عليه السلام في أيّام خلافته - كباقي حياته المباركة - من الصفات ما لم يكن في عالم الوجود إلا لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وإذا نظرنا إلى تاريخ النماذج البشريّة العُليا، والحكومات العادلة في التاريخ، فلا يمكن أن نقف على مَن تمتّع بتلك الصفات الّتي تمتّع بها عليّ عليه السلام في أيّام خلافته.. نعم، يمكن أن نرى بعض الخصائص في بعض الحكّام العادلين، لكن لا يمكن أن نرى ما كان لعليّ عليه السلام على مدى سنوات حكمه الخمس من كلّ تلك الفضائل والآثار النفيسة الّتي خلّفها في أُسلوب حياته وسلوكه، بحيث طغى نوره في كلّ خصلة حميدة، ومن هنا كان عليّ عليه السلام قدوة لكلّ إنسان عادل وحاكم مقسط.

إنّ إحدى خصائص عليّ عليه السلام البارزة هي كونه مرجعاً للقضاء والفصل في المنازعات الّتي كانت تقوم في أيّام حكومته، وكان يأخذ بحقّ المظلومين بنفسه، ويتابع مشاكل النّاس، بل وقد يقوم بأعمال البعض بنفسه إن سنحت له الفرصة.. وربّما خرج يتمشّى جنب داره حيناً، وأُخرى يمشي في الأسواق ليعظ النّاس،

ويجلس ثالثة في المسجد لينصُر مظلوماً ويأخذ بحقّه من الظالم، وقد يذهب بنفسه مع المظلوم من أجل حلّ معضلته، ولم يكن الحرّ والقرّ، أو الليل والنهار ليقف عائقاً بوجه عليّ عليه السلام، وهو يؤدّي أعماله هذه، فهل سنجد في زاوية في العالم أو على صفحة من صفحات التاريخ حاكماً كعلي عليه السلام نذر نفسه لخدمة النّاس، ويُرى في كلّ مكان من أماكن المجتمع، لا يخشى غدر الخائنين وكيد الأعداء، ويقف إلى جانب المظلوم ضدّ الظالم بكلّ قوّة؟ ولا عجب من ذلك، فهو الّذي يقول: "كونوا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً"، لا شكّ في أنّنا سوف لا نجد مثيلاً له، ولم يرَ التاريخ نظيراً له.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله*** إنّ الزمان بمثله لعقيم

موارد ممّا ظهر من إعانة المظلوم وإغاثة الملهوف

كان عليّ عليه السلام في مدى حكومته وحين قدرته معيناً للمظلوم، مغيثاً للملهوف، وخصماً للظالم، والموارد الّتي شهدت وتشهد بأفعال عليّ عليه السلام هذه كثيرة، فقد أشرنا إلى بعضها في طيّات الفصول المختلفة، ونحن نشير هنا إلى صور منها على سبيل المثال.

اعانته المرأة الّتي اشتكت زوجها

ذكر الشيخ المفيد في "الاختصاص": بسنده عن ابن دأب، قال: ذكر الكوفّيون أنّ سعيد بن القيس الهمداني رآه - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - يوماً في شدّة الحرّ في فناء حائط، فقال: يا أمير المؤمنين، بهذه الساعة؟

قال: "ما خرجتُ إلا لأُعين مظلوماً، أو أُغيث ملهوفاً"، فبينا هو كذلك إذ أتته امرأة قد خلع قُلبها لا تدري أين تأخذ من الدنيا حتّى وقفت عليه، وقالت: يا أمير المؤمنين، ظلمني زوجي وتعدّى علَيَّ، وحلف ليضربني فاذهب معي إليه، فطأطأ رأسه ثمّ رفعه وهو يقول: "لا واللّه، حتّى يؤخذ للمظلوم حقّه غير متمتّع [تعتعته: حرّكه بعنف وقلقله، وتعتع في الكلام، أي تردّد فيه من عيّ].

وأين منزلك؟"، قالت: في موضع كذا وكذا، فانطلق معها حتّى انتهت إلى منزلها فقالت: هذا منزلي، قال: فسلّم، فخرج شابّ عليه إزار ملوّنه، فقال: "اتّق اللّه، فقد أخفتَ زوجتك"، فقال: وما أنت وذاك، واللّه! لأُحرقنّها بالنّار لكلامك.

قال: وكان إذا ذهب إلى مكان أخذ الدرّة بيده، والسيف معلّق تحت يده، فمن حلّ عليه حكم بالدرّة ضربه، ومَن حلّ عليه حكم بالسيف عاجله، فلم يعلم الشابّ إلا وقد أصلت السيف، وقال له عليه السلام: "آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر وتردّ المعروف، تب وإلا قتلتك".

قال: وأقبل النّاس من السكك يسألون عن أمير المؤمنين عليه السلام حتّى وقفوا عليه، قال: فأُسقط في يد الشاب [فاسقط في يد الشاب: على المجهول، أي ندم على فعله].

وقال: يا أمير المؤمنين، اعف عنّي عفا اللّه عنك، واللّه لأكوننّ أرضاً تطأني، فأمرها بالدخول إلى منزلها وانكفأ وهو يقول: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ" [سورة النساء: ١١٤].

الحمد للّه الّذي أصلح بي بين امرأةٍ وزوجها، يقول اللّه تبارك وتعالى: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً". [الاختصاص للمفيد رحمه الله: ١٥٧، ونحوه في مناقب ابن شهرآشوب ٢:١٠٦، وبحار الأنوار ٤١:٥٨].

علي وقصّة قربة الماء

وفي "المناقب": نظر عليّ عليه السلام إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة، فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها، فقالت: بعثَ عليّ بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقُتل، وترك علَيَّ صبياناً يتامى، وليس عندي شيء ، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة النّاس، فانصرف وبات ليلته قلقاً، فلمّا أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: 'مَن يحمل وزري عنّي يوم القيامة؟'، فأتى وقرع الباب، فقالت: مَن هذا؟ قال: 'أنا ذلك العبد الّذي حمل معك القربة، فافتحي، فإنّ معي شيئاً للصبيان'.

فقالت: رضي اللّٰه عنك، وحكم بيني وبين عليّ بن أبي طالب، فدخل وقال: 'إنّي أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين، وبين أن تعلّلي [علّله بطعام وغيره: شغله به] الصبيان لأخبز أنا'.

فقالت: أنا بالخبز أبصر، وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان فعلّلهم حتّى أفرغ من الخبز، فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد عليّ عليه السلام إلى اللحم فطبخته، وجعل يلقّم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلّما ناول الصبيان من ذلك شيئاً، قال له: يا بنيّ، اجعل عليّ بن أبي طالب في حلّ ممّا مرّ في أمرك، فلمّا اختمر العجين، قالت: يا عبد اللّٰه، سجّر [سجّر التنور: ملاه وقوداً وأحماه] التنور، فبادر لسجره، فلمّا أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق - يا عليّ - هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه، فقالت: ويحك، هذا أمير المؤمنين! قال: فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: 'بل واحيائي منك - يا أمة اللّٰه - فيما قصّرت في أمرك'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١١٥، والبحار ٤١:٥٢].

وفود سودة بنت عمارة الهمدانيّة على معاوية

كانت سودة شاعرة وذات بيان، وفدت على معاوية ودخلت عليه، فقال لها معاوية: كيف أنتِ يابنة الأشتر؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال لها: أنتِ القائلة لأخيك:

شمِّر كفِعْل أبيك يابن عُمارة*** يومَ الطِّعان ومُلتقى الأقرانِ

وانصُر عَليّاً والحسين ورَهْطَه*** واقصِد لِهندٍ وابنها بهوان

إنّ الإمام أخو النبيّ محمّد*** عَلَم الهُدى ومَنارة الإيمان

فَقُدِ الجيوشَ وسِر أمام لوائه*** قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسِنانِ

قالت: نعم إي والله، ما مثلي مَن رغب عن الحقّ، أو اعتذر بالكذب. قال: ما حملكِ على ذلك؟ قالت: حبّ عليّ واتّباع الحقّ. قال: ما حاجتك؟ قالت: هذا بسر بن أرطأة قدم علينا من قِبلَكَ، فقَتَلَ رجالنا، وأخذ مالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، وإمّا لا فعرفناك.

فقال معاوية: إيّاي تُهدِّدين بقومك! والله! لقد هممت أن أرُدَّكِ إليه على قتب أشرس [القتب: الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، وأشرس: صفة لموصوف محذوف، وهو البعير، أو الأشرس: الخشن الغليظ، وتكون صفة للقتب].

فيُنفّذ حُكمه فيك، فسكتت ثمّ قالت:

صلّى الإله على جسمٍ تَضَمَّنه*** قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالفَ الحقّ لا يبغي به بدلاً*** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية: مَن ذلك يا سودة؟ فقالت: والله هُوَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: وما صنع بك حتّى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمتُ عليه في رجل وَلاه صَدَقاتنا، فكان بيني وبينه ما بين الغثّ والسمين، فأتيتُ عَليّاً عليه السلام لأشكو إليه، فوجدتُه قائماً يُصلّي، فلمّا نظر إلَيَّ، انفتل من الصلاة، ثمّ قال لي برأفةٍ وتعطّف: "ألك حاجة؟"، فأخبرته الخبر، فبكى ثمّ قال: "اللّهمّ إنّك أنتَ الشاهد علَيَّ وعليهم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقّك"، ثمّ أخرج من جيبه قطعةً كهيئة طرف الجراب فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم "قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفسدينَ بقيةُ اللّه خيرٌ لكم إنْ كنُتمُ مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ" [اقتباس من سورة الأعراف: ٨٥ والشعراء: ١٨٣].

إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا، حتّى يَقدم عليك من يقبضه منك، والسلام"، فأخذته منه يا معاوية، ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها، والعدل عليها، فقالت: ألي خاصّة، أم لقومي عامّة؟ قال: وما أنتِ وغيرك؟ قالت: هي - والله - إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا أنا كسائر قومي، قال: هيهات، لَمظَّكم [التلمّظ: التذوّق، وتتبّع بقيّة الطعام في الفم باللسان].

ابن أبي طالب الجرأة، وغرّكم قوله:

"فلو كنتَ بوّاباً على باب جنّة*** لقلت لهمدان ادخلوا بسلام"

ثمّ قال معاوية: اكتبوا لها ولقومها بحاجتها. [راجع من أعلام النساء ٢:٢٧٠، والعقد الفريد ٢:١٠٢، وكشف الغمّة ١:٢٣٠، وسفينة البحار ١:١٧٦. و قد ذكرنا قصة وفودها عند معاوية في فصل 'سيرته "ع" مع مخالفين في عمّاله' و فصل 'عليّ "ع" مع اصحابه الكرام'].

وكم له "صلوات اللّه عليه" من الآثار والأخبار والمناقب الّتي لا تُستر أوَ يُستر وجه النهار؟ والمفاخر الّتي يتعلّم منها من فخر، والمآثر الّتي تعجز من بقي كما أعجزت من غبر.

علي و المروءة و العفو في حكومته

قال جورج جرداق المسيحي: مروّة الإمام عليّ عليه السلام أندر من أن يكون لها مَثَلٌ في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ.

الإمام عليّ "ع" صوت العدالة الإنسانية ج ٤ ص ١٠٠

في مفهومي الانتقام والعفو

الانتقام: هو أن يأتي المرء بمثل ما فُعل به أو بأزيد منه، وإن كان محرّماً ممنوعاً في الشريعة في بعض الأُمور؛ إذ ليس كلّ انتقام بجائز، فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، والبهتان بالبهتان، والفحش بالفحش، والسعاية إلى الظلمة بمثلها، وهكذا في سائر المحرّمات.

وأمّا العفو فهو ضدّ الانتقام، وهو إسقاط ما يستحقّه من قصاص أو غرامة، أو دية، والآيات والأخبار في مدح العفو وحسنه كثيرة، فمن الآيات قوله تعالى: 'خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ' [سورة الأعراف: ١٩٩].

الأخذ بالشي ء هو لزومه وعدم تركه، فأخذ العفو ملازمة الستر على إساءة من أساء إليه، والاغماض عن حقّ الانتقام الّذي يعطيه العقل الاجتماعي لبعضهم على بعض، وأمّا ما أُضيع فيه حقّ الغير بالإساءة إليه فليس ممّا يسوغ العفو فيه؛ لأنّه إغراء بالإثم وتضييع لحقّ الغير بنحو أشدّ، وإبطال للنواميس الحافظة للاجتماع، ويمنع عنه جميع الآيات الناهية عن الظلم والإفساد بل جميع الآيات المعطية لأُصول الشرائع والقوانين. فالمراد بقوله: 'خُذِ الْعَفْوَ' هو الستر بالعفو فيما يرجع إلى شخص النبيّ صلى الله عليه و آله، وعلى ذلك أنّه لم ينتقم من أحد لنفسه قطّ. وقوله: 'وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ' والعرف هو ما يعرفه العقلاء من السنن والسير الجميلة الجارية بينهم بخلاف ما ينكره المجتمع وينكره العقل الاجتماعي من الأعمال النادرة الشاذّة، ومن المعلوم أنّ لازم الأمر بمتابعة العرف أن يكون نفس الآمر مؤتمراً بما يأمر من المتابعة، ومن ذلك أن يكون نفس أمره بنحو معروف غير منكر، فمقتضى قوله: 'وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ' أن يأمر بكلّ معروف، وأن لا يكون

نفس أمر بالمعروف على وجه منكر. وقوله: 'وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ' أمر آخر بالمداراة معهم، وهو أقرب طريق وأجمله لإبطال نتائج جهلهم وتقليل فساد أعمالهم، فإنّ في مقابلة الجاهل بما يعادل جهله إغراء له بالجهل والإدامة على الغيّ والضلال. [راجع في هذا المجال: تفسير الميزان ٨:٣٩٦].

و من الأحاديث ما يلي

وفي تفسير الدرّ المنثور: أخرج ابن مردويه عن أنس قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ مكارم الأخلاق عند اللّٰه أن تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك، ثمّ تلا النبيّ صلى الله عليه و آله: 'خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ'. [تفسير الدرّ المنثور ٣:١٥٤].

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في خطبة: 'ألا أُخبركُم بِخَير خلائق الدنيا والآخرة؟ العَفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى مَن أساء إليك، وإعطاء من حرمك'. [أُصول الكافي ٢:١٠٧].

وعنه أيضاً: 'عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلا عِزّاً، فتعافُوا يعزّكم اللّٰه'. [المصدر المتقدّم: ١٠٨].

وقال عليّ عليه السلام: 'شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو، والعدل'. [غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي ٤:١٨٦، ح ٥٧٦٩].

وعنه أيضاً: 'قلّة العفو أقبح العيوب، والتسرّع إلى الانتقام أعظم الذنوب'. [المصدر المتقدّم: ٥٠٥، ح ٦٧٦٦].

وعنه أيضاً: 'العفو زكاة القدرة'. [المصدر المتقدّم ١:٢٣٠، ح ٩٢٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: 'الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة'. [أُصول الكافي ٢:١٠٨].

كلمة في عفو عليّ ومروءته مع أعدائه

قال جورج جرداق المسيحي: كلّ ما في الطبيعة كان يعصف بالثورة إلا وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد انبسط لا يحدّث بانتقام، ولا يشير إلى اشتباك، فإنّ العُوّاد وقفوا بباب الإمام وكلّهم جازع متألّم باك يدعو إلى اللّٰه أن يرحم أمير المؤمنين فيشفيه، ويشفي به آلام النّاس، وكانوا قد شدّوا على ابن ملجم، فلمّا أدخلوه عليه قال: 'أطيبوا طعامه، وألينوا فراشه'. [الإمام عليّ عليه السلام صوت العدالة الإنسانيّة ٤:١٠٠٤].

وقال أيضاً: ومروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، وحوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ. منها: أنّه أبى على جنده - وهم في حال من النقمة والسخط - أن يقتلوا عدوّاً تراجع، وأن يتركوا عدوّاً جريحاً فلا يسعفوه، كما أبى عليهم أن يكشفوا ستراً، أو أن يأخذوا مالاً.

ومنها: أنّه صلّى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه وسأل لهم الغفران، وأنّه حين ظفر بألدّ أعدائه الّذين يتحيّنون الفرص للتخلّص منه - وهم عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص - عفا عنهم وأحسن إليهم، وأبى على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوءٍ وهم على ذلك قادرون، إلى آخر كلامه.

ومنها: أنّه ظفر بعمرو بن العاص، فأعرض عنه وتركه ينجو بحياته، ويستمرّ في مؤامرته ضدّه؛ لأنّ عَمْراً"عمروعاص" هذا رجاه على أُسلوب خاصّ "يعنى بكشف عورته حين المحاربة" أن يعفو عنه، وقد أصبح ذو الفقار فوق هامته... [المصدر المتقدّم ١:٨٢].

قال العقّاد في بيان مروءته عليه السلام: ويزيدها تشريفاً أنّها ازدانت بأجمل الصفات الّتي تزيّن شجاعة الشجعان الأقوياء، فلا يعرف النّاس حلية للشجاعة أجمل من تلك الصفات الّتي طبع عليها عليّ عليه السلام بغير كلفة، ولا مجاهدة رأي، وهي التورّع عن البغي، والمروءة مع الخصم، قويّاً أو ضعيفاً على السواء، وسلامة الصدر من الضغن على العدوّ بعد الفراغ من القتال.

فمن تورّعه عن البغي مع قوّته البالغة وشجاعته النادرة، أنّه لم يبدأ أحداً قطّ بقتالٍ وله مندوحة عنه، وكان يقول لابنه الحسن: "لا تدعونّ إلى مبارزة، فإن دعيت إليها فأجب، فإنّ الداعي إليها باغٍ، والباغي مصروع". وعلم أنّ جنود الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه، وقيل له: إنّهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك، فقال: "لا أُقاتلهم حتّى يقاتلوني.. وسيفعلون".

وكذلك فعل قبل وقعة الجمل، وقبل وقعة صفّين، وقبل كلّ وقعة صغرت أو كبرت، ووضح فيها عداء العدوّ أو غُمض.. يدعوهم إلى السلم، وينهى رجاله عن المبادأة بالشرّ، فما رفع يده بالسيف قطّ إلا وقد بسطها قبل ذلك للسلام.

وساق الكلام إلى أن قال: وأمّا مروءته في هذا الباب، فكانت أندر بين ذوي المروءة من شجاعته بين الشجعان، فأبى على جنده وهم ناقمون أن يقتلوا مُدبراً أو يجهزوا على جريحٍ، أو يكشفوا ستراً، أو يأخذوا مالاً، وصلّى في وقعة الجمل على القتلى من أصحابه ومن أعدائه على السواء، وظفر بعبدالله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وهم ألدّ أعدائه المؤلّبين عليه، فعفا عنهم ولم يتعقّبهم بسوء، وظفر

بعمرو بن العاص وهو أخطر عليه من جيش ذي عدّة، فأعرض عنه وتركه ينجو بحياته حين كشف عن سؤاته اتّقاءً لضربته.

وحال جند معاوية بينه وبين الماء في معركة وهم يقولون له: ولا قطرة حتّى تموت عطشاً.. فلمّا حمل عليهم وأجلاهم عنه سوّغ لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده، وزار السيّدة عائشة بعد وقعة الجمل فصاحت به صفيّة أم طلحة الطلحات: أيتم اللّه منك أولادك كما أيتمتَ أولادي. فلم يردّ عليها شيئاً ثمّ خرج فأعادت عليه ما استقبلته به فسكت ولم يردّ عليها، قال رجل أغضبه مقالها: يا أمير المؤمنين، أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فانتهره وهو يقول: 'ويحك، إنّا أمرنا أن نكفّ عن النساء وهنّ مشركات، ألا نكفّ عنهنّ وهنّ مسلمات'، ثمّ ودّع السيّدة عائشة أكرم وداع وسار في ركابها أميالاً وأرسل معها من يخدمها ويخفّف بها.

إلى أن قال: وهذه المروءة كانت سنّته مع خصومه، من استحقّ منهم الكرامة ومن لم يستحقّها، ومَن كان في حرمة عائشة، ومن لم تكن له قطّ حرمة، وهي أندر مروءة عرفت من مُقاتل في وغر القتال. [عبقرية الإمام عليه السلام لعباد محمود العقاد: ١٨].

صور يسيرة من عفوه ومروءته

فقد مرّ منّا موارد في سيرته من عفوه و مرؤته في فصل 'سيرة على عليه السلام مع معارضيه في الحكومة' و نذكر هنا موارد من سيرته في عفوه تكميلاً للبحث.

رجل اتّهم عليّا بالكفر وعفا عنه

في "نهج البلاغة" أنّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه فمرّت بهم امرأة جميلةٌ فرمَقها القوم بأبصارهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'إنّ أبصار هذه الفُحُول طَوامِح [طوامح: مرتفعات].

وإنّ ذلك سببُ هِبابِها' [الهباب: الهيجان].

فإذا نظر أحدُكم إلى امرأةٍ تُعجِبُه فليلامس أهلَه فإنّما هي امرأةٌ كامرأته'. فقال رجل من الخوارج: قاتَلَه اللّه كافراً ما أفقَهَه! فوثَبَ القَومُ لِيقتلُوهُ، فقال عليه السلام: 'رويداً إنّما هو سبٌّ بسبٍّ، أو عفوٌ عن ذَنبٍ'. [نهج البلاغة: قصار الحكم ٤٢٠].

عفوه العامّ عن أعدائه في حرب الجمل

وأمر عليّاً عليه السلام بعد غلبته على القوم في حرب الجمل منادياً فنادى: "لا تتّبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تدخلوا الدور، ولا تزرؤوا سلاحاً وثياباً ولا متاعاً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن".

ثمّ دخل عليه السلام البصرة يوم الاثنين بعد الوقعة بثلاث، فانتهى إلى المسجد فصلّى فيه، ثمّ دخل البصرة فأتاه النّاس.

قال المفيد في هذا المجال أنّه عليه السلام بعد حمد اللّٰه والثناء عليه، قال: "أمّا بعد، فإنّ اللّٰه ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، وعفو جمّ، وعقاب أليم، وقضى أنّ رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه، وبرحمته اهتدى المهتدون، و قضى أنّ نِقمته وسَطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه، وبعد الهدى والبيّنات ما ضلّ الضالّون، فما ظنّكم - يا أهل البصرة - وقد نكثتم بيعتي، وظاهرتم علَيَّ عدوّي؟".

فقام إليه رجل، فقال: نظنّ خيراً، ونراك قد ظفِرت وقدرت، فإن عاقبتَ فقد اجترمنا ذلك، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى اللّٰه تعالى.

فقال عليه السلام: "قد عفوت عنكم، فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الأُمّة"، قال: ثمّ جلس عليّ عليه السلام للنّاس فبايعوه. [الارشاد ١:٢٥٧].

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في "شرح نهج البلاغة": وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف وشتموه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يتّبع مولٍّ، ولا يُجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلا الصفح والعفو وتقيّل سنّة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تنس. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٣].

عفوه عن المحاربين ومنهم مروان بن الحكم

في كتاب الإمام عليّ عليه السلام عن الشيخ المفيد عن هاشم بن مساحق القرشي، قال: حدّثنا أبي: أنّه لمّا انهزم النّاس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم، فقال بعضهم لبعض: واللّٰه ظلمنا هذا الرجل - يعنون أمير المؤمنين عليه السلام - ونكثنا بيعته من غير حدث، واللّٰه لقد ظهر علينا فما رأينا

قطّ أكرم سيرة منه، ولا أحسن عفواً بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، تعالوا حتّى ندخل عليه ونعتذر إليه فما صنعناه.

قال: فصرنا إلى بابه فاستأذناه، فأذن لنا، فلمّا مثلنا بين يديه جعل متكلّمنا يتكلّم، فقال عليه السلام: "انصتوا أكفكم، إنّما أنا بشر مثلكم، فإن قلتُ حقّاً فصدّقوني، وإن قلتُ باطلاً فردّوا عليَّ، أنشدكم اللّٰه أتعلمون أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قُبِضَ وأنا أوْلى النّاس به وبالنّاس من بعده؟"، قلنا: اللّهمّ نعم. قال: "فعدلتم عنّي وبايعتم أبا بكر فأمسكتُ، ولم أحبّ أن أشقّ عصا المسلمين، وأفرّق بين جماعاتهم، ثمّ إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده، فكففتُ ولم أهج النّاس، وقد علمتُ أنّي كنت أوْلى النّاس باللّٰه وبرسوله وبمقامه، فصبرتُ حتّى قُتِل، وجعلني سادس ستّة، فكففتُ ولم أُحبّ أن أُفرّق بين المسلمين، ثمّ بايعتم عثمان، فطغيتم عليه وقتلتموه وأنا جالس في بيتي، وأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر، وفيتم لهما ولم تفوا لي، وما الّذي منكم من نكث بيعتهما، ودعاكم إلى نكث بيعتي؟!".

فقلنا له: كن - يا أمير المؤمنين - كالعبد الصالح يوسف إذ قال: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" [سورة يوسف: ٩٢].

فقال عليه السلام: "لا تَثْرِيبَ عَلَيكم اليوم، وإنّ فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بإسته"، يعني مروان بن الحكم. [انظر كتاب الإمام عليّ للرحماني: ٤٨٧، رواه عن الجمل أو النصرة في حرب البصرة: ٢٢٢، و٢٠٣].

من وصاياه لأُمراء الجنود في صفّين بالمروءة

وكتب عليه السلام إلى أُمراء الجنود: "من عبد اللّٰه عليّ أمير المؤمنين، أمّا بعد، فاعزلوا النّاس عن الظلم والعدوان، وخذوا على أيدي سفهائكم، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يرضى اللّٰه بها عنّا فيردّ علينا وعليكم دعاءنا، فإنّ اللّٰه تعالى يقول: "قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ". [أعيان الشيعة ١:٤٧٧].

القتال على ماء الفرات، وعند غلبته لم يمنع أعداءه الماء

قال ابن أبي الحديد: ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يسوّغوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا واللّٰه ولا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفّان، فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة، تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه

الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلان لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعم الماء - يا أمير المؤمنين - كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال: "لا واللّٰه لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٣].

ملكنا فكان العفو منّا سجيّة*** فلمّا ملكتم سال بالدم أبطحُ

فحسبكم هذا التفاوت بيننا*** فكلّ إناء بالذي فيه ينضحُ

[الإمام عليّ للرحماني: ٤٨٢].

مروءته مع ابن ملجم اللعين لمّا ضربه

ومن كلامه قُبيل موته وصيّته: 'وصيّتي لكم أن لا تشركوا باللّٰه شيئاً، ومحمّد صلى الله عليه و آله، فلا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمّ [خلاكم ذمّ: عداكم وجاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصيّة].

أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا، ألا تحبّون أن يغفر اللّٰه لكم، واللّٰه ما فجاءني من الموت واردٌ كرهتهُ، ولا طالعٌ أنكرته، وما كنت إلا كقارب [القارب: طالب الماء ليلاً ولا يقال لطالبه نهاراً].

وَرَدَ، وطالب وَجَدَ، وما عند اللّٰه خير للأبرار'. [نهج البلاغة للفيض: ٨٦٥، الكتاب ٢٣].

وفي "البحار": فلمّا جي ء بابن ملجم عنده عليه السلام، فقال الحسن عليه السلام: 'الحمد للّٰه الّذي نصر وليّه، وخذل عدوّه'، ثمّ انكبّ الحسن على أبيه يقبّله، وقال له: 'يا أباه، هذا عدوّ اللّٰه وعدوّك قد أمكن اللّٰه منه'، فلم يجبه وكان نائماً، فكره أن يوقظه من نومه، فرقد ساعة ثمّ فتح عينيه وهو يقول: 'ارفعوا بي، يا ملائكة ربّي'.

فقال له الحسن عليه السلام: 'هذا عدوّ اللّٰه وعدوّك ابن ملجم، قد أمكن اللّٰه منه، وقد حضر بين يديك'. قال: ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلّق في عنقه، فقال له بضعفٍ وانكسار صوت ورأفةٍ ورحمةٍ: 'يا هذا، لقد جئتَ عظيماً، وارتكبتَ أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنتُ لك حتّى جازيتني بهذا الجزاء؟! ألم أكن شفيقاً عليك، وآثرتك على غيرك، وأحسنت إليك، وزدت في إعطائك؟ ألم يكن يقال لى فيك كذا وكذا، فخلّيت لك السبيل، ومنحتك عطائي، وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا

محالة؟ ولكن رجوتُ بذلك الاستظهار من اللّه تعالى عليك، يا لكع وعلّ أن ترجع عن غيّك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقيّ الأشقياء'.

قال: فدمعت عينا ابن ملج لعنه اللّه تعالى، وقال: يا أمير المؤمنين، أفأنت تنقذ من في النّار؟ قال له: 'صدقت'، ثمّ التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: 'ارفق - ولدي - بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أُمّ رأسه، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً'.

فقال له الحسن عليه السلام: 'يا أباه، قد قتلك هذا اللعين الفاجر، وأفجعنا فيك، وأنت تأمرنا بالرفق به؟'.

فقال له: 'نعم - يا بنيّ - نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته، بحقّي عليك فأطعمه - يا بنيّ - ممّا تأكله وأسقه ممّا تشرب، ولا تقيّد له قدماً، ولا تغلّ له يداً، فإن أنا متُّ فاقتصّ منه، بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة وتحرقه بالنّار، ولا تمثّل بالرجل، فإنّي سمعتُ جدّك رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشتُ، فأنا أولى بالعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً وكرماً'. [البحار ٤٢:٢٨٧].

وفي "نهج البلاغة" أكّد أيضاً على مراعاة الموازين الشرعيّة والاحتراز عن المثلة حيث قال في مرضه الّذي توفّي فيه: 'يا بني عبدالمطّلب، لا ألفينّكم [لا ألفينّكم: لا أجدّنكم، نفي في معنى النهي].

تَخُوضون [تخوضون دماء المسلمين: تسفكون دماءهم].

دماء المسلمين خَوضاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا تَقْتُلُنَّ بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ مِن ضَربتِهِ هذه، فاضربوه ضربةً بضربةٍ، ولا تُمَثّلوا [من التمثيل، وهو التشويه بعد القتل أو قبله بقطع الأطراف مثلاً].

بالرَّجُل، فإنّي سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: 'إيّاكم والمُثلَة ولو بالكلبِ العَقُور'. [نهج البلاغة: الكتاب ٤٧].

تذييل وتكميل

في بعض الموارد لا يجوز العفو والمروءة؛ لأنّ الترحّم على الظالم مع إمكان استمرار ظلمه إعانة على الظالم، وجور على المظلوم، ولذلك نراه في صفّين قتل المقبل والمدبر وأجاز على الجريح على خلاف سنّته في الجمل.

قال صاحب الجواهر: لمّا هزم النّاس يوم الجمل قال أمير المؤمنين عليه السلام: "لا تتّبعوا مولّياً، ولا تجهزوا على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن"، فلمّا كان يوم صفّين قتل المقبل والمدبر، وأجاز على جريح،

فقال أبان بن تغلب لعبد اللّٰه بن شريك: هاتان مختلفتان، فقال: إنّ أهل الجمل قتل طلحة والزبير، وإنّ معاوية كان قائماً بعينه وكان قائدهم.

وذكر سبباً آخر يتعلّق بموقف الحكّام بعده من شيعته، ويؤيّده بعض الروايات، منها ما رواه في "الدعائم" عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: 'سار عليّ عليه السلام بالمنّ والعفو في عدوّه من أجل شيعته، لأنّه كان يعلم أنّه سيظهر عليهم عدوّهم من بعده، فأحبّ أن يقتدي من جاء بعده به فيسير في شيعته بسيرته ولا يجاوز فعله'. [جواهر الكلام ٢١: ٣٣٠، كتاب الجهاد. وراجع: وسائل الشيعة ١١: ٥٥].

وروى أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام: 'لولا أنّ عليّاً عليه السلام سار في أهله حربه بالكفّ عن السبيّ والغنيمة لَلَقِيتْ شيعته من النّاس بلاءً عظيماً'. ثمّ قال: 'واللّٰه لسيرته كانت خيراً لكم ممّا طلعت عليه الشمس'. [المصدر المتقدّم: ٣٣٥].

علي و منصب القضاء

قال عليّ عليه السلام: 'بعثني النبيّ صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت: يا رسول اللّٰه، إنّي حديث السنّ، قال: فوضع يده على صدري وقال: اذهب، فإنّ اللّٰه سيثبّت لسانك ويهدي قلبك، قال: فما شككت في قضاء بين خصمين قاما بين يدي بعدُ'.

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ "ع"، ٤٩٠: ٢، ح ١٠١١

كلمة حول علمه بالقضاء

كان عليّ عليه السلام أقضى الأُمّة وأعلمها بغوامض أحكام الإسلام وأعرفها بالقرآن والسنّة وبحوادث زمانه بحيث أصبح متداولاً على ألسنة الأصحاب بأنّه أقضى النّاس في أهل المدينة.

ولذا اختاره رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قاضياً وبعثه إلى اليمن في عهده صلى الله عليه و آله ودعا له بالخير وأثنى عليه وأبان فضله في ذلك، فدلّ به على استحقاقه عليه السلام الأمر من بعده صلى الله عليه و آله، ووجب تقدّمه عليه السلام على من سواه في مقام الإمامة.

قال المفيد في "الإرشاد": فمن ذلك - أي من فضائله ومناقبه - ما رواه نقلة الآثار من العامّة والخاصّة في قضاياه ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حيّ، فَصَوَّبَهُ فيها وحكم له بالحقّ فيما قضاه، ودعا له بخير وأثنى عليه وأبانه بالفضل في ذلك من الكافّة، دلّ به على استحقاقه الأمر من بعده، ووجوب تقدّمه على من سواه في مقام الإمامة، كما تضمّن ذلك التنزيل فيما دلّ على معناه، وعرّف به ما حواه من التأويل حيث يقول اللّٰه

عزّ وجلّ: 'أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ' [سورة يونس: ٣٥].

وقوله سبحانه: 'قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ'. [سورة الزمر: ٩].

وقوله تعالى في قصّة آدم وقد قالت الملائكة: 'أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ' إلى قوله: 'وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ' [سورة البقرة: ٣٣ - ٣٠].

فنبّه اللّه تعالى الملائكة على أنّ آدم أحقّ بالخلافة منهم؛ لأنّه أعلم منهم بالأسماء وأفضلهم في علم الأنبياء.

وقال جلّ ذكره في قصّة طالوت: 'وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ' [سورة البقرة: ٢٤٧].

فعل جهة حقّه في التقدّم عليهم ما زاده اللّه من البسطة في العلم والجسم، واصطفائه إيّاه على كافّتهم بذلك، وكانت هذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أنّ الأعلم هو أحقّ بالتقدّم في محلّ الإمامة ممّن لا يساويه في العلم، ودلّت على وجوب تقدّم أميرالمؤمنين عليه السلام على كافّة المسلمين في خلافة الرسول صلى الله عليه و آله وإمامة الأُمّة، لتقدّمه عليه السلام عليهم في العلم والحكمة وقصورهم عن منزلته في ذلك. [الإرشاد ١:١٩٣].

وقال ابن الصبّاغ المالكي: "فصل" في ذكر شيء من علومه. فمنها علم الفقه الّذي هو مرجع الأحكام ومنبع الحلال والحرام، فقد كان عليّ عليه السلام مطّلعاً على غوامض أحكامه منقاداً جامحاً بزمامه، مشهوداً له فيه بعلوّ محلّه ومقامه، ولهذا خصّه رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعلم القضاء كما نقله الإمام أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه "المصابيح" مرويّاً عن أنس بن مالك أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله خصّص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة؛ خصّص عليّاً بعلم القضاء، فقال صلى الله عليه و آله: 'وأقضاكم عليّ'.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٤].

ما ورد عن النبيّ أنّه أقضى الأُمّة

١- في "الإحقاق" عن "أخبار القضاة": بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أقضى أُمّتي عليّ'. [الاحقاق ٤:٣٢١].

٢- وفيه أيضاً بإسناده: عن شدّاد بن أوس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أقضى أُمّتي عليّ'. [الاحقاق ٤:٣٢١].

٣- وفيه أيضاً عن "المعجم الصغير": بإسناده عن جابر بن عبداللَّه الأنصاري، قال: قال: رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في حديث: 'أقضى أُمّتي عليّ بن أبي طالب'. [الاحقاق ٤:٣٢١].

٤- وفيه أيضاً: عن كتاب "التبصير في الدين"، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: في صفة عليّ عليه السلام: 'أقضاكم عليّ'. [الاحقاق ٤:٣٢١].

٥- وفيه أيضاً: عن "مصابيح السنّة": عن قتادة، عن النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أقضاكم عليّ'. [مصابيح السنّة ٢:٢٠٣، نقلاً عن المصدر المتقدّم].

٦- وفي "فرائد السمطين": عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أقضاكم عليّ'. [ينابيع المودّة: ٧٥].

٧- وفي "ينابيع المودّة": عن سلمان الفارسي وأبي سعيد الخدري، قالا: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إنّ أقضى أُمّتي عليّ بن أبي طالب'. [أمالي الصدوق - المجلس الحادي والثمانون: ح ٢٠].

٨- وفي "البحار" عن "أمالي الصدوق": بإسناده عن سلمان، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'أقضى أُمّتي وأعلم أُمّتي بعدي عليّ'. [البحار ٤٠:١٥٠].

٩- وفيه كتاب "الجلاء والشفاء والإحن والمحن": قال الصادق عليه السلام: 'قضى عليّ عليه السلام بقضيّة باليمن، فأتوا النبيّ صلى الله عليه و آله فقالوا: إنّ عليّاً ظلمنا. فقال صلى الله عليه و آله: 'إنّ عليّاً ليس بظالم، ولم يخلق للظلم، وإنّ عليّاً عليه السلام وليّكم بعدى، والحكم حكمه، والقول قوله، ولا يردّ حكمه إلا كافر، ولا يرضى به إلا مؤمن'.

ثمّ قال: وإذا ثبت ذلك فلا ينبغي لهم أن يتحاكموا بعده إلى غير عليّ عليه السلام، والقضاء يجمع علوم الدين، فإذا يكون هو الأعلم فلا يجوز تقديم غيره عليه؛ لأنّه يقبح تقديم المفضول على الفاضل.

أفلا يكون أعلم النّاس وكان مع النبيّ صلى الله عليه و آله في البيت والمسجد، يكتب وحيه ومسائله ويسمع فتاويه ويسأله، وروي أنّه كان النبيّ صلى الله عليه و آله إذا نزلت عليه الوحي ليلاً لم يصبح حتّى يخبر به عليّاً عليه السلام، وإذا نزل عليه الوحي نهاراً لم يمسّ حتّى يخبر به عليّاً. ومن المشهور إنفاقه الدينار قبل

مناجاة الرسول صلى الله عليه و آله وسأله عن عشر مسائل فتح له منها ألف باب، فتح كلّ باب ألف باب، وكذا حين وصّى النبيّ صلى الله عليه و آله قبل وفاته. [البحار ٤٠:١٥٠].

ما ورد عن عمر بن الخطّاب على أنّه أقضى الأُمّة

١- في "تاريخ دمشق" لابن عساكر الشافعي: بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: خطبنا عمر على منبر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: عليٌّ أقضانا، وأُبيّ أقْرَأنا، وإنّا لندع من قول أُبيّ أشياء، الحديث'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٨، ح ١٠٥٤].

٢- وفيه أيضاً: عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال عمر بن الخطّاب: عليٌّ أقضانا. [المصدر المتقدّم: ٣٢، ح ١٠٦١].

٣- وقال البخاري في كتاب التفسير من صحيحة بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال عمر: أقرأنا أُبيّ، وأقضانا عليّ، الحديث. [صحيح البخاري ٦:٣٣٥، باب ٢١١، ح ٩١٢].

٤- وفي "تاريخ دمشق": بإسناده قال: كان عمر يقول: عليّ أقضانا للقضاء، وأُبيّ أقرأنا للقرآن. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٢، ح ١٠٦٢].

ما ورد عن الأصحاب بأنّه أقضى أهل المدينة

١- في "تاريخ دمشق" لابن عساكر الشافعي: بإسناده عن علقمة عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام٣:٣٥، ح ١٠٦٦].

٢- وفيه أيضاً: بإسناده عن أبي الأحوص، قال: قال عبداللّٰه بن مسعود: أفرض أهل المدينة وأقضاهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [المصدر المتقدّم: ح ١٠٦٧].

٣- وفيه أيضاً: بإسناده عن مغيرة عن الشعبي، قال: ليس منهم أحد أقوى قولاً في الفرائض من عليّ بن أبي طالب. [المصدر المتقدّم: ٣٨، ح ١٠٦٩].

٤- وروى ابن سعد في "الطبقات" بسنده عن أبي إسحاق: أنّ عبداللّٰه بن مسعود كان يقول: أقضى أهل المدينة ابن أبي طالب. [الطبقات لابن سعد ٢:٣٣٩].

٥- وروى الحاكم في "المستدرك": بسنده عن علقمة، عن عبداللّٰه، قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال الحاكم: هذا حديث صحيح. [المستدرك ٣:٣٥].

ما ورد عن أبي عبدالله الصادق على أنّه أقضى الأُمّة

روى الشيخ الطوسي و الكليني بإسنادهما عن سعيد بن أبي الخضيب البجلي، قال: كنت مع ابن أبي ليلى مزامله حتّى جئنا إلى المدينة، فبينا نحن في مسجد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إذ دخل جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت لابن أبي ليلى: تقوم بنا إليه؟ فقال: وما نصنع عنده؟ فقلت: نسائله ونحدّثه. فقال: قم، فقمنا إليه، فسألني عن نفسي وأهلي، ثمّ قال: مَن هذا معك؟ فقلت: ابن أبى ليلى قاضي المسلمين؟'، فقال: أنت ابن ابى ليلى قاض المسلمين؟ فقال: نعم. فقال: 'تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه، لا تخاف في ذلك أحداً؟'. قال: نعم، قال: 'فبأيّ شيء تقضي؟'. قال: بما بلغني عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعن عليّ، وعن أبي بكر وعمر.

قال: 'فبلغك عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أنّه قال: إنّ عليّاً عليه السلام أقضاكم؟'، قال: نعم. قال: 'فكيف تقضي بغير قضاء عليّ عليه السلام وقد بلغك هذا، فما تقول: إذا جي ء بأرض من فضّة وسماوات من فضّة، ثمّ أخذ رسول اللّٰه بيدك فأوقفك بين يدي ربّك، وقال: يا ربّ، إنّ هذا قضى بغير ما قضيت؟'، قال: فاصفرّ وجه ابن أبي ليلى حتّى عاد مثل الزعفران، ثمّ قال لي: التمس لنفسك زميلاً، واللّٰه لا أكلّمك من رأسي كلمة أبداً. [التهذيب ٦:٢٢٠، والكافي ٧:٤٠٨].

وحدث مثل هذه القضيّة عن أبي عبداللّٰه الصادق عليه السلام خطاباً لعقبة بن خالد، قال: لو رأيت غيلان بن جامع قاضى ابن صبره و استأذن علىَّ فأذنت له - و قد بلغنى أنّه كان يدخل الى بني هاشم - فلما جلس... قال عليه السلام له: يا غيلان ألستم تزعمون يا أهل العراق و تروون أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'عليّ أقضاكم'؟ فقال: نعم، قال: قلت: و كيف تقضى من قضاء عليّ عليه السلام زعمت بالشي ء و رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'عليٌّ أقضاكم' قال: و قلت كيف تقضى يا غيلان؟ قال اكتب هذا ما قضى به فلان بن فلان...'. [الكافي ٧:٤٢٩].

تحقيق وتوضيح لهذا الحديث: قال العلامة المحمودي "في تحقيقه لتاريخ دمشق" في توضيح الحديث: أنّ عليّاً عليه السلام هو أقضى الأُمّة جميعاً، وإنّما قال ابن مسعود: أقضى أهل المدينة؛ لأنّهم الآخذون عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله العالمون بما جاء من عند اللّٰه، وأمّا غير أهل المدينة فلم يكن عندهم من علم الشريعة ما يصحّ أن يطلق عليهم العالم، فإذا كان عليّ عليه السلام أقضى أهل المدينة فهو أقضى الأُمّة جميعاً، وهذا بلغ من التجلّي الإسفار حدّاً لا يمكن لمن له أدنى حظّ من العلم والإدراك إنكاره حتّى أنّ مكفّر فراعنة بني أُميّة قد اضطرّ إلى الاعتراف به، والتصديق له كما رواه لنا ابن عساكر في ترجمة يزيد بن أبي

مسلم الثقفي كاتب الحجّاج من تاريخ دمشق "٦٣:٨٠"، قال: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر بسنده عن محمّد بن سليمان، قال: حدّثنا رقبة، قال: خرج يزيد بن أبي مسلم من عند الحجّاج، فقال: لقد قضى الأمير بقضيّة، فقال له الشعبي: وما هي؟ فقال: قال: ما كان للرجال فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة.

فقال الشعبي: قضى "به قبله" رجل من أهل بدر، قال: ومَن هو؟ قال: لا أُخبرك، قال: مَن هو على عهد اللَّه وميثاقه أن لا أُخبره، قال: هو عليّ بن أبي طالب. قال: فدخل على الحجّاج فأخبره، فقال الحجّاج: صدق! ويحك إنّا لم ننقم على عليّ قضاه، قد علمنا أنّ عليّاً كان أقضاهم!

ثمّ قال المحمودي: هذا قول الحجّاج مع إغرائه بدماء المعترفين بفضل أمير المؤمنين عليه السلام المقرّين له بخصيصة، ولأجله قد خفيت مناقبه عليه السلام، وما تجاسر أحد على ذكر فضيلة له عليه السلام إلا في الخبايا والزوايا الخالية عن رقباء بني أُميّة أو الراغبين إليهم، ومع ذلك قد أتمّ اللَّه حجّته، وأبرز من مناقبه ما يقنع به كلّ بصير، ويطمئنّ إليه، ويخضع له كلّ ذي شعور، وقد لاحظت قريباً أنّه عليه السلام كان أعلم أهل المدينة، وأفضل أهل المدينة.

ومن أجل هذه النصوص والشواهد الخارجيّة غير المحصورة اعترف الشافعي - مع كونه مستأجراً لبني العبّاس وهم أعداء لبني طالب ومُحبّهم - وقال: لا جرم كان عليّ أقضاهم وأعلمهم وأفضلهم... [هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٧، بتحقيق العلامة المحمودي].

نبذة ممّا ورد من الأخبار أنّ رسول اللَّه يعلّمه القضاء

١- في "السيرة النبويّة": بعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن [في هامش مسند زيد: ٢٦١، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، قال في سيرة صنعاء: كان نزول عليّ "ع" في اليمن على أُمّ سعيد ابنة برزخ، وهي أوّل مَن أسلم من أهل اليمن، وبَنَتْ مسجداً وسمّته مسجد عليّ "ع"، وهذا المسجد موجود إلى يومنا هذا، مشهور في سوق الحلقة، وسمّى الحلقة لأنّ أهل اليمن اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب في هذا المحلّ وحلقوا عليه، ولبث عليّ "ع" بصنعاء أربعين يوماً، ودخل أماكن اليمن منها عدن أبين وعدن لاعة من بلاد حجة].

في شهر رمضان سنة عشر، وعقد له لواء، وعمّمه بيده، وقال له: 'امض ولا تلتفت'. فقال عليّ عليه السلام: 'يا رسول اللَّه، ما أصنع؟'، قال صلى الله عليه و آله: 'إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتّى يقاتلوك، وادعهم إلى قول لا إله إلا اللَّه'، فإن قالوا: نعم، فمرهم بالصلاة، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، واللَّه لأن

يهدي اللَّه بك رجلاً واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت'. [السيرة النبويّة لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبيّة ٢:٣٤٥].

٢- وعن أبي داود وغيره من حديث عليّ عليه السلام، قال: 'بعثني النبيّ صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت: يا رسول اللَّه، تبعثني إلى قوم أسنّ منّي، وأنا حديث السنّ لا أُبصر القضاء'، قال: 'فوضع يده في صدري وقال: اللّهمّ ثبّت لسانه، واهد قلبه، وقال: يا عليّ، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتّى تسمع من الآخر، فإنّك إذا فعلت ذلك تبيّن لك القضاء'.

قال عليّ عليه السلام: 'واللَّه ما شككت في قضاء بين اثنين'، فخرج عليّ عليه السلام في ثلاثمائة فارس، الحديث. [سنن أبي داود ٣:٣٠١، ح ٣٥٨٢، روى عنه المصدر المتقدّم ٢:٣٤٦، ورواه النسائي في خصائص أمير المؤمنين: ٤٢، ح ٣، وأحمد في الفضائل: ١٥٢، ح ٢٨٠].

٣- وفي "المناقب" لابن المغازلي الشافعي: بإسناده عن أبي البختري، عن عليّ عليه السلام، قال: 'بعثني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى اليمن لأقضي بينهم، قال: فقلت: يا رسول اللَّه، إنّي لا علم لي بالقضاء، فضرب يده على صدري، وقال: اللّهمّ اهدِ قلبه، وثبّت لسانه، فما شككت في قضاء بين اثنين حتّى جلست مجلسي هذا'. [المناقب لابن المغازلي: ٢٤٨، ح ٢٩٨].

٤- وفيه أيضاً بلفظ آخر: عن عليّ عليه السلام، قال: 'بعثني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت: يا رسول اللَّه، تبعثني إلى قوم جُفاة أقضي بينهم ولا علم لي بالقضاء؟'، قال: فضرب بيده في صدري، وقال: إنّ اللَّه هاد قلبك، ومثبّتٌ لسانك'، قال عليّ: 'فواللَّه! ما شككتُ في قضاء بين اثنين حتّى الساعة'. [المصدر المتقدّم: ٢٥٠، ح ٢٩٩].

٥ - و في "تاريخ دمشق" لابن عساكر الشافعي: بإسناده عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: بعث النبيّ صلى الله عليه و آله عليّاً إلى اليمن، فقال: 'علّمهم الشرائع واقض بينهم'. قال: 'لا علم لي بالقضاء'، قال: فدفع في صدره، وقال: 'اللّهمّ اهده إلى القضاء، فنهاهم عن الدباء والخنتم والمزفت'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٩٧، ح ١٠١٨].

٦- وفي "الاحقاق" عن الخصائص عن عليّ عليه السلام، قال: 'بعثني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى اليمن وأنا شابّ، فقلت: يا رسول اللَّه، تبعثني وأنا شاب إلى قوم ذوي أسنان أقضي بينهم ولا علم لي القضاء؟ فوضع يده على صدري، ثمّ قال: إنّ اللَّه سيهدي قلبك، ويثبّت لسانك. يا عليّ، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتّى تسمع من الآخر كما سمعت من الأوّل، فإنّك إذا فعلت ذلك تبدى لك القضاء'.

قال عليّ عليه السلام: 'فما أشكل علَيَّ قضاء بعد ذلك'. [الإحقاق ٨:٣٩، وروى نحوه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ: ٤٤].

٧- و في "كنز العمّال" عن ابن جرير، عن عليّ عليه السلام، قال: 'أتى النبيّ صلى الله عليه و آله ناس من اليمن، فقالوا: ابعث فينا من يُفقّهنا في الدين، ويُعلّمنا السنن، ويحكم فينا بكتاب اللَّه. فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: انطلق - يا عليّ - إلى أهل اليمن فَفَقِّهْهُمْ في الدين، وعلّمهم السنن، واحكُم فيهم بكتاب اللَّه'.

فقلت: إنّ أهل اليمن قوم طغام [الطغام على ما في "نهاية ابن الأثير": من لاعقل له ولا معرفة، وقيل: هم أوغاد النّاس وأراذله'].

يأتوني من القضاء بما لا علم لي به، فضرب النبيّ صلى الله عليه و آله صدري، ثمّ قال: اذهب فإنّ اللَّه سيهدي قلبك، ويثبّت لسانك، فما شككت في قضاء بين اثنين حتّى الساعة'. [كنز العمّال ١٣:١٣٣، ح ٣٦٣٦٩].

٨ - و في "تاريخ دمشق" بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: 'دعاني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليستعملني على اليمن، فقلت له: يا رسول اللَّه، إنّي شاب حدث السنّ، ولا علم لي بالقضاء. فضرب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في صدري مرّتين - أو قال: ثلاثاً - وهو يقول: اللّهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه، فكأنّما كلّ علم عندي، وحشا قلبي علماً وفقهاً، فما شككت في قضاء بين اثنين'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٩٤، ح ١٠١٥].

٩- و في "فرائد السمطين": بإسناده عن أبي البختري، عن عليّ عليه السلام، قال: 'بعثني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت: يا رسول اللَّه، تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء؟ فضرب في صدري بيده، وقال: اللّهمّ اهدِ قلبه، وثبّت لسانه، قال عليّ عليه السلام: 'فواللَّه الّذي فلق الحبّة، ما شككت بعد في قضاء بين اثنين'. [فرائد السمطين ١:١٦٧، ح ١٢٩].

١٠- و في "مسند زيد بن عليّ": عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام، قال: 'بعثني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى اليمن، فقلت: يا رسول اللَّه، تبعثني وأنا شاب لا علم لي بالقضاء؟'، قال: فضرب يده على صدري ودعا لي، فقال: اللّهمّ اهدِ قلبه، وثبّت لسانه، ولقّنه الصواب، وثبّته بالقول الثابت'، ثمّ قال: 'يا عليّ، إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تعجل بالقضاء بينهما حتّى تسمع ما يقول الآخر. يا عليّ، لا تقض بين اثنين وأنت غضبان [قوله: 'وأنت غضبان' رواه الجماعة بلفظ: 'لا يقضي حاكم بين اثنين وهو غضبان'].

ولا تقبل هدية مخاصم، ولا تضيّفه دون خصمه، فإنّ اللّه عزّ وجلّ سيهدي قلبك، ويثبّت لسانك'. قال: فقال عليّ عليه السلام: 'فواللّه الّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ما شككتُ في قضاء بعد'. [مسند زيد: ٢٦٢].

كان قضاؤه مؤيّداً من رسول اللّه

قال المفيد في "الإرشاد": فما جاءت به الرواية في قضاياه عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه و آله حيّ موجود أنّه لمّا أراد رسول اللّه صلى الله عليه و آله تقليده قضاء اليمن، وإنفاذه إليهم ليعلّمهم الأحكام، ويبيّن لهم الحلال من الحرام، ويحكم فيهم بأحكام القرآن، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'تندبني - يا رسول اللّه - للقضاء وأنا شاب، ولا علم لي بكلّ القضاء'. فقال له: 'ادن منّي'، فدنا منه، فضرب على صدره بيده، وقال: 'اللّهمّ اهدِ قلبه، وثبّت لسانه'، قال أمير المؤمنين: 'فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام'. [الإرشاد ١:١٩٥، وراجع الطبقات الكبرى ٢:٣٣٧، تاريخ بغداد ١٢:٤٤٣].

ثمّ قال في الارشاد: ولمّا استقرّت به الدار باليمن، ونظر فيما ندبه إليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله من القضاء والحكم بين المسلمين، رُفِعَ إليه رجلان بينهما جارية يملكان رقّها على السواء، قد جهلا حظر وطئها، فوطآها معاً في طهر واحد على ظنٍّ منهما جواز ذلك لقرب عهدهما بالإسلام، وقلّة معرفتهما بما تضّمنته الشريعة من الأحكام، فحملت الجارية ووضعت غلاماً فاختصما إليه فيه، فقرع على الغلام باسميهما، فخرجت القرعة لأحدهما، فألحق الغلام به وألزمه نصف قيمته لو كان عبداً لشريكه، وقال: "لو علمت أنّكما أقدمتما على ما فعلتماه بعد الحجّة عليكما بحظره لَبالغتُ في عقوبتكما".

وبلغ رسول اللّه صلى الله عليه و آله هذه القضيّة، فأمضاها، وأقرّ الحكم بها في الإسلام، وقال: 'الحمد للّه الّذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود عليه السلام وسبيله في القضاء'. يعني به القضاء بالإلهام الّذي هو في معنى الوحي ونزول النصّ به لو نزل على التصريح. [المصدر المتقدّم و نحوه في الكافي ٤٩١: ٥؛ الفقيه ٥٤: ٣].

وفي "الكافي": عن الحسين بن خالد، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن المحصن إذا هو هرب من الحفيرة، هل يردّ حتّى يقام عليه الحدّ؟ فقال: 'يُردّ ولا يُرد'. فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: 'إذاكان هو المقرّ على نفسه ثمّ هرب من الحفيرة بعد ما يصيبه شيء من الحجارة لم يردّ، وإن كان إنّما قامت عليه البيّنة وهو يجحد ثمّ هرب ردّ وهو صاغر حتّى يقام عليه الحدّ، وذلك أنّ ماعز بن مالك أقرّ عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالزنا فأمر به أن يرجم فهرب من الحفيرة، فرماه الزبير بن العوّام بساق بعير فعقله [اعتقل الرجل: حبس، وعقل فلاناً: صرعه].

فسقط، فلحقه النّاس فقتلوه، ثمّ أخبروا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بذلك، فقال لهم: فهلا تركتموه إذا هرب يذهب، فإنّما هو الّذي أقرّ على نفسه، وقال لهم: أما لو كان عليّ حاضراً معكم لما ضللتم'.

قال: 'ووداه [أي أدّى ديّته].

رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من بيت مال المسلمين'. [الكافي ٧:١٨٥، ووسائل الشيعة ١٨:٣٧٦].

في "أمالي المفيد": عن الحسن بن ظريف، قال: سمعت أبا عبداللّٰه جعفر بن محمّد عليهماالسلام يقول: 'ما رأيت عليّاً قضى قضاءً إلا وجدتُ له أصلاً في السنّة'، قال: 'وكان عليّ عليه السلام يقول: لو اختصم إلَيَّ رجلان، فقضيت بينهما، ثمّ مكثا أحوالاً [الأحوال - جمع حول بالفتح -: أي السنة لأنّها تحول أي تمضي].

كثيرة. ثمّ أتياني في ذلك الأمر، لقضيتُ بينهما قضاءً واحداً؛ لأنّ القضاء لا يحول ولا يزول أبداً'. [أمالي المفيد: ٢٨٦].

والأخبار المأثورة في هذا الباب عن العامّة والخاصّة كثيرة جدّاً، واكتفينا بهذا إعراضاً عن الإسهاب والإطالة.

ما يستفاد من البحث

بالتدقيق في هذا البحث والغور فيه عميقاً ينكشف أنّ للّٰه تعالى في خلقة عليّ عليه السلام - كصنوه النبيّ - صنعاً عجيباً غير ما في خلقة سائر النّاس، وأنّ له تعالى في تعليم عليّ عليه السلام عناية خاصّة، وإرادة أُخرى، وأنّ ليد النبيّ صلى الله عليه و آله في صدر وصيّه آثاراً لا تتحقّق في غيره، سيّما إذا لاحظنا ما ورد من أنّ عمر بن الخطّاب سأل النبيّ صلى الله عليه و آله عن تفسير الكلالة ففسّرها له، فلم يفهم، فسأله مراراً، تارةً بنفسه، وتارةً بواسطة بنته حفصة، فلم يستفد من بيان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وهو أفصح النّاس وأعلمهم بما جاء به من عند اللّٰه، ما يقنعه ولم يفده تفسير رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله شيئاً حتّى آل الأمر إلى أن دفع رسول اللّٰه في صدر عمر وقال صلى الله عليه و آله: 'إنّك لن تعلم هذه أبداً'، فمات عمر وهو جاهل بتفسير الكلالة.

وما شأن صدر عليّ عليه السلام وما بال يد النبيّ صلى الله عليه و آله يضعها مرّة واحدة فيه فيكون أقضى النّاس بحيث لا يشكّ في قضاء قطّ؟ وبعد هذا كان كما اشتهر على ألسن الصحابة: عليّ أقضى الأُمّة.

موقف عليّ من القضاة

في عهده إلى الأشتر النخعي: "ثمّ اختر لِلحُكم بينَ النّاس أفضل رعيّتك في نفسك ممّن لا تضيقُ به الأُمور، ولا تَمحكه الخصوم.. ثمّ أكثر تعاهدُ قضائِه، وافسح له في البذلِ ما يُزيل علّتَه، وتَقِلُّ معه حاجته إلى النّاس...".

نهج البلاغة: الكتاب ٥٣

الحاجة إلى القضاء

لا يخفى على من راجع تواريخ الأُمم والأجيال في العالم أنّ لأمر القضاء وفصل الخصومات مكانة خاصّة حسّاسة في جميع الأُمم والمجتمعات البشريّة؛ إذ عليه وعلى سلامة نظامه تبنى سلامة المجتمع وأمنه واستقرار العدل فيه، وحفظ الحقوق والحرمات.

ولو لم ينسجم انسجاماً سالماً أو فوّض أمره إلى غير أهله، فشا الجور والفساد، وضاعت الحقوق، وضعفت الدولة، بل ربّما أعقب ذلك سقوطها وزوالها.

وذلك واضح لأنّ عالم الطبيعة عالم التزاحم والتصادم، والإنسان في طبعه مجبول على الولع والطمع، وقد زيّن له حبّ الشهوات من النساء والأموال والمشاغل، فربّما يستغلّ الشخص قوّته وقدرته أو غفلة الآخرين، فينزو على أموال النّاس وحقوقهم، ويستعقب ذلك التنازع والبغضاء، بل ربّما ينتهي الأمر إلى القتال وإتلاف النفوس والأموال. فلا محيص عن وجود سُلطة عالم عادل نافذ الأمر، تصلح بينهم أو تقضي بينهم بالحقّ والعدل فيرتفع النزاع ويجد كلّ ذي حقّ حقّه. ولذلك ترى الشريعة الإسلاميّة وجوب تصدّي القضاء لمن له صلاحية القضاء.

وكان أمر القضاء من الواجبات الكفائيّة، وترك المسلمون أمر القضاء وصار ذلك سبباً للفساد والجرح والقتل، كانوا كلّهم عصاة سيّما مَن كان له أهليّة لذلك. [راجع: كتاب دراسات في ولاية الفقيه ٢: ١٤٠].

وفيما يلي أهمّ الآيات الّتي تخصّ الحاجة إلى القضاء و كونه من الواجبات الإسلاميّة المهمّة:

١- قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ". [سورة الحجرات: ١٠].

٢- وقال تعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ". [سورة الأنفال: ١].

٣- وقال تعالى: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً". [سورة النساء: ٦٥].

نظرة في روايات القضاء الّتي يرغّب فيه أو تحذّر منه

لقد ورد من الأخبار في أمر القضاء ما يرغّب في قبوله ومزاولته، و ورد أيضاً ما يحذّر عن قبوله و ذمّه.

امّا ما ورد من الترغيب في أمر القضاء

١- في "نهج البلاغة": عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'صلاحُ ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام'.

٢- وقال الصادق عليه السلام: 'خير النّاس قضاة الحقّ'. [البحار ١٠١:٢٦٩].

٣- وقال عليه السلام: 'أفضل الخلق أقضاهم بالحقّ'. [ميزان الحكمة ٨:١٨٧].

٤- وفي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشتر النخعي: 'وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً'. [نهج البلاغة: ٥٣].

امّا ما ورد من التخدير و المنع عن قبول القضاء

اعتبر القضاء عملاً ثقيلاً يجعل الإنسان على شفاحفرة من النّار.

١- ففي مقنعة المفيد عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: 'مَن جُعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين'. [المقنعة: ٧٢١، ووسائل الشيعة ١٨:٨].

٢- وفي "كنز العمّال": قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'من ولي القضاء فقد ذبح نفسه بغير سكّين'. [كنز العمّال ٦:٩٥، ح ١٤٩٩٩].

٣- وفيه أيضاً عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'ليأتينّ على القاضي العدل يوم القيامة ساعةٌ يتمنّى أنّه لم يقض بين الاثنين في تمرةٍ قطّ'. [المصدر المتقدّم: ٩٣، ح ١٤٩٨٩].

٤- وفيه أيضاً عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ القاضي العدل ليُجاءُ به يوم القيامة فيُلقى من شدّة الحساب ما يتمنّى أن لا يكون قضى بين اثنين في تمرةٍ قطّ'. [المصدر المتقدّم: ح ١٤٩٨٨].

في الجمع بين الطائفتين من الروايات ونتيجة البحث

بالرغم من أنّ ظاهر بعض الروايات قد ذمّ التصدّي لأمر القضاء - كما أشرنا إلى ذلك - غير أنّ القضاء أحد الواجبات الإلهيّة الإسلاميّة المهمّة، ووعد مَن يتصدّى له بالثواب الجزيل، وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً فيما مرّ. وعلى هذا فإنّ الروايات الذامّة والمانعة - على فرض صحّة سندها - تهدف إلى تبيان أهميّة موضوع القضاء وجلالة شأنه، لئلا يتسامح فيه القضاة فيسلبوه أهمّيته، ولئلا ينظروا إليه كمهنة ومكسب يؤمّنون معاشهم من خلاله، وليعلموا بأنّ القضاء أمانة إلهيّة في أيديهم، وعليهم أن يجتهدوا في إعطائها حقّها.

والقضيّة الأُخرى الّتي نفهمها من الروايات المانعة هي أنّ للقضاء شرائط وخصائص لا تتوفّر في كلّ أحد، فلا ينبغي لكلّ فرد أن يتسنّم منصب القضاء، بل يجب أن يتمتّع من يقدم على العمل الإلهي المهمّ - والّذي هو عمل الأنبياء - بصفات القاضي؛ إذ علاوة على الشرائط العامّة كالعقل والبلوغ والقدرة فإنّه يجب أن يكون مجتهداً وعادلاً ينصبه إمام المسلمين.

كما يجب الالتفات إلى أنّ القاضي يجب أن يقيم القسط والعدل، لا أن يكون سبباً للفساد والضلال في المجتمع نتيجة جهله أو قصده ذلك متعمّداً، وعند ذلك ستشمل الروايات الذامّة والمانعة أمثال هؤلاء الأشخاص.

قال المفيد في "المقنعة": القضاء بين النّاس درجة عالية، وشروطه صعبة شديدة، ولا ينبغي لأحد أن يتعرّض له حتّى يثق من نفسه بالقيام به، وليس يثق أحد بذلك من نفسه حتّى يكون عاقلاً كاملاً عالماً بالكتاب وناسخه ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، وندبه وإيجابه، ومحكمه ومتشابهه، عارفاً بالسنّة وناسخها ومنسوخها، عالماً باللغة مضطلعاً بمعاني كلام العرب، بصيراً بوجوه الإعراب، ورعاً عن محارم اللّه عزّ وجلّ، زاهداً في الدنيا، متوفّراً على الأعمال الصالحات، مجتنباً للذنوب والسيّئات، شديد الحذر من الهوى، حريصاً على التقوى.

فقد روي: أنّه نودي لقمان الحكيم حين هدأت العيون: 'ألا نجعلك يا لقمان خليفة في الأرض، تحكم بين النّاس بالحق؟'، فقال لقمان: 'يا ربّ، إن أمرتني أفعل، وإن خيّرتني اخترت العافية' الحديث. [المقنعة: ٧٢١، ط. مؤسّة النشر الإسلامي].

وعلى هذا يظهر أنّه لا تضادّ بين الروايات أبداً، وإنّما تهتمّ كلّ رواية بناحية لم تتطرّق إليها الرواية الأُخرى، والشاهد على المدّعى وجود روايات جمعت بين هاتين الطائفتين نذكر بعضها:

١- في "الكافي": عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: 'اتّقوا الحكومة، فإنّ الحكومة إنّما هي للإمام العالم بالقضاء، العادل في المسلمين لنبيّ أو وصيّ نبيّ'. [الكافي ٧:٤٠٦].

٢- وفيه أيضاً قال الباقر عليه السلام: 'مَن أفتى النّاس بغير علم ولا هُدىً من اللّه لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر مَن عمل بفتياه'. [المصدر المتقدّم: ٤٠٩، ووسائل الشيعة ١٨:٩].

٣- وفيه أيضاً عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'مَن حكم في درهمين بحكم جور ثمّ جبر عليه كان من أهل هذه الآية: 'وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ' [سورة المائدة: ٤٤].

فقلت: وكيف يجبر عليه؟ فقال: 'يكون له سوط وسجن فيحكم عليه، فإذا رضي بحكومته وإلا ضربه بسوطه وحبسه في سجنه'. [الكافي ٧:٤٠٨].

٤- وفيه أيضاً عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "القضاة أربعة، ثلاثة في النّار وواحد في الجنّة، رجلٌ قضى بجور وهو يعلم فهو في النّار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النّار، ورجل قضى بالحقّ وهو لا يعلم فهو في النّار، ورجل قضى بالحقّ وهو يعلم فهو في الجنّة". [المصدر المتقدّم: ٤٠٧].

٥- وفي "كنز العمّال": القضاة ثلاثة: قاضيان في النّار، وقاضٍ في الجنّة، قاضٍ قضى بالهوى فهو في النّار، وقاضٍ قضى بغير علمٍ فهو في النّار، وقاضٍ قضى بالحقّ فهو في الجنّة. [كنز العمّال ٦:٩١، ح ١٤٩٨١].

٦- وفيه أيضاً: عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لسان القاضي بين جمرتين حتّى يصير إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار". [المصدر المتقدّم: ٩٤، ح ١٤٩٩٢].

٧- وفي "شرح ابن أبي الحديد" مرفوعاً عن أبي هريرة، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: "ليس أحد يحكم بين النّاس إلا جي ء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، فكّه العدل، وأسلمه الجور". [شرح ابن أبي الحديد ١٧:٦٥].

كان عليّ يؤكّد على القضاة في أمر تطبيق الحقّ في قضائهم

كان من سيرته عليه السلام التأكيد على القضاة أمر تطبيق الحقّ والعدالة في قضائهم، بل ويأمرهم بالعدالة في مقام العمل، وينهاهم عن أخذ التحف والهدايا، ويحذّرهم عن أخذ الرشوة وغير ذلك، وفي ذلك روايات نشير إلى بعض منها:

١- عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَن ابتلي بالقضاء فليواس بينهم في الإشارة وفي النظر وفي المجلس". [الكافي ٧:٤١٣، ووسائل الشيعة ١٨:١٥٧].

٢- روى الصدوق عن الأصبغ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: "أيّما والٍ احتجب عن حوائج النّاس احتجب اللّٰه عنه يوم القيامة وعن حوائجه، وإن أخذ هديةً كان غلولاً، وإن أخذ رشوةً فهو مشرك". [عقاب الأعمال: ٢٦١].

٣- في "مستدرك الوسائل": عن عليّ عليه السلام أنّه قال لرفاعة: "لا تقض وأنت غضبان، ولا من النوم سكران". [مستدرك الوسائل ٣:١٩٥].

٤- في "الكافي": عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: يا شريح، قد جلستَ مجلساً لا يجلسه إلا نبيّ أووصيُّ نبيّ أو شقي". [الكافي ٧:٤٠٦].

٥- وفيه أيضاً: عن هشام بن سالم، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "لمّا ولّى أمير المؤمنين عليه السلام شريحاً القضاء اشترط عليه أن لا ينفذ القضاء حتّى يعرضه عليه". [المصدر المتقدّم: ٤٠٧، ووسائل الشيعة ١٨:٧].

٦- وفيه أيضاً عن أحمد بن أبي عبداللّٰه، رفعه، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: "لا تسارّ أحداً في مجلسك، وإن غضبتَ فقم، فلا تقضينّ وأنت غضبان". [المصدر المتقدّم: ٤١٣].

٧- قال: وقال أبو عبداللّٰه عليه السلام: "لسان القاضي وراء قلبه، فإن كان له [في هامش الكافي قال: فإن كان القلب له بأن لا يكون فيه ما يمنعه عن الحكم قضى وتكلّم، وإن كان عليه بأن كان غضبان أو جائعاً أو مثله أمسك عن الكلام، أو المعنى ينبغي له أن يتفكّر فيما يتكلّم به].

قال، وإن كان عليه أمسك". [الكافي ٧:٤١٣].

عهده إلى مالك الأشتر النخعي

قال السيّد الرضي رحمه الله: من عهدٍ له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لمّا ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمّد بن أبي بكر، وهو أطول عهدٍ كتبه وأجمعه للمحاسن.

وفي عهده هذا قسّم عليه السلام طبقات المجتمع إلى سبعة أقسام، وذلك وفقاً للعمل والحرفة: ١ - جنود اللّٰه. ٢ - كتّاب العامّة والخاصّة. ٣ - قضاة العدل. ٤ - عمّال الانصاف والرفق. ٥ - أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة النّاس. ٦ - التجّار وأهل الصناعات. ٧ - الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة. وممّا لا شكّ فيه أنّه عليه السلام لم يفضّل أحداً على أحدٍ من حيث العمل، وليس هو في معرض الترجيح بين الطبقات؛ إذ كلّهم يعملون ويكسبون ما يتناسب مع عملهم.

ويظهر من عهده عليه السلام خصوصيّة للقضاة ورؤساء القضاء في الحكومات الإسلاميّة نسير إليها في التالي:

القاضي في نظر الإمام عليّ

يشكّل قضاة العدل الطبقة الثالثة في هذا العهد القيّم، ولقد أوضح عليه السلام لمالك الأشتر رضى الله عنه ما يجب أن يتحلّى به القاضي من صفات وفضائل، ونحن في هذا الفصل نوضّح باختصار ما جاء في هذا العهد بخصوص القضاة:

١- قال عليه السلام: 'ثُمَّ اخْتَر لِلْحُكْم بَيْن النّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِى نَفسِكَ'، لا بدّ من اختيار أفضل النّاس للتصدّي للقضاء؛ لأنّ النّاس لا يمكن أن يطيعوا شخصاً هم أفضل منه، حيث أنّ تقديم المفصول على الفاضل خلاف العقل، كما أنّ حكم غير المتّقي على المتّقي و كذلك حكم غير المتعلّم على المتعلّم ممنوع وقبيح عقلاً.

٢- 'مِمَّنْ لَا تَضِيْقُ بِهِ الْأُمورُ'. يجب أن يكون القاضي متعلّماً بحيث أنّه قادر على تحليل وتجزئة المسائل، وأن لا يكون في حَرَج وضيق ممّا يواجه من الحوادث.

٣- 'وَلَا تَمْحَكُهُ الْخُصُومُ'. تمحكه: من المحك وهو التجربة والاختبار، يعني أنّ القاضي يجب أن يكون في الأُبّهة والوقار بحيث لا يسمح للخصمين أن يحاولا اختباره فيما إذا كان يقبل الرشوة بالمال أو بإظهار المحبّة والاحترام، وجاء في شرح ابن أبي الحديد: تجعله ماحكاً، أي لجوجاً، محك الرجل: لجّ، ماحك زيد عمراً: لاجّه، يعني: يجب أن يكون عليه من صفات الهيبة والوقار بحيث لم يجرؤ الطرفان المتخاصمان أن يلجّا في حكمه أو يناقشاه.

٤- 'وَلَا يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ': إذا أخطأ القاضي في حكمه وأحسّ بالخطأ، فعليه أن لا يصرّ ولا يستمرّ عليه، بل عليه الاعتراف وعدم التمادي؛ لأنّ ذلك يؤدّي به إلى مجانبة الحقّ والعدل.

٥- 'وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْ ءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ': يحصر: أي يعيا في المنطق، والفي ء: الرجوع إلى الحقّ، يعني يجب أن يكون القاضي صريحاً في عودته إلى الحقّ إذا عرفه دون تردّد أو شكّ كي يحقّ الحقّ ويبطل الباطل.

٦- 'وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ': يجب أن لا يشغل نفسه بالنظر إلى ما في أيدي النّاس، وأن لا يكون من أهل الطمع، فهو ذو مقامٍ عالٍ استلهمه من الخالق العزيز للحكم بين النّاس؛ لذا يجب عليه الحفاظ على هذا المقام، وأن لا ينزل به إلى مستوى منحطّ إلى المادة وطمع الدنيا.

٧- 'وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ': يجب على القاضي التروّي في الحكم، وأن لا يقضي بسرعة وبأدنى فَهم؛ لأنّ ذلك يؤدّي به إلى الخطأ والزلل، فعليه أن يناقش القضيّة من كلّ جوانبها، ويسمع من الخصمين سماعاً دقيقاً، كي تتّضح المسألة لديه ويحكم على أساسها.

٨- 'وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ': الشبهات: ما لا يتّضح الحكم فيه بالنصّ، وفيها ينبغي الوقوف على القضاء حتّى يردّ الحادثة إلى أصل صحيح، فعلاوة على كون القاضي أفضل الرعيّة فعليه أيضاً أن يتوقّف عند الشبهة، وأن لا يأخذه الغرور بما لديه من المعلومات، وأن لا يعتبر السؤال والمشاورة عيباً وعاراً عليه، بل العيب والعار هو التكبّر والغرور والوقوع في مزالق الباطل.

٩- 'وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ': أي عليه الاعتماد على الدليل والبرهان، وأن يحكم على أساس الحجج والقوانين والأحكام، ولا يكتفي بما يتصوّره في ذهنه فحسب.

١٠- 'وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ': التبرّم: الملل والضجر، حيث ينبغي أن يكون القاضي أقلّ النّاس تضجّراً من الطرفين المتنازعين، وأن يكون متحمّلاً صبوراً في الإصغاء للخصمين حتّى تنتهي الدعوى ولا يملّ من كلامهما.

١١- 'وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ': يجب أن يكون القاضي أكثر الناس صبراً؛ وذلك لأجل كشف الحقائق وتجلّيها، وأن لا يقطع بالحكم حتّى تتبيّن له كلّ مطالب القضيّة، ولا يكتفي بتقرير إجمالي لها وحسب.

١٢- 'وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ': أصرمهم: أي أقطعهم للخصومة وأمضاهم، فإن اتّضح الأمر عليه أن يكون قاطعاً حاسماً في اتّخاذ القرار، وأن لا يؤجّله ويسوّفه جاعلاً النّاس في حيرة.

١٣- 'مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ': لا يزدهيه إطراء: أي لا يستخفّه زيادة الثناء عليه، فعليه أن لا يشعر بالكبر والزهو لما يسمعه من إطراء ومدح الآخرين.

١٤- 'وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ': على القاضي أن لا يحكم وفقاً للمغريات الّتي يقدّمها أد طرفي النزاع، ولا تنطلي عليه حيلة أحد الطرفين بحيث يستهويه ويحكم له. ومن الطبيعي أنّ وجود قاضٍ تتمثّل به هذه الصفات القيّمة يعدّ نادراً وقليلاً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: 'وَأُولئِكَ قَلِيلٌ'. [انظر الكتاب كاملاً في نهج البلاغة: الكتاب ٥٣].

واجب رئيس القضاء تجاه القضاة في عهده

ليس من وجهة نظر أمير المؤمنين عليه السلام أن يُترك القاضي بمجرّد تعيينه وحسب، وأن لا يخضع للمراقبة والفحص والاختبار من قِبل رئيس القضاء أو رئيس الدولة، وفي عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر أوصاه بالقضاة من جانبين:

الأوّل: مراقبة القاضي من حيث الأحكام الصادرة.

الثاني: متابعة الوضع المادي والمعنوي للقاضي، يقول عليه السلام استمراراً لنفس العهد:

١- 'ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ': أي تتّبعه بالاستشكاف والتعرّف، فإنّك - يا مالك - بعد أن عيّنت القاضي عليك أن تراقبه وتتابعه وتناقش قضاياه الّتي حكم بها؛ لأنّ القاضي قد يخطأ، فرئيس القضاء يجب أن يناقش القضيّة وإن اكتشف أدنى خلاف فيها عليه إعادتها إلى القاضي ليستأنف الحكم.

٢- 'وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عَلَّتَهُ': أي أوسع له في العطاء بما يكفيه، ويسدّ حاجته، وحاجات ومتطلّبات بيته وعائلته، كي لا يكون ممّن ينظر إلى ما في أيدي النّاس، ولا تغرّه الرشوة، ولكي تكون لك الحجّة عليه إذا ارتشى.

٣- 'وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ': فإذا أجزلت له العطاء الكافي كفيته من حاجة النّاس، حتّى لا يكون متحيّزاً في إصدار الحكم لأحد.

٤- 'وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ': لا يتوقّف الإمام عليه السلام عند حدّ كفاية القاضي من الناحية المادّية فقط، بل يتعدّاه إلى الناحية المعنويّة؛ إذ يجب على رئيس الدولة أو رئيس القضاء أن يجعل للقاضي مكانة لديه، لكي لا يكون هدفاً لسعاية لآخرين، ولكي يتمكّن من تنفيذ الأحكام الحقّة، ولا يطمع الآخرون به، وإلا فإنّ المحيطين برئيس القضاء أو برئيس الدولة سيطلبون منه أن يحكم لصالحهم، وأنّه سيعمل ذلك من فرط الخوف.

ثمّ في نهاية هذه الفقرة الخاصّة في القضاء من هذا العهد، قال: 'فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فَإِنَّ هذَا الدِّيْنَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا'. [انظر المصدر المتقدّم].

نبذة ممّا برز من سيرته اتجاه القضاة

نذكر في هذا الفصل نبذة من مخالفات القضاة وموقف عليّ عليه السلام تجاههم حتّى يعرف القرّاء الكرام أنّ عمله عليه السلام كقوله سواء.

١- في "شرح ابن أبي الحديد" و "فرائد السمطين": عن عبداللّه بن عمر، قال: استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطّاب، وعليّ جالس، فالتفت عمر إليه، فقال: قم - يا أبا الحسن - فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثمّ انصرف الرجل ورجع عليّ عليه السلام إلى محلّه، فتبيّن عمر التغيّر في وجهه، فقال: يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيّراً، أكرهتَ ما كان؟ قال عليه السلام: 'نعم'. قال عمر: وما ذاك. قال عليه السلام: 'كنّيتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم - يا عليّ - فاجلس مع خصمك'، فاعتنق عمر عليّاً وجعل يقبّل وجهة، وقال: بأبي أنتم! بكم هدانا اللّه، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور. [شرح ابن أبي الحديد ١٧:٦٥، و في فرائد السمطين ١:٣٤٨، ح ٢٧٣، نحوه].

٢- و فى "الاحقاق" عن ابن الاخوّة في كتاب "معالم القربة في أحكام الحسبة"، قال: يحكى أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثمّ عزله. فقال له: لِمَ عزلتني، فواللّه! ما خُنتُ ولا خُوّنتُ؟ قال: 'بلغني أنّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك'. [الإحقاق ٨:٥٤٨].

فعلى الولاة ورؤساء القضاء في الحكومات الإسلاميّة الاقتداء بهَدْي إمامهم عليّ عليه السلام والسير بسيرته، وأن يراقبوا جهاز القضاء مراقبة دقيقة، ويتحرّوا عن القائمين عليه كي لا يتعسّفوا في الحكم على المتخاصمين ولا يرهبوا المراجعين أو يعنّفوهم. وإذا علموا بتخلّف موظّفيهم وبّخوهم أو عزلوهم لكي تحافظ الحكومة على مسير الحقّ والعدل.

٣- وروى أبو إسحاق الثقفي الكوفي في "الغارات": بسنده عن محمّد بن سيرين، عن شريح، قال: بعث إليَّ عليّ عليه السلام: 'أن اقض بما كنت تقضي حتّى يجتمع أمر النّاس'. [الغارات ١:١٢١].

٤- وروى أبو إسحاق عن الحسن بن حيّ، قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: إنّ عليّاً عليه السلام رزق شريحاً القاضي خمسمائة. [الغارات ١:١٢١].

٥- وروى أيضاً عن الشعبي، قال: وجد عليّ عليه السلام درعاً له عند نصراني، فجاء به إلى شريح يخاصمه إليه... فقال عليّ عليه السلام: 'إنّ هذه درعي لم أبع ولم أهب'.

فقال شريح للنصراني: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، هل من بيّنة؟! قال: "لا"، فقضى بها للنصراني، فمشى هنيئّة [قليلاً من الزمان].

ثمّ أقبل، فقال: أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيّين، أمير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه! وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إلا اللّه وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، الدرع واللّه درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش وأنتَ منطلق إلى صفّين فخرّت من بعيرك الأورق [الأورق: الأسمر من الإبل الّذي في لونه سواد إلى بياض، ومنه: جمل أورق].

قال: 'أمّا إذا أسلمتَ فهي لك'، وحمله على فرس. [الغارات ١:١٢٤، فقد مرّ تقاضيه مع اليهودي عند القاضي في فصل 'سيرة عليّ "ع" مع أهل الذمّة' فراجع].

نبذة من قضائه في حياة رسول اللّٰه

قضاؤه عليه السلام في حياة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حتّى مع حضوره، من أدلّ الشواهد على أنّ عليّاً عليه السلام مؤيّداً من عند اللّٰه وأنّه يليق بإمامة الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله، بل أنّه أليق من جميع الصحابة بالخلافة والإمامة بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

وقد روى محبّ الدين الطبري والقندوزي الحنفي والأمر تستري عن حميد بن عبداللّٰه بن يزيد، قال: ذكر عند النبيّ صلى الله عليه و آله قضاء قضى به عليّ بن أبي طالب، فأعجب النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: "الحمد للّٰه الّذي جعل فينا الحكمة أهل البيت". [ذخائر العقبى: ٨٥، ينابيع المودّة: ٧٥، أرجح المطالب: ٣٢٨].

وقد ذكر لقضائه عليه السلام في عهد رسول اللّٰه موارد كثيرة نذكر بعضها:

قضاؤه بين رسول اللّٰه والأعرابي المدّعي طلب ثمن ناقة

في "أمالي الصدوق": بسنده عن علقمة، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فادّعى عليه سبعين درهماً ثمن ناقة، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "يا أعرابي، ألم تستوفِ منّي ذلك؟"، فقال: لا، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "إنّي قد أوفيتك". قال الأعرابي: قد رضيت برجل يحكم بيني وبينك، فقام النبيّ صلى الله عليه و آله معه فتحاكما إلى رجل من قريش، فقال الرجل للأعرابي: ما تدّعي على رسول اللّٰه؟ قال: سبعين درهماً ثمن ناقة بعتها منه، فقال: ما تقول يا رسول اللّٰه؟ فقال صلى الله عليه و آله: "قد أوفيته".

فقال القرشي: قد أقررت له - يا رسول اللّٰه - بحقّه، فإمّا أن تقيم شاهدين يشهدان بأنّك قد أوفيته، وإمّا أن توفيه السبعين الّتي يدّعيها عليك.

فقام النبيّ صلى الله عليه و آله مغضباً يجرّ رداءه، وقال: "واللّٰه لأقصدنّ من يحكم بيننا بحكم اللّٰه تعالى ذكره"، فتحاكم معه إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال للأعرابي: "ما تدّعي على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟"، قال: سبعين درهماً ثمن ناقة بعتها منه. قال: "ما تقول، يا رسول اللّٰه؟"، قال: "قد أوفيته"، قال: "يا أعرابي، إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول قد أوفيتك فهل صدق؟"، فقال: لا ما أوفاني، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام سيفه من غمده وضرب عنق الأعرابي، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لِمَ قتلت الأعرابي؟"، قال: "لأنّه كذّبك يا رسول اللّٰه، ومَن كذّبك فقد حلّ دمه ووجب قتله". فقال

النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، ما أخطأت حكم اللّه تبارك وتعالى فيه، فلا تعد إلى مثلها'. [أمالي الصدوق - المجلس الثاني والعشرون: ح ٢].

أقول: و ان كان حكم من كذب رسول اللّه صلى الله عليه و آله حلّ دمه، ولكن قابل للعفو و الاغماض و لذا قال صلى الله عليه و آله: 'فلا تعد الى مثلها' و اللّه العالم.

امره رسول اللّه بالقضاء في بهيمة قتلت بهيمة أُخرى

روى جمع من العامّة، منهم العلامة القندوزي وأبو الفوارس بسندهما عن مصعب بن سلام التميمي، ومن طرق الخاصّة بسندهم عن الصادق عليه السلام وغيره أنّه قال: 'ثور قتل حماراً على عهد النبيّ صلى الله عليه و آله فرفع ذلك إليه، وهو في أُناس من أصحابه، منهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان'، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا أبا بكر، اقضِ بينهما'، فقال: يا رسول اللّه، بهيمة قتلت بهيمة ما عليها من شيء . فقال النبيّ صلى الله عليه و آله لعمر: 'يا عمر، اقض بينهما'، فقال كقول أبي بكر صاحبه. فالتفت النبيّ صلى الله عليه و آله إلى عليّ عليه السلام وقال له: 'يا عليّ، اقضِ بينهما'. فقال: 'حُبّاً وكرامة، إن كان الثور دخل على الحمار فقتله في مستراحه ضمن أصحاب الثور دية الحمار، وإن كان الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان على صاحب الثور'، فرفع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يده إلى السماء وقال: الحمد للّه الّذي مَنّ على العباد بمن يقضي قضاء النبيّين'. [الأربعين لأبي الفوارس: ١٣، وينابيع المودّة: ٧٦، وراجع: الفصول المهمّة: ٣٤، والإرشاد للمفيد ١:١٩٧، والمناقب لابن شهرآشوب ٢:٢٥٤، والبحار ٤٠:٢٤٦].

اعجاب النبيّ بقضاء عليّ

في "المناقب": عن أبي داود وابن ماجة في "سننهما"، وابن بطّة في "الإبانة"، وأحمد في "فضائل الصحابة"، وأبو بكر ابن مردويه في كتابه بطرق كثيرة: عن زيد بن أرقم أنّه قيل للنبيّ صلى الله عليه و آله: أتى إلى عليّ باليمن ثلاثة نفر يختصمون في ولدهم، كلّهم يزعم أنّه وقع على أُمّه في طهر واحد ذلك في الجاهليّة؟ فقال عليّ عليه السلام: 'إنّهم شركاء متشاكسون'، فقرع على الغلام باسمهم، فخرج لأحدهم فألحق الغلام به، وألزمه ثلثي الدية لصاحبيه، وزجرهما عن مثل ذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'الحمد للّه الّذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٥٣].

قضاء في اليمن وقول الرسول فيه: "الحكم حكمه"

في "أمالي الصدوق": بسنده عن جبير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: بعث رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً إلى اليمن، فانفلت [انفلت: تخلّص وفرّ].

فرس لرجل من أهل اليمن، فنفح [ونفحت الدابة الرجل: ضربته بعد حافرها].

رجلاً برجله فقتله، وأخذه أولياؤه ليقتلوه، فرفعوه إلى عليّ عليه السلام فأقام صاحب | الفرس| البيّنة أنّ الفرس انفلت من داره فنفح الرجل برجله، فأبطل عليّ عليه السلام دم الرجل. فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبيّ صلى الله عليه و آله يشكون عليّاً عليه السلام فيما حكم عليهم، فقالوا: إنّ عليّاً ظلمنا وأبطل دم صاحبنا. فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ عليّاً ليس بظلام، ولم يخلق عليّ للظلم، وأنّ الولاية من بعدي لعليّ، والحكم حكمه، والقول قوله، لا يردّ حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن'.

فلمّا سمع اليمانيّون قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في عليّ عليه السلام قالوا: يا رسول اللّٰه، رضينا بقول عليّ وحكمه. فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'هو توبتكم ممّا قلتم'. [أمالي الصدوق - المجلس الخامس والخمسون: ح ٧، والبحار ٣٨: ١٠٢ و٤٠: ٣١٦].

قضاؤه في عهد أبي بكر

اعلم أنّ قضاءه عليه السلام في عهد أبي بكر على ما وصل إلينا قليل، ولعلّ هذا من جهة قلّة سنين حكومة أبي بكر أو لقلّة وقوع النزاع في عهده، أو لأمر آخر، واللّٰه العالم، وعلى أي حال نشير إلى ثلاثة موارد منها:

١- روى الخاصّة والعامّة: أنّ أبا بكر أراد أن يقيم الحدّ على رجل يشرب الخمر، فقال الرجل: إنّي شربتها ولا علم لي بتحريمها، فارتجّ عليه، فأرسل إلى عليّ عليه السلام يسأله عن ذلك. فقال: 'مُرْ ثقتين من رجال المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار، ويُنشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم، أو أخبره بذلك عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحدّ عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه وخلّ سبيله'، وكان الرجل صادقاً في مقاله، فخلّى سبيله. [مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٣٥٦، الإرشاد ١: ١٩٩].

٢- وروى الشيخ الطوسي عن ابن بكير، ومحمّد بن يعقوب الكليني، عن أبي بصير، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: 'شرب رجل على عهد أبي بكر خمراً، فرفع إلى أبي بكر، فقال له: أشربت خمراً؟ قال: نعم،

ولِمَ، وهي محرّمة؟ قال: فقال له الرجل: إنّي أسلمت وحسن إسلامي، ومنزلي بين ظهراني قوم يشربون الخمر ويستحلّون، ولو علمت أنّها حرام اجتنبتها. فالتفت أبو بكر إلى عمر، قال: فقال: ما تقول في أمر هذا الرجل؟ قال عمر: معضلة وليس لها إلا أبو الحسن، فقال أبو بكر: ادع لنا عليّاً. فقال عمر: يؤتى الحَكَم في بيته، فقاما والرجل معهما ومن حضرهما من النّاس حتّى أتوا أمير المؤمنين عليه السلام، فأخبراه بقصّة الرجل، وقصّ الرجل قصّته، فقال عليه السلام: [وكانت أوّل قضيّة قضى بها أمير المؤمنين بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله].

"ابعثوا معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار، مَن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه"، ففعلوا ذلك، فلم يشهد عليه أحد قرأ عليه آية التحريم، فخلّى عنه، وقال له: "إن شربت بعدها أقمنا عليك الحدّ". [التهذيب ١٠:٩٤، ووسائل الشيعة ١٨:٤٧٥].

وزاد في الكافي: ففعل أبو بكر بالرجل ما قال عليّ عليه السلام، فلم يشهد عليه أحد، فخلّى سبيله. فقال سلمان لعليّ عليه السلام: لقد أرشدتهم. فقال عليّ عليه السلام: "إنّما أردت أن أُجدّد تأكيد هذه الآية فيّ وفيهم: "أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ". [سورة يونس: ٣٥].

٣- وفي "المناقب": سأل رسول ملك الروم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنّة ولا يخاف النّار، ولا يخاف اللّٰه، ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لا يرى، ويحبّ الفتنة ويبغض الحقّ، فلم يجبه. فقال عمر: ازددت كفراً إلى كفرك. فأخبر بذلك عليّ عليه السلام فقال: "هذا رجل من أولياء اللّٰه لا يرجو الجنّة، ولا يخاف النّار، ولكن يخاف اللّٰه، ولا يخاف اللّٰه من ظلمه وإنّما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحبّ المال والولد "أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ" [سورة الأنفال: ٢٨. سورة المنافقون: ١٥].

ويشهد بالجنّة والنّار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حقّ" الحديث. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٥٨، والبحار ٤٠:٢٢٣].

قضاؤه في عهد عمر بن الخطّاب

أمّا قضاياه عليه السلام في عهد خلافة عمر بن الخطّاب فكثيرة جدّاً، حيث كان عمر بن الخطّاب يرجع إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندما يصعب عليه القضاء على مدى حكومته، وكثيراً ما نراه بعد كشف المعضلة يصرّح بقوله: لولا عليّ لهلك عمر، ولولا عليّ لافتضحنا.

قال ابن عساكر الشافعي في تأريخه: عن سعيد بن المسيّب، قال: قال عمر بن الخطّاب: أعوذ باللّه من معضلة ليس لها أبو الحسن عليّ بن أبي طالب. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٩٣، ح ١٠٧١ و ١٠٧٠، ورواه ابن عبدالبرّ في الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٩].

وروى عن أبي سعيد الخدري أنّه سمع عمر يقول لعليّ، وقد سأله عن شيء فأجابه، فقال له عمر: نعوذ باللّه من أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٩٣، ح ١٠٧١ و ١٠٧٠].

قال الشيخ المحمودي في تحقيقه لترجمة عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق: قد أخلّ المصنّف الحافظ بذكر موارد مراجعات عمر إلى عليّ عليه السلام عندما كان ينسدّ عليه الطريق في المعضلات فيكشفها له عليّ عليه السلام فيعرضه فرح يخرجه عن الحالة الطبيعيّة فيرفع صوته ويقول: لولا عليّ لافتضحنا! لا أبقاني بعدك يا أبا الحسن! يابن أبي طالب ما زلت كاشف كلّ كربة، اللّهمّ لا تنزلنّ بي شديدة إلا وأبو الحسن إلى جنبي! لولا عليّ لهلك عمر،وموارد مراجعاته إلى عليّ عليه السلام لحلّ ما صعب كثيرة جدّاً بحيث لو جمعت تصير بنفسها رسالة مستقلّة.

ثمّ قال في موضع آخر: من أقواله - بعد حلّ عقدته ببيان باب مدينة علم رسول اللّه صلى الله عليه و آله ووصيّه - قوله: لولا عليّ لهلك عمر، وهذا القول كان أكثر جرياناً على لسانه حتّى ضبط عنه في سبعين مورداً مع شدّة الامتناع عن رواية مثله وغاية الاهتمام على إخفائه! [هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٤١، بتحقيق العلامة المحمودي].

نبذة من مراجعات عمر لعليّ في القضاء

موارد مراجعاته إلى عليّ عليه السلام لحلّ ما صعب عليه كثيرة، وفيما يلي نذكر نماذج من المواضع الّتي رفع عقيرته فيها بمدح عليّ عليه السلام:

قضاؤه في تفريق الشهود

روى الصدوق عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، قال: أُتي عمر بن الخطّاب بجارية فشهد عليها شهود أنّها بغت [بغت: زنت].

وكان من قصّتها أنّها كانت يتيمة عند رجل، وكان للرجل امرأة، وكان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبّت اليتيمة وكانت جميلة، فتخوّفت المرأة أن يتزوّجها زوجها إذا رجع إلى منزله، فدعت بنسوة من جيرانها فأمسكنها ثمّ افتضّتها [افتضّتها: رفعت بكارتها].

باصبعها، فلمّا قدم زوجها سأل امرأته عن اليتيمة، فرمتها بالفاحشة وأقامت البيّنة من جيرانها على ذلك.

قال: فرفع ذلك إلى عمر بن الخطّاب فلم يدرِ كيف يقضي في ذلك، فقال للرجل: اذهب بها إلى عليّ بن أبي طالب، فأتوا عليّاً عليه السلام وقصّوا عليه القصّة، فقال عليه السلام لامرأة الرجل: "ألك بيّنة؟"، قالت: نعم، هؤلاء جيراني يشهدن عليها بما أقول، فأخرج عليّ عليه السلام السيف من غمده وطرحه بين يديه، ثمّ أمر بكلّ واحدة من الشهود، فأُدخلت بيتاً، ثمّ دعا بامرأة الرجل فأدارها بكلّ وجه فأبت أن تزول عن قولها، فردّها إلى البيت الّذي كانت فيه، ثمّ دعا بإحدى الشهود وجثا على ركبتيه، وقال لها: أتعرفيني، أنا عليّ بن أبي طالب، وهذا سيفي، وقد قالت امرأة الرجل ما قالت، ورجعت إلى الحقّ، وأعطيتها الأمان [أي في الذهاب إلى محلّها السابق ونحوه، أو الأمان من القتل لكونها غير مستحقّة للقتل، أو غير ذلك].

فاصدقيني وإلا ملأت سيفي منك"، فالتفت المرأة إلى عليّ عليه السلام فقالت: يا أمير المؤمنين، الأمان على الصدق، فقال لها عليّ عليه السلام: "فاصدقي"، فقالت: لا واللّه! ما زنت اليتيمة، ولكنّ امرأة الرجل لمّا رأت حُسنها وجمالها وهيئتها خافت فساد زوجها، فسقتها المسكر، ودعتنا فأمسكناها فاقتضّتها باصبعها.

فقال عليّ عليه السلام: "اللّه أكبر، اللّه أكبر، أنا أوّل من فرّق بين الشهود إلا دانيال"، ثمّ حدّ المرأة حدّ القاذف حدّ القاذف ثمانون جلدة].

وألزمها ومن ساعدها على افتضاض اليتيمة المهر لها أربعمائة درهم، وفرّق بين المرأة وزوجها [فرّق بينها وبين زوجها بالطلاق].

وزوّجه اليتيمة، وساق عنه المهر إليها من ماله. فقال عمر بن الخطّاب: فحدّثنا يا أبا الحسن بحديث دانيال النبيّ عليه السلام، فقال: "انّ دانيال..." و نقل حديث دانيال نحو هذا الحديث. [من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٠، ح ٣٢٥١، ورواه الكليني عن معاوية بن وهب عن أبي عبداللّه عليه السلام مع تفاوت في بعض ألفاظه في الكافي ٧: ٤٢٥].

في امرأة معتوهة زنت

روى محبّ الدين الطبري و أحمد بن حنبل و غيرهما بالاسناد عن أبي ظبيان الحبشي: أنّ عمر بن الخطّاب أُتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا ليرجموها فرآهم عليّ في الطريق، فقال: 'ما شأن هذه'، فأخبروه فخلّى سبيلها، ثمّ جاء إلى عمر، فقال له عمر: لِمَ رددتها؟

فقال: 'لأنّها معتوهة [معتوهة: مجنونة].

آل فلان، وقد قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتّى يستيقظ، والصبيّ حتّى يحتلم، والمجنون حتّى يفيق'. فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر. [راجع: ذخائر العقبى للطبري: ٨١، والرياض النضرة ٣:١٦٤، وفضائل أحمد بن حنبل، وروى العلامة الهندي في كنز العمّال ٥:٤٥١، ح ١٣٥٨٤، عن ابن عبّاس، نحوه].

في امرأة زنت مع غلام صغير

في "المناقب" عن الرضا عليه السلام: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في امرأة محصنة فجر بها غلام صغير، فأمر عمر أن ترجم، فقال عليّ عليه السلام: "لا يجب الرجم، إنّما يجب الحدّ؛ لأنّ الّذي فجر بها ليس بمدرك'. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٦٠؛ بحار الأنوار ٤٠:٢٢٦].

في رجل زنى وهو غائب عن أهله

و فيه أيضاً: أمر عمر برجل يمنيّ محصن فجر بالمدينة أن يرجم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "لا يجب عليه الرجم؛ لأنّه غائب عن أهله، وأهله في بلد آخر، إنّما يجب عليه الحدّ'، فقال عمر: لا أبقاني اللّٰه لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٦٠؛ بحار الأنوار ٤٠:٢٢٦].

في امرأة تعترف بالزنى خوفاً

روى الجويني في "فرائد السمطين"، والخوارزمي في "مناقبه" و غيرهما بالاسناد: عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: لمّا كان في ولاية عمر، أُتي بامرأة حامل، سألها عمر عن ذلك، فاعترفت بالفجور، فأمر عمر أن ترجم، فلقيها عليّ بن أبي طالب، فقال: 'ما بال هذه المرأة؟'، فقالوا: أمر بها عمر أن ترجم، فردّها عليّ عليه السلام فقال له: 'أمرت بها أن ترجم؟'، فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور. فقال: 'هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟'، ثمّ قال له عليّ: 'فلعلّك انتهرتها

أو أخفتها؟'، فقال عمر: قد كان ذلك. قال عليّ عليه السلام: 'أوَما سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت فلا إقرار له'، فخلّى عمر سبيلها ثمّ قال: عجزت النساء أن يَلِدْنَ مثل عليّ بن أبي طالب، لولا عليّ لهلك عمر. [فرائد السمطين ١:٣٥٠، ح ٢٧٦، والمناقب للخوارزمي: ٣٩، وفي الغدير ٦:١١٠ نقله بعينه عن "الرياض النضرة" و "ذخائر العقبى" و"مطالب السؤل" و"الأربعين" للفخر الرازي].

في امرأة زنت وهي حبلى

روى الحافظ محبّ الدين الطبري في "الرياض النضرة"، وفي "ذخائر العقبى"، والكنجي في "الكفاية": دخل عليّ على عمر وإذا امرأة حبلى تقاد ترجم، فقال: 'ما شأن هذه'، قالت: يذهبون بي ليرجموني، فقال: 'يا أمير المؤمنين، لأيّ شيء ترجم؟ إن كان لك سلطان عليها فما لك سلطان على ما في بطنها'، فقال عمر: كلّ أحد أفقه منّي - ثلاث مرّات - فضمنها عليّ عليه السلام حتّى وضعت غلاماً، ثمّ ذهب بها إليها فرجمها. [الرياض النضرة ٣:١٦٣، وذخائر العقبى: ٨١، والكفاية: ١٠٥].

في امرأة على شاب من الأنصار

في كتاب 'الغدير' عن ابن القيم الجوزية في "الطرق الحكميّة" بسنده: أُتي عمر بن الخطّاب بامرأة قد تعلّقت بشابّ من الأنصار وكانت تهواه، فلمّا لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبّت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثمّ جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله. فسأل عمر النساء فقلن له: إنّ ببدنها وثوبها أثر المنيّ، فهمّ بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير الموامنين، تثبّت في أمري، فواللّٰه ما أتيت فاحشة، وما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن، ما ترى في أمرهما؟ فنظر عليّ إلى ما على الثوب، ثمّ دعا بماء حارّ شديد الغليان، فصبّ على الثوب فجمد ذلك البياض، ثمّ أخذه واشتمّه وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة، فاعترفت. [الغدير ٦:١٢٦].

في امرأة زنت وهي مضطرّة

و فيه عن ابن القيم الجوزيّة في "الطرق الحكميّة" بسنده: أنّ عمر بن الخطّاب أتي بامرأة زنت فأقرّت فأمر برجمها، فقال عليّ عليه السلام: "لعلّ بها عذراً"، ثمّ قال لها: "ما حملك على الزنا"، فقالت: كان لي خليط وفي إبله ماء ولبن، ولم يكن في إبلي ماء ولا لبن، فظمئت فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتّى أعطيه نفسي، فأبيت عليه ثلاثاً، فلمّا ظمئت وظننت أنّ نفسي ستخرج، أعطيته الّذي أراد، فسقاني. فقال عليّ: "اللّه أكبر، فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه، إنّ اللّه غفورٌ رحيم". [الغدير ٦:١٢٠، ورواه في كنز العمّال ٥:٤٥٧، ح ١٣٥٩٦].

وفي "تهذيب الشيخ" روى هذه القضيّة لامرأة كانت في فلاة من الأرض فأصابها العطش، الحديث. [التهذيب للشيخ الطوسي رحمه الله ١٠:٤٩، ح ١٨٦].

وفي "كنز العمّال" عن أمّ كلثوم ابنة أبي بكر قالت: انّ عمر بن الخطّاب كان يعسّ [يعسّ: يطوف بالليل يحرس النّاس ويكشف أهل الريبة].

بالمدينه ذات ليلة، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة، فلمّا أصبح، قال للنّاس: أرأيتم أنّ إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة، فأقام عليهما الحدّ ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنّما أنت إمام، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحدّ، إنّ اللّه لم يأمن على هذا الأمر أقلّ من أربعة شهداء، ثمّ تركهم ما شاء اللّه أن يترُكَهم، ثمّ سألهم، فقال القومُ مثل مقالتهم الأُولى، وقال عليّ عليه السلام: مثل مقالته. [كنز العمّال ٥:٤٥٧، ح ١٣٥٩٧].

في قضاؤه في خمسة نفر في قصّة واحدة وأحكام خمسة

روى الشيخ الطوسي رحمه الله، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن الفرات، عن الأصبغ بن نباتة، قال: أُتي عمر بخمسة نفر أُخذوا في الزنى، فأمر أن يقام على كلّ واحد منهم الحدّ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً، فقال: "يا عمر، ليس هذا حكمهم؟".

قال عمر: فأقم أنت الحدّ عليهم، فقدّم عليه السلام واحداً منهم فضرب عنقه، وقدّم الآخر فرجمه، وقدّم الثالث فضربه الحدّ، وقدّم الرابع فضربه نصف الحدّ، وقدّم الخامس فعزّره، فتحيّر عمر، وتعجّب النّاس من فعله، فقال عمر: يا أبا الحسن، خمسة نفر في قصّة واحدة، أقمت عليهم خمسة حدود، ليس شيء منها يشبه الآخر؟!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "أمّا الأوّل فكان ذمّياً فخرج عن ذمّته فلم يكن له حدّ إلا السيف. وأمّا الثاني: فرجل محصن كان حدّه الرجم، وأمّا الثالث: فغير محصن حدّه الجلد. وأمّا الرابع: فعبد ضربناه نصف الحدّ، وأمّا الخامس: مجنون مغلوب على عقله". [التهذيب للشيخ الطوسي رحمه الله ١٠:٥٠، ح ١٨٨].

في جاريتين تنازعتا في ابن وبنت

روى ابن شهر آشوب عن جابر الجعفي، عن تميم بن خزام الأسدي: أنّه دفع إلى عمر منازعة جاريتين تنازعتا في ابن وبنت، فقال: أين أبو الحسن مفرّج الكرب؟ فدعي له به، فقصّ عليه القصّة، فدعا بقارورتين فوزنهما، ثمّ أمر كلّ واحدة فحلبت في قارورة ووزن القارورتين، فرجحت إحداهما على الأُخرى، فقال: "الابن للتي لبنها أرجح، والبنت للتي لبنها أخفّ". فقال عمر: من أين قلت ذلك يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: "لأنّ اللّه جعل للذكر مثل حظّ الأُنثيين".

قال ابن شهرآشوب في ذيله: وقد جعلت الأطباء ذلك أساساً في الاستدلال على الذكر والأُنثى. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٦٧، في البحار ٤٠:٣١٧، نحوه لكن ذكر من قضاياه في خلافته].

في رجل أقطع اليد والرجل وقد سرق

في "الغدير" عن المغنى ابن قدامة و البيهقي في سننه والمتّقي الهندي في كنزالعمّال عن عبدالرحمن بن عائذ، قال: أُتي عمر بن الخطّاب برجل أقطع اليد والرجل قد سرق، فأمر به عمر أن تقطع رجله. فقال عليّ عليه السلام: "إنّما قال اللّه عزّ وجلّ: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِن خِلَافٍ" [سورة المائدة: ٣٣].

فقد قطعت يد هذا ورجله، فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها "والسارق ليس أسوء حالاً من المرتدّ" إمّا أن تعزّره، وإمّا أن تستودعه السجن"، فاستودعه عمر السجن. [الغدير ٦:١٣٦].

وفي صحيحة محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "قضى أمير المؤمنين عليه السلام في السارق إذا سرق قطعت يمينه، وإذا سرق مرّة أُخرى قطعت رجله اليسرى، ثمّ إذا سرق مرّة أُخرى سجنته، وتركت رجله اليمنى يمشي عليها إلى الغائط، ويده اليسرى يأكل بها ويستنجي بها، وقال: إنّي لأستحيي من اللّه أن أتركه لا ينتفع بشي ء، ولكنّي أسجنه حتّى يموت في السجن، وقال: ما قطع رسول اللّه صلى الله عليه و آله من سارق بعد يده ورجله". [فروع الكافي ٧:٢٢٣، ووسائل الشيعة ١٨:٤٩٢].

في رجل أسود وامرأة سوداء وولدهما أحمر

في 'الغدير' عن ابن القيم الجوزيّة في "الطرق الحكميّة" بسنده: أنّه أُتي عمر بن الخطّاب برجل أسود ومعه امرأة سوداء، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي أغرس غرساً أسود وهذه سوداء على ما ترى، فقد أتتني بولد أحمر؟ فقالت المرأة: واللّه - يا أمير المؤمنين - ما خنته، وإنّه لولده، فبقي عمر لا يدري ما يقول: فسأل عن ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال للأسود: 'إن سألتك عن شيء أتصدّقني؟'، قال: أجل، واللّه، قال: 'هل واقعت امرأتك وهي حائض؟'، قال: قد كان ذلك. قال عليّ عليه السلام: 'اللّه أكبر، إنّ النطفة إذا خلطت بالدم فخلق اللّه عزّ وجلّ منها خلقاً كان أحمراً، فلا تنكر ولدك، فأنت جنيت على نفسك'. [الغدير ٦:١٢٠، وفي البحار ٤٠:٢٢٩، روى الحديث ملخّصاً].

في أمانة رجلين عند امرأة

و في 'الغدير' عن ابن الجوزي في كتاب "الأذكياء" وكتاب "أخبار الظراف"، ومحبّ الدين الطبري في "الرياض النضرة"، وسبط ابن الجوزي في "التذكرة" والخوارزمي في "المناقب": عن حنش بن المعتمر، قال: إنّ رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار، وقالا: لا تدفعيهما إلى أحد منّا دون صاحبه حتّى نجتمع، فلبثا حولاً، ثمّ جاء أحدهما إليهما، وقال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانير، فأبت، فثقل عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتّى دفعتها إليه، ثمّ لبثت حولاً آخر فجاء الآخر فقال: ادفعي إليَّ الدنانير، فقالت: إنّ صاحبك جاءني، وزعم أنّك قد مُتَّ فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضي عليها، وقال لها: ما أراك إلا ضامنة، فقالت: أنشدك اللّه، أن تقضي بيننا وارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعها إلى عليّ عليه السلام وعرف انّهما قد مكرا بها، فقال: 'أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه؟'، قال: بلى، قال: 'فإنّ مالك عندنا، اذهب فجي ء بصاحبك حتّى ندفعها إليكما'، فبلغ ذلك عمر، فقال: لا أبقاني اللّه بعد ابن أبي طالب. [الغدير ٦:١٢٦، والرياض النضرة ٣:١٦٥، وذخائر العقبى: ٨٠، والتذكرة: ١٤٨، ومناقب الخوارزمي: ٥٣].

في إنكار امرأة ولدها الّذي ولدت

عن عاصم بن ضمرة، قال: إنّ غلاماً وامرأة أتيا عمر، فقال الغلام: هذه واللّه أُمّي حملتني في بطنها تسعاً، وأرضعتني حولين كاملين، فانتفت منّي وطردتني، وزعمت أنّها لا تعرفني، فأتوا بها مع أربعة اخوة لها

وأربعين قسامة يشهدون لها أنّ هذا الغلام مدّع ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأنّها بخاتم ربّها لم يتزوّج بها أحد، فأمر عمر بإقامة الحدّ عليه، فرأى عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، احكم بيني وبين أُمّي، فجلس عليه السلام موضع النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: "لك وليّ؟"، قالت: نعم، هؤلاء الأربعة اخوتي، فقال: 'حكمي عليكم جائز وعلى أُختكم؟'، قالوا: نعم، قال: 'أُشهد اللّه وأُشهد من حضر أنّي زوّجت هذه الامرأة من هذا الغلام بأربعمائة درهم والنقد من مالي. يا قنبر، علَيَّ بالدراهم'، فأتاه بها، فقال: خذها فصبّها في حجر امرأتك وخذ بيدها إلى المنزل، فصاحت المرأة: الأمان يابن عمّ رسول اللّه، هذا واللّه ولدي، زوّجني اخوتي هجيناً [الهجين: اللئيم].

فولدت منه هذا، فلمّا بلغ وترعرع أنفوا وأمروني أن انتفي منه، وخفت منهم، فأخذت بيد الغلام فانطلقت به، فنادى عمر: لولا عليّ لهلك عمر. [المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٦١].

في امرأتين تتنازعان طفلاً

روى جماعة منهم إسماعيل بن صالح، عن الحسن: أنّ امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادّعته كلّ واحدة منهما ولداً لها بغير بيّنة، فغمّ عليه وفزع على فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوّفهما، فأقامتا على التنازع، فقال عليه السلام: 'ائتوني بمنشار'. فقالتا: ما تصنع به؟ قال: 'أقدّه بنصفين، لكلّ واحدة منكما نصفه'، فسكتت إحداهما، وقالت الأُخرى: اللّه اللّه - يا أبا الحسن - إن كان لا بدّ من ذلك فقد سمحت له بها. فقال: 'اللّه أكبر، هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقّت عليه وأشفقت'، فاعترفت الأُخرى بأنّ الولد لها دونها. [المصدر المتقدّم: ٣٦٧].

في إلحاق الولد بالرجل رغم ولادته لستّة أشهر

روى الجويني في "فرائده"، والعلامة الهندي في "كنز العمّال": بسندهما عن أبي الأسود الدؤلي: أنّ عمر أُتي بامرأة وضعت لستّة أشهر فهمّ برجمها، فبلغ ذلك عليّاً، فقال: 'ليس عليها رجم'، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه يسأله، فقال عليّ عليه السلام: 'وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ' [سورة البقرة: ٢٣٣].

وقال عزّ وجلّ: 'وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً' [سورة الأحقاف: ١٥].

فستّة أشهر حمله، وحولين [كذا، والصواب: 'حولان'].

تمام الرضاع، لا حدّ عليها". قال: فخلّى عنها، ثمّ ولدت بعد ذلك نساء لستّة أشهر. [فرائد السمطين ١:٣٤٦، ح ٢٦٩، كنز العمّال ٥:٤٥٧، ح ١٣٥٩٨؛ البحار ٤٠:٢٥٢؛ الإرشاد٢٠٦: ١].

وزاد في "المناقب" فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر، وخلّى سبيلها وألحق الولد بالرجل. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٦٥].

في قصّة قدامة بن مظعون وإجراء الحدّ عليه

ما ذكره المفيد في "الإرشاد"، وابن شهرآشوب في "المناقب"، قالا: روى العامّة والخاصّة أنّ قدامة بن مظعون قد شرب الخمر، فأراد عمر أن يحدّه، فقال له قدامة: أنّه لا يجب علَيَّ الحدّ؛ لأنّ اللّٰه تعالى يقول: "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" [سورة المائدة: ٩٣].

فدرأ عمر عنه الحدّ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فمشى إلى عمر فقال له: "لِمَ تركت إقامة الحدّ على قُدامة في شرب الخمر؟"، فقال عمر: إنّه تلا علَيَّ الآية، وتلاها عمر. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: "ليس قدامة من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرّم اللّٰه تعالى، إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلّون حراماً، فاردد قدامة واستتبه ممّا قال، فإن تاب فأقم عليه الحدّ، وإن لم يتب فاقتله، فقد خرج عن الملّة"، فاستيقظ عمر لذلك، وعرف قُدامة الخبر، فأظهر التوبة والإقلاع، فدرأ عمر عنه القتل، ولم يدر كيف يحدّه، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: "أشر علَيَّ في حدّه". فقال: "حدّه ثمانين، إنّ شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر هَذَى، وإذا هَذَى افترى"، فجلده عمر ثمانين. [الإرشاد ١:٢٠٢، وروى في المناقب ٢:٣٦٦، نحوه].

صورة أُخرى في قصّة قدامة

وروى ثقة الاسلام الكليني قصّة قدامة بن مظعون بمضمون آخر عن الحسين بن زيد، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: "أُتي عمر بن الخطّاب بقدامة بن مظعون وقد شرب الخمر، فشهد عليه رجلان: أحدهما خصيّ وهو عمرو بن التميمي، والآخر المعلّى بن الجارود، فشهد أحدهما أنّه رآه يشرب الخمر، وشهد الآخر أنّه رآه يقي ء الخمر. فأرسل عمر إلى أُناس من أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فيهم أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لأمير المؤمنين: ما تقول، يا أبا الحسن؟ فإنّك الّذي قال فيك رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنت أعلم هذه الأُمّة وأقضاها بالحقّ"، فإنّ هذين قد اختلفا في شهادتهما، قال: "ما

اختلفا في شهادتهما، وما قاءها حتّى شربها"، فقال: هل تجوز شهادة الخصيّ؟ قال: "ما ذهاب لحيته [كذا، وفي بعض النسخ: "ما ذهاب خصيته"، ولا منافاة بين النسختين لأنّ الخصيّ لا تنبت لحيته].

إلا كذهاب بعض أعضائه". [فروع الكافي ٧:٤٠١، باب النوادر، ح ٢، ووسائل الشيعة ٤٨٠ - ١٨:١٤١، حدّ المسكر].

اتّضح ممّا ذكرناه اعتراف عمر بن الخطّاب أنّ عليّاً عليه السلام أعلم هذه الأُمّة وأقضاها بالحقّ، فكيف مُنِع عن حقّه؟!

قصة تجسّس عمر بن الخطّاب على امرأة ورجل

بعد ما مرّ منّا من قضايا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقول عمر: لولا عليّ لهلك عمر، نذكر قضيّة عمر في عسّه وتجسّسه استطراداً، فإنّها ظريفة وجديرة بالنقل، والقضيّة منقولة في كتب العامّة على نحو متفاوت في المتن نذكر فيما يلي بعض رواياتها:

١- في "الغدير" عن شهاب الدين في المستطرفات، قال: خرج عمر بن الخطّاب في ليلة مظلمة، فرأى في بعض البيوت ضوء سراج، وسمع حديثاً، فوقف على الباب يتجسّس، فرأى عبداً أسود قدّامه إناءٌ فيه مِزرٌ وهو يشرب، ومعه جماعة، فهمّ بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت، فتسوّر على السطح ونزل إليهم من الدرجة ومعه الدرّة، فلمّا رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا، فمسك الأسود، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد أخطأت وإنّي تائب، فاقبل توبتي. فقال: أُريد أن أضربك على خطيئتك. فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت قد أخطأت في واحدة، فأنت قد أخطأ في ثلاث: فإنّ اللّه تعالى قال: "وَلَا تَجَسَّسُوا" [سورة الحجرات: ١٢].

وأنت تجسّست، وقال تعالى: "وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهِا" [سورة البقرة: ١٨٩].

وأنت أتيت من السطح، وقال تعالى: "لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا" [سورةالنور: ٢٧].

وأنت دخلت وما سلّمت، الحديث. [المستطرف لشهاب الدين ٢:١١٥، نقلاً عن الغدير ٦:١٢١].

٢- و عن أبن أبي الحديد، قيل: انّ عمر بن الخطّاب كان يعسّ بالليل، فسمع صوت رجل و امرأة في بيت، فارتاب فتسوّر الحائط، فوجد امرأة و رجلاً عندهما زِقّ خمر، فقال: يا عدوّ اللّه، أكنت ترى أنّ اللّه يسترك وأنت على معصيته؟! قال: يا اميرالمؤمنين، إن كنتُ أخطأت في واحدة، فقد أخطأت في ثلاث: قال اللّه تعالى:

'وَلَا تَجَسَّسُوا'، وقد تَجسَّستَ، وقال: 'وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهِا'، وقد تَسَّوتَ، وقال: 'فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا' [سورة النور: ٦١].

و ما سَلّمتَ. فقال عمر: هل عندك من خير إن عفوتُ عنك؟ قال: نعم، واللّه لا أعود، فقال: اذهب فقد عفوت عنك. [الغدير ١٢١: ٦ نقلاً عن الرياض النضرة ٤٦: ٢].

و قال العلامة الأميني: والعجب من بعض العامّة أنّهم جعلوا هذه القضيّة مكرمة لعمر بن الخطّاب، منهم ابن الجوزي، فإنّه عدّ هذه القضيّة من مناقب عمر، وتبعه شاعر النيل حافظ إبراهيم ونظمها في قصيدته العمريّة، فقال تحت عنوان: مثال رجوعه إلى الحقّ.

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا*** لهم مكاناً وجدّوا في تعاطيها

ظهرت حائطهم لمّا علمت بهم*** والليل معتكر الأرجاء ساجيها

إلى آخر أشعاره. [الرياض النضرة ٢٦:٣، وشرح ابن أبي الحديد ٦١:١، و٩٦:٣، والدرّ المنثور ٩٣:٦، والفتوحات الإسلاميّة ٤٧٧:٢، نقلاً عن الغدير ١٢٢ - ١٢١:٦].

قضاؤه في عهد عثمان

حكمه في مكاتبة زانية

في "إرشاد المفيد" و "المناقب": روى العامّة والخاصّة أنّ مكاتبة زنت على عهد عثمان وقد عتق منها ثلاثة أرباع، فسأل عثمان أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: 'تجلّد منها بحساب الحريّة، وتجلّد منها بحساب الرقّ'، وسأل زيد بن ثابت، فقال: 'تجلّد بحساب الرقّ'. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'كيف تجلد بحساب الرق وقد عتق منها ثلاثة أرباعها، وهلا جلدتها بحساب الحرّية فإنّها فيها أكثر؟'، فقال زيد: لو كان ذلك كذلك لوجب توريثها بحساب الحريّة. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'أجل، ذلك واجب'، فأفحم زيد، وخالف عثمان أمير المؤمنين عليه السلام، وصار إلى قول زيد، ولم يصغِ إلى ما قال بعد ظهور الحجّة عليه. [الإرشاد للمفيد رحمه الله ٢١٢: ١ والمناقب لابن شهرآشوب ٣٧١:٢].

حكمه في امرأة مطلّقة مدّعية لميراث زوجها

في "المناقب": عن سفيان بن عيينه، بإسناده عن محمّد بن يحيى، قال: كان لرجل امرأتان: امرأة من الأنصار، وامرأة من بني هاشم، فطلّق الأنصاريّة، ثمّ مات بعد مدّة، فذكرت الأنصاريّة الّتي طلّقها أنّها في عدّتها، وأقامت عند عثمان البيّنة بميراثها منه، فلم يدر ما يحكم به، وردّهما إلى عليّ عليه السلام، فقال:

'تحلف أنّها لم تحض بعد أن طلّقها ثلاث حيض، وترثه'، فقال عثمان للهاشميّة: هذا قضاء ابن عمّك. قالت: قد رضيته، فلتحلف وترث، فتحرّجت الأنصاريّة من اليمين، وتركت الميراث. [المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٧١].

احتجاجه على منكر عذاب القبر، وقول عثمان

في "الغدير" عن العاصمي في كتابه "زين الفتى في شرح سورة هل أتى" من طريق شيخه أبي بكر محمّد بن إسحاق بن محمشاد، يرفعه: أنّ رجلاً أتى عثمان بن عفّان وهو أمير المؤمنين وبيده جمجمة إنسان ميّت، فقال: إنّكم تزعمون النّار تعرض على هذا، وأنّه يعذّب في القبر، وأنا قد وضعت عليها يدي فلا أُحسّ منها حرارة النّار، فسكت عنه عثمان، وأرسل إلى عليّ بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلمّا أتاه وهو في ملأ من أصابه، قال للرجل: 'أعد المسألة'، فأعادها، ثمّ قال عثمان بن عفّان: أجب الرجل عنها يا أبا الحسن.

فقال عليّ عليه السلام: 'ائتوني بزند وحجر'، والرجل السائل والنّاس ينظرون إليه، فأُتي بهما فأخذهما وقدح منها النّار، ثمّ قال للرجل: 'ضع يدك على الحجر'، فوضعها عليه، ثمّ قال: 'ضع يدك على الزند'، فوضعها عليه، فقال: 'هل أحسست منهما حرارة النّار'، فبهت الرجل، فقال عثمان: لولا عليّ لهلك عثمان.

قال العلامة الأميني رحمه الله: نحن لا نرقب من عثمان وليد بيت أُميّة الحيطة بأمثال هذه العلوم الّتي هي من أسرار الكون، وقد تقاعست عنها معرفة مَن هو أرقى منه في العلم، فكيف به؟ وإنّما تقلّها عيبة العلوم الإلهيّة، المتلقّاة من المبدأ الأعلى منشئ الكون، ومُلقي أسراره فيه، وهو الّذي أفحم السائل هاهنا في كلّ معضلة أعوز القوم عرفانها. [الغدير ٨: ٢١٤].

قضاؤه في امرأة ولدت لستّة أشهر

أخرج الحافظ عن بعجة بن عبدالله الجهني، قال: تزوّج رجل منّا امرأة من جهينة، فولدت له تماماً لستّة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان، فأمر بها أن ترجم، فبلغ عليّاً عليه السلام فأتاه، فقال: 'ما تصنع؟ ليس ذلك عليها، قال الله تبارك وتعالى: 'وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً' [سورة الأحقاف: ١٥].

وقال: 'وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ' [سورة البقرة: ٢٣٣].

فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً، والحمل ستّة أشهر'.

فقال عثمان: واللّه، ما فطنت لهذا، فأمر بها عثمان أن تردّ، فوجدت قد رجمت، وكان من قولها لأُختها: يا أُخيّة، لا تحزني فواللّه ما كشف فرجي أحدٌ قطّ غيره، قال: فشبّ الغلام بعدُ فاعترف الرجل به، وكان أشبه النّاس به، وقال: فرأيت الرجل بعدُ يتساقط عضواً عضواً على فراشه.

قال العلامة الأميني في ذيل هذه القضة: أليس عاراً أن يشغل فراغ النبيّ الأعظم أُناس هذا شأنهم في القضاء؟! أمن العدل أن يسلّط على الأنفس والأعراض والدماء رجالٌ هذا مبلغهم من العلم؟! أمِن الإنصاف أن تُفَوَّض النواميس الإسلاميّة وطقوس الأمّة وربقة المسلمين إلى يد خلائف هذه سيرتهم؟

لاها اللّه، وربّك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة سبحان اللّه وتعالى عمّا يشركون، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون، فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذابٌ أليم. [أخرجه مالك في الموطأ ١٧٦:٢،والبيهقي في السنن الكبرى ٤٤٢:٧، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤٠:٦. نقلاً عن الغدير ٩٤:٦، وللتوسّع في أقضيّة أمير المؤمنين عليه السلام في زمان عثمان راجع إحقاق الحقّ ٩٧:٨، و مناقب ابن شهرآشوب ٣٧٠:٢].

قضاؤه في زمان حكومته

في "إرشاد المفيد": وكان من قضاياه عليه السلام بعد بيعة العامّة له ومضيّ عثمان بن عفّان - على ما رواه أهل النقل من حملة الآثار - أنّ امرأة ولدت على فراش زوجها ولداً له بدنان ورأسان على حقوٍ [الحقو: الحصر و محل شدّ الازار].

واحد، فالتبس الأمر على أهله، أهو واحد أو اثنان؟ فصاروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يسألونه عن ذلك ليعرفوا الحكم فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "اعتبروه إذا نام ثمّ أنبهوا أحد البدنين والرأسين، فإن انتبها جميعاً في حالة واحدة فهما إنسان واحد، وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم فهما اثنان، وحقّهما من الميراث حقّ اثنين". [الإرشاد للمفيد ٢١٢:١].

قضاؤه في الجرح والقتل حال السكر

في "الإرشاد": روى علماء السير: أنّ أربعة نفر شربوا المسكر على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فسكروا، فتباعجوا [بعج بطنه بالسكّين يبعجه بعجاً: إذا شقّه].

بالسكاكين، ونال الجراح كلّ واحد منهم، ورفع خبرهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأمر بحبسهم حتّى يفيقوا، فمات في السجن منهم اثنان وبقي اثنان. فجاء قوم الاثنين إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا:

أقدنا - يا أمير المؤمنين - من هذين النفسين، فإنّهما قتلا صاحبينا، فقال لهم: 'ما علّمكم بذلك، ولعلّ كلّ واحد منهما قتل صاحبه؟'، فقالوا: لا ندري، فاحكم فيهم بما علّمك اللّٰه. فقال: 'دية المقتولين على قبائل الأربعة بعد مقاصّة الحيّين منها بدية جراحهما'. [الإرشاد للمفيد: ٢١٨: ١].

ثمّ قال المفيد: وكان ذلك هو الحكم الّذي لا طريق إلى الحقّ في القضاء سواه، ألا ترى أنّه لا بيّنة على القاتل تفرّده من المقتول، ولا بيّنة على العمد في القتل؟ فلذلك كان القضاء فيه على حكم الخطأ في القتل واللبس في القاتل دون المقتول. [الإرشاد للمفيد: ٢١٨: ١].

ورواه الشيخ الطوسي في "التهذيب" والصدوق في "الفقيه": عن السكوني عن أبي عبداللّٰه عليه السلام مع اختلاف يسير في لفظه. [التهذيب ١٠: ٢٤٠، والفقيه ٤: ١١٨].

قضائه في قصّة الأرغفة قضاء رياضي

روى الحافظ ابن عبدالبرّ في "الاستيعاب"، وكذا العلامة السيوطي في "تاريخ الخلفاء"، وكذا المولى عليّ المتّقي الهندي في "كنز العمّال"، ومحبّ الدين الطبري في "ذخائر العقبى"، والعلامة الصفوري الشافعي في "نزهة المجالس"، وابن حجر العسقلاني في "الصواعق المحرقة"، والمحدّث البدخشي في "مفتاح النجا"، والقندوزي في "ينابيع المودّة" كلّهم بسندهم عن زرّ بن حُبيش، وكذا علماء الخاصّة في كتبهم رووا بسندهم قالوا: جلس رجلان يتغدّيان، مع أحدهما خمسة أرغفة خبز، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا الغداء بين أيديهما مرّ بهما رجل فسلّم، فقالا: اجلس للغداء، فجلس وأكل معهما واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم، وقال: خُذا هذا عوضاً ممّا أكلت، ونلت من طعامكما، فتنازعا فقال صاحب الأرغفة الخمسة: لي خمسة دراهم، ولك ثلاثة. فقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقصّا عليه قصّتهما، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: 'قد عرض عليك صاحبك ما عرض، وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة'، فقال: لا واللّٰه لا رضيت منه إلا بمرّ الحقّ، فقال عليّ عليه السلام: 'ليس لك في مرّ الحقّ إلا درهم واحد وله سبعة'.

فقال الرجل: سبحان اللّٰه - يا أمير المؤمنين - هو يعرض علَيَّ ثلاثة فلم أرض، وأشرت علَيَّ بأخذها فلم أرض، وتقول لي الآن: إنّه لا يجب لك في مرّ الحقّ إلا درهم واحد؟! فقال له عليّ عليه السلام: 'عرض

عليك الثلاثة صلحاً، فقلت: لم أرض إلا بمرّ الحقّ، ولا يجب لك بمرّ الحقّ إلا واحد'. فقال الرجل: فعرّفني بالوجه في مرّ الحقّ حتّى أقبله.

فقال عليّ عليه السلام: 'أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرين ثلثاً، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يُعلم الأكثر أكلاً منكم ولا الأقلّ، فتحملون في أكلكم على السواء؟'، قال: بلى. قال: 'فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنّما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية، ويبقى له سبعة، وأكل لك واحداً من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة بسبعته'، فقال الرجل: رضيت الآن. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤١، وفي ذخائر العقبى للطبري: ٨٤، ونزهة المجالس للصفوري ٢:٢١١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٤٢، وكنز العمّال للعلامة الهندي ٥:٨٣٧، ح ١٤٥١٢، وغيرهم].

فهذه المسألة لو أجاب عنها أمهر رجل في الحساب بعد طول الفكرة والروية وأصاب فيها لكان له الفخر، فكيف بمن يجيب عنها على البديهة والارتجال؟

قضاؤه في مسألة رياضيّة أُخرى

نقل احمد امين عن كتاب "مشكلات العلوم" للنراقي: أنّ سبعة عشر جَملاً كانت مشتركة بين ثلاثة أشخاص، فجاؤوا عليّاً عليه السلام وقالوا: إنّ نصف هذه الجمال لأحدنا، وثلثها لآخر، وتسعها لثالثنا، ونريد أن تقسّمها بيننا على أن لا يبقى باقٍ؟ فدعا عليّ عليه السلام بجمل له وأضافه إلى الجمال، فكانت ١٨ جَملاً، فأعطى نصف الجمال إلى مَن له النصف - أي أعطاه ٩ جمال -، وأعطى ثلث الثمانية عشر إلى مَن كان له الثلث - أي أعطاه ٦ جمال - وأعطى تسع الثمانية عشر إلى مَن كان له التسع - أي أعطاه جملين - "١٧ =٢ + ٦ + ٩" ثمّ أرجع الجمل الّذي أضافه إلى بيته. [التكامل في الإسلام ٤:١٥٩].

وأوضح الأُستاذ أحمد أمين هذا البحث في ١١ صفحة من كتابه في سلسلة مسائل رياضيّة، وهي خارجة عن اطار هذا الكتاب، ولذا أعرضنا عن توضيحها.

قضاؤه بما قضاه داود النبيّ في جماعة اتّهموا بقتل رفيقهم

روى شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: دخل عليّ عليه السلام المسجد فاستقبله شاب وهو يبكي وحوله قوم يسكّتونه، فقال عليّ عليه السلام: ما يبكيك؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ شريحاً قضى عليَّ بقضيّة ما أدري ما هي، إنّ هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في سفر، فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله، فقالوا: ما ترك مالاً، فقدّمتهم إلى شريح فاستحلفهم، وقد علمت - يا أمير المؤمنين - أنّ أبي خرج ومعه مال كثير.

فقال لهم أمير المؤمنين: 'ارجعوا'، فردّهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح، فقال له: 'يا شريح، كيف قضيت بين هؤلاء؟'، فقال: يا أمير المؤمنين، ادّعى هذا الفتى على هؤلاء النفر أنّهم خرجوا في سفر وأبوه معهم، فرجعوا ولم يرجع أبوه، فسألهم عنه فقالوا مات. فسألهم عن ماله، فقالوا: ما خلّف مالاً، فقلت للفتى: هل لك بيّنة على ما تدّعي؟ فقال: لا، فاستحلفتهم.

فقال عليّ عليه السلام: 'يا شريح، هكذا تحكم في مثل هذا؟'، فقال: كيف كان هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'لأحكمن فيهم بحكم ما حكم به إلا داود النبيّ عليه السلام. يا قنبر، ادع شرطة الخميس'، فدعاهم فوكّل بكلّ واحد منهم رجلاً من الشرطة، ثمّ نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى وجوههم، فقال: 'ماذا تقولون؟ أتقولون: إنّي لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى، إنّي إذن لجاهل - ثمّ قال: - فرّقوهم وغطّوا رؤوسهم'.

قال: ففرّق بينهم، وأُقيم كلّ واحد منهم إلى اسطوانة من أساطين المسجد، ورؤوسهم مغطّاة بثيابهم، ثمّ دعا عبيدالله بن أبي رافع كاتبه، فقال: 'هات صحيفة ودواة'، وجلس عليّ عليه السلام في مجلس القضاء، واجتمع النّاس، فقال: 'إذاكبّرت فكبّروا'، ثمّ قال للنّاس: افرجوا.

ثمّ دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه، ثمّ قال لعبيد الله: 'اكتب إقراره وما يقول'، ثمّ أقبل عليه بالسؤال، فقال: 'في أيّ يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟'، فقال الرجل في يوم كذا وكذا، فقال: 'في أي شهر؟'، فقال: في شهر كذا وكذا، فقال: 'في أيّ سنة؟'، قال: في سنة كذا وكذا، قال: 'وأين بلغتم من سفركم حين مات أبو هذا الفتى؟'، فقال: إلى موضع كذا وكذا.

قال: 'في منزل من مات؟'، قال: في منزل فلان ابن فلان، فقال: 'ما كان مرضه؟'، قال: كذا وكذا، قال: 'كم يوماً مرض؟'، فقال: يكون في كذا كذا يوماً، قال: فمن كان يمرّضه؟ وفي أيّ يوم مات؟ ومن غسّله، وأين غسلّه، ومن كفّنه، وبما كفّنتموه، ومَن صلّى عليه؟ ومَن نزل في قبره؟'.

فلمّا سأله عن جميع ما يريد كبّر عليّ عليه السلام وكبّر النّاس، فارتاب أُولئك الباقون، ولم يشكّوا أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه، فأمر أن يغطّى رأسه، وأن ينطلق به إلى الحبس، ثمّ دعا بالآخر فأجلسه بين يديه، وكشف عن وجهه، ثمّ قال: 'كلا، زعمت أنّي لا أعلم ما صنعتم'. فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا إلا

واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله، فأقرّ، ثمّ دعا بواحد بعد واحد فكلّهم يقرّ بالقتل وأخذ المال، ثمّ ردّ الّذي كان أمر به إلى الحبس فأقرّ أيضاً، فألزمهم المال والدم، فقال شريح: فكيف كان حكم داود عليه السلام؟ فقال: "إنّ داود عليه السلام مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم: مات الدين، فدعا منهم غلاماً فقال: يا غلام، ما اسمك؟ فقال: اسمي مات الدين.

فقال له داود عليه السلام: مَن سمّاك بهذا الاسم؟ فقال: أُمّي، فانطلق إلى أُمّه فقال لها: يا امرأة، ما اسم ابنك هذا؟ فقالت: مات الدين. فقال لها: ومن سمّاه بهذا الاسم؟ قالت: أبوه.

قال: وكيف كان ذلك؟ قالت: إنّ أباه خرج في سفر له ومعه قومه، وهذا الصبي حمل في بطني، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، قلت: فأين ما ترك؟ قالوا: لم يخلف مالاً، فقلت: أوصاكم بوصيّة؟ فقالوا: نعم، زعم أنّك حبلى، فما ولدت من ولد ذكر أو أُنثى فسمّيه مات الدين، فسمّيته.

فقال: وتعرفين القوم الّذين كانوا خرجوا مع زوجك؟ قالت: نعم، فاحياءٌ هم أم أموات؟ فقالت: بل أحياء، قال: فانطلقي بنا إليهم"، ثم مضى معها فاستخرجهم من منازلهم، فحكم بينهم بهذا الحكم، فثبت عليهم المال والدم، ثمّ قال للمرأة: سمّي ابنك عاش الدين.

ثمّ انّ الفتى والقوم اختلفوا في مال أبي الفتى كم كان، فأخذ عليّ عليه السلام خاتمه وجمع خواتيم عدّة، ثمّ قال: أجيلوا هذه السهام، فأيّكم أخرج خاتمي فهو الصادق في دعواه لأنّه سهم اللّه عزّ وجلّ وهو لا يخيب". [التهذيب ٦:٣١٦، والفقيه ٣:٢٤، وراجع الكافي ٧:٣٧١].

وفي "الكافي" روى الواقعة عن الأصبغ بن نباتة أيضاً اختصاراً. [الكافي ٧:٣٧٣].

صورة اخرى

فى الاحقاق عن محمّد بن طلحة الشافعي في "مطالب السؤول" قال: إنّ سبعة أنفس خرجوا من الكوفة مسافرين، فغابوا مدّة، ثمّ عادوا وقد فقد منهم واحد، فجاءت امرأة إلى عليّ عليه السلام، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّ زوجي سافر هو وجماعة وعادوا دونه، فأتيتهم وسألتهم عنه فلم يخبروني بحاله، وقد اتّهمتهم بقتله، وأسألك إحضارهم واستكشاف حالهم، فأحضرهم عليه السلام وفرّقهم، وأقام كلّ واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد، ووكلّ به رجلاً يمنع أن يقرب منه أحد ليحادثه.

ثمّ استدعى واحداً فحدّثه وسأله عن حال الرجل فأنكر، فلمّا أنكر رفع عليّ عليه السلام صوته بالتكبير، وقال: "اللّه أكبر"، فلمّا سمع الباقون صوت عليّ عليه السلام مرتفعاً بالتكبير اعتقدوا أنّ رفيقهم قد أقرّ، وحكى لعليّ عليه السلام صورة الحال.

ثمّ استدعاهم واحداً واحداً فأقرّوا بقتله بناءً على أنّ صاحبهم قد أخبر عليّاً عليه السلام بما فعلوه، فلمّا أقرّوا بذلك، قال الأوّل: يا أمير المؤمنين، هؤلاء قد أقرّوا وما أنا أقررت. قال له عليه السلام: "هؤلاء رفاقك قد شهدوا عليك، فما ينفعك إنكارك بعد شهادتهم"، فاعترف أنّه شاركهم في قتله، فلمّا تكمل اعترافهم أقام عليهم حكم اللّٰه تعالى وقتلهم به، فكان من عجائب فهمه وغرائب علمه. [الإحقاق ٨:٧٨].

قضاؤه بما أنزل اللّٰه تعالى في رجل زان

روى الكليني رحمه الله: عن عليّ بن إبراهيم، عن أحمد بن محمّد بن خالد، رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أتاه رجل بالكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي زنيت فطهّرني، قال عليه السلام: "ممّن أنت؟"، قال: من مزينة، قال عليه السلام: "أتقرأ من القرآن شيئاً؟"، قال: بلى، قال عليه السلام: "اقرأ؟"، فقرأ فأجاد، فقال عليه السلام: "أبك جُنّة؟"، قالا: لا، قال عليه السلام: "فاذهب حتّى نسأل عنك"، فذهب الرجل، ثمّ رجع إليه بعد، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي زنيت فطهّرني، فقال عليه السلام: "ألك زوجة؟، قال: بلى، قال: "فمقيمة معك في البلد؟"، قال: نعم، قال: فأمره أمير المؤمنين، فذهب، وقال: "حتّى نسأل عنك"، فبعث إلى قومه فسأل عن خبره، فقالوا: يا أمير المؤمنين، صحيح العقل، فرجع إليه الثالثة، فقال له مثل مقالته، فقال له: "اذهب حتّى نسأل عنك"، فرجع إليه الرابعة، فلمّا أقرّ قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: "احتفظ به"، ثمّ غضب، ثمّ قال: "ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملأ، أفلا تاب في بيته، فواللّٰه! لتوبته فيما بينه وبين اللّٰه أفضل من إقامتي عليه الحدّ".

ثمّ أخرجه ونادى في النّاس: "يا معشر المسلمين، اخرجوا ليقام على هذا الرجل الحدّ، ولا يعرفنّ أحدكم صاحبه"، فأخرجه إلى الجبّان [أي الصحراء].

فقال: يا أمير المؤمنين، انظرني أُصلّي ركعتين، ثمّ وضعه في حفرته واستقبل النّاس بوجهه، فقال: "يا معاشر المسلمين، إنّ هذا حقٌّ من حقوق اللّٰه عزّ وجلّ، فمن كان للّٰه في عنقه حقّ فلينصرف، ولا يقيم حدود اللّٰه مَن في عنقه للّٰه حدٌّ"، فانصرف النّاس وبقي هو والحسن والحسين عليهم السلام، فأخذ حجراً فكبّر ثلاث تكبيرات ثمّ رماه بثلاثة أحجار في كلّ حجر ثلاث تكبيرات، ثمّ رماه الحسن عليه السلام مثل ما رماه أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ رماه الحسين عليه السلام، فمات الرجل، فأخرجه أمير المؤمنين، فأمر فحفر له وصلّى عليه ودفنه.

فقيل: يا أمير المؤمنين، ألا غسّله؟ فقال عليه السلام: "قد اغتسل بما هو طاهر إلى يوم القيامة، لقد صبر على أمر عظيم". [فروع الكافي ١٨٨:٧، ورواه الشيخ الصدوق في الفقيه ٣١:٤، وفي وسائل الشيعة ٣٢٨:١٨ عن الفقيه].

أقول: و لعل انّه قبل اجرا الحدّ عليه اغتسل، ثمّ جرى عليه الحدّ، و لذا لا يجب غسلة.

قضاؤه بما أنزل اللّٰه في امرأة زانية

في "الكافي": عن عليّ بن إبراهيم، وفي "التهذيب" عن الحسن بن محبوب، بإسنادهما عن أبي بصير، عن عمران بن ميثم - أو صالح بن ميثم - عن أبيه، قال: أتت امرأة مجحٌ [المجح: الحامل المقرب الّتي دنت ولادلتها].

أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّي زنيت فطهّرني طهّرك اللّٰه، فإنّ عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة الّذي لا ينقطع، فقال لها: "ممّا أطهّرك؟"، فقالت: إنّي زنيت، فقال لها: "أو ذات بعل أنتِ، أم غير ذلك؟"، فقالت: بل ذات بعل، فقال لها: "أفحاضراً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت، أم غائباً كان عنك؟"، فقالت: بل حاضراً.

فقال لها: "انطلقي فضعي ما في بطنك، ثمّ ائتني أطهّرك"، فلمّا ولّت عنه المرأة فصارت حيث لا تسمع كلامه، قال: "اللّهمّ إنّها شهادة"، فلم يلبث أن أتته، فقالت: قد وضعت فطهّرني، قال: فتجاهل عليها، فقال: "أطهّرك يا أمة اللّٰه ممّا ذا؟"، فقالت: إنّي زنيت فطهّرني، فقال: "وذات بعل إذ فعلت ما فعلت؟، قالت: نعم، قال: "وكان زوجك حاضراً أم غائباً؟"، قالت: بل حاضراً، قال عليه السلام: "فانطلقي وارضعيه حولين كاملين كما أمرك اللّٰه". [قال تعالى: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ" سورة البقرة: ٢٣٢].

قال: فانصرفت المرأة، فلمّا صارت من حيث لا تسمع كلامه، قال [عليّ عليه السلام]: "اللّهمّ إنّهما شهادتان"، قال: فلمّا مضى حولان أتت المرأة، فقالت: قد أرضعته حولين فطهّرني يا أمير المؤمنين، فتجاهل عليها وقال: "أطهّرك ممّا ذا؟"، فقالت: إنّي زنيت فطهّرني.

قال عليه السلام: "وذات بعل إذ فعلت ما فعلت؟"، فقالت: نعم، قال عليه السلام: "وبعلك غائب عنك إذ فعلت ما فعلت أو حاضر؟"، قالت: بل حاضر، قال عليه السلام: "فانطلقي فاكفليه حتّى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردّى من سطح، ولا يتهوّر في بئر"، قال: فانصرفت وهي تبكي، فلمّا ولّت فصارت حيث لا تسمع كلامه، قال عليه السلام: "اللّهم إنّها ثلاث شهادات". [لا يخفى أنّ هذه التأخيرات قبل ثبوت الزنا بالإقرار الأربعة، وأمّا بعد ثبوته لا يؤخّر الحدّ].

قال: فاستقبلها عمرو بن حريث المخزومي، فقال لها: ما يبكيك - يا أمة اللّٰه - وقد رأيتك تختلفين إلى عليّ تسألينه أن يطهّرك؟ فقالت: إنّي أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فسألته أن يطهّرني، فقال: "اكفلي ولدك حتّى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردّى من سطح، ولا يتهوّر في بئر"، وقد خفت أن يأتي علَيَّ الموت ولم يطهّرني.

فقال لها عمرو بن حريث: ارجعي إليه، فأنا أكفله، فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين عليه السلام يقول عمرو بن حريث، فقال لها أمير المؤمنين وهو متجاهل عليها: "ولِمَ يكفل عمرو ولدك؟"، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنّي زنيت فطهّرني، فقال: "وذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟"، قالت: نعم، قال عليه السلام: "أفغائباً كان بعلك إذ فعلت أم حاضراً؟"، فقالت: بل حاضراً.

قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: "اللّهمّ إنّه قد ثبت لك عليها أربع شهادات، وإنّك قد قلت لنبيّك صلى الله عليه و آله فيما أخبرته به من دينك: يا محمّد، مَن عطّل حدّاً من حدودي فقد عاندني، وطلب بذلك مضادّتي، اللّهمّ فإنّي غير معطّل حدودك، ولا طالب مضادّتك، ولا مضيّع لأحكامك، بل مطيع لك ومتّبع سنّة نبيّك".

قال: فنظر إليه عمرو بن حريث وكأنّما الرمان يفقأ في وجهه، فلمّا رأى ذلك عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنّني إنّما أردت أكفله إذ ظننت أنّك تحبّ ذلك، فأمّا إذا كرهته فإنّي لست أفعل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "أبعد أربع شهادات باللّٰه؟ لتكفلنّه وأنت صاغر"، فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر، فقال: "يا قنبر، ناد في النّاس الصلاة جامعة".

فنادى قنبر في النّاس، فاجتمعوا حتّى غصّ المسجد بأهله، وقام أمير المؤمنين عليه السلام فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: "أيّها النّاس، إنّ إمامكم خارج بهذه المرأة إلى الظهر ليقيم عليها الحدّ - إن شاء اللّٰه - فعزم عليكم أمير المؤمنين لمّا خرجتم وأنتم متنكّرون ومعكم أحجاركم لا يتعرّف أحد منكم إلى أحد حتّى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء اللّٰه"، قال: ثمّ نزل فلمّا أصبح النّاس بكرة خرج بالمرأة وخرج النّاس متنكّرين متلثّمين [اللثام: ما كان على الفم من النقاب].

بعمائمهم وبأرديتهم والحجارة في أرديتهم وفي أكمامهم، حتّى انتهى بها والنّاس معه إلى الظهر بالكوفة، فأمر أن يحفر لها حفيرة، ثمّ دفنها فيها، ثمّ ركب بغلته وأثبت رجليه في غرز [الغرز: الركاب من الجلد].

الركاب، ثمّ وضع اصبعيه السبّابتين في أُذنيه، ثمّ نادى بأعلى صوته: "يا أيّها النّاس، انّ اللّٰه تبارك وتعالى عهد إلى نبيّه صلى الله عليه و آله عهداً، عهده محمّد صلى الله عليه و آله إلَيَّ بأنّه لا يقيم الحدّ مَن للّٰه عليه حدّ، فمن كان عليه حدّ مثل ما عليها فلا يقيم عليها الحدّ؟".

قال: فانصرف النّاس يومئذٍ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهماالسلام، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحدّ يومئذٍ وما معهم غيرهم. قال: وانصرف فيمن انصرف يومئذٍ محمّد ابن أمير المؤمنين عليه السلام. [فروع الكافي ٧:١٨٥، والتهذيب ١٠:٩].

لا يخفى ان مراده عليه السلام: "لا يقيم الحد مَن لَّه عليه حدّ"، ليس الحد الزّنا أو حد الواط مثلاً بل المراد اعم منهما.

توضيح

والمشهور أنّه لا يقام الحدّ على الحامل، سواء كان جلداً أو رجماً، فإذا وضعت، فإن كان جلداً ينتظر خروجها عن النفاس؛ لأنّها مريضة، ثمّ إن كان للولد من يرضعه أُقيم عليها الحدّ ولو رجماً على المشهور من أنّه لا يعيش غالباً بدونه، وإلا انتظر بها استغناء الولد عنها، ذكره الشهيد رحمه الله في شرح اللمعة.

الرفق في محلّه

روى شيخ الطائفة في "الاستبصار" عن بعض الصادقين عليهم السلام، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأقرّ بالسرقة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'أتقرأ شيئاً من كتاب اللَّه؟'، قال: نعم، سورة البقرة، قال عليه السلام: 'قد وهبتُ يدَك لسورة البقرة'، قال: فقال الأشعث: أتعطّل حدّاً من حدود اللَّه؟ فقال: 'وما يدريك ما هذا؟ إذا قامت البيّنة، فليس للإمام أن يعفو، وإذا أقرّ الرجل على نفسه فذلك إلى الإمام إن شاء عفا، وإن شاء قطع'. [الاستبصار ٤:٢٥٢، ح ٩٥٤ و ٩٥٥، التهذيب ١٠:١٢٧، ح ٥٠٦، ووسائل الشيعة ١٨:٤٨٨].

اقادة قنبر لتجاوزه عن حدّ اللَّه

في "الكافي": عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر قنبر أن يضرب رجلاً حدّاً، فغلط قنبر فزاده ثلاثة أسواط، فأقاده عليّ عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط'. [الكافي ٧:٢٦٠].

علي و معجزاته و الإخبار بالمغيّبات

قال عليّ عليه السلام - لما عزم على حرب الخوارج -: 'مصارعهم دون النطفة، واللَّه لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة'.

نهج البلاغة: الخطبة ٥٩

نظرة في المعجزة والكرامة

الإعجاز: أن يأتي الإنسان بشي ءٍ يُعجز خصمه ويقصر دونه. [مجمع البحرين ٤:٢٤].

وفي الاصطلاح: ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى. [تجريد الاعتقاد: ٣٥٠، وانظر الإلهيّات ٢:٢١٤].

والكرامة في الاصطلاح: ما صدر عن الإنسان ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة بلا دعوى له.

فالمعجزة والكرامة في أمر خارق العادة مشتركة إنّما التمايز بينهما في مطابقته للدعوى وعدمه. فإطلاق الإعجاز بحسب الاصطلاح فيما إذا وقع خارق العادة عقيب دعوى النبوّة بعنوان شاهد صدق لدعواه، ولذا اشترط العلماء التحدّي في إطلاق الإعجاز، وأمّا إذا لم يكن له دعوى أصلاً فإنّه كرامة نحو ما يظهر من الأولياء والصلحاء من دون دعوى النبوّة أو الإمامة.

فعلى هذا التعريف، فما صدر من خوارق العادة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكذا سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام إن كان بداعي إثبات الإمامة فهو معجزة، وإلا يطلق عليه الكرامة، وهما - أعني المعجزة والكرامة - صدرتا عن الأئمّة عليهم السلام، وقد ذكر المحدّث البحراني في "مدينة المعاجز" "٥٥٥" كرامة ومعجزة لمولانا أمير المؤمنين. وفي "إثبات الهداة" اكتفى بذكر "٥٠٧" معجزة وكرامة، وهذه الأخبار فوق التواتر تجعل أصل القضيّة ثابتاً ومحرزاً، وإن قُدح في سند بعضها.

وقد ادّعى مشهور علماء الإماميّة وغيرهم في ظهور المعجزات على يد المعصومين عليهم السلام، ولكن بعضهم يعتقدون بأنّ المعجزة من مختصّات الأنبياء "صلوات اللّٰه عليهم" وللمعصومين والأولياء والصلحاء الكرامة لا المعجزة بدعوى أنّ المعجزة هي أمر خارق للعادة، وهي تقترن عادة بدعوى النبوّة، أي أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله يأتي بالمعجزة كدليل حيّ يعضد قوله، ويؤيّد صدق دعواه بأنّه مرسل من قِبل اللّٰه تعالى، كما أنّ المعجزة قد تقترن بالتحدّي ودعوة الآخرين إلى المواجهة والمعارضة. أمّا الكرامة، فإنّها عبارة عن أعمال خارقة للعادة وإخبار عن المستقبل، وتصدر هذه الأقوال والأفعال عن الإمام المعصوم غير أنّها لا تقترن بادّعاء الإمامة، كما أنّها لا تحدّي فيها؛ لأنّ الإمامة تثبت عن طريق آخر، وهو نصب النبيّ للإمام، فلا حاجة هنا للمعجزة.

قال العلامة الإربلي عن ابن طلحة: إعلم - أكرمك اللّٰه بالهداية إليه - أنّ الكرامة عبارة عن حالة تصدر لذي التكليف خارقة للعادة لا يؤمر بإظهارها، وبهذا القيد يظهر الفرق بينها وبين المعجزة، فإنّ المعجزة مأمور

بإظهارها؛ لكونها دليل صدق النبيّ صلى الله عليه و آله في دعواه النبوّة، فالمعجزة مختصّة بالنبيّ ملازمة له؛ إذ لا بدّ له منها، فلا نبيّ إلا وله معجزة، والكرامة مختصّة بالوليّ إكراماً له، لكن ليست لازمة له؛ إذ توجد الولاية من غير كرامة، فكم من وليّ لم يصدر عنه شيء من الخوارق.

ثمّ قال: إذا عرفت هذه المقدّمة، فقد كان عليّ عليه السلام من أولياء اللّٰه تعالى، وكان له كرامات صدرت خارقة للعادة أكرمه اللّٰه بها. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٧٥].

وكيف كان فالنزاع لفظي، وإليك نصّ كلام المحقّق البارع الشيخ المفيد في كتاب "أوائل المقالات في المذاهب والمختارات": فأمّا ظهور المعجزات على الأئمّة والأعلام، فإنه من الممكن الّذي ليس بواجب عقلاً ولا يمتنع قياساً، وقد جاءت بكونه منهم عليهم السلام الأخبار على التظاهر والانتشار، قطعت عليه من جهة السمع وصحيح الآثار، ومعي في هذا الباب جمهور أهل الإمامة، وبنو نوبخت تخالف فيه وتأباه، وكثير من المنتمين إلى الإماميّه يوجبونه عقلاً، كما يوجبونه للأنبياء عليهم السلام، والمعتزلة بأسرها على خلافنا جميعاً فيه سوى ابن الإخشيد ومن تبعه، فإنّهم يذهبون فيه إلى الجواز، وأصحاب الحديث كافّة تجوّزه لكلّ صالح من أهل التُّقى والإيمان.

ثمّ قال: القول في ظهور المعجزات على المعصومين [مراده رحمه الله بالمعصومين هنا، غير المعنى المصطلح].

من الخاصّة والسفراء والأبواب، أقول: إنّ ذلك جائز لا يمنع منه عقل ولا سنّة ولا كتاب، وهو مذهب جماعة من مشايخ الإماميّة وإليه يذهب ابن الإخشيد من المعتزلة وأصحاب الحديث في الصالحين والأبرار، وبنو نوبخت من الإماميّة يمتنعون من ذلك، ويوافقون المعتزلة في الخلاف علينا فيه، ويجامعهم على ذلك الزيديّة، والخوارج المارقة من الإسلام، انتهى. [أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ٤٠٧].

وقال العلامة المجلسي: والحقّ أنّ المعجزات الجارية على أيدي غير الأئمّة عليهم السلام من أصحابهم ونوّابهم إنّما هي معجزات تظهر على أيدي أُولئك السفراء لبيان صدقهم. [البحار ٢٧:٣١].

نبذة ممّا ظهر من معجزاته كراماته

والآن نشير باختصار إلى نماذج من الإخبار بالمغيّبات والمعجزات والكرامات الصادرة عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فهي على أقسام إما اخباره عن المغيبات و اما اخباره عن البلايا و المنايا لبعض اصحابه الكرام و اما اخباره عن قضايا التي تحدث او تنفق و كذا دعاؤه مستجابة فكلها دالة على أنّه عليه السلام قادر على المعجزات و الكرامات باذن اللّٰه تعالى، فاليك موارد منها:

اخباره عن أمر الخوارج بالنهروان

في النهج، قال عليّ عليه السلام - لمّا عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان -: "مصارعُهُم دونَ النطفةِ، واللَّهِ لا يُفلِتُ منهم عشرةٌ، ولا يَهلكُ منكم عشرةٌ". [نهج البلاغة: الخطبة ٥٩، وقال السيّد الرضي رحمه الله يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جمّاً].

قال ابن أبي الحديد في شرحه: هذا الخبر من الأخبار الّتي تكاد تكون متواترة؛ لاشتهاره ونقل النّاس كافّة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيوب، والأخبار على قسمين:

أحدهما: الأخبار المجملة ولا إعجاز فيها، نحو أن يقول الرجل لأصحابه: إنّكم ستنصرون على هذه الفئة الّتي تلقونها غداً، فإن نصر جعل ذلك حجّة له عند أصحابه، وسمّاها معجزة، وإن لم يُنصر، قال لهم: تغيّرت نيّاتكم وشككتم في قولي، فمنعكم اللَّه نصره، ونحو ذلك من القول؛ ولأنّه قد جرت العادة أنّ الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر، ويمنّونهم الدول، فلا يدلّ وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمّن إعجازاً.

والقسم الثاني: في الأخبار المفصّلة عن الغيوب، مثل هذا الخبر، فإنّه لا يحتمل التلبيس؛ لتقييده بالعدد المعيّن في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وعرفه رسول اللَّه من جهة اللَّه سبحانه، والقوّة البشريّة تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره. [شرح ابن أبي الحديد ٣:٥].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً بسند آخر والعلامة الإربلي: لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهر، أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركض، حتّى انتهى إلى عليّ عليه السلام، فقال: البشرى يا أمير المؤمنين، قال: "ما بُشراك؟"، قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبشر، فقد منحك اللَّه أكتافهم، فقال له: "آللَّه أنت رأيتهم قد عبروا"، قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرّات، في كلّها يقول: نعم، فقال عليّ عليه السلام: "واللَّه ما عبروه ولن يعبروه، وإنّ مصارعهم لدُون النطفة، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لن يبلغوا الأثلات ولا قصر بوازن، حتّى يقتلهم اللَّه، وقد خاب من افترى".

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركضُ فقال كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ عليه السلام بقوله، وجاءت الفرسان تركض كلّها تقول مثل ذلك [فقال: "فلا يبقى منهم إلا أقلّ من عشرة، ولا يقتل من أصحابي إلا أقلّ من عشرة"].

فقام عليّ عليه السلام فجال في متن فرسه، قال: فيقول شاب من النّاس: واللّه! لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سِنانَ هذا الرمح في عينه، أيدّعي علم الغيب؟ فلمّا انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفونَ سيوفهم، وعرقَبوا خيلهم، وجَثوا على رُكَبهم، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زَجل، فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي كنت شككت فيك آنفاً، وإنّي تائب إلى اللّه وإليك، فاغفر لي. فقال عليّ عليه السلام: 'إنّ اللّه هو الّذي يغفر الذنوب، فاستغفره'. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٧١، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٧٥، اللفظ من ابن أبي الحديد، وما بين المعقوفين من كشف الغمّة].

اخباره عن حكومة الحجّاج بن يوسف الثقفي

في "شرح ابن أبي الحديد": عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى باهلة [أعشى باهلة اسمه عامر بن الحارث].

- وهو غلامٌ يومئذٍ حدث - إلى عليّ عليه السلام، وهو يخطب ويذكُر الملاحم فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خُرافة! فقال عليّ عليه السلام: 'إن كنتَ آثماً فيما قلتَ يا غلام، فرماك اللّه بغلام ثقيف'، ثمّ سكت، فقام رجال فقالوا: ومَن غلامُ ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: 'غلام يملك بلدتكُم هذه لا يتركُ للّه حرمةً إلا انتهكَها، يضرب عُنُق هذا الغلام بسيفه'، فقالوا: كم يملكُ يا أمير المؤمنين؟ قال: 'عشرين إن بلغها'، قالوا: فيُقتَلُ قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: 'بل يموتُ حتف أنفه بداء البَطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه'.

قال إسماعيل بن رجاء: فاللّه! لقد رأيتُ بعيني أعشى باهلة وقد أُحضر في جملة الأسرى الّذين أُسروا من جيش عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث بين يدي الحجّاج، فقرّعه ووبّخه واستنشده شِعرَه الّذي يحرِّض فيه عبدَ الرحمان على الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذلك المجلس. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٨٩].

اخباره عن مجي ء ألف رجل يبايعونه على الموت بذي قار

في "إرشاد المفيد": وقال عليّ عليه السلام بذي قار - وهو جالس لأخذ البيعة -: 'يأتيكم من قِبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون، يبايعونني على الموت'.

قال ابن عبّاس: فجزعتُ لذلك، وخفتُ أن يَنقُص القومُ عن العدد أو يَزيدوا عليه، فَيَفسُدَ الأمر علينا. ولم أزل مهموماً، دأبي إحصاء [في نسخة: 'وإنّي أُحصي'].

القوم حتّى ورد أوائلهم، فجعلتُ أُحصيهم، فاستوفيتُ عددهم تسعمائة رجلٍ وتسعةً وتسعين رجلاً، ثمّ انقطع مجي ءُ القوم، فقلت: إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟ فبينا أنا مفكّر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل، حتّى دنا، فإذا هو رجلٌ عليه قباءُ صوفٍ معه سيفُه وتُرْسُه وإداوتُه [الإداوة: إناء يحمل يستفاد من مائه في التطهير].

فقرَبَ من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: امدد يدك أُبايعك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: 'وعَلَامَ تبايعني؟'، قال: على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتّى أموت أو يفتحَ اللّٰه عليك، فقال له: 'ما اسمك؟'، قال: أُويس، قال: 'أنت أُويس القرنيّ؟'، قال: نعم، قال: 'اللّٰه أكبر، أخبرني حبيبي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أنّي أُدرِك رجلاً من أُمّته يقال له أُويس القرنيّ، يكون من حزب اللّٰه ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثلُ ربيعة ومُضَر'. قال ابن عبّاس: فسرّي عنّي. [الإرشاد للمفيد ١:٣١٥، الفصل ٦١ من الباب ٣].

اخباره عن امرأة بأنّها شبيهة الرجال والنساء

في "شرح ابن أبي الحديد": عن عكرمة، عن يزيد الأحمسي: أنّ عليّاً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حُريث؛ إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تُعرف فوقفت، فقالت لعليّ عليه السلام: يا مَن قتل الرجال، وسفك الدماء، وأيتم الصبيان، وأرمل النساء! فقال عليه السلام: 'وإنّها لهي هذه السَّلَقْلَقة [السلقلقة: السليطة، وأصله من السلق وهوالذئب، والسلقة: الذئبة].

الجَلعة المَجِعَةُ [والجلعة المجعة: البذيّة اللسان].

وإنّها لهي هذه شبيهة الرجال والنساءِ الّتي ما رأت دماً قطّ'.

قال الراوي: فولّت هاربة منكّسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلمّا صارت بالرحبة، قال لها: واللّٰه! لقد سررتُ بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتّى أهب لك وأكسوك، فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها، لينظر صدقه عليه السلام فيما قاله عنها، فبكت وسألته ألا يكشفها، وقالت: أنا واللّٰه كما قال عليه السلام، لي رَكَب [والركب: منبت العانة].

النساء، وأُنثيان كأُنثيي الرجال، وما رأيت دماً قطّ، فتركها وأخرجها.

ثمّ جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال: 'إنّ خليلي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أخبرني بالمتمرّدين علَيَّ من الرجال والمتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة'. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٨٨].

اخباره عن أرض كربلاء حين مرّ بها

في "إثبات الهداة": عن ابن عبّاس، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوى وهو شطّ الفرات، قال بأعلى صوته: 'يابن عبّاس، أتعرف هذا الموضع'، قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال: 'لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي'، قال: فبكى طويلاً حتّى اخضلّت لحيته من الدموع، وبكينا معه وهو يقول: 'أوه، أوه! ما لي ولأبي سفيان، ما لي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر، صبراً يا أبا عبداللّه، فقد لقي أبوك مثل الّذي تلقى منهم.

إلى أن قال: وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها الحسين وتسعة عشر رجلاً كلّهم من ولدي وولد فاطمة'.

وذكر الحديث وفيه: أنّه عليه السلام طلب بعر الظباء فوجده، فأخذ البعر فصرّه في ردائه وأمرني أن أصرّه كذلك، ثمّ قال: 'يابن عبّاس، إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً فاعلم أنّ أبا عبداللّه قد قتل ودفن بها'. [إثبات الهداة ٤:٤٥٤].

وفي الحديث: أنّه لمّا قتل الحسين عليه السلام سال منها دم في ذلك اليوم، وأنّ ابن عبّاس قال: ما كذبني عليّ قطّ في حديث حدّثني به، ولا أخبرني بشي قطّ أنّه يكون إلا كان كذلك. [المصدر المتقدّم ٤:٤٥٤].

وفي "كشف الغمّة" و "إرشاد المفيد": أنّه عليه السلام وقف في كربلاء في بعض أسفاره ناحية من عسكره، فنظر يميناً وشمالاً واستعبر باكياً، ثمّ قال: 'هذا واللّه مناخ ركابهم، وموضع منيّتهم'، فقلنا: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع؟ قال: 'هذا كربلاء، يُقتل فيه قومٌ يدخلون الجنّة بغير حساب'. ثمّ سار ولم يعرف النّاس تأويل قوله عليه السلام حتّى كان من أمر الحسين عليه السلام "بالطفّ" ما كان، فعرف حينئذٍ من سمع كلامه مصداق الخبر فيما أنبأهم به. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٨٤، والإرشاد للمفيد ١:٣٣٢، ونحوه في وقعة صفّين: ١٤٠]

اخباره عن عدم نصرة البراء بن عازب الحسين

في "كشف الغمّة" و "الإرشاد": ومن ذلك ما رواه إسماعيل بن زياد، قال: إنّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب: 'يا براء، يقتل ولدي الحسين عليه السلام وأنت حيّ فلا تنصره؟!'، فلمّا قتل الحسين عليه السلام قال البراء: صدق عليّ عليه السلام قتل الحسين ولم أنصره، وأظهر الحسرة على ذلك والندم. [المصدر المتقدّم ١:٣٨٣، والإرشاد للمفيد ١:٣٣١، شرح ابن أبي الحديد ١٠:١٥ والبحار ٤٤:٢٦٣].

اخباره عن سنان قاتل الحسين

في "شرح ابن أبي الحديد" و غيره: عن محمّد بن عليّ، قال: لمّا قال عليّ عليه السلام: 'سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألونني عن فئة تُضِلُّ مائةً وتهدي مائةً إلا أنبأتكُم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة'. قام إليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر. فقال له عليّ عليه السلام: 'والله لقد حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه و آله بما سألت عنه أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك مَلَكاً يَلعَنُك، وإنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يُغويك، وإنّ في بيتك سَخْلاً [السخل: الولد].

يَقتُلُ ابن رسول الله صلى الله عليه و آله، وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذٍ طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النخعيّ. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٨٦، وإرشاد المفيد ١:٣٣٠، وما بين المعقوفتين من الإرشاد].

اخباره عن ابن حمار "جماز" حامل راية ابن زياد لقتال الحسين

وفيه أيضاً: عن ثابت الثمالي، عن سويد بن غفلة: أنّ عليّاً عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي مررتُ بوادي القُرى، فوجدتُ خالد بن عُرفطة قد مات، فاستغفر له. فقال عليه السلام: 'والله ما مات ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار "جِماز" فقال رجل آخر من تحت المنبر، فقال: يا أميرالمؤمنين، أنا حبيب بن حمار "جماز"، وإنّي لك شيعة ومحبّ، فقال: 'أنت حبيب بن حمار "جماز"'، قال: نعم، فقال له ثانية: 'والله إنّك لحبيب بن حمار؟'، فقال: إي والله! قال: 'أما والله إنّك لحاملها ولَتَحمِلَنَّها، وَلتدخُلَنَّ بها من هذا الباب'، وأشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فوالله! ما مِتّ حتّى رأيتُ ابنَ زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، وجعل خالد بن عُرفطة على مقدّمته وحبيب بن حمار "جماز" صاحبَ رايته، فدخل بها من باب الفيل. [المصدر المتقدّم: ٢٨٧، وروى نحوه في الإرشاد ١:٣٢٩].

اخباره عن شهادة عليّ بن موسى الرضا بالسمّ

في "إثبات الهداة": عن النعمان بن سعد، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: 'سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم ابن عمران موسى عليه السلام، ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه'. [إثبات الهداة ٤:٤٤٦، ح ١٩].

اخباره عن الضربة الّتي يُضرب بها في رأسه فتخضب لحيته

في "إرشاد المفيد": ومن معجزاته عليه السلام ما تواترت به الروايات من نعيه عليه السلام نفسه قبل وفاته، والخبر عن الحادث في قتله، وأنّه يخرج من الدنيا شهيداً بضربة في رأسه يخضب دمها لحيته، فكان الأمر في ذلك كما قال، فمن اللفظ الّذي رواه الرواة في ذلك، قوله عليه السلام: 'واللّٰه لتُخْضَبَنَّ هذه من هذه'، ووضع يده على رأسه ولحيته.

وقوله عليه السلام: 'واللّٰه لَيَخْضَبنّها من فوقها - وأومأ إلى شيبته - ما يَحْبِس أشقاها'.

وقوله عليه السلام: 'ما يمنعُ أشقاها أن يَخضِبَها من فوقها بدم؟!'.

وقوله عليه السلام: 'أتاكم شهرُ رمضان وهو سيّدُ الشُّهور، وأوّلُ السنة، وفيه تَدُور رحَى السلطان، ألا وإنّكم حاجُّوا العامَ صفّاً واحداً، وآيةُ ذلك أنّي لست فيكم'. فكان أصحابهُ يقولون: إنّه ينعى إلينا نفسه، فضرب عليه السلام في ليلة تسع عشرة ومضى في ليلة إحدى وعشرين من ذلك الشهر. [الإرشاد "المفيد" ١:٣١٩].

اخباره عن قصّة شهادته

لمّا فرغ عليه السلام من قتال الخوارج، عاد إلى الكوفة في شهر رمضان، فأمّ المسجد فصلّى ركعتين، ثمّ صعد المنبر فخطب خطبة حسناء، ثمّ التفت إلى ابنه الحسن عليه السلام فقال: 'يا أبا محمّد، كم مضى من شهرنا هذا؟ فقال: ثلاثة عشر يا أمير المؤمنين'. ثمّ سأل الحسين عليه السلام فقال: 'يا أبا عبداللّٰه، كم بقي من شهرنا هذا، يعني رمضان؟ فقال: سبعة عشر يا أمير المؤمنين، فضرب يده إلى لحيته وهي يومئذٍ بيضاء فقال: لَيُخَضبنّها بدمها إذا انبعثَ أشقاها'، ثمّ قال:

أُريد حِباءَهُ ويُريدُ قَتلي*** عذيرك من خليلك من مرادي

وعبدالرحمن بن ملجم المرادي "لعنه اللّٰه" يسمع، فوقع في قلبه من ذلك شيء ، فجاء حتّى وقف بين يدي عليّ عليه السلام وقال: أُعيذك باللّٰه يا أمير المؤمنين هذه يميني وشمالي بين يديك فاقطعهما أو فاقتلني؟ فقال عليّ عليه السلام: 'وكيف أقتلك ولا ذنب لك إليّ، ولو أعلم أنّك قاتلي لم أقتلك، ولكن هل كانت لك حاضنة يهوديّة؟ فقالت لك يوماً من الأيّام: يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟'، قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فسكت عليّ عليه السلام.

فلمّا كانت ليلة ثلاث وعشرين من الشهر [هناك اختلاف بين المؤرّخين في الليلة الّتي ضرب عليه السلام والأشهر أنّها ليلة التاسعة عشر، وارتحل إلى جوار اللّه تعالى في ليلة إحدى وعشرين].

قام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح وقال: إنّ قلبي يشهد بأنّي مقتول في هذا الشهر، ففتح الباب فتعلّق الباب بمئزر فجعل ينشد:

أُشدد حيازيمك فإنّ الموت لاقيك*** ولا تجزع من الموت إذ حلّ بناديك

فخرج فقتل "صلوات اللّه عليه. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٧٩].

وفي "إثبات الهداة": عن "الكافي": عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله، والليلة الّتي يقتل فيها، والموضع الّذي يُقتل فيه، وقوله لمّا سمع صياح الأوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح. وقول أُمّ كلثوم: لو صلّيتَ الليلة داخل الدار وأمرتَ غيركَ أن يُصلّي بالنّاس. وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف، كان هذا ممّا لم يجز تعرّضه؟ فقال الرضا عليه السلام - في جوابه -: 'ذلك كان ولكنّه خير في تلك الليلة لتمضي مقادير اللّه عزّ وجلّ'. [إثبات الهداة ٤:٤٢٩].

وفيه أيضاً عن "الكافي": عن إبراهيم بن يحيى المدني، عن أبي عبداللّه عليه السلام - في حديث -: إنّ رجلاً من علماء اليهود سأل عليّاً عليه السلام عن مسائل - إلى أن قال: - أخبرني كم يعيش وصيّ محمّد بعده، وهل يموت موتاً أو يُقتل قتلاً؟

فقال له: 'ويحك يا يهوديّ، أنا وصيّ محمّد صلى الله عليه و آله أعيش بعده ثلاثين سنة، لا أنقص يوماً ولا أزيد، ثمّ ينبعث أشقاها شقيق عاقر ناقة ثمود، فيضربني ضربة هاهنا في قرني، فتخضب منه لحيتي'، ثمّ ذكر: أنّه أسلم. [المصدر المتقدّم: ٤٥٤].

و روى الشيخ المفيد و ابن الصباغ و الخوارزمي عن ثقات الرواة: أنّه عليه السلام كان يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين وليلة عند ابن عبّاس "عبداللّه بن جعفر نسخة" لا يزيد على ثلاث لقم، فقال له أحد ولديه الحسن والحسين في ذلك فقال: 'يا بُنيّ يأتي أمرُ اللّه وأنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتين'، فأُصيب من الليل. [الإرشاد للمفيد ١:٣٢٠، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ١٣٩، ومناقب الخوارزمي: ٣٩٢، ح٤١٠].

اخباره عن صلب ميثم التمّار

في "إرشاد المفيد": ومن إخباره بالغائبات ما رووه: أنّ ميثم التمّار كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، وقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم، فقال: أخبرني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أنّ اسمك الّذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم. قال: صدق اللّٰهُ ورسولهُ، وصدقتَ يا أمير المؤمنين، واللّٰه إنّه لاسمي. قال: فارجع إلى اسمك الّذي سمّاك به رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ودع سالماً. فرجع إلى ميثم، واكتني بأبي سالم.

فقال له عليّ عليه السلام ذات يوم:

'يا مَيْثَمُ، إِنَّكَ تُؤْخَذُ بَعْدِي وَتُصْلَبُ، فَإِذا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي ابْتَدَرَ مِنْخَرُكَ وَفَمُكَ دَماً، حَتّى تَخْضَبُ لِحْيَتُكَ، فَإِذا كانَ الْيَومُ الثَّالِثُ طُعِنْتَ بِحَرْبَةٍ يُقْضى عَلَيْكَ، فانْتَظِرْ ذ لِكَ.

وَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُصْلَبُ فِيهِ عَلى بابِ دارِ عَمْرُو بْنَ حُرَيْثٍ إِنَّكَ لَعَاشِرُ عَشْرَةٍ، أَنْتَ أَقْصَرَهُمْ خَشَبَةً، وَأَقْرَبَهُمْ مِنَ الْمَطْهَرَةِ وَلَاُرِيَنَّكَ النَّخْلَةَ الَّتِي تُصْلَبُ عَلى جِذْعِها...'، فأراه إيّاها.

فكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركتِ من نخلةٍ لكِ خُلِقتُ، ولي غُذِّيتِ، ولم يَزَلْ يتعاهَدُها حتّى قُطعت، وحتّى عرف الموضع الّذي يُصَلبُ عليها بالكوفة، الحديث. [الإرشاد للمفيد ١:٣٢٣].

اخباره عن قتل كميل بن زياد

في "كشف الغمّة" و "الإرشاد": ومن ذلك أنّ الحجّاج طلب كميل بن زياد، فهرب منه، فقطع عطاء قومه، فلمّا رأى ذلك قال: إنّي أنا شيخ كبير قد نفد عمري، فلا ينبغي أن أُحرِمَ قومي أُعطياتهم، فخرج إلى الحجّاج، فقال: قد كنت أُحبّ أن أجد عليك سبيلاً. فقال له كميل: لا تصرف علَيَّ أنيابك، فما بقي من عمري إلا القليل، فاقض ما أنت قاضٍ، فإنّ الموعد للّٰه، وبعد القتل الحساب، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'إنّك قاتلي؟'، فضرب عنقه. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٨٣، ومع تفصيل كثير في الإرشاد ١:٣٢٧].

اخباره عن صلب رشيد الهجري

في "الخرائج والجرائح": ما روي عن قنواء بنت رشيد الهجري: سمعت أبي يقول: قال لي عليّ عليه السلام حبيبي: 'كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أُميّة، فقطع يديك ورجليك ولسانك؟'، فقلت: 'ألست معك في الجنّة؟'، قال: 'بلى'، قلت: ما أُبالي، الحديث. [الخرائج والجرائح ١:٢٢٨].

وفي "إرشاد المفيد": عن ابن عيّاش، عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهَجَريّ، فقال له زياد: ما قال لك صاحبُك - يعني عليّاً - أنّا فاعلون بك؟ قال: 'تقطعون يديَّ ورِجليّ وتصلبونني'. فقال زياد: أم واللَّه لأُكَذِّبَنَّ حديثَه، خَلُّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج، قال زياد: واللَّه ما نجد له شيئاً شرّاً ممّا قال له صاحبه، اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه.

فقال رشيد: هيهات، قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام، قال زياد: اقطعوا لسانه، فقال رشيد: الآن واللَّه جاء تصديقُ خبر أمير المؤمنين عليه السلام.

قال المفيد رحمه الله: وهذا حديث قد نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم عمّن سمّيناه، واشتهر أمره عند علماء الجميع، وهو من جملة ما تقدّم ذكره من المعجزات والإخبار عن الغيوب. [الإرشاد ١:٣٢٥].

اخباره عن قتل قنبر

وفي "كشف الغمّة" و "إرشاد المفيد": ومن ذلك ما رواه أصحاب السيرة من طرق مختلفة: أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أحبّ أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرّبُ إلى اللَّه بدمه، فقيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبةً لأبي تراب من قنبر مولاه، فبعث في طلبه فأُتي به، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم. قال: أبو همدان؟ قال: نعم، قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟ قال: اللَّه مولاي وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وليّ نعمتي، قال: ابرأ من دينه، قال: فإذا برئتُ من دينه تَدُلُّني عن دينٍ غيره أفضلَ منه؟ فقال: إنّي قاتلك، فاختر أيَّ قتلةٍ أحبُّ إليك؟ قال: قد صيّرتُ ذلك إليك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك لا تقتلني قتلةً إلا قلتُك مثلها، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام: 'أنّ منيّتي تكون ذبحاً ظُلماً بغير حقّ'، قال: فأمر به فَذُبِحَ. [الإرشاد المفيد ١:٣٢٨، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٨٣].

اخباره عن صلب مزرّع بن عبداللَّه

في "إرشاد المفيد" ومن ذلك ما رواه عبدالعزيز بن صُهيب عن أبي العالية، قال: حدّثني مزرّع بن عبداللَّه، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أم واللَّه لَيُقبِلَنَّ جَيشٌ حتّى إذا كان بالبيداء خُسِفَ بهم'، فقلت له: إنّك لَتُحَدِّثُني بالغيب؟ قال: احفظ ما أقول لك، واللَّه لَيَكُونَنَّ ما خَبَّرني به أمير المؤمنين عليه السلام، وَلَيُؤخَذَنَّ رجلٌ فَلَيُقتلَنَّ ولَيُصَلبَنَّ بين شُرفَتَين من شُرَفِ هذا المسجدِ. قلت: إنّك لَتُحَدِّثُني بالغيب؟ قال: حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعةٌ حتّى أخذ مُزرّع فَقُتِل وصُلِبَ بين الشرفتين، قال: وقد كان حدّثني بثالثةٍ فَنسيتُها. [الإرشاد المفيد ١:٣٢٦].

نبذة من معجزاته و كراماته

كشف الماء في مسيره إلى صفّين

ما رواه في "كشف الغمّة": أنّه عليه السلام لمّا توجّه إلى صفّين واحتاج أصحابه إلى الماء، والتمسوه يميناً وشمالاً فلم يجدوه، بَهمَ أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادّة قليلاً، فلاح لهم دير في البريّة، فسار وسأل من فيه عن الماء، فقال: بيننا وبين الماء فرسخان، وما هنا منه شيء ، وإنّما يجلب لي من بعد، واستعمله على التقتير، ولولا ذلك لمتّ عطشاناً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "اسمعوا ما يقول الراهب"، فقالوا: تأمرنا أن نسير إلى حيث أومأ إلينا، لعلّنا ندرك الماء وبنا قوّة، فقال عليه السلام: "لا حاجة بكم إلى ذلك"، ولوى عنق بغلته نحو القبلة، وأشار إلى مكان بقرب الدير أن اكشفوه، فكشفوه فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع. فقالوا: يا أمير المؤمنين، هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي، فقال: "هذه الصخرة على الماء، فاجتهدوا في قلعها، فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء"، فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، واستصعبت عليهم، فلمّا رأى ذلك لوى رجله عن سرجه وحسر عن ساعده ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة، فحرّكها وقلعها بيده ودحا بها أذرعاً كثيرة، فظهر لهم الماء، فبادروه وشربوا، فكان أعذب ماء شربوه في سفرهم وأبرده وأصفاه، فقال: "تزوّدوا وارتووا"، ففعلوا، ثمّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت، وأمر أن يعفى أثرها بالتراب.

والراهب ينظر من فوق ديره، يا قوم أنزلوني، فأنزلوه، فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا هذا أنت نبيّ مرسل؟ قال: "لا"، قال: فملك مقرّب؟ قال: "لا"، قال: فمن أنت؟ قال: "أنا وصيّ رسول اللّٰه محمّد بن عبداللّٰه خاتم النبيّين صلى الله عليه و آله"، قال: ابسط يدك على يدي، أسلم على يدك، فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده. وقال له: "اشهد الشهادتين"، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأشهد أنّ محمّداً رسول اللّٰه، وأشهد أنّك وصيّ رسول اللّٰه وأحقّ النّاس بالأمر من بعده، فأخذ عليه شرائط الإسلام.

وقال له: "ما الّذي دعاك إلى الإسلام بعد إقامتك على دينك طول المدّة؟". فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى على ذلك عالم قبلي لم يدركوا ذلك فرزقنيه اللّٰه عزّ وجلّ، إنّا نجد في كتبنا ونأثر على علمائنا أنّ في هذا الموضع عيناً عليها صخرة، لا

يعرفها إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ، وأنّه لا بدّ من وليّ اللّٰه يدعو إلى الحقّ آيته معرفة مكان هذه الصخرة، وقدرته على قلعها، ولمّا رأيتك قد فعلت ذلك تحقّقت ما كنّا ننتظره وبلغت الامنيّة، وأنا اليوم مسلم على يدك ومؤمن بحقّك ومولاك.

فلمّا سمع أمير المؤمنين ذلك بكى حتّى اخضلّت لحيته من الدموع، وقال: "الحمد للّٰه الّذي لم أكن عنده منسيّاً، الحمد للّٰه الّذي كنت في كتبه مذكوراً"، ثمّ دعا النّاس، فقال: "اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم"، فسمعوا وحمدوا اللّٰه وشكروه؛ إذ ألهمهم أمير المؤمنين عليه السلام. وسار والراهب بين يديه وقاتل معه أهل الشام واستشهد، فتولّى أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة عليه ودفنه، وأكثر من الاستغفار له، وكان إذا ذكره يقول: "ذاك مولاي". [كشف الغمّة - باب المناقب ١: ٣٨٤، وفي الخرائج والجرائح ١: ٢٢٢، نحوه].

صيرورة أنس أعمى بدعائه

ومن ذلك أنّه عليه السلام قد استشهد النّاس وقال: "وانشد اللّٰه رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه و آله يقول - يوم الغدير -: "من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه"، فقام بعضهم وقالوا: اللّهمّ نعم. وقعد أنس فقال عليّ: "ما منعك أن تقوم؟"، قال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيتُ، فقال: "اللّهمّ إن كان كاذباً فاضربه ببلاء حسن"، قال: فما مات حتّى رأينا بين عينيه نكتة بيضاء لا تواريها العمامة.

وفي رواية أُخرى: وصار بعض من كتم الشهادة أذهب اللّٰه بصرهم فصاروا عمي. [راجع: "فصل عليّ عليه السلام يوم الغدير"].

وفي "كشف الغمّة"، قال: ومن ذلك أنّه عليه السلام نشد النّاس من سمع النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه"؟ فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: "يا أنس، ما منعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟"، قال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين: "اللّهمّ إن كان كاذباً فاضربه ببياض - أو بوضح - لا تواريه العمامة"، قال طلحة بن عمير: فاشهد باللّٰه لقد رأيتها بيضاء بين عينيه. [كشف الغمّة - باب المناقب ١: ٣٩٠].

صيرورة زيد بن أرقم أعمى بدعائه

ومن ذلك: أنّه نشد النّاس فقال: "أُنشد اللّٰه رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: "مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه"، فقام اثنا عشر بدريّاً من الجانب الأيسر، وستّة من الجانب

الأيمن، فشهدوا بذلك، قال زيد بن أرقم: وكنت فيمن سمع ذلك فكتمته، فذهب اللّه ببصري. وكان يتندّم على ما فاته من الشهادة ويستغفر. [المصدر المتقدّم ١:٣٩١].

صيرورة العيزار أعمى بدعائه

ومن ذلك أنّ عليّاً عليه السلام اتّهم رجلاً يقال له: العيزرا برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحده، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "لتحلف باللّه إنّك ما فعلت"، قال: نعم، وبدر محلف، فقال عليّ عليه السلام: "إن كنت كاذباً فأعمى اللّه بصرك"، فما دارت الجمعة حتّى عمي، وأُخرج يقاد وقد أذهب اللّه بصره. [المصدر المتقدّم: ٣٩٠].

ابراؤه لليد المقطوعة بدعائه

وفي "التفسير الكبير للفخر الرازي" في ذيل تفسير قوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَباً" [سورة الكهف: ٩].

قال: وأمّا عليّ عليه السلام فيروى أنّ واحداً من محبّيه سرق وكان عبداً أسود، فأُتي به إلى عليّ عليه السلام فقال له: "أسرقت؟"، قال: نعم، فقطع يده فانصرف من عند عليّ عليه السلام فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوّاء، فقال ابن الكوّاء: مَن قطع يدك؟ فقال: أمير المؤمنين، ويعسوب المسلمين، وختن الرسول، وزوج البتول، فقال: قطع يدك وتمدحه؟ فقال: ولِمَ لا أمدحه، وقد قطع يدي بحقّ وخلّصني من النّار، فسمع سلمان ذلك، فأخبر به عليّاً عليه السلام فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطّاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتاً من السماء، ارفع الرداء عن اليد، فرفعناه فإذا اليد قد برئت بإذن اللّه تعالى وجميل صنعه. [التفسير الكبير ٢١ و ٢٢:٨٨].

وأخرج المجلسي عن "الخرائج والجرائح": روي أنّ أسود دخل على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي سرقت فطهّرني، فقال: "لعلّك سرقت من غير حرز"، ونحّى رأسه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، سرقت من حرز فطهّرني، فقال عليه السلام: "لعلّك سرقت غير نصاب"، ونحّى رأسه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، سرقت نصاباً، فلمّا أقرّ ثلاث مرّات قطعه أمير المؤمنين، فذهب وجعل يقول في الطريق: قطعني أمير المؤمنين وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، ويعسوب الدين، وسيّد الوصيّين، وجعل يمدحه، فسمع ذلك منه الحسن والحسين عليهماالسلام قد استقبلاه، فدخلا على أمير المؤمنين عليه السلام وقالا: "رأينا أسود يمدحك في الطريق"، فبعث أمير المؤمنين مَن أعاده إلى عنده، فقال عليه السلام: "قطعتك وأنت

تمدحني'، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّك طهّرتني، وإنّ حبّك قد خالط لحمي وعظمي "ودمي"، فلو قطعتني إرباً إرباً لما ذهب حبّك من قلبي، فدعا له أمير المؤمنين عليه السلام، ووضع المقطوع إلى موضعه، فصحّ وصلح كما كان. [البحار ٤١:٢٠٢].

الرحى تطحن في بيته وليس معها أحد

وفي "الرياض النظرة في مناقب العشرة" لمحبّ الدين الطبري: بسنده عن أبي ذرّ، قال: بعثني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أدعو عليّاً، فأتيتُ بيته، فناديتُه فلم يُجبني، فعدتُ بأخبرت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال لي: 'عُد إليه أُدعه، فإنّه في البيت'، قال: فعدت أُناديه، فسمعتُ رحىً تطحن فشارفتُ فإذا الرحى تطحن وليس معها أحدٌ، فناديتهُ فخرج إليَّ منشرحاً، فقلت له: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يدعوك؟ فجاء ثمّ لم أزل أنظر إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وينظر إليَّ، ثمّ قال: 'يا أبا ذرّ، ما شأنك؟'.

فقلت: يا رسول اللّٰه عجيب من العجب، رأيت رحىً تطحن في بيت عليّ عليه السلام وليس معها أحدٌ يرحى. فقال: 'يا أبا ذرّ، إنّ للّٰه ملائكة سيّاحين في الأرض وقد وكّلوا بمعونة آل محمّد'. [الرياض النضرة ٣:٢٠٢].

إلى غير ذلك من إخباره بالغيوب. [من أراد المزيدفليراجع إثباة الهداة: ج٤، وكشف الغمّة: ج١، وإرشاد المفيد في باب معجزاته وإخباره بالمغيّبات، وبحار الأنوار ٤١:١٦٦ و ١٩١ و ١٩٩، و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٣٠ و ٢٧٤ و ٢٨٢ و ٢٨٣، و٤٢:١٧ و ٥٠ و ٣١١، والخرائج والجرائح وغيرها].

علي و مظلوميّته

عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: يا عليّ، أنت المظلومُ من بعدي، فويلٌ لِمَن ظلمك واعتدى عليك، وطُوبى لمن تبعك ولم يختر عليك. يا عليّ، أنت المقاتل بعدي، فويلٌ لِمَنْ قاتلك، وطُوبى لمن قاتل معك'.

عيون أخبار الرضا ١:٢٣٦، الباب ٢٧، الحديث ٦٣

لا مظلوم كعليّ

لم يحدّثنا التاريخ عن مظلوم غُصب حقّه مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فرغم كلّ التوصيات الّتي أوصى بها النبيّ صلى الله عليه و آله أمّته والّتي يحثّهم بها على الاقتداء بعليّ عليه السلام، حتّى أنّ ابن

مردويه أخرج عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا أيّها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربّك أنّ عليّاً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، واللَّه يعصمك من النّاس'. [تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٨].

رغم هذا وغيره نجد القوم قد تألّبوا على الإمام عليه السلام بعد رحيل الرسول الأكرم وغصبوه حقّه وآذوا زوجته البتول سلام اللَّه عليها، وانتزعوا منها إرث النبيّ صلى الله عليه و آله اي فدكها، وهكذا أصبح أُسوة العلم والتقوى والفضيلة والكمال وهادي الأُمّة بعد نبيّها ودليلها إلى النور، جليس بيته لخمسٍ وعشرين سنة، ولم يسمحوا له أن ينير المجتمع البشري بنوره، وأن يروّج الإسلام المحمّدي الأصيل.

نعم، لقد صبر أمير المؤمنين عليه السلام للَّه، وتحمّل كلّ المظالم والمشاقّ لأجل بقاء الإسلام والقرآن، والحفاظ على وحدة الأُمّة من التشتّت والتمزّق، فلنستمع إلى مظلوميّته بلسان النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله ولسان عليّ عليه السلام و غيرهما:

١- قال عليّ عليه السلام: 'ما زلت مظلوماً منذ قبض اللَّه تعالى نبيّه إلى يوم النّاس'. [سفينة البحار ٢:١٠٨، مادة 'ظلم'، وراجع الشافي في الإمامة سيد المرتضى ٢٢٥ - ٢٢٣ :٣].

٢- عن مسيّب بن نجبة، قال: بينما عليّ عليه السلام يخطب، وأعرابيّ يقول: وامظلمتاه، فقال عليّ عليه السلام: 'اُدن'، فدنا، فقال: 'لقد ظُلمتُ عدد المدَر والوَبر. [المدر: قطع الطين اليابس، ويراد به سكنة الحواضر والمدن، والوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوها، ويراد به سكنة البادية، أرد بقوله عليه السلام: إنّه ظلمني الجميع].

[سفينة البحار ٢:١٠٨، مادة 'ظلم'، وراجع الشافي في الإمامة سيد المرتضى ٢٢٥ - ٢٢٣ :٣].

٣- وجاء أعرابي يتخطّى فنادى: يا أمير المؤمنين، مظلوم. قال عليّ عليه السلام: 'ويحك، وأنا مظلوم، ظُلمتُ عدد المدر والوبر'. [سفينة البحار ٢:١٠٨، مادة 'ظلم'، وراجع الشافي في الإمامة سيد المرتضى ٢٢٥ - ٢٢٣ :٣].

٤- وعن عمرو بن حريث، قال: انّ عليّاً عليه السلام لم يقم مرّة على المنبر إلا قال في آخر كلامه قبل أن ينزل: 'ما زلت مظلوماً منذ قبض اللَّه نبيّه'. [سفينة البحار ٢:١٠٨، مادة 'ظلم'، وراجع الشافي في الإمامة سيد المرتضى ٢٢٥ - ٢٢٣ :٣].

٥- وكان أبو ذرّ رضى الله عنه يعبّر عن أمير المؤمنين عليه السلام بالشيخ المظلوم المضطهد حقّه. [سفينة البحار ٢:١٠٨، مادة 'ظلم'، وراجع الشافي في الإمامة سيد المرتضى ٢٢٥ - ٢٢٣ :٣].

٦- روى الحافظ البخاري عن حبيب بن ثابت، عن ثعلبة بن يزيد الحماني، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ: "إنّ الأُمّة ستغدر بك". [التاريخ الكبير، ج ١، القسم الثاني، ص ١٧٤، ط حيدرآباد].

٧- أخرج الراوندي: أنّ أعرابيّاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في المسجد، فقال: مظلوم، قال: "ادن منّي"، فدنا، فقال: يا أمير المؤمنين مظلوم، قال: "ادن"، فدنا حتّى وضع يده على ركبتيه، قال: "ما ظلامتك؟"، فشكا ظلامته، فقال: "يا أعرابي، أنا أعظم ظلامة منك، ظلمني المدر والوبر، ولم يبق بيت من العرب إلا وقد دخلت مظلمتي عليهم، وما زلت مظلوماً حتّى قعدت مقعدي هذا"، الحديث. [الخرائج والجرائح ١:١٨٠].

٨- روى الحاكم النيشابوري: عن حيّان الأسدي: سمعت عليّاً يقول: "قال لي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إنّ الأُمّة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملّتي، وتُتقل على سنّتي، مَن أحبَّك أحبّني، ومَن أبغضك أبغَضني، وإنّ هذه سَتُخضب من هذا"، يعني ليحته من رأسه. [المستدرك ٣:١٤٢].

٩- و أيضاً: بسنده عن زيد بن وهب، قال: قدم على عليّ عليه السلام وفدٌ من أهل البصرة، وفيهم رجلٌ من الخوارج يُقال له: الجعد بن نعجة، فحمد اللّٰه وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: اتّق اللّٰه يا عليّ! فإنّك ميّت، فقال عليّ عليه السلام: "لا، ولكنّي مقتول ضربةً على هذا تخضب هذه - قال: وأشار عليّ إلى رأسه ولحيته بيده - قضاءٌ مقضيّ، وعهد معهود، وقد خاب من افترى".

ثمّ عاب عليّاً في لباسه، فقال: "لو لبستَ لباساً خيراً من هذا"، فقال عليه السلام: "إنّ لباسي هذا أبعد لي من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلمون". [المصدر المتقدّم: ١٤٣].

١٠- وفي "البحار" عن "كشف الغمّة": روى جابر بن عبداللّٰه الأنصاري، قال: دخلت فاطمة عليهاالسلام على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو في سكرات الموت، فانكبّت عليه تبكي، ففتح عينه، وأفاق، ثمّ قال: "يا بنيّة، أنتِ المظلومة بعدي، وأنتِ المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرّك فقد سرّني، ومن برّك فقد برّني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنّك منّي وأنا منك، وأنت بضعة منّي وروحي الّتي بين جنبيّ". ثمّ قال صلى الله عليه و آله: "إلى اللّٰه أشكو ظالميكِ من أمّتي".

ثمّ دخل الحسن والحسين عليهماالسلام فانكبّا على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهما يبكيان، ويقولان: "أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول اللّٰه"، فذهب عليّ عليه السلام لينحّيهما عنه، فرفع رأسه إليه ثمّ قال: دعهما - يا أخي - يشمّاني وأشمّهما، ويتزوّدان منّي وأتزوّد منهما، فإنّهما مقتولان بعدي ظلماً وعدواناً، فلعنة اللّٰه

على مَن يقتلهما، ثمّ قال: "يا عليّ، أنت المظلوم بعدي، وأنا خصم لمن أنت خصمه يوم القيامة". [بحار الأنوار ٢٨: ٧٦].

المنافقون يصبّون ما أضمروه من الضغائن أيّام النبيّ على عليّ

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في خبر: "يا عليّ، اتّق الضغائن الّتي في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي، أُولئك يلعنهم اللَّه ويلعنهم اللاعنون"، ثمّ بكى النبيّ صلى الله عليه و آله فقيل: مِمّ بكاؤك يا رسول اللَّه؟ قال: "أخبرني جبرئيل أنّهم يظلمونه ويمنعونه حقّه، ويقاتلونه، ويقتلون ولده، ويظلمونهم بعده". [البحار ٢٨: ٤٥].

قال ابن أبي الحديد في توضيح الحديث: واعلم أنّ كلّ دم أراقه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسيف عليّ عليه السلام وبسيف غيره، فإنّ العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وحده؛ لأنّه لم يكن في رهطه من يستحقّ في شرعهم وسنّتهم وعادتهم أن تعصب به تلك الدماء إلا بعليّ وحده، وهذه عادة العرب إذا قُتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذّر عليها مطالبته، طالبت بها أمثل الناس من أهله، إلى أن قال: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت له: إنّي لأعجبُ من عليّ عليه السلام كيف بقي تلك المدّة الطويلة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله، مع تلظّي الأكباد عليه؟! فقال: لولا أنّه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خدّه في حضيض الأرض لقتل، ولكنّه أخمل نفسه واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزيّ الأوّل، وذلك الشعار ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض، أو راهباً في الجبال، ولمّا أطاع القوم الّذين ولّوا الأمر.. تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدّم عليه إلا بمواطأةٍ من متولّى الأمر، وباطنٍ في السرّ منه، فلمّا لم يكن لِوُلاة الأمر باعث وداعٍ إلى قتله وقَع الإمساك عنه، ولولا ذلك لقُتل، ثمّ أجّل بعد معقل حصين. [شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠٠].

لفظة أوّل مظلوم في زيارته

عن أبي الحسن الهادي عليه السلام أنّه كان يقول عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام: "اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللَّهِ، أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ، وَأَوَّلُ مَنْ غُصِبَ حَقُّهُ، صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ حَتّى أَتيكَ الْيَقِينُ، فَاَشْهَدُ أَنَّكَ لَقِيْتَ اللَّهَ وَأَنْتَ شَهِيدٌ، عَذَّبَ اللَّهُ قاتِلَكَ بِأَنْواعِ الْعَذابِ وَجَدَّدَ عَلَيْهِ الْعَذابَ، جِئْتُكَ عارِفاً بِحَقِّكَ، مُسْتَبْصِراً بِشَأْنِكَ، مُعادِياً لِأَعْدائكَ وَمَنْ ظَلَمَكَ، أَلْقى عَلى ذلِكَ رَبّي إِنْ شاءَ اللَّهُ. يا وَلِيَّ اللَّهِ، إِنَّ لي ذُنُوباً كَثِيرةً فَاشْفَعْ لي إِلى رَبِّكَ فَإِنَّ

لَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَقاماً مَعْلُوماً، وَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ جاهاً وَشَفاعَةً وَقَدْ قالَ اللَّهُ تَعالى: "وَلَا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضى". [الكافي ٥٧٠ ـ ٥٦٩ :٤؛ بحار الأنوار ١٠٠:٢٦٥، والآية من سورة الأنبياء: ٢٨].

ثمّ روى ثقة الاسلام الكليني زيارة اخرى عن أبي الحسن الهادي عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: تقول: "أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللَّهِ، أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللَّه.. وأشْهَدُ أنّ دَعوتَكَ حقٌّ، وكلّ داعٍ مَنصوب دُونكَ باطِلٌ مَدحوضٌ [المدحوض بمعنى الداحض].

أنت أوّل مَظلومٍ، وأوّلُ مَغصوبٍ حَقُّه، فَصَبرتَ واحتَسَبتَ، لَعنَ اللَّه مَن ظَلَمكَ واعتدى عليكَ، وصَدَّ عنك لَعناً كثِيراً يَلعَنهُم بِه كلُّ مَلكٍ مُقَرَّب، وكُلُّ نبيٍّ مُرسل، وكُلُّ عَبدٍ مُؤمنٍ مُمتَحِن" الحديث. [الكافي ٥٧٠ ـ ٥٦٩ :٤].

علي يُطلع رأسه في البئر ليبثّ شكواه

لقد بلغت مظلوميّة عليّ عليه السلام أوجها، ولم يكن معه من يبثّه شكواه، ولذلك كان يخرج إلى الصحراء ويدلي رأسه في البئر ويبثّ شكواه.

وفي البحار عن عليّ بن ميثم، عن ميثم، قال: أصحر بي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ليلة من الليالي، قد خرج من الكوفة، وانتهى إلى مسجد جعفى، توجّه إلى القبلة وصلّى أربع ركعات، فلمّا سلّم وسبّح بسط كفّيه، وقال: "إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك"، إلى آخر الدعاء، ثمّ قام وخرج فاتّبعتُه حتّى خرج إلى الصحراء وخطّ لي خطّة، وقال: "إيّاك أن تجاوز هذه الخطّة"، ومضى عنّي وكانت ليلة مدلهمّة، فقلتُ: يا نفسي، أسلمت مولاك وله أعداء كثيرة، أيّ عذر يكون لك عند اللَّه وعند رسوله؟ واللَّه لأقفونّ أثره، ولأعلمنّ خبره، وإن كنتُ قد خالفتُ أمره، وجعلت اتّبع أثره فوجدته عليه السلام مُطلعاً رأسه في البئر إلى نصفه يخاطب البئر والبئر تخاطبه، فحسّ بي والتفت عليه السلام وقال: "مَن؟"، قلتُ: ميثم، قال: "يا ميثم، ألم آمرك أن لا تجاوز [في نسخة: "أن لا تتجاوز"].

الخطّة"، قلت: يا مولاي، خشيتُ عليك من الأعداء، فلم يصبر لذلك قلبي، فقال عليه السلام: "أسمعتَ ممّا قلتُ شيئاً؟"، قلتُ: لا، يا مولاي، فقال:

"يا ميثم:

وفي الصدر لبانات [جمع لبانة: الحاجة من غير فاقة، بل من همّة].

*** إذا ضاق لها صدري

نكتُّ الأرض بالكفّ*** وأبديت لها سرّي

فمهما تنبت الأرض*** فذاك النبت من بذري'

[بحار الأنوار ٤٠:١٩٩].

في تفصيل مظلوميّته

مظلومية علي بعد رحلة رسول الله و ما جري عليه

حديث السقيفة

قال عليّ عليه السلام في خطبته في توصيف العرب قبل البعثة وحاله قبل البيعة له: 'فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ'. [نهج البلاغة: الخطبة ٢٦، العلقم: شجر بالغ المرارة، ويطلق عند العرب، على كلّ مرّ].

إنّ هذه الفقرات من كلامه عليه السلام حكاية لحاله الّذي كان هو عليه بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله، وما جرى عليه من الظلم والجور في اغتصاب الحقّ الّذي كان له عليه السلام. فأشار إلى أنّه فكّر في أمر المقاومة والدفاع عن الحقّ الّذي يرى أنّه أوْلى به، فرآى أنّه لا ناصر له إلا أهل بيته، وهم قليلون بالنسبة إلى من لا يعينه، بل ويعين مخالفه. فإنّه لم يكن له إلا بنو هاشم كالعبّاس و بنيه، وأبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ومن يخصّهم، وضعفهم وقلّتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر، فضنّ بهم عن الموت لعلمه أنّه لو قاوم بهم لقتلوا، ثمّ لا يحصل على مراده، ولذا قال ما قال في الخطبة: 'فنظرت فاذاً ليس لي معينٌ الا أهل بيتي...'.

اختلف الناقلون في كيفية حاله بعد رحلة رسول الله

و قال الشارح المعتزلي: اختلفت الروايات في قصّة السقيفة، فالذي تقوله الشيعة وقد قال قوم من المحدّثين بعضه ورووا كثيراً منه إنّ عليّاً عليه السلام امتنع من البيعة، حتى أُخرج كُرها، و إنّ الزبير بن العوام أمتنع من البيعة وقال: لا أُبايع إلا عليّاً عليه السلام وكذلك أبو سفيان بن حرب، وخالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس، والعبّاس بن عبدالمطّلب وبنوه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب وجميع بني هاشم.

وقالوا: إنّ الزبير شهر سيفه فلمّا جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم، قال في جملة ما قال: خذوا سيف هذا، فاضربوا به الحجر. ويقال: إنّه أخذ السيف من يد الزبير، فضرب به حجراً فكسره، وساقهم كلّهم

بين يديه إلى أبي بكر، فحملهم على بيعته، ولم يتخلّف إلا عليّ عليه السلام وحده، فإنّه اعتصم ببيت فاطمة عليهاالسلام فتحاموا إخراجه منه قسراً، وقامت فاطمة إلى باب بيت فاسمعت من جاء يطلبه، فتفرّقوا وعلموا أنّه بمفرده لا يضرّ شيئاً، فتركوه، وقيل: إنّهم أخرجوه فيمن أُخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١].

مظلوميّته في تحمّل مصائب فاطمة

إنّ ما جرى على فاطمة عليهاالسلام من مصائب بعد وفاة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كثيرة لا يمكن إحصاؤها، ولا يمكن تحمّل حتّى نقلها من شدّتها، ولكن نذكر نماذج منها، ونرجع القارئ الأعزّ إلى مظانّها من كتب العامّة والخاصّة:

احراق باب فاطمة و ضربها بالسوط

قال ابن قتيبة الدينوري: وخرج عليّ عليه السلام يحمل فاطمة بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، وكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّٰه، قد مضت بعيتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ عليه السلام: "أفكنت أدع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في بيته لم أدفنه وأخرج أُنازع النّاس سلطانه؟".

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما اللّٰه حسيبهم وطالبهم"، وساق الكلام إلى أن قال - بعد ذكر عدم بيعة عليّ عليه السلام -: فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ - وهو مولى له -: اذهب فادع لي عليّاً. قال: فذهب إلى عليّ عليه السلام فقال له: "ما حاجتك؟"، فقال "قنفذ": يدعوك خليفة رسول اللّٰه، فقال عليّ عليه السلام: "لسريع ما كذّبتم على رسول اللّٰه"، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقُنفذ: عُد إليه، فقل له: خليفة رسول اللّٰه يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ عليه السلام صوته فقال: "سُبحان اللّٰه لقد ادّعى ما ليس له"، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبوبكر طويلاً، ثمّ قام عمر فمشى، ومعه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة عليهاالسلام فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: "يا أبت، يا رسول اللّٰه، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب، وابن أبي قحافة".

فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً عليه السلام، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: "إن أنا لم أفعل فمه؟"، قالوا:

إذاً والله الّذي لا إله إلا هو نضرب عنقك. فقال: 'إذاً تقتلون عبد الله، وأخا رسوله!'. قال عمر: أمّا عبد الله، فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليّ عليه السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه و آله يصيح ويبكي وينادي: 'يا ابن أُمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني'. [الإمامة والسياسة ١:١٣].

و في ذلك قال سليم بن قيس: فقال أبو بكر لعمر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً، فأرسله وأرسل معه أعواناً وانطلق فاستأذن على عليّ عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم، فرجع أصحاب قُنفذ إلى أبي بكر وعمر - وهما جالسان في المسجد والنّاس حولهما - فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لكم، وإلا فادخلوا بغير إذن، فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليهاالسلام: 'احرج عليكم أن تدخلوا علَيَّ بيتي بغير إذن، فرجعوا، وثبت قُنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء.

ثمّ أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل عليّ و فاطمة وابنيهما عليهم السلام، ثمّ نادى عمر حتّى أسمع عليّاً عليه السلام وفاطمة: والله لتخرجنّ يا عليّ، ولتبايعنّ خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله وإلا أضرمت عليك النّار، فقالت فاطمة: 'يا عمر، ما لنا ولك؟'. فقال عمر: افتحي الباب، وإلا أحرقنا عليكم بيتكم، فقالت: 'يا عمر، أما تتّقي الله، تدخل علَيَّ بيتي؟!'، فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنّار فأضرمها في الباب، ثمّ دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليهاالسلام وصاحت: 'يا أبتاه يا رسول الله'، فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها، فصرخت: 'يا أبتاه!'، فرفع السوط فضرب به ذراعها، فنادت: 'يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر'، فوثب عليّ عليه السلام فأخذ تلابيبه، ثمّ نتره فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله وما أوصاه به، فقال عليه السلام: 'والّذي كرّم محمّداً بالنبوّة يابن صهّاك: لولا كتاب من الله سبق، وعهد عهده إليَّ رسول الله لعلمت أنّك لا تدخل بيتي'.

ثمّ قال سليم بن قيس: بعد ما وثب عليّ عليه السلام على عمر فأخذ بتلابيبه، ثمّ نتره فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل النّاس حتّى دخلوا الدار، وثار عليّ عليه السلام إلى سيفه، فرجع قُنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج عليّ عليه السلام بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدّته، فقال أبو بكر لقُنفذ: ارجع، فإن خرج، وإلا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النّار، فانطلق قُنفذ الملعون فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار عليّ عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه، وكاثروه وهم

كثيرون، فتناول بعض سيوفهم فكاثروه، فألقوا في عنقه حبلاً وحالت بينهم وبينه فاطمة عليهاالسلام عند باب البيت، فضربها قُنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت، وإنّ في عضدها كمثل الدُملُج من ضربته لعنه اللّه.

ثمّ انطلق بعليّ عليه السلام يُعتل [انطلق" بالبناء للمجهول، و"يُعتل" بالبناء للمجهول، أي يجذب جذباً، ويجرّ جرّاً عنيفاً].

عتلاً حتّى انتُهيَ به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، والمغيرة بن شعبة، وأُسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسائر النّاس حول أبي بكر، عليهم السلام، الحديث. [كتاب سليم بن قيس: ٣٧].

وفي "تفسير العيّاشي" أورد حديثاً عن أحدهما "الامام الباقر أو الامام الصادق" عليهماالسلام، فيه: 'فأرسل إليه الثالثة ابن عمٍّ له لعمر رجلاً يقال له قُنفذ، فقامت فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليها تحول بينها وبين عليّ عليه السلام فضربها فانطلق قُنفذ' الحديث. [تفسير العيّاشي ٢:٣٠٧].

والعجب من ابن أبي الحديد من ترديده في تلك المصائب المؤلمة لفاطمة عليهاالسلام بقوله: فأمّا حديث التحريق، وما جراه مجراه من الأُمور الفظيعة، وقول من قال: إنّهم أخذوا عليّاً عليه السلام يُقاد بعمامته والنّاس حوله، فأمر بعيدٌ، والشيعة تنفرد به، على أنّ جماعة من أهل الحديث قد رووا، وسنذكر ذلك. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١].

وقال في موضع آخر من كتابه: فأمّا الأُمور الشنيعة المستهجنة الّتي يذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة، وإنّه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدُملج، وبقي أثره إلى أن ماتت، وإنّ عمر ضغطها بين الباب والجدار فصاحت: 'يا أبتاه، يا رسول اللّه'، وألقت جنيناً ميّتاً، وجعل في عنق عليّ عليه السلام حبلٌ يُقاد به، وهو يعتلّ، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان، وإنّ عليّاً لمّا أُحضر سلموه البيعة، فامتنع، فتهدّد بالقتل، فقال: 'إذن تقتلون عبد اللّه، وأخا رسول اللّه!!'، فقالوا: أمّا بعد عبداللّه فنعم، وأمّا أخو رسول اللّه فلا، وإنّه طعن في أوجههم بالنفاق، وسطر صحيفة الغدر الّتي اجتمعوا عليها، وبأنّهم أرادوا أن ينفّروا ناقة رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليلة العقبة. قال ابن أبي الحديد: فكلّه لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنّما هو شيء تنفرّد الشيعة بنقله. قال ابن ابى الحديد: فكلّه لا اصل له عند اصحابنا و لا يثبته احدٌ منهم و لا رواه اهل الحديث و لا يعرفونه إنّما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله. [المصدر المتقدّم: ٦٠].

أقول: العجب منه كيف ينكر حديث التحريق وما بعده، ويزعم أنّه ممّا انفردت به الشيعة، مع رواية الجوهري له، وكونه من الثقات المأمونين عند ابن أبي الحديد [المصدر المتقدّم: ٦٠].

وقد رواه غير واحد من رواتهم أيضاً مطابقاً لما روته الشيعة، منهم إبراهيم بن سعيد الثقفي، قال: حدّثنا أحمد بن عمرو البجلي، قال: حدّثنا أحمد بن حبيب العاملي، عن أبي عبداللّٰه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام 'واللّٰه ما بايع عليّ عليه السلام حتّى رأى الدُّخان قد دخل عليه بيته'. [راجع شرح نهج البلاغة "للخوئي" ٣:٣٧٣].

و أيضاً روى أحمد بن عبدالعزيز، قال: لمّا بُويعَ لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من النّاس إلى عليّ عليه السلام، وهو في بيت فاطمة، فيتشاورون ويتراجعون أُمورهم، فخرج عمر حتّى دخل على فاطمة عليهاالسلام وقال: يا بنت رسول اللّٰه، ما من أحد من الخلق أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا منك بعد أبيك، و أيم اللّٰه، ما ذاك بما نعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم.

فلمّا خرج عمر جاؤوها، فقالت: 'تعلمون أنّ عمر جاءني، وحلف لي باللّٰه إن عُدتم ليحرقنّ عليكم البيت، و أيم اللّٰه! ليمضينّ لما حلف له، فانصرفوا عنّا راشدين'، فلم يرجعوا إلى بيتها، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٤٥].

وفي "العقد الفريد" لابن عبدربّه الأندلسي: أنّ عمر بن الخطّاب جاء إلى بيت فاطمة بقبس من نار، يُريد أن يُحرقه على مَن فيه، فلقيته فاطمة عليهاالسلام فقالت: 'يابن الخطّاب، أجئت لتحرق دارنا؟'، قال: نعم، الحديث. [راجع: العقد الفريد ٤:٢٥٩].

فكما ترى هذا الحديث عامّي، و ليس من منفردات الشيعة الامامية، و حيث انّ عليّاً عليه السلام لم يخرج من دار فاطمة لأنّ دارها داره أيضاً، وعمر حلف بالتحريق لو بقي في دارها عليهاالسلام أحد، وحيث كان عليّ عليه السلام في دارها عليهاالسلام ودار نفسها فإنّه أبرّ حلفه وأحرق بيت فاطمة عليهاالسلام، فليس إنكار ابن أبي الحديد هنا في محلّه، و قوله: إن نسبة التحريق لبيت فاطمة عليهاالسلام أو تهديده بالتحريق من منفردات الشيعة الامامية غير صحيح، بل الحق كما عن الشيعة ان التحريق و لا اقل تهديد عمر بالتحريف لبيت فاطمة عليهاالسلام قطعي و مسلم عن رواة الشيعة مجمع عليه، وصحيح وحقّ ووقع كما وقع.

و ممّا يؤيد ذلك أن عمر بن خطاب حين حكومته و ولايته أغرم جميع عمّاله غير قُنفذ مكافأة له: قال سليم بن قيس في كتابه: أنّ عمر بن الخطّاب أُغرم في بعض السنين جميع عمّاله أنصاف أموالهم لشعر أبي المختار [كتب أبو المختار بن أبي الصعق إلى عمر هذه الأبيات:

ألا أبلغ أمير المؤمنين رسالة*** فأنت أمير اللّٰه في المال والأمر

وأنت أمين اللّٰه فينا ومن يكن*** أميراً لربّ النّاس يسلم له صدري

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى*** يخونون مال اللّٰه في الأدم الحمر

إلى آخر أشعاره، راجع كتاب سليم بن قيس: ٩٦].

ولم يغرم قُنفذ العدوي شيئاً، وقد كان من عمّاله، وردّ عليه ما أخذ منه، وهو عشرون ألف درهم، ولم يأخذ منه عشره ولا نصف عشره، إلى أن قال سليم: فلقيت عليّاً عليه السلام فسألته عمّا صنع عمر؟ فقال: 'هل تدري لِمَ كفَّ عن قنفذ ولم يغرمه شيئاً؟'، قال: 'لأنّه هو الّذي ضرب فاطمة بالسوط حين جاءت لتحول بيني وبينهم، فماتت عليهاالسلام وإنّ أثر السوط لفي عضدها مثل الدُملُج'. [المصدر المتقدّم: ٩٧].

وقال سليم بسند آخر: انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليس فيها إلا هاشمي غير سلمان، وأبي ذرّ ومحمّد بن أبي بكر، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن عبادة، فقال العبّاس لعليّ عليه السلام: ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً كما أغرم جميع عمّاله؟ فنظر عليّ عليه السلام إلى من حوله ثمّ اغر و رقّت عيناه ثمّ قال: 'شكراً له ضربةً ضربها فاطمة بالسوط، فماتت وفي عضدها أثره كأنّه الدُملج'. [كتاب سليم بن قيس: ٩٨].

شهادة فاطمة ودفنها ليلاً

من أهم مظلوميّة عليّ عليه السلام تحمّله شهادة فاطمة عليهاالسلام في عنفوان الشباب و تجهيزها و دفنها ليلاً و خفاءً، و قد تواترت الأخبار من طريقي الخاصّة والعامّة أنّ فاطمة عليهاالسلام لسخطها على أبي بكر وعمر أوصت أن تدفن ليلاً لئلا يُصلّيا عليها و لا يحضرا جنازتها. [مرآة العقول ٣٢٢ - ٣٢١ :٥، وراجع: الشافي في الإمامة ١١٤:٤].

في مرآة العقول في شرح الكافي للمجلسي عن "الشافي" للسيد المرتضى عن الطبري قال: أنّ فاطمة دفنت ليلاً ولم يحضرها إلا العبّاس وعليّ والمقداد والزبير. [المصدران المتقدّمان].

و فيه أيضاً عن القاضي أبو بكر، بإسناده في تاريخه عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة: أنّ فاطمة عاشت بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها عليّ عليه السلام ليلاً وصلّى عليها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذكر في كتابه هذا أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها. [المصدران المتقدّمان].

و فيه أيضاً عن البلاذري في تاريخه: إنّ فاطمة لم تُر مُتبسمةً بعد وفاة رسول اللّٰه، ولم يُعلم أبو بكر وعمر بموتها. [المصدران المتقدّمان].

وفي "الكافي": عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: "لمّا قُبضت فاطمة دفنها أمير المؤمنين سرّاً، وعفا على موضع قبرها، ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقال:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار اللّٰه لها سرعة اللّحاق بك، قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وعفا عن سيّدة نساء العالمين تَجَلُّدِي، إِلا أَنَّ لي فِي التَّأَسِّي بسنَّتِك في فرقتك موضع تعزّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ نَفْسُكَ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي، بلى وفي كتاب اللّٰه "لي" أنعم القبول، 'إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ'. قَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! وأُخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول اللّٰه، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسْهَّدٌ، وهَمَّ لا يبرج من قلبي أو يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَ نْتَ فيها مُقِيمٌ. كُمَدٌ [الكمد: الحزن الشديد].

مقيّحٌ [القيح: المدّة لا يخالطها دم].

و هَمٌّ مَهيج سرعان ما فُرِّقَ بيننا وإلى اللّٰه أشكو، وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا [الهضم: الظلم والغصب].

فَأَحْفِهَا [احفاء السؤال: استقصاؤه].

السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ؛ فكَم مِن غَليلٍ مُعتلجٍ بصدرِها، لم تجد إلى بثّه سَبِيلاً، وَستَقُولُ ويَحكمُ اللّٰه وَهُوَ خيرُ الحاكمين.

سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَ نْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِين. [وفي النهج روى الحديث إلى هنا مع تفاوت في بعض ألفاظه، فراجع الخطبة ٢٠٢، ولفظ الحديث عن الكافي].

واه واهاً والصبرُ أيمَن وأجمَل، ولولا غَلبةُ المُستَولين لجَعَلْتُ المُقام واللّبث لزاماً مَعكُوفاً، ولأعولتُ إعوال الثكلى عَلى جليل الرزيّة، فبعين اللّٰه تُدفَنُ ابنتك سِرّاً وتُهضم حقّها، وتُمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق

منك الذِّكر، وإلى اللَّه - يا رسول اللَّه - المشتكى، وفيك يا رسول اللَّه أحسنُ العزاء، صلّى اللَّه عليك وعليها السلام والرضوان'. [أُصول الكافي ١:٤٥٨].

من هذه الخطبة عند مدفن فاطمة عليهاالسلام تستفاد شدّة حزن عليّ عليه السلام و ألمه في ظلمهم على فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، اما ليس في تحمّل هذه الامور الا الصبر فى اللَّه تعالى و ارجاع الأمر إليه تعالى.

مظلوميّته في الشورى و شكوته عنها

إنّ كلامه عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقيّة حاكية عن عمق مظلوميّته عليه السلام، وشدّة تأثّره من قضيّة الشورى يظهر جليّاً في كلمات الخطبة، حيث قال: "أَمَا وَاللَّه لَقَدْ تَقَمَّصَها ابن أبي قحافة وَإِنَّهُ لِيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا. يَنْحَدرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ - إلى أن قال: - فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ المُدَّةِ، وَشِدَّةِ المِحْنَةِ، حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَ نَّي أَحَدُهُمْ، فَيَالَلَّهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ! لكِنِّي أَسفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَن إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ نَافِجَاً حِضْنَيْهِ" الخطبة. [الخطبة المعروفة بالشقشقيّة، راجع: نهج البلاغة: الخطبة ٣].

وقال أيضاً - على ما نسب إليه عليه السلام من الحكم في شرح ابن أبي الحديد - "كنتُ في أيّام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كجزء من رسول اللَّه "صلوات اللَّه وسلامه عليه"، ينظر إليَّ النّاس كما ينظر إلى الكواكب في أُفق السماء، ثمّ غضّ الدهر منّى، فقرن بي فلان وفلان، ثمّ قرنت بخمسة أمثلهم عثمان، فقلتُ: واذفراه [الذفر: الرائحة الخبيثة].

ثمّ لم يَرْضَ الدهر لي بذلك، حتّى أرذلني، فجعلني نظيراً لابن هند وابن النابغة لقد استنّت الفصال حتّى القرعى'. [شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٢٦].

وفي رسالته عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان: فَيَاعَجَباً لِلدَّهرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ.وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ'. [نهج البلاغة: الكتاب ٩].

اجمال من قصّة الشورى

قال ابن أبي الحديد في شرحه: أنّ عمر لمّا طعنه أبو لؤلوة وعلم أنّه ميّت، استشار فيمن يولّيه الأمر بعده، فأُشير عليه بابنه عبدالله، فقال:لاها الله إذاً لا يليها رجلان من ولد الخطّاب، حسب عمر ما حُمِّل! حسب عمر ما احتقب، لاها الله! لا أتحمّلها حيّاً وميّتاً!

ثمّ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله مات وهو راضٍ عن هذه الستّة من قريش: عليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد "بن أبي وقاص"، وعبدالرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم.

ثمّ قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير منّى - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي - يعني رسول الله صلى الله عليه و آله -، ثمّ قال: أُدعوهم لي، فدعوهم، فدخلوا عليه وهو ملقىً على فراشه يجود بنفسه، فنظر إليهم، فقال: أكلّكم يطمع في الخلافة بعدي، فوجموا [وجم وجماً ووجوماً: سكت على غيظ].

فقال لهم ثانية، فأجابه الزبير، وقال: وما الّذي يُبعدنا منها! وليتها أنت فقمتَ بها، ولسنا دونك في قريش، ولا في السابقة ولا في القرابة. قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ: والله لولا عِلْمه أي علم زبير أنّ عمر يموت في مجلسه ذلك لم يُقدم على أن يفوّه من هذا الكلام بكلمة، ولا أن تنفّس منه بلفظه.

فقال عمر: أفلا أُخبركم عن أنفسكم؟ قال: قل، فإنّا لو استعفيناك لم تُعفنا. ثمّ أقبل عمر إلى كلّ واحد من الستّة الحاضرين بين يديه، وخاطب القوم بكلمات جارحة، وذمّهم ذمّاً شديداً إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام سوى قوله: لله أنت "يا عليّ" لولا دُعابة [الدعابة - بالضمّ -: المزاح واللعب].

فيك! أما والله لئن وليّتم لتحملنّهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء - إلى أن قال: - أُدعوا إليَّ أبا طلحة الأنصاري فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة، إذا عدتم من حُفرتي، فكنْ في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم، فإن اتّفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه، وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتّفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فانظر الثلاثة الّتي فيها عبدالرحمن، فارجع إلى ما قد اتّفقت عليه، فإن أصرّت الثلاثة الأُخرى على خلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيّام ولم يتّفقوا على أمر فاضرب أعناق الستّة، و دع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلمّا دُفن عمر، جمعهم أبو طلحة، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم، ثمّ تكلّم القوم وتنازعوا، فأوّل ما عمل طلحة أنّه أشهدهم على نفسه أنّه قد وهب حقّه من الشورى لعثمان،

وذل لعلمه أنّ الناس لا يعدلون به عليّاً وعثمان، وأنّ الخلافة لا تخلُص له وهذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب عليّ عليه السلام بهبة أمر لا انتفاع له به، ولا تمكّن له منه. [في شرح ابن أبي الحديد ١٨٥: ١: وإنّما مال طلحةُ إلى عثمان لانحرافه عن عليّ عليه السلام باعتبار أنّه تيميّ وابن عمّ أبي بكر الصدّيق، وقد كان حصل في نفوس بني هاشم من بني تيم حنقٌ شديدٌ لأجل الخلافة، وكذلك صار في صدور تيم على بني هاشم، وهذا أمرٌ مركوز في طبيعة البشر، وخصوصاً طينة العرب وطباعها والتجربة إلى الآن تحقّق ذلك].

فقال الزبير في معارضته: وأنا أُشهدكم على نفسي أنّي وقد وهبتُ حقّي من الشورى لعليّ، وإنّما فعل ذلك لمّا رأى عليّاً قد ضعُف وانخزل بهبة طلحة حقّه لعثمان، دخلته حمية النسب؛ لأنّه ابن عمّة أمير المؤمنين عليه السلام وهي صفيّة بنت عبدالمطّلب، وأبو طالب خالُه، فبقى من الستّة أربعة.

فقال سعد بن أبي وقّاص: وأنا قد وهبتُ حقّي من الشورى لابن عمّي عبدالرحمن، وذلك لأنّهما من بني زهرة، ولعلم سعد أنّ الأمر لا يتمّ له، فلمّا لم يبق إلا الثلاثة، قال عبدالرحمن لعليّ وعثمان، أيّكما يُخرج نفسه من الخلافة، ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلّم منهما أحد، فقال عبدالرحمن: أُشهدكم أنّي قد أخرجتُ نفسي من الخلافة، على أن اختار أحدهما، فأمسكا، فبدأ بعليّ عليه السلام وقال له: أُبايعك على كتاب اللّه وسنّة رسول اللّه، وسيرة الشيخين: أبي بكر وعمر، فقال: "بل على كتاب اللّه وسنّة رسوله واجتهاد رأيي"، فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك عليه، فقال: نعم، فعاد إلى عليّ عليه السلام فأعاد قوله، فعل ذلك عبدالرحمن ثلاثاً، فلمّا رأى أنّ عليّاً عليه السلام غير راجع عمّا قاله، وأنّ عثمان يُنعم له [أنعم له: إذا قال مجيباً "نعم"].

بالإجابة، صفّق على يد عثمان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال: إنّ عليّاً عليه السلام قال له: "واللّه ما فعلتها إلا أنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ اللّه بينكما عِطر مَنشِم". [منشم - بكسر الشين -: "اسم امرأة كانت بمكّة عطّارة، وكانت خزاعة وجُرهُم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها،وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشأم من عطر مَنشم، فصار مثلاً". راجع هامش شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ١:١٨٨، بتحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم].

قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبدالرحمن، فلم يكلّم أحدُهما صاحبه حتّى مات عبدالرحمن. [شرح ابن أبي الحديد ١:١٨٥، وراجع الكامل في التاريخ ٢:٢١٩، وتاريخ الطبري ٣:٢٩٢].

فقد استجاب اللّه تعالى دعائه عليه السلام على عبدالرحمن ولم يرَ خيراً من بيعته لعثمان، فقد روى العلامة الخوئي عن الشارح المعتزلي: لمّا بنى عثمان قصره طمارد الزوراء وصنع طعاماً كثيراً، ودعا النّاس إليه كان فيهم عبدالرحمن، فلمّا نظر إلى البناء والطعام قال: يابن عفّان، لقد صدقنا عليك، ما كنّا نكذب فيك، وإنّي أستعيذ باللّه من بيعتك، فغضب عثمان، وقال: أخرجه عنّي يا غلام، فأخرجوه وأمر النّاس أن لا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عبّاس كان يأتيه، فيتعلّم منه القرآن والفرائض، ومرض عبدالرحمن فعاده عثمان فكلّمه ولم يكلّمه حتّى مات. [شرح الخوئي ٢:٨٤].

ما يطعن به على عمر في تضييع حقّ عليّ

فقصّته الشورى على ما رواها أصحاب التاريخ طويلة، فقد تعرّضنا لذكرها إجمالاً حتّى نشير إلى بعض ما يطعن به على عمر في هذه القضيّة، من ابتداعه في الدين، وخروجه عن نهج الحقّ المبين، وتضييع حقّ عليّ عليه السلام وغير ذلك ممّا لا يخفى على أهل البصيرة واليقين.

١- مخاطبته القوم ومواجهتهم بكلمات كاشفة عن غلظ طبيعته وخشونة مسّه وجفوته.

٢- خروجه في هذا الأمر عن النصّ والاختيار جميعاً.

٣- حصر الشورى في ستّة، وذمّ كلّ واحد منهم بأن ذكر فيه طعناً لا تصلح معه الإمامة، سوى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ أهّله بعد أن طعن فيه.

٤- نسبة الإمام عليّ عليه السلام إلى الدعابة والمزاح، وهو افتراء عليه، وظلم في حقّه، ومثل ذلك زعم عمرو بن العاص، وكذّبه عليه السلام في بعض خطبه بقوله: عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَ نِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ: أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً. أَمَا - وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ - إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ. الخطبة. [نهج البلاغة: الخطبة ٨٤].

٥- وجعل الأمر إلى ستّة ثمّ إلى أربعة، ثمّ إلى واحد وصفه بالضعف والقصور.

٦- ترجيح قول الّذين فيهم عبدالرحمن، لعلمه بأنّه لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه وابن عمّه، أي عثمان.

و قد روى ابن أبي الحديد عن القطب الراوندي: أنّ عمر لمّا قال: كونوا مع الثلاثة الّتي عبدالرحمن فيها، قال ابن عبّاس لعليّ عليه السلام: ذهب الأمر منّا، الرجل "عمر" يريد أن يكون الأمر في عثمان، فقال عليّ عليه السلام: 'وأنا أعلم ذلك، ولكنّي أدخل معهم في الشورى؛ لأنّ عمر قد أهّلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: إنّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأُظهر للنّاس مناقضة فعله لروايته'. [شرح ابن أبي الحديد ١:١٨٦].

٧- أمره بقتل الثلاثة الّذين ليس فيهم عبدالرحمن لو أصرّوا على المخالفة، ومن المعلوم أنّ مخالفته لا توجب استحقاق القتل قطعاً.

٨- أمره بقتل الستّة وضرب أعناقهم إن مضت ثلاثة أيّام ولم يتّفقوا، ومن الواضح أنّ تكليفهم إذا كان الاجتهاد في اختيار الإمام فربّما طال زمان الاجتهاد وربّما قصر، بحسب ما يعرض فيه من العوارض، فكيف يسوغ الأمر بالقتل إذا تجاوزت المدّة ثلاثة أيّام.

إلى غير هذه الاشكالات ممّا هي غير خفيّة على أهل البصيرة والمعرفة. [راجع: شرح الخوئي ٣:٨٥].

مظلوميّته في حرب صفّين وقصّة التحكيم

ومن أمرّ صور المظلوميّة أن يقف أعوان المرء في وجهه وهو على أعتاب الانتصار على العدوّ، وكان هذا ما واجهه عليّ عليه السلام، فلمّا أن أشرف على النصر يوم صفّين أحدث معاوية خديعته فوقف أصحاب الإمام عليّ عليه السلام يعارضون أميرهم.

قال الشارح المعتزلي: إنّ الّذي دعا إليه طلب أهل الشام له واعتصامهم به من سيوف أهل العراق، فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت، ودلائل النصر والظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القِراع إلى الخداع، وكان ذلك برأي عمرو بن العاص، وهذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير [من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهرّ السباع، وهو صوت دون النباح].

وهي الليلة العظيمة الّتي يُضرب بها المَثل. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٠٦].

وقد فصّلنا قضيّة التحكيم في فصل "عليّ عليه السلام في حرب صفّين"، وسنذكر هنا مختصراً يناسب هذا الفصل؛ لتوضيح مظلوميّة عليّ عليه السلام في التحكيم.و اليك شرح قصة التحكيم اختصاراً:

قتال أصحابه مع معسكر معاويه خصوصاً مالك الأشتر

عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن أبي ضرار، عن عمّاد بن ربيعة، قال: غلّس عليّ عليه السلام بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين. وقيل: عاشر شهر صفر، ثمّ زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق، والنّاس على راياتهم وأعلامهم، وزَحفَ إليهم أهل الشام وقد كانت الحرب أكلت الفريقين، ولكنّها في أهل الشام أشدّ نكاية، وأعظم وقعاً، فقد ملُّوا الحرب وكرهوا القتال، وتَضعضعت أركانهم.

إلى أن مضى الليالي و الايام بعد سنة و انتهى الى ليلة المعروف بليلة الهرير، فان الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة، فيأمر كلّ قبيلة أو كتيبة من القرّاء بالإقدام على الّتي بينها، فاجتلدوا بالسيوف وعُمد الحديد، من صلاة الغداة من اليوم المذكور إلى نصف الليل، لم يصلّوا للّه صلاة، فلم يزل الأشتر يفعلُ ذلك حتّى أصبح والمعركة خلف ظهره، وافترقوا عن سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم، وتلك الليلة، وهي ليلة الهرير المشهورة، وكان الأشتر في ميمنة النّاس، وابن عبّاس في الميسرة، وعليّ عليه السلام في القلب والنّاس يقتتلون.

ثمّ استمرّ القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى، والأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو الشام: ازحفوا قيد رمحي هذا، إلى أن قال: ثمّ دعا بفرسه وركز رايته - وكانت مع حبّان بن هوذة النخعي - وسار بين الكتائب وهو يقول: ألا مَن يشتري نفسه للّه ويقاتل مع الأشتر، حتّى يظهر أو يلحق باللّه! فلا يزالُ الرجل من النّاس يخرج إليه فيقاتل معه. [راجع شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٠٦].

وروى ابن أبي الحديد عن نصر عن رجاله، قال: لمّا بلغ القوم ما بلغوا إليه، قام عليّ عليه السلام خطيباً، فحمد اللّه وأثنى عليه، وقال: "أيّها النّاس، قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وأنّ الأُمور إذا أقبلت اعتبر آخرُها بأوّلها، وقد صبر لكم القوم على غير دين، حتّى بلغنا منهما بلغنا وأنا غادٍ عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى اللّه". [المصدر المتقدّم ٢:٢٠٩].

مشاورة معاوية مع عمرو بن العاص ورفع المصاحف

قال: فبلغ ذلك معاوية، فدعا عمرو بن العاص، وقال: يا عمرو، إنّما هي الليلة حتّى يغدُوَ عليٌّ علينا بالفيصَل [بالفصل ن خ].

فما ترى؟ قال: ألقِ إلى القوم أمراً إن قَبِلوه اختلفُوا، وإن ردّوه اختلفوا، أُدعهُم إلى كتاب اللّه حَكَماً فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغٌ به حاجتك في القوم، وإنّي لم أزل أوخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه. فعرف معاوية ذلك وقال له: صدقت. [شرح بن أبي الحديد ٢:٢١٠].

وروى نصر بإسناده عن جابر، قال: سمعت تميم بن حُذيم يقول: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباهُ الرايات أمام أهل الشام في وسط الفَيلق حيال موقف عليّ عليه السلام ومعاوية، فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد رُبطت في أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً، وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمكسه عشرة رهط.

وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف، ووضعوا في كلّ مُجنّبة [المجنبة - بكسر النون المشدّدة -: ميمنة الجيش وميسرته].

مائتي مصحف، فكان جميعها خمسمائة مصحف. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١١].

بداية الخلاف في جيش عليّ

قال الشارح المعتزلي، عن أبي جعفر: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمّر حيال الميسرة، ثمّ نادوا: يا معشر العرب، اللَّه اللَّه في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم، اللَّه اللَّه في دينكم! هذا كتابُ اللَّه بيننا وبينكم. فقال عليّ عليه السلام: "اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون، فاحكُم بيننا وبينهم إنّك أنت الحكم الحقّ المبين".

فاختلف أصحاب عليّ عليه السلام في الرأي، فطائفة قالت: القتال، وطائفةٌ قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحلّ لنا الحرب، وقد دُعينا إلى حكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها. [المصدر المتقدّم: ٢١٢].

قال نصر: وروى الشعبي عن صعصعة، قال: وقد كان الأشعثُ بن قيس بدر منه قولٌ ليلة الهرير، نقله الناقلون إلى معاوية، فاغتنمه وبَنى عليه تدبيره، وذلك أنّ الأشعث خَطبَ أصحابه من كندة تلك الليلة، فقال: الحمد للَّه، أحمدُه وأستعينه وأؤمِنُ به وأتوكّل عليه، وأستنصره وأستغفره، وأستجيره وأستهديه، وأستشريه واستشهد به، فإنّ مَنْ هداه اللَّه فلا مضلّ له، ومن يظلل اللَّه فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحدَهُ لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولهُ صلى الله عليه و آله.

ثمّ قال الأشعث: قد رأيتم - يا معشر المسلمين - ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فَني فيه من العرب، فواللَّه لقد بَلغتُ من السِّنِّ ما شاء اللَّه أن أبلُغ، فما رأيتُ مثلَ هذا اليوم قطّ، ألا فليُبلِّغ الشاهد الغائب، إنّا نحن إن توافقنا غداً، إنّه لفناء العرب، وضيعة الحُرُمات [فنيت العرب وضيّعت الحرمات "ن خ"].

أمّا واللَّه ما أقول هذه المقالة جَزَعاً من الحرب، ولكنّي رجلٌ مُسنٌّ أخافُ على النساء والذراري غداً إذا فُنينا، اللّهمّ إنّك تعلم أنّي قد نظرتُ لقومي ولأهل ديني فلم آلُ، وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلّت وإليه أُنيب، والرأي يُخطئ ويُصيب، وإذا قضى اللَّه أمراً أمضاه على ما أحبّ العباد أو كرهوا، أقول قولي هذا وأستغفر اللَّه العظيم لي ولكم. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١٤].

قال الشعبي: قال صعصعة: فانطلقت عيونُ معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب وربّ الكعبة! لئن نحن التقينا غداً لتمليّن الروم على ذراريّ أهل الشام ونسائهم، ولتميلنّ فارسُ على ذاريّ أهل العراق ونسائهم! إنّما يبصر هذا ذَوُوا الأحلام والنُّهى، ثمّ قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القَنا.

فثار أهل الشام في سواد الليل ينادون عن قول معاوية وأمره: يا أهل العراق، مَن لذرارينا إن قتلتمونا، ومَن لذراريكم إذا قتلناكم! اللَّه اللَّه في البقيّة! وأصبحُوا وقد رفعوا المصاحِفَ على رؤوس الرماح، وقد قلّدوها الخيل، والنّاس على الرايات قد اشتهوا ما دُعوا إليه، ومصحفُ دمشق الأعظم يحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح وهم ينادون: كتاب اللَّه بيننا وبينكم. وأقبل الأعور السُّلميّ على برذون أبيض، وقد وَضَع المصحف على رأسه يُنادي: يا أهل العراق، كتاب اللَّه بيننا وبينكم. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١٥].

معاودة الاشعث الخلاف

فان اشعث بعد ما رأى موافقة بعض الاصحاب مع عليّ عليه السلام فى ادامة الحرب مع معاوية، قام مُغضباً، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا لك اليوم على ما كنّا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوّله، وما من القوم أحدٌ أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام منّي، فأجب القوم إلى كتاب اللّه عزّ وجلّ فإنّك أحقّ به منهم، وقد أحبّ النّاسُ البقاء، وكرهوا القتال. فقال عليّ ءعليه السلام: "هذا أمرٌ يُنظر فيه"، فنادى النّاس من كلّ جانب: الموادعة. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١٥].

علي يُطلع جيشه على حيلة معاوية وعمرو، ولكنّه يُهدّد بالقتل

فقال عليّ عليه السلام: "أيّها النّاسُ، إنّي أحقّ مَن أجابَ إلى كتاب اللّه، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي مُعيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال، ويحكم إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل! إنّهم ما رَفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدَكُم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلا أن يُقطَع دابرُ الّذين ظلموا".

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد، شاكي سيُوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود، يتقدّمهم مِسعَر بن فَدَكيّ، وزيد بن حُصين، وعصابةٌ من القُرّاء الّذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا عليّ، أجب القوم إلى كتاب اللّه إذا دُعيتَ إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فواللّه لنفعلنّها إن لم تُجبهم!

فقال لهم: "ويحكم! أنا أوّل من دَعا إلى كتاب اللّه، وأوّل مَن أجابَ إليه، وليس يَحلُّ لي، ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب اللّه فلا أقبلُه، إنّي إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا اللّه فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يُريدون"، قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيَنّك، وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله. [شرح ابن أبي الحديد ٢:٢١٦].

فأقبل الأشتر حتّى انتهى إليهم، فصاح: يا أهل الذلّ والوهن، أحينَ علوتم القوم وظنّوا أنّكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد واللّه تركوا ما أمر اللّه به فيها، وقد تركوا سنّة من أُنزلت عليه، فلا تجيبوهم! أمهلوني فُواقاً [الفُواق: ما بين الحلبتين. يقال: انتظرتك فواق ناقة].

فإنّي قد أحسستُ بالفتح، قالوا: لا نمهلك. قال: فأمهلوني عَدوَة الفَرس، فإنّي قد طمعتُ في النصر. قالوا: إذنْ ندخُلُ معك في خطيئتك، فَسبُّوه وسبّهم، وضَربُوا بسيافهم وجه دابّته، وضرب بسوطه وجوه دوابّهم، وصاح بهم عليّ عليه السلام فكفّوا.

وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، احمل الصفّ على الصفّ تَصرع القوم، فتصايحوا: إنّ أمير المؤمنين قد قَبِل الحكومة، ورَضي بحكم القرآن. فقال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد قَبِلَ ورضي فقد رضيتُ بما رضي به أمير المؤمنين، فأقبل النّاس يقولون: قد رَضي أمير المؤمنين، قد قَبِلَ أمير المؤمنين، وهو ساكت لا يَبضّ [لا يبضّ: لا يتكلّم] بكلمة مُطرقٌ إلى الأرض.

ثمّ قام فسكت النّاس كلّهم، فقال: "أيّها النّاس، إنّ أمري لم يَزَل معكم عَلَى ما أُحبّ إلى أن أخذْتُ منكم الحرب، وقد - واللّه - أخَذَتْ منكم وتركت، وأخذَتْ من عدوِّكم فلم تترك، وإنّها فيهم أنكى وأنهك، ألا إنّي كنتُ أمسِ أمير المؤمنين، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنتُ ناهياً فأصبحتُ منهيّاً، وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهُون"، ثمّ قعد.

ثمّ تكلّم رؤساء القبائل، فكلٌّ قال ما يراه ويهواه إمّا من الحرب أو من السلم.. إلى أن قال نصر: وجاء الأشعث إلى عليّ ءعليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ما أرى النّاس إلا قد رضوا، وسرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دَعَوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيتُ معاوية فسألتُه ما يُريد، ونظرتُ ما الّذي يسأل، قال: "آته إن شئت"، فأتاه فسأله: يا معاوية، لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟

قال: لنرجع نحنُ وأنتم إلى ما أمر اللّه به فيها، فابعثوا رجلاً منكم تَرضَون به، ونبعثُ مِنّا رجلاً، ونأخذ عليها أن يعمَلا بما في كتاب اللّه ولا يَعْدُوانِه، ثمّ نتّبع ما اتّفقنا عليه، فقال الأشعث: هذا هو الحقّ. [انظر: شرح ابن أبي الحديد ٢٢٨ - ٢١٨ :٢].

مظلوميّته في انتخاب أبي موسى الأشعري للتحكيم

وانصرف الأشعث إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فبعث عليّ عليه السلام قُرّاء من أهل العراق، وبعث معاوية قُرّاء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفّين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوا، واجتمعوا على أن يُحيوا ما أحيا القرآن، ويُميتوا ما أمات القرآن، ورجع كلّ فريق إلى صاحبه، فقال أهل الشام: إنّا قد رَضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقُرّاء الّذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعري. فقال لهم عليّ عليه السلام: "فإنّي لا أرضى بأبي موسى، ولا أرى أن أُولّيه".

فقال الأشعث وزيد بن حُصين ومِسعر بن فَدَكيّ في عصابة من القرّاء: إنّا لا نرضى إلا به، فإنّه قد كان حذّرنا ما وقعنا فيه. فقال عليّ عليه السلام: 'فإنّه ليس لي برضى، وقد فارقني وخذّل النّاس عنّي، وهرب منّي حتّى أمّنتُه بعد أشهر، ولكن هذا ابن عبّاس أُولّيه ذلك'، قالوا: واللّه ما نُبالي، أكنت أنت أو ابن عبّاس، ولا نُريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر.

قال عليّ عليه السلام: 'فإنّي أجعل الأشتر'، فقال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا إلا الأشتر! وهل نحن إلا في حُكم الأشتر. قال عليّ عليه السلام: 'وما حكمه؟'. قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتّى يكون ما أردتَ وما أراد، وساق الكلام إلى قوله:

فقال عليّ عليه السلام: 'قد أبيتُم إلا أبا موسى!'، قالوا: نعم، قال: 'فاصنعوا ما شئتم'، فبعثوا إلى أبو موسى - وهو بأرض من أرض الشام، يقال لها عُرض [عُرْض: بلد بين تدمر ورصافة الشام].

قد اعتزل القتال - فأتاه مولى له، فقال: إنّ النّاس قد اصطلحوا، فقال: الحمد للّه ربّ العالمين، قال: وقد جعلوك حكماً، فقال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون. [راجع: شرح بن أبي الحديد ٢:٢٢٨].

ولكن خالف بعض صحابة أمير المؤمنين عليه السلام في تحكيم أبي موسى ولا يؤثر ذلك بعد أن اتّفق الخونة والمنافقون والجهّال من جيش عليّ عليه السلام على أبي موسى الأشعري. [راجع: المصدر المتقدّم: ٢٢٩].

قال نصر بن مزاحم: فلمّا رَضي أهل الشام بعمرو بن العاص وأهل العراق بأبي موسى، أخذوا في سطر كتاب الموادعة.. وكُتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، واتّفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان، الحديث. [والرواية طويلة، من أرادها فليراجع شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٣٢، والكامل في التاريخ ٢:٣٨٩، وتاريخ الطبري ٣:٥٦٢].

مظلوميّته في حيلة عمرو على أبي موسى في اجتماع الحكمين

ولمّا جاء وقت اجتماع الحكمين، أرسل عليّ عليه السلام أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني الحارثي، وبعث معهم عبداللّه بن عبّاس وهو يصلّي بهم ويلي أمورهم، وأوصى شريحاً أن يقول لعمرو بن العاص بالتقوى ورعاية الحقّ.

وكذا أرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتّى توافوا بدومة الجندل بأذرح في شهر رمضان، فلمّا اجتمع الحكمان وجرى بينهما ما جرى، وأخذ عمرو يقدّم أبا موسى في الكلام، وكان مكراً

وخديعة، وإن قال له ابن عبّاس: ويحك! واللّه إنّي لأظنّه قد خدعك؟ أمّا أبو موسى فكان مغفّلاً، فقال: إنّا قد اتّفقنا. [راجع تاريخ الطبري ٤:٩٤، والكامل في التاريخ ٢:٣٩٤، وابن أبي الحديد ٢:٢٤٤].

وقال المسعودي في "مروج الذهب": ووجدت في وجه آخر من الروايات أنّهما اتّفقا على خلع عليّ ومعاوية، وأن يجعلا الأمر بعد ذلك شورى: يختار النّاس رجلاً يصلح لهم فقدّم عمرو أبا موسى. [مروج الذهب ٢:٤٠٩].

ورواه أيضاً - في حديث طويل بعد مناظرة أبي موسى وعمرو بن العاص - قال عمرو: أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير للمسلمين فاخطُب النّاس، واخلع صاحبينا |معاً |وتكلّم باسم هذا الرجل الّذي تستخلفه، فقال أبو موسى: بل أنت قم فاخطُب فأنت أحقّ بذلك، قال عمرو: ما أُحبّ أن أتقدّمك، وما قولي وقولك للنّاس إلا قول واحد، فقم راشداً. فقام أبو موسى، فحمد اللّه وأثنى عليه، وصَلّى على نبيّه صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّا قد نظرنا في أمرنا، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولمّ الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة، خلعنا عليّاً ومعاوية، وقد خَلعتُ عليّاً كما خلعتُ عمامتي هذه، ثمّ أهوى إلى عمامته فخلعها، واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول اللّه صلى الله عليه و آله بنفسه، وصحب أبوه النبيّ صلى الله عليه و آله، فبرّز في سابقته - وهو عبداللّه بن عمر - وأطراه، ورغّب النّاس فيه، ثمّ نزل.

فقام عمرو بن العاص فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّ أبا موسى عبداللّه بن قيس قد خلع عليّاً وأخرجه من هذا الأمر الّذي يطلب وهو أعلم به، ألا وأنّي قد خلتُ عليّاً معه، وأثبتُّ معاوية علَيَّ وعليكم، وإنّ أبا موسى قد كتب في الصحيفة أنّ عثمان قد قُتل مظلوماً شهيداً، وأنّ لوليّه "سلطاناً" أن يطلب بدمه حيث كان، وقد صحب معاوية رسول اللّه بنفسه، وصحب أبوه النبيّ صلى الله عليه و آله "وأطراه، ورغّب النّاس فيه وقال": هو الخليفة علينا، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان، فقال أبو موسى: كذب عمرو، لم نستخلف معاوية، ولكنّا خلعنا معاوية وعليّاً معاً، فقال عمرو: بل كذب عبداللّه بن قيس، قد خلع عليّاً ولم أخلع معاوية. [المصدر المتقدّم: ٤٠٨].

وفيه أيضاً: وانخزل أبو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكّة، ولم يعد إلى الكوفة، وقد كانت خطّته وأهله وولده بها، وآلى أن لا ينظر إلى وجه عليّ ما بقي، ومضى ابن عمر وسعد إلى بيت المقدس، "فأحرما". [المصدر المتقدّم: ٤١٠].

قال نصر: ورجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية قصيدة نذكر بيتين منها:

أتيتك الخلافة مزفوفة*** هنيئاً مريئاً تُقرُّ العُيونا

تُزَفُّ إليك زفاف العروس*** بأهْوَنَ من طعنك الدار عينا

[وقد أشرنا إلى تفصيل الواقعة في فصل "عليّ عليه السلام وصفّين" في الجلد الأوّل فراجعه، ومن أراد تفصيلاً أكثر فليراجع شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٤٥، والكامل في التاريخ ٢:٣٩٤، وتاريخ الطبري ٤:٤٩].

خطبة الإمام عليّ بعد التحكيم

روي أنّ عمر بن العاص وأبا موسى الأشعري لمّا التقيا دومة الجندل وقد حكما في أمر الناس، كان أمير المؤمنين عليه السلام يومئذٍ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به، فلمّا تمّت خدعة عمرو لأبي موسى، وبلغه عليه السلام ذلك، اغتمّ له غمّاً شديداً ووجم منه، وقام فخطب النّاس، فقال: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هذِهِ الْحُكُومَةِأَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى *** فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلا ضُحى الْغَدِ"

[نهج البلاغة: الخطبة ٣٥].

وهذه الألفاظ من خطبة خطبها عليه السلام بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى وافتراقهما لكاشفة عن مظلوميّته في هذه الواقعة المؤلمة.

مظلوميّته في تثاقل أصحابه وخطبته في ذلك

فإنّ اميرالمؤمنين بعد حرب الصفين حينما رأى تثاقل أصحابه من الجهاد و عدم متابعته في الحرب مع معاوية، خطب اصحابه خطبة فذمّهم ووبّخهم، فقال في خلالها: "أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا".

إلى أن قال: "أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ. صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ. لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ!". [نهج البلاغة: الخطبة ٩٧].

مظلوميّته في دخول غارات معاوية على بلاد الاسلام

هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام، وقد ذكرها كثير من النّاس، ورواها أبوالعبّاس المبرّد في أوّل "الكامل" وأسقط من هذه الرواية ألفاظاً: وزاد فيها ألفاظاً، وقال: فانتهى إلى عليّ عليه السلام أنّ خيلاً وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له حسّان بن حسّان، فخرج عليه السلام مغضباً يجرّد رداءه. حتّى أتى النخيلة، وأتبعه النّاس، فرقي ربوة من الأرض، فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه صلى الله عليه و آله ثمّ قال: "أَ مَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ البَلَاءُ".

إلى أن قال: "أَ لَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلَاءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ دَارِهِمْ إِلا ذَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ [شنّت عليكم الغارات: فُرّقت].

عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ. وَهذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا [مسالح: جمع مسلحة، وهي كالثغر والمرقَب].

وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَة المُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى المُعَاهَدَةِ [المعاهدة: الذمية].

فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا [الحجل: الخلخال].

وَقُلْبَهَا [القلب: السوار المصمت].

وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلا بِالاسْتِرْجَاعِ [أي بقولها: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون].

وَالِاسْتِرْحَامِ. ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ [الكلم: الجراح].

وَلَاأُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً".

إلى أن قال: "فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الحَرِّ | الصّيف |، قُلْتُمْ: هذِهِ حَمَارَّةُ [أي شدّة الحرّ].

القَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الحرُّ [يُسبّخ عنّا الحرّ: يخفّ].

وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هذِهِ صَبَارَّةُ [صبّارة الشتاء: شدّة برده].

القُرِّ [القرّ: البرد].

أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا البَرْدُ، كُلُّ هذَا فِرَاراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَ نْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ [ربّات الحجال: النساء].

لَوَدِدْتُ أَ نِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعقَبَتْ سَدَماً "ذمّاً". قَاتَلَكُمُ اللَّهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبي قَيْحاً، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُوني نُغَبَ التَّهْنَامِ أَ نْفَاساً، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالخِذْلَان، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْش: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ. للَّهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً "مقاماً"، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وَها أَناذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ! وَلكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لَايُطَاعُ!'. [نهج البلاغة: الخطبة ٢٧].

لقد خطب هذه الخطبة الشريفة في أواخر عمره الشريف، وذلك بعد ما انقضت وقعة صفّين، واستولى معاوية على البلاد، وأكثر القتل والغارة في الأطراف، وأمر سفيان بن عوف الغامدي بالمسير إلى الأنبار وقتل أهلها.

وتفصيل ذلك ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي عن كتاب "الغارات" لإبراهيم بن محمّد الثقفي بسنده عن أبي الكنود. وإليك لفظ الحديث:

قال سفيان بن عوف الغامدي: دعاني معاوية، فقال: إنّي باعثُك في جيش كثيف، ذي أداةٍ وجلادةٍ، فالزم لي جانب الفُرات حتّى تمرّ بهيت [هيت: بلد على الفرات فوق الأنبار].

فتقطعها، فإن وجدت بها جنداً، فأغِر عليهم وإلا فامض حتّى تُغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً فامض حتّى تُوغل في المدائن، ثمّ أقبل إلَيَّ واتّق أن تقرُب الكوفة، واعلم أنّك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنّك أغرت على الكوفة، إنّ هذه الغارات - يا سفيان - على أهل العراق تُرعب قُلوبَهم، وتُفرح كلّ مَن لَهُ فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كلّ من خاف الدوائر، فاقتل مَن لقيته ممّن ليس هو على مثل رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القُرى، واحرب الأموال، فإنّ حَرَبَ الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب.

قال: فخرجتُ من عنده فعسكرتُ، وقام معاوية في النّاس فخطبهم، فقال: أيّها النّاس، انتدبوا مع سفيان بن عوف، فإنّه وجهٌ عظيم فيه أجرٌ، سريعة فيه أوْبتكم إن شاء اللَّه، ثمّ نزل.

قال سفيان: فوالّذي لا إله إلا غيرهُ ما مَرّتْ ثالثة حتّى خرجتُ في ستّة آلاف، ثمّ لزمتُ شاطئ الفرات.. فامضي حتّى أفتتح الأنبار، وقد نَذِرُوا بي، فخرج صاحب المسلحة إليَّ فَوَقَف لي فلم أقدم عليه حتّى أخذتُ غلماناً من أهل القرية، فقلتُ لهم: أخبروني، كم بالأنبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدّة رجالِ المسلَحة خمسمائة، ولكنّهم قد تبدّدوا ورجعوا إلى الكوفة، ولا ندري الّذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل، فنزلتُ فكتّبتُ أصحابي كتائب، ثمّ أخذتُ أبعثهم إليه كتيبةً بعد كتيبة، فيقالتهم واللَّه ويَصبُر لَهم، ويُطاردُهم

ويُطاردونه في الأزقّة، فلمّا رأيتُ ذلك أنزلتُ إليهم نحواً من مائتين، وأتبعتهم الخيل، فلمّا حملت عليهم الخيل وَ أمامَها الرجال تمشي، لَم يَكن شيء حتّى تفرّقوا و قُتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلاً، وحملنا ما كان في الأنبار من الأموال، ثمّ انصرفت، فواللّه ما غزوتُ غزاةً كانت أسلم ولا أقرّ للعيون، ولا أسرّ للنفوس منها، وبَلَغني واللّه أنّها أرعبت النّاس، فلمّا عُدتُ إلى معاوية: حدّثتُه الحديث على وجهه، فقال: كنتَ عند ظنّي بك، لا تنزل في بلد من بُلداني إلا قضيتَ فيه مثل ما يَقضي فيه أميرهُ، وإن أحببت توليته وليّتك، و ليس لأحد من خلق اللّه عليك أمرٌ دوني.

قال: فواللّه ما لبثنا إلا يسيراً حتّى رأيتُ رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هُرّاباً من عسكر عَليّ.

قال إبراهيم: كان اسم عامل عليّ عليه السلام على مسلحة الأنبار أشرس بن حسّان البكري. [شرح ابن أبي الحديد ٨٧ - ٨٥ :٢].

وروى الشارح المعتزلي أيضاً عن إبراهيم، عن عبداللّه بن قيس، عن حبيب بن عفيف - في حديث - قال: ولبث عليّ عليه السلام تُرى فيه الكآبة والحزن، حتّى قدم عليه سعد بن قيس، وكان تلك الأيّام عليلاً، فلم يَقْوَ على القيام في النّاس بما يُريده من القول، فجلس بباب السُّدّة الّتي تصل إلى المسجد، ومعه ابناه حسن وحسين وعبداللّه بن جعفر، ودعا سعداً مولاه فدفع إليه الكتاب وأمره أن يقرأه على النّاس، فقام سعد يستمع عليّ عليه السلام صوته ويسمع ما يردّ النّاس عليه ثمّ قرأ هذه الخطبة الّتي ذكرتها. [المصدر المتقدّم: ٨٨ - ٨٧].

مظلوميّته بعد شهادته

وأجلى صور المظلوميّة أنّه صارت المنابر في الشرق والغرب في حكومة الأمويّين على مدى أربعين سنة محلا لشتمه وسبّه، ومعرضاً لإهانته ولعنه حتّى صار ذلك سُنّة جاريةً بينهم، وقد أخبر عليه السلام بذلك حيث قال لأصحابه:

"أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَ لَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ". [شرح نه البلاغة: ١٣٧، الخطبة ٥٦].

و لا يخفى انّ هذا الكلام منه عليه السلام إخبار بما يأتى و نحو هذا قد وقع منه كثيراً و هو يفوق فوق حدّ الإحصاء فى الوقايع الشديدة و الخطوب العظيمة، و لا شك انّه لا يكون هذا الاخبار بالمغيبات منه عليه

السلام إلا باعلام من اللّٰه تعالى و تعليم من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله. و سنذكر فيما يلي موارد من مظلوميّته عليه السلام بعد شهادته في حكومة معاوية و عملائه:

في تسخير معاوية العملاء وشراء الذمم

لقد سخّر معاوية عدداً من العملاء ممّن أعمت قلوبهم المادّة وتمسّكوا بحطام الدنيا وآثروه على رضى الخالق العزيز، وقد بذل لهم معاوية الأموال الطائلة والمناصب العالية، مستغلا كونهم ممّن أدرك عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أو أنّهم مقرّبون لأحد صحابته، وذلك لكي يختلقوا الأحاديث وينتحلوها على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مدّعين أنّه صلى الله عليه و آله قالها ذمّاً لعليّ عليه السلام!

وإنّما عمل معاوية لعنه اللّٰه ذلك كي يدوم حكمه لبضعة أيّام أُخرى، ولكي يتقرّب إلى قلوب الناس؛ لأنّ ماضيه الّذي لا يحسد عليه ليس فيه ميزة أو خصلة تجذب الجماهير إليه، كما أنّه لم يسجّل ولا موقفاً واحداً في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله يجعله ذا بال أو ممّن يشار إليه بالبنان، بل إنّه كان وأبوه من رؤوس الكفر والإلحاد، لذا لم يجد له ما يقرّبه إلى قلوب النّاس سوى هذه الفعلة الّتي بقيت لعنة له ولمن تمسّك به على طول التاريخ.

لقد كانت القلوب متوجّهة صوب عليّ عليه السلام سيّما بعد الثورة الّتي أطاحت بعثمان؛ وذلك لأنّ فضائل عليّ عليه السلام ومناقبه كانت قد ملأت العيون والمشاهد والأسماع وثبتت في قلوب النّاس قبل أن تسجّلها أقلامهم، لذا لم يجد معاوية بدّاً إلا أن يسعى لأجل انتزاع هذا التوجّه وهذه المحبّة من قلوب النّاس، وأن يجعل من نفسه رجلاً محبوباً مقرّباً إلى نفوس الجماهير بشتّى الوسائل والأساليب.

قال الشارح المعتزلي عن شيخه أبي جعفر الإسكافي: [من متكلّمي المعتزلة وأحد أئمّتهم].

إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغَبُ في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين، عروة بن الزبير. [شرح ابن أبي الحديد ٤:٦٣].

أقول: لكنّ الشمس لا تُحجب بغربال، فشمس عليّ عليه السلام أبت إلا أن تخرج من الظلام الّذي اصطنعه النواصب على مدى التاريخ، وبقيت أشعّة فضائله ومناقبه عليه السلام تشرق على الدنيا في كلّ العصور لتغطّيها بمكارم الأخلاق، ولعلّ المقارنة بين قبره عليه السلام وقبر معاوية خير شاهد على ما نقول:

چراغی را که ایزد بر فروزد*** هر آنکس پف کند ریشه اش بسوزد

وسنشير إلى نماذج من الأخبار الموضوعة من قِبل معاوية وأتباعه لنتبيّن من خلالها على مظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام.

جملة من الوضّاعين وأخبارهم

ما رواه أبو هريرة

روى أبو هريرة الحديث الّذي معناه أنّ عليّاً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول اللّه صلى الله عليه و آله فأسخطه، فخطب على المنبر، وقال: "لاها اللّه! لا تجتمع ابنة وليّ اللّه، وابنة عدوّ اللّه أبي جهل، إنّ فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها، فإن كان عليّ يُريد ابنة جهل فليفارق ابنتي وليفعل ما يُريد؟! أو كلاماً هذا معناه.

و لا شك و لا ريب انّ عليّ بن أبى طالب عليه السلام لم يخطب ابنة أبي جهل لا في حياة رسول اللّه صلى الله عليه و آله و لا بعد وفاته، بل هذا من مجعولات أبي هريرة لكسب المقام و أخذ الأموال اعاذنا اللّه تعالى من نفس الأمارة.

ومع الأسف شاع هذا الخبر المكذوب المجعول حتّى ذكره مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد. [راجع شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٤].

عن الأعمش، قال: لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة من استقبله من النّاس جثا على ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنّي أكذبُ على اللّه وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنّار! واللّه لقد سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "إنّ لكلّ نبيّ حرماً، وإنّ حرمي بالمدينة، ما بين عِير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة اللّه والملائكة والنّاس أجميعن" وأُشهد باللّه أنّ عليّاً أحدث فيها "مراده من الحدث هو قتل عثمان بيد أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام"، فلمّا بلغ معاوية قولهُ أجازه وأكرمه، وولاه إمارة المدينة. [المصدر المتقدم: ٦٧].

قال الشارح المعتزلي: فأمّا قول أبي هريرة: إنّ عليّاً عليه السلام أحدث في المدينة فحاش للّه! كان عليّ عليه السلام أتقى للّه من ذلك، واللّه لقد نصر عثمان نصراً لو كان المحصور جعفر بن أبي طالب لم يبذل له إلا مثله. [المصدر المتقدّم: ٦٩].

وقال أبوجعفر الإسكافي: أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الرواية، ضربه عمر بن الخطّاب بالدرّة، وقال: قد أكثرت من الرواية وأحربك أن تكون كاذباً على رسول اللّه صلى الله عليه و آله. [المصدر المتقدّم: ٦٩].

رواية عمرو بن العاص

قال عمرو عاص: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليّي اللَّه وصالح المؤمنين. [المصدر المتقدّم: ٦٤].

أقول: فهذا الرجل من أعدى أعداء عليّ عليه السلام، ويظهر حاله من خلال مباحثنا في هذا الفصل وفي حرب صفّين وفي غزوات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلاحظها، و لذا كذبه على عليّ عليه السلام و وضعه حديثاً من النبيّ صلى الله عليه و آله لضدّه عليه السلام كان من شيمته الخبيثة.

رواية عروة بن الزبير

روى الزهري أنّ عروة بن الزبير، قال: حدّثتني عائشة، قالت: كنتُ عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ أقبل العبّاس وعليّ عليه السلام، فقال صلى الله عليه و آله: يا عائشة، إنّ هذين يموتان على غير ملّتي - أو قال: على غير ديني -؟! [المصدر المتقدّم: ٦٣].

نعوذ باللَّه من هذه الموضوعات الّتي وضعها هذا الملعون لحطام الدنيا. وعليّ إمام المتّقين وقائد الغُرّ المحجّلين، ووارث علوم النبيّين، ووصيّ رسول ربّ العالمين.

رواية سمرة بن جُندب

قال أبو جعفر الاسكافي: وقد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جُندب مائة ألف درهم حتّى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ' [سورة البقرة: ٢٠٤ و ٢٠٥].

وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ' [سورة البقرة: ٢٠٧].

فلم يقبل، فبذل مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل. [شرح ابن أبي الحديد ٤:٧٣، وسفينة البحار ١:٦٥٤].

فإنّه كان منافقاً وبخيلاً؛ لأنّه هو الّذي ضرب ناقة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله القصوى بعنزة له على رأسها فشجّها، فخرجت إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فشكته.

ومن الأحاديث الدالّة على خبث باطن هذا الرجل الملعون رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "إنّ سمرة بن جُندب كان له عذقٌ [العذق: النخل بحملها].

في حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل الأنصاري بباب البستان، وكان يمرّ به إلى نخلته ولا يستأذن، فكلّمه الأنصاري أن يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة، فلمّا تأبّى جاء الأنصاري إلى رسول اللَّه فشكا إليه وخبّره الخبر، فأرسل إليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وخبّره بقول الأنصاري، وما شكا، وقال: إن أردت الدخول فاستأذن؟ فأبى، فلمّا أبى ساومه حتّى بلغ به من الثمن ما شاء اللَّه فأبى أن يبيع، فقال: لك بها عذق يمدّ لك [قوله: 'يمدّ لك' في التهذيب 'مذلّل'، وهو كقوله تعالى: 'ذُلِّلَت قُطوفها'، أي سويّت عناقيدها].

في الجنّة، فأبى أن يقبل، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله للأنصاري: اذهب، فاقلعها وارم بها إليه، فإنّه لا ضرر ولا ضرار'. [الكافي ٥:٢٩٢، سفينة البحار ١:٦٥٤، مادة 'سمر'].

فإذا كان يعارض النبيّ صلى الله عليه و آله في بعض الأُمور ولا يأبى عن أذيّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لنخلة، فكيف حاله إذا سخّر له معاوية الأموال الطائلة.

والوضّاعون ممّن أعمتهم المادّة واستهوتهم المناصب كثيرون، وأحاديثهم كثيرة نحيل القارئ إلى مظانّها كشرح ابن أبي الحديد، الجزء الرابع وغيره.

مظلوميّته في لعنه في عصر الأمويّين

وقد اختلف العلماء وأهل الحديث في مراده عليه السلام بالرجل الّذي أخبر عليه السلام بظهوره على أهل الكوفة، في الخطبة المارّة الذكر، والّتي يقول فيها: "أَما إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ".

قال ابن أبي الحديد: كثير من النّاس ذهب إلى أنّه عليه السلام عنى زياد بن أبيه، وكثير منهم يقول: إنّه عنى الحجّاج، وقال قوم: إنّه عليه السلام عنى المغيرة بن شعبة، ثمّ قال: والأشبه عندي أنّه عليه السلام عنى معاوية بن أبي سفيان "لعنه اللَّه"؛ لأنّه كان موصوفاً باللَّهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً، يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه، وكان جواداً بالمال والصِّلات، وبخيلاً على الطعام.. كان معاوية يأكل فيكثر ثمّ يقول: ارفعوا فواللَّه ما شبعتُ، ولكن مللتُ وتعبتُ.

ثمّ قال: تظاهرتِ الأخبار أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دعا على معاوية لمّا بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل، ثمّ بعث فوجده يأكل، فقال: "اللّهمّ لا تشبع بطنه".

قال الشاعر:

وصَاحِبٍ لي بطنُه كَالْهاوِيَة*** كأنَّ في أحشائِهِ معاويه

[شرح ابن أبي الحديد ٤:٥٤].

قال العلامة الخوئي في شرحه: ويدلّ على ما ذكرنا من أنّ مراده عليه السلام بالرجل الموصوف، معاوية قوله عليه السلام: 'وإنّه سيأمُركم بسبّي والبراءة منّي'، فإنّ غيره وإن كان يأمر بالبراءة والسبّ أيضاً إلا أنّ هذا الملعون ابن الملعون "أعني معاوية" قد أخذ ذلك شعاراً له، وقد أمر النّاس بالشام والعراق بسبّه والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام حتّى صار ذلك سنّة في أيّام بني أُميّة إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز فأزاله. [شرح نهج البلاغة "للخوئي" ٤:٣٤٦].

وقال العلامة الأميني: وقد صارت - أي سبّة أمير المؤمنين عليه السلام - سنّةً جاريةً، ودُعمت في أيّام الأمويّين سبعون ألف منبر يُلعن فيها أمير المؤمنين عليه السلام [راجع: الغدير ٢:١٠٢ و ١٠٣].

واتّخذوا ذلك كعقيدة راسخةٍ، أو فريضةٍ ثابتةٍ، أو سنّةٍ متّبعةٍ يُرغّبُ فيها بكلّ شوق وتوقٍّ حتّى أنّ عمر بن عبدالعزيز لمّا منع عنها لحكمة عمليّة أو لسياسة وقتيّة، حسبوه كأنّه جاء بطامّة كبرى أو اقترف إثماً عظيماً. [الغدير ١٠:٢٦٦].

روى ابن الأثير في "أُسد الغابة" عن شهر بن حوشب، أنّه قال: أقام فلان خطباء يشتمون عليّاً عليه السلام ويقعون فيه حتّى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم، يقال له: أنيس، فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّكم قد أكثرتم اليوم في سبّ هذا الرجل وشتمه، وإنّي أُقسم باللّٰه إنّي سمعتُ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّي لأشفعُ يومَ القيامةِ لأكثر ممّا على الأرض من مدرٍ وشجرٍ، وأُقسم باللّٰه ما أحد أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل إليكم وتعجز عن أهل بيته؟!'. [أُسد الغابة ١:١٣٤].

علّة منع عمر بن العزيز عن سبّ الإمام عليّ

فنذكر في ختام هذا الفصل علّة منع عمر بن عبدالعزيز عن سبّ الامام عليّ عليه السلام حتى كان بحثه مصداقاً لآية الشريفة 'خِتامُه مِسكٌ فليَتنافسِ المتنافِسون'.

قال الشارح المعتزلي: فأمّا عمر بن عبدالعزيز فإنّه قال: كنتُ غلاماً أقرأ القرآن على بعض وُلد عُتبة بن مسعود، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن عليّاً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركتُ الصبيان وجئتُ إليه لأدرس عليه وردي، فلمّا رآني قام فصلّى وأطال في الصلاة - شبه المُعرض عنّي - حتّى أحسستُ منه بذلك، فلمّا انفَتَل من صلاته كلَح في وجهي فقلتُ له: ما بالُ الشيخ؟ فقال لي: يا بُنيّ، أنتَ اللاعن عَليّاً منذ اليوم؟ قلتُ: نعم. قال: فمتى علمتَ أنّ اللّٰه سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلتُ: يا أبتِ، وهل

كان عليّ عليه السلام من أهل بدر؟ فقال: ويحك وهل كانت بدر كلّها إلا له، فقلتُ: لا أعود. فقال: واللّه إنّك لا تعود! قلتُ: نعم، فلم ألعنه بعدها.

ثمّ كنتُ أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذٍ أمير المدينة، فكنتُ أسمع أبي يمرُّ في خُطبه تهدر شقاشقه، حتّى يأتي إلى لعن عليّ عليه السلام فيجمجمُ، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما اللّه عالم به، فكنتُ أعجب من ذلك، فقلتُ له يوماً: يا أبتِ، أنت أفصحُ النّاس وأخطبُهم، فما بالي أراك أفصحَ خطيب يوم حفلك، حتّى إذا مررتَ بلعن هذا الرجل، صِرتَ ألكن عَيياً! فقال: يا بُنّي، إنّ مَن تَرى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، فوقرتْ كلمتُه في صدري، مع ما كان قاله لي معلّمي أيّام صغري، فأعطيتُ اللّه عهداً، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأُغيّرنّه، فلمّا مَنَّ اللّه علَيَّ بالخلافة أسقطتُ ذلك وجعلتُ مكانَه: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [سورة النحل: ٩٠].

وكتبتُ به إلى الآفاق فصار سنّة. [شرح ابن أبي الحديد ٤:٥٨].

مظوميّته في وصيّته بإخفاءه قبره

وكفى في مظلوميّته عليه السلام وصيّته بإخفاء قبره عن المسلمين حذراً من أن يهتك الخوارج لعنهم اللّه حرمته مع كونه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، ولم يزل مخفياً إلى زمان هارون العبّاسي، وسيأتيك توضيح في ذلك في الفصل الآتي.

علي شهيد المحراب

"يا عليّ، أتدري من أشقى الأوّلين؟ قال |عليّ عليه السلام|: "قلت: اللّه ورسولُه أعلم"، قال صلى الله عليه و آله: "عاقر الناقة"، ثمّ قال صلى الله عليه و آله: "أتدري مَن أشقى الآخرين؟"، قال عليه السلام: "اللّهُ ورسوله أعلم"، قال صلى الله عليه و آله: "قاتلك". فرائد السمطين ١:٣٨٥، ح ٣١٧

كلمة في تاريخ شهداته وعمره المبارك

من الوقائع المسلّمة تاريخيّاً ضربة عبدالرحمن بن ملجم المرادي لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في محراب الصلاة بمسجد الكوفة؛ إذ كان عليه السلام صائماً يصلّي الصبح، ممّا أدّى إلى شقّ هامته

عليه السلام، وقد التحقت روحه المقدّسة بالرفيق الأعلى إلى جوار الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بعد يومين.

وقد وقع الخلاف بين المؤرّخين في تاريخ شهادته ومقدار عمره الشريف، وسنشير إلى بعض الأقوال في هذا المورد:

١- قال ابن الأثير: و في هذه السنة "سنة ٤٠" قُتل عليّ في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، وقيل: لإحدى عشرة، وقيل: لثلاث عشرة بقيت منه، وقيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين، والأوّل أصحّ. [الكافي في التاريخ ٢:٤٣٣].

٢- قال العلامة السيّد محسن الأمين: قُتل "صلوات اللّه عليه" سنة ٤٠ من الهجرة في شهر رمضان، ضُرب ليلة التاسع عشر، ليلة الأربعاء، وقُبض ليلة الجمعة إحدى وعشرين على المعروف بين أصحابنا، وعليه عمل الشيعة اليوم. [أعيان الشيعة ١:٥٣٠].

٣- روى أبو جعفر الطبري، عن محمّد بن عمر: قُتل عليّ عليه السلام وهو ابن ثلاث وستّين سنة، صبيحة ليلة الجمعة، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة" ٤٠ "، ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة. [تاريخ الطبري ٤:١١٦].

٤- وروى ابن عساكر الشافعي: عن محمّد بن عثمان، قال: قال أبي: وولّى عليّ بن أبي طالب خمس سنين، وقُبض وهو ابن سبع وخمسين، قال أبي: وأهل بيته يقولون: قُبض وهو ابن ثلاث وستّين. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣١٨، ح ١٤٢٩].

٥- وعنه أيضاً: عن أبي جعفر بن أبي شيبة، قال: ونحن نقول: إنّ عليّاً عليه السلام أسلم وهو ابن سبع سنين، وصحب النبيّ صلى الله عليه و آله عشرين سنة، وعاش بعد النبيّ صلى الله عليه و آله ثلاثين سنة، وقُبض ابن سبع وخمسين سنة، قال أبي: وأهل بيته يقولون: أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣١٨، ح ١٤٢٩].

٦- قال الكليني في "الكافي": ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وقُتل في شهر رمضان لتسع بقين منه، ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستّين سنة، بقي بعد قبض النبيّ صلى الله عليه و آله ثلاثين سنة، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف، وهو أوّل هاشمي ولده هاشم مرّتين. [الكافي ١:٤٥٢، باب مولد أمير المؤمنين، قوله: 'ولده هاشم مرّتين'، أي ولد من هاشميَّين].

٧- وروى المجلسي عن "المناقب": قُبض "صلوات اللّٰه عليه" قتيلاً في مسجد الكوفة وقت التنوير، ليلة الجمعة، لتسع عشرة ليلة مضين من شهر رمضان، على يدي عبدالرحمن بن ملجم المرادي "لعنه اللّٰه"، وقد عاونه وردان بن مجالد بن تيم الرباب، وشبيب بن بجرة، والأشعث بن قيس، وقطام بنت الأخضر، فضربه سيفاً على رأسه مسموماً، فبقي يومين إلى نحو الثلث من الليل، وله يومئذٍ خمس وستّون سنة في قول الصادق عليه السلام، وقالت العامّة: ثلاث وستّون سنة، عاش مع النبيّ صلى الله عليه و آله بعد إسلامه بمكّة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وقد كان هاجر وهو ابن أربع وعشرين سنة، وضَرَبَ بالسيف بين يدي النبيّ صلى الله عليه و آله وهو ابن ستّ عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة، وقلعَ باب خيبر وله ثمان وعشرون سنة.

وكانت مدّة إمامته ثلاثون سنة: منها أيّام أبي بكر سنتان وأربعة أشهر، وأيّام عمر تسع سنين وٴشهر، وعن الفرياني: عشر سنين وثمانية أشهر، وأيّام عثمان اثنتا عشرة سنة، ثمّ آتاه اللّٰه الحقّ خمس سنين وأشهراً.

وكان عليه السلام أمر بأن يُخفى قبره؛ لما عرف من بني أُميّة وعداوتهم فيه إلى أن أظهره الصادق عليه السلام، ثمّ إنّ محمّد بن زيد الحسني أمر بعمارة الحائر بكربلاء والبناء عليهما، وبعد ذلك زيد فيه، وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما والإيقاف عليهما. [البحار ٤٢: ١٩٩].

٨- وقال الشيخ المفيد: وكانت وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قبيل الفجر من ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، قتيلاً بالسيف، قتله ابن ملجم المرادي "لعنه اللّٰه" في مسجد الكوفة، وقد خرج عليه السلام يُوقِظُ النّاس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، وقد كان ارتصده من أوّل الليل لذلك، فلمّا مرّ به في المسجد وهو مُستَخفٍ بأمره مُماكرٌ بإظهار النوم في جملة النيّام، ثار إليه فضربه على أُمّ رأسه بالسيف وكان مسموماً، فمكث يوم تسعة عشر وليلةَ عشرين ويومها وليلة إحدى وعشرين إلى نحو الثلث الأوّل من الليل، ثمّ قضى نحبه عليه السلام شهيداً، ولقي ربّه تعالى مظلوماً.

وقد كان عليه السلام يعلم ذلك قبل أوانه، ويُخبِر به النّاسَ قبلَ زمانهِ، وتولّى غسلَهُ وتكفينَهُ ودفنَهُ ابناه الحسن والحسين عليهماالسلام بأمره، وحَمَلاه إلى الغَرِيّ من نجف الكوفة، فَدَفَناه هناك، وعَفّيا مُوضِعَ قبره، بوصيّةٍ كانت منه إليهما في ذلك؛ لمّا كان يعلمه عليه السلام من دولة بني أُميّة بعده واعتقادهم في عداوته وما ينتهون إليه بسوء النيّات فيه من قبيح الفعال والمقال بما تمكّنوا من ذلك، الحديث. [الإرشاد للمفيد ١: ١٠].

مداراته ابن ملجم قبل اغتياله

نقل ابن عبدالبرّ المالكي في "الاستيعاب": عن ابن سيرين بن عبيدة، قال: كان عليّ عليه السلام إذا رأى ابن ملجم، قال:

'أُريد حياته ويُريد قتلي*** عذيرك من خليلك من مرادِ'

وكان عليّ عليه السلام كثيراً ما يقول: 'ما يمنع أشقاها - أو ما ينتظر أشقاها - أن يخضب هذه من دم هذا'، يقول: 'واللَّه لتخضبنّ هذه من دم هذا'، ويشير إلى لحيته ورأسه. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٢:٦٠].

وفيه أيضاً: عن سكين بن عبدالعزيز العبدي، أنّه سمع أباه يقول: جاء عبدالرحمن بن ملجم يستحمل عليّاً عليه السلام، فحمله، ثمّ قال:

'أُريد حياته ويُريدُ قتلي*** عذيرك من خليلك من مراد

أما إنّ هذا قاتلي'، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: 'إنّه يقتلني بعدُ'.

قال: وأتى عليّ عليه السلام فقيل له: إنّ ابن ملجم يسمّ سيفه، ويقول: إنّه سيفتك بك فتكة يتحدّث بها العرب، فبعث عليّ عليه السلام إليه، فقال له: 'لِمَ تسمّ سيفك؟'، قال: لعدوّي وعدوّك، فخلّى عنه وقال: 'ما قتلني بعدُ'. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٢:٦٠].

وفي "مقاتل الطالبيّين" و غيره: عن أبي مخنف، عن أبيه، عن عبداللَّه بن محمّد الأزدي، قال: أُدخل ابن ملجم "لعنه اللَّه" بعد ضربته على عليّ عليه السلام، ودخلت عليه فيمن دخل، فسمعتُ عليّاً يقول: 'النفس بالنفس إن أنا مُتُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن سَلمتُ رأيتُ فيه رأيي'، فقال ابن ملجم: واللَّه لقد ابتعته بألف، وسمَّمتُه بألف، فإن خانني فأبعده اللَّه. قال: ونادته أُمّ كلثوم: يا عدوّ اللَّه، قتلتَ أمير المؤمنين؟! قال: إنّما قتلتُ أباك. قالت: 'يا عدوّ اللَّه، إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس'، قال لها: فأراكِ إنّما تبكين عليّاً إذاً، واللَّه لقد ضربته ضربةً لو قُسِّمت بين أهل الأرض لأهلَكَتْهم'. [مقاتل الطالبيّين: ٢٢، وشرح ابن أبي الحديد ٦:١١٨، والبحار ٤٢:٢٣١].

ما جاء في سبب قتله ومؤامرة الخوارج في مكّه

في سنة أربعين من الهجرة اجتمع بمكّة جماعة من الخوارج فتذاكروا النّاس، وما هم فيه من الحرب والقتل والفتنة فعابوا ذاك على ولاتهم، ثمّ إنّهم ذكروا أهل النهروان وترحّموا عليهم، فقال بعضهم لبعض: ما نصنع بالحياة بعدهم، أُولئك كانوا دُعاة النّاس إلى ربّهم لا يخافون في اللَّه لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا قاتلنا أئمّة الضلال، فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد والعباد، وثأرنا بهم إخواننا الشهداء بالنهروان، فتعاقدوا على ذلك

عند انقضاء الحجّ. فقال عبدالرحمن بن ملجم لعنه اللّٰه: أنا أكفيكم عليّاً، وقال البرك بن عبداللّٰه التميمي: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء، وألا ينكل واحد منهم عن صاحبه الّذي يتوجّه إليه حتّى يقتله أو يموت دونه، فاتّعدوا بينهم ليلة تسع عشر من شهر رمضان، فأخذوا سيوفهم فشحذوها، ثمّ سقوها السمّ، وتوجّه كلّ واحدٍ منهم إلى جهة صاحبه الّذي تكفّل به، وتواعدوا على أن يكون وثوبهم عليهم في ليلة واحدة. [انظر الكامل في التاريخ ٢:٤٣٤، وتاريخ الطبري ٤:١١٠، ومروج الذهب ٢:٤٢٣، والفصول المهمّة: ١٣٢، ومقاتل الطالبيّين: ١٧، شرح ابن أبي الحديد ٦:١١٣، والبحار ٤٢:٢٢٨].

قصد البرك معاوية

أمّا البرك بن عبداللّٰه التميمي صاحب معاوية، فإنّه قصده وقدم الشام، فلمّا وقعت عينه عليه - أي على معاوية - ضرب معاوية وهو راكع في صلاة الصبح، فوقعت ضربته في إليته من فوق ثياب كثيرة كان عليه، فجرحه جرحاً يسيراً، فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة، فقال: إنّ السيف مسموم، فاختر إمّا أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربه فتبرأ، وإمّا أن أسقيك دواءً فتبرأ وينقطع نسلك؟

فقال معاوية: أمّا النّار فلا أُطيقها، وأمّا النسل ففي يزيد وعبداللّٰه ما يقرّ عيني وحسبي بهما، فسقاه الدواء فعوفي وعالج جرحه، ولم يولد له بعد ذلك، وأمر معاوية بعد ذلك بالمقصورات في المسجد وحرس الليل، وقيام الشرطة على رأسه، وهو أوّل من عمل المقصورات في الإسلام.

وقبض على البرك فقال لمعاوية: إنّ لك عندي بشارة، قال: وما هي؟ فأخبره بخبر صاحبيه، وقال له: إنّ عليّاً عليه السلام يُقتل في هذه الليلة، فاحبسني عندك، فإن قُتل فأنتَ وليّ ما تراه في أمري، وإن لم يُقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي فأقتله، ثمّ أعود إليك فأضع يدي في يدك حتّى تحكم فيَّ بما ترى، فحبسه عنده، فلمّا أتاه أنّ عليّاً عليه السلام قُتل خَلّى سبيله، وقال بعض من الرواة: بل قتله من وقته. [راجع المصادر المتقدّمة].

قصد عمرو بن بكر، عمرو بن العاص

وأمّا عمرو بن بكر التميمي صاحب عمرو بن العاص، فإنّه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علّة، فأخذ دواءً واستخلف رجلاً يصلّي بالنّاس، يقال له: خارجة بن أبي حبيبة، وكان صاحب شرطته، فخرج للصلاة فشدّ

عليه عمرو بن بكر فضربه، وهو يظنّ أنّه عمرو بن العاص، فوقعت الضربة في خارجة فقتله، فمات منها في اليوم الثاني، وفي ذلك يقول ابن زيدون:

فليتها إذ فدت عَمْراً بخارجة*** فدت عليّاً بمن شاءت من البشر

فأخذوا قاتل خارجة فأُدخل على عمرو بن العاص، وأوقف الرجل - عمرو بن بكر - بين يدي عمرو بن العاص، فسأله عن خبره، فقصّ عليه القصّة، وأخبره أنّ عليّاً ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة، فقال: إن قتلا أو لم يقتلا فلا بدّ من قتلك، فبكى، فقيل له: أجزعاً من الموت مع هذا الإقدام؟ قال: لا واللّه، ولكن غمّاً أن يفوز صاحباي بقتل عليّ ومعاوية، ولا أفوز أنا بقتل عمرو بن العاص، فضربت عنقه وصلب. [راجع المصادر المتقدّمة].

قصد ابن ملجم عليّاً والتواطؤ بينه وبين قطام

في "المقاتل الطالبيين": فأقبل ابن ملجم حتّى قدم الكوفة، فلقي بها جماعة من أصحابه - أهل النهروان - وكتمهم أمره، وطوى عنهم ما تعاقد هو وأصحابه عليه بمكّة من قتل أُمراء المسلمين، مخالفة أن ينشر منه شيء ، وإنّه زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب [وهي قطام ابنة الشجنة في "تاريخ الطبري ٤:١١٠"، وقطام بنت عاقمة في "الكامل للمبرّد: ٥٤٩"، وبنت الأصبغ التميمي في "الفصول المهمّة: ١٣٢"].

وكان عليّ عليه السلام قتل أباها وأخاها بالنهروان، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلمّا رآها ابن ملجم لعنه اللّه شغف بها واشتدّ إعجابه، فخبر خبرها فخطبها، فقالت له: ما الّذي تسمّي لي من الصداق؟ فقال لها: احتكمي ما بدا لك، فقالت: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم، ووصيفاً وخادماً، وقتل عليّ بن أبي طالب! فقال لها: لك جميع ما سألتِ، فأمّا قتل عليّ بن أبي طالب فإنّى لي بذلك؟ فقالت: تلتمس غرّته، فإن أنت قتلته شفيت نفسي وهنأك العيش معي، وإن قُتِلتَ فما عند اللّه خير لك من الدنيا، الحديث. [مقاتل الطالبيّين: ١٩، وشرح ابن أبي الحديد ٦:١١٥، والبحار ٤٢:٢٢٩].

وفي "الفصول المهمّة": فمرّ في بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس، فخرج منها نسوة، فرأى فيهنّ امرأة جميلة فائقة في حسنها، يقال لها: قطام بنت الأصبغ التميمي لعنها اللّه، فهواها ووقعت في قلبه محبّتها، فقال لها: يا جارية، أيّمٌ أنت أم ذات بعل؟ فقالت: بل أيّم، فقال لها: هل لكِ في زوج لا تذمّ خلائقه؟ فقالت: نعم، ولكن لي أولياء أُشاورهم، فتبعها فدخلت داراً ثمّ خرجت إليه، فقالت: يا هذا إنّ أوليائي أبوا أن يزوّجوني إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبدٍ وقينةٍ. [القينة: الأمة].

قال: لك ذلك.

قالت: وشريطة أُخرى؟ قال: وما هي؟ قالت: قَتلُ عليّ بن أبي طالب، فإنّه قتل أبي وأخي يوم النهروان! قال: ويحك ومن يقدر على قتل عليّ، وهو فارس الفرسان، وواحد الشجعان، فقالت: لا تكثر، فذلك أحبّ إلينا من المال، كنتَ تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيلك؟ فقال لها: أمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلا، ولكن إن رضيتي ضَربتُه بسيفي ضربةً واحدةً وانظري ماذا يكون؟ قالت: رضيتُ، ولكن التمس غرّته لضربتك، فإن أصبته انتفعت بنفسك وبي، وإن هَلكتَ فما عند اللّٰه خير وأبقى من الدنيا وزينة أهلها. فقال لها: واللّٰه ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل عليّ بن أبي طالب! قالت: فإذا كان الأمر على ما ذكرت، دعني أطلب لك مَن يَشدّ ظهرَك ويُساعدُك؟ فقال لها: افعلي. فبعثت إلى رجل من أهلها يقال له: وردان - من تيم الرباب - فكلّمته فأجابها [الفصول المهمّة: ١٣٢].

وخرج ابن ملجم من عندها وهو يقول:

ثلاثة آلاف عبدٌ وقنيةٌ*** وقتلُ عليٍّ بالحسام المصمّم

فلا مهر أغلى من عليّ وإن غلا*** ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

[هذان البيتان في مروج الذهب ٢:٤٢٣].

وجاء ابن ملجم إلى رجل من أشجع، يقال له: شبيب بن بحرة من الخوارج، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وكيف ذلك، قال: قتل عليّ بن أبي طالب، فقال له: ثكلتك أُمّك لقد جئتَ شيئاً إدّاً، كيف تقدر على ذلك؟ قال: أكمنُ له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجينا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند اللّٰه خير من الدنيا وما فيها، ولنا أُسوة في أصحابنا الّذين سبقونا، فقال له: ويحك، لو كان غير عليّ، وقد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبيّ صلى الله عليه و آله، وما أجدُ نفسي تنشرح لقتله، قال: ألم تعلم أنّه قتل أهل النهروان العباد المصلّين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه إلى ذلك، فجاءوا إلى قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة، وكان ذلك في شهر رمضان، فقالوا لها: قد صمّمنا وأجمع رأينا على قتل عليّ بن أبي طالب.

فقال ابن ملجم: ولكن يكون ذلك في الليلة الحادية والعشرين منه، فإنّها الليلة الّتي تواعدتُ وصاحباي فيها على أن يبت كلّ واحد منّا صاحبه الّذي تَكَفَّلَ بقتله. فأجابوه إلى ذلك، فمّا كانت الليلة الحادية والعشرين أخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدّة الّتي يخرج منها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكانت ليلة الجمعة، فلمّا خرج لصلاة الصبح شدّ عليه شبيب فضربه بالسيف، فوقف سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم لعنه

اللّه بسيفه فأصابه، وهرب وردان، ومضى شبيب هارباً حتّى دخل منزله، فدخل عليه من بني أميّه فقتله، وأمّا ابن ملجم فإنّ رجلاً من همدان لحقه فطرح عليه قطيفة كانت في يده ثمّ صرعه وأخذ السيف منه، وجاء به إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فنظر إليه عليّ عليه السلام، ثمّ قال: "النفس بالنفس، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت رأيي فيه". [الفصول المهمّة: ١٣٣].

وأضاف أبو الفرج الاصفهاني في "المقاتل" على ما في الفصول المهمّة بقوله: قالت قطام لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع، فانصرفا من عندها، فلبثا أيّاماً، ثمّ أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، الحديث. [مقاتل الطالبيّين: ١٩].

وقال المسعودي في تاريخه: فدعت قطام لهما بحرير فعصبتهما، وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السُدّة الّتي يخرج منها عليّ عليه السلام للمسجد، وكان عليّ عليه السلام يخرج كلّ غداة أوّل الأذان يوقظ النّاس للصلاة، وكان ابن ملجم مرّ به الأشعث وهو في المسجد، فقال له: فضحك الصبح، فسمعها حجر بن عديّ، فقال: قتلته يا أعور قتلك اللّه، الحديث. [مروج الذهب ٢: ٤٢٤].

وروى العلامة المجلسي رحمه الله في "البحار" عن "الإرشاد": فدعت قطام لهم بحرير فعصبت به صدورهم، وتقلّدوا أسيافهم ومضوا وجلسوا مقابل السُدّة الّتي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وواطأهم على ذلك، وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه، وكان حجر بن عديّ في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول: يابن ملجم، النجاء النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبح [أي طلع الصبح].

فاحسّ حجر بما أراد الأشعث، فقال له: قتلته يا أعور، وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليخبره الخبر، ويحذّره من القوم، وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام من الطريق فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف، وأقبل حجر والنّاس يقولون: قُتل أمير المؤمنين عليه السلام. [البحار ٢٣٠ - ٢٢٨ :٤٢، في حديث طويل].

ما جرى لأميرالمؤمنين في ليلة التاسع عشر

روي الجويني عن عثمان بن المغيرة، قال: لمّا أن دخل شهر رمضان من سنة أربعين، كان عليّ عليه السلام يتعشّى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند ابن عبّاس، ولا يزيد على ثلاث لقم، يقول: 'يأتيني أمرالله وأنا أخمص إنّما ليلة أو ليلتان'. [فرائد السمطين ١:٣٨٦، ح ٣٢٠].

و روى العلامة المجلسي في حديث طويل: قالت أُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: لمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدّمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش [الجريش: ما طحنته غير ناعم].

فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلمّا نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً، وقال: 'يا بُنيّة، ما ظننتُ أنّ بنتاً تَسوءُ أباها كما قد أسأتِ أنتِ إليَّ'، قالت: وماذا يا أباه؟ قال: 'يا بُنيّة، أَتُقَدِّمِينَ إِلى أَبْيكِ إِدامَيْنِ فِي طَبَقٍ واحِدٍ، أَتُرِيدِينَ أَنْ يَطُولَ وقُوفي غَداً بَيْنَ يَدَي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيامةِ؟! أَنا أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَ أَخي وابْنَ عَمِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله ما قُدِّمَ لَهُ إِدامانِ فِي طَبَقٍ واحِدٍ إِلى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ تعالى. يا بُنَيَّةُ، ما مِنْ رَجُلٍ طَابَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ وَمَلْبَسُهُ إِلا طالَ وقُوفُهُ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيامةِ'.

ثمّ قال: 'يا بُنَيَّةُ، إِنَّ الدُّنْيا فِي حَلالِها حِسابٌ، وَفِي حَرامِها عِقابٌ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله أَنَّ جَبْرَئِيلَ نَزَلَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ مَفاتِيحُ كُنوزِ الْأَرْضِ، وَقالَ: يا مُحَمَّدُ، اللَّهُ يَقْرَؤكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ صَيَّرْتُ مَعَكَ جِبالَ تِهامَةَ ذَهَباً وَفِضَّةً، وَخُذْ مَفاتِيحَ كُنُوزِ الْأَرْضِ وَلَا يَنْقُصُ ذ لِكَ مِنْ حَظّكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، قال: يا جَبْرَئِيلُ، وَما يَكُونُ بَعْدَ ذ لِكَ؟ قالَ: الْمَوْتُ، فقالَ: لَا حاجَةَ لِي فِي الدُّنْيا، دَعْنِي أَجُوعُ يَوْماً، وَأَشْبَعُ يَوْماً، فَالْيَوْمُ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ أَتَضَرَّعُ إِلى رَبِّي، وَالْيَوْمُ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ أَشْكُرُ رَبِّي وَأَحْمَدُهُ، فَقالَ جَبْرَئِيلُ: وَفِّقْتَ لِكُلِّ خَيْرٍ يا مُحَمَّد!'.

ثمّ قال عليه السلام: 'يا بُنَيَّةُ، الدّارُ دارُ غُرُورٍ، وَدارُ هَوانٍ، فَمَنْ قَدَّمَ شَيْئاً وَجَدَهُ. يا بُنَيَّةُ، لَا آكلُ شَيْئاً حَتّى تَرْفَعِي أَحَدَ الإِدامَيْنِ'.

قالت أُمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام: فلمّا رفعته تقدّم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش، ثمّ حمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قام إلى صلاته، فصلّى، ولم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرّعاً إلى اللّه سبحانه، ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قَلِقٌ يَتململ ثمّ قرأ سورة 'يس' حتّى ختمها، ثمّ رقد هُنيئة وانتبه مرعوباً، وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه، وهو يقول:

'اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فِي لِقائِكَ'، ويكثر من قول: 'لا حولَ ولا قوّة إلا باللّه العليّ العظيم'. ثمّ صلّى حتّى ذهب بعض الليل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه وهو جالس، ثمّ انتبه من نومته مرعوباً.

إلى أن قالت: ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثمّ يخرج ساعة بعد ساعة يقلّب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول: 'مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، إِنَّها اللَّيْلَةُ الَّتِي وُعِدْتُ بِهَا'، ثمّ يعود إلى مصلاه ويقول: 'اللَّهُمَّ بارِكْ لِي فِي الْمَوْتِ'، ويكثر من قول: 'إنّا للّه وإنّا إليه راجعون'، و"لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ'، ويصلّي على النبيّ وآله ويستغفر اللّه كثيراً.

قالت أُمّ كلثوم: فلمّا رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي، وقلت: يا أبتاه، ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: 'يا بُنَيَّةُ، إِنَّ أَباكِ قَتَلَ الْأَبْطالَ، وَخاضَ الْأَهْوالَ، وَما دَخَلَ الْخَوْفُ جَوْفَهُ، وَما دَخَلَ فِي قَلْبِي رُعْبٌ أَكْثَرُ مِمّا دَخَلَهُ اللَّيْلَةَ'، ثمّ قال: 'إِنّا لِلَّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ'. فقلت: يا أباه، ما لك تنعى نفسك منذ الليلة؟ قال: 'يا بُنَيَّةُ، قَدْ قَرُبَ الْأَجَلُ وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ'.

قالت أُمّ كلثوم: فبكيت، فقال لي: 'يا بُنَيَّةُ، إِنِّي لَمْ أَقُلْ ذ لِكَ إِلا بِما عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيّ صلى الله عليه و آله'، ثمّ إنّه عليه السلام نعس وطوى ساعة، ثمّ استيقظ من نومه، وقال: 'يا بُنيّة، إذا قرب وقت الأذان فاعلميني'، ثمّ رجع إلى ما كان عليه أوّل الليل من الصلاة والدعاء والتضرّع إلى اللّه سبحانه وتعالى. قالت أُمّ كلثوم: فجعلتُ أرقِّبُ وقت الأذان، فلمّا لاح الوقت أتيتُه ومعي إناء فيه ماء، ثمّ أيقظتُه فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه، ثمّ نزل إلى الدار، وكان في الدار إوزّ قد أُهدي إلى أخي الحسين عليه السلام، فلمّا نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه، وكان قبل تلك الليلة لم يصحن، فقال عليه السلام: 'لَا إِلهَ إِلا اللَّهُ، صَوائِحُ تَتْبَعُها نَوائِحُ، وفي غداة غد يظهر القضاء'. فقلت له: يا أباه، هكذا تتطيّر؟ فقال: 'يا بُنيّة، ما مِنّا أهلَ البيت مَن يتطيّر ولا يُتطيَّر به، ولكن قول جرى على لساني'. ثمّ قال: 'يا بُنَيَّةُ، بِحَقِّي عَلَيْكِ إِلا ما أَطْلَقْتِه، فَقَدْ حَبَسْتِ ما لَيْسَ لَهُ لِسَانٌ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ إِذا جاعَ أَوْ عَطِشَ، فَأَطْعِمِيه وَاسْقِيه وَإِلا خَلِّي سَبِيلَه يَأْكُلُ مِنْ حَشائِشِ الْأَرْضِ'، فلمّا وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه، فتعلّق الباب بمنزره فانحلّ منزره حتّى سقط، فأخذه وشدّه وهو يقول:

'اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ*** فإنَّ الموتَ لاقِيكَا

ولا تَجْزَعْ من الموت*** إذا حَلّ بنادِيكَا

ولا تغترّ بالدهر*** وإن كان يواتيكا

كما أضْحَكَكَ الدَّهْرُ*** كذاكَ الدَّهْرُ يُبْكِيكا'

ثمّ قال: 'اللّهمّ بارك لنا الموت، اللّهمّ بارك لي في لقائك'، قالت أُمّ كلثوم: وكنتُ أمشي خلفه، فلمّا سمعتُه يقول ذلك، قلت: واغوثاه يا أبتاه، أراك تنعى نفسك منذ الليلة. قال: 'يا بنيّة، ما هو بنعاء، ولكنّها دلالات

وعلامات للموت، يتبع بعضها بعضاً، فأمسكي عن الجواب'، ثمّ فتح الباب وخرج، الحديث. [البحار ٤٢:٢٧٦].

وفي "النهج"، وكذا في "تاريخ دمشق"، وفي "الاستيعاب"، قال عليّ عليه السلام في سُحرة [السُّحرة - بالضمّ -: السحر الأعلى من آخر الليل].

اليوم الّذي ضُرب فيه: 'مَلَكَتْني [ملكتني عيني: غلبني النوم].

عَيني وأنا جالس، فَسَنَح لي [فسنح لي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مرّ لي كما تسنح الظباء والطير].

رسولُ اللَّه صلى الله عليه و آله، فقلتُ: يا رسول اللَّه، ماذا لقيتُ من أُمَّتِك من الأودِ [الأود: الاعوجاج].

واللَّدَدِ؟ [واللَّدد: الخصام].

فقال عليه السلام: أُدْعُ عليهم، فقلتُ: أبدَلني اللَّهُ بهم خيراً منهم، وأبدَلَهُم بي شَرّاً لهم منّي' [نهج البلاغة: لخطبة ٧٠، وانظر تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٢٩٥، والاستيعاب لابن عبدالبرّ بهامش الإصابة ٣:٦١].

واستجاب له دعاؤه، ومضى عليه ما مضى.

وقال المسعودي في تاريخه: وقيل إنّ عليّاً عليه السلام لم ينم تلك الليلة، وإنّه لم يزل يمشي بين الباب والحُجرة، وهو يقول: 'واللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، وَإِنَّها اللَّيْلَةُ الَّتِي وُعِدْتُ فِيهَا'، فلمّا خرج صاح بطّ كان للصبيان، فصاح بهنّ بعض مَن في الدار، فقال عليّ عليه السلام: 'ويحك دعهنّ فإنّهنّ نوائح'. [مروج الذهب ٢:٤٢٥].

مجي ء عليّ إلى المسجد وما جرى بينه وبين ابن ملجم

في "البحار": عن أبي مخنف وغيره: وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخل المسجد والقناديل قد خمد ضوؤها، فصلّى في المسجد ورده وعقّب ساعة، ثمّ إنّه قام وصلّى ركعتين، ثمّ علا المأذنة، ووضع سبّابتيه في أُذنيه وتنحنح، ثمّ أذّن وكان عليه السلام إذا أذّن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلا اخترقه صوته.

ثمّ روى بسند صحيح أنّ ابن ملجم بات في المسجد ومعه رجلان: أحدهما شبيب بن بجرة، والآخر وردان بن مجالد، يُساعدانه على قتل عليّ عليه السلام، فلمّا أذّن عليه السلام ونزل من المأذنة وجعل يسبّح اللَّه ويقدّسه ويكبّره ويكثر من الصلاة على النبيّ صلى الله عليه و آله، قال الراوي: وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنّه يتفقّد النائمين في المسجد، ويقول للنائم: 'الصلاة يرحمك اللَّه، الصلاة، قم إلى الصلاة المكتوبة عليك'، ثمّ يتلو عليه السلام: 'إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ'. [سورة العنكبوت: ٤٥].

ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد، حتّى إذا بلغ إلى الملعون، ورآه نائماً على وجهه، قال له: "يا هذا، قُم من نومك هذا، فإنّها نومة يمقتها اللّه، وهي نومة الشيطان، ونومة أهل النّار، بل نم على يمينك فإنّها نومة العلماء، أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء، ولا تنم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء".

قال: فتحرّك الملعون كأنّه يريد أن يقوم وهو من مكانه لا يبرح، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: "لقد هممت بشي ء تكاد السموات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً، ولو شئتُ لأنبأتُك بما تحت ثيابك"، ثمّ تركه وعدل عنه إلى محرابه وقام قائماً يصلّي، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصلاة، كعادته في الفرائض والنوافل حاضراً قلبه، فلمّا أحسّ به فنهض الملعون مُسرعاً وأقبل يمشي حتّى وقف بإزاء الأُسطوانة الّتي كان الإمام عليه السلام يُصلّي عليها، فأمهله حتّى صلّى الركعة الأُولى وركع وسجد السجدة الأُولى منها ورفع رأسه، فعند ذلك أخذ السيف وهزّه، ثمّ ضربه على رأسه المكرّم الشريف، فوقعت الضربة على الضربة الّتي ضربه عمرو بن عبدودّ العامري، ثمّ أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود، فلمّا أحسّ الإمام عليه السلام بالضرب لم يتأوّه، وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً: "بسم اللّه وباللّه، وعلى ملّة رسول اللّه"، ثمّ صاح وقال: "قتلني ابن ملجم، قتلني اللعين ابن اليهوديّة وربّ الكعبة، أيّها النّاس، لا يفوتنّكم ابن ملجم". وسار السمّ في رأسه وبدنه، وثار جميع من في المسجد في طلب الملعون، وماجوا بالسلاح، فما كنت أرى إلا صفق الأيدي على الهامات، وعلوا الصرخات، وكان ابن ملجم ضربه ضربة خائفاً مرعوباً، ثمّ ولّى هارباً وخرج من المسجد، وأحاط النّاس بأمير المؤمنين وهو في محرابه يشدّ الضربة ويأخذ التراب ويضعه عليها، ثمّ تلا قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى" [سورة طه: ٥٥].

ثمّ قال: "جاء أمرُ اللّه، وصدق رسول اللّه"، ثمّ إنّه لمّا ضربه الملعون ارتجّت الأرض، وماجت البحار والسماوات، واصطفقت أبواب الجامع، قال الراوي: وضربه اللعين شبيب بن بجرة فأخطأه، ووقعت الضربة في الطاق. [البحار ٤٢: ٢٨٠].

وفي "شرح ابن أبي الحديد": عن أبي مخنف، عن عبداللّه بن محمّد الأزدي، قال: إنّي لأُصلّي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر، كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوّل الليل إلى آخره، إذ نظرتُ إلى رجالٍ يصلّون قريباً من السُّدة قياماً وقعوداً، وركوعاً وسجوداً، ما يسأمون، إذ خرج عليهم عليّ بن أبي طالب فأقبل ينادي: "الصلاة الصلاة"، فرأيت بريقَ السيف، وسمعتُ قائلاً يقول: الحكم للّه يا عليّ لا لك، ثمّ

رأيتُ بريقَ سيفَ آخر، وسمعت صوت عليّ عليه السلام يقول: "لا يفوتنّكم الرجل". [شرح ابن أبي الحديد ٦:١١٧].

قوله لمّا ضُرِبَ: "فُزتُ وَربِّ الكعبة"

روى ابن عساكر الشافعي، عن هارون بن أبي يحيى، عن شيخ من قريش: أنّ عليّاً عليه السلام قال - لما ضربه ابن ملجم -: "فزت وربّ الكعبة". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٠٣، ح ١٤٠٢].

وفي "الاستيعاب" لابن عبدالبرّ - في حديث - قال: فضربه عبدالرحمن بن ملجم على رأسه عليه السلام، وقال: الحُكم للّه يا عليّ، لا لك، ولا أصحابك. فقال عليّ عليه السلام: "فِزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لا يفوتنّكم الكلب"، فشدّ النّاس من كلّ جانب فأخذوه، الحديث. [الاستيعاب لابن عبدالبرّ المالكي بهامش الإصابة ٣:٥٩].

وعن ابن الأثير وغيره بالاسناد عن هارون بن أبي يحيى، عن شيخ من قريش: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا ضربه ابن ملجم قال: "فِزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ". [أُسد الغابة ٤:٣٨، الإمامة والسياسة ١:١٦٠، ينابيع المودّة: ١٦٤، أرجح المطالب: ٦٥١، تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٠٣].

تعقيب وتكميل

في البحار: قال الراوي: فلمّا سمع النّاس الضجّة ثار إليه كلّ من كان في المسجد، وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدّة الصدمة والدهشة، ثمّ أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام هو يشدّ رأسه بمنزره، والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خضبت بدمائه، وهو يقول: "هذا ما وعد اللّه ورسوله، وصدق اللّه ورسوله". [البحار ٤٢:٢٨٢].

وفيه أيضاً، قال: فاصطفقت أبواب الجامع، وضجّت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبّت ريح عاصف سوداء مظلمة، ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ: "تَهَدَّمت واللّه أركانُ الهدى، وانطَمَست واللّهِ نُجومُ السماء، وأعلامُ التُّقى، وانفَصمت واللّه العروة الوثقى، قُتِلَ ابنُ عمّ محمّد المُصطفى، قُتِلَ الوصيُّ المُجتبى، قُتِلَ عليّ المرتضى، قُتِلَ واللّهِ سيِّدُ الأوصياء، قَتَله أشقى الأشقياء".

قال: فلمّا سمعت أُمّ كلثوم نعي جبرئيل، لطمت على وجهها وخدّها، وشقّت جيبها وصاحت: واأبتاه، واعليّاه، وامحمّداه، واسيّداه، ثمّ أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين فأيقظتهما وقالت لهما: لقد قُتل أبوكما، فقاما يبكيان... فلمّا وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من النّاس، وهم يجتهدون أن

يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالنّاس، فلم يطق على النهوض وتأخّر عن الصفّ، وتقدّم الحسن عليه السلام فصلّى بالنّاس، وأمير المؤمنين عليه السلام يصلّي إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمه الشريف، يميل تارةً ويسكن أُخرى.

إلى أن قال: ثمّ إنّ الخبر شاع في جوانب الكوفة، وانحشر النّاس، حتّى المخدّرات خرجن من خدرهنّ إلى الجامع ينظرن إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدخل النّاس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره، وقد غسل الدم عنه، وشدّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً، ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبّح اللّٰه ويوحّده وهو يقول: "أَسْأَلُكَ يا ربّ الرفيع الأعلى"، فأخذ الحسن عليه السلام رأسه في حجره فوجده مغشيّاً عليه، فعندها بكى بكاءً شديداً، وجعل يُقبّل وجه أبيه وما بين عينيه موضع سجوده، فسقطت من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين عليه السلام، ففتح عينيه فرآه باكياً، فقال له: "يا بُنَّي - يا حسن - ما هذا البكاء؟ يا بُنيّ لا روع على أبيك بعد اليوم، هذا جدّك محمّد المصطفى، وخديجة، وفاطمة، والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً، وقرّ عيناً، واكفف عن البكاء، فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء. يا بُنيّ، أتجزع على أبيك؟ غداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً، ويُقتل أخوك بالسيف هكذا، وتلحقان بجدّكما وأبيكما وأُمّكما"، الحديث. [راجع: البحار ٢٨٥ - ٢٨٢ :٤٢].

ابن ملجم بين يدي أمير المؤمنين ورفقه

ثمّ قال في "البحار": وما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت، وزمرة من النّاس قد جاءوا بعدوّ اللّه ابن ملجم مكتوفاً، هذا يلعنه وهذا يضربه، قال: فوقع النّاس بعضهم على بعض ينظرون إليه، وهم ينهشون لحمه بأسنانهم، ويقولون له: يا عدوّ اللّه، ما فعلت؟ أهلكتَ أُمّة محمّد، وقتلتَ خير النّاس؟ وإنّه لصامت وبين يديه رجل يقال له: حذيفة النخعي، بيده سيف مشهور، وهو يردّ النّاس عن قتله، وهو يقول: هذا قاتل الإمام عليّ عليه السلام، حتّى أدخلوه المسجد.

إلى أن قال: فلمّا جاءوا به أوقفوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا نظر إليه الحسن عليه السلام قال له: 'يا ويلك يا لعين، يا عدوّ اللّه، أنت قاتل أمير المؤمنين، ومثكلنا إمام المسلمين؟ هذا جزاؤه منك حيث آواك وقرّبك وأدناك وآثرك على غيرك؟ وهل كان بئس الإمام لك حتّى جازيته هذا الجزاء يا شقيّ؟!'. قال: فلم يتكلّم بل دمعت عيناه!... فقال: يا أبا محمّد، أفأنت تنقذ مَن في النّار؟ فعند ذلك ضجّت النّاس بالبكاء والنحيب، فأمرهم الحسن عليه السلام بالسكوت، ثمّ التفت الحسن عليه السلام إلى الّذي جاء به يعنى حذيفة فقال له: 'كيف ظفرت بعدوّ اللّه وأين لقيته؟' الحديث. [راجع: البحار ٢٨٥ - ٢٨٢ :٤٢].

وفي "البحار" عن عبداللّه بن محمّد الأزدي، وكذا في "شرح ابن أبي الحديد"، قال في رفقه عليه السلام لعدوّه: فلمّا دخل ابن ملجم على أمير المؤمنين عليه السلام، نظر إليه ثمّ قال: 'النفس بالنفس، فإن أنا مُتُّ فاقتلوه كما قَتلني، وإن أنا عشت [في نسخة: 'سلمت'].

رأيتُ فيه رأيي'. فقال ابن ملجم: واللّه! لقد ابتعتُه "يعني السيف" بألف، وسمّمته بألف، فإن خانني فأبعده اللّه. قال: ونادته أُمّ كلثوم: يا عدوّ اللّه، قتلت أمير المؤمنين؟ قال: إنّما قتلتُ أباك، قالت: ياعدوّ اللّه، إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال لها: فأراك إنّما تبكين علَيَّ إذن؟ لقد واللّه ضربتُه ضربةً لو قُسّمت على "بين" أهل الأرض لأهلكتهم. [شرح ابن أبي الحديد ١١٨:٦، وكذا في البحار ٢٣١:٤٢، ومقاتل الطالبيّين: ٢٢].

قال أبو الفرج: وأُخرج ابن ملجم من بين يديه عليه السلام، وانصرف النّاس من صلاة الصبح، فأحدقوا بابن ملجم، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم سباع، وهم يقولون: يا عدوّ اللّه، ماذا فعلت؟ أهلكتَ أُمّة محمّد، وقتلت خير النّاس، وإنّه لصامت ما ينطق، فذهب به إلى الحبس؟

[مقاتل الطالبيّين: ٢٢، ونحوه في البحار ٢٣١:٤٢].

وقال ابن الصبّاغ المالكي: قال عليّ عليه السلام للحسن: 'يا حسن، أبصروا ضاربي، أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشتُ فأنا أوْلى بحقّي، وإن مُتُّ فاضربوه ضربةً، ولا تمثّلوا به، فإنّي سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور'. [الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٣٦].

ثمّ قال: 'يا بني عبدالمطّلب، لا ألفينّكم تريقون دماء المسلمين بعدي، تقولون: قتلتم أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بي إلا قاتلي، ثمّ لم ينطق إلا بلا إله إلا اللَّه حتّى قُبض. [الفصول المهمّة: ١٣٦].

ما حدث حين حمله إلى منزله ورفقه باللعين

في "البحار": قال محمّد بن الحنفيّة: ثمّ إنّ أبي عليه السلام قال: 'احملوني إلى موضع مصلاي في منزلي'، قال: فحملناه إليه وهو مدنف [الدنف: المرض الثقيل].

والنّاس حوله، وهم في أمر عظيم باكين محزونين، قد أشرفوا على الهلاك من شدّة البكاء والنحيب، ثمّ التفت إليه الحسين وهو يبكي، فقال له: 'يا أبتاه، مَن لنا بعدك؟ لا يوم كيومك إلا يوم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من أجلك تعلّمت البكاء، يعزُّ واللَّهِ عَلَيَّ أن أراك هكذا'، فناداه عليه السلام فقال: 'يا حسين، يا أبا عبداللَّه، ادن منّي'، فدنا منه وقد قرحت أجفان عينيه من البكاء، فمسح الدموع من عينيه، ووضع يده على قلبه، وقال له: 'يا بُنيّ، رَبَطَ اللَّهُ قَلبك بالصبر، وأجزلَ لك ولإخواتك عظيم الأجر، فسكّن روعتك، واهدأ من بكائك، فإنّ اللَّه قد آجرك على عظيم مصابك'، ثمّ أُدخل عليه السلام إلى حجرته وجلس في محرابه.

قال الراوي: وأقبلت زينب وأُمّ كلثوم حتّى جلستا معه على فراشه، وأقبلتا تندبانه وتقولان: يا أبتاه، من للصغير حتّى يكبر؟ ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقأ [رقأ الدمع: جفّ وانقطع].

قال: فضجّ النّاس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك، وجعل يقلّب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، ثمّ دعا الحسن والحسين، وجعل يحضنهما ويقبّلهما، ثمّ أُغمي عليه ساعة طويلة وأفاق... فلمّا أفاق ناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن، فشرب منه قليلاً، ثمّ نحّاه عن فيه، وقال: 'احملوه إلى أسيركم'، ثمّ قال للحسن عليه السلام: 'بحقّي عليك - يا بنيّ - إلا ما طيّبتم مطعمه ومشربه، وأرفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه ممّا تأكل وتسقيه ممّا تشرب حتّى تكون أكرم منه'، فعند ذلك حملوا إليه اللبن وأخبروه بما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه، فأخذه اللعين وشربه. [البحار ٤٢:٢٨٨].

ما جرى بينه وبين أصحابه وأولاده في مرضه الّذي قبض فيه

ما جرى بينه وبين الأصبغ بن نباتة

عن "مجالس المفيد" و "أمالي الشيخ": بالإسناد عن أبي إسحاق السبيعي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا ضرب ابن ملجم اللعين، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا؛ أنا والحارث وسُويد بن غفلة، وجماعة معنا، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: 'يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: انصرفوا إلى منازلكم'، فانصرف القوم غيري، فاشتدّ البكاء من منزله، فبكيت، وخرج الحسن عليه السلام وقال: 'ألم أقل لكم انصرفوا؟'، فقلت: لا واللَّه - يابن رسول اللَّه - لا تتابعني نفسي، ولا تحملني رجلي أن أنصرف حتّى أرى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فتلبّث، فدخل ولم يلبث أن خرج، فقال لي: 'داخل'، فدخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف [نزف دم فلان: خرج منه دم كثير حتّى يضعف فهو نَزِف].

واصفرّ وجهه، ما أدري وجهه أصفر أو العمامة، فأكببت عليه فقبّلته وبكيتُ، فقال لي: 'لَا تَبْكِ يا أَصْبَغُ، فَإِنَّها وَاللَّهِ الْجَنَّةُ'، فقلت له: جُعلتُ فداك، إنّي أعلم واللَّه إنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفقداني إيّاك يا أمير المؤمنين جعلتُ فداك، حدِّثني بحديث سمعته من رسول اللَّه، فإنّي أراك لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً.

قال: 'نعم - يا أصبغ - دعاني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوماً فقال لي: يا عليّ، انطلق حتّى تأتي مسجدي، ثمّ تصعد منبري، ثمّ تدعو النّاس إليك، فتحمد اللَّه عزّ وجلّ وتثني عليه، وتصلّي عليَّ صلاة كثيرة، ثمّ تقول: أيّها النّاس، إنّي رسول رسول اللَّه إليكم، وهو يقول لكم: "ألا" إنّ لعنة اللَّه ولعنة ملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على مَن انتمى [انتمى انتماءً فلان إلى أبيه: انتسب].

إلى غير أبيه، أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره، فأتيتُ مسجده صلى الله عليه و آله وصعدتُ منبره، فلمّا رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي، فحمدت اللَّه وأثنيتُ عليه وصلّيت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صلاة كثيرة، ثمّ قلتُ: أيّها النّاس، إنّي رسول رسول اللَّه إليكم، وهو يقول لكم: ألا إنّ لعنة اللَّه ولعنة ملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره'. قال: 'فلم يتكلّم أحد من القوم إلا عمر بن لخطّاب، فإنّه قال: قد أبلغت - يا أبا

الحسن - ولكنّك جئت بكلام غير مفسّر، فقلت: أُبلّغُ ذلك رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فرجعت إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فأخبرتُه الخبر، فقال: ارجع إلى مسجدي حتّى تصعد منبري، فاحمد اللّه واثنِ عليه، وصلِّ عليَّ ثمّ قال: أيّها النّاس، ما كنّا لنجيئكم بشي ء إلا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإنّي أنا أبوكم، ألا وإنّي مولاكم، وألا وإنّي أجيركم'. [أمالي المفيد: المجلس الثاني والأربعون، ح ٣، أمالي الطوسي ١٢٣ - ١٢٢ :١، والبحار ٢٠٤:٤٢].

و في البحار قال: في توضيح قوله عليه السلام: 'ألا وإنّي أنا أبوكم' يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما وصفه بكونه أجيراً لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله والإمام عليه السلام لمّا وجب لهما بإزاء تبليغهما رسالات ربّهما إطاعتهما ومودّتهما، فكأنّهما أجيران، كما قال اللّه تعالى: 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى'، ويحتمل أن يكون المعنى: مَن يستحقّ الأجر من اللّه بسببكم. [البحار ٢٠٥:٤٢، والآية من سورة الشورى: ٢٣].

ما جرى بينه وبين حبيب بن عمرو

في "أمالي الصدوق": عن أبي حمزة الثمالي، عن حبيب بن عمرو، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الّذي قُبض فيه، فحلّ عن جراحته، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما جرحك هذا بشي ء، وما بك من بأس، فقال لي: 'يا حَبِيبُ، أَنا وَاللَّهِ مُفارِقُكُم السَّاعَةَ'، قال: فبكيتُ عند ذلك، وبكتْ أُمّ كلثوم، وكانت قاعدة عنده، فقال لها: 'ما يُبْكِيكِ يا بُنَيَّةُ؟'، فقالت: ذكرتَ يا أبه أنّك تفارقنا الساعة فبكيتُ، فقال لها: 'يا بُنَيَّةُ، لَا تَبْكِي، فَوَاللَّهِ! لَوْ تَرَيْنَ ما يَرى أَبُوكِ ما بَكَيْتِ'، قال حبيب: فقلتُ له: وما الّذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: 'يا حَبِيبُ، أَرى مَلَائِكَةَ السَّماواتِ والأرضين وَالنَّبِيِّينَ بَعْضُهم فِي إِثْرِ بَعْضٍ وقُوفاً يَتَلَقَّونَني، وَهذا أَخِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه و آله جالساً عِنْدِي يَقُولُ: أَقْدِمْ فَإِنَّ أَمامَكَ خَيْر مِمّا أَنْتَ فِيهِ'، فما خرجت من عنده حتّى توفّى عليه السلام، الحديث. [أمالي الصدوق - المجلس الثاني والخمسون: ح ٤].

ما جرى بينه وبين ابنه الحسن

روى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن عقبة بن أبي الصهبا، قال: لمّا ضرب ابن ملجم عليّاً عليه السلام دخل عليه الحسن وهو باك، فقال له: 'ما يبكيك يا بُنيّ'، قال: 'وما لي لا أبكي وأنت في أوّل يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا'، فقال: 'يا بُنيّ، احفظ أربعاً وأربعاً، لا يضرّك ما عملت معهنّ'، قال: 'وما هنّ، يا أبه؟'،

قال: 'إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحُمق، وأوحشَ الوحشة العُجب، وأكرم الحسب الكرم "و" حسن الخُلق'.

قال الحسن: 'قلتُ: يا أبة، هذه الأربع، فأعطني الأربع الأُخر؟'، قال: 'إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة الكذّاب، فإنّه يقرّب إليك البعيد، ويبعّد عليك القريب، وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٠٤، ح ١٤٠٤].

وصيّته بعد ما جرى بينه وبين الطبيب المعالج

أخرج أبو الفرج الاصفهاني في "مقاتل الطالبيّين": بإسناده عن أبي مخنف، قال: حدّثني عطيّة بن الحرب، عن عمر بن تميم، وعمرو بن أبي بكار، أنّ عليّاً عليه السلام لمّا ضرب جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطبّباً صاحب كرسيّ يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الّذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم، وإنّ أثيراً لمّا نظر إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام، دعا بِرئة شاة حارّة، واستخرج عِرقاً منها فأدخله في الجرح، ثمّ استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنّ عدوّ اللّٰه قد وصلتْ ضربته إلى أُمّ رأسك، فدعا عليّ عليه السلام عند ذلك بصحيفة ودواة كَتَبَ وصيّته [مقاتل الطالبيّين: ٢٣، وفي شرح ابن أبي الحديد ٦:١١٩، مع اختلاف يسير].

الحديث.

أمّا وصيّته ذكرها أبو الفرج الاصفهاني في "مقاتل الطالبيّين"، وكذا الطبري في "تأريخه"، وثقة الإسلام الكليني رحمه الله في "الكافي"، و نهج البلاغة لسيّد الرضي والعلامة المجلسي في "البحار" مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها، واللفظ ممّا روى أبوالفرج في مقاتل الطالبيّين:

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أوصى بأنّه يشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحدَهُ لا شريك له، وأنّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، صلوات اللّٰه وبركاته عليه، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّٰه ربّ العالمين لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين.

أُوصيك يا حسن، وجميع وُلدي وأهل بيتي، ومَن بلغه كتابي هذا، بتقوى اللَّه ربّنا ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل اللَّه جميعاً ولا تفرّقوا [و في نهج البلاغة: 'اوصيكما و جميع ولدي و مَن بلغه كتابي بتقوى اللَّه و نظم أمركم و صلاح ذات بينكم فانّي سمعت رسول اللَّه...'].

فإنّي سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام، وأنّ المبيدة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا حول ولا قوّة إلا باللَّه العليّ العظيم، أُنظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن اللَّه عليكم الحساب.

ثمّ قال عليه السلام: 'اللَّهَ اللَّهَ فِي الْأَيْتَامِ! فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ بجفوتكم. [في البحار: 'فلا تغيّروا أفواهم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: من عال يتيماً حتّى يستغني أوجب اللَّه عزّ وجلّ بذلك الجنّة كما أوجب اللَّه لآكل مال اليتيم النّار'].

وَاللَّهَ اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ! فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فمَا زَالَ يوصينا بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ. وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الْقُرْآنِ! فَلَا يَسْبِقُكُمْ إِلى الْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الصَّلَاةِ! فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللَّهَ اللَّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا يَخلُونّ منكم مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا، وإنّه إن خلا منكم لم تنظروا. وَاللَّهَ اللَّهَ فِي صيام شهر رمضان، فإنّه جُنّة من النّار، واللَّهَ اللَّهَ في الْجِهَادِ في سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ. واللَّه اللَّه في زكاة أموالكم، فإنّها تطفئ غضب ربّكم. واللَّه اللَّه في أُمّة نبيّكم، فلا يظلمنّ بين أظهركم، واللَّه اللَّه في أصحاب "أُمّة" نبيّكم، فإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أوصى بهم، واللَّه اللَّه في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معائشكم، واللَّه اللَّه في ما ملكت أيمانكم، فإنّها كانت آخر وصيّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ قال: أُوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم'.

ثمّ قال: 'الصلاة الصلاة، لا تخافوا في اللَّه لومة لائم، فإنّه يكُفُّكُمْ من بغي عليكم وأرادكم بسوء، قولوا للنّاس حُسناً كما أمركم اللَّه، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّي الأمر عنكم [وفي تاريخ الطبري: 'فيولّى الأمر شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم'].

وتدعون فلا يُستجاب لكم، عليكم بالتواضع والتباذل والتبار، وإيّاكم والتقاطع والتفرّق والتدابر 'وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ'. [سورة المائدة: ٢].

حفظكم اللَّه من أهل بيت وحفظ فيكم نبيّه، استودعكم اللَّه خير مستودع، واقرأ عليكم سلام اللَّه ورحمته'. [مقاتل الطالبيّين: ٢٤، وتاريخ الطبري ٤:١١٣، وراجع في هذا المجال: البحار ٤٢:٢٥٠، وشرح ابن أبي الحديد ٦:١٢٠].

وفي نقل "البحار": أنّه عليه السلام بعد ما وصّى بكيفيّة تغسيله وتكفينه وغير ذلك، فقال:

'يا أبا محمّد، ويا أبا عبدالله، كأنّي بكما وقد خرجتْ عليكما من بعدي الفتن من هاهنا، فاصبرا حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين'، ثمّ قال: 'يا أبا عبدالله، أنت شهيد هذه الأُمّة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه'.

ثمّ أُغمي عليه ساعة وأفاق، وقال: 'هذا رسول الله صلى الله عليه و آله، وعمّي حمزة، وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، وكلّهم يقولون: عجّل قدومك علينا، فإنّا إليك مشتاقون'، ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم، وقال: 'أستودعكم الله جميعاً، سدّدكم الله جميعاً، حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله، وكفى بالله خليفة'، ثمّ قال: 'وعليكم السلام يا رسل ربّي'، ثمّ قال: 'لِمِثْلِ هذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ' [سورة الصافّات: ٦١].

'إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ' [سورة النحل: ١٢٨].

وعرف جبينه وهو يذكر الله كثيراً، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهّد بالشهادتين، ثمّ استقبل القبلة وغمّض عينيه ومدّ رجليه ويديه، وقال: 'أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله'، ثمّ قضى نحبه.

وكانت وفاته في ليلة الجمعة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. [البحار ٤٢:٢٩٢، وفي ليلة وفاته عليه السلام خلاف كما مرّ أوّل هذا الفصل].

قال ابن الأثير: إنّه عليه السلام بعد وصيّته لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى توفّي عليه السلام. [أعيان الشيعة١:٥٣٣].

في تغسيله و تكفينه

قال محمّد بن الحنفيّة: لمّا كانت ليلة إحدى وعشرين وأظلم الليل، وهي الليلة الثانية من الكائنة، جمع أبي أولاده وأهل بيته، وودّعهم إلى أن قال: 'أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنّي منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه، ولاحقٌ بحبيبي محمّد صلى الله عليه و آله كما وعدني، فإذا أنا متُّ يا أبا محمّد فغسّلني وكفّني وحنّطني ببقيّة حنوط جدّك رسول الله صلى الله عليه و آله، فإنّه من كافور الجنّة جاء به جرئيل إليه [وفي تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٠١، عن هارون بن معد، قال: كان عند عليّ عليه السلام مسك أوصى أن يحنّط به، وقال: 'فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه و آله'].

ثمّ ضعني على سريري، ولا يتقدّم أحدٌ منكم مقدّم السرير، واحملوا مؤخّره، واتّبعوا مقدّمه، فأيّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري، ثمّ تقدّم يا أبا محمّد، وصلّ عليَّ يا بني يا

حسن، وكبّر علَيَّ سبعاً، واعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحدٍ غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يُقيم اعوجاج الحقّ، فإذا أنت صلّيت علَيَّ يا حسن فنحِّ السرير عن موضعه، ثمّ اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً مثقوباً، وساجة منقوبة، فاضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني، فانّك لا تجدني،وإنّي لاحق بجدّك رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، واعلم يا بنيّ، ما من نبيّ يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلا ويجمع اللّٰه عزّ وجلّ بين روحيهما وجسديهما، ثمّ يفترقان، فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضع قبره، وإلى موضعه الّذي حُطّ فيه، ثمّ أشرج [شرج الحجارة: نضدّها وضمّ بعضها إلى بعض].

اللّحد باللبن، وأهلّ التراب علَيَّ، ثمّ غيّب قبري". [قال المجلسي ذيل هذا الكلام: وكان غرض مولانا عليّ عليه السلام بإخفاء قبره لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بني أميّة، فإنّهم لو علموا بموضع قبره لحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا بزيد بن علىّ بن الحسين عليهماالسلام].

ثمّ يا بُنيّ بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقة، وامُر بمن يُسيّرها بما عليها كأنّما تريد المدينة، بحيث يخفى على العامّة موضع قبري الّذي تضعني فيه، وكأنّي بكم وقد خرجت عليكم الفتن من هاهنا وهاهنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة. [البحار ٤٢:٢٩١].

في تجهيزه والصلاة عليه و دفنه خفاءً

بعد وصيّته عليه السلام بإخفاء قبره وكيفيّة تغسيله أنّه عليه السلام بقي إلى نحو ثلث الليل وتوفّي، فصرخت بناته ونساؤه وارتفعت الصيحة في القصر، فعلم أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قُبض، فأقبل الرجال والنساء يهرعون أفواجاً أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة، فارتجّت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب، وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا توفّي غسّله الحسن والحسين عليهماالسلام، ومحمّد يصبّ الماء. [أعيان الشيعة ١:٥٣٣].

قال محمّد بن الحنفيّة: ثمّ أخذنا في جهازه ليلاً، وكان الحسن عليه السلام يغسّله، والحسين عليه السلام يصبّ الماء عليه، وكان عليه السلام لا يحتاج إلى مَن يقلّبه، بل كان يتقلّب كما يُريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثمّ نادى الحسن عليه السلام بأُخته زينب وأُمّ كلثوم، وقال: "يا أُختاه، هلمّي بحنوط جدّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله"، فبادرت زينب مسرعة حتّى أتته به. قال

الراوي: فلمّا فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدّة رائحة ذلك الطيب، ثمّ لفّوه بخمسة أثواب كما أمر عليه السلام، ثمّ وضعوه على السرير، وتقدّم الحسن والحسين عليهماالسلام إلى السرير من مؤخّره، وإذا مقدّمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حاملاه من مقدّمه جبرئيل وميكائيل، فما مرّ بشي ء على وجه الأرض إلا انحنى له ساجداً، وخرج السرير من باب كندة، فحملا مؤخّره وسارا يتّبعان مقدّمه.

قال ابن الحنفيّة رضى الله عنه: واللّٰه لقد نظرتُ إلى السرير وإنّه ليمرّ بالحيطان والنخل فتنحني له خشوعاً، ومضى مستقيماً إلى النجف إلى موضع قبره الآن.

قال: وضجّت الكوفة بالبكاء والنحيب، وخرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات، فَمنعهنّ الحسن عليه السلام ونهاهنّ عن البكاء والعويل، وردّهنّ إلى أماكنهنّ، والحسين عليه السلام يقول: "لا حول ولا قوّة إلا باللّٰه العليّ العظيم، إنّا للّٰه وإنّا إليه راجعون. يا أباه، وا انقطاع ظهراه، من أجلك تعلّمت البكاء، إلى اللّٰه المشتكى". [البحار ٤٢:٢٩٤].

قال: فلمّا انتهينا إلى قبره وإذا مقدّم السرير قد وضع، فوضع الحسن عليه السلام مؤخّره، ثمّ قام الحسن عليه السلام وصلّى عليه والجماعة خلفه، فكبّر سبعاً كما أمره أبوه عليه السلام، ثمّ زحزحنا سريره وكشفنا التراب، وإذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها: "هذا ما ادّخره له جدّه نوح النبيّ للعبد الصالح الطاهر المطهّر"، فلمّا أرادوا نزوله سمعوا هاتفاً يقول: "أنزلوه إلى التربة الطاهرة، فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدهش النّاس عند ذلك وتحيّروا، وألحد أمير المؤمنين عليه السلام قبل طلوع الفجر. [البحار ٤٢:٢٩٥].

وروى المفيد هذا الحديث بسنده عن حِبان بن عليّ العنزي، قال حدّثني مولىً لعليّ بن أبي طالب، قال: لمّا حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين عليهماالسلام: "إذا أنا متُّ فاحملاني على سريري، ثمّ أخرجاني، واحملا مؤخّر السرير، فإنّكما تكفيان مُقدّمه، ثمّ ائتيا بي الغريّين [الغريّيان: بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة، بناهما المنذر بن امرؤ القيس].

فإنّكما ستريان صخرةً بيضاءً تلمعُ نوراً، فاحتفروا فيها، فإنّكما تجدان فيها ساجة، فأدفناني فيها".

قال: فلمّا مات أخرجناه، وجعلنا نحمل مؤخّر السرير ونُكفى مقدّمه، وجعلنا نسمع دَويّاً وحَفيفاً حتّى أتينا الغَريّين، فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرنا فإذا ساجةٌ مكتوبٌ عليها: "ممّا ادّخر نوحٌ لعليّ بن أبي طالب"، فدفنّاه فيها وانصرفنا، ونحن مسرورون بإكرام اللّٰه لأمير المؤمنين عليه السلام، فحلقنا قومٌ من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه، فأخبرناهم بما جرى وباكرام اللّٰه عزّ وجلّ أمير المؤمنين عليه السلام،

فقالوا: نُحِبّ أن نعاين من أمره ما عاينتم؟ فقلنا لهم: إنّ الموضع قد عفي أثره بوصيّةٍ منه عليه السلام، فمضوا وعادوا إلينا، فقالوا: إنّهم احتفروا فلم يجدوا شيئاً. [الإرشاد ١:٢٣].

وعنه أيضاً: عن محمّد بن عمارة، قال: حدّثني أبي عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهماالسلام: أين دُفن أمير المؤمنين؟ قال: 'دُفِنَ بناحية الغريّين، ودُفِنَ قبل طلوع الفجر، ودَخَل قبره الحسن والحسين ومحمّد بنو عليّ وعبدالله بن جعفر عليهم السلام'. [الإرشاد ١:٢٥].

قول صعصعة بن صوحان على قبره

وفي "البحار": لمّا أُلحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبدي رضى الله عنه على القبر، ووضع إحدى يديه على فؤاده والأُخرى قد أخذ بها التراب ويضرب به رأسه، ثمّ قال: بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنين، ثمّ قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرتَ برأيك، وربحتَ تجارتك، وقدمتَ على خالقك، فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتك ملائكته، واستقررتَ في جوار المصطفى، فأكرمك الله بِجواره، ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفى، وشربتَ بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمُنّ علينا باقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلتَ ما لم ينله أحد، وأدركتَ ما لم يُدركه أحد، وجاهدتَ في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، وقمتَ بدين الله حقّ القيام. حتّى أقمت السنن، وأبرتَ [أبره: أي أصلحه].

الفتن، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام، بك اشتدّ ظهر المؤمنين، واتّضحت أعلام السُّبل، وأُقيمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقتَ إلى إجابة النبيّ صلى الله عليه و آله مقدّماً مؤثراً، وسارعتَ إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميتَ سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك كلّ جبّار عنيد، وذلّ بك كلّ ذي بأس شديد، وهَدّم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين، كنتَ أقرب النّاس من رسول الله صلى الله عليه و آله قُرباً، وأوّلهم سلماً، وأكثرهم علماً وفهماً، فهنيئاً لك يا أبا الحسن، لقد شرّف الله مقامك، وكنتَ أقرب النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله نسباً، وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدّهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرمنا الله أجرك، ولا أذلّنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح للخير ومغالق للشرّ، وأنّ يومك هذا مفتاح كلّ شرّ ومغلاق كلّ خير، ولو أنّ النّاس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة.

ثمّ بكى بكاءً شديداً وأبكى كلّ من كان معه، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمّد وجعفر والعبّاس ويحيى وعون وعبدالله عليهم السلام، فعزّوهم في أبيهم "صلوات الله عليه"، وانصرف النّاس، ورجع أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وشيعتهم إلى الكوفة ولم يشعر بهم أحد من النّاس، فلمّا طلع الصباح وبزغت الشمس أخرجوا تابوتاً من دار أمير المؤمنين عليه السلام، وأتوا به إلى المصلّى بظاهر الكوفة، ثمّ تقدّم الحسن عليه السلام وصلّى عليه. [البحار ٤٢:٢٩٥].

اشعار سودة في رثاء مولاها عليّ

وقالت سودة بنت عمارة في رثاء مولاها أمير المؤمنين عليه السلام عند معاوية وهي تبكي عليّاً عليه السلام:

صلّى الإله على جسم تضمّنه*** قبرٌ فأصبح فيه الجود "العدل" مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً*** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٤٥، ح ١٠٥٣].

وممّن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلي:

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ*** فَلَا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامِتِينا

أَفِي شَهْرِ الصِّيامِ فَجَعْتُمُونا*** بِخَيْرِ النَّاسِ طُرّاً أَجْمَعِينا؟

قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطايا*** وذَلّلها وَمَن رَكِبَ السَّفِينا

وَمَنْ لَبِسَ النِّعالَ وَمَنْ حَذاها*** وَمَنْ قَرَأَ الْمَثانِيَ وَالمُبِينا

إِذا اسْتَقْبَلْتَ وَجْهَ أَبي حُسَيْنٍ*** رَأَيْت النُّور فَوْقَ النَاظِرِينا

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ حَيْثُ كانت*** بِأَنَّكَ خَيْرُها حَسَباً وَدِيناً

[مروج الذهب ٢:٤٢٨، وروى في الكامل في التاريخ ٤:٤٣٨، والطبري في تاريخه ٤:١١٦، نحوه].

في الآية الّتي ظهرت صباح شهادة عليّ

في "فرائد السمطين": بسنده عن ابن شهاب، قال: قدمتُ دمشق وأنا أُريد الغزو، فأتيت عبدالملك بن مروان لأُسلِّم عليه، قال: فوجدتُه في قُبّة على عرشٍ يقرب القائم - أو يفوق القائم - والنّاس تحته سماطين، فسلّمتُ ثمّ جلستُ، فقال لي: يابن شهاب، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

فقلت: نعم، فقال: هلمّ، فقمتُ من وراء النّاس حتّى أتيتُ خلف القُبّة فحوّل إليّ وجهه فأحنى [في بعض النسخ: 'فانحنى'].

عَلَيَّ، فقال: ما كان؟ فقلتُ: لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم. فقال: لم يبق أحد يعلم هذا غيري وغيرك ولا يسمعنّ منك أحد. [فرائد السمطين ١:٣٨٩، ح ٣٢٥].

وروى في فضائل الخمسة عن مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن شهاب مثله، إلا أنّه زاد في ذيله: 'فما حدّثتُ به حتّى توفّي'. [فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣:٩٨، تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣١٦، ح ١٤٢٤].

وفي "فرائد السمطين" أيضاً بسنده عن الزهري: أنّ أسماء الأنصاريّة قالت: ما رفع حجر بإيليا - يعني حين قتل عليّ بن أبي طالب - إلا وجد تحته دم عبيط. [فرائد السمطين ١:٣٨٩، ح ٣٣٦].

وفي "البحار": عن أبي حمزة، عن الصادق عليه السلام، وقد روى أيضاً عن سعيد بن المسيّب: أنّه لمّا قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط. [البحار ٤٢:٣٠٨].

وفيه أيضاً عن ابن عبّاس: قال قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً، وإنّها لتبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً، وأنّ السماء والأرض ليبكيان على الرسول أربعين سنة، وأنّ السماء والأرض ليبكيان عليك يا عليّ إذا قتلت أربعين سنة'. قال ابن عبّاس: لقد قُتل أمير المؤمنين عليه السلام على الأرض بالكوفة، فأمطرت السماء ثلاثة أيّام دماً. [البحار ٤٢:٣٠٨].

في كيفيّة قتل ابن ملجم لعنه اللّٰه

في "البحار" قال الراوي: فلمّا كان الغداة اجتمعوا لأجل قتل الملعون.. قال الراوي: ثمّ إنّه لمّا رجع أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه إلى الكوفة واجتمعوا لقتل اللعين عدوّ اللّٰه ابن ملجم، فقال عبداللّٰه بن جعفر: اقطعوا يديه ورجليه ولسانه واقتلوه بعد ذلك، وقال ابن الحنفيّة رحمه الله: اجعلوه غرضاً للنشاب وأحرقوه بالنار، وقال آخر: اصلبوه حيّاً حتّى يموت.

فقال الحسن عليه السلام: 'أنا ممتثل فيه ما أمرني به أمير المؤمنين عليه السلام أضربه ضربة بالسيف حتّى يموت فيها، وأُحرقه بالنّار بعد ذلك'.

قال: فأمر الحسن عليه السلام أن يأتوه به، فجاءوا به مكتوفاً حتّى أدخلوه إلى الموضع الّذي ضرب فيه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام والنّاس يلعنونه ويوبّخونه، وهو ساكت لا يتكلّم، فقال الحسن عليه السلام: "يا عدوّ اللّه، قتلت أمير المؤمنين عليه السلام وإمام المسلمين وأعظمت الفساد في الدين"، فقال لهما: يا حسن، يا حسين، عليكما السلام ما تريدان تصنعان بي؟ قالا له: "نُريد قتلك كما قتلتَ سيّدنا ومولانا".

فقال لهما: اصنعا ما شئتما أن تصنعا، ولا تعنّفا من استزلّه الشيطان فصدّه عن السبيل، ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر، ونهيتها فلم تنته، فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد، ثمّ بكى، فقال له: "يا ويلك، ما هذه الرقّة؟ أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيئتك؟".

فقال ابن ملجم لعنه اللّه: "اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" [سورة المجادلة: ١٩].

ولقد انقضى التوبيخ والمعايرة وإنّما قتلتُ أباك وحصلتُ بين يديك، فاصنع ما شئت، وخذ بحقّك منّي كيف شئت؟

ثمّ برك على ركبتيه، وقال: يابن رسول اللّه، الحمد للّه الّذي أجرى قتلي على يديك، فَرَقَّ له الحسن عليه السلام لأنّ قلبه كان رحيماً، فقام الحسن عليه السلام وأخذ السيف بيده وجرّده من غمده، فهزّ به [فهزّ به: أي حرّكه].

حتّى لاح الموت في حدّه، ثمّ ضربه ضربة أدار بها عنقه، فاشتدّ زحام النّاس عليه، وعلت أصواتهم، فلم يتمكّن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبراه، فانقلب عدوّ اللّه على قفاه يخور في دمه، إلى أن قال: وعجّل اللّه بروحه إلى النّار وبئس القرار، ثمّ جمعوا جُثّته وأخرجوه من المسجد، وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنّار. [البحار ٤٢:٢٩٦].

وقيل: طرحوه في حفرة وطمّوه بالتراب وهو يعوي كعويّ الكلاب في حفرته إلى يوم القيامة. [المصدر المتقدّم: ٢٩٨].

و روى الطبري و ابن اثير في تاريخهما: فلمّا قبض أمير المؤمنين عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم فقال للحسن: هل لك فيَّ خصلة؟ إنّي واللّه ما أعطيتُ اللّه عهداً إلا وفيتُ به، إنّي كنتُ قد أعطيتُ اللّه عهداً عند الحطيم أن أقتل عليّاً ومعاوية، أو أموت دونهما، فإن شئت خلّيتَ بيني وبينه، ولك اللّه علَيَّ إن لم أقتله أو قتلته ثمّ بقيتُ أن آتيك حتّى أضع يدي في يدك، فقال له الحسن: "أما واللّه حتّى تعاين النّار، فلا"، ثمّ قدّمه

فقتله، ثمّ أخذه النّاس فأدرجوه في بواريّ، ثمّ أحرقوه بالنّار. [تاريخ الطبري ٤:١١٤، والكامل في التاريخ ٢:٤٣٦].

في كيفيّة قتل قطام ووردان وشبيب الّذين ساعدوا ابن ملجم في جريمته

فلمّا فرغ النّاس من قتل ابن ملجم لعنه اللّه تعالى، أقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطّعوها بالسيف إرباً إرباً، ونهبوا دارها، ثمّ أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة، وأحرقوها بالنّار، وعجّل اللّه بروحها إلى النّار وغضب الجبّار. [البحار ٤٢:٢٩٨].

وأمّا الرجلان اللذان كانا مع ابن ملجم في المسجد الجامع، فإنّ وردان قد هرب ودخل بين النّاس فنجا بنفسه، وأمّا شبيب بن بجرة [في نسخة: 'بحيرة'].

فأخطأه، فوقعت ضربته بعضادة الباب وهرب، فأخذه رجل فصرعه، وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله به، فرأى النّاس يقصدون نحوه، فخشي أن يعجّلوا عليه ولم يسمعوا منه، فوثب عن صدره وخلاه، وطرح السيف من يده، ومضى شبيب هارباً حتّى دخل منزله، ودخل عليه ابن عمّ له فرآه يحلّ الحرير عن صدره، فقال له: ما هذا لعلّك قتلت أمير المؤمنين عليه السلام؟ فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، فمضى ابن عمّه واشتمل على سيفه، ثمّ دخل عليه فضربه حتّى قتله. [البحار ٤٢:٢٣٠].

خطبة ريحانة الرسول صلى الله عليه و آله الحسن بن عليّ عليه السلام بعد شهادة أبيه

قال ابن عبدالبرّ في "الاستيعاب": إنّه ثبت عن الحسن بن عليّ عليه السلام من وجوه أنّه عليه السلام قال: 'لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم - أو سبعمائة درهم - فضلت من عطائه كان يعدّها لخادم يشتريه لأهله'. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤٨].

وفي "تاريخ دمشق": عن عمرو بن حُبشيّ، قال: خطبنا الحسن بن عليّ عليه السلام بعد قتل عليّ عليه السلام فقال: "لقد فارقكم رجلٌ بالأمس ما سبقه الأوّلون بعلم، ولا أدركه الآخرون، إن كان ليبعثه الراية فلا ينصرف حتّى يفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:٣٣٠، ح ١٤٧٤].

وفيه أيضاً: عن هبيرة بن يريم روى مثله، إلا أنّه قال: 'وإنّ جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً'. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام: ٣٣١، ح ١٤٧٥].

وفي "فرائد السمطين": روى الحديث بعينه عن هبيرة بن يريم، إلا أنّه قال في ذيله: 'إلا ثمانمائة درهم في ثمن خادم'. [فرائد السمطين ١:٢٣٤، ح ١٨٢].

وروى أبو الفرج الاصهاني في "مقاتل الطالبيّين" بإسناده إلى حسن بن زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد بن الحسن، عن أبيه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، والمعنى قريب، قالوا: خطب الحسن بن عليّ بعد وفاة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فقال: "لقد قبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح اللَّه عليه، ولقد توفّي في هذه الليلة الّتي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى،وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله'، ثمّ خنقته العبرة فبكى، وبكى النّاس معه، ثمّ قال: "أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه و آله أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى اللَّه عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الّذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والّذين افترض اللَّه مودّتهم في كتابه إذ يقول: 'وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً'، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت'. [مقاتل الطالبيّين: ٣٢، وقد ذكرنا الحديث بتمامه في فصل: "عليّ عليه السلام وآية المودّة" عنه وعن أبي الطفيل].

وفي "أمالي الصدوق" روى عن حبيب بن عمرو - في حديث - قال: فلمّا كان من الغد - بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام - وأصبح الحسن عليه السلام قام خطيباً على المنبر، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'أيّها النّاس، في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفي هذه الليلة قُتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين عليه السلام، واللَّه لا يسبق أبي أحدٌ كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة ولا من يكون بعده، وإن كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله'. [أمالي الصدوق - المجلس الثاني والخمسون: ح ٤].

في فضل زيارته

في المناقب لابن شهرآشوب: عن النبيّ صلى الله عليه و آله: 'مَن زار عليّاً بعد وفاته فله الجنّة'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣١٧، وكذا في مقنعة المفيد: ٤٦٢].

وفيه عن الصادق عليه السلام: 'مَن ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر اللَّه إليه، ألا تزورون من تزوره الملائكة والنبيّون'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣١٧، وكذا في مقنعة المفيد: ٤٦٢].

وزاد المفيد في "المقنعة": 'إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من كلّ الأئمّة، وله مثل ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا'. [المقنعة: ٤٦٢].

وفيه أيضاً عنه عليه السلام: 'إنّ أبواب السماء لتفتح عند دعاء الزائر لأمير المؤمنين عليه السلام، فلا تكن عن الخير نوّاماً'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣١٧، وكذا في المقنعة: ٤٢٢].

قال ابن مدلّل:

زُر بالغريّ العالم الربّاني*** عَلَم الهُدى ودعائم الإيمان

وقل: السلام عليك، يا خير الورى*** يا أيّها النبأ العظيم الشأن

يا مَن على الأعراف يعرف فضله*** يا قاسم الجنّات والنيران

نار تكون قسيمها يا عدّتي*** أنا آمن منها على جثماني

وأنا مضيفك والجنان لي القرى*** إذ أنتَ مورد الضيفان

[مناقب ابن شهرآشوب ٣:٣١٧].

و كتب على مشهده عليه السلام:

هذا ولىّ اللَّه في أرضه*** في جنّة الخلد و آلائه

لا يقبل اللَّه له زائراً*** لم يبر من سائر أعدائه

[مناقب ابن شهرآشوب ٣:٣١٧].

مختصر زيارته

اذا أردت زيارة مشهد الامام اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في النجف الأشرف فعليك بآداب كما قال المفيد في المقنعة: تأتي مشهده ـ وأنت على غسل ـ فتقف على القبر، وتستقبله بوجهك: تجعل القبلة بين كتفيك كما فعلت في زيارة النبيّ صلى الله عليه و آله، وتقول: "السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه، السلامُ عليك يا وليّ اللَّه، السلامُ عليك يا صفوة اللَّه، السلام عليك يا حبيب اللَّه، السلام عليك يا حجّة اللَّه،

السلام عليك يا سيّد الوصيّين، السلام عليك يا خليفة رسول ربّ العالمين، أشهد أنّك قد بلّغت عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ما حمّلك، وحفظت ما استودعك، وحلّلت حلال اللّٰه، وحرّمت حرام اللّٰه، وتلوت كتاب اللّٰه، وصبرت على الأذى في جنب اللّٰه محتسباً حتّى أتاك اليقين، لعن اللّٰه من خالفك، ولعن اللّٰهُ من قتلك، ولعن اللّٰه من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى اللّٰه منهم براء.

ثمّ انكب على القبر وقبّله، وضع خدّك الأيمن عليه، ثمّ الأيسر، وتحوّل إلى عند الرأس فقف عليه، وقل: السلام عليك يا وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، أشهدُ لك يا وليّ اللّٰه بالبلاغ والأداء، أتيتك بأبي أنت وأُمّي زائراً عارفاً بحقّك، مستبصراً بشأنك موالياً لأوليائك، معادياً لأعدائك، متقرّباً إلى اللّٰه بزيارتك في خلاص نفسي، وفكاك رقبتي من النّار، وقضاء حوائجي للآخرة والدنيا، فاشفع لي عند ربّك، صلوات اللّٰه عليك ورحمة اللّٰه وبركاته.

ثمّ قبّل القبر وضع خدّيك عليه، وارفع رأسك، وصلّ ستّ ركعات، وسلّم في كلّ اثنتين منها، و ادع بما أحببت إن شاء اللّٰه، ثمّ تحوّل إلى عند الرجلين، وقل: السلام عليك يا مولاي ورحمة اللّٰه وبركاته.

وادع هناك بما أحببت إن شاء اللّٰه. [المقنعة: ٤٦٢].

سلام اللّٰه عليه وعلى أخيه وابن عمّه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعلى زوجته فاطمة الزهراء رحمه الله وعلى أولاده عليهم السلام وأصحابه الكرام، اللّهمّ اجعلنا من مواليه ومحبّيه وناصريه وشيعته المخلصين له، وارزقنا زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وارحمنا برحمتك الواسعة بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولده عليهم السلام يا أرحم الراحمين، آمين يا ربّ العالمين.

تكملة

اولاده

مدخل

جُبِل الإنسان على أن يفتخر بأنّ له ولداً، ويفرح بذلك ويأنس، وإذا ما كان هؤلاء الأولاد من أفاضل النّاس، فإنّ لهذا الأمر فخراً حقيقيّاً ومعنوياً، وقد أيّد الإسلام ذلك، كما أنّ عدم الأولاد يكون سبباً للاضطراب والقلق، ولذلك لمّا توفّي إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه و آله هجاه عمرو بن العاص وسمّاه الأبتر، فنزلت: "إِنّا

أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ' والكوثر مبالغة في الكثرة، يعني كثرة أولاده. [اقتباس من المناقب لابن شهرآشوب ١٩٥:٢].

إنّ هذه بشارة بشّر اللَّه بها نبيّه بأنّه يهب له أولاداً كثيرين، وذرّيّة النبيّ صلى الله عليه و آله جميعاً من نسل عليّ وفاطمة عليهماالسلام خاصّة، وأنّ أولادهما حجج اللَّه في أرضه، وأنّ حجّة اللَّه إلى يوم القيامة حتّى قائم آل محمّد صلى الله عليه و آله من نسل عليّ وفاطمة، وهذه منقبة عظيمة اختصّ بها عليّ عليه السلام أن تكون ذريّة النبيّ والأئمّة حجج اللَّه من صلبه.

لقد كان لعليّ عليه السلام أولاد كثيرون سوى الحسنين اللذين كانا ريحانتي رسول اللَّه، وكانا إمامين، ونحن نشير إجمالاً إلى أسماء أولاد عليّ عليه السلام.

ذكر أولاده

قال المفيد رحمه الله: فأولاد أمير المؤمنين عليه السلام ستّة وعشرون [كذا، والظاهر "٢٧" ومع المحسن السقط عليه السلام يكونون "٢٨"].

ولداً ذكراً وأنثى.

٤ - ١- الحسن والحسين عليهما السلام وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكنّاة بأمّ كلثوم، أمّهم فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين بنت سيّد المرسلين وخاتم النبيّين محمّد النبيّ صلى الله عليه و آله.

٥ - ومحمّد المكنّى بأبي القاسم، أمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة "المعروف بمحمّد حنفية".

٧ - ٦- وعمر ورقيّة كانا توأمين، أمّهما أمّ حبيب بنت ربيعة.

١١- ٨- والعبّاس وجعفر وعثمان وعبداللَّه الشهداء مع أخيهم الحسين عليه السلام بطفّ كربلاء، أمّهم أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن دارم.

١٣- ١٢- ومحمّد الأصغر المكنّى بأبي بكر وعبيداللَّه، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطفّ، أمّهما ليلى بنت مسعود الدارميّة.

١٤- ويحيى، أمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة.

١٦- ١٥- وأمّ الحسن ورملة، أمّهما أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

٢٧- ١٧- ونفيسة وزينب الصغرى، ورقيّة الصغرى وأمّ هاني وأمّ الكرام وجُمانة المكنّاة أمّ جعفر، وأُمامه وأمّ سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة لأمّهات شتّى.

ثمّ قال: وفي الشيعة من يذكر أنّ فاطمة عليهاالسلام أسقطت بعد النبيّ صلى الله عليه و آله ذكراً كان سمّاه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو حمل: محسناً، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون ولداً. [الإرشاد: ٣٤٢، الباب ٤].

وقال ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة": واعلم أنّ النّاس قد اختلفوا في عدد أولاد على عليه السلام ذكوراً وإناثاً، فمنهم من أكثر، ومنهم من اختصر، والّذي نقله صاحب كتاب الصفوة أنّ أولاده الذكور أربعة عشر ذكراً، وأولاده الإناث تسعة عشر أُنثى، ثمّ ذكر تفصيل أسمائهم. [الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٤٢].

وقال الحافظ ابن الجوزي الحنفي: اتّفق علماء السير على أنّه كان له عليه السلام من الولد ثلاثة وثلاثون، منهم أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة أُنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأُمّ كلثوم الكبرى، أُمّهم فاطمة بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وعلى هذا عامّة المتأخّرين، وذكر الزبير بن بكار ولداً آخر من فاطمة بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله اسمه محسن مات طفلاً، وفاطمة عليهاالسلام أوّل زوجاته لم يتزوّج عليها حتّى توفّيت عليهاالسلام، إلى آخر كلامه. [تذكرة الخواصّ: ٥٧].

وفي "الكامل" لابن الأثير: فجميع ولده أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة امرأة، وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمّد بن الحنفيّة، والعبّاس بن الكلابيّة، وعمر [أُمّه: أُمّ حبيب بنت ربيعة التغلبيّة].

ابن التغلبيّة. [الكامل في التاريخ ٤٤٠ - ٤٤١ :٢].

وفيه أيضاً، قال: وقد ذكر أنّه كان له من فاطمة ابن آخر يقال له: محسن، وأنّه توفّي صغيراً. [الكامل في التاريخ ٤٤٠ - ٤٤١ :٢].

الصفوة من أصحابه الكرام

كلمة في سيرة أصحابه

لقد كانت سيرة جُلّ أصحابه عليه السلام إن لم يكونوا كلّهم مع كثرتهم يُحبّون عليّاً عليه السلام ويذكرونه بخير وثناء، حتّى إذا حضروا بين يدي معاوية أو غيره من أعدائه جبراً أو اختياراً، فإنّهم لم ينسوا عليّاً عليه السلام وتراهم يذكرونه عليه السلام بكلّ خير وفضيلة وتقوى وورع، وسنذكر هنا بعضاً من الّذين وفدوا على معاوية، وما كان منهم سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، فإنّ مواقفهم تدلّ على جلالته عليه السلام

عندهم وعظمته لديهم، ولا نرى مثلهم في أصحاب أحدٍ إلا نادراً، فإنّهم تهيّئوا للشهادة والموت لأجل ذكر فضائل عليّ عليه السلام ولم يحل الموت دون بيان مناقبه عليه السلام.

وحبّهم "رضوان اللَّه عليهم" عليّاً عليه السلام لم يكن لزخارف الدنيا ولمقامه وسلطنته، بل كان يحبّونه لعظمة شأنه عليه السلام، وأنّه أوْلى النّاس بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولمناقبه وفضائله الكثيرة، ولذا نرى في كلمات بعض أصحابه ما يُعجب الإنسان من شدّة حُبّهم له، وإيمانهم به، اللّهمّ اجعلنا من محبّيه صلوات اللَّه وسلامه عليه، إنّه هو الإسلام الأصيل والصراط المستقيم، كما أشار الإمام عليه السلام في الحديث التالي.

في "الاختصاص" للشيخ المفيد بسنده عن أبي عبداللَّه البرقي عن أبيه، رفعه، قال: قال عمرو بن الحمق الخزاعي لأمير المؤمنين عليه السلام: واللَّه ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيه، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري إلا لأنّك ابن عمّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأوْلى النّاس بالنّاس، وزوج فاطمة سيّدة نساء العالمين عليهاالسلام، وأبو الذرّيّة الّتي بقيت لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار، واللَّه لو كلفّتني نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي [الطوامي: الممتلي، طمي البحر إذا امتلأ ماء].

أبداً، حتّى يأتي علَيَّ يومي وفي يدي سيفي أضرب به [في نسخة: 'أهزّ به'].

عدوّك، وأُقوّي به وليّك، ويعلو به اللَّه كعبك [الكعب: الشرف والمجد].

ويفلج [الفلج: الفوز والظفر].

به حجّتك، ما ظننت أنّي أدّيت من حقّك كلّ الحقّ الّذي يجب لك علَيَّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "اللّهمّ نوِّر قلبه باليقين، واهده إلى الصراط المستقيم، ليت في شيعتي مائة مثلك'. [الاختصاص: ١٤، ورواه نصر بن مزاحم في كتاب صفّين: ٥٦، من الطبعة الحجريّة بأدنى تفاوت في اللفظ].

في "أمالي الصدوق" بالإسناد عن الريّان بن الصلت، عن الرضا عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهم السلام، قال: 'رأى أمير المؤمنين رجلاً من شيعته بعد عهد طويل، وقد أثّر السنّ فيه، وكان يتجلّد في مشيته، فقال: كبر سنّك يا رجل؟ قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، فقال: إنّك لتتجلّد؟ قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، فقال: أجد فيك بقيّة؟ قال: هي لك يا أمير المؤمنين'. [أمالي الصدوق - المجلس الثالث والثلاثون: ح ٦، والبحار ٤٢:١٨٦].

ضرار يصف عليّاًعند معاوية

من أخبث مكائد معاوية بعد تسلّطه على الكوفة وسيطرته على أصحاب أمير المؤمنين أن يجلبهم إلى الشام بشتّى الوسائل من دعوة وُدِّيَّة، أو هربٍ من ظلم عمّاله، أو تهديد، أو غير ذلك من الوسائل، ثمّ يحضرهم في محفله الغاصّ بالرجال، يسألهم عن وصف عليّ عليه السلام حتّى يذكروا له عيباً بحضرة النّاس، ويتّهموه فيستفيد من كلامهم لتأييد سياسته، وممّن وقع في حبالته ضرار بن ضمرة، وكان من خواصّ عليّ عليه السلام ومن أهل الزهد والعبادة، فأمره بوصف عليّ عليه السلام، وقد وصفه ضرار بهذا الوصف البالغ في الخطورة من نواحٍ شتّى، حيث قال على ما روى السيّد الرضي في "النهج": فأشهدُ لقد رأيتهُ في بعض مواقفهِ وَقَد أرخى الليل سُدُوله [السُّدل - جمع أسدال -: الستر. يقال: أرخى الليل سدوله، أي أرسل أستار ظلمته] وهو قائم في محرابه، قابضٌ على لحيته، يتململ [التململ: عدم الاستقرار من المرض، كأنّه على ملّة، وهي الرماد الحارّ] تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: 'يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لَا حَانَ حِينُكِ! [لا حان حينك: أي لا حضر وقتك] هَيْهَاتَ! غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ. آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ'. [نهج البلاغة - قصار الحكم: ٧٧].

وعن ابن عبدالبرّ المالكي في "الاستيعاب": بسنده عن العكلي، عن الحرمازي، عن رجل من همدان، قال: قال معاوية لضرار: يا ضرار صف لي عليّاً؟ قال: إعفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لتصفنّه. قال: أما إذ لا بدّ من وصفه، فكان واللّه بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطقُ الحِكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يُعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يُجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن واللّه مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبةً له، يُعظّم أهل الدين، ويُقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله، وأشهدُ لقد رأيتهُ في بعض مواقفه وقد أرخى سُدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتمَلمل تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقولُ: 'يا دُنيا غرّي غيري، ألي تعرّضتِ، أم إليَّ تشوّقتِ، هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعمُركِ قصير، وخطرِك حقير، آه من قلّة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق'.

فبكى معاوية وقال: رحم اللّه - أبا الحسن - كان واللّه كذلك، فكيف حزنك عليه، يا ضرار؟ قال: حزن مَن ذُبح وَلدُها في حجرها. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٤٣، ونقله ابن أبي الحديد في شرحه ١٨:٢٢٤. وروى

قصّة ضرار كثير من العامّة والخاصّة منهم ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة: ١٢٩"، والصدوق في "أماليه: ٩١، ح ٢"، وابن شهرآشوب في "المناقب ٢:١٣"، والمجلسي في "البحار ٤١:١٤"].

الطرمّاح بن عديّ الطائي عند معاوية وله لسان طلق

الطرمّاح هو أخو حجر بن عديّ، كان من كبار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان رجلاً مفوّهاً طوالاً، ورسوله إلى معاوية، وروى المفيد في "الاختصاص": كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام: بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، أمّا بعد يا عليّ لأضربنّك بشهاب قاطع لا يدكنه الريح [في بعض النسخ: "لا يذكيه الريح"].

ولا يطفئه الماء إذا اهتزّ وقع، وإذا وقع نقب، والسلام.

فلمّا قرأ عليّ عليه السلام كتابه دعا بداوة وقرطاس ثمّ كتب: بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، أمّا بعد يا معاوية فقد كذبتَ، أنا عليّ بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين، قاتل جدّك وعمّك وخالك، وأنا الّذي أفنيتُ قومك في يوم بدر ويوم الفتح و يوم أُحد، وذلك السيف بيدي، تحمله ساعدي بجرأة قلبي كما خلّفه النبيّ صلى الله عليه و آله بكفّ الوصيّ، لم أستبدل باللّٰه ربّاً وبمحمّد صلى الله عليه و آله نبيّاً وبالسيف بدلاً، والسلام على مَن اتّبع الهدى'.

ثمّ طوى الكتاب ودعا الطرماح بن عديّ الطائي، فقال له: 'خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية وردّ جوابه'، فأخذ الطرماح الكتاب، ودعا بعمامة فلبسها فوق قلنسوته، ثمّ ركب جملاً بازلاً [بزل البعير: فطرنا به أي انشقّ، فهو بازل ذكراً كان أو أُنثى، وذلك في السنة التاسعة، وربّما بزل في السنّة الثامنة].

فتيقاً [جمل فتيق: إذا انفتق سمناً، وفي بعض النسخ: فنيقاً - بالنون - والفنيق: الفحل المكرّم].

مشرفاً عالياً في الهواء، فسار حتّى نزل مدينة دمشق، فسأل عن قوّاد معاوية، فقيل له: مَن تُريد منهم؟ فقال: أُريد جَروَلاً [الجرول - كجعفر -: الحجارة].

وجهضماً [الجهضم: الضخم الهامة، المستدير الوجه، والرحب الجنبين، الواسع الصدر].

وصلادة [صلد يصلد - كشرف يشرف -: بخل، وصلد: أي صلب، ورجل صلد: أي بخيل].

وقلاوة، وسوادة وصاعقة [ولعلّه أراد بتلك الأسماء خواصّ معاوية أو خدمه، ويكون ذلك نبزاً واستهزاءً بهم، أو الجرول صفة أبي المنايا، والجهضم صفة أبي الحتوف،وهلمّ جرّاً].

أبا المنايا، وأبا الحتوف، وأبا الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وشمر بن ذي الجوشن، والهدى بن محمّد بن الأشعث الكندي؟

فقيل: إنّهم يجتمعون عند باب الخضراء، فنزل وعقل بعيره وتركهم حتّى اجتمعوا فركب إليهم، فلمّا بصروا به قاموا إليه يهزؤون به، فقال واحد منهم، يا أعرابي، أعندك خبرٌ من السماء؟ قال: نعم، جبرئيل في السماء، وملك الموت في الهواء، وعليّ في القضاء. فقالوا له: يا أعرابي، من أين أقبلتَ؟ قال: من عند التقيّ النقيّ إلى المنافق الرديّ، فقالوا: يا أعرابي، فما تنزل إلى الأرض حتّى نشاورك؟ قال: واللّه ما في مشاورتكم بركة، ولا مثلي يشاور أمثالكم. قالوا: يا أعرابي فإنّا نكتب إلى يزيد بخبرك - وكان يزيد يومئذٍ وليُّ عهدهم - فكتبوا إليه: أمّا بعد يا يزيد، فقد قدم علينا من عند عليّ بن أبي طالب أعرابي له لسان يقول فيما يملّ، ويكثر فما يكلّ، والسلام.

فلمّا قرأ يزيد الكتاب، أمر أن يهوّل عليه، وأن يقام له سماطان بالباب بأيديهم أعمدة الحديد، فلمّا توسّطهم الطرماح، قال: مَن هؤلاء كأنّهم زبانية مالك، في ضيق المسالك، عند تلك الهوالك؟

قالوا: أُسكت هؤلاء أعدّوا ليزيد، فلم يلبث أن خرج يزيد، فلمّا نظر إليه، قال: السلام عليك يا أعرابي، قال: اللّه السلام المؤمن المهيمن، وعلى ولد أمير المؤمنين. قال: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام. قال: سلامه معي من الكوفة. قال: إنّه يعرض عليك الحوائج، قال: أمّا أوّل حاجتي إليه فنزع روحه بين جنبيه، وأن يقوم من مجلسه حتّى يجلس فيه من هو أحقّ به وأوْلى منه. قال له: يا أعرابي، فإنّا ندخل عليه فما فيك حيلة، قال: لذلك قدمت، فاستأذن له على أبيه، فلمّا دخل على معاوية، نظر إلى معاوية والسرير، قال: السلام عليك أيّها الملك. قال: وما منعك أن تقول: يا أمير المؤمنين؟ قال: نحن المؤمنون فمن أمرك علينا؟ فقال: ناولني كتابك، قال: إنّي لأكره أن أطأ بساطك. قال: فناوله وزيري. قال: خان الوزير وظلم الأمير. قال: فناوله غلامي. قال: غلام سوء اشتراه مولاه من غير حلّ، واستخدمه في غير طاعة اللّه. قال: فما الحيلة يا أعرابي؟ قال: ما يحتال مؤمن مثلي لمنافق مثلك، قُم صاغراً فخذه، فقام معاوية صاغراً، فتناوله ثمّ فضّه، وقرأ ثمّ قال: يا أعرابي كيف خلّفتَ عليّاً؟ قال: خلّفته واللّه جلداً، حريّاً، ضابطاً، كريماً، شجاعاً، جواداً، لم يلق جيشاً إلا هزمه، ولا قرناً إلا أرداه، ولا قصراً إلا هدمه. قال: فكيف خلّفتَ الحسن والحسين؟ قال: خلّفتهما عليهماالسلام صحيحين، فصيحين، كريمين، شجاعين، جوادين، شابّين، طريّين مصلحين للدنيا والآخرة. قال: فكيف خلّفت أصحاب عليّ؟ قال: خلّفتهم وعليّ عليه السلام بينهم كالبدر وهم كالنجوم، إن أمرهم ابتدروا، وإن نهاهم ارتدعوا.

فقال له: يا أعرابي ما أظنّ بباب عليّ أحداً أعلم منك. قال: ويلك استغفر ربّك وصم سنة كفّارة لما قلت، كيف لو رأيت الفصحاء الأُدباء النطقاء، ووقعت في بحر علومهم لغرقتَ يا شقيّ. قال: الويل لأُمّك. قال: بل طوبى

لها ولدت مؤمناً يغمز منافقاً مثلك. قال له: يا أعرابي، هل لك في جائزة؟ قال: أرى استنقاص روحك، فكيف لا أرى استنقاص مالك [في بعض نسخ الحديث: 'استقباض روحك من جسدك فكيف باستقباض مالك'].

فأمر له بمائة ألف درهم.

قال: أزيدك يا أعرابي؟ قال: أسديداً سُد أبداً [في البحار: أعطه نعمة تكون أبداً سيّداً للقوم، وفي بعض النسخ: 'سديداً، سديداً'].

فأمر له بمائة ألف أُخرى، فقال: ثلّثها فإنّ اللّٰه فرد، ثمّ ثلّثها. فقال: الآن ما تقول؟ فقال: أحمدُ اللّٰه وأذمُّكَ، قال: ولِمَ ويلك؟ قال: لأنّه لم يكن لك ولا لأبيك ميراث، إنّما هو من بيت مال المسلمين أعطيتنيه. ثمّ أقبل معاوية على كاتبه فقال: أُكتب للأعرابيّ جواباً فلا طاقة لنا به. فكتب: أمّا بعد يا عليّ فلأوجهنّ إليك أربعين حملاً من خردل مع كلّ خردلة ألف مقاتل، يشربون الدجلة ويسقون الفرات، فلمّا نظر الطرمّاح إلى ما كتب به الكاتب، أقبل على معاوية، فقال له: سوءة لك يا معاوية، فلا أدري أيّكما أقلُّ حياءً أنت أم كاتبك؟ ويلك لو جمعتَ الجنّ والإنس وأهل الزبور والفرقان كانوا لا يقولون بما قلت. قال معاوية: ما كتبه عن أمري.

قال: إن لم يكن كتبه عن أمرك فقد استضعفك في سلطانك، وإن كان كتبه بأمرك فقد استحييتُ لك من الكذب، أمِن أيّهما تعتذر ومن أيّهما تعتبر؟ أما إنّ لعليّ صلى الله عليه و آله دِيكاً أشتراً، جيّد العنصر يلتقط الخردل لجيشه وجيوشه، فيجمعه في حوصلته. قال معاوية: ومَن ذلك يا أعرابي؟ قال: ذلك مالك بن الحارث الأشتر، ثمّ أخذ الكتاب والجائزة وانطلق به إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأقبل معاوية على أصحابه، فقال: نرى لو وجهتكم بأجمعكم في كلّ ما وجّه به صاحبه ما كنتم تؤدُّون عنّي عُشرَ عشير ما أدّى هذا عن صاحبه. [الاختصاص: ١٣٨].

معاوية يستميل أبا أُمامة الباهلي بالإكرام ليردّه عن محبّة عليّ

روى المحدّث القمّي في "السفينة": أنّه دخل أبو أُمامة الباهلي على معاوية فقرّبه وأدناه، ثمّ دعا بالطعام فجعل يطعم أبا أُمامة بيده، ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده، وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: يا أبا أُمامة، باللّٰه أنا خيرٌ أم عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو أُمامة: نعم، ولا كذب، ولو بغير اللّٰه سألتني لصدقتُ، عليّ واللّٰه خير منك، وأكرم وأقدم إسلاماً، وأقرب إلى رسول اللّٰه قرابة، وأشدّ في المشركين نكاية، وأعظم عند الأُمّة عناءً، أتدري مَن عليّ عليه السلام يا معاوية؟ ابن عمّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وابن أخي حمزة سيّد

الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من هذا، يا معاوية، أظننت أنّي سأخيّرك على عليّ عليه السلام بألطافك وطعامك وعطائك، فأدخل إليك مؤمناً، وأخرج منك كافراً، بئسما سوّلت لك نفسك يا معاوية، ثمّ نهض وخرج من عنده فأتبعه بالمال، فقال: لا واللّه لا أقبل منك ديناراً واحداً. [سفينة البحار ١:٦٦٩].

معاوية يستميل ابا الأسود الدؤلي

قال المحدّث القمّي أيضاً في وصف أبي الأسود الدؤلي: أنّه أحد الفضلاء الفصحاء من الطبقة الأُولى من شعراء الإسلام وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب عليّاً عليه السلام وشهد معه وقعة صفّين، وهو بصريّ يعدّ من الفرسان والعقلاء، وله نوادر كثيرة منها: روي أنّ معاوية أرسل إليه هدية، منها حلواءٌ يُريد بذلك استمالته وصرفه عن حبّ عليّ عليه السلام، فدخلت ابنة صغيرة له خماسيّ أو سداسي [كذا في المصدر، والظاهر خماسيّة أو سداسيّة].

عليه، فأخذتْ لقمة من تلك الحلواء، وجعلتها في فمها، فقال لها أبو الأسود: يا بنتي، ألقيه، فإنّه سمّ، هذه حلواءٌ أرسلها إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين عليه السلام، ويردّنا عن محبّة أهل البيت عليهم السلام.

فقالت الصبيّة: قبّحه اللّه يخدعنا عن السيّد المطهّر بِالشهد المزعفر؟! تبّاً لمرسله وآكله، فعالجت نفسها حتّى قاءت ما أكلته، ثمّ قالت:

أبا لشهد المزعفر يابن هند*** نبيع عليك إسلاماً ودينا

معاذ اللّه كيفَ يكونُ هذا*** ومولانا أميرُ المؤمنينا

[سفينة البحار ١:٦٦٩، مادة 'سود'].

عشرة من أصحابه بين يدي معاوية

أخرج القندي الحنفي في "أشعة الأنوار في فضل حيدر الكرّار" بسنده: لمّا اجتمع النّاس إلى معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن سميّة، وكان عامله بالكوفة: أوفد علَيَّ أشراف أصحاب عليّ بن أبي طالب ولهم الأمان، وليكونوا عشرة نفر: خمسة من أهل الكوفة وخمسة من أهل البصرة، فلمّا ورد عليه الكتاب بعث إلى حجر بن عديّ، وعديّ بن حاتم الطائي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وهاني بن عروة المرادي، وعامر بن واثلة الكناني - وكان يكنّى بأبي الطفيل - ودعاهم | أن| تجهّزوا إلى أمير المؤمنين، فقد جعل لكم الأمان وأحبّ رؤيتكم.

وكتب إلى خليفته بالبصرة أن أوْفِدْ إلَيَّ الأحنف بن قيس، وصعصعة بن صوحان، وحارثة بن قدامة السعدي، وخالد بن معمر السدوسي، وشريك بن الأعور، فلمّا قدموا عليه أشخصهم جميعاً إلى معاوية، فلمّا قدموا على معاوية حجبهم يومهم وليلتهم، وبعث إلى رؤوساء الشام، فلمّا جاءوا وأخذوا مجالسهم قال معاوية لصاحب إذنه:

أدخل علَيَّ حجر بن عديّ، فلمّا دخل وسلّم، قال له معاوية: يابن الأدبر، القبيح المنظر، أنت القاطع منّا الأسباب، والملتمس بحربنا الثواب، والمساعد علينا أبا تراب؟

فقال حجر: صه - يا معاوية - لا تذكر رجلاً كان للّه خائفاً، ولما يسخطه عائفاً، وبما يرضي اللّه عارفاً، خميص الضلوع، طويل الركوع، كثير السجود، ظاهر الخشوع، قليل الهجوع، قائماً بالحدود، طاهر السريرة، محمود السيرة، نافذ البصيرة، ملك أمرنا فكان كبعضنا، لم يبطل حقّاً ولم يظلم أحداً... ثمّ بكى حتّى نشج، ثمّ رفع رأسه، فقال: أمّا توبيخك إيّاي فيما كان من نفسي، فاعلم - يا معاوية - أنّي غير معتذر ا ليك ممّا فعلت، ولا مكترث ممّا صنعت، فاعلن بسرّك وأظهر أمرك. فقال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي، ثمّ قال معاوية لصاحب اذنه: وأدخل علَيَّ عمرو بن الحمق الخزاعي، فلمّا دخل عليه قال له معاوية: يا أبا خزاعة، فارقت الطاعة، وأشهرت علينا سيفك، وأهديت إلينا حيفك، فأطلت الإعراض، وشتمت الأعراض، ودلاك بغرور جهلك المحذور، فكيف رأيت صنع اللّه بصاحبك؟

قال الراوي: فبكى عمرو حتّى سقط لوجهه، فرفعه الشرطي، فقال: يا معاوية بأبي أمّي مَن ذكرت وتَنَقَّصْت، كان - واللّه - العالم بحكم اللّه، والمجدّ في طاعة اللّه، المحدود في غيظ اللّه، الزاهد في الفانية، الراغب في الباقية، لا يظهر منكراً، ولا يظهر تجبّراً، يعمل بما يرضي اللّه عنه، إلى أن قال: فقد مزّقنا فقده، وتمنّينا الموت بعده. فقال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ عدي بن حاتم الطائي، فلمّا دخل عليه قال له معاوية: ما أبقى الدهر من ذكر عليّ بن أبي طالب؟ فقال عديّ: فهل رعى إلا ذكره؟

قال معاوية: وكيف حبّك له؟ فتنفّس الصعداء وقال: حبّي واللّه جديد لا يبيد، وقد تمكّن من شِغاف الفؤاد إلى يوم المعاد، وقد امتلأ من حبّه صدري، وفاض في جسدي وفكري.

فقال المأمون: يا أمير المؤمنين، أصبح عديّ بعد صفّين ذليلاً، فبكى عديّ رضى الله عنه وأنشأ يقول:

يجادلني معاوية بن حرب*** وليس إلى الّذي يبغي سبيل

يذكّرني أبا الحسن عليّاً*** وخطبي في أبي حسن جليل

إلى آخر أشعاره.

فقال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ عامر بن واثلة - وكان يُكنّى أبا الطفيل - فلمّا دخل عليه رحّب به معاوية، فقال أصحابه: مَن هذا الّذي رحّبت به، يا أمير المؤمنين؟ فقال معاوية: هذا خليل أبي تراب، وفارس أهل العراق وشاعرهم يوم صفّين. فقالوا: ألأم فارس، وأفحش شاعر، ونالوا منه، فغضب أبو الطفيل وقال: أما واللَّه - يا معاوية - ما هؤلاء سبّوني، ولا أدري مَن هم، وإنّما أنت شتمتني، فأخبرني مَن هم؟ وإلا - وحقّ عليّ - شتمتك، فقال معاوية: هذا عمرو بن العاص، وهذا مروان بن الحكم، وهذا سعيد بن العاص وهذا ابن أُختي.

فقال أبو الطفيل: أمّا عمرو فأنطقته جباية مصر، وأمّا مروان وسعيد فأنطقتهما جباية الحجاز، وأمّا ابن اختك فقد وهبتُه لك.

فقال معاوية: يا أبا الطفيل، ما أبقى الدهر لك من حبّ عليّ عليه السلام؟ قال: واللَّه حبّ أُمّ موسى لموسى، وأشكو إلى اللَّه التقصير، قال: فما أبقى اللَّه لك الدهر من وجدك عليه؟ قال: وجد العجوز المقلاة والشيخ الرؤوف، قال: فما بقي من بغضك لنا؟ قال: بغض آدم لإبليس لعنه اللَّه. فقال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ هاني بن عروة المرادي، فلمّا دخل قال له معاوية: يا هاني، أأنت المائل مع عليّ بن أبي طالب، والمحارب للمسلمين مع عليّ يوم صفّين؟

فقال له هاني: أنّى لك - يا معاوية - بالشرف الشامخ، والمجد الباذخ، وما كنتم إلا شطيّة يخطفها العرب، حتّى بعث محمّد صلى الله عليه و آله، فلانَ له العباد في جميع البلاد، وأمّا خروجي عليك - يابن هند - فغير متعذر إليك منه، ولو كنت رأيتك ذلك اليوم لنفذت رمحي بين حضنيك! واللَّه ما أحببناك مذ أبغضناك، ولا بعنا السيوف الّتي بها ضربانك، فقال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ صعصعة بن صوحان، فلمّا دخل عليه نظر فإذا الرجال عليهم السلاح وقوف، ومعاوية جالس على سريره، فقال صعصعة: سبحان اللَّه! ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، يرفع بها صوته، فالتفت معاوية يمنة ويسرة، فلم يرَ شيئاً يفزعه، فقال: يا صعصعة، أظنّك تدري ما اللَّه؟ فقال: بلى، واللَّه - يا معاوية - ربّنا وربّ آبائنا الأوّلين، وإنّه لبالمرصاد من وراء العباد. فقال معاوية: يا صعصعة، ما كنت أحبّ أن تقوم هذا المقام حتّى يصيبك ظفر من أظفاري. قال: وأنا يا - معاوية - لقد أحببت أن لا أُحيّيك بتحيّة الخلافة حتّى تجري

مقادير اللَّه فيك. فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص، وقال: أوسع لصعصعة ليجلس إلى جانبك، فقال عمرو: لا واللَّه لا أوسعت له على ترابيّته.

فقال صعصعة: نعم واللَّه - يا عمرو - إنّي لترابي ومن عبيد أبي تراب، ولكنّك مارج من نار، منها خُلقتَ وإليها تعود، ومنها تبعث إن شاء اللَّه.

فقال معاوية: يا صعصعة، واللَّه إنّي هممتُ أن أحبس عطايا أهل العراق في هذه السنة. فقال صعصعة: واللَّه - يا معاوية - لو رمت ذلك منهم لدهمك مائة ألف أمرد، على مائة ألف أجرد، وصيّروا بطنك ميادين لخيولهم، وقطّعوك بسيوفهم ورماحهم، قال: فامتلأ معاوية غيظاً، وأطرق طويلاً، ثمّ رفع رأسه، وقال: لقد أكرمنا اللَّه حيث يقول لنبيّه: 'وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ' [سورة الزخرف: ٤٤].

ونحن قومه، وقال تعالى: "لِإِيلَافِ قُرَيشٍ' - إلى قوله: - 'وَآمَنَهُم مِن خَوْفٍ' [سورة قريش: ٤ - ١].

ونحن قريش، وقال تعالى لنبيّه: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' [سورة الشعراء: ٢١٤].

ونحن عشيرته الأقربون. فقال صعصعة: على رسلك - يا معاوية - فإنّ اللَّه تعالى يقول: 'وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ' [سورة الأنعام: ٦٦].

وأنتم قومه، وقال تعالى: 'وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً' [سورة الفرقان: ٣٠].

"و أنتم قومه" ولو زدتَ زدناك يا معاوية، فافحمه. قال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ خالد بن معمر السدوسي، فلمّا دخل قال له معاوية: يا خالد، لقد رأيتك تضرب أهل الشام بسيفك على فرسك الملهوف؟ فقال خالد - يا معاوية -: واللَّه ما ندمتُ على ما كان منّي، ولا زلت على عزيمتي أثني، ومع ذلك إنّي عند نفسي مقصّر، واللَّه المستعان والمدبّر.

فقال له معاوية: ما علمت - يا خالد - ما نذرت عند قومك في قومك؟ قال: لا، فقال: نذرتُ أن أُنذر مقاتلهم، وأسبي نساءهم، ثمّ أُفرّق بين الأُمّهات والأولاد فيبايعون، فقال خالد: وما تدري ما قلتُ في ذلك، قال: لا، قال: فاسمعه منّي، فأنشأ يقول:

يروم ابن هند نذره من نسائنا*** ودون الّذي يبغي سيوف قواضب

قال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ جارية بن قدامة السعدي - وكان قصيراً - فلمّا دخل قال له معاوية: أركضتَ علينا الخيل يوم صفّين في بني سعد تمنّيهم الفتن، وتحملهم على قديمات الإحن مع قتلة أمير المؤمنين عثمان، وقاتلت أُمّ المؤمنين عائشة، وما أنت إلا جارية؟ فقال جارية: إنّ اللَّه فضّل على اسمك اسمي. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ

جارية لا تكون إلا من أحياء العرب، والمعاوية لا تكون إلا من إناث الكلاب، وأمّا ما ذكرت من أمير المؤمنين عثمان، فأنتم خذلتموه وقتلتموه، والدار عند نازحة، وأمّا أُمّ المؤمنين عائشة فلمّا نظرنا في كتاب اللّٰه عزّ وجلّ ولم نجد لها علينا حقّاً يلزمنا إلا أن تطيع ربّها وتقرّ في بيتها، فلمّا ألقت الجلابيب عن وجهها بطل ما كان لها علينا من حقّ، وأمّا ركضي الخيل عليك يوم صفّين فإنّما ذلك حيث أردت أن تقطع أعناقنا عطشاً فلم ننظر في عاقبة، ولم نخف جائحه، فثنينا الخيل مع أقدم النّاس إسلاماً، وأحسنهم كلاماً، وأعلمهم بكتاب اللّٰه وسنّة نبيّه، حين أراد جهادك على بصيرة، وأنتَ على الحميّة الجاهليّة، فإن أردت نريك مثل ذلك اليوم، فخيلنا معدّة، ورماحنا محدّة. قال معاوية لصاحب إذنه: أخرجه عنّي.

وأدخل علَيَّ شريكاً الحارثي، فلمّا دخل - وكان دميم المنظر - قال له معاوية: إنّك شريك وما للّٰه شريك، وإنّك أعور والصحيح خير من الأعور، وإنّك لابن الأصفر والأبيض خير من الأصفر، وإنّك مخالف والمستقيم خيرٌ من المخالف، وإنّك لدميمٌ والجميل خير من الدميم، فكيف سدت قومك؟

فقال شريك: إنّك لمعاوية، وما معاوية إلا كلبة عَوَت فاستعوت فاستنبحتها الكلاب، فسمّيت معاوية، وإنّك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وابن حرب والسلم خيرٌ من الحرب، وابن أُميّة وما أُميّة إلا أُمّة صغّرتها العرب، فكيف صرت أمير المؤمنين علينا! فأمر معاوية بإخراجه، وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن حرب*** وسيفي صارم ومعي لساني

وحولي من بني عمّي رجال*** ضراغمة نهشّ إلى الطعان

يعيّر بالدمامة من سفاه*** وربّات الجمال من الغواني

قال: ثمّ نهض معاوية من مجلسه ودخل داره، وفي اليوم الثاني دعا بهم فأُحضروا وأكرمهم، وردّهم إلى أهليهم مكرّمين. [أشعة الأنوار في فضل حيدر الكرّار: ٣١٤، والعاشر سقط من الحديث، وهو الأحنف بن قيس].

ذكر فضائل ميثم التمّار ومقتله

نذكر هنا فضائل بعض أصحابه عليه السلام وخواصّه إظهاراً لمقام عليّ عليه السلام كما يصفه هؤلاء الصحابة وتكميلاً للفائدة والبحث، ومن الصحابة ميثم التمّار، وكان من خواصّ أصحابه عليه السلام وصاحب أسراره وما لا يحتمله إلا ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن اللّٰه قلبه للإيمان.

روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفيّ في "الغارات" عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال: كان ميثم التمّار مولى عليّ عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه عليّ عليه السلام وأعتقه، وقال له: 'ما اسمك؟'، قال: سالم، فقال: 'إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أخبرني أنّ اسمك الّذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم'، فقال: صدق اللّٰه ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، فهو واللّٰه اسمي، قال: 'فارجع إلى اسمك ودع سالماً، فنحن نكنّيك به'، فكنّاه أبا سالم. [روى الراوندي الحديث إلى هنا في الخرائج والجرائح ١:٢٠٣].

قال: وقد كان أطلعه عليّ ءعليه السلام على علم كثير وأسرار خفيّة من أسرار الوصيّة، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك، فيشكّ فيه قوم من أهل الكوفة وينسبون عليّاً عليه السلام في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس حتّى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاكّ والمخلص: 'يا ميثم، إنّك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً حتّى يخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربةٍ تقضي عليك، فانتظر ذلك، والموضع الّذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنّك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأرينّك النخلة الّتي تصلب على جذعها'، ثمّ أراه إيّاها بعد ذلك بيومين، وكان ميثم التمّار يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركت من نخلة لك خلقتُ ولي نبتِّ، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل عليّ حتّى قطعت، فكان يرصد جذعها ويتعاهده ويتردّد إليه ويبصره، وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إنّي مجاورك فأحسن جواري، فلا يعلم عمرو ما يُريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم؟ قال: وحجّ في السنة الّتي قتل فيها، فدخل على أُمّ سلمة "رضي اللّٰه عنها" فقالت له: مَن أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبته فذكر لها أنّه مولى عليّ بن أبي طالب، فقالت: أنت ميثم؟ قال: بلى أنا ميثم، فقالت: سبحان اللّٰه، واللّٰه لربّما سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوصي بك عَلِيّاً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن عليّ عليه السلام، فقالت: هو في حائط له.

قال: أخبريه أنّي قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء اللّٰه، ولا أقدر اليوم على لقائه وأُريد الرجوع، فدعت بطيب فطيّب لحيته، فقال لها: أما إنّها ستخضب بدم، فقالت: من أنبأك هذا؟ قال:

أنبأني سيّدي، فبكت أمّ سلمة وقالت له: إنّه ليس بسيّدك وحدك، وهو سيّدي وسيّد المسلمين، ثمّ ودّعته، فقدم الكوفة فأُخذ وأُدخل على عبيدالله بن زياد، وقيل له: هذا كان من آثر النّاس عند أبي تراب، قال: وَيْحكُم هذا الأعجمي؟ قالوا: نعم، فقال له عبيدالله: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد "لكل ظالم و أنت أحد الظلمه"، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك؟ قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد، قال: وإنّه ليقال: إنّه قد أخبرك بما سيلقاك؟ قال: نعم إنّه أخبرني، قال: ما الّذي أخبرك إنّي صانعٌ بك؟ قال: أخبرني إنّك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبةً، وأقربهم من المطهرة، قال: لأُخالفنّه، قال: ويحك كيف تخالفه، إنّما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه و آله، وأخبر رسول الله عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله لقد عرفتُ الموضع الّذي أُصلب فيه أين هو من الكوفة، وإنّي لأوّل خَلقِ الله أُلجم في الإسلام بلجام كما تلجم الخيل، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدٍ الثقفي.

فقال ميثم للمختار، وهما في حبس ابن زياد: إنّك تُفلِت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبّار الّذي نحن في حبسه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخدّيه، فلمّا دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيدالله بن زياد يأمره بتخلية سبيله، وذاك أنّ أُخته كانت تحت عبدالله بن عمر بن الخطّاب، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع فأمضى شفاعته، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد وقد أُخرج ليضرب عنقه فأُطلق. وأمّا ميثم فأُخرج بعده ليصلب، وقال عبيدالله: لأمضين حكم أبي تراب فيه، فلقيه رجل فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم، فتبسّم وقال "و هو يُؤمى إلى النخلة": لها خُلقت ولي غذّيت، فلمّا رفع الخشبة، اجتمع النّاس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول لي: إنّي مجاورك، فكان يأمر جاريته كلّ عشيّة أن تكنس تحت خشبته وترشّه، وتجمّر بالمجمر تحته، فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم ومخازي بني أُميّة وهو مصلوبٌ على الخشبة، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه، فألجم فكان أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام، فلمّا كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً، فلمّا كان في اليوم الثالث طُعن بحربة "فكبّر" فمات، وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيّام. [الغارات ٢:٧٩٧، و ما بين المعقوفين من الإرشاد ١:٣٢٣، راجع مستدرك سفينة البحار ٩:٣٢٦، مادة 'ميثم'، والبحار ٤٢:١٢٤ و ٤١:٣٤٣].

في بعض كراماة ميثم و اخباره بالمغيبات

قد صار ميثم التّمار ببركة ملاقاته لأميرالمؤمنين صاحب الكرامة و عالماً بالحوادث و المغيبات فنذكر هنا بعض ما هو مذكور فى التاريخ، و نحيل القرّاء الكرام في تفصيل شرح حاله و علمه بالمغيبات الى كتاب 'اصحاب الامام عليّ عليه السلام' احد مؤلفات المؤلف فراجعه.

و في "البحار": عن محمّد بن مسعود، بإسناده عن صالح بن ميثم، قال: أخبرني أبو خالد التمّار، قال: كنتُ مع ميثم التمّار بالفرات يوم الجمعة، فهبّت ريح وهو في سفينة من سفن الرمّان، قال: فخرج فنظر إلى الريح، فقال: شدّوا برأس سفينتكم إنّ هذا ريح عاصف، مات معاوية الساعة. قال: فلمّا كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته، فقلت له: يا عبد اللّٰه، ما الخبر؟ قال: النّاس على أحسن حال، توفّي أمير المؤمنين "معاوية"، وبايع النّاس يزيد، قال: قلت: أي يوم توفّي؟ قال: يوم الجمعة. [بحار الأنوار ١٢٧:٤٢].

و في "رجال الكشي": عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمّار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما، ثمّ قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام ويبقر بطنه على الخشبة. فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيّه، فيقتل ويجال برأسه بالكوفة، ثمّ افترقا. فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم اللّٰه ميثماً نسي 'ويزاد في عطاء الّذي يجي ء بالرأس مائة درهم'، ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا واللّٰه أكذبهم.

فقال القوم: واللّٰه ما ذهبت الأيّام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث، وجي ء برأس حبيب بن مظاهر وقد قُتل مع الحسين ورأينا كلّ ما قالوا. [رجال كشى، ص ٧٨، ح ١٣٣؛ بحار الأنوار ٩٢:٤٥].

وفي "البحار": عن يوسف بن عمران الميثمي، قال: سمعت ميثماً النهرواني يقول: دعاني أمير المؤمنين عليه السلام وقال: 'كيف أنت - يا ميثم - إذا دعاك دعيّ بني أُميّة عبيداللّٰه بن زياد إلى البراءة منّي؟' فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا واللّٰه لا أبرأ منك، قال: 'إذن واللّٰه يقتلك ويصلبك'، قلت: أصبر، فذاك في اللّٰه قليل، فقال: 'يا ميثم، إذن تكون معي في درجتي'. قال: وكان ميثم يمرّ بعريف قومه [العريف: من يعرف أصحابه، القيّم بأمر القوم والنقيب].

ويقول: يا فلان، كأنّي بك وقد دعاك دعيّ بني أُميّة ابن دعيّها فيطلب لي منك أيّاماً، فإذا قدمت عليك ذهبت بي إليه حتّى يقتلني على باب دار عمرو بن حريث، فإذا كان يوم الرابع ابتدر منخراي دماً عبيطاً.

وكان ميثم يمرّ بنخلة في سبخة فيضرب بيده عليها، ويقول: يا نخلة، ما غُذِّيتِ إلا لي، وما غُذّيتُ إلا لك، وكان يمرّ بعمرو بن حريث، ويقول: يا عمرو، إذا جاورتك فأحسن جواري، فكان عمرو يرى أنّه يشتري داراً أو ضيعة لزيق ضيعته، فكان يقول له عمرو: ليتك قد فعلت. ثمّ خرج ميثم النهرواني إلى مكّة، فأرسل الطاغية عدوّ اللّٰه ابن زياد إلى عريف ميثم فطلبه منه، فأخبره أنّه بمكّة، فقال له: لئن لم تأتني به لأقتلنّك، فأجّله أجلاً، وخرج العريف إلى القادسيّة ينتظر ميثماً، فلمّا قدم ميثم، قال: أنت ميثم؟ قال: نعم أنا ميثم. قال: تبرأ من أبي تراب [كأنّ في العبارة سقطاً، والظاهر أنّها هكذا: 'فجاء به العريف إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: تبرأ من أبي تراب...'].

قال: لا أعرف أبا تراب، قال: تبرأ من عليّ بن أبي طالب، فقال له: فإن أنا لم أفعل؟ قال: إذن - واللّٰه - لأقتلك. قال: أما لقد كان يقول لي: إنّك ستقتلني وتصلبني على باب عمرو بن حريث، فإذا كان يوم الرابع ابتدر منخراي دماً عبيطاً، فأمر به فصلب على باب عمرو بن حريث، فقال للنّاس: سلوني - وهو مصلوب - قبل أن أُقتل، فواللّٰه لأخبرتكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم الساعة، وما يكون من الفتن، فلمّا سأله النّاس حدّثهم حديثاً واحداً إذ أتاه رسول من قبل ابن زياد، فألجمه بلجام من شريط، وهو أوّل مَن ألجم بلجامٍ وهو مصلوب. [بحار الأنوار ٤٢: ١٣٠].

ذكر فضائل كميل بن زياد النخعي

كان كميل من خواصّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ثقة جليل القدر، روى حديث فضل العلم وحامله عن أمير المؤمنين عليه السلام.

روى في "تعليقة الغارات" عن ابن كثير في "البداية والنهاية": كميل بن زياد شهد مع عليّ عليه السلام صفّين، وكان شجاعاً فاتكاً وزاهداً عابداً، قتله الحجّاج في هذه السنة "سنة ٨٢"، وقد عاش مائة سنة، قتله صبراً بين يديه، وإنّما نقم عليه لأنّه طلب من عثمان بن عفّان القصاص من لطمة لطمها إيّاه، فلمّا أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه، فقال له الحجّاج: أومثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص؟ ثمّ أمر فضربت عنقه. [الغارات ٢: ٩٤٤، وراجع: كتاب البداية والنهاية لابن كثير ٩: ٥٠].

قال ابن أبي الحديد في وصف كميل: هو من صحابة عليّ عليه السلام وشيعته وخاصّته، وقتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة، وكان كميل عامل عليّ عليه السلام على هيت [هيت بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة على جهة البريّة في غربي الفرات وبها قبر عبدالله بن المبارك].

الحديث. [شرح ابن أبي الحديد ٤:٢٢٧، بحار الأنوار ٤٢:١٦٣].

و لقد اوصاه اميرالمؤمنين عليه السلام بوصايا كثيره نذكر هنا بعضها:

'يا كميل، مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، و يدلجوا في حاجة من هو نائم، فو الّذي وسع سمعه الأصوات ما من أجد أودع قلباً سروراً إلا و خلق الله له من ذلك السرور لطفاً...'. [نهج البلاغه، قصار الحكم: ٢٥٧].

و قال عليه السلام له أيضاً في حديث: 'يا كميل، ليس شأن أن تصلّى و تصوم و تتصدّق، إنّما الشأن أن يكون الصلاة فعلت بقلب نقيّ، و عمل عند الله مرضيّ، و خشوع سَويّ' الحديث. [بحارالانوار ٢٢٩ / ٨٤؛ جامع السعادات ٣٣٠: ٣؛ مسند امام علي "ع" ١٩٦ / ٣ ح ٢٣١٧].

و قال عليه السلام له أيضاً: 'يا كميل، لا تطرق ابواب الظالمين للاختلاف بهم و الاكتساب معهم، و إيّاك أن تعظمّهم و تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك'. [تحف العقول باب وصيته لكميل: ١١٦، مسند امام علي "ع" ١٦٩ / ١٠ ح ١٠٨٣٩].

و قال عليه السلام له ايضاً: 'يا كميل، إنّك لا تخلو من نعمة الله عزّوجلّ عندك و عافيته، فلا تخلو من تحميده و تمجيده و تسبيحه و تقديسه و شكره و ذكره على كل حال'. [البحار ٧٧:٢٧٣؛ مسند امام علي "ع" ١٠:٢٦٠ ح ١١١١٢].

في حديث عن فضيل بن خديج عن كميل بن زياد، قال: كنت مع اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد الكوفه و قد صلينا العشاء الآخرة، فأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد فمشى حتى خرج الى ظهر الكوفه و لا يكلّمني بكلمة، فلمّا أصحر تنفّس ثم قال: 'يا كميل، انّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ منّي ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربّاني و متعلّم على سبيل نجاة، و همج رَعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك و أنت تحرس المال، و المال تنقصه النفقة و العلم يزكو على الإنفاق'، الحديث. [انظر امالي طوسى، مجلس الاول، ح ٢٣؛ مسند امام علي "ع" ٥٥: ١، ح ١٧٣؛ البحار ١٨٨: ١].

مقتله بيد الحجاج

وروى الشيخ المفيد عن جرير، عن المغيرة، قال: لمّا ولي الحجّاج، طَلَب كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفد عمري، لا ينبغي أن أحرم قومي عطيّاتهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجّاج، فلمّا رآه قال له: لقد كنت أُحبُّ أن أجد عليك سبيلاً. فقال له كميل: لا تَصرِف [الصريف: صوت الأنياب، و هو كناية عن التهديد].

علَيَّ أنيابك، ولا تهدّم [تهدّم عليه اذا اشتد غضبه عليه].

علَيَّ، فواللّٰه ما بقي من عمري إلا مثل كواسل الغبار [كواسل كانها بقايا الغبار التي كسلت عن أوائله و فى البحار هكذا 'كواهل الغبار' أي أوائله: شبّه عمره في سرعة انقضائه بالغبار، وبقيّته بأوائله، فإنّ مقدّم الغبار يحدث بعد مؤخّره ويسكن بعده، أو شبّه بقيّة العمر في سرعة انقضائه بأوّل ما يحدث من الغبار، فإنّهنّ يسكن قبل ما يحدث آخراً، والأوّل أبلغ وأكمل "البحار ٤٢:١٤٩، ذيل الحديث"].

فاقض ما أنت قاض، فإنّ الموعد اللّٰه، وبعد القتل الحساب، ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّك قاتلي. فقال له الحجّاج: الحجّة عليك إذن. فقال له كميل: ذاك إن كان القضاء إليك. قال: بلى، قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفّان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه. [الارشاد ٣٢٧: ١؛ البحار ٤٢:١٤٩، كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٨٢].

روى المحقّق الخبير النمازي الشاهرودي عن "إرشاد القلوب": خرج مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجّهاً إلى داره وقد مضى ربع من الليل ومعه كميل بن زياد، وكان من خيار شيعته ومحبّيه، فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ: 'أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ' [سورة الزُّمر: ٩].

الآية، بصوت شجيّ حزين، فاستحسنه كميل في باطنه وأعجبه من غير أن يقول شيئاً، فالتفت عليه السلام إليه، وقال: 'يا كميل، لا يعجبك طنطنة الرجل، إنّه من أهل النّار، سأُنبئك فيما بعد'، فتحيّر كميل لمكاشفته له على ما في باطنه ولشهادته بدخول النّار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة.

ثمّ مضت مدّة طويلة إلى أن آل حال الخوارج إلى ما آل، وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل، وهو واقف بين يديه، والسيف في يده يقطر دماً، ورؤوس هؤلاء الكفرة الفجرة على الأرض، فوضع عليه السلام رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس وقال: 'يا كميل، 'أَمَّنْ هُوَ

قَانِتٌ' الآية، أي هذا رأس ذلك الشخص الّذي كان يقرأ هذه الآية فأعجبك حاله، فقبّل كميل قدميه واستغفر اللّه. [مستدرك سفينة البحار ٩:١٨٦، مادة 'كمل'].

ذكر فضائل رشيد الهجري

كان رشيد الهجري من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يعلم علم المنايا والبلايا.

عن إسحاق [هو اسحاق بن محمّد بن ابراهيم الحضينى من أصحاب الرضاعليه السلام "راجع معجم رجال الحديث ٣:٣٥ و ٧٢"].

قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام ودخل عليه رجل فقال له أبو الحسن: 'يا فلان، إنّك تموت إلى شهر؟'، قال: فأضمرت في نفسي، كأنّه يعلم آجال شيعته! قال: فقال: 'يا إسحاق، وما تنكرون من ذلك؟ وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً، وكان يعلم علم المنايا والبلايا؟ فالإمام أوْلى بذلك'. ثمّ قال: 'يا إسحاق، تموت إلى سنتين، ويتشتّت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك، ويُفلسون إفلاساً شديداً'. [بحار الأنوار ٤٢:١٢٣].

وفي "الاختصاص": عن أبي حسّان العجلي، قال: لقيت أمة اللّه بنت راشد الهجري، فقلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك. قالت: سمعته يقول: قال لي حبيبي أمير المؤمنين عليه السلام: 'يا راشد [لفظ الحديث في البحار: 'راشد'، أمّا في الاختصاص: 'رشيد'].

كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أُميّة فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أيكون آخر ذلك إلى الجنّة؟ قال: 'نعم، يا راشد، وأنت معي في الدنيا والآخرة'، قالت: فواللّه ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه الدعيّ عبيداللّه بن زياد فدعاه إلى البراءة منه، فقال له ابن زياد: فبأيّ ميتة قال لك صاحبك تموت؟ قال: خبّرني خليلي "صلوات اللّه عليه" أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرّأ، فتقدّمني فتقطع يدي ورجلي ولساني. فقال: واللّه لأكذّبن صاحبك، قدّموه واقطعوا يده ورجليه واتركوا لسانه، فقطعوه، ثمّ حملوه إلى منزلنا، فقلت له: يا أبت - جعلت فداك - هل تجد لما أصابك ألماً؟ قال: لا واللّه يا بُنيّة إلا كالزحام بين النّاس، ثمّ دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجّعون له، فقال: آتوني بصحيفة ودواة أذكر لكم ما يكون ممّا أعلمنيه مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، فأتوه بصحيفة ودواة، فجعل يذكر ويملي عليهم أخبار الملاحم والكائنات ويسندها إلى أمير المؤمنين ءعليه السلام، فبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إليه الحجّام حتّى قطع لسانه فمات من ليلته تلك.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسمّيه راشداً المبتلى، وكان قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان يلقى الرجل ويقول له: يا فلان ابن فلان، تموت ميتة كذا، وأنت - يا فلان - تقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كما قاله راشد رحمه الله. [الاختصاص: ٧٧، والبحار ٤٢: ١٢١، ولفظ الحديث من البحار].

رشيد بين يدى زياد

وروى قصّة قتله في "الغارات": عن زياد بن النضر الحارثي هكذا: قال: كنت عند زياد وقد أُتي برشيد الهجري، وكان من خواصّ أصحاب أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني. فقال زياد: أما واللّه لأُكذّبنّ حديثه، خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج، قال: ردّوه، لا نجد شيئاً أصلح ممّا قال لك صاحبك، إنّك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه. فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه. فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلمّا أخرجوا لسانه ليقطع، قال: نفّسوا عنّي أتكلّم كلمة واحدة، فنفّسوا عنه فقال: هذا واللّه تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام أخبرني بقطع لساني، فقطعوا لسانه وصلبوه. [الغارات ٢: ٧٩٩].

ذكر فضائل قنبر مولى عليّ

كان قنبر غلاماً لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان يُحبّ عليّاً حبّاً شديداً، وكان ملازماً له دائماً، استشهد على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي شقي بني أُميّة.

ففي الحديث عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: 'كان لعليّ عليه السلام غلام اسمه قنبر، وكان يحبّ عليّاً عليه السلام حبّاً شديداً، فإذا خرج عليّ عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة، فقال عليه السلام: 'يا قنبر مالك؟!' قال: جئت لأمشي خلفك، فإنّ النّاس كما تراهم يا أمير المؤمنين، فخفت عليك، قال: 'ويحك أمِن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟'، قال: لا، بل من أهل الأرض، قال:'إنّ أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بإذن اللّه عزّ وجلّ من السماء، فارجع'. [بحار الأنوار ٤٢: ١٢٢، والاختصاص: ٧٣].

في "رجال الكشيّ" وفي "الاختصاص": سئل قنبر: مولى مَن أنت؟ فقال: أنا مولى مَن ضرب بسيفين، وطعن برمحين، وصلّى القبلتين، وبايع البيعتين، وهاجر الهجرتين، ولم يكفر باللّه طرفة عين، أنا مولى صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وخير الوصيّين، وأكبر المسلمين، ويعسوب المؤمنين، ونور المجاهدين،

ورئيس البكّائين، وزين العابدين، وسراج الماضين، و ضوء القائمين، وأفضل القانتين، ولسان رسول ربّ العالمين، الحديث. [رجال الكشيّ: ٧٣، ح ١٢٩، الاختصاص: ٧٣، البحار ٤٢:١٣٣، مستدرك سفينة البحار ٨:٦٠٤].

وروى المجلسي عن "مجالس المفيد": عن جابر، قال: سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً وقد رام قنبر أن يردّ عليه، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: 'مهلاً يا قنبر، دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوّك. فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه'. [بحار الأنوار ٧١:٤٢٤].

قنبر بين يدي الحجّاج

روى العلامة المجلسي رحمه الله: عن الكشيّ، وفي "تفسير العيّاشي" عن أبي الحسن الهادي "عليّ بن محمّد عليهماالسلام" أنّ قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام أُدخل على الحجّاج بن يوسف، فقال له: ما الّذي كنت تلي من أمر عليّ بن أبي طالب؟ قال: كنت أُوضّيه، فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ قال: كان يتلو هذه الآية: 'فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شيء حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ' [سورة الأنعام: ٤٤ و ٤٥].

فقال الحجّاج: كان يتأوّلها علينا؟ فقال: نعم، فقال: ما أنت صانع إذا ضربت عِلاوتك [العلاوة - بالكسر -: أعلى الرأس أو العنق].

قال: إذن أسعد وتشقى، فأمر به فقتله. [تفسير العيّاشي ١:٣٥٩، وبحار الأنوار ٤٢:١٣٥].

روى عامّة أصحاب السير من طرق مختلفة: أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أُحبّ أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب، فأتقرّب إلى الله بدمه! فقيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه، فبعث في طلبه، فأُتي به، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: أبو همدان؟ قال: نعم، قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وليّ نعمتي، قال: إبرأ من دينه، قال: فإذا برئتُ من دينه تدلّني على دين غيره أفضل منه؟ قال: إنّي قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبُّ إليك؟ قال: قد صيّرت ذلك إليك، قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك لا تقتلني قتلة إلا قتلك مثلها، وقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام

أنّ منيّتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ، قال: فأمر به فذبح. [البحار ٤٢: ١٢٦، وكشف الغمّة - باب المناقب ١: ٣٨٣].

ذكر بعض ما جرى بين عقيل ومعاوية

وقد مرّت قصّة عقيل عليه السلام مع معاوية في فصل "عليّ عليه السلام والعدل" وغيره، ونذكر منها هنا محلّ الاستشهاد من قصّته:

قال في "الغارات": بسنده عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين: أنّ عقيلاً ارتحل عن عليّ عليه السلام إلى معاوية... فلمّا سمع به معاوية، نصب كراسيّه وأجلس جلساءه، فورد عقيل عليه، فأمر له بمائة ألف درهم فقبضها، فقال له معاوية: أخبرني عن العسكريّين؟ قال عقيل: مررت بعسكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإذا ليلٌ كليل النبيّ صلى الله عليه و آله، ونهارٌ كنهار النبيّ صلى الله عليه و آله، إلا أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليس في القوم، ومررتُ بعسكرك فاستقبلني قومٌ من المنافقين ممّن نفر برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليلة العقبة، ثمّ قال: من هذا الّذي عن يمينك، يا معاوية؟ قال معاوية: هذا عمرو بن العاص، قال عقيل: هذا الّذي اختصم فيه ستّة نفر فغلب عليه جزّارها، فمن الآخر؟ قال: الضحّاك بن قيس الفهري، قال: أما واللّٰه لقد كان أبوه جيّد الأخذ لعسب التيس

[التيس: الذكر من الظباء والمعز، وعسب الفحل: يعني ماؤه، فرساً كان أو بعيراً، فالمراد بجيّد الأخذ أي أنّه كان ماهراً في هذا الشغل الخسيس، وكان يبيع عسب الفحول في الجاهليّة].

فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري. قال: هذا ابنُ المراقة. [المراقة: السراقة].

فلمّا رأى معاوية أنّه قد أغضب جلساءه قال: يا أبا يزيد، ما تقول فيَّ؟ قال: دع عنك، قال: لتقولنّ، قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومَن حمامة؟ قال: أخبرتك، ومضى عقيل، فأرسل معاوية إلى النسّابة، قال: فدعاه، فقال: أخبرني من حمامة؟ قال: أعطني الأمان على نفسي وأهلي؟ فأعطاه، قال: حمامة جدّتك، وكانت بغيّة في الجاهليّة، لها راية تؤتى.

قال الشيخ: قال أبو بكر بن زبين: هي أُمّ أُمّ أبي سفيان. [الغارات ١: ٦٤].

وفود دارميّة الحجونيّة على معاوية

في "العقد الفريد": عن سهل بن أبي سهل التميمى، عن أبيه، قال: حجّ معاوية، سأل عن امرأة من بني كنانة يقال لها دارميّة الحجونيّة، وكانت سوداء، كثيرة اللحم، فأُخبر بسلامتها، فبعث إليها فجي بها، فقال

معاوية: ما حالكِ يا بنت حام؟ فقالت: لستُ لِحام إن عبتني، أنا امرأة من بني كنانة، قال: صدقت أتدرين لِمَ بعثتُ إليك؟ قالت: لا يَعلم الغيب إلا اللَّه، قال معاوية: بعثتُ إليك لأسألك عَلامَ أحببتِ عليّاً عليه السلام وأبغضتني، ووالیته وعاديتني؟ قالت: أوتَعفيني؟ قال معاوية: لا أعفيك، قالت: أمّا إذ أبيت، فإنّي أحببتُ عليّاً على عدله في الرعيّة، وقسمه بالسويّة، وأبغضتك على قاتلك من هو أوْلى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحقّ، ووالیتُ عليّاً على ما عقد له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من الولاء، وحبّه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سَفْكك الدماء، وجورك في القضاء، وحُكمك بالهوى، قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك، قالت: يا هذا، بهندٍ [هي هند بنت عتبة أُمّ معاوية].

واللَّه كان يضرب المثل في ذلك لا بي، قال معاوية: يا هذه أربعي، فإنّا لم نقل إلا خيراً، إنّه إذا انتفخ بطن المرأة ثمّ خلق ولدها، وإذا عظم ثدياها تَرَوّى رضيعُها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها، فرجعت وسكنت.

قال لها: يا هذه، هل رأيت عليّاً عليه السلام؟ قالت: أي واللَّه. قال: فكيف رأيته؟ قالت: رأيته واللَّه لم يفتنه المُلك الّذي فتنك، ولم تشغله النعمة الّتي شغلتك. قال: فهل سمعتِ كلامه؟ قالت: نعم - واللَّه - كان يجلو القلوب من العمى، كما يجلو الزيت صدأ الطست. قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أوَ تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت: أغذو بألبانها الصغار، وأستحيي بها الكبار، واكتَسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فإن أعطيتك ذلك، فهل أحلّ عندك محلّ عليّ بن أبي طالب؟ قالت: ماء ولا كصدّأء [الصداء عين لم يكن عندهم أعذب منها].

ومرعى ولا كالسعدان [السعدان نبت ذو شوك، وهو أفضل مراعي الإبل].

وفتى ولا كمالك [ومالك: هو ابن نويرة، وهذه أمثلة ثلاثة تضرب للشي ء يفضل على أشباهه].

يا سبحان اللَّه، أوَ دُونه! [استفهام إنكاري منها: أي أوْلى بك أن تطلب دون محلّه، لا أن تطلب مثل محلّه].

فأنشأ معاوية يقول:

إذ لم أعد بالحلم منّي عليكم*** فمن ذا الّذي بعدي يُؤَمّلُ للحِلم

خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد*** جزاك على حرب العداوة بالسِّلم

ثمّ قال: أما واللّه لو كان عليّ حيّاً ما أعطاك منها شيئاً، قالت: لا واللّه ولا وبرة واحدة من مال المسلمين. [العقد الفريد ٢:١١٣].

وفود سودة بنت عمارة على معاوية

قال عمر رضا كحالة: إنّ سودة كانت شاعرة من شاعرات العرب، ذات فصاحة وبيان، وفدت على معاوية بن أبي سفيان بعد موت عليّ عليه السلام، فاستأذنت عليه، فأذن لها، فلمّا دخلت عليه سلّمت فقال لها: كيف أنتِ يا ابنة الأشتر؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال لها: أنتِ القائلة لأخيك:

شمّر [في أعلام النساء: 'شهّر'].

كفعل أبيك يابن عُمارة*** يوم الطِّعان وملتقى الأقران

وانصر عليّاً والحسين ورهطه*** واقصد لهند وابنها بهوان

إنّ الإمام أخو النبيّ محمّد*** علم الهُدى ومنارة الإيمان

فقُد الجيوش وسر أمام لوائه*** قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت سودة: إي واللّه، ما مثلي مَن رغب عن الحقّ، أو اعتذر بالكذب، قال لها: فما حَملكِ على ذلك؟ قالت: حبّ عليّ واتّباع الحقّ، قال: فواللّه ما أرى عليك من أثر علَيَّ شيئاً؟ قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس وبُتِر الذنب، فدع عنك تَذُكار ما قد نُسي وإعادة ما مضى، قال: هيهات ليس مثل مقام أخيكِ يُنسى، وما لقيت من قومك وأخيك.

قالت: صدقت - واللّه - يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفيّ المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به*** كأنّه علم في رأسه نار

وباللّه أسأل أمير المؤمنين إعفائي ممّا استعفيت منه. قال: قد فعلت: فقولي ما حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنّك أصبحت للنّاس سيّداً، ولأمرهم متقلّداً، واللّه سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يقوم علينا من ينوء بعزّك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قِبلك، فقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، وإمّا لا فعرفناك، فقال معاوية: أتهدّديني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس [القتب: الاكاف الصغير على قدم سنام البعير، وأشرس صفة لموصوف محذوف وهو البعير، أو الأشرس، الخشن الغليظ، وتكون صفة للقتب].

فأردَك إليه يُنَفّذ فيك حكمه، فأطرقت تبكي، ثمّ أنشأت تقول:

صلّى الإله على جسمٍ تَضَمَّنه*** قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالفَ الحقّ لا يبغي به ثمناً*** فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية: مَن ذلك يا سودة؟ فقالت: واللّه هُوَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: وما صنع بك حتّى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمتُ عليه في رجل وَلاه صَدَقاتنا، فكان بيني وبينه ما بين الغثّ [الغثّ:الرديّ الفاسد].

والسمين، فأتيتُ عَليّاً عليه السلام لأشكو إليه، فوجدتُه قائماً يُصلّي، فلمّا نظر إلَيَّ، انفتل من الصلاة، ثمّ قال لي برأفةٍ وتعطّف: "ألك حاجة؟"، فأخبرته الخبر، فبكى ثمّ قال: "اللّهمّ إنّك أنتَ الشاهد علَيَّ وعليهم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقّك"، ثمّ أخرج من جيبه قطعةً كهيئة طرف الجراب فكتب فيها: بسم اللّه الرحمن الرحيم "قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفسدينَ بقيةُ اللّه خيرٌ لكم إنْ كنْتمُ مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ" [اقتباس من سورة الأعراف: ٨٥ والشعراء: ١٨٣].

إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا، حتّى يَقدم عليك من يقبضه منك، والسلام"، فعزله [وفي العقد الفريد: "فأخذته منه"].

يا أمير المؤمنين، ما حزمه بخزام ولا ختمه بختام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها، والعدل عليها، فقالت: ألي خاصّة، أم لقومي عامّة؟ قال: وما أنتِ وغيرك؟ قالت: هي - واللّه - إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا أنا كسائر قومي، قال: هيهات، لَمظَّكم [التلمّظ: التذوّق، وتتبّع بقيّة الطعام في الفم باللسان. ولمظّكم: أي علّمكم وعوّدكم].

ابن أبي طالب الجرأة، وغرّكم قوله:

"فلو كنتَ بوّاباً على باب جنّة*** لقلت لهمدان ادخلوا بسلام"

ثمّ قال معاوية: اكتبوا لها ولقومها بحاجتها. [أعلام النساء ٢:٢٧٠، العقد الفريد ٢:١٠٢ و قد مرّ وفودها عند معاوية بلفظ آخر في فصل "علي "ع" و اعانة المظلوم" و كذا في فضل "سيرته "ع" مع مخالفين من عمّاله"].

الخاتمة

وتتضمّن مائة عنوان مختلف لمعانٍ مختلفة تضمّنتها حكم ومواعظ وأقوال أميرالمؤمنين عليه السلام:

إلى هنا تمّ ما أردت إيراده من "الفصول المائة" و "التكملة" و "الخاتمة" في بلدة قم المقدّسة بتاريخ ١٢/٨/١٣٦٩ حامداً للّٰه سبحانه على التوفيق لإتمامه، ولا أدّعي الإحاطة بكلّ أحوال أمير المؤمنين عليه السلام، فالجامع لها يقصر، وكلّما أراد إحصاها تكثر، وما علَيَّ إلا بذل الجهد وبلاغ الوسع، على أنّي تركت التعرّض لسائر ما قيل في عظمته وجلالته عليه السلام من الأقوال الكثيرة والروايات المستفيضة خوف الإطالة وملل القارئ، ونرجو من اللّٰه تعالى القبول، ومن رسوله الأكرم وابن عمّه أمير المؤمنين العناية، ولولده الغائب الحجّة ابن الحسن المهدي عليه السلام الفرج، ومن القرّاء الكرام العذر والإرشاد.

وآخر دعواهم أن الحمد للّٰه ربّ العالمين

قم المشرفة، الحوزة العلمية

السيّد أصغر ناظم زاده القمي

الاجل

'لكلّ حياة أجل'. دستور معالم الحكم: ١٤

'الأجل حصاد الأمل'. الغرر ١:١٦٧

الاخوّة

'شرّ الإخوان مَن تكلّف له'. نهج البلاغة ٢:٢٦٢

'خير إخوانك من واساك، وخير منه مَن كفاك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٢

'إخوان الدين أبقى مودّة'. الغرر ١:٣٥٨

الادب

'الأدب صورة العقل'. أسرار البلاغة: ٢٣

'ثمرة الأدب حسن الخُلق'. الغرر ٣:٣٢٥

'أدّب نفسك بما كرهته لغيرك'. دستور معالم الحكم: ٦٨

الامل

'أطول النّاس أملاً أسوؤهم محملاً'. الغرر ٢:٤٠٩

'مَن جرى في عنان أمله عثر بأجله'. نهج البلاغة ٢:١٥٢

الامانة

'أدّوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الأنبياء'. تحف العقول: ١٥١

'أداء الأمانة مفتاح الرزق'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٨.

الايمان

'الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان'. الغرر ٢:٤٠.

'إنّ بشر المؤمن في وجهه، وقوّته في دينه، وحزنه في قلبه'. الغرر ٢:٥٠٥

'المؤمن أخو المؤمن، فلا يغشّه، ولا يعيبه، ولا يدع نصرته'. دستور معالم الحكم: ١٩

البخل

'البخل يُكسب العار، ويُدخل النّار'. الغرر ٢:٣١

'البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء'. نهج البلاغة ٢:٢٤١

البر

'بالبرّ يستعبد الحرّ'. الإعجاز والإيجاز: ٢٨

'مَن بذل برّه انتشر ذكره'. الغرر ٥:٣٣٦

البغي

'البغي آخر مدّة الملوك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٣٤

'البغي سائق إلى الشرّ'. أسرار البلاغة: ٢٣

الجدل

'الجدل في الدين يفسد اليقين'. الغرر ١:٣٠٨

'كثرة الجدال تورث الشكّ'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٧٢

الجزع

'الجزع أتعب من الصبر'. أسرار البلاغة: ٣٤٥

'الجزع عند البلاء تمام المحنة'. عيون الأخبار "٢٨" [ونقصد به عيون الأخبار لابن قتيبة، وكذا في باقي الموارد].

'الجزع لا يدفع القدر، ولكن يحبط الأجر'. الغرر ٢:٦٩

الجهاد

'جاهدوا أهواءكم كما تجاهدوا أعداءكم'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٤

'زكاة البدن الجهاد والصيام'. الغرر ١٠٦:٤

الحرص

'الحرص علامة الفقر'. دستور معالم الحكم: ١٥

'الرزق مقسوم، والحريص محروم'. الغرر ٣٤:١

الحسد

'صحّة الجسد من قلّة الحسد'. نهج البلاغة ٢٠٦:٢

'الحاسد ضاغن على مَن لا ذنب له'. عيون الأخبار: ٦٩

الاحسان

'الإحسان يستعبدُ الإنسان'. الغرر ١٩٩:١

'عذّب حسّادك بالإحسان إليهم'. شرح ابن أبي الحديد ٣١٧:٢٠

الحقد

'مَن كثر حقده قلّ عتابه'. شرح ابن أبي الحديد: ٣٤٣

'رأس العيوب الحقد'. الغرر ٥١:٤

الحقّ

'مَن عرف الحقّ لم يعتدّ بالخلق'. أسرار البلاغة: ٣٤٥

'الحقّ ينجي، والباطل يردي'. دستور معالم الحكم: ١٦

الحكمة

'الحكمة ضالّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق'. نهج البلاغة ١٦٥:٢

'قوت الأجسام الغذاء، وقوت العقول الحكمة'. شرح بن أبي الحديد ٣١٩:٢٠

الحلم

'الحلم عشيرة'. نهج البلاغة ٢٤٩:٢

'الحلم تمام العقل'. الغرر ٢٦٤:١

الحياء

'مَن كسا الحياء ثوبه لم يرَ النّاس عيبه'. نهج البلاغة ٢٠٠:٢

'الحياء سبب إلى كلّ جميل'. دستور معالم الحكم: ٢٠

الاخلاق

'حسن الخُلق خير قرين'. دستور معالم الحكم: ١٧

'بحسن الأخلاق تدرّ الأرزاق'. الغرر ٣:٢٢٣

الخير

'قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا له تكونوا من أهله'. تحف العقول: ١٥٠

'الخير أسهل من فعل الشرّ'. الغرر ١:٣١٤

الاستخارة

'إذا أمضيت فاستخر'. الغرر ٣:١١٦

'ما حار من استخار، ولا ندم مَن استشار'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٦

الدعاء

'الدعاء مفتاح الرحمة'. دستور معالم الحكم: ١٦

'الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر'. نهج البلاغة ٢:٢٣٠

الدنيا

'الدنيا بالأقوال، والآخرة بالأعمال'. التمثيل والمحاضرة: ٣٠

'الدنيا ظلّ زائل'. الغرر ١:٨٤

'الدنيا خُلقت لغيرها، ولم تخلق لنفسها'. نهج البلاغة ٢:٢٥٨

الدين

'الدَّين رقّ، فلا تبذل رقّك لمن لا يعرف حقّك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٦

'بئس القلادة قلادة الدَّين'. الغرر ٣:٢٥٦

الذمّ

'ذمّ الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السرّ'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٣٦

'ذمّ العقلاء أشدّ من عقوبة السلطان'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٢٠

الراي

'شرّ الآراء ما خالف الشريعة'. الغرر ٤:١٦٣

'رأي الشيخ أحبّ إليَّ من جَلَد الغلام'. نهج البلاغة ٢:١٦٦

الرزق

'إرض من الرزق بما قسم لك تعش غنيّاً'. الغرر ٢:١٨٩

'الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك'. نهج البلاغة ٢:٢٤٢

الرضا

'رضا النّاس غاية لا تدرك، فتحرّ الخير بجهدك، ولا تبال بسخط مَن يرضيه الباطل'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٥

'الرضا ثمرة اليقين'. الغرر ١:١٩٠

الرفق

'بالرفق تنال الحاجة، وبحسن التأنّي تسهل المطالب'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٦٣

'الرفق مفتاح النجاح'. الغرر ١:٧٩

الراحة

'الراحة مع اليأس'. الإعجاز والإيجاز: ٢٩

'راحة الإنسان في حفظ اللسان'. البيان والتبيين ٣:٦٥

الزمان

'لا ضمان على الزمان'. الغرر ٦:٣٧٩

'الزمان ذو ألوان، ومَن يصحب الزمان يرَ الهوان'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٤

الزهد

'زهدك في راغبٍ فيك نقصان حظّ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذلّ نفس'. نهج البلاغة ٢:٢٥٦

'أعظم النّاس سعادة أكثرهم زهادة'. الغرر ٢:٤١٨

السخاء

'السخاء قربة، واللؤم غربة'. دستور معالم الحكم: ١٥

'السخيّ شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٩٠

السر

'سرّك دمك، فلا تجرينّه إلا في أوداجك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٥

'ايّها الناس... ولا تهتكوا أستاركم عند مَن يَعلمُ أسرارَكم نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣

السفر

'السفر ميزان الأخلاق'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٩٤

'السفر قطعة من العذاب، والرفيق السوء قطعة من النّار'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٣٨

السلامة

'السلامة مع الاستقامة'. دستور معالم الحكم: ١٦

'لا لباس أجمل من السلامة'. أسرار البلاغة: ٣٤٥

'لا وقاية أمنع من السلامة'. الغرر ٦:٣٣٦

الشر

'فاعل الشرّ شرّ منه'. مجمع الأمثال ١:٥٨

'الشرّ عنوان العطب'. الغرر ١:١٤٢

الشقاء

'أربعة من الشقاء: جار السوء، وولد السوء، والمرأة السوء، والمنزل الضيّق'.

شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٧٦

'سبب الشقاء حبّ الدنيا'. الغرر ٤:١٢١

الشكر

'الشكر زينة الغني'. دستور معالم الحكم: ١٦

'استدم الشكر تدم عليك النعمة'. الغرر ٢:١٧٧

المشاورة

'المشورة راحة لك، وتعب على غيرك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٥٤

'المشاورة تجلب لك صواب غيرك'. الغرر ١:٣٩٠

الشيب

'الشيب إعذار الموت'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٨

'وقار الشيب أحبّ إليَّ من نظارة الشباب'. الغرر ٦:٣٣١

الصبر

'الصبر ينزل على قدر المصيبة'. الغرر ١:٣٧٧

'الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عمّا تحبّ'. نهج البلاغة ٢:١٦١

الصدقة

'سوسوا إيمانكم بالصدقة'. منهاج البراعة ٣:٣١٠

'الصدقة تستنزل الرحمة'. الغرر ٢:١٥٢

الصديق

'الصديق مَن صدق غيبه'. دستور معالم الحكم: ١٥

'صديقك مَن نهاك، وعدوّك مَن أغراك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٢

'الصديق أقرب الأقارب'. الغرر ١:١٧٧

الصلف

'أدوء الداء الصلف'. الغرر ٢:٣٧٣

'ربّ صلف أدّى إلى تلف'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٩

الصلاة

'الصلاة صابون الخطايا'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٣

'الصلاة حصن من سطوات الشيطان'. الغرر ٢:١٦٦

الصمت

'مَن طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما لا يضرّه'.

شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٨

'الصمت وقار، والهذر عار'. الغرر ١:٣١

الطمع

'لا تطمع في كلّ ما تسمع'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٢٩

'الطامع في وثاق الذلّ'. الإعجاز والإيجاز: ٣٠

الظلم

'العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة'. تحف العقول: ١٥١

'الظلم يطرد النِّعم'. الغرر ١:١٨٦

الاعتبار

'ما أكثر العبر، وأقلّ الاعتبار'. نهج البلاغة ٢:٢٢٢

'الاعتبار يثمر العصمة'. الغرر ١:٢٢١

العتاب

'كثرة العتاب تؤذن بالارتياب'. الغرر ٤:٥٩٣

'إذا عاتبت فاستبق'. الغرر ٣:١١٤

العجلة

'مَن ركب العجلة لم يأمن الكبوة'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢١١

'العجلة مذمومة في كلّ أمر إلا فيما يدفع الشرّ'. الغرر ٢:٨٩

العدل

'العدل أفضل من الشجاعة؛ لأنّ النّاس لو استعملوا العدل عموماً في جميعهم لاغتنوا عن الشجاعة'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٣٣

'العدل مألوف، والجور عسوف'. الغرر ١:١١

العدوان

'بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٤٠

'عادة الأشرار معاداة الأخيار'. الغرر ٤:٣٣٢

الاعتذار

'إيّاك وكثرة الاعتذار، فإنّ الكذب كثيراً ما يخالط المعاذير'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٥

'ما أقبح العقوبة مع الاعتذار'. الغرر ٦:٦٨

المعروف

'المعروف أفضل الكنوز، وأحصن الحصون'. دستور معالم الحكم: ١٨

'المعروف كنز، فانظر عند مَن تودعه'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٦

المعصية

'أفضل العبادة الإمساك عن المعصية، والوقوف عند الشبهة'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٣٦

'إذا عصى الربّ مَن يعرفه سلّط عليه مَن لا يعرفه'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٥

العافية

'العافية الملك الخفيّ'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٧

'العافية أهنأ النعم'. الغرر ١:٢٤٠

العقل

'لا غنى مثل العقل، ولا فقر أشدّ من الجهل'. تحف العقول: ١٣٨

'العقل رسول الحقّ'. الغرر ١:٧٠

الغشّ

'مَن غشّ نفسه كان أغشّ لغيره'. الغرر ٥:٤٢٩

'إذا غشّك صديقك فاجعله مع عدوّك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٢١

الغضب

'مَن لم يملك غضبه لم يكمل عقله'. دستور معالم الحكم: ٢٨

'غضب العاقل في فعله، وغضب الجاهل في قوله'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٥

غضّ الطرف

'ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٤٢٣

'رأس الورع غضّ الطرف'. الغرر ٤:٥٠

الاستغفار

'الاستغفار يحتّ الذنوب حتّ الورق'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٥١

'الاستغفار دواء الذنوب'. الغرر ١:٢٢٨

الغنى

'الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة'. نهج البلاغة ٢:١٦١

'الغنى والفقر بعد العرض على اللّه'. نهج البلاغة ٢:٢٥٦

الغيبة

'الغيبة جهد العاجز'. نهج البلاغة ٢:٢٥٧

'الغيبة ربيع اللئام'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٥

الفضل

'أحسن النّاس عيشاً مَن عاش النّاس من فضله'. الغرر ٢:٤١٠

'أفضل على من شئت يكن أسيرك'. تحف العقول: ١٤٣

الفقر

'الفقر الموت الأكبر'. نهج البلاغة ٢:١٩٠

'الفقر يُخرس الفطن عن حجّته'. دستور معالم الحكم: ٢٠

الاقتصاد

'ما عال مَن اقتصد'. البيان والتبيين ٤:٧٤

'كلّ ما زاد على الاقتصاد إسراف'. الغرر ٤:٥٤٠

القصاص

'مَن خاف القصاص كفّ عن ظلم النّاس'. تحف العقول: ١٥١

'القصاص حقّن للدماء'. الغرر ٤:٤٥٢

القلب

'قلب الأحمق وراء لسانه، ولسان العاقل وراء قلبه'. الإعجاز والإيجاز: ٣٠

'القلب مصحف البصر'. نهج البلاغة ٢:٢٤٧

الكبر

'حصّن علمك من العُجب، ووقارك من الكبر'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١٨

'ليس لمتكبّر صديق'. الغرر ٥:٧٥

الكذب

'لا مروءة لكذوب'. الإعجاز والإيجاز: ٢٩

'الكذّاب يخيف نفسه وهو آمن'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٩٤

الكرم

'الكرم معدن الخير'. الغرر ١:١٥٢

'الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا الطف'. تحف العقول: ١٤٠

المكروه

'الوقوع في المكروه أسهل من توقّع المكروه'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٣١

'بالمكاره تنال الجنّة'. الغرر ٣:٢٠٢

الكسل

'مَن كسل لم يؤدِّ حقّاً'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٧٢

'مَن دام كسله خاب أمله'. الغرر ٥:١٨٧

اللجاج

'لا رأي للجوج'. الغرر ٦:٣٥٦

'اللجاجة تسلّ الرأي'. منهاج البراعة ٣:٣٣٠

الالحاح

'الإلحاح داعية الحرمان'. الغرر ١:١٠٦

'تجنّب الإلحاح يلزمك الصلاح'. الغرر ٤:٣٣٠

اللهو

'اللهو من ثمار الجهل'. الغرر ١:٦٩

'اللهو قوت الحماقة'. الغرر ١:٢٣٢

المروءة

'لا تتمّ مروءة الرجل حتّى يتفقّه في دينه، ويقتصد في معيشته، ويصبر على النائبة إذا نزلت به، ويستعذب مرارة إخوانه'. تحف العقول: ١٥٦

'أوّل المروءة طاعة اللّٰه، وآخرها التنزّه عن الدنيا'. الغرر ٢:٤٣٧

الملق

'ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد إلا في طلب العلم'. تحف العقول: ١٤٣

'إيّاك والملق، فإنّ الملق ليس من خلائق الإيمان'. الغرر ٢:٣٠٤

الموت

'لكلّ زمن قوت، وأنت قوت الموت'. دستور معالم الحكم: ١٤

'عجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى!'. نهج البلاغة ٢:١٧٨

المال

'المال مادّة الشهوات'. نهج البلاغة ٢:١٦١

'في المال ثلاث خصال مذمومة: إمّا أن يكتسب من غير حلّه، أو يمنع إنفاقه في حقّه، أو يستغل بإصلاحه عن عبادة اللّه تعالى'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٢٤

الندامة

'عند معاينة أهوال القيامة تكثر من المفرطين الندامة'. الغرر ٤:٣٢٥

'ثمرة التفريط الندامة'. منهاج البراعة ٣:٣٣٠

النميمة

'النمّام جِسْرُ الشرّ'. شرح ابن أبي الحديد ٢:٣٤١

'أسوأ الصدق النميمة'. الغرر ٢:٣٨٨

الثقة

'مَن لم يثق لم يُوثق به'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣١١

'مَن وثق باللّه صان يقينه'. الغرر ٥:٢٦٢

المودّة

'المودّة قرابة مستفادة'. دستور معالم الحكم: ١٥

'مودّة الآباء قرابة بين الأبناء'. نهج البلاغة ٢:٢٢٣

الوسط

'خير الأُمور أوساطها'. دستور معالم الحكم: ١٤

'عليكم بالنمط الأوسط'. التمثيل والمحاضرة: ٣٠

التواضع

'التكبّر على المتكبّرين هو التواضع بعينه'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٩٨

'التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠١

'التواضع يرشد إلى السلامة'. دستور معالم الحكم: ١٩

الموعظة

'أبلغ العظات الاعتبار بمصارع الأموات'. الغرر ٢:٤٢٣

'السعيد مَن وعظ بغيره، والشقيّ من اتّعظ به غيره'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٢٨٩

التقى

'التُّقى رئيس الأخلاق'. نهج البلاغة ٢:٢٤٧

'الدنيا والآخرة في خصلتين: الغنى والتُّقى'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠١

التواني

'التواني إضاعة'. دستور معالم الحكم: ١٤

'من سبب الحرمان التواني'. دستور معالم الحكم: ١٩

الهدية

'الهدية تفقأ عين الحكيم'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٤٢٣

'الهدية تجلب المحبّة'. الغرر ١:٨٩

الهداية

'مَن اهتدى نجا'. الغرر ٥:١٥٢

'مَن علم اهتدى'. الغرر ٥:١٥٣

الهوى

'الهوى شريك العمى'. دستور معالم الحكم: ١٥

'الهوى قرين مهلك'. الغرر ١:٢٣٧

الهيبة

'مَن هاب خاب'. الغرر ٥:١٤٧

'إذا هبت أمراً فقع فيه، فإنّ شدّة توقّيه أشدّ من الوقوع فيه'. الغرر ٣:١٧٢

اليأس

في وصيّته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: 'اليأس خيرٌ من طلب الناس، ما أقبح الخضوع عند الحاجة و الجفاء عند الغنى' نهج البلاغه: كتاب ٣١

'اليأس يريح النفس'. الغرر ١:١٦٧

اليمين

'دع اليمين للّه إجلالاً، وللنّاس إجمالاً'. شرح ابن أبي الحديد ٢٠:٣٠٩

'للأحمق مع كلّ قول يمين'. الغرر ٥:٣٠

اليوم

"كلّ يوم يسوق إلى غده". الغرر ٤:٥٣٣

"الأيّام توضّح السرائر الكامنة". الغرر ١:٣٤٥